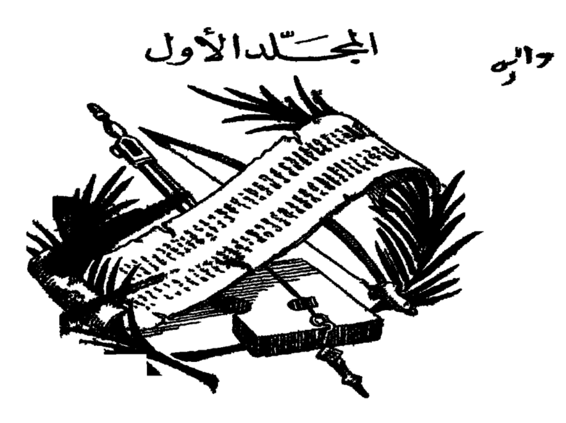
ديوان

الشريف الرضي

المجلد الأول



دار صادر — بيروت

ديوان الشريف الرضي

١

ديوان
الشريف الرضي

المجلد الأول

دار صادر
للطباعة والنشر

دار بيروت
للطباعة والنشر

بيروت

١٣٨٠ هـ ١٩٦١ م

الشريف الرضي

٣٥٩ – ٤٠٦ هـ * ٩٦٩ – ١٠١٥ م

هو أبو الحسن محمّد بن أبي أحمد الحسين الطاهر الملقّب بذي المناقب ؛ يرتقي بنسبه إلى موسى الكاظم ، فإلى الحسين بن علي ، ولهذا لقّب بالشريف الرضي الموسوي .

وُلد في بغداد وتثقّف فيها . ويقول الثعالبي في يتيمته : « إن الرضي ابتدأ بقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل » . وذكر الفتح بن جنّي : « ان الشريف الرضي أُحضر إلى السيرافي النحوي ، وهو طفل جداً لم يبلغ عمره عشر سنين ، فلقّنه النحو . وقعد معه يوماً في حلقته فذاكره بشيء من الإعراب على عادة التعليم ، فقال له : إذا قلنا رأيت عمرو فما علامة النصب في عمرو ؟ فقال له الرضي : بُغضُ عليّ ! فعجب السيرافي والحاضرون من حدّة خاطره .

كان الرضي متعمّقاً في علوم القرآن ، متبحّراً في علم الكلام واللغة والنحو ؛ وقد اتخذ له داراً سمّاها دار العلوم ، كان الطلبة يلازمونها ويعين لهم من ماله ما يحتاجون إليه .

وقد انتقلت إليه نقابة الأشراف من أبيه ، وأبوه حيّ ، وتولّى معها إمارة الحج والمظالم ؛ وهو أوّل طالبي جعل عليه السواد ، شعار العبّاسيين . كان ذا هيبة ، وجلالة ، وورع ، وعفّة ، ومراعاة للأهل والعشيرة ؛ رفيع المنزلة

بشرف نسبه وعلو منصبه ، عزيز النفس أبيّها . وكان يرشح نفسه للخلافة ، فكان أبو إسحق الصابىء يطمعه فيها . ومن أدلّ شعره على عزة نفسه وعظمتها ، قوله يخاطب القادر بالله الخليفة العبّاسي في قصيدة مدحه بها :

عَطفاً ! أميرَ المؤمنينَ ، فإنّنا في دوحة العلياء لا نتفرّقُ
ما بيننا يوم الفخار تفاوتٌ أبداً كلانا في المعالي معرقُ
إلاّ الخلافة ميّزتك ، فإنّني أنا عاطلٌ منها وأنتَ مُطوّقُ

فيقال : إن القادر ، عندما سمع ذلك منه ، قال له : « على رغم أنف الشريف » .

وعلى تبحّر الرضي في العلوم وما كان عليه من ثقافة مكينة ، لبث في شعره متمسّكاً بطريقة الأقدمين ، يحافظ على أساليبهم ومعانيهم ، ذاك بأن أبناء الأسر العربيّة النبيلة كانوا يحافظون كلّ المحافظة على قديمهم ، يتمسكون به لأنّه تراث أجدادهم ، وسجل أمجادهم ، وديوان مفاخرهم .

على أن شعر الرضي ، وإن يكن قديم الأسلوب ، ظاهر البلاغة ، عالي النفَس مديده ، قوي النسج ، واضح التعابير ، فيه متانة وسهولة ورصانة ، تظهر فيه شخصيّة صاحبه ؛ شخصيّة نبيلة ، عزيزة النفس ، أبيّة ، طموح ؛ وقلّما قرأت له قصيدة، في أي نوع من أنواع الشعر، إلاّ أحسست فيها روح الفخر ، وشكوى الزمان ، والشيب .

وقد كان يُعدّ أشعر القرشيين . قال الثعالبي عنه في يتيمته : « يُعدّ اليوم أبدع أهل الزمان ، وأنجب سادة العراق ، يتحلّى ، مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف ، بأدب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ؛ وهو أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلقين كالحمّاني ،

وابن طباطبا ، والناصر ، ولو قلت عنه : انّه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق . »

وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد : « سمعت أبا عبد الله محمّد بن عبد الله الكاتب في حضرة الحسين بن محفوظ ، وكان أحد الرؤساء ، يقول : سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون : « إن الرضي أشعر قريش . فقال ابن محفوظ : هذا صحيح ، وقد كان في قريش من يجيد القول إلاّ أن شعره قليل ، فأما مجيد ومكثر ، فليس إلاّ الشريف » وفي هذا القول كلّ الصواب ، فإن الشريف الرضي ، والحق يقال ، قد جمع بين الإكثار والإجادة .

وقد توفي هذا الشاعر الشريف في بغداد يوم الأحد سادس محرّم ، وقيل صفر ، ودفن في داره بخط مسجد الأنباريين بالكرخ ، ثمّ نقل رفاته إلى مشهد الحسين بكربلا ، فدفن عند أبيه ؛ وما لبثت داره أن خربت ودرس قبره .

قال ابن خلكان : « أخبرني بعضهم أنّه رأى في مجموع أن بعض الأدباء اجتاز بدار الشريف الرضي بسرّ من رأى ، وهو لا يعرفها ، وقد أخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخلقت ديباجتها ؛ وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجّباً من صروف الزمان وطوارق الحدثان ، وتمثل بقول الشريف الرضي :

ولقد وقفت على ربوعهم وطلولها بيد البِلى نَهب
فبكيتُ حتّى ضجّ من لغب نِضوي ، ولجّ بعذليَ الرّكب
وتلفّتت عيني ، فمذ خفيت عنّي الديار تلفّت القلب

فمرّ به شخص ، وسمعه وهو ينشد الأبيات ، فقال له : هل تعرف لمن هذه الدار ؟ فقال : لا ! فقال : هي لصاحب هذه الأبيات الشريف الرضي . فعجبا من حسن الاتفاق » .

وقد رويت عنه أخبار كثيرة تدلّ كلّها على شرف محتده، وعزّة نفسه، وترفّعه ، وسموّ شاعريّته ، وتضلعه من علوم زمانه ؛ ومن أبلغ ما ترك من الآثار ، بَلْهَ ديوانه الشعري ، كتاب « نهج البلاغة » وهو أثر جليل جَمَعَ فيه خطب الإمام عليّ بن أبي طالب وحِكمه ورسائله ، فكان كاسمه الذي أطلقه عليه .

حرفا الهمزة والالف

جزاء أمير المؤمنين

قال الشريف الرضي ذو الحسبين أبو الحسن محمد بن الطاهر ذي المنقبتين أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه وعلى نبينا السلام يمدح الخليفة الطائع لله ويهنئه بعيد الأضحى من سنة سبع وسبعين وثلثمائة :

جَزَاءُ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ ثَنَائي ، عَلى نِعَمٍ مَا تَنقَضِي وَعَطَاءِ

أقَامَ اللّيَالي عَنْ بَقَايا فَرِيسَتي ، وَلَمْ يَبْقَ مِنها اليَوْمَ غَيرُ ذَمَاءِ[1]

وأدْنَى أقاصِي جَاهِهِ لوَسَائِلِي ، وَشَدّ أوَاخي جُودِهِ بِرَجَائي[2]

وَعَلّمَنِي كَيفَ الطّلُوعُ إلى العلى وَكَيفَ نَعيمُ المَرْءِ بَعدَ شَقَاءِ

وَكَيفَ أرُدّ الدّهرَ عَن حَدَثانِهِ وألقَى صُدُورَ الخَيلِ أيَّ لِقَاءِ

فَما ليَ أُغْضِي عَنْ مَطالِبَ جمّة وأعلَمُ أنّي عُرْضَةٌ لِفَنَاءِ

وَأترُكُ سُمرَ الخَطّ ظَمأى خَلِيّة وشرٌّ قناً ما كُنّ غَيرَ رِوَاءِ[3]

---

١ اللماء : بقية الروح .

٢ الأواخي ، الواحدة أخية : حبل يدفن في الأرض مثبتاً فيبرز منه شبه حلقة تشد فيها الدابة وأراد هنا العرى .

٣ الخلية : اليابسة .

إذا ما جَرَرْتُ الرّمحَ لم يُثْنِني أبٌ يُليحُ ، وَلا أمٌّ تَصِيحُ وَرَائي[1]

وشَيّعَني قَلْبٌ إذا مَا أمَرْتُهُ أطَاعَ بعَزْمٍ لا يَرُوغُ وَرَائي

أرى الناسَ يَهوَوْن الخلاص من الرّدى ، وتَكمِلَةُ المَخلوقِ طُولُ عَناءِ

ويَستَقبحون القتلَ ، والقتلُ رَاحةٌ ، وأتعَبُ مَيتٍ مَنْ يَمُوتُ بداءِ

فلَستُ ابنَ أمّ الخَيلِ إن لم أعُدْ بها عَوابسَ تأبَى الضّيمَ مثلَ إبائي

وأرْجِعُها مَفجُوعَةً بحُجُولِها إذا انتَعَلَتْ من مأزِقٍ بدِمَاءِ[2]

إلى حَيّ مَنْ كَانَ الإمَامُ عَدوَّهُ وصَبّحَهُ مِنْ أمْرِهِ بقَضاءِ

هوَ اللّيثُ لا مُستَنهَضٌ عن فريسةٍ وَلا رَاجِعٌ عَنْ فُرْصَةٍ لحَيَاءِ

ولا عَزْمُهُ في فِعْلِهِ بمُذَلَّلٍ ، وَلا مَشيُهُ في فَتكِهِ بِضَرَاءِ[3]

هُوَ النّابِهُ النّيرانِ في كلّ ظُلمَةٍ ومُجري دِماءِ الكُومِ كلَّ مَساءِ[4]

ومُعلي حَنينِ القَوْسِ في كلّ غارَةٍ بسَهمِ نِضَالٍ أوْ بِسَهْمِ غَلاءِ[5]

فَخارٌ لَوَ انّ النّجمَ أُعطيَ مثلَهُ تَرَفّعَ أنْ يَأوِي أديمَ سَمَاءِ

وَوَجهٌ لَوَ انّ البَدرَ يَحمِلُ شُبهَهُ أضَاءَ اللّيالي مِنْ سَنًى وَسَنَاءِ[6]

مَغارِسُ طالَتْ في رُبَى المجدِ والتقتْ عَلى أنبِيَاءِ اللهِ والخُلَفاءِ

... ...

١ يليح : يشير بثوبه .

٢ الحجول ، الواحد حجل : البياض في رجل الفرس . المأزق : المضيق . أراد مضيق القتال .

٣ الضراء : الاستخفاء فيما يواري من الشجر .

٤ الكوم ، الواحدة كوماء : الناقة العظيمة ، يمدحه بالجود .

٥ الغلاء : البعيد المرمى .

٦ السنى : النور . السناء : الرفعة .

وكَمْ صارخٍ ناداكَ لمّا تَلَبّبَتْ ... بهِ السُّمْرُ في يَوْمٍ بغَيرِ ذُكَاءِ[1]

رَددتَ عليه النفسَ والشمسَ فانثنى ... بأنعمِ رُوحٍ في أعمّ ضِيَاءِ

وكَمْ صَدْرِ مَوْتُورٍ تَطَلّعَ غَيظُهُ ... وَقَلّبَ قَوْلاً عَنْ لِسَانِ مِراءِ[2]

يُغَطّي عَلى أضْغانِهِ بنِفَاقِهِ ، ... كذي العَقْرِ غطّى ظهرَهُ بكفاءِ[3]

كرَرْتَ عَلَيهِ الحِلمَ حتى قتَلتَهُ ... بغَيرِ طِعانٍ في الوَغَى وَرِمَاءِ

إذا حَمَلَ النّاسُ اللّوَاءَ عَلامَةً ... كَفاكَ مثارُ النّقعِ كلَّ لِواءِ

وَجَيشٍ مُضِرٍّ بالفَلاةِ كَأنّهُ ... رِقَابُ سُيُولٍ أوْ مُتُونُ نِهاءِ[4]

كأنّ الرُّبَى زَرّتْ عَلَيهِ جُيوبَها ... وَرَدّتْهُ مِنْ بَوْغائِها بِرِداءِ[5]

وَخَيلٍ تغالى في السرُوجِ كَأنّها ... صُدُورُ عوَالٍ أوْ قِداحُ سَرَاءِ[6]

لها السبقُ في الضّمّاتِ والسبقُ وَخدُها ... إذا غُطّيَتْ مِنْ نَقعِها بغِطاءِ[7]

وَليسَ فتًى من يدّعي البأسَ وَحدَهُ ... إذا لَمْ يُعَوِّذْ بأسَهُ بسَخَاءِ

وَما أنتَ بالمَبخوسِ حَظّاً من العلى ... وَلا قانِعاً مِنْ عَيشِهِ بكِفَاءِ

نَصِيبُكَ من ذا العيدِ مثلُكَ وافِرٌ ... وَسَعدُكَ فيهِ مُؤذِنٌ بِبَقَاءِ

وَلَوْ كانَ كلٌّ آخِذاً قدرَ نَفسِهِ ، ... لكانَتْ لَكَ الدّنيَا بغَيرِ مِرَاءِ

---

١ تلبيت : وقعت بلبته ، موضع القلادة من صدره . ذكاء : الشمس .

٢ الموتور : الذي قتل له قتيل ولم يثأر به . تطلع : تدفق . المراء : الملاجة والمنازعة .

٣ الكفاء : الستر .

٤ النهاء : الغدران ، الواحد نهي .

٥ بوغائها : تربتها الرخوة .

٦ تغالى : تتسرع وترتفع . السراء : شجر تتخذ منه القسي .

٧ الضمات ، الواحدة ضمة : حلبة الرهان . الوخد : ضرب من السير . النقع : غبار الحرب .

وَما هذهِ الأعيادُ إلاّ كَواكِبٌ تَغُورُ وتُولينا قَليلَ ثَواءِ
فخُذْ من سرُورٍ ما استطعتَ وفزْ بهِ فللنّاسِ قِسما شدّةٍ ورَخَاءِ
وبادِرْ إلى اللّذّاتِ ، فالدهرُ مولَعٌ بتَنغيصِ عَيشٍ وَاصْطِلامِ عَلاءِ[1]
أبُثُّكَ مِنْ وُدّي بغَيرِ تَكَلّفٍ وأُرْضِيكَ مِنْ نُصْحي بغيرِ رِياءِ
وَأذكُرُ ما أوْلَيتَني مِنْ صَنيعةٍ ، فأُصْفيكَ رَهْنَيْ طاعةٍ وَوَفاءِ
أعِنّي على دَهْرٍ رَماني بصَرْفِهِ ، وَرَدّ عِناني ، وَهوَ في الغُلَواءِ[2]
وَحَلّأني عَمّنْ أعُدّ بعادَهُ سَقامي وَمَن قُرْبي إلَيهِ شِفائي[3]
فَقَدْتُ، وَفي فَقدِ الأحِبّةِ غرْبَةٌ وَهِجرانُ مَنْ أحبَبتُ أعظَمُ داءِ
فَلا تَطمَعَنْ، يا دَهرُ، فيّ، فإنّهُ مَلاذِيَ مِمّا رَاعَني ، وَوِقائي
أرُدّ بهِ أيْدي الأعادي ، وَأتّقي نَوافِذَ شَتّى مِنْ أذًى وَبَلاءِ
ألَذُّ بقَلبي مِنْ مُنايَ تَقَنُّعي ، وَأحسنُ عندي من غنايَ غَنَائي[4]
وَمَنْ كانَ ذا نَفسٍ تُطيعُ قَنوعةً رَضِي بِقَليلٍ مِنْ كَثيرِ ثَرَاءِ
حدَوْا بالمَطايا يوْمَ جالَتْ غُرُوضُها وَيَوْمَ اتّقَتْ رُكبانُها برُغَاءِ[5]
تَؤمّكَ لا تَلوِي عَلى كلّ رَوْضَةٍ يَصيحُ بهَا حَوْذانُها ، وَأضَاءِ[6]

---

١ الاصطلام : الاستئصال .
٢ غلواء الشباب : أوله .
٣ حلأني : منعني .
٤ الغناء : الاستغناء والاكتفاء .
٥ غروضها : أحزمتها . الرغاء : صوت الجمال .
٦ يصيح : يطول . الحوذان : نبات طيب الطعم زهره أحمر في أصله صفرة . الاضاء ، الواحدة أضاة : الغدير .

وَلا تَشرَبُ الأمواهَ إلاّ تَعِلّةً ، إذا عثَرَتْ أخفافُهُنّ بِماءِ
لهَا سائِقٌ يَطغَى علَيها بسَوْطِهِ وَيَشْدُو على آثارِهَا بحُداءِ
غُلامٌ كَأشْلاءِ اللّجَامِ تُجيزُهُ صُدُورُ القَنَا والبيضُ كلَّ فَضاءِ[1]
إذا بَلَغَتْ ناديكَ نَالَ رِفاقُها عَريضَ عَطاءٍ مِنْ طَويلِ ثَنَاءِ
وَمِثلُكَ مَنْ يُعشَى إلى ضَوْءِ نارِه وَيُلفَى قِرَاهُ عِندَ كُلّ خِبَاءِ
وَما كلُّ فَعّالِ النّدَى بشبائِهِ ، وَلا كلُّ طُلاّبِ العُلَى بسَوَاءِ[2]

شيم الملوك

يمدح الملك بهاء الدولة ويهنئه بشهر رمضان سنة ٣٨١ :

بَهاءُ المُلْكِ مِنْ هذا البَهَاءِ ، وَضَوْءُ المَجدِ مِنْ هذا الضّيَاءِ
وَمَا يَعلُو عَلى قُلَلِ المَعَالي ، أحَقُّ مِنَ المُعَرَّقِ في العَلاءِ
وَلا تَعنُو الرُّعاةُ لِذي حُسَامٍ ، إذا مَا لمْ يكُنْ راعي رُعَاءِ[3]
وَمَا انتَظَمَ المَمالِكَ مثلُ ماضٍ يَتِمّ لَهُ القَضاءُ عَلى القَضاءِ

---

١ أشلاء اللجام : سيوره . تجيزه : تجعله يقطع .
٢ بشبائه : أراد بمشابهين له .
٣ الرعاء ، الواحد راع : من ولي أمر قوم .

إذا ابتَدَرَ الرِّهانَ مُبَادِرُوهُ ، تَمَطَّرَ دونَهُمْ ، يومَ الجَرَاءِ[1]

وَإنْ طَلَبَ النَّدى خرَجَتْ يَداه خُرُوجَ الوَدقِ من خلَلِ الغَماءِ[2]

حَذارِ ، إذا تَلَفَّعَ ثوبَ نَقْعٍ ، حَذارِ ، إذا تَعَمَّمَ باللِّوَاءِ

حَذارِ مِن ابنِ غيطلَةٍ مُدلٍّ ، يَسُدُّ مَطالِعَ البِيدِ القَوَاءِ[3]

إذا ألقَى عَلى لَهَوَاتِ ثَغْرٍ يَدَيْ غَضبانَ مَرْهوبِ الرُّواءِ[4]

تَمُرُّ قَعاقِعُ الرِّزَّيْنِ مِنْهُ كَمَعمَعَةِ اللَّهيبِ مِنَ الأَبَاءِ[5]

وَمِطرَاقٍ عَلى اللَّحَظاتِ صِلٍّ مَريضِ النَّاظِرَيْنِ مِنَ الحَيَاءِ

تَنَكَّسَ كالأميمِ ، فإنْ تَسامَى مَضَى كالسَّهمِ شَذَّ عنِ الرِّماءِ[6]

وَما يُنجي اللَّديغَ بهِ تَداوٍ ، وَقَدْ أمسَى بداءٍ أيِّ داءِ

وَلا قُضُبُ الرِّجالِ الصِّيدِ فَضْلاً عَنِ الأصواتِ في حَلْيِ النِّساءِ[7]

وَيَوْمُ وَغًى عَلَى الأعداءِ هَوْلٌ تُمازُ بهِ السِّراعُ مِنَ البِطَاءِ

رَمَيتُ فُرُوجَهُ حتى تَفَرَّى بأيدي الجُرْدِ وَالأسَلِ الظِّماءِ[8]

---

١ تمطر : جاء مسرعاً .

٢ الودق : المطر . الغماء : الغمام .

٣ الغيطلة : الظلام المتراكم . المدل : الذي يدل على أقرانه بشجاعته . القواء : الخالية .

٤ اللهوات ، الواحدة لهاة : اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى الفم . الرواء : المنظر .

٥ القعاقع : صوت السلاح ، الواحدة قعقعة . الرزان : حدا السيف . المعمعة : صوت الحريق . الأباء : القصب .

٦ تنكس : طأطأ رأسه . الأميم : المشجوج في أم رأسه .

٧ القضب ، الواحد قضيب : السيف القطاع . الصيد ، الواحد أصيد : الذي يرفع رأسه كبراً .

٨ تفرى : تشقق . الاسل : الرماح .

فَمِنْ غُلْبٍ كَأَنَّهُمُ أُسُودٌ   عَلى قُبٍّ ضَوامِرَ كالظّبَاءِ[1]
وَمِنْ بِيضٍ كَأَنَّ مُجَرَّدِيهَا   يُمِرّونَ الأَكُفَّ عَلى الأَضَاءِ
نَواحِلَ لَمْ يَدَعْ ضَرْبُ الهَوادي   بِهَا أَبَداً مَكاناً للجِلاءِ[2]
وَمِنْ هَاوٍ تَرَنّحَ في العَوَالي ،   وَعَارٍ قَدْ أَقَامَ عَلى العَراءِ[3]
وآخرَ مَالَ كالنّشوانِ مَالَتْ   بِهَامَتِهِ شَآبيبُ الطِّلاءِ[4]
وَعُدتُ وَقد خبأتُ الحَرْبَ عَنهُ   إلى سِلْمِ الرّغائِبِ وَالعَطَاءِ
فَيَوْمٌ للمَكَارِمِ وَالعَطَايَا ؛   وَيَوْمٌ للحَمِيّةِ وَالإباءِ
تَقُودُ الخَيلَ أَرْشَقَ مِنْ قَنَاها   شوازِبَ كالقِداحِ مِنَ السَّرَاءِ[5]
بغارَاتٍ كَوَلْغِ الذّئبِ تَتْرَى ،   عَلى الأعداءِ بَيّنَةِ العَداءِ
عَزائِمُ كالرّياحِ مَرَرْنَ رَهواً ،   عَلى الأقطارِ مِنْ دانٍ وَنَاءِ
وَقَلْبٌ كالشّجاعِ يَسُورُ عَزْماً   وَيَجذِبُ بالعُلى جذبَ الرّشَاءِ
وكَفٌّ كالغَمامِ يَفيضُ حتى   يَعُمّ الأرْضَ مِنْ كَلإٍ وَماءِ
وَوَجْهٌ مَاجَ ماءُ الحُسنِ فيهِ   وَلاحَ عَلَيْهِ عُنوانُ الوَضَاءِ
يُشارِكُ في السّنى قَمَرَ الدّياجي   وَيَفضُلُهُ بزَائِدَةِ السّنَاءِ
وَمُعتَلِجِ الجَلالِ نَزَعتَ عَنْهُ ،   عَلى عَجَلٍ ، رِداءَ الكِبرِياءِ[6]

[1] الغلب ، الواحد أغلب : العزيز الممتنع . القب ، الواحد أقب : الضامر من الخيل .
[2] الهوادي : الأعناق ، الواحدة هادية .
[3] أراد بالهاوي : الرمح ، وبالعاري : السيف .
[4] شآبيب ، الواحد شؤبوب : الدفعة من المطر ، استعاره للطلاء : الخمر .
[5] الشوازب : الضامرة . القداح : السهام . السراء : شجر تتخذ منه القسي .
[6] المعتلج : المجتمع . الجلال : الترفع والتعظم .

فأصبَحَ خارِجاً مِنْ كُلِّ عِزٍّ خُرُوجَ العُودِ بُزَّ مِنَ اللّحاءِ
وَحُزْتَ جِمامَ نِعمَتِهِ وكانَتْ غِماراً لا تُكَدِّرُ بالدِّلاءِ
برَأْيٍ ثُقِّفَ الإقبالُ مِنهُ ، فأقدَمَ كالسِّنَانِ إلى اللّقاءِ
إذا أشِرَ القَرِيبُ علَيكَ فاقطَعْ بحَدِّ السّيْفِ قُرْبَى الأقرِباءِ
وكُنْ إنْ عقّكَ القُرَباءُ ممّن يَميلُ علَى الأخُوّةِ للإخاءِ
فَرُبَّ أخٍ خَليقٍ بالتّقالي ، وَمُغتَرِبٍ جَديرٍ بالصّفاءِ
وَلا تُدْنِ الحَسُودَ ، فذاكَ عُرٌّ مَضِيضٌ لا يُعالَجُ بِالهِناءِ[1]
كَفاكَ نَوائِبَ الأيّامِ كافٍ طَرِيرُ العَزْمِ مَشحُوذُ المَضاءِ[2]
أمِينُ الغَيبِ لا يُوكَى حَشاهُ لآمِنِهِ عَلى الدّاءِ العَياءِ[3]
أقامَ يُنَازِلُ الأبْطالَ ، حتى تَفَلّلَ كُلُّ مَشهُورِ المَضاءِ
إزاءَ الحَرْبِ يَعتَنِقُ العَوالي ، وَيَغتَبِقُ النّجيعَ مِنَ الدّماءِ
إذا مَا قيلَ : ملّ ، رَأيتَ منهُ نَوازِعَ تَشرَئِبُّ إلى اللّقاءِ
فَجَرّبْني تَجِدْني سَيْفَ عَزْمٍ يُصَمِّمُ غَرْبُهُ ، وَزِنَادَ رَاءِ[4]
وَأسمَرَ شارِعاً في كُلِّ نَحْرٍ شرُوعَ الصِّلِّ في يَنبُوعِ ماءِ
إذا عَلِقَتْ يَداكَ بِهِ حِفاظاً ، مَلأتَ يَدَيكَ مِنْ كَنزِ الغَنَاءِ

---

١ العر : الجرب . الهناء : القطران .
٢ طرير العزم : شديده .
٣ يوكى : يربط .
٤ يصمم : يمضي في العظم ويقطع . غربه : حده . زناد راء : أي زناد رأي . شبه اقتداح الرأي يقدح الزناد ، أي إخراج النار منه .

يُعاطيكَ الصّوابَ بلا نِفاقٍ ، وَيَمحَضُكَ السَّدادَ بِلا رِيَاءِ
جَرِيٌّ يَوْمَ تَبعثُهُ لحَرْبٍ، وَقُورٌ يَوْمَ تَبحَثُهُ لرَاءِ
إذا كانَ الكُفاةُ لِذا عَبِيداً ، فَذا كَافي الكُفاةِ ، بِلا مِرَاءِ
بهَاءَ الدّوْلَةِ المَنصُورَ إنّي دَعَوْتُكَ بَعْدَ لأيٍ مِنْ دعائي
وكنتُ أظُنّ أنّ غِنَاكَ يَسْرِي إليّ بِمَا تَبَيّنَ مِنْ غِنَاءِ
فَلِمْ أنَا كالغَرِيبِ وَرَاءَ قَوْمٍ لَوِ اختُبِرُوا لَقَدْ كانُوا وَرَائي
بَعيدٌ عَن حِماكَ وَلي حُقُوقٌ قَوَاضٍ أنْ يَطُولَ بهِ ثَوَائي
أأبْلَى ثُمّ يَبْدُو باصطِناعي، كَفاني مَا تَقَدّمَ مِنْ بَلائي[1]
وَذَبّي عَنْ حِمىً بَغدادَ قِدماً بفَضْلِ العَزْمِ وَالنّفسِ العِصَاءِ[2]
غَدَاةَ أظَلّتِ الأقْطَارُ مِنهَا مُضَرَّجَةً تَبَزّلُ بالدّمَاءِ
دُخانٌ تَلهَبُ الهَبَواتُ مِنهُ ، مَدَى بَينَ البَسيطَةِ وَالسّمَاءِ
صَبَرْتُ النّفْسَ ثمّ عَلى المَنَايَا إلى أقْصَى الثّمِيلَةِ وَالذَّمَاءِ[3]
رَجَاءً أنْ تَفُوزَ قِداحُ ظَنّي ، وَتَلْوِي بالنّجاحِ قُوَى رَجَائي
وَلي حَقٌّ عَلَيكَ،فَذاكَ جِدّي قَدِيمٌ في رِضَاكَ وَذا ثَنَائي
وَمِنْ شِيَمِ المُلوكِ عَلى اللّيالي مُجَازَاةُ الوَلِيّ عَلى الوَلاءِ
سَيَبلُو مِنكَ هذا الصّوْمُ خِرْقاً رَحيبَ الباعِ فَضْفاضَ الرّداءِ[4]

---

١ يبدو باصطناعي : أي يظهر له رأي آخر فيّ .
٢ العصاء : العاصية ، وهو نعت بالمصدر .
٣ الثميلة : البقية . الذماء : بقية الروح .
٤ الخرق : الكريم السخي .

تَصُومُ فَلا تَصُومُ عَنِ العَطايَا وَعَنْ بَذْلِ الرّغائِبِ وَالحِبَاءِ
ألا فَاسعَدْ بهِ ، وَبكُلّ يَوْمٍ يُفَوّقُهُ الصّبَاحُ إلى المَسَاءِ
وَدُمْ أبَدَ الزّمَانِ ، فأنْتَ أوْلى بَني الدّنْيَا بِعارِيَةِ البَقَاءِ
عَلِيّ الجَدّ، مُقتَرِبَ الأمَاني، عَزِيزَ الجَارِ،مَطْرُوقَ الفِنَاءِ

ابن السابقين إلى المعالي

قال عطر الله مرقده يفتخر ويشكو الزمان :

أيَا للهِ ! أيُّ هَوًى أضَاءَ بَرِيقٌ بالطُّوَيْلِعِ إذْ تَرَاءَى
ألَمّ بِنَا كَنَبْضِ العِرْقِ وَهناً، فَلَمّا جَازَنَا مَلأَ السّمَاءَ
كَأنّ وَميضَهُ أيدي قُيُونٍ تُعيدُ عَلى قَوَاضِبِهَا جِلاءَ
طَرِبْتُ إلَيهِ ، حتى قالَ صَحبي لأمرٍ هَاجَ مِنكَ البَرْقُ داءَ
وَلَمْ يَكُ قَبلَها يَقتَادُ طَرْفي ، وَلا يَمضِي بلُبّي حَيْثُ شَاءَ
خَليلَيّ اطْلِقَا رَسَني ، فَإنّي أشَدُّكُمَا عَلى عَزْمٍ مَضَاءَ
أبَتْ لي صَبْوَتي إلاّ التِفَاتاً إلى الدّمَنِ البَوَائِدِ وانثِنَاءَ
فإنْ تَرَيا،إذا ما سِرْتُ،شَخصِي أمَامَكُمَا ، فَلي قَلْبٌ وَرَاءَ
وَرُبّتَ سَاعَةٍ حَبّسْتُ فيهَا مَطَايَا القَوْمِ أمنَعُها النّجَاءَ

عَلَى طَلَلٍ كَتَوْشيعِ اليَمَاني أمَحَّ ، فَخالَطَ البِيدَ القَوَاءَ[1]
قِفَارٌ لا تُهَاجُ الطّيرُ فِيهَا ، وَلا غَادٍ يَرُوعُ بِهَا الظّبَاءَ
فَيَا لِي مِنْــهُ يُصْبِيني أنِيقاً بسَاكِنِهِ ، وَيُبْكِيني خَلاءَ
أُنادي الرّكْبَ : دُونَكُمُ ثَرَاه لَعَلّ بِهِ لذِي داءٍ دَوَاءَ
تَسَاقَيْنَا التذكّرَ ، فَانثَنَيْنَا كَأنّا قَدْ تَساقَيْنَا الطّلاءَ
وَعُجنَا العِيسَ تُوسِعُنا حَنِيناً تُغَنّينَا ، وَنُوسِعُها بُكَاءَ[2]
إلى كَمْ ذا التّرَدّدُ في التّصَابي ، وَفَجرُ الشّيبِ عندي قَدْ أضَاءَ
فَيَا مُبدي العُيُوبِ سَقَى سَواداً يَكُونُ عَلى مَقابِحِها غِطَاءَ
شَبَابي إنْ تَكُنْ أحسَنتَ يَوْماً ، فَقَد ظَلَمَ المَشيبُ ، وَقد أساءَ
وَيا مُعطي النّعيمِ بِلا حِسابٍ ، أتَاني مَنْ يُقَتّرُ لي العَطَاءَ
مَتَاعٌ أسْلَفَتْنَاهُ اللّيَالي ، وَأعجلَنَا ، فأسْرَعْنا الأداءَ
تَسَخّطنا القَضاءَ ، وَلَوْ عقَلنا فَما يُغني تَسَخُّطُنا القَضاءَ
سأمضي للّتي لا عَيبَ فيها ، وَإنْ لمْ أستَفِدْ إلاّ عَنَـاءَ
وَأطلُبُ غايَةً إنْ طَوّحَتْ بي ، أصَابَتْ بي الحِمَامَ أوِ العَلاءَ
أنَا ابنُ السّابِقِينَ إلى المَعَالي ، إذا الأمَدُ البَعيدُ ثَنَى البِطَاءَ
إذا رَكِبُوا تَضَايَقَتِ الفَيَافي ، وَعَطّلَ بعضُ جمعِهِمُ الفضَاءَ
نَماني مِنْ أُبَاةِ الضّيمِ نَامٍ ، أفاضَ عَليّ تِلكَ الكِبرِيَاءَ

[1] التوشيع : رقم الثوب . اليماني : التاجر اليماني . امح : بلي :
[2] العيس : النياق .

شَـأوْنَـا النّـاسَ أخلاقاً لِداناً ، وَأيْماناً رِطَـاباً ، وَاعتِلاءَ
وَنَـحنُ النّازِلُونَ بكُلّ ثَغْرٍ ، نُرِيقُ عَلى جَوانِبِهِ الدِّمَاءَ
وَنَـحنُ الخائِضُونَ بكُلّ هَوْلٍ إذا دَبّ الجَبَانُ بِهِ الضَّرَاءَ[1]
وَنَـحنُ اللاّبِسُونَ لِكُلّ مَجدٍ إذا شِئْنَا ادّرَاعاً وَارْتِداءَ
أقَمنَا بالتّجارِبِ كُلّ أمْرٍ أبَى إلاّ اعوِجَاجاً والتِواءَ
نَجُرّ إلى العُداةِ سُلافَ جَيشٍ كعَرْضِ اللّيلِ يَتّبِـعُ اللّوَاءَ[2]
نُطيلُ بهِ صَدَى الجُرْدِ المَذاكي إلى أنْ نُورِدَ الأسَلَ الظِّمَاءَ
إذا عَجَمُ العِدا أدْمَى وأصْمَى وَطَيّرَ عَن قَضيبِهِمُ اللّحَاءَ
عَجَاجٌ تَرْجِـعُ الأرْوَاحُ عَنْهُ فَلا هُوجاً يُجِيزُ وَلا رُخَاءَ[3]
شَوَاهِقُ مِنْ جِبالِ النّقعِ تَرْمي بِهَا أبَداً غُدُوّاً أوْ مَسَاءَ
وَغِرٍّ آكِلٍ بالغَيْبِ لَحْمي ، وَإنّ لآكِلِيهِ داءً عَيَاءَ
يُسِيءُ القَوْلَ إمّا غِبْتُ عَنهُ ، وَيُحسِنُ لي التّجَمّلَ وَاللّقَاءَ
عَبَأتُ لَهُ وَسَوْفَ يَعُبّ فيها مِنَ الضّرّاءِ آنِيَةً مِلاءَ
وَمَنّا كلُّ أغلَبَ مُستَحِينٌ إنَ انتَ لَدَدْتَهُ بالذّلّ قَاءَ[4]
إذا مَا ضِيمَ نَمّرَ صَفْحَتَيْهِ ، وَقَامَ عَلى بَرَاثِنِهِ إبَاءَ[5]

---

١ الضراء : المشي مستخفياً بين الشجر .
٢ سلاف الجيش : مقدمته .
٣ الهوج : الرياح العاصفة . الرخاء : الريح اللينة الهبوب .
٤ المستحين : المترقب الحين المناسب . لددته : سقيته .
٥ نمر صفحتيه : غير وجهه .

وَإنْ نُودي بهِ ،وَالحِلمُ يَهفُو ، صَغَا كرماً إلى الدّاعي ، وفَاءَ[1]
وَنَـأبَى أنْ يَنالَ النّصْفَ مِنّا ، وَأنْ نُعطي مُقارِعَنَا السّوَاءَ
وَلَوْ كانَ العِداءُ يَسُوغُ فِينَا ، لمَا سُمنا الوَرَى إلاّ العِـداءَ

أنعاك للخيل المغيرة

وقال رحمه الله يرثي أبا الفتح ، ابن الطائع لله ، ويعزيه عنه سنة ست وتسعين وثلثمائة :

أيُّ العُيُونِ تُجانِبُ الأقْـذاءَ ، أمْ أيُّ قَلْبٍ يَقْطَعُ البُرَحَاءَ[2]
وَالمَوْتُ يَقنِصُ جَمْعَ كُلّ قَبيلَةٍ ، قَنْصَ المُرِيعِ جَآذِراً وَظِبَاءَ[3]
يَتَنَاوَلُ الضّبَّ الخَبيثَ مِنَ الكُدَى وَيَحُطّ مِنْ عَلْيَائِهَا الشّغوَاءَ[4]
تَبكي عَلى الدّنْيَا رِجالٌ لمْ تَجِدْ لِلعُمْرِ مِنْ داءِ المَنُونِ شِفَاءَ
وَالدّهْرُ مُخْتَرِمٌ تَشُنُّ صُرُوفُهُ ، في كُلّ يَوْمٍ ، غَارَةً شَعوَاءَ
إنّا بَنُو الدّنْيَـا تَسيرُ رِكَابُنَا ، وَتُغَالِـطُ الإدْلاجَ وَالإسْرَاءَ[5]

---

١ فاء : رجع .
٢ البرحاء : شدة الأذى .
٣ المريع : المخيف ، المفزع .
٤ الكدى : الأرض الصلبة . الشغواء : العُقاب .
٥ الادلاج : السير أول الليل . الإسراء : سير الليل كله .

وكأنّنا في العَيشِ نَطلُبُ غايَةً ، وجَميعُنا يَدَعُ السِّنِينَ وراءَ
أينَ المَقاوِلُ ، والغَطارِفَةُ الأولى هَجَرُوا الدِّيارَ ، وعَطّلُوا الأفناءَ
فاخلِطْ بصَوْتِكَ كلَّ صَوْتٍ واستَمعْ هَلْ في المَنازِلِ مَنْ يُجيبُ دُعاءَ
واشمُمْ تُرابَ الأرضِ تَعلَمْ أنّها جَرْباءُ تُحدِثُ كُلَّ يَوْمٍ داءَ
كَمْ راحِلٍ ولّيْتُ عَنهُ ، ومَيّتٍ رَجَعَتْ يَدي مِنْ تُرْبِهِ غَبْراءَ
وكَذا مَضَى قَبلي القُرُونُ يَكُبُّهُمْ صَرْفُ الزّمانِ تَسَرُّعاً ونَجاءَ[1]
هذا أميرُ المُؤمِنِينَ ، وظِلُّهُ يَسَعُ الوَرَى ، ويُجَلّلُ الأحياءَ
نَظَرَتْ إلَيْهِ مِنَ الزّمانِ مُلِمّةٌ ، كالليْثِ لا يُغضي الجُفُونَ حَياءَ
وأصابَهُ صَرْفُ الرّدَى بِرَزِيّةٍ ، كالرّمْحِ أنْهَرَ طَعْنَةً نَجْلاءَ[2]
ماذا نُؤمّلُ في اليَراعِ ، إذا نَشَتْ رِيحٌ تَدُقّ الصَّعدَةَ الصّمّاءَ[3]
عَصَفَ الرّدَى بِمُحَمّدٍ ومُذَمَّمٍ ، فَكَأنّمَا وَجَدَ الرّجالَ سَوَاءَ
ومُصابُ أبْلَجَ مِنْ ذُؤابَةِ هاشِمٍ ولَجَ القُبُورَ وأزْعَجَ الخُلَفاءَ
وتَرَ الرّدَى مَنْ لَوْ تَناوَلَ سَيفَهُ ، يَوْماً،لَنَالَ مِنَ الرّدَى ما شاءَ[4]
غُصْنٌ طَمُوحٌ عَطّفَتْهُ مَنيّةٌ للخَابِطِينَ ، وطاوَعَ النّكْباءَ[5]
يا راحِلاً وَرَدَ الثّرَى في لَيْلَةٍ كادَ الظّلامُ بِهَا يَكُونُ ضِياءَ

---

١ يكبهم : يصرعهم . النجاء : السرعة .
٢ أنهر : وسع . نجلاء : واسعة .
٣ نشت : عاودت مرة بعد أخرى . الصعدة : القناة .
٤ وتره : أصابه بمكروه .
٥ الخابطون : الذين يخبطون الشجر بعصيهم .

لمّا نَعَاكَ النّاعِيَانِ مَشَى الجَوَى بَيْنَ القُلُوبِ وَضَعضَعَ الأحْشَاءَ
وَاسودّ شَطرُ اليَوْمِ تَرْجُفُ شَمسُهُ قَلَقاً ، وَجَرّ ضِيَاؤهُ الظّلْمَاءَ
وَارْتَجّ بَعدَكَ كُلُّ حيٍّ بَاكِياً ، فَكَأنّمَا قُلِبَ الصّهِيلُ رُغَاءَ
قَبْرٌ تَشَبّثَ بالنّسيمِ تُرَابُـهُ ، دُونَ القُبُورِ ، وَعَقّلَ الأنْوَاءَ
تَلْقَاهُ أبكَارُ السّحَابِ وَعُونُها ، تَلقَى الحَيَا ، وَتُبَدّدُ الأنْداء[1]
مُتَهَلّلُ الجَنَبَاتِ تَضْحَكُ أرْضُهُ ، فَكَأنّ بَينَ فُرُوجِهِ الجَوْزَاءَ
أوْلى الرّجَالِ بِرَيّ قَبْرٍ مَاجِدٍ غَمْرَ الرّجَالَ تَبَرّعاً وَعَطَاءَ
وَلَوَ انّ دُفّاعَ الغَمَامِ يُطِيعُني لجَرَى على قَبْرِ اللّئيمِ غُثَاء[2]
لا زَالَ تَنطُفُ فَوْقَهُ قِطَعُ الحَيَا ، بمُجَلجِلٍ يَدَعُ الصّخُورَ رُوَاء[3]
وَتَظُنّ كُلُّ غَمَامَةٍ وَقَفَتْ بِهِ ، تَبكي عَلَيْهِ تَوَدّداً وَوَلاءَ
وَإذا الرّياحُ تَعَرّضَتْ بتُرَابِهِ ، قُلْنَا السّمَاءُ تَنَفّسُ الصُّعَدَاءَ
إيها تَمَطّرَ نَحوكَ الدّاءُ الّذي قَرَضَ الرّجَالَ وَفَرّقَ القُرَبَاء[4]
إنّ الرّمَاحَ رُزِئْنَ مِنكَ مُشَيَّعاً ، غَمْرَ الرّداءِ مُهَذَّباً مِعطَاءَ
وَطَوِيلَ عَظْمِ السّاعِدَينِ كَأنّمَا رَفَعَتْ بعِمّتِهِ الجِيَادُ لِوَاء[5]
وَلَقِينَ بَعدَكَ كُلَّ صُبْحٍ ضَاحِكٍ يَوْماً أغَمّ وَلَيْلَةً لَيْلاءَ

١ أبكار السحاب : السحب الغزيرة . العون : النصف أي التي في نصف عمرها .
٢ الدفاع : السيل العظيم . الغثاء : ورق الشجر البالي يخالط السيل .
٣ تنطف : تسيل . المجلجل : السحاب الرعاد .
٤ تمطر : أسرع .
٥ كان سادات العرب يجعلون من عمائمهم ألوية .

أنعاكَ للخيْلِ المُغيرةِ شُزَّباً ، وَاليَوْمَ يَضْرِبُ بالعَجاجِ خِباءَ
وَلخَوْضِ سيَفِكَ وَالفَوَارِسُ تدّعي حَرْباً يَجُرّ نِداؤها الأسْماءَ
وَغَيَابةٍ فَرّجتَها ، وَمَقامةٍ سَدّدْتَ فيهَا حُجّةً غَرّاءَ
وَخلَطْتَ أقْوالَ الرّجَالِ بِمِقْوَلٍ ذَرِبٍ كَمَا خَلَطَ الضّرابُ دِماءَ
وَمَطِيّةٍ أنْضَيْتَهَا ، وكِلاكُمَا تَتَنَازَعَانِ السّيْرَ وَالإنْضَاءَ
إنّ البُكَاءَ علَيكَ فَرْضٌ وَاجِبٌ ، وَالعَيشُ لا يُبكَى عَلَيْهِ رِيَاءَ
بأبيكَ ، يَطمَحُ نَحوَ كُلّ عَظيمَةٍ طَرْفٌ تَعَلّمَ بَعدكَ الإغضَاءَ
فَاسْلَمْ أميرَ المُؤمِنِينَ ، وَلا تزَلْ تُجرِي الجيَادَ وَتُحرِزُ الغُلَوَاءَ[1]
فَإذا سَلِمْتَ مِنَ النّوَائِبِ أصْبَحتْ تَرْضَى ، وَنَرْضَى أنْ يكُونَ فِداءَ
وَلَئِنْ تَسَلّطَتِ المَنُونُ لَقد أتَتْ مَا رَدّ لَوْمَ اللائِمِينَ ثَنَاءَ
وَهَبَتْ لَنَا هَذا الحُسَامَ المُنْتَضَى فِينَا ، وَهَذي العِزّةَ القَعسَاءَ
نَهنَهْتَ بادِرَةَ الدّمُوعِ تَجَمّلاً ، وَالعَينُ تُؤنِسُ عَبْرَةً وَبُكَاءَ[2]
فاستَبْقِ دَمعَكَ في المَصائبِ وَاعلَمن أنّ الرّدَى لا يُشْمِتُ الأعْداءَ
وَتَسَلّ عَنْ سَيْفٍ طَبَعتَ غِرارَهُ وَأعَرْتَ شَفْرَتَهُ سَنَاً وَمَضَاءَ
وَالصّبْرُ عَنْ وَلَدٍ يَجِيءُ بِمِثْلِهِ أوْلَى ، وَلَكِنْ نَنْدُبُ الآبَاءَ
فَلَقَدْ رَجَعْتَ عَنِ المُطيعِ بسَلوَةٍ مِنْ بَعدِ مَا جرَتِ الدّموعُ دِماءَ
وَالإبْنُ لِلأبِ إنْ تَعَرّضَ حادِثٌ ، أوْلَى الأنَامِ بِأنْ يَكُونَ وِقَاءَ

---

١ الغلواء : أول الشباب .

٢ تؤنس : تحس .

وَإذا ارْتَقَى الآبَاءُ أمنَعَ نَجوَةٍ ، فَدَعِ الرّدَى يَسْتَنزِلُ الأبنَاءَ
وَرَدَ الزّمَانُ بِهِ وَأورَدَهُ الرّدَى بَغياً ، فأحسَنَ مَرّةً ، وَأسَاءَ
وَرَمَى سِنيهِ إلى الحِمَامِ ، كأنّما ألقَى بِهَا عَنْ مَنكِبَيهِ رِداءَ
فَلْتَعْلَمِ الأيّامُ أنّكَ لَمْ تَزَلْ تَفرِي الخُطُوبَ ، وَتكشِفُ الغَمّاءَ
خَضَعَتْ لكَ الأعداءُ يَوْمَ لَقيتَها جَلَداً تُجَرِّدُ للمُصَابِ عَزَاءَ
وَتَمَطّتِ الزّفَرَاتُ ، حتى قَوَّمَتْ ضِلعاً عَلى أضغانِهَا عَوْجَاءَ
وَمُضَاغِنٍ مَلآنَ يَكتُمُ غَيْظَهُ جَزَعاً ، كَمَا كَتَمَ المَزَادُ المَاءَ
مُتَحَرِّقٌ ، فَإذا رَأتْكَ لِحَاظُهُ نَسِيَتْ مَجامِعُ قَلبِهِ الشّحْنَاءَ
وَأما وجُودكَ ، إنّهُ قَسَمٌ لَقَدْ غَمَرَ القُلُوبَ وَأنطَقَ الشّعَرَاءَ
وَأنَا الّذي وَالَيتُ فيكَ مَدائِحاً ، وَعَبَأتُ للباغي عَلَيْكَ هِجَاءَ
وَنَفَضْتُ إلاّ مِنْ هَوَاكَ خَوَاطِري نَفْضَ المُشَمِّرِ بالعَرَاءِ وِعَاءَ
فَاسْلَمْ ، وَلا زَالَ الزّمَانُ يُعِيرُني طَمَعاً يَمُدّ إلى نَدَاكَ رَجَاءَ

العمر روحة راكب

يرثي والدته فاطمة بنت الناصر
وتوفيت في ذي الحجة سنة ٣٨٥ :

أبكيكِ لَوْ نقَعَ الغَليلَ بُكَائي ، وَأقُولُ لَوْ ذَهَبَ المَقالُ بِدائي[١]
وَأعُوذُ بالصّبْرِ الجَميلِ تَعَزّياً ، لَوْ كَانَ بالصّبْرِ الجَميلِ عَزائي
طَوْراً تُكَاثِرُني الدّمُوعُ ، وَتَارَةً آوِي إلى أُكْرُومَتي وَحَيَائي
كَمْ عَبْرَةٍ مَوّهْتُهَا بِأنَامِلي ، وَسَتَرْتُها مُتَجَمّلاً بِرِدائي
أُبْدي التّجَلّدَ ، للعَدُوّ ، وَلَوْ درَى بتَمَلْمُلي لَقَدِ اشتَفَى أعدائي
مَا كُنتُ أذخَرُ في فِداكِ رَغيبَةً ، لَوْ كَانَ يَرْجِعُ مَيّتٌ بفِداءِ
لَوْ كَانَ يُدْفَعُ ذا الحِمَامُ بقُوّةٍ لَتَكَدّسَتْ عُصَبٌ وَرَاءَ لِوَائي
بِمُدَرَّبِينَ عَلى القِرَاعِ تَفَيّأُوا ظِلَّ الرّمَاحِ لكُلّ يَوْمِ لِقَاءِ
قَوْمٌ إذا مَرِهُوا بِأغبابِ السُّرَى ، كَحَلُوا العُيُونَ بإثمِدِ الظّلْمَاءِ[٢]
يَمشُونَ في حَلَقِ الدّرُوعِ كأنّهُمْ صُمُّ الجَلامِدِ في غَديرِ المَاءِ
ببُرُوقِ أدرَاعٍ وَرَعْدِ صَوَارِمٍ ، وَغَمَامِ قَسطَلَةٍ وَوَبْلِ دِمَاءِ[٣]

---

١ نقع الظمأ : أرواه . الغليل : حرارة الحزن .
٢ مرهوا : ابيضت حماليق أعينهم . الاغباب : الغوامض من الأرض ، الواحد غبب . الاثمد : الكحل استعاره للظلام .
٣ القسطلة : غبار الحرب . الوبل : المطر الغزير .

فَارَقْتُ فيكِ تَماسُكي وَتَجَمّلي ، وَنَسِيتُ فيكِ تَعَزُّزي وَإِبَائي
وَصَنَعْتُ مَا ثَلَمَ الوَقَارَ صَنيعُهُ مِمّا عَرَاني مِنْ جَوَى البُرَحَاءِ[1]
كَمْ زَفْرَةٍ ضَعُفَتْ فصَارَتْ أنّةً ، تَمّمْتُهَا بِتَنَفّسِ الصُّعَداءِ
لَهفَانَ أنْزُو في حَبَائِلِ كُرْبَةٍ ، مَلَكَتْ عَليّ جَلادَتي وَغَنَائي
وَجرَى الزّمَانُ عَلى عَوَائِدِ كَيْدِهِ في قَلْبِ آمَالي ، وَعَكْسِ رَجَائي
قَدْ كُنتُ آمُلُ أنْ أكونَ لكِ الفِدا مِمّا ألَمّ ، فكُنتِ أنْتِ فِدائي
وَتَفَرُّقُ البُعَداءِ بَعْدَ مَوَدّةٍ صَعْبٌ ، فكَيْفَ تَفَرّقُ القُرَبَاءِ
وَخَلائِقُ الدّنْيَا خَلائِقُ مُومِسٍ للمَنْعِ آوِنَةً ، وَلِلإعْطَاءِ
طَوْراً تُبادِلُكَ الصّفَاءَ ، وَتارَةً تَلْقَاكَ تُنكِرُهَا مِنَ البَغضَاءِ
وَتَداوُلُ الأيّامِ يُبْلِينَا كَمَا يُبْلي الرّشَاءَ تَطاوُحُ الأرْجَاءِ[2]
وَكَأنّ طُولَ العُمْرِ روحَةُ رَاكِبٍ قَضّى اللُّغُوبَ وَجَدّ في الإسْرَاءِ
أنْضَيتِ عَيشَكِ عِفّةً وَزَهَادَةً ، وَطَرِحْتِ مُثْقَلَةً مِنَ الأعْبَاءِ
بصِيَامِ يَوْمِ القَيظِ تَلْهَبُ شَمْسُهُ ، وَقِيَامِ طُولِ اللّيْلَةِ اللّيْلاءِ
مَا كانَ يَوْماً بالغَبِينِ مَنِ اشْتَرَى رَغْدَ الجِنَانِ بِعِيشَةٍ خَشْنَاءِ
لَوْ كَانَ مِثْلَكِ كُلُّ أُمٍّ بَرّةٍ غَنِيَ البَنُونَ بِهَا عَنِ الآبَاءِ
كَيفَ السّلُوّ ، وَكُلّ مَوْقِعِ لحظة أثَرٌ لفَضْلِكِ خالِدٌ بإزَائي
فَعَلاتُ مَعرُوفٍ تُقِرّ نَوَاظِرِي ، فَتَكُونُ أجْلَبَ جالِبٍ لبُكَائي

---

١ البرحاء : الشدة والأذى .

٢ تطاوح : ترامي . الأرجاء ، الواحد رجا : حافة البئر ، والناحية .

مَا مَاتَ مَنْ نَزَعَ البَقَاءَ ، وَذِكْرُهُ بالصّالحاتِ يُعَدّ في الأحْيَاءِ

فَبِأيّ كَفّ أستَجِنّ وَأتّقي صَرْفَ النّوَائِبِ أمْ بأيّ دُعَاءِ[1]

وَمَنِ المُمَوِّلُ لي ، إذا ضاقَتْ يَدي ، وَمَنِ المُعَلِّلُ لي مِنَ الأدْوَاءِ

وَمَنِ الذي إنْ سَاوَرَتْني نَكْبَةٌ ، كَانَ المُوَقّي لي مِنَ الأسْوَاءِ

أمْ مَنْ يَلِطّ عَليّ سِتْرَ دُعَائِهِ ، حَرَماً مِنَ البَأسَاءِ وَالضّرّاءِ[2]

رُزْآنِ يَزْدادانِ طُولَ تَجَدّدٍ أبَدَ الزّمَانِ : فَنَاؤهَا وَبَقَائي

شَهِدَ الخَلائِقُ أنّهَا لَنَجِيبَةٌ بدَليلِ مَنْ وَلَدَتْ مِنَ النُّجَبَاءِ

في كُلّ مُظْلِمِ أزْمَةٍ أوْ ضِيقَةٍ يَبْدُو لهَا أثَرُ اليَدِ البَيْضَاءِ

ذَخَرَتْ لَنا الذّكرَ الجَميلَ إذا انقضَى مَا يَذْخَرُ الآبَاءُ للأبْنَاءِ

قَدْ كُنْتُ آمُلُ أنْ يَكُونَ أمامَهَا يَوْمي وَتُشفِقُ أنْ تَكُونَ وَرَائي

كَمْ آمِرٍ لي بالتّصَبّرِ هَاجَ لي داءً ، وَقَدّرَ أنّ ذاكَ دَوَائي

آوِي إلى بَرْدِ الظّلالِ ، كَأنّني لِتَحَرّقي آوِي إلى الرّمضاءِ

وَأهُبّ مِنْ طيبِ المَنَامِ تَفَزّعاً فَزَعَ اللّديغِ نَبَا عَنِ الإغْفَاءِ

آبَاؤكِ الغُرّ الّذِينَ تَفَجّرَتْ بِهِمِ يَنَابيعٌ مِنَ النّعْمَاءِ

مِنْ نَاصِرٍ للحَقّ أوْ داعٍ إلى سُبُلِ الهُدَى ، أوْ كَاشِفِ الغَمّاءِ

نَزَلُوا بعَرْعَرَةِ السّنَامِ مِنَ العُلَى وَعَلَوا عَلى الأثْبَاجِ وَالأمْطَاءِ[3]

---

١ استجن : استتر .

٢ لط الستر : أرخاه .

٣ عرعرة السنام : رأسه . الأثباج ، الواحد ثبج : ما بين الكاهل إلى الظهر . الأمطاء ، الواحد مطا : الظهر .

مِنْ كُلِّ مُسْتَبِقِ اليَدَيْنِ إلى النَّدى وَمُسَدَّدِ الأَقْوَالِ وَالآرَاءِ
يُرْجَى عَلى النَّظَرِ الحَدِيدِ تَكَرُّماً، وَيُخَافُ في الإطْرَاقِ وَالإغْضَاءِ
دَرَجُوا عَلى أثَرِ القُرُونِ وَخَلّفُوا طُرُقاً مُعَبَّدَةً مِنَ العَلْيَاءِ
يا قَبْرُ ! أمْنَحُهُ الهَوَى وَأوَدُّ لَوْ نَزَفَتْ عَلَيْهِ دُمُوعُ كُلِّ سَمَاءِ
لا زَالَ مُرْتَجِزُ الرّعُودِ مُجَلْجِلٌ هَزِجُ البَوَارِقِ مُجلِبُ الضَّوْضَاءِ
يَرْغُو رُغَاءَ العَوْدِ جَعجَعَهُ السُّرَى، وَيَنُوءُ نَوْءَ المُقرِبِ العُشَرَاءِ[1]
يَقتَادُ مُثْقَلَةَ الغَمَامِ ، كأنّمَا يَنهَضْنَ بالعَقَدَاتِ وَالأنْقَاءِ[2]
يَهْفُو بِهَا جِنحَ الدّجَى، وَيَسوقُهَا سوقَ البِطَاءِ بِعاصِفٍ هَوْجَاءِ
يَرْمِيكَ بَارِقُهَا بِأفْلاذِ الحَيَا ، وَيَفُضّ فيكَ لَطائِمَ الأنْداءِ[3]
مُتَحَلّياً عَذْرَاءَ كُلِّ سَحَابَةٍ تَغْذُو الجَميمَ برَوْضَةٍ عَذْرَاءِ
لَلَوْمتُ إنْ لَمْ أسْقِها بمَدامِعي ، وَوَكَلْتُ سُقْيَاهَا إلى الأنْوَاءِ
لهفي على القَوْمِ الأولى غَادَرْتُهُمْ ، وَعَلَيْهِمُ طَبَقٌ مِنَ البَيْدَاءِ
مُتَوَسّدِينَ عَلى الخُدُودِ كَأنّمَا كَرَعُوا عَلى ظَمَإٍ مِنَ الصّهبَاءِ
صُوَرٌ ضَنَنْتُ عَلى العُيُونِ بلَحظِها، أمْسَيْتُ أُوقِرُها مِنَ البَوْغَاءِ[4]

---

١ ينوء : يثقل . المقرب : التي قرب ولادها . العشراء : التي مضى لحملها عشرة أشهر .
٢ العقدات ، الواحدة عقدة : ما تعقد وتراكم من الرمل . الانقاء ، الواحد نقا : القطعة من الرمل .
٣ اللطائم ، الواحدة لطيمة : وعاء المسك . الأنداء ، الواحد ندى : مطر خفيف يسقط في الليل ، وشيء كالبخور يتطيب به .
٤ أوقرها : أحملها . البوغاء : التربة الرخوة .

وَنَوَاظِرٌ كَحَلَ التّرَابُ جُفُونَها ، قَدْ كنتُ أحرُسُها مِنَ الأقْذاءِ
قَرُبَتْ ضَرَائِحُهُمْ عَلى زُوّارِهَا ، وَنَأوْا عَنِ الطّلاّبِ أيّ تَنَائي
وَلَبِئْسَ مَا تَلقَى بِعُقْرِ دِيَارِهِمْ أذْنُ المُصِيخِ بِهَا وَعَينُ الرّائي
مَعْرُوفُكِ السّامي أنِيسُكِ ، كلّما وَرَدَ الظّلامُ بِوَحشَةِ الغَبْرَاءِ
وَضِيَاءُ مَا قَدّمتِهِ مِنْ صَالِحٍ لكِ في الدّجَى بَدَلٌ مِنَ الأضْوَاءِ
إنّ الذي أرْضَاهُ فِعلُكِ لا يَزَلْ تُرْضِيكِ رَحْمَتُهُ صَبَاحَ مَسَاءِ
صَلّى عَلَيكِ ، وَمَا فَقَدْتِ صَلاتَهُ قَبلَ الرّدَى، وَجَزَاكِ أيّ جَزَاءِ
لَوْ كَانَ يُبلِغُكِ الصّفِيحُ رَسَائِلي ، أوْ كانَ يُسمِعُكِ التّرَابُ نِدائي
لَسَمِعتِ طُولَ تَأوّهي وَتَفَجّعي، وَعَلِمتِ حُسْنَ رِعايَتي وَوَفَائي
كَانَ ارْتِكاضِي في حَشاكِ مُسَبِّباً رَكضَ الغَلِيلِ عَلَيكِ في أحشائي

أكلتهم الأرض التي ولدتهم

يرثي صديقاً له ، وقيل إنها في الطائع
لله وأخفى ترجمتها لما كان يراقبه :

أتَرَى السّحَابَ ، إذا سرَتْ عُشَرَاؤهُ ، يُمْرَى عَلى قَبْرٍ بِبَابِلَ مَاؤهُ[1]
يا حَادِيَيْهِ قِفَا بِبزْلِ مَطِيّهِ ، فإلى ثَرَى ذا القَبْرِ كانَ حُداؤهُ

---

١ يمرى : يستدر .

يَسقي هَوًى للقَلْبِ فيهِ وَمَعهَداً ، رَقّتْ مَنَابِتُهُ وَرَقّ هَوَاؤهُ

قَدْ كانَ عاقَدَني الصّفَاءَ فلمْ أزُلْ عَنْهُ ، وَمَا بَقّى عَلَيّ صَفَاؤهُ

وَلَقَدْ حَفِظتُ لهُ ، فأينَ حِفاظُهُ ، وَلَقَدْ وَفَيْتُ لَهُ ، فأينَ وَفَاؤهُ

أوَعَى الدّعاءَ ، فلَمْ يُجبْهُ قَطيعةً ، أمْ ضَلّ عَنْهُ مِنَ البعَادِ دعَاؤهُ

هَيهَاتَ أصْبَحَ سَمْعُهُ وَعِيَانُهُ في التُّرْبِ قَدْ حَجَبَتهُما أقذاؤهُ

يُمْسِي ، وَلِينُ مِهَادِهِ حَصْبَاؤهُ فيهِ ، وَمُؤنِسُ لَيلِهِ ظَلْماؤهُ

قَدْ قُلّبَتْ أعْيَانُهُ ، وَتَنَكّرَتْ أعْلامُهُ ، وَتَكَسّفَتْ أضْوَاؤهُ

مُغْفٍ ، وَلَيسَ لِلَذّةٍ إغْفَاؤهُ ، مُغْضٍ ، ولَيسَ لفِكرَةٍ إغضَاؤهُ

وَجْهٌ كَلَمحِ البَرْقِ غاضَ وَميضُهُ ، قَلْبٌ كصَدْرِ العَضْبِ فُلّ مَضَاؤهُ

حَكَمَ البِلَى فيهِ ، فَلَوْ يَلقَى بهِ أعداءَهُ لَرَثَى لَهُ أعْداؤهُ

إنّ الّذي كَانَ النّعيمُ ظِلالَهُ ، أمْسَى يُطَنَّبُ بِالعَرَاءِ خِبَاؤهُ

قَدْ خَفّ عَنْ ذاكَ الرِّوَاقِ حضُورُهُ أبَداً ،وَعَنْ ذاكَ الحِمَى ضَوْضَاؤهُ

كانَتْ سَوَابِقُهُ طِرازَ فِنَائِهِ يَجلُو جَمَالَ روَائِهِنّ روَاؤهُ

وَرِمَاحُهُ سُمْرَاؤهُ ، وَسُيُوفُهُ خُضْرَاؤهُ ، وَجِيَادُهُ نُدَمَاؤهُ

مَا زَالَ يَغدُو ، وَالرّكَابُ حُداؤهُ ، بَينَ الصّوَارِمِ وَالعَجَاجِ رِداؤهُ

انْظُرْ إلى هَذا الأنَامِ بِعِبْرَةٍ لا يُعْجِبَنّكَ خَلْقُهُ وَبَهَاؤهُ[١]

بَيْنَاهُ كَالوَرَقِ النّضيرِ تَقَصّفَتْ أغْصَانُهُ وَتَسَلّبَتْ شَجْرَاؤهُ[٢]

١ العبرة : العجب .

٢ تسلبت : سقطت .

أنّى تَحَامَاهُ المَنُونُ ، وَإنّمَا خُلِقَتْ مَرَاعِيَ لِلرّدَى خَضْرَاوُهُ
أمْ كَيْفَ تَأمُلُ فَلتَةً أجْسَادُهُ ، مِنْ ذا الزّمَانِ ، وَحَشوُهَا أدْوَاؤهُ
لا تَعجَبَنّ ، فَمَا العَجيبُ فَنَاؤهُ بِيَدِ المَنُونِ ، بَلِ العَجيبُ بَقَاؤهُ
إنّا لنَعْجَبُ كَيْفَ حُمّ حِمَامُهُ ، عَنْ صِحّةٍ ، وَيَغيبُ عَنّا داؤهُ
مَنْ طَاحَ في سُبُلِ الرّدَى آبَاؤهُ ، فَلْيَسْلُكَنّ طَرِيقَهُ أبْنَاؤهُ
وَمُؤمَّرٍ نَزَلُوا بِهِ في سُوقَةٍ ، لا شَكْلُهُ فيهِمْ وَلا قُرَنَاؤهُ
قَدْ كَانَ يَفرَقُ ظِلَّهُ أقْرَانُهُ ، وَيَغُضّ دُونَ جَلالِهِ أكْفَاؤهُ[1]
وَمُحَجَّبٍ ضُرِبَتْ عَلَيهِ مَهابَةٌ ، يُغْشِي العُيُونَ بَهَاؤهُ وَضِيَاؤهُ
نَادَتْهُ مِنْ خَلْفِ الحِجابِ مَنِيّةٌ أمَمٌ ، فكَانَ جَوابَهَا حَوْبَاؤهُ[2]
شُقّتْ إلَيْهِ سُيُوفُهُ وَرِمَاحُهُ ، وَأُمِيطَ عَنْهُ عَبيدُهُ وَإمَاؤهُ
لَمْ يُغْنِهِ مَنْ كَانَ وَدّ لَوَ انّهُ قَبْلَ المَنُونِ مِنَ المَنُونِ فِداؤهُ
حَرَمٌ عَلَيْهِ الذّلّ ، إلاّ أنّهُ أبَداً لِيَشْهَدُ بالجَلالِ بِنَاؤهُ
مُتَخَشّعٌ بَعْدَ الأنِيسِ جَنَابُهُ ؛ مُتَضَائِلٌ بَعْدَ القَطِينِ فِنَاؤهُ
عُرْيَانُ تَطْرُدُ كُلُّ رِيحٍ تُرْبَهُ ، وَتُطِيعُ أوّلَ أمْرِهَا حَصبَاؤهُ
وَلَقَدْ مَرَرْتُ بِبَرْزَخٍ ، فَسألْتُهُ : أينَ الأُولى ضَمّتْهُمُ أرْجَاؤهُ[3]
مِثْلِ المَطِيّ بَوَارِكاً أجْدَاثُهُ ، تُسْفَى عَلى جَنَبَاتِهَا بَوْغَاؤهُ

١ يفرق منه : يفزع ، ونصب ظلا بنزع الخافض .
٢ الأمم : القريب . الحوباء : النفس .
٣ البرزخ : الحاجز بين الشيئين ، وأراد به هنا المقبرة ، لأنها حجزت بين الدنيا والآخرة .

نَادَيْتُهُ ، فَتَخفَى عَلَيَّ جَوَابُهُ بالقَوْلِ إلاَّ مَا زَقَتْ أصْداؤه[1]

مِنْ نَاظِرٍ مَطْرُوفَةٍ ألحاظُهُ ، أوْ خَاطِرٍ مَطْلُولَةٍ سَوْداؤه[2]

أوْ وَاجِدٍ مَكْظُومَةٍ زَفَرَاتُهُ ، أوْ حَاقِدٍ مَنْسِيَّةٍ شَحْنَاؤهُ

وَمُسَنَّدِينَ عَلى الجُنُوبِ ، كأنّهُمْ شَرْبٌ تَخَاذَلَ بالطِّلا أعْضَاؤهُ

تَحْتَ الصَّعيدِ لغَيْرِ إشْفَاقٍ إلى يَوْمِ المَعَادِ تَضُمّهُمْ أحْشَاؤهُ

أكلَتْهُمُ الأرْضُ التي وَلَدَتْهُمُ أكْلَ الضَّرُوسِ حلَتْ لَهُ أكْلاؤه[3]

حيّاكَ مُعْتَلِجُ النّسيمِ ، وَلا يزَلْ سَحَراً تُفَاوِحُ نَوْرَهُ أصْبَاؤه[4]

يَمْرِي عَلَيْكَ مِنَ النُّعَامَى خِلفَهُ مِنْ عَارِضٍ مُتَبَزِّلٍ أنْداؤه[5]

فَسَقَاكَ مَا حَمَلَ الزّلالَ سِجَالُهُ ، وَنَحاكَ مَا جَرّ الزُّحُوفَ لِوَاؤه[6]

لَوْلا اتّقَاءُ الجَاهِلِيّةِ سُقْتُهُ ذَوْداً تَمُورُ عَلى ثَرَاكَ دِمَاؤه[7]

وَأطَرْتُ تَحتَ السّيفِ كُلَّ عَشيّةٍ عُرْقُوبَ مُغْتَبِطٍ يَطُولُ رُغاؤهُ

لكنْ سيَخلُفُ عَقْرَهَا وَدِمَاءَهَا، أبَدَ اللّيَالي ، مَدْمَعي وَبُكاؤهُ

أقْنى الحَيَاءَ تَجَمُّلاً لَوْ أنّهُ يَبْقَى مَعَ الدّمْعِ اللّجُوجِ حَيَاؤهُ

---

١ زقت : صاحت . أصداؤه ، الواحد صدى : ذكر البوم . وكان الجاهليون يعتقدون انه يخرج من رأس القتيل .

٢ مطلولة : مهدورة . سوداؤه : حبة قلبه .

٣ الضروس : الناقة . أكلاؤه : عشبه ، الواحد كلأ .

٤ أصباؤه ، الواحدة صبا : الريح الشرقية .

٥ النعامى : ريح الجنوب . خلف الناقة : ضرعها .

٦ السجال ، الواحد سجل : الدلو العظيمة فيها ماء ، استعاره للسحاب . نحاك : قصدك . الزحوف ، الواحد زحف : الجيش الزاحف .

٧ الذود : الإبل . تمور : تجري .

وَإذا أعَادَ الحَوْلُ يَوْمَكَ عَادَني ، مِثْلَ السَّلِيمِ يَعُودُهُ آنَاؤه[1]
داءٌ بِقَلْبي لا يَعُودُ طَبِيبُهُ يَأساً إليّ ، وَلا يُصَابُ دَوَاؤهُ
فاذهَبْ ، فلا بقيَ الزّمانُ ، وقد هوَى بكَ صَرْفُهُ وَقضَى عَلَيكَ قَضَاؤهُ

ما لي أودع

يرثي صديقاً له :

مَا لي أُوَدِّعُ كُلَّ يَوْمٍ ظَاعِناً ، لَوْ كُنْتُ آمُلُ للوَداعِ لِقَاءَ
وَأرُوحُ أذْكَرَ مَا أكُونُ لعَهْدِهِ ، فَكَأنّني اسْتَوْدَعْتُهُ الأحشَاءَ
فَرَغَتْ يدي منهُ ، وَقَدْ رَجَعَتْ بهِ أيْدي النّوَائِبِ وَالخُطُوبِ مِلاءَ
تَشكُو القَذى عَيني ، فيكثُرُ شكوُها حتى يَعُودَ قَذًى بِهَا أقْذاءَ
شَرَقٌ مِنَ الحِدْثَانِ لَوْ يُرْمَى بهِ ذا المَاءُ مِنْ ألَمٍ أغَصّ المَاءَ[2]
أحبَابيَ الأدْنَينَ كَمْ ألْقَى بكُمْ داءً يَمُضُّ ، فَلا أُداوي الدّاءَ
أحيَا إخاءكُمُ المَماتُ ، وَغَيرُكُمْ جَرّبْتُهُمْ ، فَثَكِلْتُهُمْ أحيَاءَ
إلاّ يكُنْ جَسَدي أُصِيبَ ، فإنّني فَرّقْتُهُ ، فَدَفَنْتُهُ أعْضَاءَ

١ السليم : اللديغ . آناؤه ، الواحد أنى : كل النهار أو جزء منه .
٢ الشرق : الغص بالماء .

قال لي صاحبي

قال في النسيب :

حيٌّ ، بَينَ النَّقَا وبَينَ المُصَلّى ، ... وَقَفَاتِ الرّكائِبِ الأنْضَاء [1]
وَرَوَاحَ الحَجيجِ لَيْلَةَ جَمْعٍ ، ... وَبِجَمْعٍ مَجامِعُ الأهْوَاءِ [2]
وَتَذَكّرْ عَنّي مُنَاخَ مَطِيّي ... بأعَالي مِنًى وَمَرْمَى خِبَائي [3]
وَتَعَمّدْ ذِكْري، إذا كنتَ بالخيـ ... ـفِ، لظَبيٍ من بعضِ تلكَ الظِّبَاءِ [4]
قُلْ لهُ: هل تُراكَ تَذكرُ ما كا ... نَ ببَابِ القُبَيْبَةِ الحَمراءِ
قالَ لي صاحِبي ، غداةَ التَقَيْنَا ... نَتَشاكَى حَرَّ القُلُوبِ الظّمَاءِ :
كُنتَ خَبّرْتَني بأنّكَ في الوَجْـ ... ـدِ عَقيدي ، وَأنّ داءكَ دائي [5]
مَا تَرَى النّفْرَ وَالتّحَمّلَ للبَيْـ ... ـنِ ، فَماذا انْتِظارُنا للبُكاءِ
لَمْ يَقُلْها حتى انثَنَيتُ لمَا بي ... أتَلَقّى دَمْعي بفَضْلِ رِدائي

[1] النقا : القطعة من الرمل تنقاد محدودبة. المصلى : مكان الصلاة، ولعله أراد بهما موضعين بعينهما الانضاء ، الواحد نضو : المهزول .
[2] جمع : المزدلفة ، وهي بين عرفات ومنى ، وليلة جمع ليلة عرفة .
[3] منى : موضع في مكة .
[4] الخيف : ناحية من منى . غرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس وهو جبل في مكة .
[5] عقيدي : معاهدي .

أمر بداره فأطيل شوقاً !

قال رحمه الله وكتب بها إلى صديق
يسأله عن حال نكبة لحقتـه :

خُطُوبٌ لا يُقَاوِمُهَا البَقَاءُ ، وَأحْوَالٌ يَدِبّ لهَا الضَّرَاءُ[1]
وَدَهْرٌ لا يَصُحّ بِهِ سَقِيمٌ ، وَكَيْفَ يَصُحّ ، وَالأيّامُ داءُ
وَأمْلاكٌ يَرَوْنَ القَتْلَ غُنْماً ، وَفي الأمْوَالِ لَوْ قَنِعُوا فِداءُ
هُمُ استَوْلَوْا عَلى النُّجَبَاءِ مِنّا ، كَمَا استَوْلى عَلى العُودِ اللّحَاءُ
مُقَامٌ لا يُجَاذِبُهُ رَحِيلٌ ؛ وَلَيْلٌ لا يُجَاوِرُهُ ضِيَاءُ
سَيَقطَعُكَ المُثَقَّفُ مَا تَمَنّى ، وَيُعطِيكَ المُهَنّدُ مَا تَشَاءُ
بَلَوْنَا مَا تَجيءُ بِهِ اللّيَالي ، فَلا صُبْحٌ يَدُومُ وَلا مَسَاءُ
وَأنْضَيْنَا المَدَى طَرَباً وَهَمّاً ، فَمَا بَقِيَ النّعِيمُ وَلا الشّقَاءُ
إذا كَانَ الأسَى داءً مُقِيماً ، فَفي حُسْنِ العَزَاءِ لَنَا شِفَاءُ
وَمَا يُنجِي مِنَ الأيّامِ فَوْتٌ ، وَلا كَدٌّ يَطُولُ ، وَلا عَنَاءُ
تَنَالُ جَمِيعَ مَا تَسعَى إلَيْهِ ، فَسِيّانِ السّوَابِقُ وَالبِطَاءُ
وَمَا يُنْجِي مِنَ الغَمَرَاتِ إلاّ ضِرَابٌ ، أوْ طِعانٌ ، أوْ رِمَاءُ
وَرُمْحٌ تَستَطِيلُ بِهِ المَنَايَا ، وَصَمْصَامٌ تُشَافِهُهُ الدّمَاءُ

[1] الضراء : النقص في النفوس والأموال .

وَإِنّي لا أميلُ إلى خليلٍ سَفيهِ الرأيِ شيمَتُهُ الرِّيَاءُ
يُسَوِّمني الخِصامَ،وَليسَ طَبعي، وَمَا مِنْ عَادَةِ الخَيْلِ الرُّغَاءُ
أقُولُ لِفِتْيَةٍ زَجَرُوا المَطَايَا ، وَخَفّ بِهِمْ عَلى الإبْلِ النَّجاءُ[1]
عَلى غَوْرَاءَ تَشْتَجِرُ الأداوى بعَرْصَتِها ، وَتَزْدَحِمُ الدِّلاءُ[2]
رِدُوا وَاستَفضِلُوا نُطَفاً ، فحَسبي مِنَ الغدرَانِ مَا وَسِعَ الإنَاءُ
وَبَعْدَكُمُ أنَاخَ إلى مَحَلٍّ يُطَلِّقُ عِنْدَهُ الدّلْوَ الرِّشَاءُ
تَقَلّصُ عَنْ سَوَائِمِهِ المَرَاعي، وَتَخرُزُ دِرّةَ الضّرْعِ الرِّعَاءُ[3]
إذا مَا الحُرُّ أجدَبَ في زَمَانٍ ، فَعِفتُهُ لَهُ زادٌ وَمَاءُ
أرَى خلْقاً سَوَاسِيَةً ، وَلَكِنْ لغَيرِ العَقْلِ مَا تَلِدُ النّسَاءُ[4]
يُشَبَّهُ بالفَصِيلِ الطّفلُ مِنْهُمْ، فَسِيّانِ العَقِيقَةُ وَالعِفَاءُ[5]
تَصُونُهُمُ الوِهَادُ ، وَأيُّ بَيْتٍ حَمَى اليَرْبُوعَ لَوْلا النّافِقَاءُ[6]
هُمُ يَوْمَ النّدَى غَيْمٌ جَهَامٌ ، وَفي اللأْوَاءِ رِيحٌ جِرْبِيَاءُ[7]
قِرًى لا يَستَجِيرُ بهِ خَمِيصٌ ، وَنَارٌ لا يُحَسّ بِهَا الصِّلاءُ

١ النجاء : السرعة .
٢ الغوراء : أي البئر . تشتجر : تتنازع . الأداوى ، الواحدة إداوة : إناء صغير من جلد .
٣ تقلص : ترتفع . السوائم : الماشية الراعية . تخرز : تخيط . الدرة : اللبن . الضرع : مدر اللبن وهو للنياق وغيرها كالثدي . الرعاء : الرعيان .
٤ سواسية : متساوون .
٥ العقيقة : شعر الطفل . العفاء : وبر البعير .
٦ اليربوع : نوع من الفأر قصير اليدين طويل الرجلين . النافقاء : جحر اليربوع .
٧ الجهام : السحاب لا ماء فيه . اللأواء : الشدة . الجربياء : ريح الشمال أو بردها .

وَضَيْفٌ لا يُخَاطِبُهُ أديبٌ ، وَجَارٌ لا يَلَذُّ لَهُ الثّوَاءُ
هَوَى بَدْرُ التّمَامِ ، وكُلُّ بَدرٍ سَتَقذِفُهُ إلى الأرْضِ السّمَاءُ
وَعِلْمي أنّهُ يَزْدادُ نُوراً ، وَيَجْذِبُهُ عَنِ الظُّلَمِ الضّيَاءُ
أمُرُّ بدارِهِ فأُطِيلُ شَوْقاً ، وَيَمْنَعُني مِنَ النّظَرِ البُكَاءُ
تَعَرّضُ لي فَتُنْكِرُها لِحَاظي، مُعَطَّلَةً كَما نُقِضَ الخِبَاءُ
كَأنّي قَائِفٌ طَلَبَ المَطَايَا ، عَلى جَدَدٍ تُبَعْثِرُهُ الظّبَاءُ[1]
دِيَارٌ يَنْبُتُ الإحْسَانُ فِيهَا ، وَنَبْتُ الأرْضِ تَنُّومٌ وَآءُ[2]
وَقَدْ كَانَ الزّمَانُ يَرُوقُ فيها ، وَيَشرَبُ حُسنَها الحَدَقُ الظّمَاءُ
وَدارٌ لا يَلَذُّ بِهَا مُقِيمٌ ، وَلا يُغشَى لِسَاكِنِها فِنَاءُ
تُخَيِّبُ في جَوَانِبِهَا المَساعي، وَيُنقَصُ في مَوَاطِنِها الإبَاءُ
وَما حَبَسَتكَ مَنقَصَةٌ ، وَلَكِنْ كَرِيمُ الزّادِ يُحرِزُهُ الوِعَاءُ
فَلا تَحزَنْ عَلى الأيّامِ فِينَا ، إذا غَدَرَتْ، وَشِيمَتُنا الوَفَاءُ
فَإنّ السّيْفَ يَحبِسُهُ نِجَادٌ ، وَيُطْلِقُهُ عَلى القِمَمِ المَضَاءُ
لَئِنْ قَطَعَ اللّقَاءَ غَرَامُ دَهْرٍ، لمَا انقَطَعَ التّوَدُّدُ وَالإخَاءُ
وَمَا بَعَثَ الزّمَانَ عَلَيْكَ إلاّ وُفُورُ العِرْضِ وَالنّفسُ العِصَاءُ
وَلَوْ جاهَرْتَهُ بِالبَأسِ يَوْماً ، لأبرَأ ذَلِكَ الجَرَبَ الهِنَاءُ
وَكُنتَ، إذا وَعَدْتَ عَلى اللّيَالي، تَمَطّرَ في مَوَاعِدِكَ الرّجَاءُ

[1] القائف : الذي يعرف الآثار . الجدد : الأرض .
[2] التنوم و الآء : ضربان من الشجر .

وَأعْجَلَكَ الصّرِيخُ إلى المَعَالي ، كَمَا يَستَعجِلُ الإبْلَ الحُداءُ
وَأيّ فَتًى أصَابَ الدّهْرُ مِنّا ، تُصَابُ بِهِ المُرُوءَةُ وَالوَفَاءُ
صَقيلُ الطّبْعِ رَقْرَاقُ الحَوَاشِي ، كَما اصْطَفَقَتْ على الرّوْضِ الأضَاءُ
يَنَالُ المَجْدَ وَضّاحُ المُحَيّا ، طَوِيلُ البَاعِ ، عِمّتُهُ لِوَاءُ
كَلامٌ تَستَجيبُ لَهُ المَعالي ، وَوَجْهٌ يَستَبِدّ بِهِ الحَيَاءُ
فَلا زَالَتْ هُمُومُكَ آمِرَاتٍ عَلى الأيّامِ يَخدُمُها القَضَاءُ
تَجُولُ عَلى ذَوَابِلِكَ المَنَايَا ، وَيَخطِرُ في مَنازِلِكَ العَلاءُ

تعيرني فتاة

قال رحمه الله في معنى سئل القول به :

تُعَيّرُني فَتَــاةُ الحَيّ أنّي حَظِيتُ مِنَ المُرُوءَةِ وَالفَتَاءِ
وَأنّي لا أمِيلُ إلى جَوَادٍ يُعَبِّــدُهُ حُرٌّ وَجْهي للعَطَاءِ
لَعَمْرُك مَا لِغَدْرِك فيّ ذَنْبٌ ، وَلَيْسَ الذّنْبُ إلاّ مِنْ وَفَائي
وَمَا جُودُ الزّفِيرِ عَلَيك جُوداً ، وَلَكِنْ ذاكَ مِنْ لُؤمِ العَزَاءِ[1]
مُعاداةُ الرّجَالِ عَلى اللّيَالي ، أطِيقُ ، وَلا مُدارَاةُ النّسَاءِ

---

[1] الزفير : الداهية .

يلوذ بأبياتنا الخائفون

قال رحمه الله جواباً عن قصيدة
كتبها إليه ذو السعادتين أبو سعيد
علي بن محمد بن خلف :

رَضِينا الظُّبَى من عِناقِ الظِّبَا ، وَضَرْبَ الطُّلى مِنْ وِصَالِ الطَّلا[1]
وَلَمْ نَرْضَ بالبَأسِ دونَ السّماحِ ولا بالمَحامِدِ دُونَ الجَدا
وَقُمْنَا نَجُرّ ذُيُولَ الرّجَا ، وَتَرْعَى العُيُونُ بُرُوقَ المُنَى
إلى أنْ ظَفِرْنَا بكَأسِ النّجيـ ـحِ ، فالرّمحُ يشرَبُ حتى انتَشَى
وَمِلْنَا عَلَى القُورِ مِنْ نَقْعِنَا ، بِأوْسَعَ مِنْهَا وَأعْلَى بِنَا[2]
وَللخَيْلِ في أرْضِنَا جَوْلَةٌ ، تَحَلّلَ عَنْهَا نِطَاقُ الثّرَى
أثَرْنَا عَلَيْهَا صُدُورَ الرّمَا حِ يَمْرَحُ في ظِلّهِنّ الرّدَى
فَجَاءَتْ تَدَفّقُ في جَرْيِهَا ، كَمَا أُفْرِغَتْ في الحِياضِ الدّلاَ
وَلَيْلٍ مَرَرْنَا بظَلْمَائِهِ ، نُضَاوِي كَوَاكِبَهُ بِالظُّبَى
إذا مُدّتِ النّارُ بَاعَ الشُّعاعِ مَدَدْنَا إلَيهَا ذِرَاعَ القِرَى
وَيَوْمٍ تَعَطَّفُ فِيهِ الجِيَا دُ ، تَشرَقُ ألوَانُهَا بالدّمَا

[1] الظبى ، الواحدة ظبة : حد السيف . الظباء ، الواحدة ظبية : الغزالة . الطلى : الأعناق ، الواحدة طلية وطلاة . الطلا : ولد الظبية ساعة يولد .

[2] القور ، الواحدة قارة : الجبل الصغير .

فَمَا بَرِحَتْ حَلْبَةُ السّابِقَا ت ِ تُورِدُنَا عفَوَاتِ المَـدَى[1]
بِرَكْضٍ يُصَدّعُ صَدْرَ الوِهَا دِ ، حتّى تئِنّ قُلُوبَ الصّفَا
يَلُوذُ بِأبْيَاتِنَا الخَـائِفُو نَ ، حتّى طَرَائِدُ وَحْشِ الفَلاَ
وَتُصْغي لَنَا فَارِياتُ الخُطُو بِ ، قَوَاضِبَ ما آجَنَتْ بالصّدَا[2]
يُبَشّرُهَا بُعْـدُ هِمّاتِنَا ، بِأنّ الحِمَامَ قَرِيبُ الخُطَا
وَجَوٍّ تَقَلّبُ فيـهِ الرّيَـا حُ ، بَيْنَ الجَنُوبِ وَبَيْنَ الصَّبَا
سَلَلْنَا النّوَاظِرَ في عَرْضِهِ ، فَطَوّلَ مِنْ شأوِها المُنْتَضَى
تُصَافِـحُ مِنْهُ لِحَاظُ العُيُونِ مَرِيضَ النّسِيمِ أرِيضَ الرُّبَى
وَإنّي عَلَى شَغَفِـي بالوَقَـارِ أحِنّ إلى خَطَرَاتِ الصِّبَا
وَمِمّا يُزَهّدُني في الزّمَانِ ، وَيَجْذِبُني عَنْ جَمِيعِ الوَرَى
أخٌ ثَقّفَ المَجدُ أخلاقَـهُ ، وَأشْعَرَ أيّـامَهُ بالعُلَى
وَأنْـكَحَهُ بِهَدْيِ السّنَا ، وَطَلّقَهُ مِنْ قَبيحِ النّشَا[3]
وَقُورٌ ، إذا زَعْزَعَتْهُ الخُصُو مُ ، وَانفَرَجَتْ حَلَقَاتُ الحُبَى
إذا هَزْهَزَ الرّمْحَ رَوّى السِّنَا نَ ،وَاستَمطَرَ السّيفُ هامَ العِدَى
وَمَا هُوَ إلاّ شِهَابُ الظّـلا مِ صَافَحَ لَحْظي بحُسْنِ الرُّوَا
يَقُصّ ، وَمِنْ غَيرِ سَهمٍ أصَابَ وَيَرْمي ، وَمِنْ غَيرِ قَوْسٍ رَمَى[4]

١ العفوات ، الواحد عفو : الأرض الغفل ليس بها آثار .
٢ تصغي : تميل . فاريات ، من فرى : شق وقطع . القواضب : السيوف . آجنت : تغيرت .
٣ النشا : الرائحة .
٤ يقص : يقطع ، ومن الموت : يدني ، ومن فلان : ينتقم .

فَغَيْثٌ يُعانِقُني في السّحَابِ ، وَبَدْرٌ يُنَادِمُني في السّمَا
سَقَاني عَلى القُرْبِ كاسَ الإخَا ءِ ، مَطْلُولَةً بِنَسِيمِ الصّفَا
فَلِلّهِ كاسٌ صَرَعْتُ الهُمُو مَ بسَوْرَتِها ، وَعَقَرْتُ الأسَى
وَسِرْبٍ تُنَفّرُهُ بِالرّمَاحِ ، وَوَعْدٍ تُعَفّرُهُ بِالعَطَا
وَمَاءٍ تُصَارِعُهُ بِالرّكَابِ ، وَجَيْشٍ تُقَارِعُهُ بِالقَنَا
وَيَوْمٍ تُسَوّدُهُ بِالعَجَاجِ ، وَنَادٍ تُبَيّضُهُ بِالنّدَى
سَنَاءٌ تَبَلّدُ عَنْهُ السّمَاءُ ، وَمَجْدٌ سَهَا عَنْ مَداهُ السُّهَا[1]
بَنِي خَلَفٍ أنْتُمُ في الزّمَانِ غُيُوثُ العَطَاءِ لُيُوثُ الوَغَى
بُدُورٌ ، إذا ازْدَحَمَتْ في الظّلا مِ ، شَمّرَ بُرْدَيْهِ عَنها الدّجَى
حَرِيّونَ إنْ نُسِبُوا بالسّمَا حِ ، جَرِيّونَ في كُلّ أمرٍ عَرَا
لَهُمْ كُلّ يَوْمٍ إلى الغَادِرِيـ نَ جَمْعٌ تَقَلْقَلَ عَنْهُ الفَضَا
حَلَفْتُ بِسابحَةٍ في الفِجَاجِ تَمزُجُ أخْفَافَهَا بِالذُّرَى
وَتَنْهَضُ في صَهَوَاتِ الهَجيـ رِ بَيْنَ النّعَامِ وَبَيْنَ المَهَا
بِخَطْوٍ يُمَزّقُ بُرْدَ الصّعِيدِ ، وَرَكْضٍ يُلَطّمُ وَجْهَ المَلا[2]
هَبَبْنَ ، وَلَمْ تُغْرِهِنّ الحُداةُ ، فَقَامَ الهِبَابُ مَقَامَ الحُدَا
تَحُطّ رَحَائِلَهَا بالمَقَامِ ، وَتُلْقي أزِمّتَهَا بِالصّفَا
لَقَدْ حَلّ وِدُّكَ مِنْ مُهجَتي ، بحَيْثُ يُقِيلُ الأسَى وَالإسَا[3]

[1] تبلد : تتقاصر . السها : نجم خفي من بنات نعش الصغرى .
[2] الملا : الصحراء .
[3] الأسى : الحزن . الإسا : الدواء .

وَحاشاكَ أنْ تَستَتِرَّ الوَدادَ ، وَتُرْمِدَ بالهَجْرِ طَرْفَ الهَوَى
لبَذْلِ النّدى، إنْ ثَوَيتَ، الثّوَى ، وَفَلِّ العِدى، إن سرَيتَ، السُّرَى
رَأيتَ عَليّاً يَرُدّ الرّسيلَ حَسيرَ القَوَائِمِ دامي القَرَا[1]
إذا الرّكْبُ حَطّ بِأبْوَابِهِ ، تَنَفّضَ عَنْهُ غُبَارُ النّوَى
وَإنْ سَلَكَ البرَّ هَزّ الرّعَا نَ ، حتى يُنَفّرَ ذَوْدَ القَطَا
بِكُلّ مُعَوَّذَةٍ بِالحَدِيـ ـدِ ، إنْ رَوّعَتْهَا نِبَالُ العِدَى
سَأشدُو بذِكْرِكَ ما استَعبَرَتْ مَطِيٌّ يُثَلِّمُ فيها الوَجَى
وَأُصْفيكَ وُدّي ، وَبَعضُ الرّجا لِ يَمزِجُ بالودّ مَاءَ القِلى
يَخيطُ الضّلُوعَ على إحْنَةٍ ، وَيَرْعَى الإخاءَ بِعَيْنِ العَمَى[2]
وَلَمّا ذَكَرْتُكَ حَنّ الفُؤا دُ وَاعتَلّ في مُقلَتَيّ الكَرَى
فَلا زِلْتَ في رَقَداتِ النّعيـ ـمِ تَهْفُو بِلا مُوقِظٍ مِنْ أذَى
رِيَاضٌ تَشُقّ عَلَيْكَ النّسيمَ ، وَلَيْلٌ يَمُجّ عَلَيْكَ الضّحَى

[1] الرسيل : المتابع له في النضال . القرا : الظهر .
[2] الاحنة : الحقد .

كربلا كرب وبلا

قال وهو بالحاير الحسيني يرثي
جده سيد الشهداء عليه السلام :

كَرْبَلا ، لا زِلْتِ كَرْباً وَبَلا ، مَا لَقِي عِندَكِ آلُ المُصْطَفَى
كَمْ عَلى تُرْبِكِ لمّا صُرِّعُوا ، مِنْ دَمٍ سَالَ وَمِنْ دَمعٍ جرَى
كَمْ حَصَانِ الذّيلِ يَرْوِي دَمعُها خَدَّهَا عِندَ قَتيلٍ بالظّمَا[1]
تَمْسَحُ التُّرْبَ عَلى إعْجَالِهَا ، عَنْ طُلَى نَحرٍ رَمِيلٍ بالدّمَا
وَضُيُوفٍ لِفَلاةٍ قَفْرَةٍ ، نَزَلُوا فيها عَلى غَيرِ قِرَى
لمْ يَذُوقُوا المَاءَ حتى اجتَمَعُوا، بحِدَى السّيفِ على وِرْدِ الرّدَى
تَكْسِفُ الشّمسُ شُمُوساً منهُمُ لا تُدانيهَا ضِيَاءً وَعُلَى
وَتَنُوشُ الوَحْشُ مِنْ أجسادهِم أرْجُلَ السّبْقِ وَأيْمَانَ النّدَى
وَوُجُوهاً كَالمَصَابيحِ ، فَمِنْ قَمَرٍ غابَ ، وَنَجمٍ قَدْ هَوَى
غَيّرَتْهُنّ اللّيَالي ، وَغَدَا جَايِرَ الحُكْمِ عَلَيهِنّ البِلَى
يا رَسُولَ اللهِ لَوْ عايَنْتَهُمْ ، وَهُمُ مَا بَيْنَ قَتْلَى وَسِبَا
مِنْ رَمِيضٍ يُمْنَعُ الظّلَّ ، وَمَن عاطِشٍ يُسقَى أنَابيبَ القَنَا[2]

١ قتيل الظما : هو الحسين بن علي بن أبي طالب جد الشاعر .

٢ الرميض : المتحرق القدمين من الحر .

وَمَسُوقٍ عَاثِرٍ يُسْعَى بِهِ خَلْفَ مَحْمُولٍ عَلى غَيرِ وَطَا
مُتْعَبٍ يَشكُو أذَى السّيْرِ عَلى نَقبِ المَنسِمِ ، مَجزُولِ المَطَا[1]
لَرَأتْ عَينَاكَ مِنهُمْ مَنْظَراً للحَشَى شَجْواً ، وَللعَينِ قَذَى
لَيْسَ هذا لرَسُولِ اللهِ ، يَا أُمّةَ الطّغْيَانِ وَالبَغْيِ ، جَزَا
غارِسٌ لمْ يَألُ في الغَرْسِ لهُمْ ، فَأذاقُوا أهْلَهُ مُرَّ الجَنَى
جَزَرُوا جَزْرَ الأضَاحي نَسْلَهُ ، ثُمّ سَاقُوا أهلَهُ سَوْقَ الإمَا
مُعجَلاتٍ لا يُوَارِينَ ضُحَى ، سُنَنَ الأوْجُهِ أوْ بِيضَ الطُّلَى[2]
هَاتِفَاتٍ بِرَسُولِ اللهِ في بُهَرِ السّعْيِ ، وَعَثْرَاتِ الخُطَى[3]
يَوْمَ لا كِسْرَ حِجَابٍ مَانِعٌ بِذْلَةَ العَيْنِ وَلا ظِلٌّ خِبَا[4]
أدْرَكَ الكُفْرُ بِهِمْ ثَارَاتِهِ ، وَأُزِيلَ الغَيّ مِنْهُمْ فاشتَفَى
يا قَتيلاً قَوّضَ الدّهْرُ بِهِ عُمُدَ الدّينِ وَأعْلامَ الهُدَى
قَتَلُوهُ بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُمُ أنّهُ خامِسُ أصْحابِ الكِسَا[5]
وَصَرِيعاً عَالَجَ المَوْتَ بِلاَ شَدّ لَحْيَينِ وَلا مَدّ رِدَا[6]

١ نقب المنسم : رقته . والمنسم : طرف خف البعير والنعامة والفيل وغيرها . استعاره للمتعب . المجزول : المقطوع . المطا : الظهر .

٢ سنن الوجه : دوائره . ، الواحدة سنة .

٣ البهر : انقطاع النفس من العياء .

٤ أراد ببذلة العين : تكشف النساء .

٥ أصحاب الكساء هم : النبي وعلي وفاطمة والحسن ، والحسين خامسهم . وقيل لهم ذلك لالتفافهم بالكساء اليماني في بيت فاطمة ، فقال النبي : هؤلاء عترتي وأهل بيتي .

٦ أراد بشد اللحيين ومد الرداء : الغسل والتكفين ، أي أنه لم يغسل ولم يكفن .

غَسَلُوهُ بِدَمِ الطَّعْنِ ، وَمَا كَفَّنُوهُ غَيرَ بَوْغَاءِ الثَّرَى[1]
مُرْهَقاً يَدْعُو،وَلا غَوْثَ لَهُ ، بِأبٍ بَرٍّ وَجَدٍّ مُصْطَفَى
وَبِأُمٍّ رَفَعَ اللهُ لهَا عَلَماً مَا بَينَ نُسْوَانِ الوَرَى
أيُّ جَدٍّ وَأبٍ يَدْعُوهُمَا ، جَدّ ، يا جَدّ ، أغِثْني يا أبَا
يا رَسُولَ اللهِ يَا فَاطِمَةٌ ، يا أميرَ المُؤمِنِينَ المُرْتَضَى
كَيْفَ لمْ يَستَعجِلِ اللهُ لَهُمْ بانقِلابِ الأرْضِ أوْ رَجمِ السَّمَا[2]
لَوْ بِسِبْطَيْ قَيصَرٍ ، أوْ هِرْقِلٍ فَعَلُوا فِعْلَ يَزِيدٍ ، مَا عَدَا[3]
كَمْ رِقَابٍ مِنْ بَنِي فَاطِمَةٍ عُرِقَتْ ما بينَهمْ ، عَرْقَ المِدَى[4]
وَاختَلاها السّيفُ حَتّى خِلتَهَا سَلَمَ الأبرَقِ ، أوْ طَلحَ العُرَى[5]
حَمَلُوا رَأساً يُصَلّونَ عَلى جَدّهِ الأكْرَمِ طَوْعاً وَإبَا[6]
يَتَهَادَى بَيْنَهُمْ لمْ يَنْقُضُوا عَمَمَ الهَامِ ، وَلا حَلّوا الحُبَى[7]

١ البوغاء : التربة الرخوة .
٢ رجم السما : أي أن ترجمهم السماء برجومها ، والرجوم النجوم أو ما يتساقط منها من حجارة .
٣ عدا : جرى ، ظلم ، ترك حقه .
٤ عرقت : أزيل لحمها . المدى ، الواحدة مدية : الشفرة .
٥ اختلاها : جزها أو نزعها . السلم : شجر من العضاه يدبغ به . الأبرق : أرض غليظة ، وأراد هنا مكاناً بعينه . الطلح : شجر عظام من شجر العضاه ترعاها الإبل . العرى ، الواحدة عروة : الجماعة من العضاه يرعاها الناس إذا أجدبوا ، وقوله : طلح العرى من باب إضافة الشيء إلى نفسه .
٦ طوعاً وإباء : أي طائعين ومكرهين .
٧ لم ينقضوا : لم يحلوا . العمم : اسم من الاعتمام ، أي لبس العمامة . الحبى ، الواحدة حبوة : الاشتمال بالثوب ، وأراد أنهم لم يكبروا المصاب ولم ينهضوا إجلالا .

مَيّتٌ تَبْكي لَهُ فَاطِمَةٌ ، وَأَبُوها ، وَعَلِيٌّ ذُو العُلَى

لَوْ رَسُولُ اللهِ يَحْيَا بَعْدَهُ ، قَعَدَ اليَوْمَ عَلَيْهِ لِلعَزَا

مَعْشَرٌ مِنْهُمْ رَسُولُ اللهِ وَالـ كَاشِفُ الكَرْبِ، إذا الكَرْبُ عرَا

صِهْرُهُ البَاذِلُ عَنْهُ نَفْسَهُ، وَحُسَامُ اللهِ في يَوْمِ الوَغَى

أوّلُ النّاسِ إلى الدّاعي الّـذِي لَمْ يُقَدِّمْ غَيْرَهُ لَمّا دَعَا

ثُمّ سِبْطَاهُ الشّهيدانِ ، فَذا بِحَسَا السّمّ ، وَهذا بالظُّبَى[1]

وَعَلِيّ ، وَابنُهُ البَاقِرُ ، وَالصّـ ادِقُ القَوْلِ ، وَموسَى ، وَالرّضَا

وَعَلِيّ ، وَأَبُوهُ وَابْنُــهُ ، وَالذي يَنْتَظِرُ القَوْمُ غَدَا[2]

يا جِبَالَ المَجدِ عِزّاً وَعُلَى ، وَبُدُورَ الأرْضِ نُوراً وَسَنَا

جَعَلَ اللهُ الّذي نَابَكُمُ سَبَبَ الوَجْدِ طَوِيلاً وَالبُكَا

لا أرَى حُزْنَكُمُ يُنسَى ، وَلا رُزْءَكم يُسلى، وَإنْ طالَ المَدَى

قَدْ مضَى الدّهرُ،وَعَفّى بَعدكمْ، لا الجَوَى باخَ ، وَلا الدّمعُ رَقَا[3]

أنتُمُ الشّافُونَ مِنْ داءِ العَمَى، وَغداً ساقُونَ مِنْ حوْضِ الرّوَا[4]

نَزَلَ الدّينُ عَلَيْكُمْ بَيتَكُمْ، وَتَخَطّى النّاسَ طُرّاً ، وَطَوَى

أينَ عَنكُمْ لِلّذي يَبغي بِكُمْ ظِلَّ عَدْنٍ دُونَهَا حَرٌّ لَظَى

١ أراد بالذي قتل بحسا السم ، أي بشربه، الحسن ، وبالذي قتل بالظبى ، أي بحد الحسام، الحسين

٢ الذي ينتظر القوم : أي المهدي .

٣ باخ : سكن . رقأ : انقطع جريانه .

٤ الرواء : الماء العذب .

أينَ عَنْكُمْ لمُضِلٍّ طالِبٍ   وَضَحَ السُّبْلِ وَأقمارَ الدّجَى

أينَ عَنكُمْ للّذي يرْجُو بِكُمْ   مَعْ رَسُولِ اللهِ فَوْزاً وَنَجَا

يَوْمَ يَغْدُو وَجْهُهُ عَنْ مَعشَرٍ   مُعرِضاً مُمْتَنِعاً عِندَ اللّقَا

شاكِياً مِنهُمْ إلى اللهِ ، وَهَلْ   يُفلِحُ الجيلُ الّذي مِنْهُ شَكَا

رَبِّ ! ما حامَوْا ، وَلا آوَوْا ، وَلا   نَصَرُوا أهْلي ، وَلا أغْنَوْا غَنَا

بَدّلُوا دِيني ، ونَالُوا أُسرَتي   بالعَظيماتِ ، وَلَمْ يَرْعَوْا ألَى[1]

لَوْ وَلي مَا قَدْ وَلُوا مِنْ عِترَتي   قَائِمُ الشّرْكِ لأبْقَى وَرَعَى

نَقَضُوا عَهدي ، وَقَدْ أبرَمْتُهُ ،   وَعُرَى الدّينِ ، فَما أبقَوْا عُرَى

حُرَمي مُسْتَرْدَفَاتٌ ، وَبَنُو   بِنْتِيَ الأدْنَوْنَ ذِبْحٌ للعِدَى

أتُرَى لَستُ لَدَيْهِم كامرِىءٍ   خَلّفُوهُ بجَميلٍ إذْ مَضَى

رَبِّ ! إنّي اليَوْمَ خَصْمٌ لَهُمُ ،   جِئتُ مَظلُوماً وَذا يَوْمُ القَضَا

كل دواء داء

أشْكُو إلى اللهِ قَلْباً لا قَرَارَ لَهُ ،   قامَتْ قِيامَتُهُ ، وَالنّاسُ أحْيَاءُ

إنْ نال مِنكمْ وِصَالاً زَادَهُ سَقَماً   كَأنّ كُلّ دَوَاءٍ عِندَهُ داءُ

كَأنّ قَلْبيَ يَوْمَ البَيْنِ طارَ بهِ   مِنَ الرِّفاعِ نَجيبُ السّاقِ عَدّاءُ[2]

---

[1] الألى : النعمة .

[2] الرفاع : السير السريع .

يوم نزال ويوم نوال

كَرِيمٌ لَهُ يَوْمَانِ قَدْ كَفِلا له بنَيلِ العُلَى من بأسِهِ وَسَخائِهِ
فَيَوْمُ نِزَالٍ مُشمِسٌ من سيُوفه، وَيَوْمُ نَوَالٍ ماطِرٌ مِنْ عَطائِهِ

أوجه كالسيوف

لَوْ كانَ قِرْنُكَ مَن تَعِزُّ بمَنعِهِ ، أوْ مَنْ يُهَابُ تَخَمّطاً وَإبَاءَ[1]
سَالَتْ مَحارِمُها عَلَيْكَ بأوْجُهٍ مثلِ السّيُوفِ مَهابَةً وَضِيَاءَ

دِما ودُمى

رَجَعْتَ بِهِنّ دَوَامي الصِّفَا حِ ، يُنْتَزَعُ منهنّ شَوْكُ القَنَا
وَضَمّخْتَ أعناقَها بالدّمَا ، وَأوْقَرْتَ أكْفَالَهَا بالدُّمَى[2]

١ التخمط : التكبر .
٢ الدمى ، الواحدة دمية : الصورة المنقوشة ، وأراد هنا السبايا .

تداعي الرغاء وزجر الرعا

وَهَلْ أُنْجِدَنْ بعَبْدِيَّةٍ تَمُدُّ عَلابيبَهَا للحُدَا[1]
وَأسْمَعُ لَيْلَةَ أوْرَادِهَا تَدَاعي الرُّغَاءِ وَزَجْرِ الرُّعَا

غداً يهدم المجد

غداً يَهدِمُ المَجدُ المُؤثَّلُ مَا بَنَى ، وَتكسدُ أسوَاقُ الصَّوَارِمِ وَالقَنَا
مضَى المُصْدِرُ الآرَاءِ وَالمُورِدُ النُّهَى ، فمَنْ يَعدِلُ المَيلاءَ أوْ يَرْأبُ الثَّنَا[2]

١ العبدية : ناقة . العلابيب : أعصاب العنق .
٢ يرأب : يصلح . الثنا : الأمر .

حرف الباء

عزّ شعري إلا عليك

يمدح الطائع لله ويهنئه بالمهرجان ويقتضيه
وعداً سبق منه له سنة ٣٧٨ :

لَوْ عَلى قَدرِ ما يُحاوِلُ قَلْبي ، طَلَبي لمْ يَقَرّ في الغِمدِ عَضْبي
هِمّةٌ كالسّمَاءِ بُعْداً ، وكالرّيـ ـحِ هُبُوباً في كلّ شَرْقٍ وَغَرْبِ
وَنِزَاعٌ إلى العُلَى يَفطِمُ العيـ ـسَ عَنِ الوِرْدِ بَينَ مَاءٍ وَعُشْبِ
ربّ بُؤسٍ غَدا عَليّ بِنَعْمَا ءَ ، وَبُعْدٍ أفضَى إليّ بقُرْبِ
أتَقَرّى هَذا الأنَامَ ، فَيَغْدُو عَجَبي مِنْهُمُ طَرِيقاً لعُجْبي
وَإذا قَلّبَ الزّمَانَ لَبِيبٌ ، أبْصَرَ الجَدَّ حَرْبَ عَقْلٍ وَلُبّ
أمُقَاماً ألَذُّ في غَيْرِ عَلْيَا ءَ ، وَزَادي مِنْ عيشَتي زَادُ ضَبّ
دونَ أن أترُكَ السّيوفَ كَقَتلا ها رَزَايَا مِنْ حَرّ قَرْعٍ وَضَرْبِ
وَمِنَ العَجزِ إنْ دَعَا بكَ عَزْمٌ ، فرَآكَ الحُسَامُ غَيرَ مُلَبّي
وَإذا مَا الإمَامُ هَذّبَ دُنْيا يَ كَفَاني وَصَالحَ الغِمدَ غَرْبي[1]

[1] الغرب : حد السيف .

يا جَميلاً جَمَالُهُ مِلءُ عَيْني ، وَعَظيماً إعْظامُهُ مِلءُ قَلْبي
بكَ أبصَرْتُ كَيفَ يَصفو غَديري من صُرُوفِ القَذى وَيأمنُ سِرْبي
أنتَ أفسَدْتَني عَلى كلّ مَأمُو لٍ ، وَأعدَيتَني على كلّ خَطبِ
فإذا مَا أرَادَ قُرْبي مَليكٌ ، قلتُ: قُرْبي مِنَ الخَليفةِ حَسبي
عَزّ شِعرِي إلاّ عَلَيْكَ ، وَمَا زَا لَ عَزيزاً يأبَى عَلى كلّ خَطبِ
أيُّ نَدْبٍ ما بَينَ بُرْدَيك ، وَالدّهـ ـرُ أجَدُّ اليَدَينِ مِنْ كلّ نَدْبِ[1]
بَينَ كَفٍّ تَقي المَطامعَ وَالآمَا لَ ، أوْ ذابِلٍ يُغيرُ وَيَسْبي
مَا تُبَالي بِأيّ يَوْمَيْكَ تَغدُو ، يَوْمِ جُودٍ بالمالِ ، أوْ يومِ حَرْبِ
كَمْ غَدَاةٍ صَبَاحُها في حِدادٍ ، نَسَجَتْهُ أيْدي نَزَائِعَ قُبّ[2]
تَتَرَاءَى السّيُوفُ فيها ، وَتَخفَى ، وَيُنيرُ الطّعَانُ فيهَا ، وَيُخبي
فَرّجتَهَا يَدَاكَ ، وَالنّقْعُ قَدْ سَدّ عَلى العاصِفَاتِ كُلَّ مَهَبّ
وَمُرَبّي العُلَى ، إذا بَلَغَ الغَا يَةَ ، رَبّاهُ في العُلَى مَا يُرَبّي
يا أمِينَ الإلَهِ ، وَالنّبَأُ الأعْـ ـظَمُ ، وَالعَقْبُ مِنْ مَقاوِلَ غُلْبِ
عادَةُ المِهْرَجَانِ عِنْدِيَ أنْ أرْ وِي بذِكرَاكَ فيهِ قَلْبي وَلُبّي
هُوَ عيدٌ ، وَلا يَمُرُّ على وَجْـ ـهِكَ يَوْمٌ إلاّ يَرُوقُ وَيُصْبي
رَاحلٌ عنكَ ، وَهوَ يَرْقُبُ لُقْيَا كَ إلى الحَوْلِ عَن عَلاقَةِ صَبّ
كَيفَ أنسَى وَقد مَحَضْتُكَ أهْوَا يَ وَحَصّيتُ عَنْ عَدُوّكَ حُبّي[3]

1 أجد : مقطوع .
2 النزائع : الإبل أو غيرها التي انتزعت من غير بلادها . القب : المضمرة .
3 حصيت : وقيت .

أنْتَ ألْبَسْتَني العُلَى ، فأطِلها ،   أحسَنُ اللّبسِ ما يُجَلّلُ عَقبي
إنّني عائِذٌ بنُعمَاكَ أنْ أكْ   ثِرَ قَوْلي، وَأنْ أطَوّلَ عَتْبي
بيَ داءٌ شِفَاؤهُ أنْتَ ، لَوْ تَدْ   نُو ، وَأيْنَ الطّبيبُ لِلْمُستَطِبّ
كَيفَ أرْضَى ظَماً بقَلبي وَطَرْفي   يَتَجَلّى بَرْقُ الرّبَابِ المُرِبّ[1]
نَظرَةٌ مِنكَ تُرْسِلُ الماءَ في عُو   دي ، وَتُمطي ظِلّي وَتُنبِتُ تُرْبي
مَا تَرَجّيتُ غَيرَ جُودِكَ جُوداً،   أيُرَجّى القِطَارُ مِنْ غَيرِ سُحبِ[2]
لا تَدَعْني بَينَ المَطامِعِ وَاليأ   سِ وَوِرْدي ما بَينَ مُرٍّ وَعَذْبِ
وَارْمِ بي عَن يَدَيكَ إحدى الطرِيقَيْ   نِ ، فَما الشّعرُ جُلُّ مالي وكَسبي
وَإذا حاجَةٌ نَأتْ عَنْ سُؤالي   منكَ لم تَنأ عن غِلابي وَعَضْبي

قوام الدين والدنيا

قال رحمه الله يمدح بهاء الدولة ويشكره على تلقيبه بالرضى ذي الحسبين ويذكر أبا العباس الخارجي وكتب بها إليه وهو في البصرة في المحرم سنة ٣٩٨ :

يَدٌ في قَائِمِ العَضْبِ ،   فَما الإنْتِظَارُ بالضّرْبِ
وَقَدْ أمْكَنَتِ الهَامُ   ظُبَى المَطْرُورَةِ القُضْبِ

١ الرباب : السحاب . المرب : المقيم
٢ القطار : المطر .

وَلِلأرْمَاحِ بِالقَوْمِ حِكَاكُ الإبِلِ الجُرْبِ
يُنَازِعْنَ نِزَاعَ الذَّوْ دِ ، يُرْمَيْنَ عَنِ الشُّرْبِ
قِوَامُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا ، غِيَاثُ الأزْلِ وَاللَّزْبِ[1]
لَزِدْتَ المُلْكَ أوْضَاحاً إلى أوْضَاحِهِ الشُّهْبِ
وَقَرّرْتَ مَبَانِيهِ عَلى الذّابِلِ وَالعَضْبِ
وَأوْضَحْتَ إلى المَجْدِ مَنَارَ اللَّقَمِ اللَّجْبِ[2]
رَأيْنَا المُلْكَ مِنْ بَأسِ كَ قَدْ دارَ عَلى القُطْبِ
فَقُلْ لِلخَائِنِ المَغْرُو رِ : مَنْ أغراكَ بالشّغْبِ
وَمَنْ طَوّحَكَ اليَوْمَ بِدارِ الأُسُدِ الغُلْبِ
فَأقْبَلْتَ بِمِحْفَارِ كَ كَيْ تَصْدَعَ بالهَضْبِ
وَهَيهَاتَ لَقَدْ طَالَعَ كَ الحَينُ مِنَ النَّقْبِ[3]
ضَلالاً لكَ مِنْ غَاوٍ ، سَلِيبِ الرّأيِ وَاللّبّ
أبَى العِزُّ لِبَيْتِ الصّ لِّ أنْ يُطْرَقَ بالضّبّ
وَمَاذا آنَسَ الكُرْدُ بِمَنْ زَلْزَلَ بِالعُرْبِ
شِمِ السّيْفَ ، فَقَدْ قُوتِ لَ أعْداؤكَ بِالرُّعْبِ
وَمُذْ أسْخَطَكَ المَغْرُو رُ مَا قَرّ عَلى الجَنْبِ

١ الأزل : الضيق . اللزب : الشدة .
٢ اللقم : معظم الطريق . اللجب : الكثير الجلبة .
٣ الحين : الهلاك .

وَقِدْماً طَالَـهُ الخَوْفُ مَطَالَ المَخْضِ للوَطْبِ[1]
بَغَى السِّلْمَ ، وَقَدْ أَشْفَى عَلى مَزْلَقَةِ الخَطْبِ
وَكَمْ سِلْمٍ ، وَإِنْ غَرّ الـ عِدَى،أَدْمَى مِنَ الحَرْبِ
نَقَلْتَ الطّعْنَ في الجِلْدِ إلى طَعْنِكَ في القَلْبِ
تَقُوا مِنْ رَبْضَةِ اللّيْثِ، فَقَدْ يَرْبِضُ للوَثْبِ[2]
وَخَافُوا نَوْمَـةَ الأسيَا فِ في الأغْمادِ وَالقُرْبِ[3]
سَتُرْمَوْنَ بِهَا يَقْظَى ، إذا قَالَ لَهَا : هُبّي
قَضَى اللهُ لِـرَايَـا تِكَ بِالإظْهَارِ وَالغَلْبِ
وَأَصْفَاكَ بِمُلْكِ الأرْ ضِ مِنْ شَرْقٍ إلى غَرْبِ
وَأَغْنَى بِكَ مِنْ عُدْمٍ ، وَأَسْقَى بِكَ مِنْ جَدْبِ
وَوَلّى بِأَعَـادِيكَ مَعَ الزّعَازِعِ النُّكْبِ[4]
عَلى آثَارِهِمْ حَدْوُ الـ قَنَا بِالضُّمّرِ القُبّ
رَفَعْتَ اليَوْمَ مِنْ قَدْرِي، وَأَوْطَأْتَ العِدَى عَقْبي
وَوَطّأْتَ ليَ الرّحْـلَ عَلى عَرْعَرَةِ الصّعْبِ[5]

١ الوطب : سقاء اللبن .
٢ تقوا : اتقوا .
٣ القرب : جمع قراب .
٤ الزعازع : الشدائد . النكب ، الواحدة نكباء : الريح التي تنحرف عن مهاب الرياح القوّم ، وتقع بين ريحين .
٥ العرعرة : رأس كل شيء . الصعب : أراد به هنا الأسد .

لِيَ العَـــاطِـ لَ بالطّوْقِ وَبالقُلْبِ[1]

لِيَ الضّيّـقَ إلى المُضْطَرَبِ الرّحْبِ

وَزَاوَجْتَ لِيَ الطَّـوْلَ زَوَاجَ المَاءِ للعُشْبِ[2]

فَـكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ مِنْكَ كَعَرْفِ المَنْدَلِ الرّطْبِ[3]

أتَتْنِي سَمْحَةَ القَوْدِ ، ذَلُولاً سَهْلَةَ الرّكْبِ

مُهَنّـاةً ، كَمَا سَاغَ زُلالُ البَارِدِ العَذْبِ

وَلَمْ أظْفَرْ بِهَا مِنْكَ، جِذابَ العِلْقِ بالعَضْبِ[4]

وَمَا إنْعَامُكَ الغَمْرُ بِزَوّارٍ عَـلى الغِبّ

سَقَاني كَرَعَ الجَسْـمِ بِلا وَاسِطَةِ القَعْبِ[5]

وَأرْضَاني عَلى الأيّـا مِ بَعْدَ اللّوْمِ وَالعَتْبِ

وَأعْلَى المَدْحِ مَا يُثْني بِهِ العَبْدُ عَلى الرّبّ

١ القلب : سوار المرأة .

٢ الطول : الفضل .

٣ العرف : الرائحة الطيبة . المندل : عود طيب الرائحة .

٤ العلق : النفيس .

٥ القعب : القدح .

كثروا مجداً وطابوا

قال رحمه الله يمدحه ويهنئه بمهرجان سنة أربعمائة

حَيّيَا ، دُونَ الكَثِيبِ ، مَرْتَعَ الظّبْيِ الرّبِيبِ
وَاسألاني عَنْ قَرِيبٍ في الهَوَى غَيرِ قَرِيبِ
وَارِدٍ مَاءَ عُيُونٍ ، مُصْطَلٍ نَارَ قُلوبِ
وَقْفَةً بالرَّبْعِ أقْوَى بَينَ أعْقَادِ الكَثِيبِ
وَعَفَا اليَوْمَ عَلى كَرّيْ قِطَارٍ وَجَنُوبِ
بِسَوَافي التُّرْبِ البَارِحِ ، وَالتُّرْبِ الغَرِيبِ[1]
وَالّذي بِالرَّبْعِ مِنْ بُعْدِهِمُ بَعْضُ الّذي بِي
وَاحْبِسَا الرّكْبَ عَلى حاجَةِ ذي القَلْبِ الطّرُوبِ
مُسْتَهَامٌ دَلّهُ الشّوْقُ عَلى دارِ الحَبِيبِ
مَوْقِفٌ مُيّزَ للرّكْبِ بَرِيّاً مِنْ مُرِيبِ
يا غَزَالَ الرّمْلِ ! قَلْبي لَكَ مُنْقَادُ الجَنِيبِ
هَلْ سَبِيلٌ لي إلى رَاحَةِ قَلْبٍ مِنْ وَجِيبِ
نَظْرَةٌ يَمْلِكُهَا الطّرْفُ عَلى عَيْنِ الرّقِيبِ
مَا لِقَائي مِنْ عَدُوّي كَلِقَائي مِنْ مَشِيبِ

[1] السوافي : الرياح التي تسفو التراب ، تذروه .

مُوقِدٍ نَاراً أضَاءَتْ فَوْقَ فَوْدَيّ عُيُوبِي
وَبَيَاضٍ هُوَ عِنْدَ الـ بِيضِ مِنْ شَرّ ذُنُوبِي
يَا قِوَامَ الدّينِ وَالقَا ئِمُ مِنْ دُونِ الخُطُوبِ
وَالّذِي يَدْعُو النّدَى مِنْـ هُ بِدَاعٍ مُسْتَجِيبِ
وَمُغَطّي الذّنْبِ بِالعَفْـ وِ وَكَشّافَ الكُرُوبِ
بِيَدَيْهِ رَكْدَةُ السّلْـ مِ ، وَزَلْزَالُ الحُرُوبِ
قُرِعَتْ مِنْ عُودِهِ الأعْـ دَاءُ بِالنّبْعِ الصّلِيبِ[1]
بِمَهِيبِ البِشْرِ في المَحْـ فِلِ مَرْجُوّ القُطُوبِ
قَائِدِ الخَيْلِ تَسَاقَى بِدَمِ الطّعْنِ الصّبِيبِ
كُلُّ أحْوَى عَاقِصٌ بِالدّ مِ أطْرَافَ السّبِيبِ[2]
مِنْ رِجَالٍ أسْفَرُوا بالـ طّوْلِ أيّامَ الشّحُوبِ
كَثُرُوا مَجْداً وَطَابُوا مِنْ نَجِيبٍ ، فَنَجِيبِ
وَتَرَى الحَيّ سِوَاهُـمْ مُكْثِراً غَيرَ مَطِيبِ
رُبّ غَاوٍ طُرُقَ المَجْـ دِ طُرُوقَ المُسْتَرِيبِ
سَاوَرَ الأمْرَ ، وَلَمْ يَعْلَمْ بِأسْرَارِ الغُيُوبِ
ظُلّةٌ يَسْلُكُ مِنْهَـا لَقَماً غَيْرَ رَكُوبِ
أبَداً يَدْحُو بِهِ الغَيّ إلى الأمْرِ المُرِيبِ

١ النبع : شجر تتخذ منه القسي والسهام .
٢ الأحوى : أسود الشعر . العاقص : الضافر ، أو المضفور . السبيب : خصلة الشعر

سَارَ وَالأُمَّـاتُ يُعْدِدْنَ لَهُ شَقّ الجُيُوبِ
يُسْلِفُ الدَّمْعَ ، يَقِيناً بِرَدَى اليَوْمِ العَصِيبِ
شَامَهَا وَانْصَاعَ مَحْلُولَ عُرَى القَلْبِ النَّخيبِ[1]
مُرْهَقَ الوَقْفَةِ لا يَغمِزُ سَاقاً مِنْ لُغُوبِ[2]
طَارِحاً مُنْخَرِقَ السّجْلِ إلى جُولِ القَلِيبِ[3]
مَزِقَ الجِلْدِ يُرَى القَلْبُ مِنَ الجُرْحِ الرّغِيبِ[4]
نَاجِياً ، مُنْقَلَبَ الأبْغَثِ مِنْ بَازٍ طَلُوبِ[5]
يَوْمَ لا يَثْبُتُ وَجْهٌ مِنْ كُلُومٍ وَنُدُوبِ
نَغَرَتْ قِدْرُ المَنَايَا مِنْ أُوَارٍ وَلَهِيبِ[6]
تَقْذِفُ المَوْتَ ، إذا حُشّ لَظَاهَا بالكُعُوبِ[7]
اخْسَئي يَا نُوَبَ الأيّامِ مَا عِشْتُ وَخيبي
وَارْجِعي نَاصِلَةَ الأظْفَارِ بِيَنْضَاءَ النُّيُوبِ[8]
عَجَباً كَيْفَ تَطَاوَلْتِ إلى اللّيْثِ المَهِيبِ

١ النخيب : الجبان .
٢ الغمز : العرج . اللغوب : التعب .
٣ السجل : الدلو . الجول : الجدار . القليب : البئر .
٤ الرغيب : الواسع الجوف .
٥ الأبغث : طائر .
٦ نغرت : غلت .
٧ حش : أوقد . الكعوب ، الواحد كعب : الأنبوبة بين العقدتين
٨ ناصلة الأظفار : خارجة أظفارها من مواضعها .

وَإلى طَوْدٍ مِنَ العِــزّ ةِ مِزْلاقِ الجُنُوبِ
ظَهْرُ صَعْبٍ يَقِصُ الرّا كِبَ مِنْ قَبْلِ الرّكُوبِ
كَمْ لَبِسْتُ الطَّوْلَ منكمْ بَدَلَ البُرْدِ القَشِيبِ
نِعَمٌ كَالمُزْنِ نَقّطْ نَ ثَرَى الرّوْضِ الغَرِيبِ
نَافِحَاتٍ بِنَسِيمٍ ، سَافِيَــاتٍ بِذَنُوبِ[1]
كُلَّ يَوْمٍ أنَا مِنْهَــا بَيْنَ داعٍ وَمُجِيبِ
انْجُ مِنْ رَوْعاتِ أيّــا مٍ وَغارَاتِ خُطُوبِ
بَاقِياً مَا اختَلَفَ النَّوْ رُ عَلى الغُصْنِ الرّطِيبِ
هَزّةَ الرّيحِ سَلِيمــاً مِنْ وُصُومٍ وَعُيُوبِ[2]
لا لَقَاكَ الخَطْبُ إلاّ رَامِياً غَيْرَ مُصِيبِ
كُلّمَا أفْنَيْتَ عَقْباً جَاءَ دَهْرٌ بِعَقِيبِ
مِهْرَجَانٌ عَادَ إلْمَا مَ مُحِبٍّ بِحَبِيبِ
وَافِداً جَاءَ مِنَ الإقْ بَالِ في زَوْرٍ غَرِيبِ
إنّ رَيْبَ الدّهْرِ أمْسَى لَكَ مَأمُونَ المَغِيبِ
هَلْ لِداءٍ بَيْنَ جِسْمٍ وَفُؤادٍ مِنْ طَبِيبِ
هُوَ في الأجْسَامِ مِنكُمْ ، وَهْوَ مِنّا في القُلُوبِ
يَا طُلُوعَ البَدْرِ ! لا نَالَكَ مَحذُورُ الغُرُوبِ

[1] السافيات : الذاريات . الذنوب : الدلو .
[2] هزة الريح : أي نشيطاً .

صدقت ظن العلى

قال رحمه الله يمدح الوزير أبا نصر سابور بن ازدشير وقد قدم مع شرف الدولة إلى بغداد سنة ست وسبعين وثلثمائة:

ما يَصْنَعُ السّيرُ بالجُرْدِ السّرَاحِيبِ ... إنْ كانَ وَعدُ الأماني غيرَ مَكذوبِ[1]

لله أمرٌ مِنَ الأيّامِ أطْلُبُهُ ، ... هَيهاتَ أطْلُبُ أمراً غيرَ مَطْلُوبِ

لا تَصْحَبِ الدّهرَ إلاّ غيرَ مُنتَظِرٍ ، ... فَالهَمُّ يَطْرُدُهُ قَرْعُ الظّنَابيبِ[2]

وَاقذِفْ بنَفسِكَ في شَعواءَ خابِطَةٍ ، ... كالسّيلِ يَعصِفُ بالصّوّانِ وَاللُّوبِ[3]

إنْ حنّتِ النِّيبُ شَوْقاً، وَهيَ وَاقفةٌ ، ... فَإنّ عَزْمي مُشتَاقٌ إلى النِّيبِ

أوْ صَارَتِ البِيضُ في الأغمادِ آجِنَةً ، ... فإنّما الضّرْبُ مَاءٌ غَيرُ مَشْرُوبِ

مَتَى أرَاني وَدِرْعي غيرُ مُحقَبَةٍ ، ... أجُرّ رُمحي، وَسَيفي غيرُ مَقرُوبِ[4]

أيْدٍ تَجاذَبُ دُنْيَا لا بَقَاءَ لَهَا ، ... خِبَاؤهَا بَينَ تَقْوِيضٍ وَتَطْنِيبِ

قَدكُنتُ غِرّاً وكانَ الدّهرُيَسمَحُ لي، ... إنّ الرّقيبَ عَلى دُنْيَايَ تَجرِبي

وَعَدْتَ يا دَهْرُ شَيئاً بِتُّ أرْقُبُهُ ، ... وَمَا أرَى منكَ إلاّ وَعْدَ عُرْقُوبِ

١ السراحيب : الطويلة ، الواحد سرحوب .

٢ الظنابيب ، الواحد ظنبوب : حرف عظم الساق من قدم . ومعنى قرع الظنابيب : الجد في الأمور وعدم الفتور .

٣ الشعواء : الغارة المتفرقة . اللوب : العطش .

٤ محقبة : موضوعة في الحقيبة . المقروب : الموضوع في قرابه .

وَحَاجَةٍ أتَقَاضَاهَا وَتَمْطُلُنِي ، كَأنّهَا حَاجَةٌ في نَفْسِ يَعقُوبِ

لأُتْعِبَنّ عَلى البَيْداءِ رَاحِلَةً ، وَاللّيْلُ بالرّيحِ خفّاقُ الجَلابيبِ

ماكنتُ أرْغَبُ عن هوْجاءَ تَقذِفُ بي هَامَ المَرَوْرَى وَأعنَاقَ الشّنَاخيبِ[1]

في فِتيةٍ هَجرُوا الأوْطانَ وَاصْطَنَعوا أيدِي المَطَايَا بإدْلاجٍ وَتَأوِيبِ[2]

مِنْ كلّ أشعَثَ مُلتاثِ اللّثَامِ ، لَهُ لَحْظٌ تُكَرِّرُهُ أجفَانُ مَدْؤوبِ[3]

يُوَسِّدُ الرّحْلَ خَدّاً مَا تَوَسّدَهُ قَبلَ المَطالبِ غيرُ الحُسنِ وَالطّيبِ

إلَيكَ طارَتْ بِنا نُجُبٌ مُدَفَّعَةٌ ، تحتَ السّياطِ ، رَميضَاتُ العَرَاقيبِ[4]

وَرَدْنَ مِنْكَ سَحَاباً غَيرَ مُنْتَقِلٍ عَنِ البِلادِ ، وَبَدْراً غَيرَ مَحجوبِ

مَا زِلْتَ تَرْغَبُ في مَجْدٍ تُشَيّدُهُ عَفْواً وَغَيرُكَ في كَدٍّ وَتَعذِيبِ

حتى بَلَغْتَ مِنَ العَلْيَاءِ مَنْزِلَةً ، تُفْدَى الأعَاجِمُ فِيها بالأعارِيبِ

إنّي رَأيْتُكَ مِمّنْ لا يُخَادِعُهُ حَثُّ الزّجَاجَةِ بالغِيدِ الرّعَابيبِ

وَلا تَحُلّ يَدُ الأقْداحِ حُبْوَتَهُ ، إذا احتَبَى بَيْنَ مَطعُونٍ وَمَضرُوبِ

يُهَابُ سَيفُكَ مَصْقولاً وَمُختَضِباً ، وَأهيَبُ الشَّعرِ شَيبٌ غَيرُ مَخضُوبِ

يَأوِي حُسامُكَ إنْ صَاحَ الضّرَابُ بِه إلى لِوَاءٍ مِنَ العَلْيَاءِ مَنْصُوبِ

وَيَرْتَمي بكَ ، وَالأرْمَاحُ وَالِغَةٌ طِمَاحَ كُلّ أسِيلِ الخَدّ يَعبُوبِ[5]

١ الهوجاء : الناقة السريعة . المرورى ، الواحدة مروراة : الأرض لا شيء فيها . الشناخيب : أعالي الجبال ، الواحد شنخوب وشنخاب .

٢ الإدلاج : السير من أول الليل . التأويب : مشي كل النهار ، والنزول في الليل .

٣ ملتاث اللثام : عاصبه . المدؤوب : المعتاد .

٤ نجب مدفعة : نياق كريمة . رميضات : محترقات .

٥ الطماح : الجماح . اليعبوب : الجواد السهل في عدوه .

لمْ يَسْلُ هَمُّكَ مِنْ مَالٍ تُفَرِّقُهُ إلاّ تَعَشّقَ أطْرَافَ الأنَابيبِ

إذا مَنَحْتَ العَوَالي كَفَّ مُسْتَلِبٍ أقطَعتَ بَذْلَ العَطايا كَفَّ مَسلوبِ

لا يرْكَبُ النّدبُ إلاّ كلَّ مُعضِلَةٍ ، كَأنّ ظَهْرَ الهُوَيْنَا غَيرُ مَرْكوبِ[1]

وَلا يرَى الغَدْرَ أهْلاً أنْ يُلِمَّ بِهِ ، وَإنّمَا الغَدْرُ مَأخُوذٌ عَنِ الذّيبِ

مَا نَالَ مَدْحي أبُو نَصْرٍ بِنَائِلَةٍ ، وَلا بِسُلْطَانِ تَرْغيبٍ وَتَرْهيبِ

إلاّ بِشيمَةِ بَسّامٍ وَتَكْرِمَةٍ غَرّاءَ تَعدِلُ عندي كلَّ مَوْهُوبِ

أنْتَ المُعِينُ عَلى أمْرٍ تُصَاوِلُهُ ، وَحَاجَةٍ شَافَهَتْنَا بِالأعَاجيبِ

وَمِثلُ سَمعِكَ يَدعُوهُ إلى كَرَمٍ ، قَوْلٌ تُشَيّعُهُ أنْفَاسُ مَكرُوبِ

سَبَى فنَاؤكَ آمَالاً لطينَتِها ، سَبْيَ الأزِمّةِ أعنَاقَ المَصَاعيبِ[2]

يا خَيرَ مَنْ قالَ بَلّغْ خَيرَ مُستَمعٍ عَنّي وَحَسبُكَ مِنْ وَصْفٍ وَتَلقيبِ

لَوْلاكَ يا مَلِكَ الأمْلاكِ سَالَ بِنَا مِنَ النّوَائِبِ عَرّاصُ الشّآبِيبِ[3]

زَجَرْتَ عَنّا اللّيَالي ، وَهيَ رَابِضَةٌ تَقْرُو بِأنْيَابِهَا عَقْرَ المَخاليبِ[4]

أرْعَيْتَنَا الكَلأَ المَمْطُورَ نَنشُطُهُ نَشطَ الخَمائِلِ بَعدَ المَرْبعِ المُوبي[5]

فكُنتَ كالغَيثِ مَسّ المَحلَ رَيّقُهُ فَهَذّبَ الأرْضَ منهُ أيَّ تَهذِيبِ

هذا أتَى قائِلاً ، وَالصّدْقُ يَنصُرُهُ ، أقالَ عُنقي وكانَ السّيفُ يُغري بي

١ الندب : الخفيف بالحاجة ، النجيب . الهوينا : التؤدة والرفق .
٢ المصاعيب ، الواحد مصعب : الفحل لم يمسه حبل ولم يركب .
٣ العراص : السحاب ذو البرق والرعد .
٤ تقرو : تقصد .
٥ ننشطه : نأخذه بسرعة . الخمائل ، الواحدة الخميلة : الموضع الكثير الشجر . الموبي : القليل الماء .

صَدَقَتَ ظَنَّ العُلَى فيه، وَحاسِدُهُ يُعطي الحَقائِقَ أطْرَافَ الأكاذيبِ
تَرَكتَهُ زَاهِداً في العَيشِ مُنقَطِعاً عَنِ القَرَاينِ مِنّا وَالأصاحيبِ
وَكانَ بالحَرْبِ يَلقى مَنْ يُنافِرُهُ ، فَصَارَ يَلقَى الأعادي بالمَحاريبِ
ما قُلتَ ما كانَ صَرْفُ الدّهرِ أدّبَهُ ، بَلى قَديماً ، وَهذا فَضْلُ تأديبِ
الحَمدُ للهِ لا أشكُو إلى أحَدٍ ؛ قَلّ الوَفَاءُ منَ الشبّانِ والشّيبِ
هَيّأتَ مَجدكَ يَستَوْفي الزّمَانَ بهِ عزْماً حُساماً ، وَرَأياً غيرَ مَغلوبِ
وَلا صَبَرْتَ عَلى ذُلٍّ وَمَنْقَصَةٍ ، وَلا حَذِرْتَ عَلى عَذْلٍ وَتَأنيبِ
خَطَبتَ شِعرِي إلى قَلْبٍ يَضِنّ بهِ ، إلاّ عَلَيكَ ، فَباشِرْ خيرَ مَخطُوبِ
شَبّبْتَ بالعِزّ ،إذْ كانَ المَديحُ لَهُ ، فَما أصُولُ بمَدْحي دُونَ تَشبيبِ
لا عُلّقَ المَوْتُ نَفْساً أنتَ صاحبُها؛ إنّ الحِمامَ مُجِبٌّ غَيرُ مَحبُوبِ

فتى تقلق الأعداء منه

يمدح الوزير أبا منصور بن صالح ويذكر هزيمة باد الكردي الخارجي بالجزيرة والموصل :

أشَوْقاً ، وَمَا زَالَتْ لَهُنّ قِبابُ ، وَذِكْرَ تَصَابٍ وَالمَشيبُ نِقابُ
وَغَيْرُ التّصَابي للكَبيرِ تَعِلّةٌ ، وَغَيْرُ الغَوَاني للبَيَاضِ صِحَابُ
وَمَا كُلُّ أيّامِ المَشيبِ مَرِيرَةٌ ، وَلا كُلُّ أيّامِ الشّبَابِ عِذابُ

أؤمّلُ ما لا يَبلُغُ العُمْرُ بَعضَهُ ، كَأنّ الذي بَعْدَ المَشيبِ شَبَابُ
وَطُعمٌ لبازي الشّيبِ لا بُدّ مُهجَتي ، أسَفّ عَلى رَاسِي ، وَطارَ غُرَابُ
لِدَاتُكَ إمّا شِبْتَ وَاتّبَعُوا الرّدَى جَميعاً ، وَإمّا إنْ رَدِيتَ وَشَابُوا
بُكَاءٌ على الدّنْيا وَلَيسَ غَضارَةٌ ، وَماضٍ مِنَ الدّنيا وَلَيسَ مآبُ[1]
إذا شِئتُ قَلّبتُ الزّمانَ وَصَافَحَتْ لِحاظي أمُوراً ، كُلُّهُنّ عُجابُ
ضَلالاً لقَلْبي ما يُجنّ مِنَ الهوَى ، وَمِنْ عَجَبِ الأيّامِ كيْفَ يُصَابُ
يُعَذَّلُ أحيَاناً ، وَيُعذَرُ مِثْلَها ، وَيُستَحسَنُ البَادي بهِ ، وَيُعابُ
وَإنّ أقَظّ المَالِكِينَ خَرِيدَةٌ ، وَإنّ أضَنّ البَاذِلِينَ كَعَابُ[2]
وَلَمّا أبَى الأظْعَانُ إلاّ فِرَاقَنَا ، وَللبَيْنِ وَعْدٌ لَيْسَ فيهِ كِذابُ
رَجَعْتُ ،وَدَمعي جازِعٌ من تجَلّدي ، يَرُومُ نُزُولاً للجَوَى فَيَهَابُ
وَأثقَلُ مَحمُولٍ عَلى العَينِ دَمعُها ، إذا بَانَ أحبَابٌ وَعَزّ إيَابُ
فَمَنْ كانَ هذا الوَجدُ يَعمُرُ قلبَهُ ، فقَلبيَ مِنْ داءِ الغَرَامِ خَرَابُ
وَمَنْ لَعِبَتْ بِيضُ الثّغُورِ بعَقْلِهِ ، فَعِندي أحَرُّ البَارِدَينِ رُضَابُ
يَعِفّ عَنِ الفَحشاءِ ذَيْلي ، كأنّما عَلَيْهِ نِطَاقٌ دُونَها وَحِجَابُ
إذا لَمْ أنَلْ مِنْ بَلْدَةٍ مَا أُرِيدُهُ ، فَمَا سَرّني أنّ البِلادَ رِحَابُ
وَهَلْ نافعي أنْ يَكثُرَ الماءُ في الدُّنا ، وَلَمّا يُجِرْني ، إنْ ظَمِئْتُ ، شَرَابُ
وَلي سَاعَةٌ في كُلّ أرْضٍ ، كأنّمَا عَلى الجَوّ مِنها وَالعُيُونِ ضَبَابُ

١ الغضارة : النعمة والسعة . المآب : الرجوع .
٢ الخريدة : البكر لم تمس . الكعاب : التي نهدت .

بَعيدَةُ أُولَى النّقْعِ مِنْ أُخْرَيَاتِهِ ، وَللطّعْنِ فيهَا جيئَةٌ وَذَهَابُ
وَمَا بَينَ خَيْلي وَالمَطالِبِ حاجِزٌ ، وَلا دُونَ عَزْمي للظّلامِ حِجَابُ
جِيَادٌ إلى غَزْوِ القَبَائِلِ تُمتَطَى ، وَأرْضٌ إلى نَيلِ العَلاءِ تُجَابُ
وَأبْلَجَ وَطّاءٍ عَلى خَدّ لَيْلِهِ ، كَما فَارَقَ النّصْلَ المَضِيَّ قِرَابُ
يَعَافُ طَعاماً مَا جَنَاهُ حُسَامُهُ ، وَخَيْرٌ مِنَ الطُّعمِ الذّليلِ تُرَابُ
وَكَيْفَ يَخافُ الذّلّ مَن كانَ دارَهُ ظَلامُ اللّيَالي ، وَالرّمَاحَ جَنَابُ
وَمَا يَبْلُغُ الأعْداءُ مِنّي بِفَتْكَةٍ ، وَدُوني فِنَاءٌ لِلأميرِ وَبَابُ
تَسَاقَطُ أطْرَافُ الأسِنّةِ دُونَهُ ، وَتَنْبُو ، وَلَوْ أنّ النّجُومَ حِرَابُ
لَبِستُ بِهِ ثَوْباً مِنَ العِزّ ، يُتّقَى طِعَانٌ مِنَ البَلْوَى بِهِ ، وَضِرَابُ
دَعَوْتُ ، فَلَبّاني ، وَلَوْ كنتُ داعياً سِوَاهُ مَضَى قَوْلٌ وَعَيَّ جَوَابُ
وَإنّ العَطَايَا مِنْ يَمِينِ مُحَمّدٍ لأمْطَرُ مِنْ قَطْرٍ مَرَاهُ سَحَابُ[1]
لحَاظٌ كَمَا شَقّ العَجاجَ مُهَنّدٌ ، وَوَجْهٌ كَمَا جَلّى الظّلامَ شِهابُ
بلا شافِعٍ يُعطي الذي أنْتَ طالِبٌ ، وَبَعْضُ مَوَاعِيدِ الرّجَالِ سَرَابُ
فَتًى تَقْلَقُ الأعداءُ مِنْهُ ، كَأنّهُ لَظَى نَاجِرٍ ، وَالخالِعُونَ ضَبَابُ[2]
إذا شاءَ نَابَ القَوْلُ عَنْ فَعَلاتِهِ ، وَقَامَ مَقَامَ العَضْبِ مِنهُ كِتَابُ
يُعَظَّمُ أحيَاناً ، وَلَيسَ تَجَبُّرٌ ، وَيَنظُرُ غَضْبَاناً ، وَلَيسَ سِبابُ

١ مراه : استدره .
٢ ناجر : كل شهر من شهور الصيف . الخالعون : المنقادون إلى هواهم ، أو الذين يعدون على الناس بشرهم .

بَغيضٌ إلى قَلبي سِوَاهُ ، وَإن غَدَتْ   لَهُ نِعَمٌ تَتْرَى إليّ رِغَابُ

وَعِبْءٌ عَلى عَيْنَيّ رُؤيَةُ غَيْرِهِ ،   وَلَوْ كانَ لي فيهِ مُنًى وَطِلابُ

فَلا جودَ إلاّ أنْ تَمَلّ مَطَامِعٌ ،   وَلا عَفْوَ إلاّ أنْ يَطُولَ عِقَابُ

فِداؤكَ قَوْمٌ أنْتَ عالٍ عَلَيْهِمُ ،   شِدادٌ عَلى بَذْلِ النّوَالِ صِعَابُ

إذا بَادَرُوا مَجداً بَرَزْتَ، وَبَلّدُوا،   وَإنْ طالَعُوا عِزّاً شَهِدْتَ وَغابُوا[1]

وَقاؤكَ مِنْ ذَمّ العِدى خُلفُ نائلٍ   يَدُرّ ، وَلَمْ تُرْبَطْ عَلَيهِ عِصَابُ[2]

وَما كلّ مَن يَعلُو كقَدرِكَ قَدْرُهُ ؛   وَلا كُلّ سَامٍ في السّمَاءِ عُقَابُ

وَمَا المَلِكُ المَنْصُورُ إلاّ ضُبَارِمٌ ،   لَهُ منكَ ظُفْرٌ في الزّمانِ وَنَابُ[3]

بعزْمِكَ يَمضِي عزْمُهُ في عَدُوّهِ ،   مضَاءَ طَرِيرٍ أيّدَتْهُ كِعَابُ[4]

تَلافَيْتَ أسْرَابَ الرّعيّةِ ، بَعْدَمَا   تَوَقّدَ أضْغَانٌ لهَا وَضِبَابُ[5]

وَلَمّا طَغَى بَادٍ وَأضرَمَ نَارَهُ   عَلى الغَدْرِ ، إنّ الغَادِرِينَ ذِئَابُ

بَعَثْتَ لَهُ حَتْفاً بغَيرِ طَليعَةٍ ،   تَخُبّ بهِ قُبُّ البُطُونِ عِرَابُ

نَزَائعُ يَعجُمنَ الشّكيمَ ، وَقد جرَى   عَلى كُلّ فَيفَاءٍ دَمٌ وَلُعَابُ[6]

خَوَاطِرُ بالأيدي لَوَاعِبُ بالخُطَى ،   وَللطّعْنِ في لَبّاتِهِنّ لِعَابُ

١ بلدوا : ضربوا بأنفسهم الأرض .

٢ الخلف : للناقة كالثدي للمرأة . النائل : العطاء .

٣ الضبارم : الأسد الشديد الخلق .

٤ الطرير : المسنون . الكعاب : الرماح .

٥ الضباب ، الواحد ضب : الحقد الخفي .

٦ يعجمن : يلكن . الشكيم ، الواحدة شكيمة : الحديدة المعترضة في فم الفرس . الفيفاء : المفازة لا ماء فيها . اللعاب : ما سال من الفم .

وَلا أرْضَ إلاّ وَهْيَ تَحثُو تُرَابَهَا عَلَيهِ ، وَتَرْمِيهِ رُباً وَعِقَابُ
فَوَلّى وَوَلّيْتَ الجِيَادَ طِلابَهُ ، وَسَالَتْ مُرُوجٌ بالقَنَا وَشِعَابُ
تَغامَسَ في بَحرِ الحَديدِ ، وَخَلفَهُ لِمَاءِ المَنَايَا زَخْرَةٌ وَعُبَابُ
وَقَدْ كانَ أبدَى تَوْبَةً ، لَوْ قَبِلتَها، وَلَوْ نَفَعَ الجَاني عَلَيْكَ مَتَابُ
كَأني برَكْبٍ حَابِسٍ هُوَ مِنهُمُ ، أقَامُوا بأرْضٍ ، وَالجُذُوعُ رِكَابُ[1]
عَوَارِيَ إلاّ مِنْ دَمٍ فَتَأتْ بِهِ مَعَاصِمُ مِنْ أسرِ الرّدَى وَرِقَابُ[2]
يُعَرِّدُ عَنهُمْ كلُّ حيٍّ ، كَأنّهُمْ جِمَالٌ مُطَلاّةُ الجُلُودِ جِرَابُ[3]
وَلله عَارٍ في بَنَانِكَ مَتْنُهُ يَشُبّ، وَمِنْ لَوْنِ المِدادِ خِضَابُ[4]
أمِينٌ عَلى سِرٍّ ، وَلَيسَ حَفِيظَةً ؛ وَمَاضٍ عَلى قِرْنٍ ، وَلَيس ذُبَابُ
وَمَا مَسّهُ مَجْدٌ ، بلَى إنّ رَاحَةً لهَا نَسَبٌ في المَاجِدِينَ قِرَابُ
وَإنّي لأرْجُو مِنْكَ حَالاً عَظِيمَةً ، وَأمْراً أُرَجّي عِنْدَهُ وَأهَابُ
لَعَلّ زَمَاني يَنْثَني لي بِعَطْفَةٍ ، وَتَرْضَى مُلِمّاتٌ عَلَيّ غِضَابُ
وَمَا أنَا مِمّنْ يَجْعَلُ الشِّعرَ سُلّماً إلى الأمْرِ إنْ أغنَى غِنَاهُ خِطَابُ
وَلَيسَ مَديحٌ ما قَدَرْتُ ، فإنْ يكُن مَديحٌ عَلى رُغمي ، فَلَيْسَ ثَوَابُ
أبَى لي عَليٌّ وَالنّبيُّ وَفَاطِمٌ جُدُودِيَ أنْ يُلوِي بعِرْضِيَ عَابُ

١ الجذوع ، الواحد جذع : ساق النخلة . الركاب : الإبل . لعله أراد أنهم مصلوبون في جذوع النخل ، فكأنها إبل لهم ركبوها .
٢ فتأت : زالت . الأسر : الشدة .
٣ يعرد : ينحرف . مطلاة : ملطخة . الجراب : الجربى .
٤ أراد بالعاري : السيف . يشب : يتقد .

فَلا تُغضِ عَنْ يَوْمِ العَدُوّ وَلَيلِهِ ، وَثَمّ طُلُوعٌ بِالأذَى وَغِيَابُ
فَقَد يَحمِلُ الباغي عَلى المَوْتِ نفسَه إذا صَفِرَتْ مِمّا أرَادَ وِطَابُ
وَخُذْ ما صَفَا من كُلّ دَهرٍ ، فإنّما غَضَارَتُهُ غُنْمٌ لَنَا وَنِهَابُ
وَعِشْ طالِعاً في العِزّ كُلّ ثَنِيّةٍ ، عَلَيْكَ خِيَامٌ للعُلَى وَقِبَابُ

لهفي على عهد الشباب

يمدح أبا علي وزير بهاء الدولة ويعاتبه وكان بينهما عقد المصاهرة على بنت الوزير ثم انفسخ لأسباب تجددت وكتب بها إليه من فارس :

أمَانيُّ نَفْسٍ مَا تُنَاخُ رِكَابُهَا ، وَغَيْبَةُ حَظٍّ لا يُرَجّى إيَابُهَا
وَوَفْدُ هُمُومٍ مَا أقَمْتُ ببَلدَةٍ ، وَهُنّ مَعي ، إلاّ وَضَاقَتْ رِحَابُهَا
وَآمَالُ دَهْرٍ إنْ حَسِبتُ نَجاحَها، تَرَاجَعَ مَنْقُوضاً عَليّ حِسَابُهَا
أهُمّ ، وَتَثْني بالمَقادِيرِ هِمّتي ، وَلا يَنْتَهي دَأبُ اللّيَالي وَدابُهَا
فَيَا مُهْجَةً يَفنَى غَليلاً ذَمَاؤهَا ، وَيَا لِمّةً يَمْضِي ضَيَاعاً شَبَابُهَا[1]
وَعِندي إلى العَلياءِ طُرْقٌ كَثيرَةٌ ، لوِ انجابَ مِنْ هذي الخطوبِ ضَبابُهَا
عِنَادٌ مِنَ الأيّامِ عَكْسُ مَطالبي إذا كانَ يُوطيني النّجاحَ اقتِرَابُهَا[2]

١ الغليل : حرارة الجوف . الذماء : الحشاشة .
٢ يوطيني : يوطئني ، يجعلني أطأ .

وَحَظّيَ مِنْها صَابُهَا دونَ شَهدِها ، فلَوْ كانَ عندي شَهدُها ثمّ صَابُهَا
تَميلُ بأطْماعِ الرّجَالِ برُوقُهَا ، وَتُوكَى عَلى غِشّ الأنَامِ عِيَابُهَا[1]
وَلَكِنّهَا الدّنْيَا التي لا مَجيئُهَا عَلى المَرْءِ مأمُونٌ فيُخشَى ذَهابُهَا
تَفُوهُ إلَيْنَا بالخُطُوبِ فِجاجُها ، وَتَجرِي إلَيْنَا بالرّزَايَا شِعَابُهَا
ألا أبْلِغَا عَنّي المُوَفَّقَ قَوْلَةً ، وَظَنّيَ أنّ الطَّوْلَ مِنْهُ جَوَابُهَا
أتَرْضَى بأنْ أرْمي إلَيْكَ بهِمّتي ، فَأُحجَبَ عَنْ لُقيا عُلًى أنتَ بابُهَا
وَأظْمَا إلى دَرّ الأمَاني ، فتَنْثَني بأخلافِهَا عَنّي ، وَمنكَ مَصَابُهَا ؟
وَلَيسَ مِن الإنصَافِ أنْ حلّقتْ بكُم قَوَادِمُ عِزٍّ طَاحَ في الجَوّ قَابُهَا[2]
وَأصبَحتُ محصُوصَ الجَنَاحِ مُهَضَّماً، عَليّ غَوَاشِي ذِلّـةٍ وَثِيَابُهَا
تَعُدّ الأعَادي لي مَرَامي قِذافِهَا ، وَتَنْبحُني أنّى مَرَرْتُ كِلابُهَا[3]
مُقَاميَ في أسْرِ الخُطُوبِ تُهَزّ لي قَوَاضِبُهَا مَطْرُورَةً وَحِرَابُهَا
لَقَد كنتُ أرْجُو أن تكُونوا ذَرَائعي إلى غَيرِكُمْ حَيثُ العُلى وَاكتسابُهَا
فَهَذي المَعالي الآنَ طَوْعى لِأمرِكُمْ ، وَفي يَدِكُمْ أرْسَانُهَا وَرِقَابُهَا
إذا لَمْ أرِدْ في عِزّكُمْ طَلَبَ العُلى فَفي عِزّ مَن يُجدي عَليّ طِلابُهَا
وَلَوْلاكُمُ مَا كُنتُ إلاّ بِبَاحَةٍ مِنَ العِزّ مَضْرُوباً عَليّ قِبَابُهَا
أجُوبُ بِلادَ اللهِ ، أوْ أبْلُغَ التي يَسُوءُ الأعَادي أنْ يَعُبّ عُبَابُهَا

١ توكى : تربط . العياب ، الواحدة عيبة : وهي من الرجل موضع سره
٢ قابها ، الواحد قابة : الفرخ .
٣ القذاف : ما تقذفه .

وكَانَ مُقامي أنْ أقَمْتُ بِبَلْدَةٍ مُقامَ الضّوَارِي الغُلْبِ يُحذَرُ غابُهَا
وَإنّي لَتَرّاكُ المَطالِبِ إنْ نَأى بِهَا قَدَرٌ أوْ لُطّ دوني حِجَابُهَا
وَأعزِلُ مِنْ دُونِ الّتي لا أنَالُهَا نَوَازِعَ نَفْسِي ، أوْ تَذِلّ صِعابُهَا
وَأقرَبُ مَا بَيْنِي وَبَينَكَ حُرْمَةٌ تَداني نُفُوسٍ ودُّهَا وَحِبَابُهَا
شَوَاجِرُ أرْحَامٍ ، إذا ما وَصَلْتَها فَعِنْدَ أميرِ المُؤمِنِينَ ثَوَابُهَا
وَمَا بَعدَ ذا مِنْ آصِرَاتٍ إذا انتَهتْ يَكُونُ إلى آلِ النّبيّ انتِسَابُهَا
وَهَلْ تُطْلَبُ العَلياءُ إلاّ لأنْ يُرَى وَلِيٌّ يُرَجّيهَا وَضِدٌ يَهَابُهَا
فَجرّدْ لأمرِي عَزْمَةً مِنكَ صَدْقَةً كَمَطرُورَةِ الغَرْبَيْنِ يَمضِي ذُبَابُهَا[1]
وَلا تَتْرُكَنّي قاعِداً أرْقُبُ المُنَى ، وَأرْعَى بُرُوقاً لا يَجُودُ سَحَابُهَا
وَغَيْرُكَ يَقْرِي النّازِلِينَ بِبَابِهِ ، عِداتٍ كأرْضِ القاعِ يَجرِي سَرَابُهَا
بكَفّيْكَ عَقْدُ المَكْرُماتِ وَحَلُّها ، وَعِنْدَكَ إشرَاقُ العُلَى وَغِيَابُهَا
وَعِنْدِي لَكَ الغُرُّ الّتي لا نِظَامُهَا يَهي أبَداً ، أوْ لا يَبُوخُ شِهَابُهَا[2]
وَعِنْدِيَ لِلأعْداءِ فِيكَ أوَابِدٌ ، لُعَابُ الأفَاعي القَاتِلاتِ لُعَابُهَا[3]

١ الغربان : الحدان . الذباب : حد السيف .
٢ يهي : يضعف . يبوخ : يسكن ، يفتر .
٣ أراد بالأوابد : القوافي الشرد .

كم ليلة كابدنا هولها

قال هــذه القصيدة وهو في طريق نجد ، وذلك في صفر سنة ٣٩٤ ، وكان دليلهم يسمى كعباً من بني كلاب ، وهو يذكر المودة التي جرت بينه وبين الوزير أبي علي الحسن بن حمد بن أبي الزمان في طريق مكة ويصف ما لقياه في ذهابهما وعودهما وعدولهما إلى البحر :

تُرَى نُوَبُ الأيّامِ تُرْجي صِعابَهَا ، وَتَسْأَلُ عَنْ ذي لِمّةٍ مَا أشابَهَا[١]

وَهَل سَبَبٌ للشّيبِ مِنْ بَعدِ هذهِ ، فدأبُكَ يا لَوْنَ الشّبَابِ وَدابُهَا

شَرِبْنَا مِنَ الأيّامِ كَأساً مَرِيرَةً ، تُدارُ بِأيْدٍ لا نَرُدّ شَرَابَهَا

نُعَاتِبُهَا ، وَالذّنبُ مِنها سَجِيّةٌ ، وَمَنْ عاتَبَ الخَرْقاءَ مَلّ عتابَهَا[٢]

وَقالُوا : سِهامُ الدّهرِ خاطٍ وَصَائِبٌ ، فكَيْفَ لَقينا ، يا لقَوْمٍ ، صِيَابَهَا

أبَتْ لِقحَةُ الدّنيا دُرُوراً لعاصِبٍ ، وَيَحْلُبُها مَنْ لا يُعَاني عِصَابَهَا[٣]

وَقَدْ يُلْقِحُ النّعماءَ قَوْمٌ أعِزّةٌ ، وَيَخسَرُ قَوْمٌ عَاجِزُونَ سِقَابَهَا[٤]

وَكُنتُ إذا ضَاقَتْ مَنَاديحُ خِطّةٍ ، دَعَوْتُ ابنَ حَمدٍ دَعوَةً فأجابَهَا[٥]

١ ترجي : ترجيء ، تؤخر . اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

٢ الخرقاء : الحمقاء .

٣ اللقحة : الناقة ذات لبن . العاصب : الذي يشد فخذي الناقة لتدر .

٤ السقاب : ولد الناقة ساعة يولد .

٥ المناديح ، الواحد مندوح : الكثرة والسعة .

أخٌ ليَ إنْ أعيَتْ عليّ مَطالِبي ، رَمَى ليَ أغراضَ المُنَى ، فأصَابَهَا
إذا استبهَمَتْ عَلْيَاءُ لا يُهتدَى لهَا قَرَعْتُ بِهِ دُونَ الأخِلاّءِ بَابَهَا
بهِ خَفّ عَنّي ثِقْلُ فادِحَةِ النّوَى، وَحَبّبَ عِنْدي نَأيَهَا وَاغْتِرَابَهَا
ثَمَانُونَ مِنْ لَيلِ التّمامِ نَجُوبُها رَفيقَينِ تَكْسُونَا الدّيَاجي ثِيَابَهَا
نَوَمٌ بِكَعْبِ العَامِرِيّ نُجُومَهَا، إذا ما نَظَرْنَاها انتَظَرْنَا غِيَابَهَا
نُقَوِّمُ أيْدي اليَعْمَلاتِ وَرَاءَهُ ، وَتَعْدِلُ مِنْهَا أيْنَ أوْمَى رِقَابَهَا[1]
كَأنّا أنَابِيبُ القَنَاةِ يَؤمّهَا سِنانٌ مضَى قُدْماً ، فأمضَى كِعابَهَا
كَذِئبِ الغَضَا أبصَرْتَهُ عند مَطمعٍ ، إذا هَبَطَ البَيْداءَ شَمّ تُرَابَهَا
بعَينِ ابنِ لَيلى لا تُداوَى منَ القَذَى، يُرِيبُ أقاصِي رَكْبِهِ مَا أرَابَهَا
تَرَاهُ قَبُوعاً بَينَ شَرْخَيْ رِحَالِهِ ، كَمَذرُوبَةٍ ضَمّوا عَلَيها نِصَابَهَا[2]
فَمِنْ حِلّةٍ نَجتَابُهَا وَقَبِيلَةٍ نَمُرّ بِهَا مُسْتَنبِحِينَ كِلابَهَا
وَمِنْ بَارِقٍ نَهْفُو إلَيْهِ ، وَنَفْحَةٍ تُذَكّرُنَا أيّامَهَا وَشَبَابَهَا
وَلَهفي عَلى عَهْدِ الشّبَابِ وَلِمّةٍ أطَرّتْ غَداةَ الخَيْفِ عَنّي غُرَابَهَا
وَمِنْ دارِ أحْبَابٍ نَبُلّ طُلُولَهَا بِمَاءِ الأمَاقي أوْ نُحَيّي جَنَابَهَا
وَمِنْ رِفقَةٍ نَجْدِيّةٍ بَدَوِيّةٍ ، تُفَاوِضُنَا أشْجَانَهَا وَاكتِئَابَهَا

١ اليعملات : النياق المطبوعة على العمل ، الواحدة يعملة .
٢ قبوعاً : مدخلا رأسه في قميصه . شرخا الرحال : حرفاها ، ويكنى به عن كثرة السفر .
المذروبة : السيف المسموم .

وَتُذْكِرُها الأشْوَاقَ حتى تَحِنَّهَا، وَتُعْدي بأطْرَافِ الحَنينِ رِكَابَهَا
إذا مَا تَحَدّى الشّوْقُ يَوْماً قُلُوبَنا عَرَضْنَا لَهُ أنْفَاسَنَا وَالتِهَابَهَا
وَمِلْنَا عَلى الأكْوَارِ طَرْبَى ، كأنّما رَأيْنَا العِرَاقَ ، أوْ نَزَلْنَا قِبَابَهَا
نُشَاقُ إلى أوْطَانِنَا ، وَتَعُوقُنَا زِيَاداتُ سَيْرٍ مَا حَسِبْنَا حِسَابَهَا
وَكَمْ لَيْلَةٍ بِتْنَا نُكَابِدُ هَوْلَهَا، وَنَمزُقُ حَضْباها ، إذا الغَمرُ هابَهَا
وَقَد نَصَلَتْ أنضَاؤنَا مِنْ ظَلامِهَا، نُصُولَ بَنَانِ الخَودِ تَنضُو خضَابَهَا[1]
وَهَاجِرَةٍ تُلْقِي شِرَارَ وَقُودِهَا على الرّكْبِ أنعلَنا المَطيَّ ظِرَابَهَا[2]
إذا مَاطَلَتْنَا بَعْدَ ظَمْءٍ بِمَائِهَا، وَعَجّ الظّوَامي أوْرَدَتْنَا سَرَابَهَا
تَمَنّى الرّفاقُ الوِرْدَ وَالرّيقُ نَاضِبٌ، فَلا رِيقَ إلاّ الشّمسُ تُلقي لُعَابَهَا
إلى أنْ وَقَفْنَا المَوْقِفَينِ وَشَافَهَتْ بِنَا مَكّةٌ أعْلامَهَا وَهِضَابَهَا
وَبِتْنَا بجَمْعٍ ، وَالمَطيُّ مُوَقَّفٌ ، نُؤمّلُ أنْ نَلْقَى مِنًى وَحِصَابَهَا
وَطُفْنَا بِعَاديّ البِنَاءِ مُحَجَّبٍ نَرَى عِنْدَهُ أعْمَالَنَا وَثَوَابَهَا
وَزُرْنَا رَسُولَ اللهِ ثُمّ بُعَيْدَهُ قُبُورَ رِجَالٍ مَا سَلَوْنَا مُصَابَهَا
وَجُزْنَا بسيفِ البَحْرِ وَالبَحْرُ زَاخرٌ بلُجّتِهِ حتّى وَطِئْنَا عُبَابَهَا
خُطُوبٌ يُعِنَّ الشّيبَ في كلّ لِمّةٍ ، وَيُنْسِينَ أيّامَ الصِّبَا وَلِعَابَهَا

[1] نصل منه : خرج منه . الأنضاء : الهزلى من الإبل . الخود : الشابة الحسنة الخلق . تنضو خضابها : تذهب لونها .

[2] ظرابها : حجارتها الناتئة ، الواحد ظرب .

عَسَى اللهُ أنْ يَأوِي لشُعْثٍ تَناهَبوا هِبَابَ المَطَايَا نَصَّها وَانجِذابَهَا[1]
وَجَاسُوا بأيدِيهَا عَلَى عِلَلِ السُّرَى حِرَارَ أمَاعِيزِ الطّرِيقِ وَلابَهَا[2]
فيَرْمي بِهَا بَغدادَ كُلُّ مُكَبِّرٍ ، إذا مَا رَأى جُدْرَانَهَا وَقِبَابَهَا
فكَمْ دَعْوَةٍ أرْسَلْتُها عِنْدَ كُرْبَةٍ إلَيهِ فكانَ الطَّولُ مِنهُ جَوَابَهَا

ما ضحك الدهر إلا إليك

يمدح أباه ويهنئه بقدومه من فارس
خلاصه من القلعة سنة ٣٧٦ :

طُلُوعٌ هَداهُ إلَيْنَا المَغيبُ ، وَيَوْمٌ تَمَزّقُ عَنْهُ الخُطُوبُ
لَقِيتُكَ في صَدْرِهِ شَاحِباً ، وَمِنْ حِليَةِ العَرَبِيّ الشّحُوبُ
إلَيْهِ تَمُجُّ النّفُوسَ الصّدُورُ ، وَفيهِ تُهَنّي العُيُونَ القُلُوبُ
تَعَزّيْتَ مُسْتَأنِساً بالبعَادِ ، وَاللّيْثُ في كُلّ أرْضٍ غَرِيبُ
وَأحْرَزْتَ صَبْرَكَ للنّائِبَاتِ ، وَللدّاءِ يَوْماً يُرَادُ الطّبيبُ
لحَا اللهُ دَهْراً أرَانَا الدّيَا رَ يَنْدُبُ فِيهَا البَعيدَ القَرِيبُ

١ هباب المطايا : نشاطها .
٢ جاسوا : طافوا . علل السرى : حالاتها المختلفة . الحرار ، الواحدة حرة، واللاب، الواحدة لابة : الأراضي ذات الحجارة السود النخرة . الأماعيز ، الواحدة معزاء : الأرض الغليظة ، ذات أحجار .

وَمَا كَانَ مَوْتاً ، وَلَـكِنـَّهُ فِرَاقٌ تُشَقّ عَلَيْهِ الجُيُوبُ
لَئِنْ كنتَ لمْ تَستَرِبْ بالزّمَانِ ، فَقَدْ كانَ مِنْ فِعلِهِ مَا يُرِيبُ
رَمَى بكَ ،وَالأمرُ ذاوِي النّبَاتِ، فَآلَ ، وَغُصْنُ المَعَالي رَطِيبُ
وَلَمّا جَذَبْتَ زِمَامَ الزّمَانِ ، أطَاعَ ، وَلَـكِنْ عَصَاكَ الحَبيبُ
وَلَمّا استَطَالَ عَلَيْكَ البعَادُ ، وَذَلّلَ فيكَ المَطِيَّ اللُّغُوبُ[1]
رَجَوْتَ البُعَـادَ عَلى أنّهُ كَفيلُ طُلُوعِ البُدُورِ الغُرُوبُ
رَحَلْتَ ، وَفي كُلّ جَفْنٍ دَمٌ عَلَيْكَ ، وَفي كل قَلبٍ وَجيبُ
وَلا نُطْقَ إلاّ وَمِنْ دُونِـهِ عَزَاءٌ يَغُورُ وَدَمْعٌ رَبِيبُ
وَأنْتَ تُعَلّلُنَـا بِالإيَـا بِ ، وَالصّبرُ مُرْتَحِلٌ لا يَؤوبُ
وَسَرّ العِدَى فيكَ نقصُ العُقولِ ، وَأعْلَمُ أن لا يُسَرّ اللّبيبُ
أمَا عَلِمَ الحَاسِدُ المُستَغِرّ أنّ الزّمَانَ عَلَيْهِ رَقيبُ
قَدِمْتَ قُدُومَ رِقَاقِ السّحَا بِ تَخُطّ وَالرَّبعُ رَبعٌ جَدِيبُ
فَمَا ضَحِكَ الدّهْرُ إلاّ إلَيْـ ـكَ مُذْ بَانَ في حاجبَيهِ القُطُوبُ
حَلَفْتُ بِمَا ضُمّنَتْهُ الحُجُونُ وَمَا ضَمّ ذاكَ المَقَامُ الرّحيبُ
لَقَدْ سرّكَ الدّهرُ في الغادِرِينَ ، بِعُذْرٍ تَضَاءَلُ فيهِ الذّنُوبُ
وَأجْلَى رُجُوعَكَ عَنْ حَاسِدِيـ ـكَ هَذا قَتِيلٌ وَهَذا سَلِيبُ
تَحَرّقُ مِنكَ قُلُوبُ العُـدا ةِ غَيظاً، وَأنتَ ضَحوكٌ قَطُوبُ[2]

---

١ اللغوب : الإعياء الشديد .

٢ القطوب : الأسد لعبوسته .

وَأجهَلُ ذا النّاسِ مُسْتَنْهِضٌ   دُعَاءً إلى سَمْعِ مَنْ لا يُجيبُ
زَعَانِفُ يَستَصْرِخُونَ العُلَى،   وَمَا استَلَبَ العِزَّ إلاّ نَجيبُ[1]
وَطَالَ مُقَامُكَ في مَنْزِلٍ ،   تَطَلّعُ مِنْ جَانِبَيْهِ الحُرُوبُ
بِضَرْبٍ كَمَا اشْتَرَطَتْهُ السّيوفُ،   وَطَعْنٍ كَمَا اقترَحَتْهُ الكُعُوبُ
وَنَجْلٍ تَغَلْغَلَ فيهَا الطّعَا   نُ، وَانشَقّ عَنها النّجيعُ الصّبيبُ[2]
وَصُحْبَةِ كُلّ غُلامٍ عَلَيْهِ   مِنْ سِمَةِ العِزّ حُسْنٌ وَطيبُ
إذا خَضَبَ الرّمْحَ أدْمَى بِهِ ،   كَأنّ السّنَانَ بَنَانٌ خَضِيبُ
وَقَطعِكَ كُلَّ بَعِيدِ النّيَاطِ ،   كَأنّ الجَوَادَ بِهِ مُسْتَرِيبُ[3]
وَأرْضاً ، إذا مَا اجتَلاهَا الهَجِيرُ   طَلّقَهَا مِنْ يَدَيْهِ الضّرِيبُ[4]
وَمَا زَالَ مِنْكَ عَلى النّائِبَاتِ   مَقَامٌ عَظِيمٌ وَيَوْمٌ عَصِيبُ
فَيَوْمٌ حُسَامُكَ فيهِ الخَطيبُ ؛   وَيَوْمٌ لِسَانُكَ فيهِ الخَطيبُ
طَلَبْتَ لِنَفْسِكَ ، فَاطْلُبْ لَنَا   مِنَ العِزّ ، إنّ المُحَامي طَلُوبُ
وَإنْ كُنْتَ تَأنَفُ مِنْ حُبّهِ ،   فَإنّ العَلاءَ إلَيْنَا حَبِيبُ
وَمَا نَحْنُ أنْتَ ، وَكُلٌّ إلى   دُعَاءِ العُلَى طَرِبٌ مُسْتَجيبُ
وَنَحْنُ قِسَامٌ إلَيْنَا الشّبَابُ ؛   وَأنْتَ قِسَامٌ إلَيْكَ المَشيبُ[5]

---

١ الزعانف : الجماعة ليس لهم أصل واحد ، الأدعياء .
٢ النجل : الطعن الواسع الجرح . النجيع : دم الجوف . الصبيب : المصبوب .
٣ بعيد النياط : أي المفازة البعيدة الغاية .
٤ الضريب : الثلج ، والصقيع .
٥ القسام : الحسن .

عَلى أنّهُ أنْتَ عيْنُ الزّمَانِ ، وَعَيْشٌ بلا نَاظِرٍ لا يَطيبُ
وَلَوْلاكَ مَا لَذّ طَعْمُ الفَخارِ ، وَلا رَاقَ بُرْدُ العَلاءِ القَشيبُ
أترْضَى لمَجدِكَ أنْ لا يَكُونَ لَنَا مِنْ عَطايَا المَعالي نَصيبُ
فَلا يُقْعِدَنّكَ كَيْدُ الحَسُودِ ، وَانهَضْ فكُلُّ مَرامٍ قَريبُ
وَحُثّ الطِّلابَ ، فإنّا نَجُدّ ، وَأمْضِ الأمُورَ ، فَإنّا نَتُوبُ
وَلِمْ لا يَضيفُ العُلَى مَنْ لَهُ غَديرٌ مَعِينٌ وَمَرْعًى خَصيبُ
لحَيّاكَ مِنّيَ ، عِنْدَ اللّقَاءِ ، خلَقٌ عَجيبٌ وَخُلْقٌ أديبُ
وَخَلّفْتَني غَرْسَ مُسْتَثْمِرٍ ، فَطالَ وَأوْرَقَ ذاكَ القَضيبُ
ذَخَرْتُ لكَ الغُرَرَ السّائِرَاتِ ، يُعَبِّرُ عَنْهَا الفُؤادُ الكَئيبُ
تَصُونُ مَنَاقِبَكَ الشّارِداتِ أنْ تَتَخَطّى إلَيْهَا العُيُوبُ
إذا نَثَرَتْهَا شِفَاهُ الرّوَاةِ رَاقَكَ مِنها النّظامُ العَجيبُ
وَإنّي لأرْجُوكَ في النّائِبَاتِ، إذا جَاءَني الأمَلُ المُستَثيبُ[1]

[1] المستثيب : الطالب الثواب .

قريب الفتى صديقه

يمدحه أيضاً ويهنئه بعيد الفطر سنة ٣٧٧ :

لُغَامُ المَطَايَا مِنْ رُضَابِكَ أعذَبُ، وَنَبْتُ الفَيَافي منكَ أشهَى وَأطيَبُ[١]

وَمَا لي عِندَ البِيضِ يا قَلْبِ حَاجَةٌ وَعِندَ القَنَا وَالخيلِ وَاللّيلِ مَطلَبُ

أحَبُّ خَليلَيَّ الصَّفِيّيْنِ صَارِمٌ ، وَأطيَبُ دارَيَّ الخِبَاءُ المُطَنَّبُ

ذَليلٌ لرَيبِ الدّهرِ مَن كانَ حاضراً ، وَحَرْبٌ لَدَى الأيّامِ مَنْ يتَغَرّبُ

وَلي مِنْ ظُهورِ الشَّدْقَمِيّاتِ مَقعدٌ، وَفَوْقَ مُتُونِ اللاّحقيّاتِ مَرْكَبُ[٢]

لِثامي غُبَارُ الخَيلِ في كُلّ غَارَةٍ ، وَثَوْبي العَوَالي وَالحَديدُ المُذَرَّبُ[٣]

أُساكِتُ بَعضَ النّاسِ وَالقوْلُ نافعٌ، وَأُغمِدُ عَنْ أشياءَ وَالضّرْبُ أنجبُ

وَأطمَعَني في العِزّ أنّي مُغَامِرٌ ، جَرِيٌّ عَلى الأعداءِ وَالقلبُ قُلَّبُ[٤]

وَعِنْدِيَ مِمّا خَوّلَ اللهُ سَابحٌ ، وَأسْمَرُ عَسّالٌ وَأبيَضُ مِقضَبُ[٥]

وَلَيسَ الغِنَى في الخُلقِ إلاّ غَنيمَةً تُحَامي عَلَيهَا ، وَالمَعَالي تَغَلّبُ

١ اللغام : زبد أفواه الإبل . الرضاب : الريق .

٢ الشدقميات : النياق المنسوبة إلى شدقم ، فحل للنعمان بن المنذر . اللاحقيات : أفراس منسوبة إلى لاحق ، وهو فرس عتيق .

٣ المذرب : المسموم .

٤ القلب : البصير بتقلب الأمور .

٥ السابح : الفرس . المقضب : الشديد القطع .

إذا قَلَّ مَالي قَلَّ صَحْبي ، وَإنْ نمَا فَلي من جَميعِ النّاسِ أهْلٌ وَمرْحب

غِنَى المَرْءِ عِزٌّ ، وَالفَقيرُ كَأنّهُ لَدَى النّاسِ مهنوءُ المِلاطَينِ أجرَبُ[1]

تُطالِبُني نَفْسي بِكُلّ عَظيمَةٍ ، أرَى دُونَها جاري دَمٍ يَتَصَبّبُ

وَيَأمُرُني الذُّلاّنُ أنْ لا أُطيعَهَا ، وَأعلَمُ من طُرْقِ العُلى أينَ أذهَبُ[2]

إذا كانَ حبُّ المَرْءِ للشيءِ ضَيعَةً ، فأضْيَعُ شيءٍ مَا يَقُولُ المُؤنّبُ

أنَا السّيْفُ إلاّ أنّني في مَعاشِرٍ أرَى كُلَّ سَيْفٍ فيهِمُ لا يُجرَّبُ

وَلا عِلْمَ لي بالغَيْبِ إلاّ طَليعَةً مِنَ الحَزْمِ لا يَخفى عَلَيها المُغَيَّبُ

أُجرّبُ مَنْ أهوَاهُ قَبلَ فِرَاقِهِ ، فَيصْدُقُ مِنهُ الغَدْرُ وَالوُدّ يكذِبُ

تَغَيّرُ لي أخلاقُ مَنْ كنتُ أصْطفي ، وَتَغدُرُني أيّامُ مَنْ كنتُ أصْحَبُ

فلَوْ لَوّحَتْ لي بالبُرُوقِ سَحَابَةٌ ، لأغضَيتُ عِلماً أنّ ما بانَ خُلّبُ

إذا شِئْتُ فارَقْتُ الحَبيبَ ، وَبَينَنَا مِنَ الشّوْقِ مَا يُملي عَليّ وَأكتُبُ

وَلَيسَ نَسيبي أنّ في القَلْبِ لَوْعَةً ، وَلَـكِنّني أبْكي زَمَاني وَأنْدُبُ

وَمَا نَافِعي عِنْدَ البَعيدِ تَقَرُّبي ، وَلا ضَائري عِندَ القَريبِ التّجَنّبُ

قَريبُ الفَتَى دونَ الأنَامِ صَديقُهُ ، وَلَيسَ قَريباً مِنهُ مَنْ لا يُقَرَّبُ

وَمَا في نِجَادِ السّيْفِ زَيْنٌ لحامِلٍ ، وَلا الزّينُ إلاّ للفَتَى يَوْمَ يَضرِبُ

أخُو الحرْبِ مَنْ للسّيفِ فيه عَلامةٌ ، وَللطّعنِ في جَنبَيْهِ طُرْقٌ وَمَلعَبُ

وَحَسْبُ غُلامٍ شَاهِداً بِشَجَاعَةٍ تَغيظُ العِدى ،أنّ القَنا منه تُخضَبُ

١ المهنوء : المطلي بالقطران . الملاطين : جانبي السنام .

٢ الذلان : الذليل .

إلى غَايَةٍ تَجرِي الأنَامُ لِنَحوِهَا ، فَمَاشٍ بَطِيءٌ مَشْيُهُ وَمُقَرِّبُ[1]

يَغُرُّ الفَتَى ما طالَ من حَبلِ عُمرِهِ ، وَتُرْخي المَنَايَا بُرْهَةً ، ثُمّ تَجذِبُ

يَقُولُونَ عَنْقَا مُغرِبٍ مُستَحيلَةٌ ، ألا كلّ حيٍّ ماتَ عَنقَاءُ مُغْرِبُ[2]

يَطولُ عَناءُ العيسِ ما دُمتُ فوْقَها ، وَمَا دامَ لي عَزْمٌ وَرَأيٌ وَمَذْهَبُ

وَهَوّنَ عِندي ما بقلْبي من الصّدَى ، ظِماءٌ تُجافي مَوْرِدَ المَاءِ لُغَّبُ

فَما أنَا بالوَاني ، إذا كُنتُ صَادِياً ؛ وَلا المَاءُ يُعطيني قُوًى يوْمَ أشرَبُ

وَمَا الوِرْدُ بَعدَ الوِرْدِ بَلاًّ لِغُلّتي ، وَإنْ بَلّ ظَمأَ الداعرِيّاتِ مَشْرَبُ[3]

وَمَا لي إلى غَيْرِ الحُسَينِ وَسيلَةٌ ، وَفي جُودِهِ دُونَ الرّغائِبِ أرْغَبُ

جَرِيءٌ عَلى الأمْرِ الّذي لا يَرُومُهُ مِنَ القَوْمِ إلاّ حازِمُ الرّأيِ أغْلَبُ

ألا إنّ فَحْلاً سَاعَدَتْهُ نَجِيبَةٌ ، فَجَاءَ بنَجْلٍ كَالحُسَينِ ،لَمُنجِبُ

وَإنّ مَحَلاًّ حَلّ فيهِ لَوَاسِعٌ ؛ وَإنّ زَمَاناً عَاشَ فِيهِ لَطَيّبُ

لكَ اللهُ مِنْ مُغضٍ عَلى جُرْمِ جارِمٍ ، وَلَوْ شاءَ ما استَوْلى على الذّنبِ مذنبُ

وَفي كلّ يَوْمٍ أنتَ طَالِبُ غَارَةٍ تُجرِّرُ أذْيَالَ العَوَالي وَتَسْحَبُ

تَنَامُ عَلى أمْرٍ ، وَهَمُّكَ سَاهِرٌ ، وَتَنْزِلُ عَنْ أمْرٍ ، وَعزْمُكَ يَرْكبُ

تَحَقّقَتِ الأحْيَاءُ أنّكَ فَخرُهَا ، وَأغضَتْ عَلى عِلْمٍ نِزَارٌ وَيَعرُبُ

إذا شِئْتَ أحْيَاناً شَفَاكَ مِنَ العِدى سِنَانٌ بَصِيرٌ بالطّعَانِ وَمَضْرَبُ

---

١ المقرب ، من قرب الفرس : عدا سريعاً .

٢ عنقاء مغرب : طائر وهمي .

٣ الغلة : العطش الشديد . الداعريات : إبل منسوبة إلى داعر بن الحماس .

وَخَيْلٌ لهَا في كلّ شَرْقٍ وَمَغرِبٍ عقَيرٌ مُدَمّى أوْ طَعينٌ مُخَضَّبُ
إذا طَلَعَتْ نَجداً أضَاءتْ وُجُوهُهَا وَقُدّامهَا مِنْ سائِقِ النّقْعِ غَيهَبُ
يَصيحُ القَنَا في كُلّ حَيٍّ تَرُومُهُ ، وَيُرْدي بكَ الأعداءَ يوْمٌ عصَبصَبُ[1]
ألا رُبّ حَالٍ سَاعَدَتكَ وَفتْكَةٍ رَدَدتَ بهَا قَرْنَ الرّدى وَهوَ أعضَبُ[2]
رَمَيْتَ بهَا قَلْبَ العَدُوّ بخيفَةٍ ، وَأعرَضْتَ ، وَالمَغرُورُ يَلهُو وَيَلعَبُ
كَمَا خرَقَ الرّامي بسَهْمٍ رَمِيّه ، وَأعْرَضَ عِلْماً أنّهُ سَوْفَ يَعطَبُ
عَدُوّانِ ، أمّا وَاحِدٌ فَمُكَاشِفٌ جَرِيٌّ ، وَأمّـا آخَرٌ فَمُؤلِّبُ
يُمَسِّحُ خلْفَ الشّرّ ذاكَ بخيفَةٍ ، وَهذا طَوِيلُ البَاعِ يَمرِي فيَحلُبُ
يرُومونَ غَيّاً ،وَالعوَائِقُ دونَهُمْ ، وَيَرْمُونَ بَغْياً ، وَالمَقاديرُ تَحجُبُ
سَما بِكَ طَلاّعاً إلى العُمْرِ مَشرِقٌ ، وَأدْبَرَ بالبَاغي إلى المَوْتِ مَغرِبُ
فَذاكَ كمَا شاءَ الفُسُوقُ مُبَغَّضٌ ، وَأنْتَ كَمَا شاءَ العَفَافُ مُحَبَّبُ
أُهَنّيكَ بِالعيدِ الجَديدِ تَعِلّةً ، وَغَيرُكَ بالأعْيادِ وَاللّهوِ يُعجَبُ
فَلا زَالَ مَمْدُوداً عَلَيْكَ ظِلالُهُ ، وَلا زِلْتَ في نَعمَائِهِ تَتَقَلّبُ
وَلا ظَفِرَ البَاغي عَلَيْكَ بفُرْصَةٍ ، وَلا طَلَبَ الأعداءُ ما كنتَ تَطْلُبُ
غَمَامُكَ فَيّاضٌ ،وَرِيحُكَ غَضّةٌ ، وَحَوْضُكَ ملآنٌ ،وَرَوْضُكَ مُعشِبُ
إذا قُلْتُ فيكَ الشّعرَ جَوّدَ مادِحٌ ، وَأكثَرَ وَصّافٌ ، وَأعرَقَ مُطْنِبُ

١ العصبصب : الشديد .
٢ الأعضب : المكسور .

وَغَيرُكَ لا أُطْرِيهِ إلاّ تَكَلّفاً ، وَغَيرُ حَنيني عِندَ غَيرِكَ مُصْحِبُ[1]
بَغِيضٌ إلى الأيّامِ أنّكَ لي حِمًى ، وَغَيْظُ بَني الأيّامِ أنّكَ لي أبُ
أبَعْدَ النّبيّ وَالوَصِيّ تَرُوقُني مَنَاسِبُ مَنْ يُعزَى لَمجدٍ وَيُنسَبُ
يُقِرّ بِفَضْلي كُلُّ بادٍ وَحاضِرٍ ، وَيَحسُدُني هذا العَظِيمُ المُحَجَّبُ
وَمَنْ لي بأنْ يَشتَاقَ مَا أنَا قائِلٌ ، وَيَسمَعَ مني مَا يَرُوقُ وَيُعجِبُ
وَلَوْلا جزَاءُ الشّعْرِ مِمّنْ يُرِيدُهُ ، وَجَدْتُ كَثيراً مَنْ أُغَنّي وَيَطرَبُ
ألا إنّ رَاعي الذّوْدِ يُعْنى بذَوْدِهِ حِفاظاً وَرَاعي الناسِ حَيرَانُ مُغرِبُ[2]
أُحِبّكُمُ مَا دُمْتُ أُعْزَى إلَيكُمُ ، وَمَا دامَ لي فيكُمْ مُرَادٌ وَمَطلَبُ
وَإنّي عَنِ الرَّبْعِ الذي لا يَضُمّكُمْ عَلى كُلّ حالٍ نَازِحُ الودّ أجنَبُ
فَلا تَترُكَنّي عَاطِلاً مِنْ مُرُوّةٍ ، وَلا قَانِعاً بالدّونِ أرْضَى وَأغضَبُ
فَمَا أنَا بالوَاني ، إذا مَا دَعَوْتَني ، وَلا مَوْقِفي عَمّا شَهِدْتَ مُغَيَّبُ
أمَا لي قَرَارٌ في نَعيمٍ وَلَذّةٍ ، فإنّيَ في الضّرّاءِ أطْفُو وَأرْسُبُ
أُرِيدُ مِنَ اللهِ القَضَاءَ بحَالَةٍ تَقَرُّ بِهَا عَينٌ وَقَلْبٌ مُعَذَّبُ
وَأسألُ أنْ يُعطيكَ في العُمرِ فَسحةً ، لعِلميَ أنّ العُمْرَ يُعطَى وَيُوهَبُ

١ مصحب : ذليل ، منقاد .
٢ المغرب : الذي يأتي بالغريب .

ولقد وقفت على الأعادي

يمدحه ويهنئه بعيد الفطر سنة ٣٧٨ :

مَثْوَايَ إمّا صَهْوَةٌ أوْ غَارِبُ ، وَمُنَايَ إمّا زَاغِفٌ أوْ قاضِبُ[1]
في كُلّ يَوْمٍ تَنْتَضِيني عزْمَةٌ ، وَتَمُدّ أعْنَاقَ الرّجَاءِ مَآرِبُ
قَلْبٌ يُصَادِقُني الطِّلابَ جَرَاءَةً ، وَمِنَ القُلُوبِ مُصَادِقٌ وَمُوَارِبُ
مَا مَذْهَبي إلاّ التّقَحُّمُ بالقَنَا بَينَ الضّلُوعِ وَللرّجَالِ مَذاهِبُ
وَعَليّ في هَذا المَقَالِ غَضَاضَةٌ ، إنْ لمْ يُساعِدْني القَضَاءُ الغَالِبُ
مَا لي أُخوَّفُ بالرّدَى ، فَأخَافُهُ ، هَيهاتَ لي في الخَلْقِ بَعدُ عَجائِبُ
وَالعَزْمُ يَطْرَحُني بِكُلّ مَفَازَةٍ ، مُتَشابِهٍ فيهَا زُبًى وَغَوَارِبُ[2]
أُعْطي الهَجيرَ مُرَادَهُ مِنْ صَفْحَتي ، وَتَكُدّ سَمْعي بالصّرِيرِ جَنادِبُ[3]
إمّا أُقيمُ صُدُورَ مَجْدي بِالقَنَا ، وَيَقَرُّ عَضْبي ، أوْ تَقُومُ مَنادِبُ
مُتَأنّقاً ، وَذُرَى الرّمَالِ كَأنّهَا ، دونَ النّوَاظِرِ ، عارِضٌ مُتَراكِبُ[4]
أصَبَابَةً مِنْ بَعْدِ مَا ذَهَبَ الهَوَى طَلَقاً ، وَأعوَزَ مَا يُرَامُ الذّاهِبُ

١ المثوى : المنزل ، المقام . الصهوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس . الغارب : أراد به كاهل الناقة . الزاغف : أراد به الرمح الطاعن . القاضب : السيف القاطع .

٢ الزبى ، الواحدة زبية : الرابية . الغوارب : أعالي كل شيء .

٣ تكد : تتعب . الصرير : صوت الجنادب .

٤ متأنقاً : متتبعاً . العارض : الجبل المعترض .

وَعَليّ تَضْمِيرُ الجِيَادِ لِغَارَةٍ ، فِيها خَضِيبٌ بالدّمَاءِ وَخَاضِبُ
أرضاً، وَذُؤبَانُ الخُطوبِ تَنوشُني ، وَالعَزْمُ مَاضٍ وَالرّمَاحُ سَوَالِبُ[1]
أنَا أُكْلَةُ المُغتَابِ ، إنْ لمْ أجْنِهَا شَعواءَ يَحضرها العُقابُ الغَائِبُ
وَكَأنّمَا فيها الرّمَاحُ أراقِمٌ ؛ وَكَأنّمَا فيها القِسِيّ عَقَارِبُ
قَدْ عزّ مَنْ ضَنّتْ يَداهُ بِوَجْهِهِ ؛ إنّ الذّليلَ مِنَ الرّجَالِ الطّالِبُ
إنْ كَانَ فَقْرٌ فالقَرِيبُ مُبَاعِدٌ ، أوْ كانَ مَالٌ فالبَعيدُ مُقَارِبُ
وَأرَى الغَنيّ مُطَاعِناً بِثَرَائِهِ أعْداءَهُ وَالمَالُ قِرْنٌ غَالِبُ
يَشْكُو تَبَذّليَ الصّحَابُ ، وَعَاذِرٌ أنْ يَنْبُذَ المَاءَ المُرَنَّقَ شَارِبُ
مِنْ أجْلِ هذا النّاسِ أبعدتُ الهَوَى، وَرَضِيتُ أنْ أبْقَى، وَمَا لي صَاحِبُ
وَأيُ اللّيَالي إنْ غَدَرْنَ ، فَإنّهُ مَا سَنّ أحْبَابٌ لَنَا وَحَبَائِبُ[2]
الذّنْبُ لي أنّي جَزِعْتُ وَعَنوَنَتْ عَنّي دُمُوعُ العَينِ ، وَهيَ سَوَاكِبُ
دُنْيَا تَضُرّ ، وَلا تَسُرّ ، وَذا الوَرَى كُلٌّ يُجَاذِبُهَا ، وَكُلٌّ عَاتِبُ
تُلْقي لَنَا طَرَفاً ، فَإنْ هيَ أعرَضَتْ نَزَعتْ ، وَلَوْ أنّ الجِبَالَ جَوَاذِبُ[3]
هَيهاتَ، يا دُنْيَا،وَبَرْقُكِ صَادِقٌ، أرْجو ، فكَيفَ إذاً وَبَرْقُكِ كاذِبُ
وَالنّاسُ إمّا قَانِعٌ أوْ طَالِبٌ لا يَنتَهي ، أوْ رَاغِبٌ أوْ رَاهِبُ
وَإذا نَعِمتَ فَكُلّ شَيْءٍ مُمكِنٌ ، وَإذا شَقَيتَ فكُلّ شيءٍ عَازِبُ

١ السوالب : الطوال .
٢ الوأي : الوعد .
٣ نزع عنه : كف عنه ، وأقلع .

قَدْ قُلْتُ للبَاغي عَلَيَّ ، وَدُونَهُ مِنْ فَضْلِ أحلامي ذُرًى وَذَوَائِبُ[1]
احْذَرْ مُبَاغَضَةَ الرِّجَالِ ، فإنّهَا تُدمي ، وَتَقدُرُ أنْ يَقُولَ العَائِبُ[2]
البِيدَ يا أيْدي المَطِيِّ ، فإنّني للضَّيْمِ ، إنْ أسْرَى إليَّ ، مُجَانِبُ
وَمَجاهِلُ الفَلَوَاتِ أطيَبُ مَنزِلٍ عندي ، وَأوْفَى الوَاعدينَ نَجائِبُ
وَإذا بَلَغْنَ بَنيَ الحُسَيْنَ ، فإنّهُ حَقٌّ لَهُنَّ عَلى المَطَايَا ، وَاجِبُ
في بَلْدَةٍ فيها العُيُونُ حَوَافِلٌ ، وَالرَّوْضُ غَضٌّ ، وَالرِّيَاحُ لَوَاعِبُ[3]
عَجَبٌ مِنَ الأيّامِ رُؤيَةُ مِثْلِهِ نَجْمَ العُلَى ، إذْ كلّ نَجمٍ غارِبُ
أوْرَدْنَهُ أطرَافَ كُلِّ فَضِيلَةٍ ، شِيَمٌ تُسَانِدُهَا عُلًى وَمَنَاقِبُ
وَلَهُ ، إذا خَبُثَتْ أُصُولُ عُداتِهِ ، في تُرْبَةِ العَلْيَاءِ عِرْقٌ ضَارِبُ
مُتَفَيّءُ الآرَاءِ في ظِلّ القَنَا ، تَجرِي إلَيْهِ مِنَ العَلاءِ مَذانِبُ[4]
أنْتَ المُنَوَّهُ في المَحَافِلِ بِاسْمِهِ ، وَإذا حَضَرْتَ فكُلّ لُؤمٍ غَائِبُ
لكَ من حِياضِ المَجدِ زُرْقُ جِمامها ، فلِمَ يُنَازِعُكَ الوُرُودَ غَرَائِبُ
وَيَرُومُ شأوَكَ مَنْ غُبَارُكَ ، دُونَه يَوْمَ الجِزَاءِ ، غَيَاطِلٌ وَغَيَاهِبُ[5]
نَفَحاتُ كَفّكَ للوَلِيّ غَمَائِمٌ تَهْمي ، وَهُنّ عَلى العَدُوّ نَوَائِبُ

١ الذوائب : أعالي كل شيء .
٢ تقدر : أي تجعله مقدوراً .
٣ العيون : أراد بها عيون الماء . حوافل
٤ المذانب ، الواحد مذنب : مسيل الماء .
٥ الغياطل والغياهب : الظلمات الشديدة .

فَشَمائِلٌ فيها النّدَى ، وَضَرَائِبٌ، وَكَتَائِبٌ فِيهَا الرّدَى وَمَقَانِبُ[1]

وَلَقَدْ وَقَفْتَ عَلى الأعادي وَقْفَةً فيهَا لِمَنْ أبْقَى المَنُونُ تَجارِبُ

تَحتَ العَجاجِ ، وَللدّرُوعِ قَعاقِعٌ ضَرْباً ، وَغِرْبانُ الرّماحِ نَوَاعِبُ

وَمُطَاعِنٌ وَلّى بِهَا ، وَكَأنّهُ ، مِمّا يَجُرّ مِنَ العَوَامِلِ ، حاطِبُ

مِنْ كُلّ نَافِذَةِ المَغَارِ كَأنّهَا في قَلْبِ حَامِلِهَا فَمٌ مُتَثَاوِبُ[2]

وَمُزَمْجِرٌ قَطَعَ العَجَاجَ أمَامَهُ ، للهَامِ مِنْهُ عَمَائِمٌ وَذَوَائِبُ

يَرْمي الوُحُوشَ على الوُحوشِ زُهاؤه، وَالأكْمُ فيهِ مَعَ الجِيَادِ لَوَاعِبُ

تَهْدِي أوَائِلُهُ الأوَاخِرَ كُلّمَا طَلَعَ الجَنيبُ طَغَى عَلَيهِ الجانبُ[3]

شَدٌّ كَمَعْمَعَةِ الحَرِيقِ ، وَكَبّةٌ كَاللّيلِ ، أنْجُمُهَا قَناً وَقَوَاضِبُ[4]

وَالنّقْعُ قَدْ كَتَمَ الرّبَى ، فَكَأنّهُ سَيْلٌ تَحَدّرَ ، وَالجِيَادُ قَوَارِبُ

وَلَرُبّ لَيْلٍ قَدْ طَوَيْتَ رِداءَهُ ، وَعَلى الإكَامِ مِنَ الظّلامِ جَلابِبُ

لَيْلٍ تَرَامَى بِالعَبيرِ نَسيمُهُ ، وَالتّرْبُ تَحْفِزُهُ صَباً وَجَنَائِبُ

وَرَكِبْتَ أعْجَازَ النّجُومِ وَفِتْيَةٍ مِثْلِ النّجُومِ طَوَالِعٌ وَغَوَارِبُ

خُضْنَا الظّلامَ ، وَكُلّنَا بجَنَانِهِ ماضٍ على عَجَلٍ ، وَلَيسَ كَوَاكِبُ

غُلْبٌ كَأنّهُمُ الصّقُورُ جَوَانِحاً ، وَكَأنّ أكْنَافَ الجِيَادِ مَرَاقِبُ

وَإذا قُلُوبٌ لَمْ تَكُنْ كَعُيُونِنَا لَمْ يُغْنِنَا أنّ النّجُومَ ثَوَاقِبُ

١ الضرائب : السيوف . المقانب ، الواحد مقنب : جماعة الخيل تجتمع للغارة .
٢ المغار : المدخل . متثاوب : متثائب ، من تثاءب : استرخى ففتح فاه واسعاً من غير قصد .
٣ الجنيب : المجنوب ، المنقاد . الجانب : الذي لا ينقاد .
٤ الكبة : الدفعة في القتال .

وَأذَلَّ مِنْ قَبْرِ الحُمُولِ نَشَرْتَهُ ،   فَغَدَا يُنَاهِبُكَ العُلَى وَيُجَاذِبُ

أوْسَعْتَهُ كَرَماً ، فَأوْغَرَ صَدْرَهُ   أنَّ الأقَارِبَ بَعدَهَا لَعَقَارِبُ

جُودٌ ضَعِيفٌ إنْ تُلِمَّ مُلِمَّةٌ   لمُؤمَّلٍ ، وَأذًى ألَدُّ مُشَاغِبُ

وَلَقَدْ مَلأتَ عَلى عَدُوِّكَ جِلْدَهُ ،   حتى طَمَى جِزْعٌ ، وَضَاقَ مذاهبُ[1]

بِالعَقْلِ يُبْلَغُ مَا تَعَذَّرَ بِالقَنَا ،   وَظُبَى القَوَاضِبِ ،وَالعُقُولُ مَوَاهِبُ

أمُنِيلَ طالِبِ نَائِلٍ مِنْ جُودِهِ   كمَنَالِ صَدْرِ العَضْبِ يَوْمَ يُضَارِبُ

اليَوْمُ مِنْ فَتَيَاتِ دَهرِكَ ، فارْعَهُ ،   وَجَميعُ أيّامِ الزّمَانِ أشَائِبُ

وَالعِيدُ داعِيَةُ السّرُورِ ، وَلَيْتَهُ   أبَداً عَلى بَعضِ الرّجَالِ مَصَائِبُ

فتَهَنَّ طَمّاحَ العَلاءِ ، وَلا تَزَلْ   في غَمْرِ جُودِكَ للرّجالِ رَغَائِبُ

خَيرٌ مِنَ المَالِ الذي يُعطيكَهُ ،   وَأحَدُّ مِنْ غَرْبِ الحُسامِ الضّارِبُ

هنيئاً لك العيد الجديد

يمدحه ويهنئه بعيد الفطر سنة ثلاثمائة وثمانين
ويذكر حسن تلافيه للفتنة الحادثة بين السنة والشيعة :

ألا حَيِّهَا ، ربَّ العُلى ، من غَوَارِبِ   تَعَرَّقُنِي بَيْنَ العُلَى وَالمَطَالِبِ

وَمَا لي وَللآمَالِ مِنْ دُونِهَا القَنَا   تُهَزّ ، وَسَوْرَاتُ النّوَى وَالنّوَائِبِ[2]

---

١ الجزع من الوادي : مكان قطعه .

٢ سورات النوى : سطوتها واعتداؤها .

سَئِمْتُ زَمَاناً ، تَنتَحيني صُرُوفُهُ ، وُثُوبَ الأفاعي أوْ دَبيبَ العَقارِبِ
مَقَامُ الفتَى عَجزٌ على ما يَضيمُهُ ، وَذُلٌّ الجريءِ القلبِ إحدى العجائبِ
سَأرْكَبُهَا بَزْلاءَ إمّا لِمَادِحٍ يُعَدّدُ أفْعَالي ، وَإمّا لِنَادِبِ[1]
إذا قَلّ عَزْمُ المَرْءِ قَلّ انْتِصَارُهُ ، وَأقْلَعَ عَنهُ الضّيمُ دامي المَخالِبِ
وَضَاقَتْ إلى ما يَشتَهي طُرْقُ نَفسه ، وَنَالَ قَليلاً مَعْ كَثيرِ المَعائِبِ
وَمَا بَلّغَ المَرْمَى البَعيدَ سوَى امرِىءٍ يَرُوحُ وَيَغدُو عِرْضَةً للجوَاذِبِ
وَما جرّ ذُلاًّ مِثلُ نَفْسٍ جَزُوعَةٍ ، وَلا عاقَ عَزْماً مثلُ خَوْفِ العَوَاقِبِ
ألا لَيتَ شِعرِي هَلْ تُسالمُنّي النّوَى وَتَخبُو هُمومي من قِرَاعِ المَصَائبِ
إلى كَمْ أذُودُ العَينَ أنْ يَستَفِزّهَا وَمِيضُ الأماني وَالظّنُونِ الكَوَاذِبِ
حُسِدْتُ عَلى أنّي قَنِعتُ فكَيفَ بي إذا مَا رَمَى عَزْمي مَجالَ الكَوَاكبِ
وَما زَالَ للإنْسَانِ حاسِدُ نِعمَةٍ عَلى ظَاهِرٍ مِنْهَا قَليلٍ وَغَائِبِ
وَأبْقَتْ ليَ الأيّامُ حَزْماً وَفِطْنَةً ، وَوَقّرْنَ جَأشِي بالأُمُورِ الغَرَائبِ
تَوَزّعَ لَحمي في عَوَاجِمَ جَمّةٍ ، وَبَانَ عَلى جَنبَيّ وَسْمُ التّجارِبِ
وَأرْضٍ بهَا بعتُ الصّبَابَةَ وَالصِّبَا ، وَنَاهَضَ قَلبي الهَمّ مِنْ كلّ جانبِ
وَزَوْرٍ مِنَ الأضْغَانِ نَحوِي ، كأنّما يُلاقيهِمُ شَخصِي لِقَاءَ المُحَارِبِ
أُنَاسِيهِمُ بغضَاءَهُمْ غَيرَ غَافِلٍ ، وَأسْألُهُمْ مَعرُوفَهُمْ غَيرَ رَاغِبِ
وَإنّي لأطْوِيهِم عَلى عُظْمِ دائِهِمْ ، وَأقعُدُ مِنهُمْ بَينَ دامٍ وَجَالِبِ[2]

١ البزلاء : أراد بها عظام الأمور .
٢ أطويهم : آتي إليهم . الجالب : الذي ييبس عليه الدم .

أَلا رُبَّ مَجْدٍ قَدْ ضَرَحتُ قَذاتَهُ ، وَكانَ عَلى الأيّامِ جَمَّ الشّوَائِبِ[1]
وَسِرٍّ كَتَمْتُ النّاسَ حتى كتَمتُهُ ضُلُوعي ، ولَمْ أُطْلِعْ عَلَيهِ مآرِبي
وَأغيَدَ مَحسُودٍ على نُورِ وَجْهِهِ هَجَرْتُ سِوَى لحظِ البَعيدِ المُجانِبِ
وَغيداءَ قِيدَتْ للعِناقِ مَلَكْتُها ، فَنَزّهْتُ عَنها بَعدَ وَجْدٍ تَرَائِبي
وَمَا عِفّةُ الإنْسَانِ إلاّ غَبَاوَةٌ ، إذا لمْ يُكَافِحْ داءَ وَجْدٍ مُغالِبِ
وَعزْمٍ كَأطْرَافِ الأسِنّةِ في الحَشَا طَعَنتُ بهِ كَيدَ العَدُوّ المُوَارِبِ
وَضَيْمٍ كَمَا مَضّ الجِرَاحَ نَجَوْتُهُ إلى المَنظَرِ الأعلى نَجَاءَ الرّكائِبِ[2]
وَخُطّةِ خَسْفٍ فِتُّها غَيرَ لاحِقٍ بِيَ العارُ إلاّ مَا نَفَضْتُ ذَوَائِبي[3]
عَلى هِمّةٍ ، أيْدي المَنُونِ سِياطُها، تَسُوقُ بِهَا الآمَالَ سوقَ النّجائِبِ
إلى قَائِمٍ بِالمَجْدِ يَحمي فُرُوجَهُ ، وَيَطْعَنُ عَنْهُ بالقَنَا وَالرّغَائِبِ[4]
مُقِيمٌ بِطِيبِ الذّكْرِ في كُلّ بَلْدَةٍ ، وَقَدْ عُوّدَ الأكْوَارُ جَبَّ الغَوَارِبِ[5]
فَتًى صَحِبَ البأسُ النّدى في بَنانِهِ ، بفَيضِ العَطَايَا وَالدّمَاءِ السّوَارِبِ
لأمْجَدِ فَرْعٍ في عَرانِينِ هَاشِمٍ ، وَأنجَبِ عُودٍ مِنْ لُؤيّ بنِ غالِبِ
لَهُمْ سُرّةُ المَجْدِ التّليدِ وَسِرّهُ ، وَمَحضُ المَعالي فيهِمُ وَالمَناقِبِ[6]

١ ضرحت : نحيت ودفعت .
٢ نجوته : علوته ، سبقته . النجاء : السرعة .
٣ الخطة : الحال والأمر . الخسف : النقيصة .
٤ الرغائب : العطايا ، الواحدة رغيبة .
٥ الأكوار : الرحال ، الواحد كور . جب : قطع .
٦ سرة المجد : أفضل مواضعه . سره : فضل نسبه . المحض : الخالص . المناقب : المفاخر .

يَبيتُونَ ، أغمَادُ السّيُوفِ نحُورُهُم ، وَيَغدُونَ جُرّارَ الرّمَاحِ السّوَالِبِ

تَرَقّوْا عَلَيْهَا كُلَّ مَجْدٍ وَنكّسُوا بأطرافِها عَنْ عاقِداتِ السّباسِبِ[1]

وَخَطْبٍ عَلى الزّوْرَاءِ ألقَى جِرَانَهُ ، مَدِيدِ النّواحي مُدلَهِمٍّ الجَوَانِبِ[2]

وَأضرَمَهَا حَمْرَاءَ يَنْزُو شَرارُها إلى جَنَبَاتِ الجَوّ نَزْوَ الجَنادِبِ

سَلَلْتَ عَلَيْهِ الحَزْمَ حَتى جَلَوْتَهُ كما انجابَ غَيمُ العارِضِ المُتراكِبِ

وَقَدْ عَلِمَ الأعْداءُ أنّكَ تَحتَهُ غَلَبْتَ ، وَمَا كانَ القَضَاءُ بغالِبِ

وَأقشَعتَ عَنْ بَغدادَ يَوْماً ، دَوِيُّهُ إلى الآنَ بَاقٍ في الصَّبَا وَالجَنَائِبِ

وَلَوْلاكَ عُلّي بالجَماجِمِ سُورُهَا ، وَخُنْدِقَ فيها بالدِّمَاءِ الذّوَائِبِ

وَكَمْ لكَ مِنْ يَوْمٍ تَرَكتَ به الظُّبَى مَضَارِبَهَا مَشغُولَةً بالضّرَائِبِ[3]

سَوَابِقُهُ مَا بَينَ كَابٍ وَنَاهِضٍ ، وَأقْرَانُهُ مَا بَينَ هَاوٍ وَوَاثِبِ

وَقُدْتَ إلَيْهِ الخَيلَ يُسبِينَ بالقَنَا ، وَيَسبُبْنَ بوغَاءَ المَلا وَالسّبَاسِبِ[4]

ثِقَالاً بِأعْبَاءِ العَوَالي كَأنّمَا يَطَأنَ الرّبَى وَطْءَ الإماءِ الحَوَاطِبِ

مُعاوِدَةً عَضَّ الشّكِيمِ يَمُصّها رَشَاشَ الجَوَاني بالنِّبالِ الصّوَائِبِ[5]

وَقَد شَمّرَ التّحجيلُ عَنْ جَنَبَاتِها وَحَجّلَهَا خَوْضاً نَجيعُ المَقَانِبِ[6]

١ قوله بأطرافها : الباء زائدة . السباسب : القفار . ولعله أراد بعاقدات السباسب القفار التي تعقدت فيها الرمال . ومعنى البيت غامض .

٢ ألقى جرانه : ثبت واستقر . الزوراء : بغداد .

٣ المضارب : أماكن الضرب . الضرائب : الكثيرة الضرب .

٤ يسبين بالقنا : يطعن بالقنا . يسببن الثانية : يقطعن . البوغاء : الأرض الرخوة . الملا : الصحراء .

٥ الجواني : فسرت في الديوان بالجوانب ، ولعل الشاعر حذف الباء ومثل هذا كثير في شعر العرب .

٦ النجيع : الدم . المقانب : جماعة الخيل ، وقد مر .

فَقَصَّرْتَ فيهِ كُلَّ سَمراءَ لَدْنَةٍ ، وَأَنحَلْتَ فيهِ كُلَّ أبيَضَ قاضِبِ
وَأصْدَرْتَ عنهُ الجيشَ مَن بعدِ هَبوَةٍ تُوَصِّلُ أعناقَ القَنَا وَالقَوَاضِبِ
وَأرْعَنَ دَمَّاغِ الرُّبَى في مَجرِّهِ ، يُطَبِّقُ عَرْضَ البيدِ ذاتِ المَنَاكِبِ[1]
سَرَيْتَ بِهِ حتى تَقَلَّصَ نَقْعُهُ عَنِ الفَجرِ طَلاّعاً جِبالَ الغَيَاهِبِ
وَفي كلِّ يَوْمٍ أنتَ بالعَزْمِ رَاكِبٌ قَرَاديدَ أمْرٍ لا تَذِلُّ لرَاكِبِ[2]
وَلَيسَ عَجيباً إنْ تَخَمَّطَ بَازِلٌ سَرَتْ فيهِ أعرَاقُ القُرُومِ المَصَاعِبِ[3]
تَدارَكْتَ أطنابَ الخِلافَةِ بَعْدَمَا دَنَا الضَّيمُ حتى مَسَّها بالرَّوَاجِبِ[4]
وَمَا زِلْتَ تَرْمي كُلَّ قَلبٍ مُجاذِبٍ تُجاذِبُهَا حتى قُلُوبَ الأقَارِبِ
هَنيئاً لكَ العيدُ الجَديدُ ، فَإنّهُ يَسُلُّ لك الإقبالَ عَضْبَ المَضارِبِ
وَعِزُّكَ بَاقٍ لا يُزَلْزَلُ طَوْدُهُ ، وَكُلُّ المَعَالي بَيْنَ مَاضٍ وَآيِبِ
وَمَا رَاقَتِ الأعْيَادُ إلاّ بِغُرّةٍ تَبَلّجُ عَنْ نُورٍ مِنَ المَجْدِ ثَاقِبِ
وَكَيفَ يَسُرّ الفِطرُ من عاشَ دهرَهُ بعُنوانِ مَعرُوفِ الجَنَاجِنِ شاحِبِ[5]
إذا ما امرُؤٌ لمْ يَكْسُهُ الشّيبُ عِفّةً فَما الشّيبُ إلاّ سُبّةٌ لِلأشَائِبِ
أنَا القَائِلُ المَرْمُوقُ مِنْ كلّ ناظِرٍ إذا صَلصَلَتْ للسّامِعِينَ غَرَائِبي
وَما صُنتُ شِعرِي عنكَ زُهداً ، وَإنّما هُوَ الدّرّ لا يَمرِي بغَيرِ الحَوَالِبِ

١ الأرعن : الجيش .
٢ القراديد ، الواحد قردد : ما ارتفع وغلظ من الأرض .
٣ تخمط : هدر .
٤ الرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، وأراد الاصابع كلها .
٥ الجناجن : عظام الصدر .

وَلي مِنْ قَرِيضِي مُنْبِهٌ لضَميرِهِ ،   وَلَكِنّني آبَى دَنِيَّ المَكَاسِبِ
وَمَا كُلّ شُغْلي بالمَقَالِ أرُوضُهُ ؛   وَلا أنَا بالقَوّالِ ضَرْبَةَ لازِبِ

دعيني أطلب الدنيا

يمدحه ويهنئه بعيد الأضحى من هذه السنة

أرَابَكِ مِنْ مَشيبي مَا أرَابَا ،   وَمَا هَذا البَيَاضُ عَليّ عَابَا
لَئِنْ أبغَضْتِ منّي شَيبَ رَأسِي ،   فإنّي مُبْغِضٌ مِنْكِ الشّبَابَا
يَذُمّ البِيضُ مِنْ جَزَعٍ مَشيبي ،   وَدَلٌّ البِيضِ أوّلُ مَا أشَابَا
وكَانَتْ سَكرَةٌ ،فصَحوْتُ منها ،   وَأنْجَبَ مَنْ أبَى ذاكَ الشّرَابَا
يَميلُ بي الهَوَى طَرَباً ، وَأنْأى   وَيَجذِبُني الصِّبَا غَزَلاً فَآبَى
وَيَمْنَعُني العَفَافُ كَأنّ بَيْني   وَبَينَ مَآرِبي مِنْهُ هِضَابَا
نَصَلْتُ عَنِ الصّبَا وَمُصَاحبيهِ ،   وَأبْدَلَني الزّمَانُ بهِمْ صِحَابَا
وَلَمّا جَدّ جَدٌّ البَينِ فِينَا ،   وَهَبْتُ لَهُ الظّعَائِنَ وَالقِبَابَا
وَمَا رَوّعْتُ مِنْ جَزَعٍ جَنَاناً ؛   وَلا رَوّيْتُ مِنْ دَمْعٍ جَنَابَا
دَعِيني أطْلُبِ الدّنْيَا ، فإنّي   أرَى المَسعُودَ مَنْ رُزِقَ الطِّلابَا
وَمَنْ أبْقَى لآجِلِهِ حَدِيثاً ،   وَمَنْ عَانَى لِعَاجِلِهِ اكْتِسَابَا

وَمَا المَغبُونُ إلاّ مَنْ دَهَتْهُ ، وَلا مَجْداً وَلا جِدَةً أصَابَا[1]
فَلا وَاللهِ أترُكُهَا خَلِيّاً ، وَلَمّا أجْنُبِ الأُسْدَ الغِضَابَا
وَأرْكَبُهَا مُحَصَّنَةً شَبُوباً ، تُمَانِعُ غَيرَ فارِسِها الرِّكَابَا[2]
إذا نَهنَهْتُهَا أرِنَتْ جِمَاحاً إلى أمَلي ، تُجاذِبُني جِذابَا[3]
فَإمّا أمْلأُ الدّنْيَا عَلاءً ؛ وَإمّا أمْلأُ الدّنْيَا مُصَابَا
سَجِيّةُ مَنْ رَعَى الأيّامَ ، حتى أشَابَ جَمَاجِماً مِنها ، وَشَابَا
وَهَلْ تُشْوِي حقَائقُ ألْمَعِيٍّ ، إذا مَا ظَنّ أغرَضَ أوْ أصَابَا[4]
وَلَمْ أرَ كالمَآرِبِ رَامِيَاتٍ بِنَا الدّنْيَا بِعَاداً وَاقْتِرَابَا
تُخَوِّضُنَا البِحَارَ مُزَمْجِرَاتٍ ، وَتُسْلِكُنَا المَضَايِقَ وَالعُقَابَا[5]
وَأعظَمُ مِنْ عُبَابِ البَحرِ حِرْصٌ عَلى الأرْزَاقِ أرْكَبَنا العُبَابَا
وَغُلْبٌ كالقَوَاضِبِ مِنْ قُرَيشٍ يرُوّونَ القَوَاضِبَ وَالكِعَابَا
فَمَا وَلَدَ الأجَارِبُ مِنْ تَمِيمٍ نَظِيرَهُمُ ، وَلا الشُّعرُ الرِّقَابَا[6]
وَإنّ المَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ، وَدارَ العِزِّ وَالنّسَبَ القُرَابَا
لأطوَلِهِمْ ، إذا رَكِبُوا ، رِمَاحاً ، وَأعلاهُمْ ، إذا نزلُوا ، قِبَابَا

١ الجدة : الغنى .
٢ الشبوب : الفرس تجوز رجلاه يديه .
٣ أرنت : نشطت .
٤ الحقائق : أراد بها اليقينيات . الألمعي : الذكي الفؤاد . أغرض : أصاب الغرض .
٥ العقاب ، الواحدة عقبة : المرتقى الصعب .
٦ الأجارب : حي من بني سعد . الشعر الرقاب : الرجال الأقوياء على التشبيه بالأسود ، أو لعله أراد قوماً بعينهم .

وَأغزَرِهِمْ ، إذا سُئِلوا ، عَطاءً، وَأوْحاهُمْ ،إذا غَضِبُوا، ضِرَابَا[1]
بَنُو عَمّ النّبيْ وَأقرَبُوهُ ، وَألْصَقُهُمْ بهِ عِرْقاً لُبَابَا
عُلّى بِيَدِ الحُسَينِ ذُؤابَتَاهَا، وَفَرْعَاهَا النّدا كَثْرًا وَطَابَا
وَكَانَتْ لا تُجَارُ مِنَ الأعَادي، فَسَانَدَ غَرْبُهُ ذاكَ النّصَابَا
وَحَصّنَهَا ، فَلَيسَ يَنَالُ مِنها ذَنُوباً ، مَنْ يَهُمّ ، وَلا ذِنَابَا[2]
هُمَامٌ مَا يَزَالُ بِكُلّ أرْضٍ يُبَرْقِعُ تُرْبُهَا الخَيلَ العِرَابَا
نَزَائِعَ كالسّهامِ كُسِينَ نَحضاً خَفيفاً ، لا اللّؤامَ وَلا اللُّغَابَا[3]
مُحَبَّسَةً عَلى الأهْوَالِ تَلْقَى بهَا العِقْبَانَ رَافِعَةَ الذُّنَابَى
يُوَقّرُهَا ، فتَحسَبُها أسُوداً ، وَيُطْلِقُها ، فتَحسَبُها ذِئَابَا[4]
وَأعْطَتْهُ الرّؤوسَ مُسَوَّمَاتٌ تَدُقّ بِهَا الجَنادِلَ وَالظّرَابَا[5]
إذا قَطَعَتْ بهِ شَأواً بَلاهَا بِأبْعَدَ غَايَةً وَأمَدّ قَابَا[6]
تَجاوَزُهُ المَقَاوِلُ ، وَهْوَ بَاقٍ يَبُذّ رِقَابَ غُلْبِهِمِ غِلابَا
كَنَصْلِ السّيْفِ تَسْلَمُ شَفرَتاهُ وَيُخْلِقُ كُلّ أيّامٍ قِرَابَا
إذا اشتَجَرَ القَنَا فَصَلَ الهَوَادي؛ وَإنْ قَرّ الوَغَى فَصَلَ الخِطَابَا[7]

١ أوحاهم : أسرعهم .
٢ الذنوب : الدلو . الذناب : خيط يشد به ذنب البعير .
٣ النحض : اللحم . اللؤام : من لأم السهم جعل له ريشاً . اللغاب : السهم الذي لم يحسن بريه .
٤ يوقرها : يسكنها .
٥ المسومات ، من سوم الخيل : أرسلها . الجنادل : الحجارة . الظراب : ما نتأ من الحجارة .
٦ القاب : المقدار .
٧ الهوادي : الأعناق .

بَلَى وَبَلَتْ يَداهُ مِنَ الأعَادي أرَاقِمَ نُزَّعاً وَقَناً صِلابَا
فَقَوّمَ بالأذى مِنها صِعَاداً ، وَذَلّلَ بالرُّقَى مِنْهَا صِعَابَا
وَغادَرَ كُلَّ أرْقَمَ ذي طُلُوعٍ عَلَى الأعْداءِ يَدّرِعُ التّرَابَا
حَذارِ بَني الضّغَائِنِ مِنْ جَرِيٍّ إذا مَا الرّيْبُ بَادَهَهُ أرَابَا
يَعَضٌّ عَلَى لَوَاحِظَ أفعُوانٍ ، فإنْ سِيمَ الأذَى طَلَبَ الوِثَابَا
وَإنّ وَرَاءَ ذاكَ الحِلْمِ صَوْلاً ؛ وَإنّ لِتِلْكُمُ البُقْيَا عِقَابَا
وَلَوْ أنّ الضّرَاغِمَ نَابَذَتْهُ ، تَوَلّجَ خَلْفَهَا أجَماً وَغَابَا
رَمَاكُمْ بالضّوَامِرِ مُقْرَبَاتٍ يُزَاوِلْنَ المَحَانِيَ وَالشّعَابَا[1]
وَيُعْجِلْنَ الصّرِيخَ ، وَهُنّ زَوْرٌ إلى الأعْداءِ يُرْسِلْنَ اللُّعَابَا[2]
فأرْعَى مِنْ جَمَاجِمِكُمْ جَمِيماً، وَأمطَرَ مِنْ دِمائِكُمُ سَحَابَا
لكَ الهِمَمُ التي عَرَفَ الأعَادي تَشُبّ بِكُلِّ مُظْلِمَةٍ شِهَابَا
إذا خَفَقَتْ رِيَاحُ العَزْمِ فيهَا تَبَلّجَ عَارِضٌ منهَا ، فَصَابَا
وَمُشْرَعَةِ الأسِنّةِ ذاتِ جَرْسٍ يَقُودُ عُقَابُ رَايَتِها العُقَابَا[3]
تَخُوضُ اللّيْلَ يَلْمَعُ جَانِبَاهَا، كَأنّ الصّبحَ قَدْ حَذَرَ النّقَابَا
لهَا في فُرْجَةِ الفَجْرِ اختِلاطٌ ، يَرُدّ الصّبْحَ من رَهَجٍ غِيَابَا

١ المحاني : معاطف الأودية .

٢ اللعاب : السم .

٣ مشرعة الأسنة : الكتيبة . الجرس : الصوت . يقود عقاب رايتها العقاب: لعله أراد أن العقبان حينما ترى راياتها سارت إلى الحرب تتبعها يقيناً منها أنها ستأكل من جثث أعدائها .

وَتَغْدُو كالكَوَاكِبِ لامِعَاتٍ ... تُمَزِّقُ مِنْ عَجاجَتِها الحِجَابَا
يُصَافِحُها شُعَاعُ الشَّمسِ حتّى ... كَأنّ عَلى الظُّبَى ذَهَباً مُذابَا
صَدَمتَ بهَا العَدُوّ ، وَأنتَ تَدعو ... نَزَالِ ، فَأيُّ داعيَةٍ أجَابَا
وَقَوّضْتَ الخِيَامَ تَذُبّ عَنها ... أُسُودُ وَغًى ، وَأصْفَرْتَ الوِطَابَا
رَأيْنَا الطّابِعَ المَيْمُونَ بَدْءاً ... يَسُلُّكَ في النّوَائِبِ ، وَاعتِقَابَا
وَلَمّا جَرّبَ البِيضَ المَوَاضِي ، ... رَآكَ مِنَ الظُّبَى أمضَى ذُبَابَا
فَألحَمَكَ العِدَى ، حتّى تَهاوَوْا ... وَلا دِمَناً تَحِسّ وَلا ضِبَابَا[1]
هَنَاكَ قُدُومُ أعيَادٍ طِرَاقٍ ، ... تَصُوبُ العزّ ما وَجدَتْ مَصَابَا
وَأيّامٌ تَجُوزُ عَلَيْكَ بِيضٌ ، ... وَقَدْ قَرَعَتْ مِنَ الإقبَالِ بَابَا
فكَمْ يَوْمٍ كيَوْمِكَ قُدتَ فيهِ ، ... عَلى الغُرَرِ ، المَقانِبَ وَالرّكَابَا[2]
إلى البَلَدِ الأمينِ مُقَوَّمَاتٍ ... يُمَاطِلُهَا التّعَجّلَ وَالإيَابَا
بحَيثُ تُفَرِّغُ الكُومُ المَطَايَا ... حَقَائِبَهَا ، وَتَحتَقِبُ الثّوَابَا
مَعالِمُ إنْ أجَالَ الطّرْفَ فِيهَا ... مُصِرٌّ القَوْمِ أقْلَعَ ، أوْ أنَابَا
فَفُزْتَ بِهَا ثَمَانيَ مُعْلَمَاتٍ ، ... نَصَرْتَ بِهَا النّبُوّةَ وَالكِتَابَا[3]
بَعَثْتُ لكَ الثّنَاءَ عَلى صَنيعٍ ، ... إذا مَا هِبْتَ دَعوَتَهُ أهَابَا
رَغَائِبُ قد قَطَعنَ حَنينَ عِيسٍ ، ... فَلا نَأياً أُرِيغُ ، وَلا اغترَابَا
وَقَبْلَ اليَوْمِ مَا أغمَدْنَ عَنّي ، ... مِنَ الأيّامِ ، نَائِبَةً وَنَابَا

---

[1] الدمن والضباب : الأحقاد .
[2] على الغرر : أي على شدة الحر .
[3] قوله : ثماني معلمات ، لعله أراد أنه حج ثماني مرات ، حين كان أمير الحج .

كن كيف شئت

وقال رحمه الله يمدح خاله أبا الحسين أحمد
ابن الحسين الناصر ويهنئه بمولودة جاءته :

لكُلِّ مُجتَهِدٍ حَظٌّ مِنَ الطّلَبِ ، فاسبُقْ بعزْمِكَ سيرَ الأنجُمِ الشُّهُبِ
وَارْقَ المَعاليَ الّتي أوْفَى أبُوكَ بِهَا ، فَكَمْ تَنَاوَلَهَا قَوْمٌ بغَيرِ أبِ
وَلا تَجزْ بصُرُوفِ الدّهرِ في عُصَبٍ مِنَ القَرَائِنِ غَيرِ السُّمرِ وَالقُضُبِ
نَدْعُوكَ في سَنَةٍ شَابَتْ ذَوَائِبُهَا حتّى تُفَرّجَها مُسْوَدّةُ القُصُبِ[1]
وَلَمْ تَزَلْ خَدَعَاتُ الدّهْرِ تَطرُقُها حتّى تَعانَقَ عُودُ النّبْعِ وَالغَرَبِ[2]
أتَيْتَ تَحتَلِبُ الأيّامَ أشْطُرَهَا ، فَكُلُّ حادِثَةٍ مَنزُوحَةُ الحَلَبِ[3]
لَوْلا وَقَارُكَ في نَصْلٍ سَطَوْتَ بهِ ، فَاضَتْ مَضَارِبُهُ مِنْ خِفّةِ الطّرَبِ
وَحُسنُ رَأيِكَ في الأرْمَاحِ يُنهِضُها إلى الطّعَانِ ، وَلَوْلا ذاكَ لمْ تَثِبِ
كنْ كيفَ شئتَ فإنّ المَجدَ مُحتَمِلٌ عَنْكَ المَغافِرَ في بَدْءٍ وَفي عَقِبِ
ما زَالَ بِشرُكَ في الأزْمانِ يُؤنِسُها، حتّى أضَاءَتْ سُرُوراً أوْجُهُ الحِقَبِ
يَفديكَ كُلُّ بَخيلٍ ماتَ خاطِرُهُ ، فإنْ خَطَرْتَ عَدَدْنَاهُ مِنَ الغَيَبِ

١ مسودة القصب : مباركة من قولهم سهم أسود مبارك .
٢ خدعات الدهر : قلة الريع . النبع : شجر تتخذ منه القسي والسهام ، يوصف بالشدة ، الغرب : شجر لين .
٣ تحتلب الأيام أشطرها : تجرب خيرها وشرها . منزوحة ، من نزحت البئر : قل ماؤها أو نفد .

إذا المَطامِـعُ حامَتْ حَوْلَ مَوْعِدِهِ أنَتْ إليهِ أنينَ المُدْنَفِ الوَصِبِ

وَعُصْبَةٍ جاذَبُوكَ العزّ ، فانقبَضَتْ أكفُّهُمْ عَن دِراكِ المَجدِ بالطّلَبِ

شابَهتَهُمْ مَنظَراً،أوْ فُتَّهمْ خَبَراً؛ إنّ الرّدَينيّ مَعدُودٌ مِنَ القَصَبِ

هَابُوا ابتِسامَكَ في دَهْياءَ مُظلِمةٍ ، وَلَيسَ يُوصَفُ ثَغرُ اللّيثِ بالشّنَبِ

سَجِيّةٌ لكَ ، فاتَتْ كُلَّ مَنْزِلَةٍ ، وَضَعضَعَتْ جَنَباتِ الحادثِ الأشِبِ[1]

نَسيمُها من طِباعِ الرّوْضِ مُستَرَقٌ، وَطيبُ لذّتِها مِنْ شيمَةِ الضَّرَبِ[2]

تَلقَى الخَميسَ إذا اسْوَدّتْ جَوانبُهُ بالمُستَنيرَينِ مِنْ رَأيٍ وَذي شُطَبِ

وَنَثْرَةٌ فَوْقَهَا صَبْرٌ تُظاهِرُهُ ، أرَدُّ منها لأذْرَابِ القَنَا السّلَبِ[3]

لَوْلمْ يُعَوّضْكَ هَجرُ العَيشِ صالحة ما كُنتَ تَخرُجُ من أثوابِهِ القُشُبِ

يا ابنَ الذينَ،إذا عَدّوا فَضَائِلَهمْ، عَدَّ النّدى ضَرْبَهمْ في هامةِ النّشبِ[4]

بِألْسُنٍ رَاضَةٍ للقَوْلِ لَوْ نُضِيَتْ نابَتْ عنِ السُّمرِ في الأبدانِ وَالحُجُبِ[5]

لا يَستَشيرُونَ إلاّ كُلَّ مُنْصَلِتٍ حامي الحَقيقَةِ طلاّعٍ علَى النُّقَبِ

ذي عَزْمَةٍ إنْ دَعَاها الرّوْعُ مُنتصراً تَلَفّتَتْ عن غِرَارِ الصّارِمِ الخَشِبِ[6]

يَقْرُونَ حَتّى لَوَ انّ الضّيفَ فاتَهمُ حَثّوا إلَيْهِ صُدُورَ الأيْنُقِ النّجُبِ

١ الأشب : المشتبك ، من أشب الشر : اشتبك .

٢ الضرب : العسل .

٣ النثرة : الدرع . الأذراب ، الواحد ذرب : الجرح الذي لا يبرأ . السلب : الطوال .

٤ النشب : المال الأصيل من ناطق وصامت .

٥ راضة : مذللة . الحجب ، أراد حجب القلوب الواحد حجاب : الغلاف .

٦ الخشب : المسنون .

أوْ أعوَزَ الحَطْبُ في لَيلٍ بُيُوتَهُمُ ... مَدّوا يَدَ النّارِ في الأعمادِ وَالطُّنُبِ

لَوْ أنّ بأسَهُمُ جَارَى الزّمَانَ إذاً ، ... لارْتَدّ عَنْ شأوِهِ مُستَرْخيَ اللَّبَبِ[1]

إنْ أُورِدوا المَاءَ لمْ تَنهَلْ جِيادُهُمُ ... حتّى تُعَلّ بِرَقرَاقِ الدّمِ السّرِبِ

قَادُوا السّوَابِقَ مُحفَاةً مُقَوّدَةً ، ... كَأنّها بحَثَتْ عَنْ مُضْمَرِ التُّرَبِ

أعطافُها بالقَنَا الخَطّيّ مُثْقَلَةٌ ، ... تكادُ تَعصِفُ بالسّاحاتِ وَالرُّحَبِ[2]

مَا انْفَكّ يَطعَنُ في أعقابِ حافِلَةٍ ... بذابِلٍ مِنْ دَمِ الأقرَانِ مُختَضِبِ

إذا امتَرَى عَلَقَ الأوْداجِ عَامِلُهُ ، ... أعشَى العَوَالي فلمْ تَنظُرْ إلى سَلَبِ[4]

وَلا يزَالُ يُجَلّي نَقْعَ قَسطَلِهِ ، ... بمُحرَجِ الغَرْبِ ملآنٍ من الغَضَبِ[5]

إذا انتَضَاهُ لِيَوْمِ الرّوْعِ تَحْسِبُهُ ... يَسُلّ من غِمدِهِ خَيطاً منَ الذّهبِ

أوْ إنْ أشَاحَ بِهِ سَالَ الحِمَامُ لَهُ ... في مَضْرَبَيْهِ فلمْ يَرْقأ ولَمْ يَصُبِ[6]

جَذْلانُ يَرْكَعُ إنْ مالَ الضِّرَابُ به ... مُطَرَّباً في قِبَابِ البِيضِ وَاليَلَبِ[7]

يا أيّهَا النّدْبُ إنّ السّعْدَ مُتّضِحٌ ... بطَلْقَةِ الوَجْهِ جَلّتْ سُدفةَ الرّيَبِ

مَوْلُودَةٍ سَقَطَتْ عَنْ حِجرِ وَالدَةٍ ... جاءتْ بها ملءَ حِجرِ المَجدِ وَالحسبِ

١ اللبب : ما يشد في صدر الدابة ليمنع استئخار الرحل .

٢ تعصف : تشتد مسرعة .

٣ الحافلة : الناقة الغزيرة اللبن ، ولعله أراد بها الكتيبة الكثيرة العدد .

٤ امترى : استخرج . العلق : الدم . الأوداج ، الواحد ودج : عرق في العنق .

٥ محرج الغرب : أراد حد السيف المضيق عليه في غمده .

٦ أشاح : جد . يرقأ : يجف . يصوب : ينصب .

٧ اليلب : الدروع من الجلود .

لمّا ظَمِئْتَ إلَيها قَبلَ رُؤيَتِها — أُعْطِيتَ لذّةَ ماءِ الوِرْدِ بالقَرَبِ[1]

باشِرْ بطَلْعَتِها العَلْياءَ مُقْتَبِلاً ، — فإنّها دُرّةٌ في حِلْيَةِ النّسَبِ

واسعَدْ بها واشكُرِ الأقدارَ أنْ حملتْ — إلَيكَ قُرّةَ عَينِ العُجْمِ والعَرَبِ

وحُثّ خَيْلَ كؤوسِ العِزّ جامِحَةً — إلى السّرُورِ بخَيْلِ اللّهْوِ واللّعِبِ

وانثُرْ على الشَّرْبِ سِمطاً من فَواقعِها ، — وابنَ الغَمامِ مُسَمًّى بابنَةِ العِنَبِ

واصْدُمْ بكأسكَ صَدرَ الدّهرِ مُعتقلاً — بصارِمِ اللّهوِ يَجلُو قَسطَلَ الكُرَبِ

كأسٍ ، إذا خُضِبَتْ بالمَاءِ لِمّتُها — شابَتْ،وإنْ زَلّ عَنها المَاءُ لم تَشِبِ

نَفْسِي تَقِيكَ فكَمْ وَقّيتَني بيَدٍ ، — وقَدْ ألَظّ بيَ الرّامُونَ عَن كَثَبِ[2]

إذا اتّقَيْتُ بكَ الأعداءَ رامِيَةً ، — فَواجِبٌ أنْ أُوَقّيكَ النّوائبَ بي

أبَا الحُسَينِ أعِرْ شِعرِي إصاخَةَ مَن — يَرْوِي مسامِعُهُ عن مَسمَعٍ عَجَبِ

إذا مَدَحتُكَ لَمْ أمْنُنْ عَلَيكَ بهِ ، — فالمَدْحُ باسمِكَ والمَعنى بهِ نَسَبِي

وعتب عليه في هذا فقال يعتذر إليه ويعلمه أنه ما قصد ولا عنى إلا مشاركته في النسب بقصيدة رائية تأتي في موضعها من القافية .

١ القرب : البئر القريبة الماء .

٢ ألظ بي : لازمني .

تهنَّ بمهرجانك

وقال رحمه الله يمدح أبا سعيد بن خلف ويهنئه بمهرجان :

ألانَ جوَانبي غَمْزُ الخُطُوبِ ، وَأعجلَني الزّمَانُ إلى المَشيبِ
وكَمْ يَبقَى علَى عَجْمِ اللّيَالي، وَقَرْعِ الدّهْرِ جائِرَةُ الكُعُوبِ
نَبَا ظَهرُ الزّمَانِ وكُنتُ مِنْهُ عَلى جنْبَيْ مُوَقَّعَةٍ رَكُوبِ[1]
وَقالوا : الشّيبُ زَارَ، فقلْتُ: أهْلاً بِنَوْرِ ذوَائِبِ الغُصْنِ الرّطيبِ
ولَمْ آكُ قَبلَ وَسمِكَ لي مُحِبّاً، فيَبعُدَ بي بَيَاضُكَ مِنْ حَبيبِ
وَلا سَتْرُ الشّبَابِ عَليّ عَيْباً ، فَأجْزَعَ أنْ يَنِمّ عَلى عُيُوبي
ولَمْ أذْمُمْ طُلُوعَكَ بي لشَيْءٍ ، سوَى قُرْبِ الطّلُوعِ إلى شَعُوبِ[2]
وَأعْظَمُ مَا ألاقي أنّ دَهْرِي يَعُدّ مَحاسِني لي مِنْ ذُنُوبي
أقُولُ إذا امتَلأتُ أسًى لنَفْسي : أيَا نَفْسِ اصْبرِي أبداً وَطيبي
دَعي خَوْضَ الظّلامِ بكُلّ أرْض وَإعْمَالَ النّجيبَةِ وَالنّجيبِ
وَجَرّ ضَوَامِرِ الأحْشَاءِ تَجْرِي كَمَا تَهْوِي الدّلاءُ إلى القَليبِ
مُتَرَّفَةٌ إلى الغَايَاتِ ، حتّى تَرَنّحُ في الشّكيمِ مِنَ اللُّغُوبِ[3]

---

١ الموقعة : الخفيفة الوطء .
٢ شعوب : المنية .
٣ مترفة ، من ترفته النعمة : أطغته .

فَلَيْسَ الحَظُّ للبَطَلِ المُحَامي، وَلا الإقْبَالُ للرّجُلِ المَهِيبِ
وَنَيْلُ الرّزْقِ يُؤخَذُ من بَعيدٍ ، كَنَيلِ الرّزْقِ يُؤخَذُ من قَريبِ
وَغَايَةُ رَاكِبِي خُطَطِ المَعَالي كَغَايَةِ مَنْ أقامَ عَنِ الرّكُوبِ
ألَيْسَ الدّهْرُ يَجمَعُنا جَميعاً عَلى مَرْعًى مِنَ الحَدَثانِ مُوبي
كِلانَا تَضْرِبُ الأيّامُ فيهِ بجُرْحٍ مِنْ نَوَائِبِهَا رَغيبِ[1]
أرَى بُرْدَ العَفَافِ أغَضَّ حُسناً عَلى رَجُلٍ مِنَ البُرْدِ القَشيبِ
عَلَيّ سَدادُ نَبْلي يَوْمَ أرْمي ، وَرَبُّ النَّبْلِ أعْلَمُ بالمُصيبِ
وَلي حَثُّ الرّكابِ وَشَدُّ رَحْلي ، وَمَا لي عِلْمُ غامِضَةِ الغُيُوبِ
وَمَا يُغْني مُضِيُّكَ في صُعُودٍ ، إذا مَا كانَ جَدُّكَ في صُبُوبِ
تَطَأطَأتِ الذّوَائِبُ للذُّنَابى ، وَأُسْجِدَتِ المَوَارِنُ للعُجوبِ[2]
وَخَرْقٍ كالسّمَاءِ خَرَجْتُ مِنْهُ بجَرْيِ أقَبَّ يَرْكَعُ في السُّهُوبِ[3]
يَجُرّ عِنَانَهُ ، في كُلّ يَوْمٍ ، إلى الأعْداءِ مَعْقُودَ السّبِيبِ[4]
وَخُوصٍ قد سَرَيتُ بهِنّ ، حتّى تَقَوّضَتِ النّجُومُ إلى الغُيُوبِ[5]
وَجُرْدٍ قَد دَفَعتُ بهِنّ ، حتّى وَطِئْنَ عَلى الجَماجِمِ وَالتّرِيبِ
وَيَوْمٍ تُرْعَدُ الرَّبَلاتُ مِنْهُ ، كمَا قَطَعَ الرُّبَى عَسَلانُ ذِيبِ[6]

١ الرغيب : الواسع .
٢ الموارن : الأنوف ، الواحد مارن . العجوب ، الواحد عجب : أصل الذنب .
٣ السهوب : الفلوات ، الواحد سهب .
٤ السبيب : شعر الذنب والعرف والناصية .
٥ الخوص : الإبل الغائرة العيون .
٦ الربلات ، الواحدة ربلة : باطن الفخذ . العسلان : الاضطراب في السير .

هَتَكْتُ فُرُوجَهُ بالرّمْحِ لمّا دَعَوْا باسمي، وَيا لكَ من مُجيبِ
وَعِنْدَ تَعانُقِ الأقْرَانِ يَبْلَى قِرَاعُ النّبْعِ بالنّبْعِ الصّلِيبِ
إخاؤكَ ، يا عليّ ، أسَاغَ رِيقي ، وَوُدُّكَ ، يا عليّ ، جَلاَ كُرُوبي
فَيَا عَوْني ، إذا عَدَتِ اللّيَالي عَليّ ، وَيا مِجَنّي في الحُرُوبِ
عَجِبتُ مِنَ الأنامِ ،وأنتَ منهم، وَمِثْلُكَ في الأنَامِ مِنَ العَجيبِ
عَلَوْتَ عَلَيهِمُ في كُلّ أمْرٍ ، بِطُولِ البَاعِ وَالصّدْرِ الرّحِيبِ
وَفُتّهُمُ مِرَاحاً في سُفُورٍ بِلا نَزَقٍ وَجَدّاً في قُطُوبِ
خِطَابٌ مِثْلُ ماءِ المُزْنِ تَبْرِي مَوَاقِعُهُ العَليلَ مِنَ القُلُوبِ
وَعَزْمٌ ، إنْ مَضَيتَ به جَرِيّاً ، هَوَى مَطَرُ القَنَا بِدَمٍ صَبِيبِ
وَحِلْمٌ إنْ عَطَفْتَ به مُعيداً ، أطَارَ قَوَادِمَ اليَوْمِ العَصِيبِ
وَألْفَاظٌ كَمَا لَعِبَتْ شَمَالٌ مَلاعِبَها عَلى الرّوْضِ الخَصِيبِ
بطَرْفٍ لا يُخَفّضُ من خُضُوعٍ ، وَقَلْبٍ لا يُتَعتِعُ من وَجيبِ
تَهَنّ بمِهرَجانِكَ ، وَاعْلُ فيهِ إلى العَلْيَاءِ أعْنَاقَ الخُطُوبِ
وَعِشْ صَافي الغَديرِ مِنَ الرّزَايَا بهِ خالي الأديمِ مِنَ النُّدُوبِ
لَعَلّي أنْ أهزّكَ في مَرَامٍ ، فَأبْلُوَ مِنكَ مُنْدَلِقَ الغُرُوبِ
وَحَاجٍ في الضّميرِ مُعَضَّلاتٍ سَأُسْلِمُهَا إلى عَزْمٍ طَلُوبِ
لأقضِيَهُنّ ، أوْ أقْضِي بِهَمّي غَرِيبَ الوَجْهِ في البَلَدِ الغَرِيبِ
مُنَازَعَةً إلى العَلْيَاءِ ، حَتّى أزُرّ عَلى ذَوَائِبِهَا جُيُوبي
فَإمّا نَيْلُ جَانِبِهَا ، وَإمّا لِقَاءُ مُسَنَّدِينَ عَلى الجُنُوبِ[1]

---

[1] المسندون على الجنوب : المدفونون في القبور .

ديوان الشريف الرضي از رضي، الشريف

رآينا بوجهك نور اليقين

يهنىء بعض أصدقائه من الرؤساء
بقدومه من سفر في المساء :

وَفَى ذا السّرُورُ بتلْكَ الكُرَبْ ، وَهَذا المَقَامُ بِذاكَ التّعَبْ
قَدِمتَ، فأطرَقَ صَرْفُ الزّمَانِ عَنَاءً وَأغضَتْ عُيُونُ النُّوَبْ
وَمِثْلُكَ مَنْ قَذَفَتْهُ الخُطُوبُ في صَدْرِ كلّ خميسٍ لَجِبْ
قَرِيبُ المُرَادِ ، بَعيدُ المَرَامِ ، عَظِيمُ العَلاءِ ، جَليلُ الحَسَبْ
وَمَنْ قَلْقَلَ البَيْنُ أطْنَابَهُ ، وَنَالَ أقَاصِي المُنَى بالطّلَبْ
غَدَتْ تَشتَكيكَ كؤوسُ المُدامِ ، وَيُثْني عَلَيكَ القَنَا وَالقُضُبْ
وَكُنّا نُصَانِعُ فيكَ الهُمُومَ ، فصِرْنَا نُصانِعُ فيكَ الطّرَبْ
إذا مَا الفَتَى وَصَلَ الزّائِرِينَ أثْنَوْا عَلَيْهِ نَأى أوْ قَرُبْ
وَكَيْفَ يُهَنّيكَ لَفْظُ امرِىءٍ يُهَنّي بِقُرْبِكَ أعلَى الرُّتَبْ
وَكُنّا بذِكرِكَ نَشفي الغَليلَ ، وَمَا بَيْنَنَا أمَدٌ مُنْشَعِبْ
إلى أنْ تَهَلّلَ وَجْهُ الزّمَانِ ، وَمَنْ بَانَ مِثلُكَ عَنهُ شَحَبْ
رَأيْنَا بِوَجْهِكَ نُورَ اليَقِينِ ، حتّى خَلَعنا ظَلامَ الرِّيَبْ
وَمَا زِلْتَ تَمسَحُ خَدّ الصّبَاحِ ، وَتَرْحَمُ قَلْبَ الظّلامِ الأشِبْ
بِمَطْرُورَةِ الصّدْرِ خَفّاقَةٍ تَطِيرُ مَجاذِيفُهَا كَالعَذَبْ[1]

---

[1] العذب ، الواحدة عذبة : ما سدل بين الكتفين من العمامة ، والأطراف من كل شيء .

تُعَانِقُكَ الرّيحُ في صَدْرِهَا ،   وَيَشتَاقُكَ المَاءُ حتّى يَثِبْ

تَمُرّ بشَخْصِكَ مَرّ الجِيَادِ ،   وتَسْرِي بِرَحْلِكَ سَيرَ النُّجُبْ

إذا اطّرَدَتْ بكَ خِلتَ القُصُو   رَ تُرْعَدُ بالبُعْدِ أوْ تَحتَجِبْ

يُسَرّ بِهَا عَاشِقٌ لا يُلَذّ   ذُ بالنّأيِ ، أوْ نَازِحٌ يَقْتَرِبْ

وقَدْ بَلّغَتْكَ الّذِي رُمْتَهُ ،   وَحَقٌّ المُبَلِّغِ أنْ يُصْطَحَبْ

أبَا قَاسِمٍ كَانَ هَذا البِعَادُ   إلى طُرُقِ القُرْبِ أقْوَى سَبَبْ

فَمَا كُنْتُ أوّلَ بَدْرٍ أتَى ؛   وَلا كُنْتَ أوّلَ نَجْمٍ غَرَبْ

ألا إنّني حَسْرَةُ الحَاسِدِينَ ،   وَمَا حَسْرَةُ العُجْمِ إلاّ العَرَبْ

فَلا لَبِسُوا غَيرَ هذا الشّعَارِ ؛   وَلا رُزِقُوا غَيرَ هَذا اللّقَبْ

مَنَحْتُكَ مِنْ مَنطِقِي تُحفَةً ،   رَأيْتُ بِهَا فُرْصَةً تُستَلَبْ

تُصَفّقُها بالنّشيدِ الرّوَاةُ ،   كمَا صَفّقَ المَاءُ بِنْتَ العِنَبْ

وَأنْتَ تُسَاهِمُني في العَلا   ءِ فَخراً ، وتَشرَكُني في النّسَبْ

لأشكرنك

وقال رحمه الله يشكر حمزة
ابن إبراهيم على قضاء حاجة له:

لأشْكُرَنّكَ مَا نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ ، وَإنْ عَجَزْتُ عَنِ الحَقّ الذي وَجبَا
فَمَا التَفَتُّ إلى نَعْمَاءَ سَابِغَةٍ إلاّ رَأيتُكَ فيها الأصْلَ وَالسّبَبَا
أخدَمْتَني نُوَبَ الأيّامِ طَائِعَةً ، وَكانَ كلّ الرّضَى أنْ آمَنَ النُّوَبَا
وَلا لَقِيتُ يَداً للدّهْرِ جَارِحَةً ، إذا بَقِيتَ ، وَلا ألقَى لهَا السّبَبَا
وَقَدْ أقَمْتَ عِمَادَ البَيْتِ رَاسِخَةً على القَوَاعدِ ، فامدُدْ بعدَها الطُّنُبَا

لغير العلى مني القلى

قال رحمه الله يفتخر ويمدح
أهل البيت عليهم السلام :

لِغَيْرِ العُلَى مِنّي القِلَى وَالتّجَنّبُ، وَلَوْلا العُلى ما كنتُ في الحُبّ أرْغبُ
إذا اللهُ لمْ يَعذُرْكَ فيمَا تَرُومُهُ ، فَما النّاسُ إلاّ عاذِلٌ أوْ مُؤنِّبُ[1]

[1] لم يعذرك : لم ينصرك .

مَلَكْتُ بحِلمي فُرْصَةً ما استَرَقّها مِنَ الدّهْرِ مَفتُولُ الذّرَاعَينِ أغلبُ
فإنْ تكُ سِنّي ما تَطاوَلَ بَاعُهَا ، فَلي مِنْ وَرَاءِ المَجْدِ قَلْبٌ مُدَرَّبُ
فحَسبيَ أنّي في الأعَادي مُبَغَّضٌ ، وَأنّي إلى غُرّ المَعَالي مُحَبَّبُ
وَللحِلْمِ أوْقاتٌ ، وَللجَهْلِ مِثْلُها، وَلَكِنَ أوْقَاتي إلى الحِلْمِ أقْرَبُ
يَصُولُ عَليّ الجَاهِلُونَ ، وَأعتَلي ، وَيُعْجِمُ فيّ القَائِلُونَ وَأُعْرِبُ[1]
يَرَوْنَ احتِمَالي غُصّةً ، وَيَزِيدُهمْ لَوَاعِجَ ضَغْنٍ أنّني لَسْتُ أغضَبُ
وَأُعرِضُ عَنْ كأسِ النّديمِ ، كأنّها وَمِيضُ غَمامٍ ، غائرُ المُزْنِ خُلَّبُ
وَقُورٌ، فَلا الألحَانُ تَأسِرُ عَزْمَتي ، وَلا تَمكُرُ الصّهبَاءُ بي، حينَ أشرَبُ
وَلا أعرِفُ الفَحشَاءَ إلاّ بِوَصْفِهَا ، وَلا أنطِقُ العَوْرَاءَ وَالقَلبُ مُغضَبُ
تَحلّمُ عَنْ كَرّ القَوَارِضِ شِيمَتي ، كأنّ مُعِيدَ المَدحِ بالذّمّ مُطنِبُ[2]
لساني حَصَاةٌ يَقرَعُ الجَهلَ بالحِجَى إذا نَالَ مِنّي العَاضِهُ المُتَوَثِّبُ[3]
وَلَستُ بِرَاضٍ أنْ تَمَسّ عَزَائِمي فُضَالاتِ ما يُعطي الزّمَانُ وَيَسلُبُ
غَرَائِبُ آدابٍ حَبَاني بِحِفْظِهَا زَماني ، وَصَرْفُ الدهرِ نعمَ المُؤدِّبُ
تُرَيّشُنَا الأيّامُ ثُمّ تَهِيضُنَا ، ألا نِعْمَ ذا البَادي وَبِئْسَ المُعَقِّبُ
نَهَيْتُكَ عَنْ طَبعِ اللّئَامِ ، فإنّني أرَى البُخْلَ يَأتي وَالمَكارِمَ تُطلَبُ
تَعَلّمْ ، فإنّ الجُودَ في النّاسِ فِطنَةٌ تَنَاقَلَها الأحْرَارُ ، وَالطّبعُ أغلَبُ

١ يعجم : يبهم القول . أعرب : أفصح .
٢ القوارض : المادحون بالقريض ، الشعر .
٣ الحصاة : العقل والرأي والرزانة . الحجى : العقل . العاضه : الكاذب . المتوثب : المعتدي

تُضَافِرُني فيكَ الصَّوَارِمُ وَالقَنَا ، وَيَصْحَبُني مِنكَ العُذَيقُ المُرَجَّبُ[1]

نصَحتُ وبعضُ النّصْحِ في الناسِ هُجنةٌ وَبَعضُ التّناجي بالعِتَابِ تَعَتُّبُ[2]

فإنْ أنْتَ لَمْ تُعطِ النّصِيحَةَ حقّها فَرُبَّ جَمُوحٍ كَلّ عَنهُ المُؤنِّبُ

سَقَى اللهُ أرْضاً جاوَرَ القَطرُ رَوْضَها إذِ المُزْنُ تَسقي وَالأباطحُ تَشْرَبُ

ذكَرْتُ بهَا عَصرَ الشّبابِ ، فحسرَةً أفَدْتُ وَقد فاتَ الذي كنتُ أطلُبُ

سَكَنْتُكِ ، وَالأيّامُ بِيضٌ كأنّهَا مِنَ الطّيبِ في أثْوَابِنَا تَتَقَلّبُ

وَيُعجِبُني مِنْكِ النّسيمُ إذا هَفا ، ألا كلُّ ما سرّى عنِ القَلبِ مُعجِبُ

وَفي الوَطَنِ المَألُوفِ للنّفْسِ لَذّةٌ ، وَإنْ لَمْ يُنِلْنا العزَّ إلاّ التّقَلّبُ

وَبَرْقٍ رَقيقِ الطُّرّتَينِ لحَظْتُهُ ، إذِ الجَوّ خَوّارُ المَصَابيحِ أكْهَبُ[3]

فَمَرّ كَمَا مَرّتْ ذوَائِبُ عُشْوَةٍ ، تُقَادُ بِأطْرَافِ الرِّمَاحِ وَتُجنَبُ[4]

نَظَرْتُ وَألحَاظُ النّجُومِ كَليلَةٌ ، وَهَيهَاتَ دونَ البَرْقِ شأوٌ مُغَرِّبُ

فَمَا اللّيْلُ إلاّ فَحْمَةٌ مُستَشِفّةٌ ؛ وَمَا البَرْقُ إلاّ جَمْرَةٌ تَتَلَهّبُ[5]

أمِنْ بَعْدِ أنْ أجلَلْتَها وَرَقَ الدّجى سِراعاً ، وَأغصَانُ الأزِمّةِ تُجذَبُ

وَعُدْنَا بِهَا مَمْغُوطَةً بِنُسُوعِها ، كما صَافَحَ الأرْضَ السّرَاءُ المُعَبَّبُ[6]

١ العذيق : مصغر عذق ، النخلة بحملها . المرجب: من الترجيب وهو ارفادها من جانب لتمنع من السقوط ، وأراد أنه تصحبه عشيرة قوية .

٢ التعتب ، من تعتبه : خاطبه الإدلال .

٣ الطرتين ، الواحدة طرة : الطريقة من السحاب . الأكهب : فيه غبرة مشربة سواداً .

٤ العشوة : الشعلة من النار ترى ليلا من بعيد وتقصد .

٥ مستشفة : منشورة . وفي الديوان مستشفة : جافة .

٦ السراء : شجر . المعبب : الطويل .

كَـأنَّ تَـرَاجيعَ الحُداةِ وَرَاءَهَـا صَفِيرٌ تَعاطَاهُ اليَرَاعُ المُثَقَّبُ
وَرَدْنَ بِهَا مَاءَ الظّلامِ سَوَاغِباً ، وَللّيْلِ جَوٌّ بالدّرَارِيّ مُعْشِبُ
تُنَفِّرُ ذَوْدَ الطّيرِ عَنْ وَكَرَاتِهَا ، فَكُلٌّ ، إذا لاقَيْتَهُ ، مُتَغَرِّبُ
وَتَلْتَذّ رَشْفَ المَاءِ رَنْقاً ، كَأنّهُ مَعَ العزّ ثَغْرٌ بَارِدُ الظَّلْمِ أشْنَبُ
أذَعْنا لَهُ سِرّ الكَرَى مِنْ عيُونِنَا، وَسرُّ العُلى بَينَ الجَوَانِحِ يُحجَبُ
حَرَامٌ عَلى المَجْدِ ابْتِسامي لقُرْبِهِ ، وَمَا هَزّني فيهِ العَنَاءُ المُقَطِّبُ
تَهُرّ ظُنُوني في المَآرِبِ إرْبَةٌ ، وَيَجنُبُ عَزْمي في المَطالِبِ مَطلَبُ[1]
وَدَهمَاءَ مِنْ لَيلِ التّمامِ قَطَعتُها أُغَنّي حِداءً ، وَالمَرَاسِيلُ تَطرَبُ[2]
وَلَوْ شِئْتُ غَنّتْني الحَمامُ عَشيّةً ، وَلَكِنّني مِنْ مَاءِ عَيْنيَ أشرَبُ
أقولُ إذا خاضَ السّميرانِ في الدّجى أحَاديثَ تَبدُو طَالِعَاتٍ وَتَغرُبُ
ألا غَنّيَاني بالحَديثِ ، فإنّني رَأيْتُ ألَذّ القَوْلِ مَا كانَ يُطرِبُ
غناءً ، إذا خاضَ المَسامعَ لمْ يَكُنْ أميناً عَلى جِلْبَابِهِ المُتَجَلْبِبُ
وَنَشوَانَ مِنْ خمرِ النعاسِ ذَعَرْتُه، وَطَيفُ الكَرَى في العينِ يطفو وَيرْسُبُ
لَهُ مُقْلَةٌ يَستَنْزِلُ النّوْمُ جَفنَها إلَيْهِ كَمَا استَرْخى على النّجمِ هيدبُ
سَلكتُ فِجاجَ الأرْضِ غُفلاً وَمَعلماً تَجدّ بهَا أيْدي المَطَايَا وَتَلْعَبُ[3]
وَمَا شَهْوَتي لَوْمَ الرّفيقِ ، وَإنّمَا كما يَلتقي في السّيرِ ظِلفٌ وَمِخلَبُ

١ تهر : تكره . الإربة : الدهاء . يجنب : يقود .

٢ المراسيل : النياق السهلة السير ، الواحدة مرسال .

٣ الغفل : ما لا علامة فيه من الطرق . المعلم : ما يستدل به على الطريق .

عَجِبْتُ لغَيرِي كَيفَ سايَرَ نجمَها، وَسَيرِيَ فيها، يا ابنَةَ القَوْمِ، أعجَبُ
أسِيرُ وَسَرْجي بالنّجَادِ مُقَلَّدٌ، وَأثْوِي وَبَيْتي بالعَوَالي مُطَنَّبُ
وَمَصْقُولَةِ الأعطافِ في جَنَبَاتِهَا مِرَاحٌ لأطْرَافِ العَوَالي وَمَلْعَبُ
تَجُرّ عَلى مَتْنِ الطّرِيقِ عَجَاجَةً، يُطارِحُها قَرْنٌ من الشّمسِ أعضَبُ
نَهَارٌ بِلألاءِ السّيُوفِ مُفَضَّضٌ، وَجَوٌّ بحَمْرَاءِ الأنَابيبِ مُذْهَبُ
تَرَى اليَوْمَ مُحمَرَّ الخَوَافي، كأنّما عَلى الجَوّ غَرْبٌ مِنْ دَمٍ يَتَصَبّبُ[1]
صَدَمنا بها الأعداءَ، وَاللّيلُ ضَارِبٌ بأرْوَاقِهِ جَوْنُ المِلاطَينِ أخطَبُ[2]
أخَذْنَا عَلَيْهِمْ بالصّوَارِمِ وَالقَنَا، وَرَاعي نُجُومِ اللّيلِ حَيرَانُ مُغرِبُ[3]
فَلَوْ كانَ أمراً ثابِتاً عَقَلُوا لَهُ، وَلَكِنّهُ الأمْرُ الذي لا يُجَرَّبُ
يُرَاعُونَ إسْفَارَ الصّبَاحِ، وَإنّمَا وَرَاءَ لِثَامِ اللّيْلِ يَوْمٌ عَصَبْصَبُ
وَكلُّ ثَقيلِ الصّدرِ مِنْ جلَبِ القَنا خَفيفِ الشّوَى وَالموْتُ عجلانُ مُقرِبُ
يجُمّ، إذا ما استَرْعَفَ الكَرُّ جُهدَه، كمَا جَمّتِ الغُدرَانُ وَالمَاءُ يَنضُبُ[4]
وَما الخَيلُ إلاّ كالقِداحِ نُجيلُهَا لغُنْمٍ، فَإمّا فَائِزٌ أوْ مُخَيَّبُ
دَعُوا شَرَفَ الأحسابِ يا آلَ ظالِمٍ، فلا المَاءُ مَوْرُودٌ، وَلا التُّرْبُ طيّبُ
لَئِنْ كُنْتُمُ في آلِ فِهرٍ كَوَاكِباً إذا غاضَ منها كوْكَبٌ فاضَ كوكبُ

١ الخوافي : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت . الغرب : الدلو العظيمة .
٢ ضارب بأرواقه : سادل ظلامه . الجون : الأسود . الملاطين : الجانبين . الأخطب : ما كان فيه غبرة ترهقها خضرة .
٣ المغرب : الآتي المغرب .
٤ يجم : يكثر . استرعف : استخرج ، من الرعاف وهو الدم يخرج من الأنف . ينضب : يغور .

فنَعتي كَنَعتِ البَدرِ يُنسَبُ بَينَكُم جِهاراً، وَمَا كلّ الكَوَاكِبِ تُنسَبُ

صَحِبتُمْ خِضَابَ الزّاعبيّاتِ ناصِلاً، وَمن عَلَقِ الأقرَانِ ما لا يُخَضَّبُ[1]

أُهَذِّبُ في مَدْحِ اللّئَامِ خَوَاطِرِي فأصْدُقُ في حُسنِ المَعاني وأكذِبُ

وَمَا المَدْحُ إلاّ في النّبيّ وَآلِهِ يُرَامُ، وبَعضُ القَوْلِ ما يُتَجَنّبُ

وَأولى بِمَدْحي مَنْ أعِزُّ بفَخْرِهِ، وَلا يَشْكُرُ النّعماءَ إلاّ المُهَذَّبُ

أرَى الشّعْرَ فيهِمْ باقِياً، وَكَأنّما تُحَلِّقُ بالأشْعارِ عَنقاءُ مُغرِبُ

وَقالوا: عَجيبٌ عُجبُ مثلي بنَفسِهِ، وَأينَ عَلى الأيّامِ مِثلُ أبي أبُ

لَعَمرُكَ ما أُعْجِبْتُ إلاّ بمدحِهِمْ، وَيُحْسَبُ أنّي بالقَصَائِدِ مُعجَبُ

أُعِدّ لفَخرِي في المَقَامِ مُحَمّداً، وَأدْعُو عَلِيّاً للعُلَى حينَ أرْكَبُ

نبي او وصي نبي

وقال رحمه الله من قصيدة قالها وله عشر سنين ثم هذبها وأسقط منها أشياء :

المَجدُ يَعلَمُ أنّ المَجدَ مِنْ أرَبي، وَلَوْ تَمادَيتُ في غَيٍّ وَفي لَعِبِ

إنّي لَمِنْ مَعشَرٍ إنْ جُمّعُوا لعُلًى تَفَرّقُوا عَنْ نَبيٍّ أوْ وَصِيّ نَبي

[1] الزاعبيات : الرماح .

إذا هَمَمتُ ففتّشْ عن شبَا هِمَمي | تجِدْهُ في مُهَجاتِ الأنجُمِ الشُّهُبِ
وَإنْ عزَمْتُ فعزْمي يَستحيلُ قذًى | تَدمى مَسالِكُهُ في أعيُنِ النُّوَبِ
وَمعركٍ صَافَحتْ أيْدي الحِمَامِ بهِ | طُلى الرِّجالِ على الخُرْصَانِ من كثَبِ[1]
حلّتْ حُبَاها المَنايا في كتَائبِهِ | بالضّرْبِ فاجتثّتِ الأجسادَ بالقُضُبِ
تلاقتِ البيضُ في الأحشاءِ فاعتنَقَتْ | وَالسّمْهَرِيُّ مِنَ المَاذيِّ وَاليَلَبِ[2]
بكتْ على الأرْضِ دَمعاً مِنْ دِمائِهِمُ، | فاستعربَتْ من ثُغُورِ النَّورِ وَالعُشُبِ

صلاة الله تخفق كل يوم

قال رحمه الله يفتخر بأهل البيت
عليهم السلام ويذكر قبورهم ويتشوقها:

ألاَ للهِ بَادِرَةُ الطِّلابِ، | وَعزْمٌ لا يُرَوَّعُ بِالعِتَابِ
وَكُلُّ مُشَمِّرِ البُرْدَيْنِ يَهوِي | هُوِيَّ المُصْلَتَاتِ إلى الرِّقَابِ
أُعَاتِبُهُ عَلى بُعْدِ التّنَائي، | وَيَعْذُلُني عَلى قُرْبِ الإيَابِ
رَأيْتُ العَجزَ يَخْضَعُ للّيَالي، | وَيَرْضَى عَنْ نَوَائِبِها الغِضَابِ
وَلَوْلا صَوْلَةُ الأيّام دُوني، | هَجَمتُ على العُلى من كلّ بابِ

١ الطلى : الأعناق . الخرصان : قنا الرماح .
٢ الماذي : الدرع اللينة . اليلب : الدروع من الجلود

وَمِنْ شِيَمِ الفَتَى العَرَبِيِّ فِينَا ، وِصَالُ البِيضِ وَالخَيلِ العِرَابِ
لَهُ كَذْبُ الوَعِيدِ مِنَ الأعادي ، وَمِنْ عاداتِهِ صِدْقُ الضِّرَابِ
سَأَدَّرِعُ الصَّوَارِمَ وَالعَوَالي ، وَمَا عُرِّيتُ مِنْ خِلَعِ الشَّبَابِ
وَأَشتَمِلُ الدُّجَى وَالرَّكبُ يَمضِي مَضَاءَ السَّيْفِ شَذَّ عَنِ القِرَابِ
وَكَمْ لَيلٍ عَبَأتُ لَهُ المَطَايَا ، وَنَارُ الحَيِّ حَائِرَةُ الشِّهَابِ
لَقِيتُ الأرْضَ شَاحِبَةَ المُحَيَّا تَلاعَبُ بِالضَّرَاغِمِ وَالذِّئَابِ
فَزِعتُ إلى الشُّحُوبِ وَكنتُ طَلقاً ، كَمَا فَزِعَ المَشِيبُ إلى الخِضَابِ
وَلَمْ نَرَ مِثْلَ مُبْيَضِّ النَّوَاحي تُعَذِّبُهُ بِمُسْوَدِّ الإهَابِ[1]
أبِيتُ مُضَاجِعاً أمَلِي ، وَإنّي أرَى الآمَالَ أشْقَى للرِّكَابِ
إذا مَا اليَأسُ خَيَّبَنَا رَجَوْنَا ، فَشَجَّعَنَا الرَّجَاءُ عَلى الطِّلابِ
أقُولُ إذا استَطَارَ مِنَ السَّوَارِي زَفُونُ القَطْرِ رَقّاصُ الحَبَابِ[2]
كَأنَّ الجَوَّ غَصَّ بِهِ ، فَأوْمَى لِيَقْذِفَهُ عَلى قِمَمِ الشِّعَابِ
جَدِيرٌ أنْ تُصَافِحَهُ الفَيَافي ، وَيَسحَبَ فَوْقَهَا عَذَبَ الرَّبَابِ
إذا هَتَمَ التِّلاعَ رَأيْتَ مِنْهُ رُضَاباً في ثَنِيّاتِ الهِضَابِ
سَقَى اللهُ المَدِينَةَ مِنْ مَحَلٍّ ، لُبَابَ المَاءِ وَالنُّطَفِ العِذَابِ
وَجَادَ عَلى البَقِيعِ وَسَاكِنِيهِ رَخِيُّ الذَّيْلِ مَلآنُ الوِطَابِ[3]

١ مبيض النواحي : الشائب . ولعله أراد بمسود الإهاب : الخضاب .

٢ الزفون ، من الزفن : الرقص . القطر : المطر .

٣ البقيع : موضع في المدينة .

وَأعْلام الغَرِيّ ، وَمَا اسْتَبَاحَتْ مَعالِمُها مِنَ الحَسَبِ اللُّبَابِ[1]

وَقَبْراً بالطُّفُوفِ يَضُمّ شِلْواً ، قَضَى ظَمَأً إلى بَرْدِ الشّرَابِ[2]

وَسَامَرّا ، وَبَغداداً ، وَطُوساً ، هَطُولَ الوَدْقِ مُنخَرِقَ العُبَابِ

قُبُورٌ تَنطُفُ العبَرَاتُ فِيها ، كمَا نَطَفَ الصَّبيرُ عَلى الرَّوَابي[3]

فَلَوْ بَخِلَ السّحابُ علَى ثَرَاهَا لَذابَتْ فَوْقَها قِطَعُ السّرَابِ

سَقَاكَ فكَمْ ظَمِئتُ إليكَ شوْقاً علَى عُدَوَاءِ دارِي وَاقتِرَابي

تَجَافي يا جَنُوبَ الرّيحِ عَنّي ، وَصُوني فَضْلَ بُرْدِكِ عن جَنابي

وَلا تَسري إليّ مَعَ اللّيَالي ، وَمَا استَحقَبْتُ من ذاكَ التّرَابِ

قَليلٌ أنْ تُقَادَ لَهُ الغَوَادي ، وَتُنحَرَ فيهِ أعنَاقُ السّحَابِ

أمَا شَرِقَ التّرَابُ بِساكِنِيهِ فيلفظَهُمْ إلى النِّعَمِ الرِّغَابِ

فكَمْ غدتِ الضّغائنُ وَهيَ سكرَى تُديرُ عَلَيهِمُ كَأسَ المُصَابِ

صَلاةُ اللهِ تَخفُقُ كُلّ يَوْمٍ عَلى تِلْكَ المَعَالِمِ وَالقِبَابِ

وَإنّي لا أزَالُ أكُرّ عَزْمي ، وَإنْ قَلّتْ مُسَاعَدَةُ الصّحَابِ

وَأخْتَرِقُ الرّيَاحَ إلى نَسِيمٍ ، تَطَلّعَ مِنْ تُرَابِ أبي تُرَابِ[4]

بوَدّي أنْ تُطَاوِعَني اللّيَالي ، وَيَنْشَبَ في المُنى ظِفرِي وَنَابي

١ الغري ، واحد الغريين : بناءين مشهورين بالكوفة . استباحت : استأصلت .

٢ الطفوف ، الواحد طف الفرات : شاطئه ، وما ارتفع من جانبه . الشلو : الجسد . وأراد به جسد الحسين .

٣ تنطف : تسيل . الصبير : السحاب .

٤ أبو تراب : كنية الإمام علي كناه بها النبي .

فأرْمي العِيسَ نَحوَكُمُ سِهَاماً ، … تَغَلْغَلُ بَينَ أحْشَاءِ الرَّوَابي

تَرَامَى باللُّغَامِ عَلى طُلاهَا ، … كَمَا انحَدَرَ الغُثَاءُ عَنِ العُقَابِ[1]

وَأجنُبُ بَينَهَا خُرُقَ المَذاكي ، … فأملي باللُّغَامِ عَلى اللُّغَابِ[2]

لَعَلّي أنْ أبُلَّ بِكُمْ غَليلاً … تَغَلْغَلَ بَينَ قَلبي وَالحِجَابِ

فَمَا لُقْيَاكُمُ إلاّ دَليلٌ … عَلى كَنْزِ الغَنيمَةِ وَالثّوَابِ

وَلي قَبْرَانِ بالزَّوْرَاءِ أشْفي … بِقُرْبِهِمَا نِزَاعي وَاكْتِئَابي

أقُودُ إلَيهِمَا نَفْسِي وَأهْدي … سَلاماً لا يَحيدُ عَنِ الجَوَابِ

لِقَاؤهُمَا يُطَهِّرُ مِنْ جَنَاني، … وَيَدْرَأُ عَنْ رِدائي كلَّ عَابِ

قَسيمُ النّارِ جَدّي يَوْمَ يُلْقَى … بهِ بَابُ النّجَاةِ مِنَ العَذابِ[3]

وَسَاقي الخَلْقِ وَالمُهَجاتُ حرّى، … وَفاتِحَةُ الصّرَاطِ إلى الحِسَابِ

وَمَنْ سَمَحَتْ بخاتَمِهِ يَمينٌ … تَضَنُّ بكُلِّ عَالِيَةِ الكِعَابِ

أمَا في بَابِ خَيبَرَ مُعْجِزَاتٌ … تُصَدَّقُ ، أوْ مُنَاجَاةُ الحُبَابِ

أرَادَتْ كَيْدَهُ ، وَاللهُ يَأبَى ، … فَجَاءَ النّصْرُ مِنْ قِبَلِ الغُرَابِ

أهَذا البَدْرُ يُكْسَفُ بالدّيَاجي، … وَهذي الشمسُ تُطمَسُ بالضَّبَابِ

---

١ اللغام : زبد أفواه الإبل . طلاها : أعناقها . الغثاء : البالي من أوراق الشجر يخالطه زبد السيل . العقاب ، الواحدة عقبة : المرتقى الصعب من الجبال .

٢ أجنب : أقود . الخرق ، الواحد أخرق : الأحمق . المذاكي ، الواحد مذكي : وهو من الخيل ما تم سنه وكملت قوته . أملي ، من أملى البعير : أرخى له ووسع في قيده . اللغاب : السهم لم يحسن بريه . وفي البيت غموض .

٣ قسيم النار : الإمام علي، مأخوذ من قوله : أنا قسيم النار ، أي أن من أحبني دخل الجنة ومن أبغضني دخل النار .

وكانَ إذا استطالَ عليهِ جانٍ ، يرَى تركَ العِقابِ منَ العِقابِ
أرَى شعْبانَ يُذكرُني اشتياقي ، فمَنْ لي أنْ يُذكرَكُمْ ثوابي
بكُمْ في الشّعرِ فَخري لا بشِعري ، وَعنكُمْ طالَ باعي في الخِطابِ
أُجلّ عَنِ القَبائِحِ غيرَ أنّي لكُمْ أرْمي وأُرْمَى بالسِّبابِ
فأجْهَرُ بالوَلاءِ ، ولا أُوَرّي ، وأنْطِقُ بالبَرَاءِ ، ولا أُحابي
وَمَنْ أوْلَى بِكُمْ منّي وَليّاً ، وَفي أيْدِيكُمُ طَرَفُ انتِسابي
مُحِبُّكُمُ وَلَوْ بُغِضَتْ حياتي ، وَزائِرُكُمْ وَلَوْ عُقِرَتْ رِكابي
تُباعِدُ بَيْنَنَا غِيَرُ اللّيالي ، وَمَرْجِعُنَا إلى النّسَبِ القَرابِ

نعيب ولا نعاب

قال يفتخر :

إنّا نَعيبُ ، وَلا نُعَابُ ، وَنُصِيبُ مِنكَ ، وَلا نُصَابُ
آلُ النّبيّ ، وَمَنْ تَقَلّبَ في حُجُورِهِمُ الكِتَابُ
خُلِقَتْ لَهُمْ سُمرُ القَنَا ، وَالبِيضُ وَالخَيْلُ العِرَابُ
فَاقْنِ حَيَاءَكَ ، إنّمَا الأيّامُ غُنْمٌ ، أوْ نِهَابُ
مَنْ لَذّ وِرْدَ المَوْتِ لا يَصْفُو لَهُ أبَداً شَرَابُ

وَتَطرّقي حَيْثُ السّمَا حُ الغَمْرُ وَالحَسَبُ اللُّبَابُ[1]
في حَيْثُ للرّاجي الثّوَا بُ نَدًى ، وَللجَاني العِقَابُ
قَوْمٌ ، إذا غَمَزَ الزّمَا نُ قُنِيَّهُمْ كَرُمُوا وَطَابُوا
وَإذا دَعَوْا ، وَالخَيْلُ في الإجْفَالِ ، ثَابُوا ، أوْ أجَابُوا
أبَني عَدِيٍّ ! إنّمَا سَالَتْ بخَيْلِكُمُ الشّعَابُ
وَشَرُفْتُمُ بالطّعْنِ ، وَالدّنْيَا ضِرَامٌ ، أوْ ضِرَابُ
مَا كُنْتُمُ إلاّ البُحُورَ تَوَالَغَتْ فِيهَا الذّئَابُ
وَقَرَعْتُمُ بِالبِيضِ ، حَتّى ضَاعَ في اللِّمَمِ الشّبَابُ
وَاليَوْمَ تُستَلّ السّيُوفُ بِهِ وَتَنْسَلّ الرّقَابُ
كَتَمَتْ دِمَاءَكُمُ الظُّبَى ، كالشَّيبِ يَكتُمُهُ الخِضَابُ
فَتَنَازَعُوا شَمَطَ الظّلامِ ، فخَلْفَهُ الأُسْدُ الغِضَابُ[2]
وَتَعَلّمُوا أنّ الصّبَاحَ ضُبَارِمٌ ، وَاللّيلَ غَابُ[3]
لا صُلْحَ حَتّى تَطْمَئِنّ إلى مَنَاسِمِهَا الرّكَابُ
وَيَعُودَ وَجْهُ الشّمْسِ لا نَقْعٌ عَلَيْهِ ، وَلا ضَبَابُ
حتّى تَشَبّثَ بالظُّبَى الأغْمَادُ ، وَالجُرْدُ الرّحَابُ
وَتُمَدَّ أطْنَابُ البُيُوتِ ، وَتُضْمِرَ القَوْمَ القِبَابُ

١ تطرقي : مجاوزتي حد الاعتدال ، أو أخذي الشيء من أطرافه ، أو إغارتي ، وفي الديوان : شرح تطر من فعل طر الماشية : ساقها سوقاً شديداً .
٢ شمط الظلام : اختلاطه بالضياء .
٣ الضبارم : الأسد .

وَتَرَدَّفُ الأَدْرَاعُ مُشْ ... مَرَجَةٌ ، عَلَيْهِنَّ العِيَابُ[1]
وَتَرَى الرُّبَى وَالرَّوْضَ يُنْ ... شَرُ مِنْ مَطَارِفِهَا السَّحَابُ
مَا كَانَ فَضَّضَهُ فَضِيـ ... ضُ الطَّلِّ أَذْهَبَهُ الذِّهَابُ[2]
كَانَتْ نُجُومُ اللَّيْلِ يَكْـ ... تُمُهَا مِنَ النَّقْعِ الغِيَابُ
فَالآنَ أَصْحَرَ فِي السَّمَا ... ءِ البَدْرُ، وَانْكَشَفَ النِّقَابُ[3]
وَعَلَتْ إِلَى أَوْكَارِهَا العِقْ ... بَانُ وَانْحَطَّ العُقَابُ[4]
عُودُوا إِلَى ذَاكَ الغَدِيـ ... رِ ، وَقَلَّ مَا غَدَرَ الرُّبَابُ[5]
وَتَغَنَّمُوا تِلْكَ المَنَا ... زِلَ ، وَهيَ آمِنَةٌ رِغَابُ
وَتَدَارَكُوا ذَوْدَ المَسَا ... رِحِ ، وَهيَ بَيْنَكُمُ سِقَابُ
وَكَأَنَّ أَيَّامَ الهَوَى ... فِيكُمْ نَشَاوَى أَوْ طِرَابُ
مُتَمَنْطِقَاتٌ بِالحُلِيِّ ، ... وَفِي قَلائِدِهَا المَلابُ
إِنِّي عَلَى لِينِ النَّقِيـ ... بَةِ لا أُعَابُ وَلا أُحَابُ[6]
مَا شُدَّ لِي يَوْماً عَلَى ... ذُلٍّ وَلا طَمَعٍ حِقَابُ
مَنْ لِي بِغُرَّةِ صَاحِبٍ ... لا يَسْتَطِيلُ عَلَيْهِ عَابُ

١ تردفه : ركب خلفه . لعله أراد أن تردف ذوات الأدراع سبية ، والأدراع، الواحد درع: من ثياب النساء . المشرجة : المخيطة . العياب ، الواحدة عيبة : ما يوضع فيها الثياب .
٢ فضضه : نثره . الفضيض : الماء العذب . الذهاب ، الواحدة ذهبة : المطرة الضعيفة ، أو الجود .
٣ أصحر : ظهر .
٤ العقاب : الراية والرابية .
٥ الرباب : أحياء ضبة .
٦ أحاب ، من الحوبة : الاثم .

مَا حَارَبَ الأيّـامَ إ لاّ كَانَ لي وَلَهُ الغِلابُ
وَلِكُلّ قَوْلٍ سَامِعٌ ، وَلِكُلّ داعِيَةٍ جَوَابُ
هَيْهَاتَ أطْلُبُ مَا يَطُو لُ بِهِ بِعَادٌ وَاقْتِرَابُ
قَلّ الصّحَابُ ، فَإنْ ظَفِرْ تَ بنِعْمَةٍ كَثُرَ الصّحَابُ
مَنْ لي بِهِ سَمْحاً ، إذا صَفِرَتْ مِنَ القَوْمِ الوِطَابُ
غَيرَانَ دُونَ الجَارِ ، لا يَطْوِي عزَايِمَهُ الحِجَابُ
يَسْتَعذِبُ المَومَاةَ مَنْزِلَةً وَإنْ بَعُدَ الإيَابُ[1]
رَقّتْ حَوَاشِي بَيْتِهِ ، مِمّا يُلاطِمُهَا السّرَابُ
لا يَسْتَقِلّ بِرَحْلِهِ ، إلاّ الذّوَائِبُ وَالهِضَابُ
تَهْفُو بِكَفّيْهِ الصّوَا رِمُ ، أوْ تَسِيلُ بِهَا الكِعَابُ
جَذْلانُ يَلْتَقِطُ النّسِيمَ ، إذا تَسَاقَطَتِ الثّيَابُ
يُنْمَى إلَيْهِ الشّيحُ ، وَالْ حَوْذانُ وَالإبِلُ الجِرَابُ
وَكَأنّ غُرّتَهُ ، وَرَاءَ لِثَامِ لَيْلَتِهِ ، شِهَابُ
مَنْ لي بِهِ ، يا دَهْرُ ، وَالأ يّامُ كَالِحَةٌ غِضَابُ
إنّ الصّدِيقَ مُشَيَّعٌ ، إنْ جَلّ خَطْبٌ أوْ خِطَابُ
وَيَجُودُ عَنْكَ بِنَفْسِهِ ، وَالحَرْبُ تَقْرَعُهَا الحِرَابُ
وَأخٍ حُرِمْتُ الوِدّ مِنْ هُ ، وَبَيْنَنَا نَسَبٌ قُرَابُ
نَازَعْتُهُ ثَدْيَ الرّضَاعِ ، وَمَا يَلَذّ لَنَا الشّرَابُ

---

١ الموماة : المفازة .

يَا سَعْدُ ! أعْظَمُ مِحْنَةً   مَنْ لا يُرَوِّعُهُ العِتَابُ
يَجْنِي عَلَى جِيرَانِهِ ،   حَتَّى يُعَاقِبَهُ السِّبَابُ
حَسْبِي مِنَ الأيَّامِ أنْ   أبْقَى ، وَيُسْعِدُني الطِّلابُ

يا جنتي ان رماني الزمان

قال رحمه الله وهي قصيدة
متشعبة الأغراض والفنون :

دَوَامُ الهَوَى في ضَمانِ الشَّبَابِ،   وَمَا الحُبّ إلاّ زَمَانُ التَّصَابي
أحِينَ فَشَا الشَّيْبُ في شَعرِهِ ،   وَكَتَّمَ أوْضَاحَهُ بالخِضَابِ
تَرُوعِينَ أوْقَاتَهُ بالصُّدُودِ ،   وَتَرْمِينَ أيَّامَهُ بِالسِّبَابِ
تَخَطَّى المَشيبُ إلى رَأسِهِ ،   وَقَدْ كانَ أعلى قِبَابِ الشَّبَابِ
كَذاكَ الرِّيَاحُ إذا استَلأَمَتْ   تَقَصَّفَ أعْلى الغُصُونِ الرِّطَابِ[1]
مَشِيبٌ كَمَا استُلَّ صَدْرُ الحُسَا   مِ ، لمْ يَرْوَ مِنْ لبثِهِ في القِرَابِ
نُضِي ، فاستَبَاحَ حِمَى المُلهِياتِ،   وَرَاعَ الغَوَاني بِظِفْرٍ وَنَابِ
وَألوَى بِجِـدَّةِ أيَّـامِهِ ،   فَـأصْبَحَ مَقْذًى لعَيْنِ الكَعَابِ[2]

١ قوله : استلأمت ، هكذا في الأصل ، وسياق الكلام يدل على أن المراد اشتدت
٢ المقذى : ما تقذى منه العين . الكعاب : الجارية .

مِنْهُ مَجَالَ السِّوَارِ إذا مَا بَدَا وَمَنَاطَ النِّقَابِ
وَكَانَ ، إذا شَرَدَتْ نِيَّةٌ ، يَرُدُّ رِقَابَ الخُطُوبِ الغِضَابِ
وَكُنْتُ أُرَقْرِقُ مَاءَ الوِصَالِ ، وَبَحْرُ الشَّبِيبَةِ طاغي العُبَابِ
وَكَأْسِي مُعَوَّدَةٌ بِالسَّمَاعِ تَرْكُضُ بَيْنَ القُلُوبِ الطِّرَابِ
إذا نُصِفَتْ فَهْيَ في مِئْزَرٍ ، وَتَبْرُزُ إنْ أُتْرِعَتْ في نِقَابِ
سَمَائي مُذَهَّبَةٌ بِالبُرُوقِ ؛ وَأَرْضِي مُفَضَّضَةٌ بالحَبَابِ
وَرَوْضِي مَطَارِفُهُ غَضَّةٌ ، تُطَرِّزُ أَطْرَافَهَا بالذَّهَابِ
وَلَيْلٌ تَرَى الفَجْرَ في عِطْفِهِ ، كَمَا شابَ بَعضُ جَنَاحِ الغُرَابِ
يَغارُ الظَّلامُ عَلَى شَمْسِهِ ، إلى أنْ يُوَارِيَهَا بالحِجَابِ
وَتَصْقُلُ أَنْجُمَهُ العَاصِفَاتُ ، إذا صَدِيتْ من غُمودِ السَّحابِ
وَبَرْقٌ يُنَفِّضُ أطْرَافَهُ ، كَمَا رَمَحَتْ بُلْقُ خَيلٍ عِرَابِ
وَمَاءٌ يُضَارِعُ خَيْطَ السِّقَاءِ ، وَيُرْمَى بِهِ في وُجوهِ الشِّعابِ
تُزَعْزِعُ رِيحُ الصَّبَا مَتْنَهُ ، كَمَا لَطَمَ المَزْجُ خَدَّ الشَّرَابِ
وَذَوْدٌ يُغادِرُ وَجْهَ الصَّعيدِ مِنْ حِلَّةِ العُشْبِ عارِي الإهَابِ
فَمَا تَطْلُبُ البِيدُ مِنْ ساهمٍ يُثِيرُ عَلَيْهَا رِقَابَ الرِّكَابِ[1]
يُسَاعِدُهَا في احتِمالِ الصَّدى ، وَيَشْرَكُهَا في وُرُودِ السَّرَابِ
يُذَكِّرُهُ أخْذَ أوْتَارِهِ ، صَهِيلُ السَّوَابِقِ حَوْلَ القِبابِ

[1] الساهم : المهزول .

دَفَعْنَ بِخَضْخَضَةٍ للمَزَادِ ، نَجَاءً ، وَخَشْخَشَةٍ للعِيَابِ[1]
لِبَلَّ أنَابِيبَهُ بِالطِّعَانِ ، وَأنْحَلَ أسْيَافَهُ بالضِّرَابِ
يَبِيتُ وَثَوْبُ الدُّجَى شَاحِبٌ ، طَمُوحَ المَعَالِمِ سامي الشِّهَابِ
وَمَا كُنتُ أجرِي إلى غَايَةٍ فَأسألَها : أينَ وَجْهُ الإيَابِ ؟
إذا اسْتَنْهَضَتْ هِمَمي عَزْمَةٌ عَصَفْتُ بأيدي المَطِيّ العِرَابِ
تَحَرَّيْتُ أعْجَازَهَا بِالسِّيَاطِ ، فَخاضَتْ صُدُورَ الأمُورِ الصِّعابِ
فَكَمْ قائِفٍ قَدْ هَدَتْ لحظَهُ بُدُورٌ مَنَاسِمُهَا في التُّرَابِ[2]
إذا مَاتَ في وَخْدِهِنَّ المَدَى لَطَمْنَ خُدُودَ الرُّبَى وَالرِّحابِ
فِداؤكَ نَفْسِيَ يَا مَنْ لَهُ مِنَ القَلْبِ رَبْعٌ مَنيعُ الجَنَابِ
فَلَوْلاكَ مَا عَاقَ قَلْبي الهَوَى، وَعَزَّ عَلى كُلِّ شَوْقٍ طِلابي
إذا مَا صَدَدْتَ دَعَاني الهَوَى ، فَمِلْتُ إلى خُدُعَاتِ العِتَابِ
فَيا جُنَّتي إنْ رَمَاني الزَّمَانُ ، وَيا صَاحِبي إنْ جَفَاني صِحَابي
دَفَعْتُ بِكَفّي زِمَامي إلَيْكَ ، وَقَدْ كنتُ أُبْطي عَلى مَن حدا بي
فَلا تَحْسَبَنّي ذَليلَ القِيَادِ ، فَإنّي أبيّ عَلى كُلِّ آبي
وَسَاعٍ إلى الوُدِّ شَبَّهْتُهُ ، وَيَرْتَعُ مَعْ أهْلِهِ في جَنَابِ[3]
يُؤمِّنُ سَطْوَةَ لَيْثِ العَرِينِ ، وَمَضْجَعُهُ بَيْنَ غِيلٍ وَغَابِ

١ دفعن : أراد به رحلن ، مشين . نجاء : سراعاً
٢ القائف : من يقفو الآثار يتتبعها .
٣ شبهته : لبست عليه الأمر .

حَمَتْهُ مَذَلّتُهُ سَطْوَتي ، وكَيْفَ يَنَالُ ذُبَاباً ذُبَابي[1]
وَمُلْتَثِمٍ قَالَ لي لَثْمُهُ : عَذابُ الهَوَى في الثّنَايا العِذابِ
نُعَاقِرُ بالضّمّ كَأسَ العِنَاقِ ، وَنَسْفِكُ بِاللّثْمِ خَمْرَ الرُّضَابِ
عِنَاقٌ كَمَا ارْتَجّ مَاءُ الغَديرِ ، وَلَثْمٌ كَمَا اسْتَنّ وَلْغُ الذّئَابِ
غَدَوْنَا عَلى صَهَوَاتِ الخُطُوبِ جَوَادَيْ رِهَانٍ وَسَيْفَيْ قِرَابِ
صَقِيلَيْنِ تَسْتَلّنَا النّائِبَاتُ ، فَتُثْلَمُ فيهنّ ، وَالدّهرُ نَابِ
وَغُصْنَيْنِ يَلعَبُ فِينَا النّسيمُ ، وَتَنطِفُ عنّا نِطَافُ الرَّبَابِ
وَنَجْمَيْنِ يَقْصُرُ عَنْ نَيْلِنَا مِنَ الطّالعاتِ الذُّرَى وَالرّوَابي
وكُنّا ، إذا مَسّنَا حَادِثٌ نُقَلّمُ بالصّبْرِ ظِفْرَ المُصَابِ
إلَيكَ تَخَطّتْ فُرُوجَ القُلُوبِ بِكْرٌ مِنَ الآنِسَاتِ العِرَابِ
أُشَبّبُ فيها بِذِكْرِ المَشيبِ ، وَما استَيأسَتْ لِمّتي مِنْ شَبَابي

أغدراً يا زمان !

قال يفتخر

أغَدْراً يا زَمَانُ وَيا شَبَابُ ، أُصَابُ بذا ، لقَد عَظُمَ المُصَابُ
وَمَا جزَعي لِأنْ غَرُبَ التّصَابي ، وَحَلّقَ عَنْ مَفَارِقيَ الغُرَابُ

---

[1] الذباب : حد السيف ، والشر الدائم .

فَقَبْلَ الشَّيْبِ أَسْلَفْتُ الغَوَانِي قِلًى ، وَأَمَالَنِي عَنْهَا اجْتِنَابُ

عفَفْتُ عنِ الحِسانِ ، فلَم يرُعْني المَشيبُ ، وَلَمْ يُنَزِّقْنِي الشَّبَابُ

تُجَاذِبُنِي يَدُ الأَيَّامِ نَفْسِي ، وَيُوشِكُ أن يكُونَ لهَا الغِلابُ

وَتَغْدُرُ بِي الأَقارِبُ وَالأَداني ، فَلا عَجَبٌ ، إذا غَدَرَ الصِّحابُ

نهَضْتُ،وَقَدْ قَعَدْنَ بِيَ اللّيَالي، فَلا خَيْلٌ أعَنّ ، وَلا رِكَابُ

وَما ذَنبي إذا اتّفَقَتْ خُطُوبٌ مُغَالِبَةٌ ، وَأَيّامٌ غِضَابُ

وَآمُلُ أنْ تَقِي الأَيّامُ نَفْسِي ، وَفي جَنْبِي لهَا ظِفرٌ وَنَابُ

فَمَا لي وَالمُقَام عَلى رِجَالٍ دَعَتْ بِهِمُ المَطامعُ ، فاستَجابُوا

وَلَمْ أرَ كالرّجَاءِ اليَوْمَ شَيْئاً ، تَذِلّ لَهُ الجَمَاجِمُ وَالرّقَابُ

وَكَانَ الغَبْنُ لَوْ ذَلّوا وَنَالُوا ، فكَيْفَ إذاً وَقَدْ ذَلّوا وَخَابُوا

يُرِيدُونَ الغِنَى ، وَالفَقْرُ خَيْرٌ، إذا مَا الذّلّ أعْقَبَهُ الطِّلابُ

وَبَعْضُ العُدْمِ مَأثَرَةٌ وَفَخْرٌ؛ وَبَعضُ المَالِ مَنقَصَةٌ وَعَابُ

بَنَاني وَالعِنَانُ ، إذا نَبَتْ بِي رُبَى أرْضٍ وَرَحْلِي وَالرِّكَابُ

وَسَابِغَةٌ كَأنّ السّرْدَ فيهَا زُلالُ المَاءِ لَمّعَهُ الحَبَابُ

مِنَ اللاّئي يُمَاطُ العَيْبُ عَنْهَا إذا نُثِلَتْ لَدَى الرّوْعِ العِيابُ[1]

إذا ادُّرِعَتْ تَجَنّبَتِ المَوَاضِي مَعَاجِمَها ، وَقَهقَهَتِ الكِعابُ[2]

وَمُشْرِفَةُ القَذالِ تَمُرّ رَهْواً ، كَمَا عَسَلَتْ على القاعِ الذّئَابُ[3]

---

١ نثلت : أخرجت .

٢ الكعاب : أي كعاب الرماح .

٣ المشرفة : المرتفعة. القذال: مؤخر الرأس . الرهو: السير السهل. عسلت: اضطربت في مشيها.

مَجَلّيَةٌ تَشُقّ بِهَا يَدَاهَا ، كَمَا جَلّى لِغَايَتِهِ العُقَابُ[1]
وَمَرْقَبَةٍ رَبَأْتُ عَلَى ذُرَاهَا ، وَللّيْلِ انْجِفَالٌ وَانْجِيَابُ[2]
بِقُرْبِ النّجْمِ عالِيَةِ الهَوَادي ، يَبِيتُ عَلَى مَنَاكِبِهَا السّحَابُ
إلى أنْ لَوّحَ الصّبْحُ انْفِتَاقاً ، كَمَا جُلّي عَنِ العَضْبِ القِرَابُ
وَقَدْ عَرَفَتْ تَوَقُّلِيَ المَعالي ، كَمَا عَرَفَتْ تَوَقُّلِيَ العِقَابُ
وَنَقْبِ ثَنِيّةٍ سَدّدْتُ فيهَا أصَمَّ كَأنّ لَهْذَمَهُ شِهَابُ[3]
لِأمْنَعَ جَانِباً وَأُفِيدَ عِزّاً ، وَعِزُّ المَرْءِ مَا عَزَّ الجَنَابُ
إذا هَوْلٌ دَعَاكَ ، فَلا تَهَبْهُ ، فَلَمْ يَبْقَ الّذِينَ أبَوْا وَهَابُوا
كُلَيْبٌ عاقَصَتْهُ يَدٌ ، وَأوْدَى عُتَيْبَةُ يَوْمَ أقْعَصَهُ ذُؤابُ[4]
سَوَاءٌ مَنْ أقَلّ التُّرْبُ مِنّا ، وَمَنْ وَارَى مَعَالِمَهُ التّرَابُ
وَإنّ مُزَايِلَ العَيْشِ اخْتِصَاراً ، مُسَاوٍ للّذِينَ بَقُوا ، فَشَابُوا
فَأوّلُنَا العَنَاءُ ، إذا طَلَعْنَا إلى الدّنْيَا ، وَآخِرُنَا الذّهَابُ
إلى كَمْ ذا التّرَدّدُ في الأمَاني ، وَكَمْ يُلْوِي بِنَاظِرِيَ السّرَابُ
وَلا نَقْعٌ يُثَارُ ، وَلا قَتَامٌ ، وَلا طَعْنٌ يُشَبّ ، وَلا ضِرَابُ
وَلا خَيْلٌ مُعَقّدَةُ النّوَاصِي ، يَمُوجُ عَلَى شَكَائِمِهَا اللُّعَابُ

١ المجلية : السابقة في الحلبة .
٢ المرقبة : مكان المراقبة . ربأت : علوت .
٣ اللهذم : السنان الحاد القاطع .
٤ كليب بن ربيعة من تغلب ابنة وائل قتله جساس بن مرة . عتيبة بن الحارث أحد أبطال العرب أقعصه : قتله .

عَلَيها كلُّ مُلْتَهِبِ الحَوَاشِي ، يُصيبُ مِنَ العَدُوِّ وَلا يُصَابُ
أمَامَ مُجَلْجِلٍ كاللّيْلِ تَهوِي، أوَاخِرَهُ ، الجَمَايلُ وَالقِبَابُ[1]
وَأينَ يَحِيدُ عَنْ مُضَرٍ عَدُوّ ، إذا زَخرَتْ وَعَبّ لهَا العُبَابُ
وَقدْ زَأدَتْ ضَرَاغِمُها الضّوَارِي، وَقَدْ هَدَرَتْ مَصَاعبُها الصّعابُ[2]
هُنَالِكَ لا قَرِيبَ يَرُدّ عَنّا ، وَلا نَسَبٌ يَنُطّ بِنَا قَرَابُ[3]
سَأخطُبُهَا بِحَدّ السّيْفِ فِعلاً إذا لمْ يُغْنِ قَوْلٌ ، أوْ خِطَابُ
وآخُذُهَا ، وَإنْ رُغِمَتْ أُنُوفٌ مُغالَبَةً ، وَإنْ ذَلّتْ رِقَابُ
وَإنّ مُقَامَ مِثْلِي في الأعَادي ، مُقَامُ البَدْرِ تَنْبَحُهُ الكِلابُ
رَمَوْني بِالعُيُوبِ مُلَفَّقَاتٍ ، وَقَدْ عَلِمُوا بِأنّي لا أُعَابُ
وَإنّي لا تُدَنّسُني المَخَازِي ، وَإنّي لا يُرَوّعُني السِّبَابُ
وَلَمّا لَمْ يُلاقُوا فيّ عَيْباً كَسَوْني مِنْ عُيُوبِهِمُ وَعَابُوا

---

[1] تهوي : تسرع . الجمايل : جمع جمل .
[2] زأدت : أفزعت . مصاعبها : فحولها .
[3] ينط بنا : يشد بنا ، يمد بنا .

أبى الناس إلا النفاق

قال رحمه الله :

أثِرْهَا عَلى مَا بِهَا مِنْ لَغَبْ ، يُقَلْقِلُ أغرَاضَهَا وَالحَقَبْ[1]
وَلا تَرْقُبِ اليَوْمَ مَيْطَ الأذَى عَن اخْفافِها وَانْدِمَاء الجُلَبْ[2]
إلى أنْ تُعَجْعِجَهَا كَالحَنِيّ ، تَجْتَرّ بِالدّمِ لا بالعُشُبْ[3]
عَلَيها أخامِصُ مِثلُ الصّقُورِ ، طِوَالُ الرّجَاءِ جِسَامُ الأرَبْ[4]
وَكُلٌّ فَتًى حَظٌّ أجْفَانِهِ مِنَ الضّيْمِ مَضْمَضَةٌ تُستَلَبْ[5]
فَبَيْنَا يُقَالُ كَرَى جَفْنُهُ بقِطْعٍ مِنَ اللّيلِ إذْ قيلَ : هَبّ
إذا وَقَعُوا بَعْدَ طُولِ الكَلالِ ، لَمْ يَغمِزُوا قَدَماً مِنْ تَعَبْ[6]
وَلَمّا يَعَافُوا ، عَلى عِزّهِمْ ، تَوَسُّدَ أعضَادِهَا وَالرّكَبْ
وَعَرّجْ عَلى الغُرّ مِنْ هَاشِمٍ ، فأهْدِ السّلامَ لَهُمْ مِنْ كَثَبْ
وَقُلْ لِبَنِي عَمّنَا الواجِدِين : بني عَمّنا ، بعضَ هذا الغضَبْ[7]

١ الأغراض ، الواحد غرض : هو للرحل كالحزام للسرج . الحقب : الحزام يلي حقو البعير .
٢ الميط : الإبعاد . اندماء : سيلان الدم . الجلب ، الواحدة جلبة : القشرة تعلو الجرح عند البرء
٣ تعجعجها : تجعلها تصوت . الحني ، الواحدة حنية : القوس .
٤ الأخامص : الضوامر البطون ، الواحد خميص .
٥ المضمضة : دبيب النعاس في العينين .
٦ الغمز : الظلع ، العرج .
٧ الواجدين : الغاضبين . وقوله بعض هذا الغضب أراد : قللوا غضبكم .

أمَا آنَ للرّاقِدِ المُسْتَمِرّ · في ظُلَمِ الغَيّ أنْ يَستَهِبّ
سَرَحتُمْ سَفاهتَكُمْ في العُقوق · ولَمْ تَحفِلُوا الحِلْمَ لمّا غَرَبْ
ولمّا أرِنتُمْ إرَانَ الجَمُوحِ ، · وَمَاجَ بِكُمْ حبلُكُمْ واضْطرَبْ
أقَمْنَا أنابيبَكُمْ بالثِّقَافِ ، · وَداوَى الهِنَاءُ مِطَالَ الجَرَبْ
وَيَا رُبّمَا عَادَ سُوءُ العِقَابِ · عَلى المُذْنِبِينَ بِحُسْنِ الأدَبْ
ولَيْسَ يُلامُ امرُؤٌ شَفّهُ · مَضِيضٌ مِنَ الدّاءِ أنْ يَستطِبّ
أطَالَ وَأعرَضَ مَا بَيْنَنَا ، · مُبِيرَ الحَيَاءِ مُثِيرَ الرِّيَبْ
أفي كُلّ يَوْمٍ لِرِقّ الهَوَانِ · صَبِيبَةُ أنفُسِكُمْ تَنسَكِبْ
إذا قَادَكُمْ مثلَ قَوْدِ الذّلُولِ · نَفَرْنَا نُفُورَ البَعيرِ الأزَبّ[1]
وَفي كُلّ يَوْمٍ إلى دارِكُمْ · مَزَاحِفُ مِنْ فَيْلَقٍ ذي لجَبْ
بِوَهْوَهَةِ الخَيْلِ تَحْتَ الرِّمَاحِ · مُكَرْهَةً ، وَرُغَاءِ النُّجُبْ[2]
سِيَاطُ الجِيَادِ بِهِ إنْ وَنَينَ ، · وَزَجْرُ الرِّحَالِ بِهَالٍ وَهَبّ[3]
وتَلْقَوْنَهَا كَقِدَاحِ السَّرَا · ءِ ، قُوداً تَجُرّ العَوَالي وَقُبّ[4]
كَأنّ حَوَافِرَهَا وَالصّخُورَ · إذا مَا ذَرَعْنَ الدّجَى في صَخَبْ
تَسُدّ عَلى البِيدِ خَرْقَ الشَّمَالِ · بِما نَسَجَتْ من سَحيلِ التُّرَبْ[5]

---

١ الأزب : الكثير الشعر .
٢ الوهوهة : صوت الفرس في آخر صهيله .
٣ الونى : التعب . هال وهب : زجر للخيل .
٤ القود : الخيول التي تقاد . القب : الضوامر البطون ، الواحد أقب .
٥ السحيل : ثوب لا يبرم غزله .

وَطِئْنَ التّجيعَ بِأرْسَاغِهِنّ ، مِمّا انْتَعَلْنَ الرُّبَى وَالذّأبْ[1]

وَكَمْ قَرَعَ الدّوّ مِنْ حَافِرٍ يُخَالُ عَلى الأرْضِ قَعباً يُكَبّ

تُهَزّ السّيُوفُ لأعْنَاقِكُمْ ، فتَأبَى مَضَارِبَ تِلْكَ القُضُبْ

وَتُسْفِرُ أحْسَابُنَا بَيْنَنَا ، فَنُلْقي طَوَائِلَنَا أوْ نَهَبْ[2]

يُنَاشِدُنَا اللهَ في حَرْبِكُمْ عُرَيْقٌ لَكُمْ في أبينَا ضَرَبْ

وَمَا أحْدَثَ الدّهْرُ مِنْ نَبْوَةٍ ، وَقَطّعَ مَا بَيْنَنَا مِنْ سَبَبْ

فَإنّ النّفُوسَ إلَيْكُمْ تُشَاقُ ؛ وَإنّ القُلُوبَ عَلَيكُمْ تَجِبْ

وَإنّا نَرَى لِجِوَارِ الدّيَارِ حُقُوقاً ، فَكَيْفَ جِوَارُ النّسَبْ

تَمَاسُسُ أرْحَامِنَا ، وَالذّمَامُ مِنْ دونِ ذاكَ عَلَينا يَجِبْ

فَإنْ نَرْعَ شِرْكَةَ أحْسَابِنَا جَميعاً ، فَذلِكَ دِينُ العَرَبْ

إذا لَبِسَتْ بِقُوَاهَا قُوًى ، وَإنْ طُنُبٌ مَسّ مِنها طُنُبْ

أرَاحَ بَني عَامِرٍ ذُلُّهُمْ ، وَعَرّضَنَا عِزُّنَا للتّعَبْ

وَفَرْنَا عَلَيْهِمْ طَرِيقَ البَقَاءِ ، وَخَلّوْا لَنَا عَنْ طَرِيقِ العَطَبْ

فَقَدْ أصْبَحوا في ذِمامِ الخُمولِ ، لا تَدّرِيهِمْ مَرَامي النُّوَبْ[3]

أبَى النّاسُ إلاّ ذَميمَ النّفَاقِ ، إذا جَرّبُوا ، أوْ قَبيحَ الكَذِبْ

كِلابٌ تُبَصْبِصُ خوْفَ الهَوَانِ ، وَتَنْبَحُ بَينَ يَدَيْ مَنْ غَلَبْ

١ الذأب : الخوف ، والطرد .
٢ نلقي : نبذل .
٣ تدريهم : تختلهم .

أذُمّ لِوَجْهي علَى مَا بِهِ ، وَلا يَعدِلُ الذّلُّ عندي النّشَبْ
وَمَنْ وَجَدَ الرِّزْقَ عِندَ السيوفِ فلَمْ يَتَحَمّلْ لذلّ الطّلَبْ
وَإنّ مَنَازِلَ هَذا الزّمَانِ لأبْنَائِهِ نُوَبٌ أوْ عُقبْ
لِذَلِكَ يَرْكَبُ مَنْ قَدْ سَعَى طَوِيلاً وَيَرْحَلُ مَنْ قد رَكِبْ
أنَا ابنُ الأنَاجِبِ مِنْ هَاشِمٍ ، إذا لمْ يَكُنْ نُجُبٌ مِنْ نُجُبْ
ثَلاثٌ بُرُودُهُمُ بِالرِّمَاحِ ، وَتُلْوَى عَمائِمُهُمْ بالشُّهُبْ
عِتَاقُ الوُجُوهِ ، وَعُتْقُ الجِيادِ في الضُّمْرِ تَعْرِفُهُ وَالقَبَبْ
يَشِفّ الوَضَاءُ خِلالَ الشّحُوبِ مِنها،وَخَلْفَ الدّخَانِ اللّهَبْ
وَقَارٌ يُهَابُ ، وَنَادٍ يُنَابُ ، وَحِلْمٌ يُرَاحُ ، وَرَأيٌ يُغَبّ[1]
إذا استبَقَ القَوْمُ طُرْقَ النّجاءِ ، وَذَمّ الجَبَانُ قُعُودَ الهَرَبْ
رَأيتَهُمُ في ظِلالِ القَنَا ، وَقَدْ ضَاقَ للكَرْبِ عِقْدُ اللّبَبْ[2]
قَدِ امتَنَعُوا بحُصُونِ الدّرُوعِ ،وَاستَعصَمُوا بِقِبَابِ اليَلَبْ[3]
أُولَئِكَ قَوْمي لَمْ يُغْمَزُوا بهُجْنَةِ أُمٍّ وَلا لُؤْمِ أبْ
وَمَنْ قالَ : إنّ جَمِيعَ الفَخَارِ لِغَيْرِ ذَوَائِبِ قَوْمي كَذَبْ

١ يناب : يتردد إليه . يغب ، من غب الرأي : تأنى فيه
٢ اللبب : كناية عن الضيق والشدة .
٣ اليلب : خالص الحديد والفولاذ .

إلى كم آشق الليل

هل ِ الطَّرْفُ يُعطي نَظرَةً من حَبيبه ِ ، أم ِ القَلبُ يلقَى راحَةً مِنْ وَجيبِه ِ
وهَلْ لِلَّيالي عَطْفَةٌ بعدَ نَفرة ٍ ، تعودُ فتلْهي ناظراً عن غُروبِه ِ
وَلله ِ أيّامٌ عَفَوْنَ كَمَا عَفَا ذَوَائِبُ ميّاس ِ العَرَار ِ رَطيبِه ِ
أحِنّ إلى نَور ِ الرّبَى في بِطَاحِه ِ ، وَأظْمَا إلى رَيّا اللّوَى في هُبُوبِه ِ
وَذاكَ الحِمَى يَغدُو عَليلاً نَسيمُهُ ، وَيُمْسِي صَحيحاً مَاؤُهُ في قَليبِه ِ
حَبَبْتُ لِقَلْبي ظِلَّهُ في هَجيرِه ِ إذا ما دجا أوْ شَمسَهُ في ضريبِه ِ[1]
وَعَهْدي بذاكَ الظّبي ِ إبّانَ زُرْتُهُ ، رَعَاني، وَلمْ يَحفِلْ بعَينَيْ رَقيبِه ِ
وَحَكّمَ ثغْرِي في إنَاء ِ رُضَابِه ِ ، وَأدْنَى جوَادي مِنْ إنَاء ِ حَليبِه ِ
هوَ الشّوْقُ مَدلولاً على مَقتَل ِ الفتى إذا لَمْ يَعِدْ قَلْباً بِلُقْيَا حَبيبِه ِ
تُعَيِّرُني تَلْوِيحَ وَجْهي ، وَإنّمَا غَضَارَتُهُ مَدْفُونَةٌ في شُحُوبِه ِ
فَرُبّ شَقَاء ٍ قَدْ نَعِمْنَا بِمُرّه ِ ؛ وَرُبّ نَعيم ٍ قَدْ شَقينَا بطيبِه ِ
وَلَوْلا بَوَاقي نَائِبَات ٍ مِنَ الرّدَى غَفَرْتُ لهَذا الدّهر ِ مَاضِي ذُنُوبِه ِ
وَإنّي لعِرْفَان ِ الزّمَان ِ وَغَدْرِه ِ أبيتُ وَمَا لي فِكْرَةٌ في خُطُوبِه ِ
وَأُصْبِحُ لا مُسْتَعْظِماً لعَظيمِه ِ بقَلْبي ، وَلا مُسْتَعْجِباً لعَجيبِه ِ
يَغُمّ الفَتَى ذِكْرُ المَشيب ِ ، وَرُبّما يَلْقَى انْقِضَاءَ العُمْر ِ قَبلَ مَشيبِه ِ

---

[1] ضريبه : ثلجه .

وَيُنْسيه بَدْءَ العَيْشِ ما في عَقيبِهِ ، وَجيئَتُهُ تُبْدي لَنَا عَنْ ذُهُوبِهِ
إلى كمْ أشُقّ اللّيلَ عَنْ كلّ مَهمهٍ ، وَأرْعَى طُلُوعَ النّجمِ حتى مَغيبِهِ
أخُطّ بِأطْرَافِ القَنَا كُلّ بَلْدَةٍ ، وَأمْلي جَلابِيبَ المَلا مِنْ نُدُوبِهِ[1]
وكُنْتُ إذا خَوّى نَجيبٌ تَرَكْتُهُ أسيرَ عِقالٍ مُؤلِمٍ مِنْ لُغُوبِهِ[2]
رَجاءً لِعِزٍّ أقْتَنيهِ وَحَالَةٍ تَزيدُ عَدُوّي مِنْ غَوَاشي كُرُوبِهِ
وَبَزْلاءَ مِنْ جُنْدِ اللّيَالي لَقيتُهَا بقَلْبٍ بَعيدِ العَزْمِ فيها قَريبِهِ[3]
نَصَبْتُ لهَا وَجْهي ، وَلَيس كَعاجزٍ يُوَقّيهِ حَرَّ الطّعْنِ مَنْ يَتّقي بهِ
وَخَيْلٍ كأمْثَالِ القَنَا تَحمِلُ القَنَا عَلى كُلّ عُنْقٍ عاقِدٍ من سَبيبِهِ
حَمَلْتُ عَلَيها كُلّ طَعّانِ سُرْبَةٍ كمَا نَهزَ السّاقي بِجَنْبَيْ قَليبِهِ
قَضَى وَطَرَ العَلْياءِ مَنْ رَكبَ القَنا ، وَأوْلَغَ بِيضاً مِنْ دَمٍ في صَبيبِهِ
وكَمْ قَعْدَةٍ مِنّي أقَمْتُ بِبَأسِها إلى الطّعْنِ مَيّادَ القَنَا في كُعُوبِهِ
وَلمّا رَكِبْتُ الهَوْلَ لمْ أرْضَ دونَهُ ، وَمَنْ رَكبَ اللّيثَ اعتَلى عن نجيبِهِ
تُريحُ عَلَينا ثَلّةَ المَجْدِ شُزَّبٌ تُغالي ، وَأيْدٍ مِنْ قَناً في صَليبِهِ[4]
وَأبْيَضَ مِنْ عَلْيَا مَعَدٍّ ، بَنانُهُ مُقَاوِمُ رَيّانِ الغِرارِ خَضيبِهِ
أخَفُّ إلى يَوْمِ الوَغَى مِنْ سِنَانِهِ ، وَأمضَى عَلى هامِ العِدى من قَضيبِهِ
هَلِ السّيْفُ إلاّ مُنْتَضًى من لحاظِهِ ، أوِ البَدْرُ إلاّ طَالِعٌ مِنْ جُيُوبِهِ

١ أملي : أطيل وأوسع . الملا : الصحراء . الندوب : آثار الجراح ، الواحد ندب .
٢ خوى : خمص بطنه .
٣ البزلاء : الداهية .
٤ ثلة المجد : أراد كساء المجد . الشزب : الخيول الضامرة . تغالي : أي في سيرها .

إذا سُئِلَ انْهالَ النّدَى مِنْ بَنانِهِ ، كما انهالَ أذيالُ النّقا مِنْ كَثِيبِهِ
جَوَادٌ ، إذا مَا مَزّقَ الذّوْدَ عَضْبُهُ أذاعَ النّدى مِنْ جُرْدِهِ بَعدَ نيبِهِ[1]
يَسيرُ أمَامَ النّجْمِ عِنْدَ طُلُوعِهِ ، ويَهْوِي أمَامَ النّجْمِ عندَ غرُوبِهِ
رَضِيتُ بهِ في صَدْرِ يَوْمِ عَجاجِهِ على شَمْسِهِ عارِيّةً مِنْ سُهُوبِهِ
مضَى يحرُسُ الأقرانَ بالطّعنِ في الطُّلَى ، وَقَدْ لَجّ نَعّابُ القَنَا في نَعيبِهِ
أنَا ابنُ نَبيّ اللهِ ، وَابنُ وَصِيّهِ ، فَخَارٌ عَلا عَنْ نِدّهِ وَضَرِيبِهِ
تَأدّبَ منّي رائِعُ الخَطْبِ بَعدَمَا تَجَلّى سفيهُ الجَدّ لي عَنْ أديبِهِ
فَوَاللهِ لا ألْقَى الزّمانَ بِذِلّةٍ ، وَلَوْ حَطّ في فَوْديّ أمضَى غُرُوبِهِ
قَنِعْتُ ، فَعندي كُلُّ مَلْكٍ نُزُولُهُ عَنِ العِزّ وَالعَلْيَاءِ مثلُ رُكُوبِهِ
وَمَا أسَفِي إلاّ عَلى مَا جَلَوْتُهُ عَلى سَمْعِ مَنْزُورِ النّوَالِ نَضُوبِهِ
إذا مَا رَآني قَطّعَ اللّحْظَ طَرْفُهُ ، وَعَنْوَنَ لي إطْرَاقُهُ عَنْ قُطُوبِهِ
وَمَن لمْ يكُنْ حَمدي نَصيباً لبِشرِهِ جَعَلتُ ضُرُوبَ الذّمّ أدنَى نصيبِهِ
وَلَوْ أنّ عَضْبي مُمكِنٌ ما ذَمَمتُهُ ، وَكانَ مَكَانَ الذّمّ رَدْعُ جُيُوبِهِ[2]
وَإنّ عَنَاءَ النّاظِرين كِلَيْهِمَا ، إذا طَمِعَا مِنْ بارِقٍ في خُلُوبِهِ
أُعَابُ بشِعرِي ، وَالّذِي أنَا قَائِلٌ يُقَلْقِلُ جَنْبي عائبٌ مِنْ مَعيبِهِ
وَكُلُّ فَتًى يَرْنُو إلى عَيبِ غَيرِهِ سَرِيعاً وَتَعمَى عَينُهُ عَنْ عُيُوبِهِ

١ الذود : الجماعة من الإبل . الجرد : الخيول القصيرة الشعر ، الواحد أجرد . النيب : المسنات من النياق ، الواحدة ناب .

٢ الردع : أثر الطيب في الثياب .

وَمَا قَوْلِيَ الأشْعَارَ إلاّ ذَرِيعَةٌ إلى أمَلٍ قَدْ آنَ قَوْدُ جَنيبِهِ

وَإنّي ، إذا مَا بَلّغَ اللهُ مُنْيَتي ، ضَمِنتُ لهُ هَجرَ القَرِيضِ وَحُوبِهِ[1]

فَهَلْ عائِبي قَوْلٌ عَقَدْتُ بفَضْلِهِ فَخَارِي ، وَحَصّنتُ العُلى بضُرُوبِهِ

سأترُكُ هذا الدّهرَ يَرْغُو رُغَاؤهُ ، وَتَصرُفُ من غَيظي بَوادي نُيُوبِهِ

وَأجعَلُ عَضْبي دُونَ وَجْهي وِقايَةً ، ليأمَنَ عندي مَاؤهُ مِنْ نُضُوبِهِ

قضاء الإله

قال رحمه الله يعزي بهاء الدولة
عن ولده أبي منصور بويه
وتوفي في شعبان سنة ٣٩٨ :

كَانَ قَضَاءُ الإلَهِ مَكْتُوبَا ، لَوْلاكَ كَانَ العَزَاءُ مَغْلُوبَا

مَا بَقِيَتْ كَفُّكَ الصَّنَاعُ لَنَا ، فَكُلُّ كَسْرٍ يَكُونُ مَرْؤوبَا[2]

ما احتَسَبَ المَرْءُ قد يَهُونُ ، وَما أوْجَعَ مَا لا يَكُونُ مَحْسُوبَا[3]

نَهْضاً بِهَا صَابِراً ، فأنْتَ لهَا ، وَالثّقْلُ لا يُعْجِزُ المَصَاعِيبَا

١ الحوب : الإثم .

٢ كفك الصناع : أي الحاذقة الماهرة في العمل . المرؤوب : المجبور

٣ احتسب ولده : فقده كبيراً .

فَقَدْ أرَتكَ الأسَى ، وَإنْ قدُمتْ ، عَنْ يُوسُفٍ كيفَ صَبرُ يَعقُوبَا
طَمِعتَ ، يا دَهْرُ ، أنْ تُرَوّعَهُ ، ظَنّاً على الرّغمِ منكَ مَكذُوبَا
مَا يُؤمِنُ المَرْءَ بَعْدَ مَسمَعِهِ قَرْعَ اللّيَالي لَهُ الظّنَابيبَا[1]
تُنْذِرُ أحْداثُهَا وَيَأمَنُهَا مَا آنَ أنْ يَستَرِيبَ مَنْ رِيبَا
شَلّ بَنَانُ الزّمَانِ كَيفَ رَمَى مُسَوَّماً للسّبَاقِ مَجنُوبَا
طِرْفُ رِهَانٍ رَمَاهُ ذُو غرَرٍ نَالَ طَلُوباً ، وَفَاتَ مَطْلُوبَا
كَانَ هِلالُ الكَمَالِ مُنْتَظَراً ، وَكَانَ نَوْءُ العَلاءِ مَرْقُوبَا
وَأعْجَمِيُّ الأُصُولِ تَنْصُرُهُ بَداهَةٌ تَفْضَحُ الأعَارِيبَا
مَدّتْ إلَيْهِ الظُّبَا قَوَائِمَهَا تُعْجِلُهُ ضَارِباً وَمَضْرُوبَا
مُرَشَّحاً للجِيَادِ يُطْلِعُهَا عَلَى العِدَى ضُمَّراً سَرَاحِيبَا[2]
وَللمَبَاتِيرِ في وَغًى وَقِرًى يُولِغُهَا الهَامَ وَالعَرَاقِيبَا[3]
ذَوَى كمَا يَذبُلُ القَضِيبُ ، وكمْ مَأمُولِ قَوْمٍ يَصِيرُ مَندُوبَا
صَبراً فَراعي البِهامِ إنْ كَثُرَتْ لا بُدّ مِنْ أنْ يُحاذِرَ الذِّيبَا
وَإنّ دُنْيَا الفَتَى ، وَإنْ نُظِرَتْ ، خَميلَةٌ تُنْبِتُ الأعَاجِيبَا
نَسيغُ أحْداثَهَا عَلَى مَضَضٍ ، ما جَدَحَ الدّهْرُ كانَ مَشرُوبَا
إذا السِّنَانُ الطّرِيرُ دامَ لَنَا فَدَعْهُ يَسْتَبْدِلُ الأنَابِيبَا

١ قرع ظنابيب الأمر : كناية عن تسهيله . والظنبوب : حرف الساق من قدم .
٢ السراحيب ، الواحد سرحوب : العتيق الخفيف .
٣ المباتير : أراد بها السيوف ، من بتر قطع .

وَهَلْ يَخُونُ الطِّعانَ يَوْمَ وَغًى أنْ نُقِصَ السَّمْهَرِيَ أنْبُوبَا

مَا هَيبَةُ السّيفِ بالغُمودِ ، وَلا أهيب مِنْ أنْ تَراهُ مَسْلُوبَا

وَالبَدْرُ مَا ضَرّهُ تَفَرّدُهُ ، وَلا خَبَا نُورُهُ وَلا عِيبَا

وَمَا افتِراقُ الشُّبُولِ عَنْ أسَدٍ بِمانِعٍ أنْ يَكُونَ مَرْهُوبَا

وَالفَحلُ إنْ وَافقَتْ طَرُوقَتُهُ ، أبْدلَ مِنْ مُنجِبٍ مَناجِيبَا

وَالعَنْبَرُ الوَرْدُ إنْ عَبَثْتَ بِهِ ، مِثْلَما زادَ عَرْفُهُ طِيبَا

يَطيحُ مُسْتَصْغَرُ الشّرارِ عَنِ الزّنْدِ ، وَيَبْقَى الضِّرامُ مَشْبُوبَا

مَحّصَتِ النّارُ كُلَّ شَائِبَةٍ ، وَزادَ لَوْنُ النُّضَارِ تَهْذِيبَا

إنْ زَالَ ظِفْرٌ ، فأنْتَ تُخْلِفُهُ ، وَاللّيثُ لا يُخْلِفُ المَخالِيبَا

بِقَدْرِ عِزّ الفَتَى رَزِيّتُهُ ، مَنْ وَتَرَ الدّهْرُ بَاتَ مَرْعُوبَا[1]

وَاللّؤلُؤ الرّطْبُ في قَلائِدِهِ ، مَا كَانَ لَوْلا الخَلالُ مَثْقُوبَا

إنْ كُنْتُ مُسْتَسقياً لمَنْجَعَةٍ ، مُجَلْجِلاً بالقُطارِ أُسْكُوبَا[2]

فَاسْتَسْقِ مُسْتَغنِياً بِهِ أبَداً ، مِنْ قَطرِ جَدوَى أبيهِ شُؤبُوبَا

وَمَا انْتِفَاعُ النّبَاتِ صَوّحَهُ هَيفُ الرّدى أن يكونَ مَهضُوبَا[3]

فَاسْلَمْ مَليكَ المُلُوكِ ما بقيَ الدّهْرُ مُبَقًّى لَنَا وَمَوْهُوبَا

لا خَافَ أبنَاؤكَ الّذِينَ بَقُوا حَدّاً مِنَ النّائِبَاتِ مَذْرُوبَا

١ وتره : أفزعه .

٢ المنجعة : مكان طلب الكلإ . القطار : المطر . الأسكوب : المنسكب .

٣ صوحه : أيبس أعلاه . الهيف : العطش . المهضوب : الممطور .

وَلا تَرَى السّوءَ فِيهِم أبَداً ، حَتّى يَكُونُوا الدّوَالِفَ الشِّيبَا
لا رَوّعَتْ سَرْحَكَ المَنُونُ ، وَلا أصْبَحَ سِرْبٌ حَمَيْتَ مَنْهُوبَا
لا يَجِدُ الدّهْرُ مَسْلَكاً أبَداً ، وَلا طَرِيقاً إلَيْكَ مَلْحُوبَا
وَلا رَأيْنَا الخُطُوبَ داخِلَةً رِوَاقَ مَجدٍ عَلَيكَ مَضرُوبَا

القدر الغالب

يرثي الصاحب عميد الجيوش أبا علي ، وتوفي ليلة الجمعة التاسع عشر من جمادى الأولى سنة ٤٠١ من شكية لحقته وتولى هو الصلاة عليه وكان سنه تسعاً وأربعين سنة ودفن بمقابر قريش :

كَذا يَهْجُمُ القَدَرُ الغالِبُ ، وَلا يَمْنَعُ البَابُ وَالحَاجِبُ
تَغَلْغَلَ يَصْدَعُ شَمْلَ العُلَى ، كَمَا ذَعذَعَ الإبِلَ الخارِبُ[1]
وَقَدْ كَانَ سَدّ ثَنَايَا العَدُوّ ، فَمِنْ أينَ أوْضَعَ ذا الرّاكِبُ
وَهَابَتْ جَوَانِبَهُ النّائِبَاتُ ، زَمَاناً ، وَقَدْ يُقدِمُ الهَائِبُ
طَوَاكَ إلى غَيْرِكَ المُعتَفي ، وَجَاوَزَ أبْوَابَكَ الرّاغِبُ
وَهَلْ نَحْنُ إلاّ مَرَامي السّهامِ ، يَحْفِزُهَا نَابِلٌ دائِبُ
نُسَرّ إذا جَازَنَا طَائِشٌ ، وَنَجْزَعُ إنْ مَسّنَا صَائِبُ

[1] الخارب : سارق الإبل .

فَفي يَوْمِنَا قَدَرٌ لابِدٌ ، وَعِنْدَ غَدٍ قَدَرٌ وَاثِبُ
طَرائِدُ تَطْلُبُهَا النّائِبَاتُ ، وَلا بُدّ أنْ يُدْرِكَ الطّالِبُ
أرَى المَرْءَ يَفْعَلُ فِعْلَ الحَدِيدِ ، وَهوَ غَداً حَمَأٌ لازِبُ[1]
عوارِيٌّ مِنْ سَلَبِ الهَالِكِينَ ، يَمُدّ يَداً نَحوَهَا السّالِبُ
لَنَا بالرّدَى مَوْعِدٌ صَادِقٌ ، وَنَيْلِ المُنى وَاعِدٌ كاذِبُ
نُصَبّحُ بالكَأسِ مَجدُوحَةً ، وَلا عِلْمَ لي أيُّنَا الشّارِبُ
حبَائِلُ للدّهْرِ مَبْثُوثَةٌ ، يُرَدّ إلى جَذْبِهَا الهَارِبُ
وكَيْفَ يُجَاوِزُ غَايَاتِنَا ، وَقَدْ بَلَغَ المَوْرِدَ القَارِبُ[2]
لَقَدْ كانَ رَأيُكَ حَلّ العِقالِ ، إذا طَلَعَ المُعْضِلُ الكَارِبُ
وَقَدْ كانَ عندكَ فَرجُ المَضِيقِ ، إذا عَضّ بالقَتَبِ الغَارِبُ[3]
يَفيءُ إلَيْكَ مِنَ القَاصِيَاتِ مُرَاحُ المَنَاقِبِ وَالعازِبُ[4]
فَيَوْمُ النُّهَى مُشْرِقٌ شامِسٌ؛ وَيَوْمُ النّدَى ماطِرٌ ساكِبُ
فَأيْنَ الفَيَالِقُ مَجرُورَةً ، وَقَدْ عَضّلَ اللّقَمُ اللاّحِبُ[5]
وَأيْنَ القَنَا كَبَنَانِ الهَلُوكِ ، بِماءِ الطُّلَى أبَداً خَاضِبُ[6]

١ الحمأ : الطين الأسود المنتن . اللازب : الذي يلصق باليد لاشتداده .
٢ القارب : طالب الماء ليلا .
٣ أراد : إذا عض القتب بالغارب فقلب . والقتب : الرحل . الغارب : أعلى السنام .
٤ يفيء : يرجع . المراح : المأوى .
٥ عضل : ضاق . اللقم : معظم الطريق . اللاحب : الواضح .
٦ الهلوك من النساء : الفاجرة .

كَأنّ السّوَابِقَ مِنْ تَحتِهَا ، دَبَى طَائِرٌ ، أوْ قَطاً سَارِبُ[1]
لهَا قَسْطَلٌ كَنَسيجِ السَّدُوسِ ، بِهَامِ الرُّبَى أبَداً عَاصِبُ[2]
وَمَلْبُونَةٍ في بُيُوتِ الغُزِيّ يُقَدَّمُ إغْبَاقَهَا الحَالِبُ[3]
نَزَائِعَ لا شَوْطُهَا في المُغَارِ قَرِيبٌ ، وَلا غَزْوُهَا خَائِبُ
فَسَرْجٌ وَغًى مَا لَهُ وَاضِعٌ ؛ وَجَيْشُ عُلًى مَا لَهُ غَالِبُ
وَكُنْتَ العَمِيدَ لهَا وَالعِمَادَ ، فَضَاعَ الحِمَى ، وَوَهَى الجانِبُ
فَمَاذا يُشِيدُ هُتَافُ النّعِيّ فِيكَ ، وَمَا يَنْدُبُ النّادِبُ
أمَدّتْ عَلَيْكَ القُلُوبُ العُيُونَ فَلَيْسَ يُرَى مَدْمَعٌ نَاضِبُ
أرَى النّاسَ بَعْدَكَ في حَيرَةٍ ، فَذُو لُبّهِمْ حَاضِرٌ غَائِبُ
كمَا اختَبَطَ الرّكْبُ جِنحَ الظّلامِ وَقَدْ غَوّرَ القَمَرُ الغارِبُ
وَلمّا سبَقْتَ عُيُوبَ الرّجَالِ ، تَعَلّلَ مِنْ بَعْدِكَ العَائِبُ
وَلَمْ أرَ يَوْماً كَيَوْمٍ بِهِ خبَا مَثْقَبٌ ، وَهَوَى ثَاقِبُ[4]
تَلُومُ الضّوَاحِكَ فيكَ البُكَاةُ ، وَيَعْجَبُ للبَاسِمِ القَاطِبُ
سَقَاكَ ، وَإنْ كُنتَ في شَاغِلٍ عَنِ الرّيّ ، داني النّدَى صَائِبُ
مُرِبٌّ إذا مَخَضَتْهُ الجَنُوبُ ، أبَسّتْ بِهِ شَمْألٌ لاغِبُ[5]

١ الدبى : الجراد الصغير .
٢ السدوس : الطيلسان الأخضر .
٣ الملبونة : الفرس المغذاة باللبن . الغزي : الواحد غاز . إغباقها : سقيها اللبن مساء .
٤ مثقب ، مصدر ميمي من ثقبت النار : اتقدت ، والمثقب بكسر الميم : النافذ الرأي . الثاقب النجم المرتفع على النجوم .
٥ المرب ، من أربت السحابة : دام مطرها . مخضته : حركته . ابست به : ساقته . اللاغب : الضعيف

يَجُرُّ ثِقَالَ أَرْدافِهِ   كَمَا بَادَرَ القِرَّةَ الحَاطِبُ[1]

كَسَوْقِ البَطيءِ بِسَوْطِ السَّريعِ ،   يَنُوءُ ، وَيُعْجِلُهُ الضَّارِبُ

يُصيبُكَ بالقَطْرِ شَفّانُهُ ،   كَمَا قَرَعَ الجَمْرَةَ الحَاصِبُ[2]

وَلَوْلا قِوَامُ الوَرَى أَصْبَحَتْ   يُرِنَّ عَلى صَدْعِهَا الشّاعِبُ

وَبَاتَتْ، وَقَدْ ضَلَّ عَنها الرِّعاءُ،   مُحَفَّلَةً مَا لَهَا حَالِبُ

وَسَاقَ العَدُوُّ أَضَاميمَهَا ،   وَمَا آبَ مِنْ طَرْدِها آيِبُ

وَمَا بَقِيَ الجَبَلُ المُشْمَخِرُّ ،   فَمَا ضَرّنَا الجَبَلُ الوَاجِبُ[3]

وَمَا يُنْقِصُ الثَّلْمُ في المَضْرِبَيْنِ   إذا اهتَزَّ في القَائِمِ القَاضِبُ[4]

بِمِثْلِ بَقَائِكَ غَيْثَ الأنَا   مِ يَرْضَى عَنِ الزّمَنِ العَاتِبُ

لهَانَ عَلَيْنَا ذَهَابُ الرّديفِ   مَا بَقِيَ الظّهْرُ وَالرّاكِبُ

١ القرة : البرد .
٢ الشفان : البرد والمطر . الجمرة : الحصاة . الحاصب : رامي الجمار .
٣ المشمخر : العالي . الواجب : الساقط .
٤ مضرب السيف : حده . القاضب : السيف القاطع .

حسام أغمد في الضريح

وقال رحمه الله يرثي أبا القاسم الشريف علي بن الحسين
أبا تمام الزينبي نقيب العباسيين وتوفي في ذي القعدة سنة
٣٨٤ وكان بينهما صـــداقة وكيدة :

مِنَ ايِّ الثّنَايَا طَالَعَتْنَا النّوائِبُ ، وَأيّ حِمًى مِنّا رَعَتْهُ المَصَائِبُ
خَطَوْنَ إلَينا الخيلُ وَالبِيضُ وَالقَنا ، فَمَا مَنَعَتْ عَنّا القَنا وَالقَوَاضِبُ
وَضَلّ بِنَا قَصْدُ الطّرِيقِ ، كَأنّمَا تَؤمّ المَنَايَا لا النّجَاءُ الرّكَائِبُ
نَرُوغُ كَما راغَ الطّرائِدُ دُونَهَا ، وَتَجلُبُنَا عَوْداً إلَيْهَا الجَوالِبُ
طِوَالُ رِمَاحٍ لا تَقي ، وَعَقَائِلٌ مِنَ الجُرْدِ لا يَنجُو عَلَيهِنّ هارِبُ
فَأيْنَ النّفُوسُ الآبِيَاتُ مُلِيحَةً من الضّيمِ وَالأيدي الطّوالُ الغَوالِبُ[1]
وَأينَ الطّعانُ الشَّزْرُ يُثْنَى بِمِثْلِهِ رِقَابُ الأعادي دُونَنَا وَالكَتَائِبُ
إذا لَمْ يُعِنْكَ اللهُ يَوْماً بِنُصرَةٍ ، فَأكبَرُ أعوَانٍ عَلَيْكَ الأقَارِبُ
وَإنْ هُوَ لَمْ يَعصِمْكَ منهُ بجُنّةٍ ، فَقَد أُكثِبَتْ للضّارِبِينَ المَضارِبُ[2]
تَناهَى بِنا الآجَالُ عَنْ كلّ مُدّةٍ ، وَمَا تَنْتَهي بالطّالِبِينَ المَطالِبُ
نُغَرّ بإيعَادِ الرّدَى ، وَهْوَ صَادِقٌ ، وَنَطمَعُ في وَعدِ المُنَى ، وَهوَ كاذِبُ
أفي كُلّ يَوْمٍ لي صَديقٌ مُصَادِقٌ يُجيبُ المَنَايَا ، أوْ قَرِيبٌ مُقارِبُ

١ مليحة : محاذرة .
٢ الجنة : الترس ، الوقاية . أكثبت : أدنيت .

لَعَمْرِي ، لَقَدْ أبْقَى عَليّ بيَوْمِهِ لَوَاعِجَ تُمْلِيهَا عَليّ العَوَاقِبُ
رَمَاهُ الرّدَى عَنْ قَوْسِهِ ، فأصَابَه، وَلَمْ يُغْنِنا أنْ دَرّعَتنا التّجارِبُ
هُوَ الوَالِجُ العَادي الّذِي لا يَرُوعُهُ مِنَ البَابِ بَوّابٌ عَلَيْهِ وَحَاجِبُ
وَلا نَاصِرٌ، سِيّانِ مَنْ هُوَ حاضِرٌ، إذا مَا دَعَا مِنّا ، وَمَنْ هُوَ غائِبُ
تَسيرُ وَلِلآجَالِ فَوْقَ رُؤوسِنَا تَهزّمُ نَوْءٍ بالمَقادِيرِ صَائِبُ[1]
وَمَا يَعْلَمُ الإنْسَانُ في أيّ جانِبٍ من الأرْضِ يأوِي منهُ في التُّرْبِ جانبُ
مُصَابٌ رَمَى مِنْ هاشِمٍ في صَميمِها فَأمستْ ذُرَاها خُشّعاً وَالغوارِبُ
وَأطلَقَ من وَجدٍ حُباها ، وَلَمْ تكُنْ لهَاشِمَ ، لَوْلاهُ ، العُقولُ العَوَازِبُ
وَزَالَتْ لَهُ الأقْدامُ عَنْ مُستَقَرّها، كَمَا مالَ للبَرْكِ المَطيُّ اللّوَاغِبُ
أطالَ بهِ الشّبّانُ لَطْمَ خُدودِهِمْ، وَصُكّ لَهُ غُرّ الوُجُوهِ الأشايِبُ
يَعَضّونَ مِنْهُ بِالأكُفّ ، وَإنّما تُعَضّ بِأطْرَافِ البَنَانِ العَجائِبُ
مضَى أملَسَ الأثوابِ لمْ يُخزَ مادِحٌ بِإطْنَابِهِ فيهِ ، وَلَمْ يُزْرَ عائِبُ[2]
وَخَلّى فِجَاجاً لا تُسَدّ بِمِثْلِهِ، وَتِلْكَ صُدُوعٌ أعوَزَتْها الشّوَاعِبُ[3]
لَقَدْ هَزّ أحْشَاءَ البَعِيدِ مُصَابُهُ ، فكَيفَ المُداني وَالقَرِيبُ المُصَاقِبُ
وَلَمْ أنْسَهُ غَادٍ ، وَقدْ أحْدَقَتْ بهِ أدانٍ تُرَوّي نَعْشَهُ وَأقَارِبُ
يَحسِبُونَ مِنْ أعوادِهِ ثِقْلَ وَطئه، وَمَا أثْقَلَ الأعناقَ إلاّ المَنَاقِبُ

١ تهزم، من تهزمت السحب : تشققت بالماء . النوء: النجم مال للغروب ، وكانت العرب تضيف الشتاء والبرد والحر إليه .
٢ أملس الأثواب : كناية عن نزاهته . لم يزر : لم يعب ، يعاتب .
٣ الشواعب ، الواحدة شاعبة : ما يصلح بها الصدع .

كَأنّا عَرَضْنا زاعبيّاً مُثَقَّفاً على نَعْشِهِ قَدْ جَرّبَتْهُ المَقانِبُ[1]
تَعَلّقتُ مِنْ وَجدي بفَضْلِ رِدائِهِ ، وَهَلْ ذاكَ مُغنٍ ، وَالمَنايا الجَواذِبُ
وَقارَعَني دَهْرِي عليْهِ ، فَحازَه ، ألا إنّ أقْرانَ اللّيالي غَوالِبُ
وكُنتُ بِهِ ألقَى الحُرُوبَ ، وَأتّقي، فَجاءَ مِنَ الأقدارِ ما لا أُحارِبُ
تَعاقَدَ حائُو تُرْبِهِ أيّ نَجْدَةٍ تَلاقَتْ علَيْهَا بالتّرابِ الرّواجِبُ[2]
كَأنّهُمُ أدْلَوْا إلى القَبْرِ ضَيغَماً ، يَنُوءُ ، وَتَثْنيهِ الأكفُّ الحَوَاصِبُ
وَأيّ حُسَامٍ أغْمَدوا في ضَرِيحِهِ ، كهَمّكَ ،لا يَعصَى به اليَوْمَ ضَارِبُ[3]
فَآثارُهُ مُحْمَرّةٌ في عَدُوّهِ ، وَمِنهُ وَرَاءَ التُّرْبِ أبيَضُ قاضِبُ
وَمَا كانَ إلاّ بُرْهَةً ثُمّ أسْفَرَتْ نُزُوعاً عن الوَجدِ الوُجوهُ الشّوَاحِبُ
وَجفّتْ عيُونُ البَاكياتِ وَأُنسيَتْ من الغَدِ مَا كانَتْ تَقُولُ النّوَادِبُ
تَسَلّوا،وَلَوْلا اليَأسُ ما كنتُ سالِياً، وَقَدْ يَصْبِرُ العَطشانُ وَالوِرْدُ ناضِبُ
ألَسنَا بَني الأعمامِ دُنيا ، تَمازَجَتْ بِأخْلاقِهِمْ أخْلاقُنَا وَالضّرَائِبُ
جَميعاً نَمَانَا في رُبَى المَجْدِ هَاشِمٌ ، وَأنْجَبَ عِرْقَيْنَا لُؤيٌّ وَغَالِبُ
إذا عُمّمُوا بِالمَجدِ لاثَتْ بِهَامِنَا عَمائِمُهُمْ ، أعراقُنَا وَالمَنَاسِبُ
نَرَى الشُّمّ مِنْ آنافِنا في وُجُوهِهِمْ ، وَأعْنَاقُنَا طَالَتْ بِهِنّ المَنَاصِبُ
وكَمْ داخِلٍ مَا بَيْنَنَا بنَميمَةٍ تَقَطّرَ لَمّا زاحَمَتْهُ المَصَاعِبُ

١ الزاعبي : الرمح . المقانب : جماعات الخيل ، الواحد مقنب
٢ الرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، الواحدة راجبة .
٣ كهمك : كحسبك . يعصى به : يضرب به .

سِوَى هَبَوَاتٍ شَابَتِ الوُدَّ بَيْنَنَا ، وَأيُّ وَدادٍ لَمْ تَشُبْهُ الشّوَائِبُ
لَنَا الدّوْحَةُ العُلْيَا التي نَزَعَتْ لهَا إلى المَجْدِ أغصَانُ الجُدُودِ الأطايبُ
إذا كَانَ في جَوّ السّمَاءِ عُرُوقُهَا ، فَأيْنَ أعَالِيهَا ، وَأيْنَ الذّوَائِبُ
عَلَوْنَا إلى أثْبَاجِهَا وَلِغَيْرِنَا ، عَنِ المَنكِبِ العالي، إذا رَامَ نَاكِبُ
فَمَا حَمَلَ الآبَاءُ مِنّا ، وَسَاقَطَتْ إلى الأرْضِ مِنّا المُنجِباتُ النّجائِبُ
سُيوفٌ على الأعداءِ تَمضِي نُفوسُها، وَلَمْ تَتَبَدّلْهُنّ أيْدٍ ضَوَارِبُ
فَإنْ تَرَ فِينَا صَوْلَةً عَجْرَفِيّةً ، فَقَدْ عُرِفَتْ فينا الجدودُ الأعارِبُ[1]
فَصَبراً جَميلاً ، إنّمَا هيَ نَوْمَةٌ ، وَتُلْحِقُنَا بِالأوّلِينَ النّوَائِبُ
وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَمنَعِ اللهُ مانعٌ، وَلا لِقَضَاءِ اللهِ في الأرْضِ غالِبُ
وَلَوْ رَدّ مَيْتاً وَجْدُ ذي الوَجْدِ بعدَه، لرَدّكَ وَجدي ، وَالدّموعُ السّوَارِبُ
سَيُعطِي رِجَالٌ مَا مَنَعتَ وَيَشتَفي مِنَ الأقرِبَاءِ الأبْعَدُونَ الأجانِبُ
لَنا فيكَ عندَ الدّهرِ ثَأرُ نَزيعَةٍ ، وَإنّي لِثَارَاتِ المَقادِيرِ طالِبُ
أدَرّتْ عَلَيْكَ السّارِياتُ وَرَقْرَقَتْ عَلى ذلِكَ القَبرِ الرّياحُ الغَرَائِبُ
وَلا زَالَ عَنْ ذاكَ الضّرِيحِ مُنَوِّرٌ مِنَ الرّوْضِ تَفليهِ الصَّبَا وَالجَنائِبُ
وَلا، بَلْ سَقَيناكَ الدّمُوعَ، وَإنّنَا لَنَأنَفُ إنْ قُلْنا سَقَتكَ السّحائِبُ

[1] عجرفية : لا تبالي .

كل يوم رنة

يرثي خاله أبا الحسين أحمد بن الحسين
الناصر وتوفي في رجب سنة ٣٩١ :

لَنَا كُلَّ يَوْمٍ رَنّةٌ خَلْفَ ذاهِبٍ، وَمُستَهلَكٍ بَينَ النّوَى وَالنّوَادِبِ
وَقَلْعَةُ إخْوَانٍ كَأنّا وَرَاهمُ نُرامِقُ أعجَازَ النّجومِ الغَوارِبِ
نُوادِعُ أحداثَ اللّيَالي عَلَى شَفاً مِنَ الحَرْبِ لَوْ سالمنَ مَن لم يُحارِبِ
وَنأمُلُ مِنْ وَعدِ المُنى غيرَ صَادِقٍ، وَنأمَنُ مِنْ وَعدِ الرّدى غيرَ كاذِبِ
وَمَا النّاسُ إلاّ دارِعٌ مِثْلُ حاسِرٍ يُصابُ، وَإلاّ داجِنٌ مثلُ سَارِبِ[1]
إلى كَمْ نُمَنّى بالغُرُورِ، وَنَنْثَني بِأعْنَاقِنَا للمُطْمِعَاتِ الكَوَاذِبِ
وَهَلْ يَنفَعُ المَغرُورَ قُرْبَ للنّوَى تَلَوُّمُ مَغْرُورٍ بِأرْجَاءِ جَاذِبِ
لَزَزْنا مِنَ الدّهرِ الخَؤونِ بمِصْدَمٍ يُحَطِّمُ أشْلاءَ القَرِينِ المجَاذِبِ[2]
هوَ القدَرُ المَجلوبُ من حيثُ لا يُرَى، وَأعْيَا عَلَينَا رَدُّ تِلْكَ الجَوَالِبِ
نُراعُ إذا ما شيكَ أخمَصُ بَعضِنا، وَأقدامُنَا مَا بَينَ شَوْكِ العَقارِبِ
وَنُمْسِي بِآمَالٍ طِوَالٍ كَأنّنَا أمِنّا بَيَاتَ الخَطْبِ دُونَ المَطالِبِ
نَعَمْ إنّهَا الدّنْيَا سِمَامٌ لطَاعِمٍ، وَخَوْفٌ لمَطْلُوبٍ، وَهَمٌّ لِطَالِبِ

١ الداجن : المقيم . السارب : الذاهب .
٢ لززنا : طعنا . المصدم : الشجاع .

تَصَدّى لنا قُرْبُ المُوَامقِ ذي الهَوَى، وَيَختِلُنَا كَيْدُ العَدُوّ المُجانِبِ
وَإنّا لَنَنْهَواهَا على الغَدْرِ وَالقِلى، وَنَمْدَحُهَا مَعْ عِلْمِنَا بالمَعائِبِ
وَحَسْبيَ مِنْ ضَرّاءِ دَهرِيَ أنّني أُقيمُ الأعادي لي مَقَامَ الحَبَائِبِ
ألَمْ يَأنِ ، يا للنّاسِ ، هَبّةُ نائمٍ رَأى سِيرَةَ الأيّامِ أوْجَدَ لاعِبِ ؟
حدَتْ بعَصَاها آلَ ساسان وَالتَوَتْ يَداهَا بِآلِ المُنْذِرَيْنِ الأشَاهِبِ
وَحَلّتْ على أطْلالِ عَادٍ وَحِمْيَرٍ سَنَابِكُها حَلّ الجِيادِ اللّوَاغِبِ
نَزَلْنَ قِبَابَ المُنْذِرِ بنِ مُحَرِّقٍ ، وَأنْدِيَةَ الشُّمّ الطّوالِ بمَارِبِ[1]
نَبَا ببَني العَنقاءِ نابٌ ، وَقَعقَعَتْ عِمادُ بَني الرّيّانِ إحدى الشّوَاعِبِ[2]
فَقَادَتْهُمُ قَوْدَ الأيَانِقِ في البُرَى، وَزَمّتْهُمُ زَمّ القُرُومِ المَصاعِبِ[3]
أهَبّتْ عَلَيهِمْ قاصِفاً مِنْ رِيَاحِها، فَطارُوا كمَا وَلّى جُفَاءُ المَذانِبِ[4]
مَسيرٌ مَعَ الأقْدارِ مَا فيهِ وَنْيَةٌ ، وَلا وَقْعَةٌ بَعْدَ اللُّغُوبِ لِرَاكِبِ
وَمَنْ كانَتِ الأيّامُ ظَهْراً لرَحْلِهِ فَيا قُرْبَ ما بَينَ المَدَى وَالرّكائِبِ
وَمَنْ أصْبَحَ المِقدارُ حادي مَطِيّهِ ، أجَدّ بِلا رُزْءٍ وَلا سَوْطِ ضَارِبِ
عَلى مِثْلِهَا يُدْمي الحَليمُ بَنَانَهُ ، عِضاضاً على أيدي المَنايا السّوَالِبِ
عَلى أيّ خَلْقٍ آمَنُ الدّهرَ بَعدَمَا تَبَاعَدَ مَا بَيْني وَبَينَ الأقَارِبِ

١ مارب : مأرب ، مدينة باليمن كانت قاعدة التبابعة .

٢ بنو العنقاء : الأوس والخزرج . بنو الريان : من ملوك العمالقة .

٣ الأيانق : النياق . البرى ، الواحدة برة : حلقة توضع في أنف الناقة .

٤ الجفاء : الزبد . المذانب ، الواحد مذنب : مسيل في الحضيض .

سِنانُ عُلًى، عزّي، قَناتي، ومَضْرَبٌ مِنَ المَجدِ مُستَثنًى بهِ من مَضارِبي

ولمّا طُوِي طَيَّ البُرُودِ، وأقبَلُوا يُهادُونَهُ بَينَ الطُّلَى والمَناكبِ

صبَرْتُ علَيهِ أطلُبُ النّصرَ بُرْهَةً من الدّهرِ ثمّ انقدتُ طوْعَ الحَوادِبِ

تَقَطّعَتِ الأسبابُ بَيْني وبَيْنَهُ، فلَمْ تبْقَ إلاّ عُلْقَةٌ للمنَاسبِ[1]

لئِنْ لمْ نُطِلْ لَدْمَ التّرائبِ لوْعةً، فإنّ لنَا لَدْماً وَرَاءَ التّرائبِ

يتِمّ تَمامَ الرّمْحِ زادَتْ كُعوبُهُ، ويَهتَزّ للحَمْدِ اهتِزازَ القَواضِبِ

فلا الحِلمُ في عَرْكِ الخُطوبِ بعازِبٍ، ولا الرّيقُ في كَرّ الرّزايَا بناضِبِ

يُداهي ضِبابَ القَاعِ، وَهوَ كَأنّهُ من اللّينِ غَمْرٌ غيرُ جَمّ المَذاهِبِ[2]

إذا طَبَعَ الآرَاءَ مَاطَلَ غَرْبَهَا، فلَمْ يُمضِها إلاّ بإذْنِ العَوَاقِبِ

مِنَ القَوْمِ حلّوا في المَكارِمِ والعُلى بمُلتَفّ أعياصِ الفُرُوعِ الأطايِبِ

أقامُوا بمُستَنّ البِطاحِ، ومَجدُهمْ مَكانَ النّواصِي من لُؤيّ بنِ غالِبِ

بهَاليلُ، أزْوَالٌ، تُعَاجُ إلَيهِمُ صُدُورُ القَوَافي أوْ صُدورُ النّجائبِ[3]

عِظَامُ المَقاري يُمطِرُونَ نَوَالَهُمْ بأيْدي مَساميحٍ سِباطِ الرّواجِبِ[4]

إذا طَلَبُوا الأعداءَ كانُوا نَغيضَةً ليَوْمِ الوَغَى من قَبلِ جَرّ الكتائبِ[5]

وَباتُوا مَبيتَ الأُسدِ تَلتمسُ القِرَى بمَطْرُورَةِ الأنيَابِ عُوجِ المَخالِبِ

١ العلقة : البقية .

٢ يداهي : يصيب بداهية . الغمر : الذي لا يجرب الأمور .

٣ البهاليل ، الواحد بهلول : السيد الجامع لكل خير . الأزوال ، الواحد زول : الشجاع .

٤ المقاري ، الواحدة مقراة : كل ما اجتمع فيه الماء .

٥ النغيضة : جماعة يبعثون في الأرض لينظروا أفيها ماء أم لا .

وَأضْحَوْا على الأعوادِ تَسمُو لحاظُهم كلَمحِ القَطاميّاتِ فَوْقَ المَرَاقِبِ[1]
فَما شِئْتَ مِنْ داعٍ إلى الله مُسمِعٍ، وَمِنْ ناصِرٍ للحقّ ماضِي الضّرَائِبِ
هُمُ استخدموا الأملاكَ عِزّاً وَأرْهفوا بَصائِرَهُمْ بَعدَ الرّدَى وَالمَعاطِبِ
وَهمْ أنزَلوهُمْ بَعدَما امتَدّ غَيُّهمْ جِماماً على حُكمٍ من الدّينِ وَاجبِ[2]
تَسَامَوْا إلى العِزّ المُمَنَّعِ ، وَارْتَقَوْا من المَجدِ أنشازَ الذُّرَى وَالغَوَارِبِ[3]
عَلى إرْثِ مَجْدِ الأوّلِينَ تَعَلّقُوا ذَوَائِبَ أعْنَاقِ العُلَى وَالمَناصِبِ
بحَيثُ ابتَنَتْ أُمُّ النّجُومِ مَنَارَهَا ، وَأوْفَتْ رَبَايَا الطّالِعاتِ الثّوَاقِبِ[4]
لَهُمْ وَرَقٌ مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَتُبَّعٍ حَديدُ الظُّبَى إلاّ انثِلامَ المَضَارِبِ[5]
فُضَالاتُ ما أبْقَى الكُلابُ وَطَخفَةٌ ، وَمَا أسْأرَ الأبطالُ يَوْمَ الذّنَائِبِ
بهِنّ فُلُولٌ مِنْ وَرِيدَيْ عُتَيْبَةٍ ، وَنَضْخُ نَجيعٍ من ذُؤابِ بن قارِبِ
تُقَلْقَلُ في الأغمادِ هَزْلاً ، وَخَطبها جَسِيمٌ إذا جُرّبْنَ بَعضَ التجارِبِ
غُدُوّاً إلى هَدْمِ الكَوَاهِلِ وَالطُّلَى، وَعَوْدٌ إلى حَذْفِ الذُّرَى وَالعَرَاقِبِ
لتُبكَ قُبُورٌ أفرَغَ المَوْتُ تَحتَهَا سِجَالَ العَطَايَا بَعدَهُمْ وَالرّغائبِ
وَطابَ ثَرَاها ، وَالثّرَى غيرُ طَيّبٍ، وَذابَ نَداها، وَالنّدى غَيرُ ذائِبِ
كَأنّ اليَمَاني ذا العِيَابِ بِأرْضِها ، يُقَلِّبُ مِنْ دارِينَ ما في الحَقائِبِ

١ القطاميات ، الواحد قطامي : الصقر الحديد البصر .
٢ جماماً : أراد به طافحاً .
٣ أنشاز ، الواحد نشز : المكان المرتفع .
٤ الربايا ، الواحدة ربيئة : الطليعة .
٥ قوله : لهم ورق ، لعله استعار الورق للسلاح .

إذا اجتازَ ركْبٌ كانَ أجوَدَ عندَها بعقرِ المَطَايَا مِنْ سُحَيْمٍ وَغالبِ[1]

أفي كلّ يوْمٍ يَعرُقُ الدّهْرُ أعظُمي، وَيَنهَسُ لحمي جَانباً بَعدَ جانبِ[2]

فيَوْماً رَزَايَا في صَديقٍ مُصَادِقٍ؛ وَيَوْماً رَزَايَا في قَريبٍ مُقارِبِ

فَكَمْ فَلّ منّي ساعِداً بَعدَ ساعِدٍ؛ وَكَمْ جَبّ منّي غارِباً بَعدَ غارِبِ

وَفادِحَةٍ يُستَهزَمُ الصّبرُ باسمِها، وَتُظمى إلى مَاءِ الدموعِ السّوَاكِبِ[3]

صَبَرْنَا لهَا صَبرَ المَناكِبِ حِسبَةً، إذا اضْطرَبَ الناسُ اضْطرَابَ الذوائبِ[4]

تُعَاصِي أنَابِيبُ الحُلُومِ جَلادَةً، وَتَهفُو يَرَاعَاتُ العقُولِ العَوازِبِ

كظُوماً على مثلِ الجَوَائِفِ أتعبَتْ نَطاسِيَّها مِنْ قارِفٍ بَعدَ جالِبِ[5]

تَحِلّ الرّزَايَا بالرّجَالِ وَتَنْجَلي، وَرُبّ مُصَابٍ يَنجَلي عَنْ مَصَائِبِ

مِنَ اليَوْمِ يَستَدعي مَنازِلَكَ البكا، إذا مَا طَوَى الأبوابَ مَرُّ المَوَاكِبِ

وَتَضْحَكُ عنكَ الأرْضُ أُنساً وَغبطة، وَتَبكيكَ أخْدانُ العُلَى وَالمَنَاقِبِ

سَقَاكَ الحَيا إنْ كانَ يرْضَى لك الحَيا بِغُرّ الأعَالي مُظْلِمَاتِ الجَوَانِبِ

تَمُدّ بِأرْدافٍ ثِقَالٍ وَتَرْتَمي عَلى عَجرَفيّاتِ الصَّبَا وَالجَنَائِبِ[6]

١ سحيم وغالب : من أجواد العرب .

٢ عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم . ينهس : يأخذ بمقدم أسنانه .

٣ الفادحة : النازلة الثقيلة . يستهزم : يكسر .

٤ الحسبة : الأجر والثواب .

٥ الجوائف ، الواحدة جائفة : الطعنة تبلغ الجوف . القارف : المنقشر من جلد الجرح . الجالب الجرح الذي تعلوه قشرة .

٦ العجرفيات : المسرعات .

كَأنّ لِوَاءً يَزْدَحِمْنَ وَرَاءَهُ ، إذا اختلَجَ البرْقُ ازْدحامَ المَقَانِبِ

بِوَدْقٍ كأخْلافِ العِشَارِ استفَاضَهَا تَداعي رُغَاءٍ مِنْ مُبِسٍّ وَحالِبِ[1]

يَقَرُّ بِعَيْني أنْ تُطيلَ مَوَاقِفاً عَلَيْكَ مَجَرُّ المُدْجِناتِ الهَوَاضِبِ

وَأنْ تَرْقُمَ الأنْوَاءُ تُرْبَكَ بَعدَها بكُلّ جَديدِ النَّورِ رقمَ الكَوَاكِبِ

ذَكَرْتُكُمُ ، وَالعَينُ غَيرُ مُحيلَةٍ ، فأنبَطتُ غُدرانَ الدّموعِ السّوَاكِبِ

وَمَا جَالَتِ الألحَاظُ إلاّ بِقَاطِرٍ ؛ وَلا امتَدّتِ الأنفاسُ إلاّ بحَاصِبِ

وَهَلْ نافعي ذِكْرُ الأخِلاّءِ بَعْدَهُ ، جرَى بَينَنا مَوْرُ النَّقَا وَالسّبَاسِبِ

غاض غدير الكلام

يرثي أبا منصور المرزبان الشيرازي الكاتب ، وكان بينهما صداقة وكيدة ومكاتبات بالنظم والنثر . وتوفي صبيحة يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وقد بلغ من السن ٨٦ سنة وكان من أماثل كتاب الرسائل ومذكوريهم :

أيُّ دُمُوعٍ عَلَيْكَ لمْ تَصُبِ ؛ وَأيُّ قَلْبٍ عَلَيْكَ لمْ يَجِبِ

خبّتْ إلَيكَ الخُطوبُ مُعجِلَةً ، ضُرُوبَ شَدّ الجِيَادِ وَالخَبَبِ

وَاعَجَبي للزّمَانِ كَيْفَ نَبَا ، وَاعَجَبٌ أنْ أقُولَ وَاعَجَبي

[1] الأخلاف ، الواحد خلف : الضرع . العشار : النياق . المبس، من أبس بالناقة: دعاها إلى الحلب

مَا لي وَمَا للخُطُوبِ تَسْلُبُنِي ... في كُلّ يَوْمٍ غَرَائبَ السَّلَبِ
إمّا فَتًى نَاضِرَ الصِّبَا كَأخي ... عِنديَ ، أوْ زَائِدَ المَدَى كَأبي
وَإنّني للشّقَاءِ أحْسَبُني ... ألْعَبُ بالدّهْرِ ، وَهوَ يَلعَبُ بي
مَا نِمْتُ عَنهُ ، إلاّ وَأيقَظَني ، ... مِنَ الرّزَايَا ، بفَيْلَقٍ لَجِبِ
وَلَمْ أزَعْهُ ، إلاّ وَأعْقَبَني ... سَطْواً كَوَقْعِ الظُّبَى عَلى اليَلَبِ
في كُلّ دارٍ تَعْدُو المَنونُ وَمِنْ ... كلّ الثّنَايَا مَطَالِعُ النُّوَبِ
يَفُوزُ بالرّاحَةِ الفَقيدُ ، وَلا ... فَاقِدِ طُولُ العَنَاءِ وَالتّعَبِ
يَطيبُ نَفْساً عَنّا ، وَوَاحِدُنَا ... إنْ طَيّبَ القَلْبَ عَنهُ لمْ يَطِبِ
أحْمَدُ كَمْ لي عَلَيكَ من كَمَدٍ ... بَاقٍ وَمِنْ جَوْدِ أدْمُعٍ سَرِبِ
وَلَوْعَةٍ تَحْطِمُ الضّلُوعَ ، إذا ... ذكَرْتُ قُرْبَ اللّقَاءِ عَن كَثَبِ
إنْ قَطَعَ المَوْتُ بَيْنَنَا ، فَلَقَدْ ... عِشْنَا وَمَا حَبْلُنَا بِمُنْقَضِبِ
كَمْ مَجْلِسٍ صَبّحَتْهُ ألسُنُنَا ... تُفَضّ فيهِ لَطائِمُ الأدَبِ
مِنْ أثَرٍ يُونِقُ الفَتَى حَسَنٍ ، ... أوْ خَبَرٍ يَبْسُطُ المُنَى عَجَبِ[1]
أوْ غَرَضٍ أصْبَحَتْ خَواطِرُنَا ... تُساقِطُ الدّرَّ مِنهُ في الكُتُبِ
كالبَارِدِ العَذْبِ رَوّقَتْهُ صَبَا الْ ... فَجرِ ، أوِ الظَّلْمِ زِينَ بالشّنَبِ[2]
غَاضَ غَدِيرُ الكَلامِ مَا بَقيَ الْ ... دّهْرُ وَقَرّتْ شَقَاشِقُ الخُطَبِ
يا عَلَمَ المَجْدِ لِمْ هَوَيْتَ وَقَدْ ... كُنْتَ أمِينَ العِمَادِ وَالطُّنُبِ

١ يونق : يعجب .
٢ الظلم : ماء الأسنان . الشنب : البرودة والعذوبة .

يا مِقْوَلَ الدّهْرِ لِمْ صَمتّ وَقدْ كُنتَ زَمَاناً أمضَى مِنَ القُضُبِ
يا ناظِرَ الفَضْلِ لِمْ غَضَضْتَ وَما كُنتَ قَدِيماً تُغضِي على الرِّيَبِ
كنتَ قَرِيني وَلَسْتَ منْ لِدَتي ؛ كنتَ نَسيبي وَلَستَ من نَسَبي
مِمّا يُقَوّي العزَاءَ عَنكَ ، وَإن شَرّدَ قَلْبي العزَاءُ بالكُرَبِ
أنّكَ أحْرَزْتَهَا ، وَإنْ رُغِمَ الـ دّهْرُ ، ثَمَانِينَ طَلْقَةَ الحِقَبِ
فَإنْ دُمُوعي جرَينَ نَهنَهَهَا عِلْمي بِأنْ قَدْ ظَفِرْتَ بالأرَبِ
فلَيْتَ عِشْرِينَ بِتّ أحْسُبُهَا باعدْنَ بَينَ الوُرُودِ وَالقَرَبِ[1]
إنّيَ أظْمَى إلى المَشيبِ ، وَمَنْ يَنْجُ قَليلاً مِنَ الرّدَى يَشِبِ
وَإنْ يَزُرْ طَالِعُ البَيَاضِ أقُلْ يا لَيْتَ لَيلَ الشّبابِ لَمْ يَغِبِ
مَرّ عَلى ذَلِكَ التّرابِ مِنَ الـ مُزْنِ خَفُوقُ الأعْلامِ وَالعذَبِ
كَالعِيرِ ذاتِ الأوْساقِ صَاحَ بهَا مُعْتَسِفٌ بالأيَانِقِ النُّجُبِ
إذا خبَا بَرْقُهُ استَعَانَ عَلى إيقَادِهِ بِالمُجَلْجِلِ اللّجِبِ
لِتَرْتَوِي ثَمّ أعْظُمٌ نَزَلَتْ داجي الدّماميمِ مُوحِشَ الحَدَبِ[2]
بحَيْثُ تُزْوَى عَنِ النّسيمِ ،وَتَسْـ تَدْرِجُ عَنّا مَطالعَ الشّهُبِ
فَثَمّ بِشْرٌ أصْفَى مِنَ الغَدِقِ الـ عَذْبِ وَجُودٌ أنْدَى من السُّحبِ
وَأجْبُلٌ كَانَ يُسْتَدَمّ بِهِ مِنَ اللّيَالي فَساخَ في التُّرُبِ[3]

١ القرب : سير الليل لورد الغد .
٢ الدماميم ، الواحدة ديمومة : الفلاة الواسعة . الحدب : الغليظ المرتفع من الأرض .
٣ يستدم به : يستجار به .

لا تَحْسَبَنّ الخُلُودَ بَعدَكَ لي؛ إنّ المَنَايَا أعْدَى مِنَ الجَرَبِ
إنَ انْجُ مِنها وَقد شَرِبتَ بِهَا ، فإنّ خَيْلَ المَنُونِ في طَلَبي

صبراً على الضرّاء

قال رحمه الله يعزي أخاه عن ابنة له توفيت :

لا لوم للدهرِ ، ولا عِتابا ، تغاب! إن الجلد من تغابى
صَبْراً عَلى الضّرّاءِ وَاحتِسَابا، أصْبَرُنَا أعْظَمُنَا ثَوَابَا
مَا الدّمْعُ مِمّا يَزَعُ المُصَابَا ، وَلا يَرُدّ القَدَرَ الغَلاّبَا
أمْضَى الزّمَانُ حُكْمَهُ غَلاّبَا ، أصَابَنَا وَطَالَ مَا أصَابَا
يُولِغُ ظِفْراً للرّدَى ، وَنَابَا ، لا يَبْكِيَنْ حاضِرُنَا مَنْ غَابَا
مَا غَابَ مِنّا غَائِبٌ فَآبَا ، وَرُبّ حَيٍّ دَعَمُوا القِبَابَا
وَاستَفْسَحُوا الأعطانَ وَالرّحَابَا، وَطَبّقُوا السّهُولَ وَالعِقابَا
لا يَرْهَبُونَ للعِدَى ذُبَابَا ، أمْسَوْا لَقَاحاً ، وَغَدَوْا نِهَابَا
جرّ عَلى دارِهِمُ ذِنَابَا ، وَأتْبَعَ القَوَادِمَ الذُّنَابَى[1]
بِمُعْجِلٍ يَنْتَزِعُ الأطْنَابَا ، يُوطي الحِمَى وَيَهتِكُ الحِجَابَا

. . . .

[1] الذناب : الدلاء . الذنابى : ذنب الطائر .

كالبَاتِرَاتِ تَبْذُرُ الرِّقَابَا ، نَسعَى ، وَيَطوِينَا الرّدى وِثَابَا
كَمْ قَطَعَ الأقرَانَ وَالأسبَابَا ، وَفَرّقَ الجِيرَانَ وَالأحْبَابَا
وَاستَدْرَجَ العَبِيدَ وَالأرْبَابَا ، سَيلُ رَدًى قَدْ مَلأَ الشّعَابَا
وَجُنّ مَوْجاً ، وَطَغَى عُبَابَا، قَارَعَنَا وَانتَزَعَ اللُّبَابَا
أعْجِبْ وَأخلِقْ أنْ تَرَى عجابَا يُبَلِّدُ الأفهَامَ وَالألبَابَا
إن الردى وإن رمى فصابا ، وجاد بتنا يده جدابا
يَعْجِمُ مِنْ عِيدانِنَا صِلابَا ، صَعْباً يُلاقي أنْفُساً صِعَابَا
لا تُنْكِرُ المَوْتَ لهَا شَرَابَا ، وَلا تَعَافُ الصَّبِرَ المُذَابَا
سَوَالِباً وَمَرّةً أسْلابَا ، إذا أنَا انْقَدْتُ وَلمّا آبَى
مُنْجَفِلاً مَعَ الرّدَى مُنْجَابَا ، فَلِمْ سَنَنْتُ الصّارِمَ القِرْضَابَا
وَلِمْ رَبَطْتُ الشُّزَّبَ العِرَابَا ، يَمْرِينَ بالشّكائِمِ اللُّعَابَا[1]
خَمَايِصاً تُحَاضِرُ الذّيَابَا ، يَحْمِلنَ أُسْداً في الوَغَى غِضَابَا
قَدْ سَلَبُوا السّوَابغَ العِيَابَا ، رُكْباً ، وَطَوْراً للقَنَا رِكَابَا
يَحْمي الحِمَى وَيَمْنَعُ الجَنَابَا، حتّى إذا داعي الرّدَى أهَابَا
أسْقَطَ مِنْ أيمَانِنَا الكِعَابَا ، وَبَزّنَا أرْوَاحَنَا إغْصَابَا
لا طَعْنَ نَسطِيعُ ، وَلا ضِرَابَا، مُقتَحِمٌ عَلى الأُسُودِ الغَابَا
وَرُبّ إخوَانٍ مَضَوْا شَبَابَا ، تَلاحَقُوا إلى الرّدَى صِحَابَا

....

[1] الشزب : الضوامر . يمرين : يمسحن . الشكائم ، الواحدة شكيمة ، وهي من اللجام: الحديدة المعترضة في فم الفرس .

لا نتَرَجّى مِنهُمُ إيَابَا ؛ وَلا نَعُدّ لَهُمُ الأحقَابَا
لا يَحفِلُ الحُجّابَ وَالأبوَابَا ، إذا دُعُوا لَمْ يُرْجِعُوا جَوَابَا
وَلَبِسُوا الجَنْدَلَ وَالظِّرَابَا ، لِقَدَرٍ مَا عَمَرُوا الخَرَابَا
يا غُصُناً طَالَ وَفَرْعاً طَابَا ، لَمّا ذَوَى أوْدَعْتُهُ التّرَابَا
أرَابَ مِنْ يَوْمِكَ مَا أرَابَا ، لا زِلْتُ أستَسقي لكَ السّحَابَا
كُلَّ أغَرٍّ يَدِقُ الذِّهَابَا مُجَرِّراً عَلى الرُّبَى أهْدَابَا[1]
يُبْقي بأجوازِ الثرَى أندابَا ، وَيَنْثَنِي مُجَوِّلاً جَوّابَا
وَإنْ لَبِستَ للبِلَى جِلبَابَا ، أرَى البُكَاءَ سَفَهاً وَعَابَا
لا تَجْعَلَنْهُ دَيْدَناً وَدَابَا ، وَافَقَ مِنّا أجَلٌ كِتَابَا

غارة الموت

وقال رحمه الله يعزيه أيضاً عن مولودة له توفيت :

لأظْمَا مُعِلّينَا وَأرْوَى المَصَائِبَا ، وَأسْخَطَ آمَالاً وَأرْضَى نَوَائِبَا[2]
مُصَابٌ نُجُومُ المَجدِ فيهِ نَوَاجِمٌ ، تَرَكْنَ نجُومَ الصّبرِ عَنهُ غَوَارِبَا

١ يدق : يمطر . الذهاب : المطر الغزير .
٢ معلينا ، من أعله : سقاه سقياً بعد سقي .

أصَابَتْ سِهَامُ الحَادِثَاتِ قُلُوبَهَا، فكَمْ أعقَبَتْ رَوْعاً يرُوعُ العَوَاقِبَا
لَقَدْ وَعَدَتْنَا ، إذْ رَغِبْنَا رَغَابِياً ، فَلَمّا أصبَنَ الظَّنَّ أعطَتْ مَصَايِبَا
وَأرْضَعْنَ أفْوَاهَ المَطَامِعِ فَجعَةً ، فَطَمْنَ بِهَا عِنْدَ النّجاحِ المَطَالِبَا
بِمَفْقُودَةٍ يَنْهَلَ مَاءُ مُصابِهَا دُمُوعاً عَلَى خَدّ الزّمَانِ سَوَاكِبَا
إذا قَعَدَتْ أحْزَانُهَا في قُلُوبِنَا ، أقَمْنَا عَلَى الصّبرِ الشِّفَاهَ نَوَادِبَا
صَبَرْنَا فَغَصّصْنا الزّمانَ بِرِيقِهِ ، عَلَى أنّ لِلأيّامِ فِينَا مَضَارِبَا
وَلَمْ نَطّرِحِ الأسلابَ يَوْماً لنَكبَةٍ ، وَإنْ جَذَبَ المِقدارُ مِنّا المَجاذِبَا
ألا إنّ هَذا الثّاكِلَ الحَسَبِ الّذي بِهِ ثَكِلَ المَجدُ التّلِيدُ المَنَاقِبَا
رَمَى في يَمِينِ الدّهْرِ دُرّةَ سُؤدُدٍ ، فَأحجِ بِها يَحنُو عَلَيها الرّوَاجِبَا[1]
وَقَد شَنّ فيها حادثُ المَوْتِ غارَةً ، ثَنَتْنَا وَلَمْ تَطْلُعْ إلَيْنَا كَتَائِبَا
فَلا تَحْسَبَنْ رُزْءَ الصّغائِرِ هَيّناً ، فإنّ وَجَى الأخفافِ يُنْضِي الغَوَارِبَا
سَقَى اللهُ حَصْبَاءَ الثّرَى كلَّ لَيلَةٍ سَحَائِبَ يَترعنَ الرِّيَاحَ الحَوَاصِبَا
جَنَادِلُ مِنْ قَبْرٍ كأنّ صُدُورَهَا ، حَبَاهُ الحَيَا دُونَ القُبُورِ، مَحارِبَا
أقَامَتْ بِهِ حتّى لَوَدّتْ عُيُونُنَا ، وَلَمْ تُبْقِ دَمْعاً أنْ يَكونَ سَحائِبَا
تُرَابٌ يرَى أنّ النّجُومَ تُرَابُهُ ، وَيَحسبُ أحجَارَ الصّفيحِ الكَوَاكبَا
وَسَيْفٌ نُضِي مِنْ جَفْنِهِ ، غيرَ أنّهُ رَضِي لحدَهُ من غِمدِهِ الدّهرَ صَاحبَا
يُغطّي الثّرَى عَنّا وُجُوهاً مُضِيئَةً ، كمَا كَفَرَ الغَيمُ النّجومَ الثّوَاقِبَا

[1] أحج بها : أخلق بها . يحنو : يلوي .

وَرُزْءٌ رَمَى صَدْرَ الأَمَانِي بِيَأْسِهَا ، وَكُنْ إلى وِرْدِ المَعَالِي قَوَارِبَا

أَلا رُبَّ لَيْلٍ قَلْقَلَتْهُ عَزَائِمِي إلى أنْ نَضَا عَنْ مَنْكِبَيْهِ الغَيَاهِبَا

جَذَبْتُ بِضَبْعِ العَزْمِ من بينِ أَضْلُعِي ، وَزَاحَمْتُ بالهَمِّ الدُّجَى وَالسَّبَاسِبَا

وَجُرْداً ضَرَبْنَ الدَّهْرَ في أُمِّ رَأْسِهِ ، وَجُزْنَ بِنَا أَعْجَازَهُ وَالمَنَاكِبَا

وَمَرَّتْ حَوَامِيهَا على لِمَّةِ الدُّجَى ، تُجاذِبُ بالإِدلاجِ منها الذَّوَائِبَا

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ إذا رَكِبُوا النَّدَى إلى الحَمْدِ باتُوا يَعسِفُونَ الرَّكائِبَا

إذا فَاضَ رَقراقُ المَحَامِدِ صَيَّرُوا لَهُ جُودَهُمْ دونَ اللِّئامِ نَصَائِبَا

وَإِنْ ضَاقَ صَدرُ الخَطبِ وَسَّعَ بأسُهم لسُمرِ القَنَا بَيْنَ الضّلوعِ مَذاهِبَا

بِطَعْنٍ كَدُفّاعِ الغَمَامِ تَحُثُّهُ ذَوَابِلُ يُمْطِرْنَ الدِّمَاءَ صَوَائِبَا[1]

لَهُ شَرَرٌ يَرْمِي الرِّمَاحَ بِلَفْحِهِ ، يَكَادُ يُرَى مَاءُ الأَسِنّةِ ذائِبَا

إذا أنْكَرُوا في النّقعِ ألوَانَ خَيلِهِمْ أَضَاءَ لَهُمْ حتّى يَشِيمُوا السَّبَائِبَا

أبَا قاسِمٍ جاءَتْ إلَيْكَ قَلائِدٌ تُقَلِّدُ أعْنَاقَ الكِرَامِ مَنَاقِبَا

قَلائِدُ مِنْ نَظمي يَوَدّ لِحُسنِهَا قُلُوبُ الأعادي أنْ تكونَ تَرَائِبَا

إذا هَدَّهَا رَاوِي القَرِيضِ حَسِبْتَهُ يَقُومُ بِهَا في نَدْوَةِ الحَيِّ خاطِبَا[2]

فَلَوْ كُنَّ غُدْرَاناً لَكُنَّ مَشارِبا ، وَلَوْ كُنَّ أَحْداثاً لَكُنَّ تَجَارِبَا

١ الدفاع : قوة الموج أو السيل .

٢ هدها : صوت بها ، أنشدها .

حجاب العفافة

يرثي بعض أخواته توفيت ودفنت
في مشهد الحسين عليه السلام :

يا دِينَ قَلْبِكَ مِنْ بَا رِقٍ يُنِيرُ
عَلى شَرِيقيِّ نَجْدٍ مَرْعًى لِعَيْنِكَ جَدْبُ
كَمَا تُلِيحُ ذِرَاعٌ ، فِيها مِنَ النَّضْرِ قُلْبُ[2]
كَأَنَّهُ نَارُ عَلْيَاءَ لِلضُّيُوفِ تُشَبُّ
أَوْ سَاطِعَاتٌ أَرَاهَا ، وَاللَّيْلُ داجٍ أَزَبُّ
مُرَاوِحٌ بِيَدَيْهِ عَلَى الزِّنَادِ مُكِبُّ
أَوْ أُمُّ مَثْوًى يَلَنْجُو جُهَا عَلَى النَّارِ رَطْبُ[3]
الغَوْرُ مِنْهُ مَعَانٌ ، وَعَاقِلٌ وَالهَضْبُ[4]
لَهُ حَفِيفُ رُعَادٍ يُرَاعُ مِنْهُ السِّرْبُ[5]

١ الدين : الداء ، المرض .

٢ النضر : الجوهر الخالص من التبر . القلب : السوار .

٣ أم المثوى : صاحبة المنزل . اليلنجوج : عود يتبخر به .

٤ الغور : المطمئن من الأرض . المعان : المنزل . عاقل : موضع . الهضب : ما ارتفع من الأرض. ولعله أراد مواضع بعينها .

٥ الحفيف : الصوت . الرعاد : الرعد . السرب : القلب .

وَبَارِقَاتٌ كَمَا شَقَّ تِ العَجَاجَ القُضْبُ

أمَا تَرَى البَرْقَ يَبْدُو ، إلاَّ لِعَيْنِكَ غَرْبُ

وَلِلزَّفِيرِ هَبَابٌ بَيْنَ الضُّلُوعِ وَهَبَّ

يُضِيءُ بِالطَّفِّ قَبْراً فِيهِ الأَعَزُّ الأَحَبَّ

فِيهِ مِنَ العَيْنِ مَاءٌ ، لا بَلْ مِنَ القَلْبِ خِلْبُ

مَا كُنْتُ أحسَبُ يَوْماً ، وَالدَّهْرُ ضَرْبٌ وَضَرْبُ

أنّي أبِيتُ وَبَيْنِي وَبَيْنَ لُقْيَاكِ سَهْبُ[1]

وَأنْ تُطَارِدَ مَا بَيْـ نَنَا زَعَازِعُ نُكْبُ[2]

بِحَيْثُ يَرْتَعُ أُدْمٌ مِنَ الجَوَازِي ، وَحُقْبُ[3]

وَكَيْفَ يَكْرَعُ مُسْتَوْ رِدُ القَطَا وَيَعُبَّ

يا دارَ قَوْمِيَ أيْنَ الـ أولى بِرَبْعِكِ لَبُّوا

مَصَاعِبٌ حَطَمَتْهُمْ أيْدِي المَنُونِ ، فَخَبُّوا

يَسُوقُهُمْ لِلْمَقَادِ رِ سَائِقٌ [4]

1 السهب : الفلاة .

2 الزعازع : الشدائد ، والرياح التي تزعزع كل شيء . النكب ، الواحدة نكباء : الريح التي انحرفت عن الرياح القوم ووقعت بين ريحين .

3 الأدم ، الواحدة أدماء : البيضاء . الجوازيء ، الواحدة جازئة : بقرة الوحش . الحقب ، الواحد أحقب وحقباء : حمار الوحش .

4 المتلئب : العطشان البعيد عن الماء .

مُقَحَّمٌ للجَرَاثِيمِ إنْ وَنَوْا ، أوْ أغبّوا[1]
كَانُوا السّيُوفَ إذا عَا يَنُوا المُقَاتِلَ هَبّوا
وَالزّاغبِيّاتِ إنْ أشْ رِعُوا عَنِ الدّارِ ذَبّوا[2]
مَنَازِلٌ كَانَ فيهَا للقَوْمِ أمْنٌ وَرُعْبُ
تُكَدّ فيهَا الأنَابِي بُ وَالرّبَاطُ القُبُّ[3]
يَهْمِي السّنَانُ ، وَيُسْ تَضْمَرُ الجَوَادُ الأقَبّ
رَأيٌ يَغُبّ لِحَزْمٍ ، وَنَائِلٌ لا يَغُبّ
يَنْقَادُ في كُلّ يَوْمٍ مِنّا الأبِيُّ الصّعْبُ
يُجَذّ أصْلُ وَرِيقِ الـ ذُّرَى ، وَيُدْرَحُ عَقْبُ[4]
لا مُبْغِضُ القَوْمِ يَبقَى ، وَلا المُجِلّ المُحِبّ
سَوَاءٌ المُلْسُ في غَمَـ رَةِ الرّدَى وَالجُرْبُ
يَجْرِي القَضَاءُ ، وَيَمضِي الطّبِيبُ وَالمُسْتَطِبّ
كَمْ ذا الأمَانُ وَلِلنّا ثِبَاتِ سَلْبٌ وَجَذْبُ
وَبالزّيَالِ لِغِرْبَا نِهَا شَحِيجٌ وَنَعْبُ
يَغُرّ سِلْمُ اللّيَالي ، وَالسّلْمُ مِنهُنّ حَرْبُ

١ الجراثيم ، الواحدة جرثومة : أصل الشيء . والمقحم : المدخل ، والمعنى غامض . ونوا ضعفوا وكلوا . أغبوا : جاؤوا يوماً بعد يوم .
٢ الزاغبيات : الرماح . ذبوا : دافعوا .
٣ الأنابيب : الرماح . الرباط : الخيول . القب : المضمرة .
٤ يدرح : يدفع . العقب : الآتي بعد آخر .

لَنَا مِنَ الدّهْرِ رَبْضٌ عَلى وَعيدٍ وَوَثْبُ
يَوْماً غُرُورٌ ، وَيَوْماً عَدْوٌ عَلَيْنَا وَشَغْبُ
يَنْحُو المَضِيقَ ، وَقَدْ أعْ رَضَ الطّرِيقُ اللَّحْبُ
أآخِرُ اللَّعْبِ جِدٌّ ، أمْ آخِرُ الجِدّ لِعْبُ
شَقيقَتي ! إنّ خَطْباً عَدا عَلَيْكِ لخَطْبُ
وَإنّ رُزْءاً رَمَاني بِالبُعْدِ عَنْكِ لَصَعْبُ
سَهْمٌ أصَابَكِ مِنْهُ للقَدْرِ فُوقٌ وَغَرْبُ
لا النّصْلُ مِنْهُ بِنَابٍ يَوْماً ، وَلا الرّيشُ لَغْبُ[1]
يَبِيتُ بَعْدَكِ في مَضْ جَعي الجَوَى وَالكَرْبُ
كَمَا يَبِيتُ رَمِيضٌ بَعْدَ السّنَامِ الأجَبّ[2]
أنّى عَلى قَضَضِ الهَ مّ يَطْمَئِنّ الجَنْبُ[3]
لَوْ رَدّ عَنْكِ المَنَايَا ال عِجَالَ طَعْنٌ وَضَرْبُ
لَخَاضَ فِيهَا سِنَانٌ مَاضٍ وَطَبّقَ عَضْبُ
وَقَامَ دُونَ الرّدَى غُلْ ظُ السّوَاعِدِ غُلْبُ
وَنَاقَلَتْ بِالعَوَالي ذُؤبَانُ لَيْلٍ تَخُبّ
قَضَيْتِ نَحْباً قَضَى بَعْ دَهُ مِنَ المَجْدِ نَحْبُ

١ الريش اللغب : الذي يلتئم لرداءته .
٢ الأجب : المقطوع .
٣ القضض : التراب يعلو الفراش .

وَلَمْ يَكُنْ لكِ إلاّ مِنَ المَقَادِيرِ خَطْبُ

وَدُونَ كُلّ حِجَابٍ مِنَ العَفَافَةِ حُجْبُ

وَقَبْرُكِ الصّوْنُ مِنْ قَبْلِ أنْ يَضُمّكِ تُرْبُ

كَأنّني كُلّ يَوْمٍ قَلْبي إلَيْكِ أصَبّ

وَكُلّمَا انْدَمَلَ الْقَرْحُ عَادَ قَلْبيَ نَدْبُ

يَكِلّ وَاقِعُ طَرْفي عَمّنْ سِوَاكِ وَيَنْبُو

أُجِلّ قَبرَكِ عَنْ أنْ أقُولَ حَيّاهُ رَكْبُ

أوْ أنْ أقُولَ سَقَاهُ صَوْبُ الغَمَامِ المُرِبّ

إلاّ لِحَاجَةِ نَفْسٍ تَهْفُو إلَيْكِ وَتَصْبُو

أوْ أنْ يُبَلّ غَليلٌ إنْ بَلّ قَبرَكِ شُرْبُ

وَكَيْفَ يَظْمَأُ قَبْرٌ فيهِ الزّلالُ العَذْبُ

أمْ كَيْفَ تُظْلِمُ أرْضٌ أجِنّ فيهَا الشّهْبُ

نُوّارُهَا المَجْدُ، لا حَنْوَةُ الرُّبَى وَالعِرْبُ[1]

جَاوَرْتِ جَاراً تَلَقّا كِ مِنْهُ بَرُورٌ حُبّ

شِعْبٌ غَدا، وَهْوَ للّهِ وَالمَلائِكِ شِعْبُ

يا نَوْمَةً ثُمّ مِنْهَا إلى الجِنَانِ المَهَبّ

إنْ كَانَ للشّخْصِ بُعدٌ فَلِلْعَلائِقِ قُرْبُ

1 نوارها : زهرها الأبيض . الحنوة : نبات سهلي . العرب : يبيس البقل ، والبهمى .

أغُبّــهُ ، وَبِرُغْمي ، إنّ الزّيَــارَةَ غِــبّ
لَئِنْ خلا مِنْكِ طَرْفٌ ، لَقَدْ مُلي مِنْكِ قَلْبُ
وَإنْ غَرَبْتِ فَلِطَّــا لِعَاتِ شَرْقٌ وَغَرْبُ
خَلاكِ ذَمٌّ ، وَذَمٌّ للدّهْرِ فيكِ وَقَصْبُ[1]
وكَمْ يَزَلْ بَعْدَ يَوْمي مِنّي على الدّهْرِ عَتْبُ
فَكَمْ أبِيتُ وَعِنْدِي لِذِي المَقَادِيرِ ذَنْبُ

أودع كل يوم حبيباً

قال في قوم من أصدقائه وأهل بيته انقرضوا
يرثيهم ويتوجع لفقدهم ، وذلك في شهر
رمضان سنة ٣٨٧ :

أُوَدّعُ في كلّ يَوْمٍ حَبِيبَا ، وَأُهدي إلى الأرْضِ شَخصاً غَرِيبَا
وَأرْجِــعُ عَنْهُ جَمِيلَ العزَاءِ ، أمْسَحُ عَنْ نَاظِرَيّ الغُرُوبَا[2]
كَأنّيَ لَمْ أدْرِ أنّ السّبِيـ ـلَ سَبِيلي ، وَأنّي مُلاقٍ شَعُوبَا[3]
وَأنّ وَرَائيَ سَوْقاً عَنِيفاً ؛ وَأنّ أمَامِيَ يَوْماً عَصِيبَا

١ القصب : الشتم .
٢ الغروب : الدموع .
٣ الشعوب : المنية .

وَلا أنّني بَعْدَ طُولِ البَقَاءِ ، أُصَابَ كَما أنّ غَيْرِي أُصِيبَا
أمَانيُّ أُوضِعُ في غَيِّهَا لِرِيحِ الغُرُورِ بِهَا مُسْتَطِيبَا[1]
تَذَكّرْ عَوَاقِبَ مُوبِي النّبَاتِ ، وَلا تُتْبعِ العَينَ مَرْعًى خَصِيبَا
قَعَدْتُ بِمَدْرَجَةِ النّائِبَاتِ ، يُمِرّ الزّمَانُ عَليّ الخُطُوبَا
عَلى الهَمّ أُنْفِقُ شَرْخَ الشّبابِ ، وَأُعْطي المَنَايَا حَبِيباً حَبِيبَا
تَصَامَمْتُ عَنْ هَتَفَاتِ المَنونِ بغَيْرِي وَلا بُدّ مِنْ أنْ أُجِيبَا
وَأعْلَمُ أنّي مُلاقِي الّتي شَعَبْنَ قَبَائِلَنَا وَالشّعُوبَا
ألا إنّ قَوْمِي لِوِرْدِ الحِمَامِ مَضَوْا أمَماً ، وَأجَابُوا المُهِيبَا
بِمَنْ أتَسَلّى وَأيْدي المَنُونِ تُخَالِسُ فَرْعي قَضِيباً قَضِيبَا
نَزَعْنَ قَوَادِمَ رِيشِ الجَنَاحِ ، وَأثْبَتْنَ في كُلّ عُضْوٍ نُدُوبَا
نجُومٌ ، إذا شَهِدُوا الأنْدِيَاتِ، رُجُومٌ ، إذا مَا أقَامُوا الحُرُوبَا
إذا عَقَدُوا للعَطَاءِ الحُبَى ، وَإنْ زَعْزَعُوا للطّعَانِ الكُعُوبَا
عَرَاعِرُ لا يَنْطِقُونَ الخَنَا ، وَلا يَحْفَظُونَ الكَلامَ المُعِيبَا[2]
يُرِمّ الفَتَى مِنْهُمُ جُهْدَهُ ، فَإنْ قَالَ قَالَ بَلِيغاً خَطِيبَا[3]
جَلابِيبُ لا تُضْمِرُ الفَاحِشَاتِ ، وَأرْدِيَةٌ لا تَضُمّ العُيُوبَا
وَبِشْرٌ يُهَابُ عَلى حُسْنِهِ ، فَتَحْسَبُهُ غَضَباً أوْ قُطُوبَا

١ أوضع : أسرع .
٢ عراعر : أسياد شرفاء .
٣ يرم : يسكت .

لَقَدْ أرْزَمَتْ إبِلي بَعْدَكُمْ، وَأبْدى لها كُلُّ مَرْعًى جُدُوبَا[1]
نَزَعْتُ أزِمّتَهَـا للمقَامِ ، وَأعفَيْتُ منها الذُّرَى وَالجُنُوبَا
لمَنْ أطْلُبُ المالَ مِنْ بَعْدِكُمْ ، وَأُحفي الحِصَانَ وَأُنضِي الجنيبَا
حَوامي جِبَالٍ رَعَاها الحِمَامُ ، فَسَوّى بِهِنّ الثرَى وَالجُنُوبَا
وَكَمْ وَاضِحٍ مِنْكُمُ كالهِلا لِ هَالَتْ يَدايَ عَلَيْهِ الكَثِيبَا
وَنَازَعَني المَوْتُ مِنْ شَخْصِهِ سِنَاناً طَرِيراً وَعَضْباً مَهِيبَا
وَحِلْماً رَزِيناً وَأنْفاً حَمِيّاً ، وَعَزْماً جَرِيّاً وَرَأياً مُصِيبَا
صَوَارِمُ أغْمَدْتُهَا في الصّعِيدِ ، وَفَلّلْتُ مِنْهَا الظُّبَى وَالغُرُوبَا
أقُولُ لرَكْبٍ خِفَافِ المَزَادِ ، وَقَدْ بَدّلُوا بِالوَضَاءِ الشّحُوبَا
ألِمّوا بِأجْوَازِ تِلْكَ القُبُورِ ، فَعرّوا الجِيَادَ وَجُزّوا السّبِيبَا[2]
قِفُوا فامْطِرُوا كلّ عَينٍ دَماً بهَا، وَاملأُوا كُلّ قَلْبٍ وَجِيبَا
وَلا تَعْقِرُوا غَيرَ حَبّ القُلُو بِ ، إذا عَقَرَ النّاسُ بُزْلاً وَنِيبَا
وَإنّي عَلى أنْ رَمَاني الزّمَانُ ، وَأعْقَبَ بالقَلْبِ جُرْحاً رَغِيبَا
لَتَعجُمُ منّي ضُرُوسُ الخُطُو بِ قَلْباً جَلِيداً وَعُوداً صَلِيبَا
وَأبْقَى العَوَاجمُ مِنْ صَعْدَتي عَشَوْزَنَةً تَستَقِلّ النّيُوبَا[3]
أخِلاّءِ ! لا زَالَ جَمُّ البُرُوقِ ، أجشُّ الرّعُودِ يُطيعُ الجَنُوبَا

١ أرزمت : حنت .
٢ السبيب من الفرس : شعر الذنب والعرف والناصية
٣ الصعدة : القناة . العشوزنة : الصلبة .

إذا مَا مَطايَاهُ جُبْنَ الفَلا   أمِنّا عَلَيْهَا الوَجَى وَاللُّغُوبَا
يَشُقّ المَزَادَ عَلى تُرْبِكُمْ ،   وَيَمْرِي عَلى كُلّ قَبْرٍ ذَنُوبَا
وَأسْألُ أيْنَ مَصَابُ الغَمَامِ   شُرُوقاً ، إذا مَا غدا ، أوْ غُرُوبَا
أضِنّ عَلى القَطْرِ أنْ يَسْتَهِلّ   عَلى غَيرِ أجْداثِكُمْ أوْ يَصُوبَا
غُلِبْتُ عَلَيْكُمْ فَيَا صَفْقَةً   غُبِنْتُ بِهَا العَيشَ غُصْناً رَطِيبَا
فَلَوْلا الحَيَاءُ لَعَطّ القُلُوبَ   عَلَيكمْ عَصَائبُ عطّوا الجُيُوبَا[1]
وَلَمْ يَكُ قَدْرُ الرّزَايَا بِكُمْ ،   جَنَاناً مَرُوعاً ، وَدَمْعاً سَكُوبَا
وَإنّ ضَرايحَكُمْ في الصّعيدِ ،   لتَكسو الحَبيثَ من الأرْضِ طيبَا
وَهَبْنَا لفَيضِ الدّمُوعِ الخدُودَ   عَلَيكُمْ ، وَحَرّ الغرامِ القُلُوبَا
لَقَدْ شَغَلَتني المَرائي لَكُمْ ،   بوَجدِيَ عَنْ أنْ أقُولَ النّسيبَا
وَكُنْتُ أعُدّ ذُنُوبَ الزّمَانِ ،   فَبَعْدَكُمُ لا أعُدّ الذّنُوبَا
أرَابَ الرّدَى فيكُمُ جَاهِداً ،   وَزَادَ ، فَجازَ مَدَى أنْ يُرِيبَا
أأنْشُدُ مَنْ قَدْ أضَلّ الحِمامُ   عَنَاءً لَعَمْرُكَ أعْيَا الطّبيبَا

١ عط : شق .

صبراً أخي

يعزي صديقاً له :

لَوْ كَانَ يُعْتِبُنِي الحِمَا ... مُ لَطَالَ بَعْدَ اليَوْمِ عَتْبِي

إنّي وَمَــا عَاتَبْتُــهُ ... إلاّ وَأعْتَبَنِي بِذَنْبِي

صَبْراً أُخَيَّ ، فَإنّهَا ... تَمضِي، ولَوْ وَقَعَتْ بِهَضْبِ

هَوّنْ عَلَيْكَ ، فَقَدْ يَكُو ... نُ الصَّعبُ عِندكَ غيرَ صَعْبِ

وَانهَضْ فَما حُمِلَتْ عَلَى ... قَصِفِ الفَقَارِ وَلا أجَبِّ

كُنْتَ الطَّبِيبَ لِمثْلِهَا ، ... لَوْ يُتَّقَى قَدَرٌ بِطِبِّ

وَلَئِنْ رَمَى رَامِي الرّدَى ... غَرَضاً ، فَزَعزَعَ غَيرَ سِرْبِي

فَلَقَدْ أصَابَ بِسَهْمِهِ ... الغَرَضَينِ مِنْ عَيْنِي وَقَلْبِي

كرام الرجال ذهبوا

وقال رحمه الله يرثي بعض الرؤساء :

اذْهَبْ وَلا تَبْعَدَنَّ مِنْ رَجُلٍ ! ... إنّ كِرَامَ الرّجَالِ قَدْ ذَهَبُو

أدرَكْتَ فَوْقَ الذي طَلَبتَ نَدًى ... غَمْراً ، وَفَاتَ اللّئَامَ مَا طَلَبُو

لا يُخْلِفُ الدّهْرُ مَا تَجُودُ بهِ ، وَلا يُعِيرُ الرِّجَالَ مَا تَهَبُ
عِرْضٌ نَقِيٌّ مِنَ الوُصُومِ ، إذا أحْكَ عِرْضَ المُذَمَّمِ الجَرَبُ
مَضَى التّليدُ الأعْلَى لِطَيِّبِهِ ، وَاسْتَأخَرَ المَنْسِيَانِ وَالذّنَبُ
تَرْعِيَّةٌ طَاعَتِ الصِّعَابُ لَهُ ، وَاسْتَوْسَقَتْ فِي زِمَامِهِ العَرَبُ[1]
يَا دَهْرُ رَشْقاً بِكُلّ نَائِبَةٍ ، قَدِ انتَهَى العَتْبُ وَانقَضَى العَجَبُ
رُدّ يَدِي مَا استَطَعْتَ عَنْ أرَبِي، لَمْ يَبْقَ لي بَعْدَ مَوْتِهِمْ أرَبُ

غرور القلب

قال رحمه الله يرثي امرأ يخصـــه :

عَلى أيِّ غَرْسٍ آمَنُ الدّهرَ بَعدَمَا رَمَى فادحَ الأيّامِ في الغُصُنِ الرّطْبِ
ذوَى قبلَ أنْ تَذوِيَ الغصُونُ ،وَعهدُه قَرِيبٌ بِأيّامِ الرَّبِيلَةِ وَالخِصْبِ[2]
كَفَى أسَفاً للقَلْبِ ما عِشتُ أنّني بكفّي على عَيني حثَوْتُ من التُّرْبِ
جرَتْ خطرَةٌ منها وَفي القلبِ عَطشةٌ رَفَعتُ لهَا رأسِي عَنِ البَارِدِ العَذبِ
وَقُلْتُ لجَفني رُدّ دَمعاً عَلى دَمٍ ، وَللقَلبِ عالجْ قَرْحَ نَدبٍ على نَدْبِ

---

١ الترعية : المقتحم الأمور .
٢ الربيلة : النعمة .

وَمِمّا يُطيبُ النَّفْسَ بَعدَكَ أنّني عَلى قَرَبٍ من ماءِ وِرْدِكَ أوْ قُرْبِ[1]

ألا لا جَوًى مسّ الفؤادَ كذا الجَوَى، وَلا ذَنْبَ عندي للزّمانِ كذا الذّنْبِ

خَلا منكَ طَرْفي وَامتَلا منك خاطري، كَأنّكَ مِنْ عَيني نَقَلتَ إلى قَلبي

نار الهموم

قال يديهاً يرثي أبا الحسن أحمد بن علي البتّي وكان من أصدقائه القدماء وتوفي في شعبان سنة خمس وأربعمائة وبعده بشهور توفي الرضي رضي الله عنــه :

مَا للهُمُومِ كَأنّهَا نَارٌ عَلى قَلْبي تُشَبُّ

وَالدّمْعُ لا يَرْقَا لَهُ غَرْبٌ كأنّ العَينَ غَرْبُ

لوَداعِ إخْوَانِ الشّبَا بِ مضَتْ مَطاياهم تخُبّ

فارَقْتُهُمْ ، وَالعَينُ عَيْنٌ بعدَهم، وَالقلبُ قلبُ

مَا كُنتُ أحسَبُ أنّني جَلْدٌ على الأرْزاءِ صَعبُ

أوْ أنّني أبْقَى وَظَهْرِي بَعْدَ أقرَاني أجَبّ

لا الوَجْدُ مُنقَطِعُ الوُقودِ ولا مَزارُ الدمعِ غِبّ

مَا أخْطَأتْكَ النّائِبَاتُ إذا أصَابتْ من تحبّ

[1] القرب : أن لا يكون بينك وبين الماء إلا ليلة واحدة .

الشوق للبعد والقرب

أقُولُ ، وَقَدْ أرْسَلتُ أوّلَ نَظرَةٍ ، وَلَمْ أرَ مَن أهوَى قَرِيباً إلى جَنْبي
لَئِنْ كنتُ أخليتُ المكانَ الذي أرَى، فهَيهاتَ أنْ يَخلُو مكانُكَ من قَلبي
وكنتُ أظنّ الشّوْقَ للبُعْدِ وَحْدَهُ، وَلَمْ أدْرِ أنّ الشّوْقَ للبُعدِ وَالقُرْبِ
خَلا منكَ قَلبي وَامتَلا منكَ خاطري، كَأنّكَ مِن عَيْني نَقَلتَ إلى قَلبي[1]

الحبيب الشاكي

أيَا شاكِياً مِنّي لذَنْبٍ جَنَيْتُهُ، فَدَيتُكَ مِنْ شاكٍ إليّ حبيبِ
لَئنْ رابَ منّي ما يُرِيبُ فإنّني عَلى عُدَوَاءِ الدّهرِ غَيرُ مُرِيبِ
وَإنّي لأرْعَى منكَ وَالغَيبُ بَينَنا هَوًى قَلّمَا يُرْعَى بظَهرِ مَغيبِ
فَهَبْ لي ذَنْباً واحداً، كان قُلتُه، فَمَا زَلَلٌ مِنْ حازِمٍ بعجيبِ
فيا حُسنَ حالِ الوُدّ ما دمتُ مُذنباً أتُوبُ وَمَا دامَتْ تُعَدّ ذُنُوبي

[1] ورد هذا البيت في أبيات سابقة (صفحة ١٧٠) وفيه : «طرفي» في الصدر بدلاً من «قلبي» وهو الصواب .

أنة الشاكي وتنفس المكروب

لا وَاللذي قَصَدَ الحَجيجُ لبَيْتِهِ ، مَا بَينَ نَـاءٍ نَازِحٍ وَقَرِيبِ
وَالحِجرِ وَالحَجَرِ المُقَبَّلِ تَلتَقي فيهِ الشِّفَاهُ ، وَرَكنِهِ المَحْجُوبِ
لا كانَ مَوْضِعُكَ الذي مُلّكْتَهُ بَينَ الأضَالِـعِ بَعدَ ذا لحَبيبِ
إنّي وَجَدْتُ لَذاذَةً لكَ في الحشا لَيسَتْ لمَـأكُولٍ ولا مَشْرُوبِ
لي أنّةُ الشّاكي إذا بَعُدَ المَدَى مَا بَيْنَنَا وَتَنَفّسُ المَكْرُوبِ

طيف الحبيب

إنّ طَيْفَ الحَبيبِ زَارَ طُرُوقاً، وَالمَطايَا بَينَ القِنَانِ وَشِعْبِ
فَوْقَ أكْوَارِهِنّ أنْضَاءُ شَوْقٍ طَرَقُوا بالغَرَامِ دُونَ الرّكْبِ
كُلّمَا أنّتِ المَطيُّ مِنَ الإعْـ يَاءِ أنُّوا مِنَ الجَوَى وَالكَرْبِ
زارَني وَاصِلاً عَلى غَيرِ وَعْدٍ ، وَانْثَنَى هَاجِراً على غَيرِ ذَنْبِ
كَانَ قَلْبي إليَهِ رَائِدَ عَيْني ، فَعَلَى العَيْنِ مِنّةٌ للقَلْبِ
بِتُّ ألْهُو بِنَاعِمِ الجِيدِ غَضٍّ ، وَفَمٍ بَارِدِ المُجَاجَةِ عَذْبِ
بَلّ وَجْدي،وَمَن رَأى اليوْمَ قَبلي نَاقِعاً للغَليلِ مِنْ غَيرِ شُرْبِ

سَامِحاً لي عَلى البعَادِ بنَيْلٍ كَانَ يَلْوِيهِ في زَمَانِ القُرْبِ
كَانَ عِندي أنّ الغُرُورَ لِطَرْفي، فَإذا ذَلِكَ الغُرُورُ لقَلْبي

سلوت المعالي إن سلوتك

كتب إلى صديق له جواباً عن أبيات أتته منه :

حَلَفْتُ بأعلامِ المُحَصَّبِ مِنْ مِنًى، وَمَا ضَمّ ذاكَ القاعُ وَالمَنزِلُ الرّحبُ
وَكُلٍّ بُجَاوِيٍّ يَجُرّ زِمَامَهُ ، إذا مَا تَرَاخَتْ في أزِمّتِها النُّجْبُ[1]
وَتَرْجيعِ أصْوَاتِ الحَجيجِ وَقَد بَدا وَقُورُ النّواحي تَستَبِدّ بهِ الحُجْبُ
وَرَوْعَةِ يَوْمِ النّحرِ، وَالهَدْيُ حائرٌ، وكلُّ دَمٍ أوْدَى بِجُمّتِهِ الرّكْبُ
لَقدْ جَلّ ما بَيني وَبَيْنَكَ عن قِلًى، سَوَاءٌ تَدانَى البُعدُ أوْ بَعُدَ القُرْبُ
وَلي دَمْعُ عَينٍ لا يُرَنّقُ سَاعَةً ، وَنَارُ غَرَامٍ بَينَ جَنبَيّ لا تَخبُو[2]
وَقَلْبٌ يَمُورُ الطّرْفُ إنْ قَرّ في الحشا، وَطَرْفٌ ، إذا سَكّنْتَهُ نَفَرَ القلبُ[3]
وَجِسمٌ ، إذا جَرّدْتَهُ مِنْ قَميصِهِ على النّاسِ قالوا: هكذا يَفعلُ الحُبّ

---

١ البجاوي : نوع من الإبل ينسب إلى بجاوة وهي أرض النوبة
٢ يرنق : يضعف ، يتوقف .
٣ يمور : يجري . الطرف : العين .

فَما لِي عَلى ما بِي أُعَنَّفُ في الهَوَى ، وَيُرْمِضُني العَذْلُ المُؤرِّقُ وَالعَتبُ[1]
عَلى حِينَ أُعطيكَ الوَفاءَ مُصَرَّحاً ، وَأُصْفيكَ مَحْضَ الوُدّ ما عظمَ الخطبُ
وَكُنتُ ، إذا فارَقتُ دارَكَ ساعَةً ، صَمَتُّ ، فَلا جِدٌّ لَدَيَّ وَلا لعِبُ
ألا لَيتَ شِعْرِي هَلْ أبيتَنّ لَيلَةً بميثاءَ يَلطَى في أبَاطِحِها التُّرْبُ[2]
تَطَرَّقَهَا مَاءُ الغَمَامِ وَدَرّجَتْ بها الرّيحُ مُخضَرّاً كما نُشرَ العَصْبُ[3]
وَهَلْ أذْعَرَنْ قَلْبَ الظّلامِ بفِتْيَةٍ تَهاوَى بهِمْ قُودُ السّوَالِفِ أوْ قُبّ[4]
وَهَلْ أرِدَنْ مَاءً وَرَدْنا بِمِثْلِهِ جميعاً وَفي غُصْنِ الهَوَى وَرَقٌ رَطبُ
وَهَلْ لي بدارٍ أنْتَ فيها إقَامَةٌ ، فَأنْشُرَ مَا تَطوِي الرّسائلُ وَالكتْبُ
سَلَوْتُ المَعالي إنْ سَلَوْتُكَ ساعَةً ، وَمَا أنَا إلاّ مُغْرَمٌ بالعُلَى صَبّ

مشغوف ومشغوفة

يَقَرُّ بعيْني أنْ أرَى لَكِ مَنْزِلاً بِنَعمَانَ يَزْكُو تُرْبُهُ وَيَطِيبُ
وَأرْضاً بِنُوّارِ الأقَاحي صَقيلَةً ، تَرَدَّدُ فيهَا شَمْألٌ وَجَنُوبُ

١ يرمضني : يحرقني .
٢ الميثاء : الأرض السهلة . يلطى : يلزق .
٣ العصب : ضرب من البرود ، والجلباب .
٤ القود ، الواحد أقود : الذليل المنقاد . وقوله السوالف : أراد الخيل ذات السوالف . وسالفة الفرس : ما تقدم من عنقه . القب : الضوامر البطون .

وَأيُّ حَبيبٍ غَيّبَ النأيُ شَخْصَهُ، وَحَالَ زَمَانٌ دُونَهُ وَخُطُوبُ
تَطاوَلَتِ الأعلامُ بَيْني وَبَيْنَهُ، وَأصْبَحَ نَائي الدارِ، وَهوَ قَرِيبُ
لك اللهُ من مَطلولَةِ القَلبِ بالهَوَى، قَتيلَةِ شَوْقٍ، وَالحَبيبُ غَرِيبُ
أُقِلُّ سَلامي إنْ رَأيتُكِ خيفَةً، وَأُعرِضُ كَيما لا يُقَالَ مُرِيبُ
وَأُطرِقُ وَالعَينانِ يُومِضُ لحظُها إلَيكِ، وَمَا بَينَ الضّلوعِ وَجيبُ
يَقُولونَ: مَشغُوفُ الفُؤادِ مُرَوَّعٌ، وَمَشغُوفَةٌ تَدْعُو بِهِ فَيُجيبُ
وَمَا عَلِمُوا أنّا إلى غَيرِ رِيبَةٍ، بَقَاءَ اللّيَالي نَغْتَدي وَنَؤوبُ
عَفَافِيَ مِنْ دُونِ التّقيّةِ زَاجِرٌ، وَصَوْنُكِ من دونِ الرّقيبِ رَقيبُ
عَشِقتُ وَما لي، يَعلَمُ اللهُ، حاجَةٌ سوَى نَظَري، وَالعاشِقُونَ ضُرُوبُ
وَمَا لِيَ يَا لَمْيَاءُ بالشّعْرِ طائِلٌ، سِوَى أنّ أشعاري عَلَيكِ نَسيبُ
أُحِبّكِ حُبّاً، لَوْ جَزَيْتِ بِبَعضِهِ، أطاعَكِ مِنّي قَائِدٌ وَجَنيبُ
وَفي القَلْبِ داءٌ في يَدَيْكِ دَوَاؤهُ، ألا رُبّ داءٍ لا يَرَاهُ طَبيبُ
سَرَى لكِ مِنْ أوْطانِهِ كلُّ عارِضٍ تَضاحَكَ فيهِ البَرْقُ وَهوَ قَطُوبُ
وَلا زَالَ خَفّاقُ النّسيمِ مُرَقْرِقاً عَلَيْكِ، وَأنْوَاءُ الغَمَامِ تَصُوبُ

اشتياق ولغوب

أغيبُ فأنسَى كلّ شيءٍ سوَى الهوَى، وإنْ فجعَتْني بالحَبيبِ النّوائبُ
ولا زادَ يومُ البَيْنِ إلاّ صبابَةً ، فلا الشّوْقُ منسيٌّ ولا الدّمعُ ناضبُ
أحِنّ ، إذا حنّتْ ركابي ، وفي الحشا بَلابِلُ لا تَعْيَا بهِنّ النّجائبُ
فعِندي اشتياقٌ ما يَحِنّ أخو الهوَى، وعِندي لُغُوبٌ ما تحنّ الرّكائبُ
وإنّي لأرْعَى مِنْ وِدادِ أحبّتي على بُعُدٍ ، مَا لا تُراعي الأقارِبُ

من دل عينيك على قلبي

هَلْ ناشِدٌ لي بِعقيقِ الحِمَى غُزَيّلاً مَرّ على الرّكْبِ
أفلَتَ مِنْ قانِصِه غِرّةً ، وعادَ بالقَلْبِ إلى السِّرْبِ
وأظْمَأ القَلْبَ إلى مَالِكٍ لا يُحْسِنُ العَدْلَ على القَلْبِ
يَعْجَبُ مِنْ عُجْبي بهِ في الهوَى، وَا عَجَبي مِنْهُ وَمِنْ عُجْبي
أقرُبُ بالوُدّ ، ويَنأى بهِ ، ويْلي على بُعْدِكَ مَنْ قُرْبِ
مُنَعَّمٌ يَعْطِفُ مِنْهُ الصِّبَا ، لِعبَ الصَّبَا بالغُصُنِ الرّطْبِ
بَلادَةُ النّعْمَةِ في طَبْعِهِ ، ورُبّمَا نَاقَشَ في الحُبّ

أمَا اتّقَى اللهَ عَلى ضَعْفِهِ ، مُعَذّبُ القَلْبِ بِلا ذَنْبِ
يا مَاطِلاً لي بِدُيُونِ الهَوَى مَنْ دَلّ عَيْنَيْكَ عَلى قَلْبِي

الوعد الكذاب

وَشَمَمْتُ في طَفَلِ العَشيّةِ نَفحَةً حبَسَتْ بِرامَةَ صُحْبَتي وَرِكَابي[1]
مُتَمَلْمِلِينَ عَلى الرّحَالِ كَأنّما مَرّوا بِبَعْضِ مَنَازِلِ الأحْبَابِ
ذَكَرَتْ ليَ الأرَبَ القَدِيمَ من الهوَى عَهْدَ الصِّبَا وَلَيَاليَ الأطْرَابِ
فَبَعَثْتُ دَمعي ثمّ قُلْتُ لصَاحبي : إيهٍ دُمُوعَكَ يَا أبَا الغَلاّبِ
في سَاعَةٍ لَمّا التَفَتُّ إلى الصِّبَا بَعُدَتْ مَسَافَتُهُ عَلى الطُّلاّبِ
وَتَأرّجَتْ منِها زَلازِلُ رَيْطَتي ، حتّى تَعَارَفَ طيبَهَا أصْحَابي
فَكَأنّمَا استَعبَقتُ فَارَةَ تَاجِرٍ ، وَبَعَثْتُ فَضْلَتَهَا إلى أثْوَابي
أشْكو إليكَ وَمِنْ هَوَاكَ شِكَايتي ، وَيَهُونُ عِندَكَ أنْ أبِيتَ كَمَا بي
يا مَاطِلي بالدَّينِ ، وَهوَ مُحَبَّبٌ ! مَنْ لي بِدائِمِ وَعْدِكَ الكَذّابِ

[1] طفل العشي : قبل غروب الشمس .

أمير رعيته القلوب

رَمَاني كَالعَدُوِّ يُرِيدُ قَتْلي ، فَغالَطَني ، وَقالَ : أنَا الحَبيبُ
وَأنكَرَني ، فَعَرّفَني إليْهِ لَظَى الأنفَاسِ وَالنّظَرُ المُرِيبُ
وَقالوا : لِمْ أطَعتَ؟ وكيفَ أعصي أميراً مِنْ رَعِيّتِهِ القُلُوبُ

ضوء الحسن وضوء القلب

أيُّ عيدٍ مِنَ الهَوَى عادَ قَلبي ، بعدَما جَعجَعَ الدّجَى بالرّكْبِ[1]
لَوْ دَعَاني مِنْ غَيرِ أرْضِكَ داعٍ لغَرَامٍ لَكُنْتُ غَيرَ مُلَبّي
أيْنَ ظَبيٌ بِذِي النّقَا يُوقِدُ النّا رَ عِشاءً بالمَنْدَليّ الرّطْبِ[2]
كُلّمَا أخْمِدَتْ زَهَاهَا بضَوءِ الـ حُسنِ مِن جيدِهِ وَضَوْءِ القَلبِ
سَكَنَ الهَضْبَ مِنْ قَبَا فوَجَدنا أثَراً للهَوَى بذاكَ الهَضْبِ
لَيْتَ أحبَابَنا ، وَقَدْ أشرَقُونَا ، سَوّغُونَا بَرْدَ الزّلالِ العَذْبِ
يَا لهَا نظرَةً عَلى الشِّعبِ دَلّتْـ ـني غُرُوراً على غَزَالِ الشِّعْبِ
قَسّمُوا السّوءَ بينَ عَيْني وَقَلبي ، لِمْ جَنَى ناظري فَعَذّبَ قَلْبي

[1] جعجع : صوت .
[2] المندلي : عود طيب الرائحة حينما يوقد .

القلب الذائب

ألا أيّها الرّكبُ اليمانُونَ عَهدُكم، على ما أرَى ، بالأبرَقَينِ قَرِيبُ
وَإنّ غزَالاً جُزْتُمُ بِكِنَاسِهِ ، على النّأيِ عِندِي ، وَالمطالِ حَبِيبُ
وَلمّا التَقَينَا دَلّ قَلْبي على الجَوَى دَليلانِ : حُسنٌ في العيُونِ وَطيبُ
وَلي نَظْرَةٌ لا تَملِكُ العَينُ أُختَها ، مَخَافَةَ يَشْنُوهَا عَليّ رَقيبُ
وَهَلْ يَنفَعَنّي اليَوْمَ دَعوَى براءَةٍ لقَلبي، وَلحظي، يا أُمَيمَ، مُرِيبُ
وَأنهَلَني في القَعْبِ فَضْلُ غَبُوقِهِ خَليطانِ : رِيقٌ بَارِدٌ وَضَرِيبُ[1]
وَلَوْ نَفَضَتْ تِلْكَ الثّنِيّاتُ بَرْدَها على الصّبِرِ المَمْرُورِ كادَ يَطيبُ[2]
فَيَا بَرْدَ مَاءٍ ذابَ ما ذِيقَ بَرْدُهُ ، بَلَى ، إنّ لي قَلْباً عَلَيْهِ يَذُوبُ

عيني عين على قلبي

يا رِيمَ ذا الأجْرَعِ يَرْعَى بِهِ ثِمَارَ قَلْبي بَدَلَ الرّطْبِ
هَنَاكَ شُرْبُ الدّمْعِ مِنْ ناظِري، يا مُشْرِقي بالبَارِدِ العَذْبِ

[1] القعب : القدح . الضريب : العسل

[2] الصبر : عصارة شجر مر .

أنْتَ عَلَى البُعْدِ هُمُومي، إذا غِبْتَ ، وَأشجَاني عَلى القُرْبِ
لا أتْبَعُ القَلْبَ إلى غَيرِكُمْ ، عَيْني لَكُمْ عَيْنٌ عَلى قَلْبي[1]

بكاء على الشباب

قال وقد حلق وفرته بمنى وسنه يومئذ فوق الثلاثين بقليل وقد رأى فيها بياضاً وكان ذلك سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة :

لا يُبْعِدَنّ اللهُ بُرْدَ شَبيبَةٍ أَلقَيْتُهُ بِمِنًى ، وَرُحْتُ سَلِيبَا
شَعْرٌ صَحِبتُ بهِ الشّبابَ غُرَانقاً ، وَالعَيشَ مُخضَرَّ الجَنابِ رَطِيبَا[2]
بَعْدَ الثّلاثِينَ انقِرَاضُ شَبيبَةٍ ، عَجَباً أُمَيمَ لَقَدْ رَأيتُ عَجيبَا
قَدْ كانَ لي قَطَطاً يُزَيّنُ لِمّتي شَرْوَى السّنَانِ يُزَيّنُ الأُنْبُوبَا[3]
فاليَوْمَ أَطّلِبُ الهَوَى مُتَكَلِّفاً ، حَصِراً ، وَألقَى الغَانِيَاتِ مُرِيبَا
إمّا بَكَيْتُ عَلى الشّبَابِ ، فإنّهُ قَد كانَ عَهدي بالشّبابِ قَرِيبَا
لَوْ كانَ يَرْجِعُ مَيّتٌ بتَفَجّعٍ وَجَوًى شَقَقتُ على الشّبابِ جيوبَا
وَلَئِنْ حَنَنْتُ إلى مِنًى من بَعدِها ، فَلَقَدْ دَفَنتُ بِها الغَداةَ حَبيبَا

١ العين : الجاسوس .
٢ الغرانق : الشاب الأبيض .
٣ القطط : الشعر القصير الجعد . الشروى : المثل . الأنبوب : القناة .

تلفت القلب !

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلى دِيَارِهِمُ ، وَطُلُولُهَا بِيَدِ البِلَى نَهْبُ
فَوَقَفْتُ حَتّى ضَجّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِي ، وَلَجّ بعَذْلِيَ الرّكْبُ[1]
وَتَلَفّتَتْ عَيْنِي ، فَمُذْ خَفِيَتْ عَنّها الطّلُولُ تَلَفّتَ القَلْبُ

مات الشباب ولم يعقب

قال أيضاً وهي قطعة عجيبة تشتمل على نسيب وذم للمشيب ومراث فألحقناها بهذا الباب تغليباً لحكم الأول لأن السبق له :

وَلَقَدْ أكُونُ مِنَ الغَوَاني مَرّةً ، بِأعَزّ مَنْزِلَةِ الحَبيبِ الأقْرَبِ
أقتَادُهُنّ بِفَاحِمٍ مُتَخَـايِلٍ ، فيُرِبنَني وَيَرِينُ لي وَيَزِينُ بي[2]
وَإذا دَعَوْتُ أجَبْنَ غَيرَ شَوَامِسٍ ، زَفَفَ النّيَاقِ إلى رُغَاءِ المُصْعَبِ[3]
فَاليَوْمَ يَلْوِينَ الوُجُوهَ صَوَادِفاً ، صَدّ الصّحَاحِ عَنِ الطّليّ الأجرَبِ

١ اللغب : التعب . النضو : البعير المهزول .
٢ عجز البيت غامض ، وربما كان فيه تحريف .
٣ الزفف : الإسراع . المصعب : الفحل .

وَإذا لَطَفْتُ لَهُنّ قالَ عَوَاذِلِي : ذِئْبُ الغَضَاةِ يُرِيغُ وُدَّ الرّبْرَبِ
فَلَئِنْ فُجِعْتُ بِلِمّةٍ فَيْنَانَةٍ ، مَاتَ الشّبَابُ بِهَا وَلَمّا يُعْقِبِ
فَلَقَدْ فُجِعْتُ بِكُلّ فَرْعٍ باذِخٍ من عِيصِ مُدرِكَةَ الأعزّ الأطيَبِ[1]
قَوْمي تَقارَعَتِ السُّنُونُ عَلَيْهِمُ ، فَثَلَمنَ كلّ فَتًى كَحَدّ المِقضَبِ
شُعَباً مُفَرَّقَةً يَطيرُ فُضَاضُهَا ، كَالقَعْبِ مُنْصَدِعاً ، وَلمّا يُرْأَبِ[2]
هَتَفَ الرّدَى بِجَميعِهِمْ فتَتَابَعُوا طَلْقَ العُطَاسِ بَني أبٍ وَبَني أبِ
وَرَدُوا ، وَإنّي بَعدَهُمْ كَظَمِيّةٍ تَسَلُ القَوَارِبَ عَن بُلُوغِ المَشرَبِ[3]
طَرَقَ الزّمانُ بكلّ خَطْبٍ بَعدَهُم، فَإذا رَأَيْتُ عَجيبَةً لَمْ أعْجَبِ

لئن فارقتهم

غَدَا في الجِيرَةِ الغَادِينَ لُبّي جَميعاً ، ثُمّ رَاجَعَني وَثَابَا
لَئِنْ فَارَقتُهُمْ ،وَبَقِيتُ حَيّاً، لَقَدْ فَارَقْتُ بَعْدَهُمُ الشّبَابَا

١ العيص : الأصل . مدركة : من أجداد العرب .
٢ الشعب ، الواحدة شعبة : الفرقة ، الطائفة من الشيء . الفضاض : ما تفرق من الشيء عند كسره
يرأب : يصلح .
٣ القوارب ، الواحد قارب : طالب الماء ليلا .

بادر قبل المشيب

تَمَلٌّ مِنَ التَّصَابي حِينَ تُمْسِي ... وَلا أَمَمٌ صِبَاكَ ، وَلا قَرِيبُ[1]

سَوَادُ الرّأسِ سِلْمٌ للتّصَابي ، ... وَبَيْنَ البِيضِ وَالبِيضِ الحُرُوبُ

وَوَلاّكَ الشّبَابُ عَلى الغَوَاني ، ... فَبَادِرْ قَبْلَ يَعزِلُكَ المَشِيبُ

التعلل بالدموع

الدّمْعُ مُذْ بَعُدَ الخَلِيطُ قَرِيبُ ، ... وَالشّوْقُ يَدْعُو ، وَالزّفِيرُ يُجيبُ

مَا كُنْتُ أعْلَمُ أنّ يَوْمَ فِرَاقِكُمْ ... تُبْقِي عَليّ نَوَاظِرٌ وَقُلُوبُ

إنْ لمْ تَكُنْ كَبِدي غَداةَ وَداعكم ... ذابَتْ ، فَأعْلَمُ أنّهَا ستَذُوبُ

داءٌ طَلَبْتُ لَهُ الأُسَاةَ ، فلَم يكنْ ... إلاّ التّعَلّلُ بالدّمُوعِ طَبيبُ

إمّا أقَمْتُ ، فَإنّ دَمعي غالِبٌ ... لِعَوَاذِلي ، وَتَجَلّدي مَغْلُوبُ

أبْقَوْا عَليلاً بَعدَهُمْ لا بُرْؤهُ ... يُرْجَى ، وَلا الآمَالُ فيهِ تَخيبُ

كَطَرِيدِ يَوْمِ الوِرْدِ طَالَ هُيَامُهُ ، ... فَغَدا يَحُومُ عَلى الرّدَى وَيَلُوبُ

بفُؤادِهِ وَبِصَفحتَيْهِ مِنَ الصّدَى ... وَمِنَ الرِّمَاءِ عَنِ الحِيَاضِ نُدُوبُ

أسْوَانُ يُفْتَقُ صَبْرُهُ إفْتَاقَةً ... أمَماً ، وَيَغْمِزُ بالجَوَى ، فيَغيبُ

---

[1] الأمم : القصد ، الوسط .

الصبر مر

سَأصْبِرُ إنّ الصّبْرَ مُرٌّ صُدُورُهُ ، ألاَ رُبّمَا لَذّتْ لِقَلْبي عَوَاقِبُهْ

وَلا بُدّ أنْ يُعطي على البُعْدِ دَوْلَةً ، فَنَأمَنَ بَيْناً ، أوْ رَقِيباً نُرَاقِبُهْ

فَلا قَلْبَ لي إلاّ وَأنْتَ حِجَابُهُ ؛ وَلا سِرّ لي إلاّ وَذِكْرُكَ حَاجِبُهْ

كمل المجد أخلاقه

كتب بها إلى بعض أصدقائه وقد استزاره :

وَأبْيَضَ كالنّصْلِ مِنْ هَمّهِ قِرَاعُ المُطالِبِ للطّالِبِ

أنِيسِ اليَدَيْنِ بِبَذْلِ النّوَالِ إذا احْتَشَمَتْ رَاحَةُ الوَاهِبِ

فَتًى كَمّلَ المَجْدُ أخْلاقَهُ ، فَسَدّ الفِجَاجَ عَلى العَائِبِ

دَعَا ، فأطَعتَ ، وَكانَ الدّعَاءُ إلى الفَخْرِ وَالشّرَفِ الرّاتِبِ

وَكُنْتَ إلى مِثْلِها في النّهُوضِ أثقَلَ مِنْ كاهِلِ الحَاطِبِ

ضياء العقل والحسب

أبرَّا إلى المَجدِ من حرْصِي على الطلَبِ، وَمِنْ قِراعي على الأرزاقِ والرُّتَبِ
لَوْ أنصَفَ الدّهرُ دلّتني غياهِبُهُ على العُلَى بِضِياءِ العَقْلِ وَالحَسَبِ
ما يَنفَعُ المَرْءَ أحْسابٌ بِلا جِدَةٍ، ألَيْسَ ذا مُنْتَهى حَظّي وَذاكَ أبي
الآنَ أطْلُبُ ثارَاتي بِمَقْرَبَةٍ خَدّعتُها عن غَميرِ النَّورِ وَالعُشُبِ
يَجولُ صَدرُ الضّحى في أُفقِ قَسطلِها، وَاليَوْمُ بَيْنَ العَوَالي ضَيّقُ اللَّبَبِ
أنضَيتُ سِتّاً وَعَشراً ما قَضَيتُ بها، سِوَى المُنَى، وَطَراً إلاّ من الأدَبِ

بين ليث وكلب

لَعَلّ الدّهرَ أمْضَى مِنْكَ غَرْبَا، وَأقوَى في الأمُورِ يَداً وَقَلْبَا
وَمُقْلَتُهُ، إذا لَحَظَتْ حُسَامي، تَغُضّ مَهَابَةً وَتَفِيضُ رُعْبَا
فَكَيْفَ، وَأنتَ أعْمَى عَنْ مَقالي، وَلَوْ عَايَنْتَهُ لَرَأيْتَ شُهْبَا
عَدَرْتُكَ أنتَ أردَى النّاسِ أصْلاً، وَأخبَثُ مَنْصِباً وَأذَلُّ جَنْبَا
وَأنتَ أقَلُّ في عَيْنَيّ مِنْ أنْ أرُوعَكَ أوْ أشُنّ عَلَيْكَ حَرْبَا
أَأَعْجَبُ مِنْ خِصَامِكَ لي وَجَدّي رَسُولُ اللهِ يُوسَعُ مِنكَ سَبّا

وَمَنْ رَجَمَ السّمَاءَ ، فَلا عَجيبٌ　يُقالُ : حَثَا بِوَجْهِ البَدْرِ تُرْبَا
فإنّكَ إنْ هَجَوْتَ هَجَوْتَ لَيثاً ؛　وَإنّي إنْ هَجَوْتُ هَجَوْتُ كَلْبَا

نجوم كبياض الحصى

خَليلَيّ مَا بَيْني وَبَيْنَ مُحَرِّقٍ　سوَى وَقْعِ أطرَافِ القَنَا وَالقَوَاضِبِ
أتَاني بِهَا بَزْلاءَ تُلْقي جِرَانَهَا　عَلى خَيرِ بَيتٍ في لُؤيّ بنِ غالِبِ[1]
وَفَازَ بِكُومٍ ذي رِقَابٍ مُنيفَةٍ ،　وَأسْنِمَةٍ مَلْوِيّةٍ بالغَوَارِبِ[2]
أرَى إبِلي مَطْرُوحَةً عَنْ مَرَاحِهَا ،　يَصيحُ بِهَا الأعْداءُ مِنْ كلّ جانِبِ
إذا هُنّ طَالَعْنَ المِيَاهَ عَشِيّةً　نَشَجْنَ وَرَاءَ الذَّوْدِ نَشجَ الغَرَائِبِ
وَكُنّا ، إذا مَا أبْعَدَ المَجْدُ غَايَةً ،　دَفَعْنَا إلَيْهَا مِنْ صُدُورِ النّجائِبِ
تَسيرُ أمَامَ العَاصِفَاتِ كَأنّهَا　طَلائِعُ أعْنَاقِ الصَّبَا وَالجَنَائِبِ
خَوَارِجُ مِنْ لَيْلٍ كَأنّ نجُومَهُ　بَيَاضُ الحصَى بالأمعَزِ المُتَرَاكِبِ

١ البزلاء : الداهية . تلقي جرانها : تبرك .
٢ الكوم : القطعة من الإبل .

من أشكو ؟

كتب إلى صديق له وقد وعده بوعد فأخره عنه فقال :

إيّاكَ أنْ تَسْخُو بِوَعْـ ـدٍ لَيسَ عَزْمُكَ أنْ تَفي بِـهْ
فالصّدْقُ يَحْسُنُ بِالفَتَى ، وَالكِذْبُ يُحْسَبُ مِنْ عُيُوبِهْ
وَإذا قَدَرْتَ عَلى الوَفَـا ءِ ، فَعَدِّ عَنْ غَدْرٍ وَذِيبِهْ
أشْكُوكَ أمْ أشْكُو الزّمَـا نَ ، لأنّ مَطلَكَ مِنْ ذُنُوبِهْ
بَلْ أشْتَكيهِ ، فَكَمْ دفعْـ تُ إلى الغَرَائِبِ مِنْ خُطُوبِهْ

سحاب كبطون الأتن

قال رحمه الله يصف السحاب ويذكر أغراضاً كثيرة :

سَما كَبطونِ الأُتْنِ رَيعانُ عارِضٍ تُزَجّيهِ لَوْثَاءُ النّسيمِ جَنُوبُ[1]
رَغَا بينَ دَوْحِ الوَادِيَيْنِ بِرَعْدِهِ ، رُغَاءَ مَطَايَا مَسّهُنّ لُغُوبُ
بَصِيرٌ بِرَمْيِ القَطْرِ حَتّى كَأنّهُ عَلى الرّمْلِ قَارِيُّ السّهَامِ نَجيبُ

١ الأتن ، الواحدة أتان: أنثى الحمار . الريعان : الأول . تزجيه : تسوقه . اللوثاء : الديمة البطيئة .

تَدافَعَ ، أمّا بَرْقُهُ فَصَوارِمٌ ، جَلاءً ، وأمّا عَرْضُهُ فكَثيبُ
إذا ما أرَاقَ الماءَ أسفَرَ وَجهُهُ ، ويَغدُو بِعِبْءِ الماءِ ، وَهْوَ قَطوبُ
سَهِرْتُ لَهُ نَابي الوِسادَةِ ،برْقُهُ يَحُومُ على أعناقِهِ ويَلُوبُ
فُؤادي بنَجْدٍ ، والفتَى حيثُ قَلبُه أسيرٌ ، وَما نَجْدٌ إليّ حَبيبُ
وَما لي فيهِ صَبْوَةٌ غَيْرَ أنّني خلَعْتُ شَبَابي فيهِ ، وَهْوَ رَطيبُ
بلَى! إنّ قَلْباً رُبّمَا التَاحَ لَوْحَةً ، فَهَلْ مَاؤهُ للوَارِدِينَ قَريبُ
ألاَ هَلْ تَرُدّ الرّيحُ،يا جوّ ضَارِجٍ ، نَسيمَكَ يَحْلَوْلي لَنَا وَيَطيبُ
وَهَلْ تَنظُرُ العَيْنُ الطّليحَةُ نظرَةً إلَيكَ ، وَمَا في المَاقِيَيْنِ غُرُوبُ
وَمَا وَجدُ أدْمَاءِ الإهَابِ مَرُوعَةٍ لأحشائِهَا تَحْتَ الظّلامِ وَجيبُ
تَرُودُ طَلاً أوْدَتْ بِهِ غَفَلاتُهَا ، وَفي كُلّ حَيٍّ للمَنونِ نَصيبُ
بغومٍ عَلى آثارِهِ ، وَقَدِ اكْتَسَى ظَلامَ الدّيَاجي غائِطٌ وَسُهُوبُ[1]
فَلَمّا أضاءَ الصّبْحُ لاحَ لعَيْنِهَا دَمٌ بَينَ أيْدي الضّارِيَاتِ صَبيبُ
كوَجدي وقَدْ عَرّى الشّبابُ جَوادَه ، وَغَيّرَ لَوْنَ العَارِضَيْنِ مَشيبُ
ولَكِنّهَا الأيّامُ ، أمّا قَليبُهَا فَمُكْدٍ ، وأمّا بَرْقُها فخَلُوبُ[2]
إذا ما بَدَأنَ الأمرَ أفسَدْنَ عَقبَهُ ، وَعَفّى عَلى إحسانِهِنّ ذُنُوبُ
فَلِلّهِ دَرّي يَوْمَ أنْعَتُ قَوْلَةً لهَا في رُؤوسِ السّامِعينَ دَبيبُ
وَلِلّهِ دَرّي يَوْمَ أرْكَبُ هِمّةً إلى كُلّ أرْضٍ أغتَدي وَأؤوبُ

١ الغائط : المطمئن من الأرض . السهوب ، الواحد سهب : المستوي من الأرض .
٢ القليب : البئر . المكدي : القليل الماء .

وكمْ مَهمَهٍ جاذَبتُ بالسّيرِ عَرْضَهُ ،　　وَغالَبتُهُ بالعزْمِ ، وَهوَ غَلُوبُ
وَلَيلٍ رَأيتُ الصّبحَ في أُخرَيَاتِهِ ،　　كمَا انسَلّ من سِرّ النّجادِ قَضِيبُ
سَرَيتُ بهِ أُوفي علَى كُلّ رَبْوَةٍ ،　　وَلَيسَ سوَى نَجْمٍ علَيّ رَقيبُ
وَأزْرَقِ مَاءٍ قَدْ سَلَبْتُ جُمامَه ،　　يَعُومُ الشّوَى في غَمرِهِ وَيَغيبُ
وَهَاجِرَةٍ فَلّلْتُ بالسّيرِ حدّها ،　　وَلا ظِلّ إلاّ ذابِلٌ وَنَجيبُ
وَيَوْمٍ بِلا ضَوْءٍ يُتَرْجِمُ نَقْعُهُ　　عَنِ الرّوْعِ وَالإصْباحُ فيه مُرِيبُ
حبَسْتُ بِهِ قَلْباً جَرِيئاً على الرّدى ،　　وَقَدْ رَجفَتْ تحتَ الصّدُورِ قُلُوبُ
وَطَعنَةِ رُمْحٍ قدْ خرَطتُ نَجيعَها ،　　كمَا مَاجَ فَرْغٌ في الإنَاءِ ذَنُوبُ[1]
وَضَرْبَةِ سَيفٍ قد تَرَكتُ مُبينَةً ،　　وَحَامِلُها عُمْرَ الزّمَانِ مَعيبُ
وَآلامِ مَصْحُوبٍ قَذَفْتُ إخاءَهُ ،　　كمَا قَذَفَ المَاءَ المَرِيضَ شَرُوبُ
وَمَنْ كَانَ مَا فَوْقَ النّجومِ طِلابُه　　أمَلّ عَنَاءٌ قَلْبَهُ وَدُؤوبُ
نَظَرْتُ إلى الدّنْيَا بِعَينٍ مَرِيضَةٍ ،　　وَمَا ليَ مِنْ داءِ الرّجَاءِ طَبيبُ
وَمَنْ كانَ في شُغلِ المُنَى فَفراغُهُ　　مَنَالُ الأمَاني ، أوْ رَدًى وَشَعُوبُ
فَما ليَ طُولَ الدّهرِ أمشِي كَأنّني　　لفَضْليَ في هَذا الزّمَانِ غَرِيبُ
إذا قُلتُ قَدْ علّقتُ كَفّي بصَاحبٍ　　تَعُودُ عَوَادٍ بَينَنَا وَخُطُوبُ
وَمَا فيهِ شَيْءٌ خَالِدٌ لمُكَادِحٍ ،　　وَكُلٌّ لِغَايَاتِ الأمُورِ طَلُوبُ

١ الفرغ : مخرج الماء من الدلو . الذنوب : الدلو .

تحكم الظلم والشنب

يا سَعْدَ كُلُّ فُؤادٍ في بُيُوتِكُمُ ... مِثْلي تَحَكّمَ فيهِ الظَّلْمُ وَالشَّنَبُ[1]

إنّي لأُكْرِمُ نَفْسِي أنْ يُقَالَ جَنَى ... عَلى الفَتَى العَرَبيِّ الخُرّدُ العُرُبُ

إنّي عَلى شَغَفي بالحُبّ مُعتَذِرٌ ... مِنْ أنْ يُقَالَ شُجَاعٌ فَلّهُ الوَصَبُ

إنّا مَعَاشِرُ لا تَبْلى مَطارِفُنَا ، ... إلاّ وَهُنّ لطُلاّبِ النّدَى سَلَبُ

مُوَقَّرُونَ وَأيْدِي الحِلْمِ طائِشَةٌ ، ... وَالجِدُّ يُنقِصُ مِنْ أطرَافِهِ اللّعِبُ

فالآنَ تَغْصِبُنَا الدّنْيَا غَضَارَتَهَا ، ... ظُلْماً ، وَتَأخُذُ مِنْ أيّامِنا النُّوَبُ

حذارك أن تغالبني

إلى كَمْ لا تَلِينُ عَلى العِتَابِ ، ... وَأنْتَ أصَمُّ عَنْ رَدّ الجَوَابِ

حِذارَكَ أنْ تُغالِبَني غِلاباً ، ... فَإنّي لا أدُرّ عَلى الغِضَابِ[2]

وَإنّكَ إنْ أقَمْتَ عَلى أذاتي ، ... فَتَحْتَ إلى انْتِصَارِي كلَّ بَابِ

وَأحْلُمُ ثُمّ يُدْرِكُني إبَائي ، ... وكَمْ يَبقَى القَرِينُ عَلى الجِذابِ

١ الظلم : بريق الأسنان . الشنب : بياض الأسنان وحسنها .

٢ لا أدر على الغضاب : أي لا تكثر خيراتي على من يغاضبني .

إذا وَلّيْتَني ظِفْراً وَنَاباً ، فَدُونَكَ فاخشَ من ظِفرِي وَنابي

فَإنّ حَمِيّةَ القُرَنَاءِ تَطْغَى ، فتَثْلِمُ جانِبَ النّسَبِ القُرَابِ

نَفِرُّ إلى الشّرَابِ ، إذا غَصَصْنا ، فكَيْفَ إذا غَصَصْنا بالشّرَابِ

فَلا تَنْظُرْ إليّ بِعَيْنِ عَجزٍ ، فَرُبّ مُهَنّدٍ لَكَ في ثِيَابي

وَمَن لكَ بي يَرُدّ عَلَيكَ شَخصِي إذا أثبَتُّ رِجْلي في الرّكَابِ

وَما صَبرِي، وَقد جاشَتْ هُمومي إلى أمْرٍ وَعَبّ لَهُ عُبَابي

سَيَرْمي عَنْكَ بي مَرْمًى بَعيدٌ، وَتَغْدُو غَيْرَ مُنْتَظِرٍ إيَابي

إذا الإشْفَاقُ هَزّكَ عُدْتَ مِنهُ بِعَضّ أنَامِلٍ أوْ قَرْعِ نَابِ

وَتَسمَعُ بي وَقَدْ أعلَنتُ أمْري ، فتَعلَمُ أنّ دأبَكَ غَيرُ دابي

وَرُبّ رَكائِبٍ مِنْ نَحوِ أرْضِي ، تَخُبّ إلَيكَ بالعَجَبِ العُجَابِ

وَتُظْهِرُ أُسرَةً مِنْ سِرّ قَوْمي ، تَمُدّ إلى انتِظَارِي بالرّقَابِ[1]

وَتُصْبِحُ لا تَني عَجَباً وَقَوْلاً: أهَذا الحَدّ أطْلَقَ مِنْ ذُبَابي

فكَيْفَ إذا رَأيْتَ الخَيْلَ شُعْثاً طَلَعْنَ مِنَ المَخارِمِ وَالعِقَابِ

تُعَاظِلُ كَالجَرَادِ زَفَتْهُ رِيحٌ فَمَرّ يُطِيعُهَا يَوْمَ الضَّبَابِ

أمَضّتْهَا الشّكائِمُ فَهيَ خُرْسٌ تَسِيلُ لهَا دَماً بَدَلَ اللُّعَابِ

تُذَكّرُكُمْ بِذي قَارٍ طِعَاناً ، وَمَا جَرّ القَنَا يَوْمَ الكُلابِ

عَلَيْها كُلُّ أبْلَجَ مِنْ قُرَيْشٍ ، لَبِيقٍ بِالطّعَانِ وَبِالضّرَابِ

---

[1] سر قومي : محض نسبهم .

يَسيرُ ، وَأَرْضُهُ جُرْدُ المَذاكي ، وَجَوٌّ سَمَائِهِ ظِلٌّ العُقَابِ
وَعِنْدِي للعِدَى ، لا بُدَّ ، يَوْمٌ يُذِيقُهُمُ المُسَمَّمَ مِنْ عِقابي
فَأَنْصُبُ فَوْقَ هامِهِم قُدُورِي ، وَأَمْزُجُ مِنْ دِمَائِهِمُ شَرَابي
وَأَرْكِزُ في قُلُوبِهِمُ رِمَاحي ، وَأَضْرِبُ في دِيارِهِمُ قِبَابي
فَإِنْ أَهْلِكْ فَعَنْ قَدَرٍ جَرِيٍّ ، وَإِنْ أَمْلِكْ فَقَدْ أَغنَى طِلابي

وا لهف أمي عليكم وأبي

لمْ يَبْقَ عِنْدِي مِنَ الإِباءِ سِوَى الـ نّظْرَةِ مُحَمَّرَةٍ مِنَ الغَضَبِ
وَعَضٌّ كَفِّي عَلَى الزّمَانِ مِنَ الغَيْـ ظِ ، وَشَكْوَى وَقَائِعِ النُّوَبِ
أَوْ زَفْرَةٍ ، تَحْسَبُ الضّلُوعُ لهَا أُطْرَ قِسِيٍّ يَرْمِينَ بِاللّهَبِ[1]
مَضَى الرِّجَالُ الأُولى مُذِ افتَرَقُوا عَنّيَ صَارَ الزّمَانُ يَلْعَبُ بي
أَقُولُ لَمّا عَدِمْتُ نَصْرَهُمُ : وَا لهْفَ أُمّي عَلَيْكُمُ وَأَبي

1 الأطر : منحنى القوس .

ألحاظ القلوب

كتب إلى أبي الحسن البتي :

أبَا حَسَنٍ ! أتَحسَبُ أنّ شَوْقي ... يَقِلّ علَى مُعارَضَةِ الخُطُوبِ
وَأنّكَ في اللّقَاءِ تَهيجُ وَجْدي، ... وَأمْنَحُكَ السُّلُوّ علَى المَغيبِ
وَكَيْفَ،وَأنْتَ مُجتَمَعُ الأماني، ... وَمَجنى العَيشِ ذي الوَرَقِ الرّطيبِ
يَهشّ لَكُمْ علَى العِرْفَانِ قلبي ... هَشَاشَتَهُ إلى الزّوْرِ الغَريبِ
وَألفُظُ غَيرَكُمْ، وَيَسوغُ عندي ... وَدادُكُمُ مَعَ المَاءِ الشَّرُوبِ
وَيُسْلِسُ في أكُفّكُمُ زِمَامي ، ... وَيَعْسُو عِندَ غَيرِكُمُ قَضيبي
وَبي شَوْقٌ إلَيْكَ أعَلّ قَلْبي ، ... وَمَا لي غَيرَ قُرْبِكَ مِنْ طَبيبِ
أغَارُ علَيكَ من خلَوَاتِ غَيرِي، ... كمَا غَارَ المُحِبُّ على الحَبيبِ
وَما أحظَى،إذا مَا غِبتَ عَنّي ، ... بِحُسْنٍ للزّمَانِ ، وَلا بِطيبِ
أُشَاقُ،إذا ذَكَرْتُكَ من بَعيدٍ، ... وَأطْرَبُ،إنْ رَأيتُكَ مِنْ قَريبِ
كَأنّكَ قُدْمَةُ الأمَلِ المُرَجّى ... علَيّ ، وَطَلْعَةُ الفَرَجِ القَرِيبِ[1]
إذا بُشّرْتُ عَنْكَ بِقُرْبِ دارٍ ، ... نَزَا قَلْبي إلَيْكَ مِنَ الوَجيبِ
مَرَاحُ الرّكْبِ بَشّرَ بَعدَ خِمسٍ ... بِبَارِقَةٍ تَصُوبُ عَلى قَليبِ
أُسَالِمُ حِينَ أُبْصِرُكَ اللّيَالي ، ... وَأصْفَحُ للزّمَانِ عَنِ الذّنُوبِ

١ القدمة : السابقة في الأمر .

وَأنسَى كُلَّ مَا جَنَتِ الرَّزَايَا عَلَيَّ مِنَ الفَوَادِحِ وَالنُّدُوبِ
تَميلُ بِي الشُّكُوكُ إليكَ حَتّى أميلَ إلى المُقَارِبِ وَالنّسيبِ
وَتَقْرَبُ في قَبيلِ الفَضْلِ مِنّي عَلى بُعْدِ القَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ
أكَادُ أرِيبُ فيكَ، إذا التَقَيْنَا، مِنَ الأنفَاسِ وَالنّظَرِ المُرِيبِ
وَأينَ وَجَدْتَ مِنْ قَبْلي شَبَاباً يَحِنّ مِنَ الغَرَامِ عَلى مَشيبِ
إذا قَرُبَ المَزَارُ، فَأنْتَ مِنّي مكانَ الرّوحِ من عُقَدِ الكُرُوبِ
وَإنْ بَعُدَ اللّقَاءُ عَلى اشتِيَاقي، تَرَامَقْنَا بِألحَاظِ القُلُوبِ

لا يشتم إلا كذبا

جَاءَتْ بِهِ مِنْ مُضَرٍ مُهَذَّبَا مِثْلَ السِّنَانِ ذَلِقاً مُذَرَّبَا
يَضُمّ بُرْدَاهُ الجِرَازَ المِقْضَبَا، تَخَيّرَ الأحْسَابَ أُمّاً وَأبَا
أبْلَجَ لا يَشْتِمُ إلاّ كَذِبَا

حسن الصبر

لا تُنْكِرِي حُسْنَ صَبرِي، إنْ أوْجَعَ الدّهْرُ ضَرْبَا
فَالعَبْدُ أصْبَرُ جِسْماً، وَالحُرُّ أصْبَرُ قَلْبَا

فتيان الغارات

نَزَوْتُ نِزَاءَ الجُنْدُبِ الجَوْنِ ضِلّةً   إلى بَاسِلٍ عَبْلِ الذِّرَاعَيْنِ أغْلَبِ

وَمَا كُنتُ في الأحياءِ إلاّ ضَميمَةً   تُنَاطُ بِهِمْ نَوْطَ الإبَاءِ المُذَبْذَبِ

تُجَاوِرُ زَلاً ، أوْ تُعاقِدُ قِلّةً   مِنَ الهُونِ لا تُدْلي بِأُمٍّ ولا أبِ

فَحَوْلَ مَعَدٍّ مُنْجِبُونَ ، وَأنْتُمُ   نِزَالَةُ فَحْلٍ مِنهُمُ غَيرِ مُنجِبِ

تَقَنّصَهُ صَرْفُ المَقادِيرِ غِرّةً ،   وكَم فاتَ مِن نابٍ عَلوقٍ وَمِخلَبِ

وَلَوْ هِيجَ للهَيْجَاءِ طَارَ بِسَرْجِهِ   جَوَادٌ كَذِئْبِ الرّدهَةِ المُتَأوِّبِ[1]

وَكُلُّ سِنَانٍ طالِعٍ فَوْقَ ضَامِرٍ ،   كَمَا حامَ زُنْبُورٌ على ظَهرِ عَقرَبِ

وَفِتْيَانِ غَارَاتٍ كَأنّ رِمَاحَهُمْ   بجَانِبِ ذي القُلاّمِ عِيدانُ أثْأبِ[2]

بِأيْمانِهِمْ بِيضٌ يُضِيءُ وُجوهَهُم   قَوَاضِبُ قَدْ جُرِّبْنَ كلَّ مُجَرَّبِ

غَرَانِقُ أزْوَالٌ رَعَوْا عازِبَ الحِمَى   بِصُمِّ العَوَالي ، وَالصّفيحِ المُقَلَّبِ[3]

فَلا تَحْسَبُوهَا قَطْرَةً مِنْ دِمَائِنا   تَضِيعُ وَلَوْ في طافحِ النّجمِ مُطلِبِ[4]

١ الردهة : الحفرة في الجبل .

٢ القلام : القاقلى . وذو القلام : موضع . الأثأب : شجر .

٣ الغرانق : الشباب البيض . الأزوال ، الواحد زول : الظريف الشجاع . عازب الحمى : أي الحمى الذي لم يرع قط . الصفيح ، الواحدة صفيحة : السيف .

٤ المطلب : البعيد .

إذا أعشَبَ الشّقُّ اليَمانيُّ فَابْشِرُوا   بِيَوْمٍ عُقَامٍ يَنضَحُ الشرَّ أجرَبِ[1]
فإنْ تَرْحَموننا اليوْمَ نَرْحَمْكُمُ غداً   بِعَوْدٍ مِنَ الجُزْمِ النّزَارِيّ مُصْعَبِ[2]

لكم لقحة الأرض

لَكُمْ لِقْحَةُ الأرْضِ تَحمونَها،   وَفِي يَدِكُمْ صَرُّهَا وَالحَلَبْ[3]
فَمِنْ أيْنَ نَبْلُغُ مَا نَشتَهي ؛   وَمِنْ أيْنَ نَطْمَعُ فيمَا نُحِبّ
إذا المَالُ أصْبَحَ في البَاخِلِينَ ،   فَإنّ مُرَجّي الغِنى في تَعَبْ

لي اللآلي وله الثقوب

قال في سرقة شعره

انْظُرْ أبَا قِرّانَ مَا تَعِيبُ ،   مُلْسَ الذُّرَى قَوّمَهَا لَبِيبُ
تُصْغي لهَا الأسمَاعُ وَالقُلُوبُ،   مِثْلَ السّهَامِ كُلُّهَا مُصِيبُ

١ الشق : الناحية ، الجانب . يوم عقام : يوم شديد .
٢ العود : المسن من الإبل . الجزم ، الواحد جازم ، والبعير الجازم : الريان . المصعب : الفحل
٣ المراد باللقحة هنا : الفيء والخراج .

لَطِيمَةٌ نَمَّ عَلَيْها الطِّيبُ ، تُودِعُهَا الأرْدَانُ وَالجُيُوبُ
وَيَغْنَمُ الهِلْبَاجَةُ المَعِيبُ ، يَتْعَبُ ذُو البَرَاعَةِ الأدِيبُ[1]
يَخْرُجُ عَنّي العَاسِلُ المَذرُوبُ ، قَدْ قُوِّمَ الأُنْبُوبُ وَالأُنْبُوبُ[2]
فَلا يَزَالُ العَضُّ وَالتّنْيِيبُ ، حتّى يَعُودَ الذّابِلُ الصّلِيبُ
وَهْوَ بِأيْدِي مَعْشَرٍ كُعُوبُ ، إنّ رَزَايَاتِ الفَتَى ضُرُوبُ
في كُلّ يَوْمٍ هَجْمَةٌ تَلُوبُ ، هَاجَ عَلَيْهَا الكَلأُ الرّطِيبُ
يَطْلُبْنَ أرْضِي ، وَالهَوَى طَلوبُ ، لا أمَمٌ مِنّي ، وَلا قَرِيبُ
عِنْدَ الأعَادِي وَسْمُهَا غَرِيبُ ، يَرْصُدُهنّ الحَارِبُ المُرِيبُ
لَهُ عَلى مَطْلَعِهَا رَقِيبُ ، إذا طَلَعْنَ اعْتَرَضَ القَلِيبُ
تَهْوِي بِهِ الأظْفَارُ وَالنُّيُوبُ ، كمَا هَوَتْ خَائِبَةٌ طَلُوبُ
يَألَمُ قَلْبِي ، وَبِهَا النُّدُوبُ يَشكُو المَطَى ما ألِمَ العُرْقُوبُ[3]
أطْبَعُهَا ، وَهْوَ بِهَا الكَسُوبُ ، لِيَ اللآلِي ، وَلَهُ الثّقُوبُ
دَاءٌ عَلى إعْضَالِهِ عَجِيبُ ، يَضْحَكُ مِنْ أوْصَافِهِ الطّبِيبُ
هَلْ تَأمَنُ اليَوْمَ ،وَأنتَ ذِيبُ ، بِهِمْ بِأكْنَافِ الحِمَى غَرِيبُ
إنْ لَمْ يَدُمَّ اللهُ وَالخُطُوبُ[4]

١ الهلباجة : الأحمق الفدم الجامع لكل شر .
٢ العاسل : الرمح . المذروب : المحدد .
٣ المطى : الظهر .
٤ يدم : يهلك .

بنت كرم ظئرها الشمس

قال وقد حدث أن بعض العرب روّي
وقد أخذ منه السكر كل مأخذ شديد :

كَيْفَ صَبَّحْتَ أبَا الغَمْرِ بِهَا صَعْبَةً تَنْزُو نِزَاءَ الجُنْدُبِ
مَرَحَ الشَّقْرَاءِ في مِضْمَارِها ، تَتَّقي الصَّوْتَ بِمَرٍّ عَجَبِ
يَرْكَبُ الرَّاكِبُ إنْ جَشَّمَهَا دَلَجَ اللَّيْلِ ، وَتُسْبي المُسْتَبي
بِنتُ كَرْمٍ ظِئرُها الشَّمسُ، وَمَا دَرَجَتْ في حِجْرِ أُمٍّ وَأبِ
غُصِبَتْ مَا أثَّرَتْ في جِسْمِهَا قَدَمُ العِلْجِ بِرَأسِ العَرَبي

يعاقبني وهو المذنب

يُعَاقِبُنِي ، وَهُوَ المُذْنِبُ ، لَقَدْ ذَلَّ جَارُكَ يا جُنْدُبُ
وَيَعجَبُ مِنْ غَضَبي جَهلَةً ؛ وَمَنْ ذا يُضَامُ فَلا يَغضَبُ
نُزَادُ مِنَ اللَّوْمِ عَنْ وِرْدِكُمْ ، فَعَمَّ نُزَادُ وَلا مَشْرَبُ
نَعَمْ أعْوَزَ الطَّوْلُ رَاجِيكُمُ ، فَلِمْ أعْوَزَ الأهْلُ وَالمَرْحَبُ
إذا إبِلي مُطِلَتْ رَعْيَهَا ، فَهَلْ يَنْفَعُ البَلَدُ المُعْشِبُ

وَهَلْ نَافِعِي ظَاهِرٌ بَاسِمٌ ، وَمِنْ خَلْفِهِ بَاطِنٌ يَقْطِبُ
لَقَدْ وَقَفَ الرَّكْبُ مِنْ بابِكُمْ عَلى مَطْلَبٍ مَاؤهُ مُطْلِبُ
وَمَا كُنْتُ في النَّفَرِ الشَّائِمِينَ ، بِأوّلِ مَنْ غَرّهُ الخُلَّبُ
ذُنَابَى مَصَعْنَ بِأبْعَارِهِنّ ، وَقَدْ يُمصَعُ الذّنَبُ الأهْلَبُ[1]
لَقَدْ سَاءَنِي أنْ يَمُوتَ السّمَاحُ بِمَوْتِ الكِرَامِ ، وَلا يُعْقِبُ
ألاَ تَعْجَبُونَ لِذِي سَوْءَةٍ تَحَكّكَ في عِرْضِهِ الأجْرَبُ
وَجَعجَعَ لي ظَهْرُ عَارِي الصِّفَاحِ عَقِيرٍ ، وَقَال: ألا تَرْكَبُ[2]
وَسَوْفَ أُغَنّي بِأعْرَاضِكُمْ غِنَاءً مِنَ الشّرّ لا يُطْرِبُ
قَوَافٍ مُطِلْنَ لِحَزّ الجُنُوبِ مَطْلَ المَدَى جَرْعُهَا مُوعِبُ[3]
وَحَسْبُكَ مِنْ سَفَهٍ أنّنِي أجُدّ ، وَتَحْسَبُنِي ألْعَبُ
وَقالُوا : احتَلِبْ دَرّهمْ بالسؤالِ ، إنّ الغَوَارِزَ لا تُحْلَبُ[4]
وَكَيْفَ ، وَلَمْ يَرْغَبُوا في الثّنَاءِ إلى المَادِحِينَ وَلَمْ يُرْغَبُوا
لَقَدْ وَسّعَ اللهُ مَا ضَيّقُوا ، وَقَدْ عَوّضَ اللهُ مَا خَيّبُوا

١ مصعت الدابة ذنبها : حركته . الأهلب : الكثير الشعر .
٢ جعجع : صوت . عاري الصفاح : عاري الجوانب .
٣ مطلن : صنعن .
٤ الغوارز : النياق التي قل لبنها ، الواحدة غارز .

تنحَّ عن طريق العا

نزلَ المَسيلَ، وباتَ يشكو سَيلَهُ، ألا علَوْتَ فبِتَّ غيرَ مُراقَبِ
جَمَعَ المَثالبَ ، ثمَّ جاءَ تَعَرُّضاً بالمُخزياتِ يَدُقُّ بابَ الثّالِبِ
وَإذا اجتَمَعتَ على مَعايبَ جَمّةٍ فتَنَحَّ جهدك عَن طَريقِ العَايِبِ

ركب ينتهب الترب

ورَكْبٍ تَفَرّى بينهم قِطَعُ الدّجَى، يَسيرُ على البَيداءِ يَنْتَهِبُ التُّرْبَا
يَصُدّونَ عَنْ وِرْدِ الكَرَى وَعيونُهم خَوامسُ حتّى تَشرَبُ المَنظرَ العذبَا
إذا ذَعَرَتْهُمْ نَبْأةٌ غَادَرَتْهُمُ وَقد أيقَظوا مِنْ بَيَنِ أجفانها القُضْبَا
سَرَوْا وَخيُولُ اللّيلِ دُهمٌ وَعرّسوا وَقد غادَرُوها في طِرَادِ الضّحى شُهبَا
يَضُوعُ هَجيرُ السّيرِ بَينَ رِحالِهِمْ، إذا مَا نَسيمُ اللّيلِ في ثَوْبِهِ هَبّا

ثناء لا أريد به الغنى

أسِنّةُ هذا المَجْدِ آلُ المُهَلَّبِ ، وَفُرّاطُهُ في كُلّ شَرْقٍ
سَلُونيَ عَنْ مَجْدِ المُفَعَّلِ ،وَاسألوا أبي عَن أبيهِ ذي الجَلالِ المُهَذَّبِ
يَقُلْ : إنّ ذاكَ اللّيثَ في كل مَعرَكٍ ، وَهذا الحُسامُ العضْبُ في كل مَضربِ
وَهذا الرّبيعُ الطّلْقُ رَقّتْ فُرُوعُهُ ، نَتيجَةَ ذاكَ العَارِضِ المُتَصَبِّبِ
أخِلاّيَ مِنْ بَيْنِ المُلُوكِ وَإخْوَتي ، وَأحلى بقَلبي مِنْ بَعيدي وَأقرَبي
همُ قَوْميَ الأدْنَوْنَ مِنْ بينِ أُسرَتي ، وَإن كانَ شعبُ القوْمِ من غيرِ مَشعبي
فَهَذا ثَنَائي لا أُرِيدُ بِهِ الغِنَى ، أبَى المَجدُ لي أن أجعل المدحَ مكسبي
وَلَكِنْ رَجاءً أنْ تَكُونَ لِهِمّتي طَرِيقاً تُؤدّيني إلى كُلّ مَطْلَبي
فَأزْحَمُ مِنْكَ الحادِثاتِ بمَنكبٍ، وَأقطَعُ مِنْكَ النّائِبَاتِ بِمِقْضَبِ
وَأرْمي إلى أمْرٍ أظُنّكَ بَابَهُ ، ألا إنّ بَعْضَ الظّنّ غَيرُ مُكَذَّبِ

١ الفراط : السابقون ، المتقدمون .

باب دار المعالي

قال رحمه الله وكتب إلى أبي الخطاب المنجم :

قلْ للخطوبِ: ضَعي سلاحكِ قد حمى سِرْبي وَآمَنَني أبُو الخَطّابِ
وَلقَد حَطَطتُ بكَ الرّجاءَ، ولم يكنْ إلاّ إلَيْكَ تَسَبّبي وَطِلابي
يَا مُلْبِسِي النّعَمَ القَديمَ لِبَاسُها، جَدّدْ عَليّ نَضَارَةَ الأثْوَابِ
دارُ المَعَالي أنْتَ بابُ دُخُولِهَا ، فَأْذَنْ ، فَإنّي وَاقِفٌ بِالبَابِ

نوابض القلب

قال رحمه الله في الغزل

دَعَوْا لي أطِبّاءَ العِرَاقِ لِيَنْظُرُوا سَقامي وَما يُغني الأطِبّاءُ في الحُبّ
أشارُوا بريحِ المَندَلِ اللّدنِ وَالشّذا، وَرَدُّ ذَماءِ النّفسِ بالبارِدِ العَذْبِ[1]
يُطيلُونَ جَسّ النّابِضَينِ ضَلالَةً ، وَلوْ عَلموا جَسّوا النوابضَ من قلبي

[1] المندل : عود طيب . الذماء : البقية .

صاحب كالغِرّ

صَاحِبٌ كالغِرّ لَيْسَ أرَى   جِدَّهُ مِنّي ، وَلا لَعِبَهْ[1]
يَتّقِيني بِالخِلابِ ، وَإنْ   جَدَحُوا عِرْضِي لَهُ شَرِبَهْ[2]
داعِياً لي بِالخُلُودِ ، وَلَوْ   طَلَبُوا مِنْهُ دَمي وَهَبَهْ
قَسَماً بِالبَيْتِ طُفْتُ بِهِ ،   وَبِرَمْيِ جَمْرَةِ العَقَبَهْ

هان المأمول والمطلوب

بَيْنَ عَزْمي وَبَيْنَهُنّ حُرُوبُ ،   إنّ أقْوَاهُمَا هُوَ المَغْلُوبُ
عَرَضَتْ رِحْلَةٌ فَعَرّضَ بِالدّمْـ   ـعِ ، فَهانَ المَأمولُ وَالمَطْلُوبُ

١ الغر : الشاب لا خبرة له .
٢ الخلاب : الخداع بالكلام . جدحوا : أخذوا دمي في إناء .

شرّ إلى شرّ

إساءَتُهُ شَهْوَةٌ ثَرّةٌ ، وَإحْسَانُهُ دَرّةُ الأرْنَبِ[1]
فَقَدْ زِيدَ شَرّاً إلى شَرّهِ ، كمَا استُنفِرَ الضّبُّ بالعقرَبِ

الخوف محبة

أخَافُكَ : إنّ الخَوْفَ مِنْكَ مَحبّةٌ ، وَمَا كُلُّ مَخشِيّ العِقابِ مُحَبَّبَا
لَئِن كانَ خَوْفي من سَطاكَ مُبَعِّداً ، فَيَا رُبّمَا كانَ الرّجَاءُ مُقَرِّبَا

مضى حامي السروح

ضَمّوا قَوَاصِيَ كُلّ سَرْحٍ سَارِبٍ ، وَقَفُوا السّوَائِمَ بِالنّدَى المُتَقَارِبِ
فلَقَدْ مضَى حامي السُّرُوحِ من العِدى وَمُبيحُ أسْوُقِهَا غِرَارَ القَاضِبِ[2]

[1] درة الأرنب : أي حليب الأرنب كناية عن القلة . وهي ضد الثرة ، أي الغزارة .
[2] الغرار : حد السيف . القاضب : القاطع .

آه من دائين

آهِ مِنْ دائَينِ عُدْمٍ وَمَشيبْ رُبَّ سُقْمٍ لا يُداوَى بِطَبيبْ

كأن نزاراً

كَأنَّ نِزَاراً وَالحُمُولُ رِداؤهُ ، غَداةَ بَغَى جَهْلاً عليَّ وَأجْلَبَا

مُشَبَّجَةٌ مِنْ خُذَّلِ العِينِ وَاقَعَتْ على المَاءِ مَفْتُولَ الذّرَاعَينِ أغْلَبَا[1]

ترفق أيها الرامي

تَرَفّقْ أيّهَا الرّامي المُصِيبُ ، فمِن أغرَاضِ أسهُمِكَ القُلوبُ

تَسُوءُ قَطِيعَةً وَتَشُوقُ حُبّاً ، فَمَا أدْرِي عَدُوٌّ أمْ حَبِيبُ

١ المشبجة : المردودة . الخذل ، الواحدة خاذل : المتخلفة عن صواحبها ، المنفردة عن القطيع العين ، الواحدة عيناء : البقرة الوحشية . الأغلب : الأسد .

حرف التاء

لا تشمتوا

ليس له في المديح على هذه القافية
شيء . قال بالافتخار وشكوى الزمان :

عَذيريَ من العشرينَ يَغمِزْنَ صَعدتي ، وَمِنْ نُوَبِ الأيّامِ يقرَعنَ مَرْوَتي[1]
وَمِنْ هِمَمٍ أوْجَدْنَني في عَشيرَتي ، وأكْثَرْنَ مَا بَينَ الأقارِبِ غُرْبَتي
وَمِنْ عَزَماتٍ كلَّ يَوْمٍ يَقِفنَ بي على كُلّ بَابٍ للمَقَادِيرِ مُصْمَتِ
وَمِنْ مُهْجَةٍ لا تَرْأمُ الضّيمَ مَرّةً يُعَجِّلُ عَنْ دارِ المَذَلّةِ نَهْضَتي[2]
وَمِنْ لَوْعَةٍ للحُبّ مَشحوذَةِ الظُّبَى ، إذا ضَرَبَتْ في جانِبِ القَوْمِ ثَنّتِ
وَمِنْ زَفْرَةٍ تحتَ الشّغافِ مُقيمَةٍ ، إذا قُلْتُ قدْ وَلّى بِهَا الدّهرُ كَرّتِ
تُذكّرُ أيّاماً مَضَيْنَ ، وَلَوْ فَدَتْ بنَانُ يَدي تِلْكَ اللّيَالي لَفُلّتِ[3]
يُخَالِسُنَا الأحبابُ حتّى تَقَطّعَتْ قَرائِينُنَا ، رَيْبَ الزّمانِ المُشَتِّتِ[4]

١ الصعدة : القناة . المروة : الصفاة .
٢ ترأم : تألف .
٣ فلت : ثلمت .
٤ قوله قرائيننا لعله جمع قرآن من قرأ الشيء : ضمه وجمعه .

وَلَمْ يَبْقَ لي إلاّ عُلَيْقُ مَضَنّةٍ أُداري اللّيَالي عَنْهُ إمّا ألَمّتِ[1]

فَيَا لَيتَها قَدْ أنسَأتْهُ ، ولَيتَها عليْهِ ، وَإنْ لمْ يَنجُ يَوْماً ، أذمّتِ[2]

سقى اللهُ مَن أمسَى على النأيِ عِلّتي ، وَقد كانَ مع قُرْبِ المَزَارِ تَعِلّتي

أقِلْني ،أقِلْني نَظرَةً ما احتَسَبتُها، فَقَدْ أنهَلَتْ قَلْبي غَليلاً وَعَلّتِ

فَشَوْقاً إلى وَجْهِ الحَبيبِ تَلَهّفي ، وَمَيْلاً إلى دارِ الحَبيبِ تَلَفّتي

جرَتْ خَطْرَةٌ منهُ على القَلبِ كُلّما زَجَرْتُ لهَا العَينَ الدّمُوعَ أرَشّتِ

وَمَرّتْ عَلى لُبّي ، فَقُلْتُ لَعَلّهَا تُجاوِزُني مَكْظُومَةً ، فاستَمَرّتِ

أداري شَجاها كَيْ يُخَلّى مَكانُهُ ، وَهَيهاتَ، ألقَتْ رَحلَها واطمَأنّتِ

وَأعْلَمُ ما خاضَتْ يَدُ الدّهرِ للفتَى أمَرَّ مَذاقاً مِنْ فِرَاقِ الأحِبّةِ[3]

فكَمْ زَعزَعَتْني النّائِبَاتُ فلم أزِلْ لهَا قَدَمي عَنْ وَطْأةِ المُتَثَبِّتِ

وكَمْ صَاحَتِ الأيّامُ خلفي برَوْعَةٍ فَصِرْتُ بِعَيْنِ الجازِعِ المُتَلَفّتِ

تَسُلّ عَليّ الحادِثَاتُ سُيُوفَهَا ، فمِنْ مُغمَدٍ قدْ نالَ منّي وَمُصْلَتِ

زِمَامي بِكَفّ الدّهْرِ أتبَعُ خَطْوَهُ ، وَمَا الدّهْرُ إلاّ مَالِكٌ لِلأزِمّةِ

وَقَدْ كُنْتُ آبَى أنْ أُقَادَ ، وَإنّمَا ألانَ قِيَادي مَنْ ألانَ عَرِيكَتي

فَلا تَشمَتوا إنْ يَثلمِ الدّهرُ جانبي ، فَأكْثَرُ مِمّا مَرّ مِنّي بَقيّتي

تحَيّفَ شُوساً من عُيونٍ فأغمَضَتْ ، وَذَلّلَ غُلْباً مِنْ رِقَابٍ فَذَلّتِ

١ العليق ، تصغير علق : الشيء النفيس . المضنة : ما يضن ، يبخل به

٢ أنسأته : أجلته . أذمته : أجارته ، أخذته تحت حمايتها .

٣ خاضت : خلطت .

فَـآهٍ عَلى الدّنْيَا إذِ الجَدُّ صَاعِدٌ ؛ وَآوهِ مِنَ الدّنْيَا إذا النّعلُ زَلّتِ

ألا هَلْ أُخيضُ الطَّرْفَ يوْماً بغَمرَةٍ إذا الخَيْلُ بالغُرّ الوُجُوهِ تَمَطّتِ

وَلَمْ تَلْقَ فيها غَيرَ طَعْنٍ مُضَجَّجٍ ، وَضَرْبٍ سَرِيعٍ بالمَنَايَا مُسَكَّتِ

تَرِنَ لَهُ هامُ الرّجالِ ، وَإنْ رَمَتْ بِأعْيُنِهَا فِيـهِ النّسَاءُ أرَنّتِ

فَسَوْفَ تَرَاني طَائِراً في غُبَارِهَا عَلى سَابِـحٍ تَهْفُو غَدائِرُ لِمّتي

بِيَوْمٍ كَثِيرٍ بِالغُبَارِ عُطَاسُهُ ، إذا ثَوّبَ الدّاعي قَليلُ المُشَمِّتِ[1]

مَعارِكُ يُخدِجنَ المِهارَ ، وَبعدَها مَنَاعي رِجالٍ مُلقِيَاتُ الأجنّةِ[2]

وَرُمحي إلى الأعداءِ كَيدي ، وَصَارِمي جَنَاني يَوْمَ الرّوْعِ ، وَالصّبرُ جُنّتي

وَكلُّ غُلامٍ ذي جِلادٍ وَنَجدَةٍ ؛ وَكُلُّ جَوَادٍ ذي هِبَاتٍ وَمَيعَةِ[3]

إذا مَا الجِيَادُ الجُرْدُ أجرَى لَبَانَها ، وَشَمّصَهَا وَقْعُ الظُّبَى وَالأسِنّةِ[4]

فَإنّ عِنَـاني في يَمِينِ مُعَوَّدٍ عَلى عُقَبِ الأيّامِ قَوْدَ الأعِنّةِ[5]

إذا اعتَرَضَ المأمولُ من دونِهِ الرّدى شَقَقْتُ إلَيْهِ الدّارِعِينَ بِمُهجَتي

وَغَامَسْتُ فيهِ لا أُبَالي لَوَ انّني تَلَقّيتُ مِنهُ مُنيَتي ، أوْ مَنِيّتي

إذا سَمَحَتْ بِالمَوْتِ نَفْسِي ، فإنّهُ يَقِلّ احْتِفالي بالّذي جَرّ مِيتَتي

وَمَا إنْ أُبَالي مَا جَنَى الدّهْرُ بعدَمَا يَبُلّ يَمِيني قَائِمٌ مِنْ صَفيحَتي

١ المشمت ، من شمت العاطس : دعا بقوله مثلا يرحمك الله .

٢ الخداج : القاء الدابة ولدها قبل تمامه .

٣ الهبات ، من الهبوة : الغبار . الميعة : جري الفرس .

٤ لبانها : نحرها . شمصها : نخسها ، فصارت تفعل فعل الشموص ، أي الشموس .

٥ عقب الأيام : تعاقبها .

فَمَا حَدَّثَانُ الدَّهرِ عندي بفاتِكٍ ، وَلا جِنَّةُ البَقّارِ عِندي بجِنَّةِ[1]
ألا لا أعُدّ العَيْشَ عَيشاً معَ الأذَى ، لأنَّ قَعيدَ الذّلّ حَيٌّ كَمَيّتِ
يُخيفونَني بالمَوتِ ، وَالمَوْتُ رَاحَةٌ لمَنْ بَينَ غَرْبَيْ قَلبِهِ مثلُ هِمّتي
فَلا تَبرُزُوا لي بالأنُوفِ ، فَإنّني مُعَوَّدَةٌ جَدْعَ المَوَارِنِ شَفرَتي
بَنَيْنَا رِوَاقَ المَجْدِ تَعلو سُموكُهُ ، لقَد عَظُمتْ تلكَ المَباني وَجلّتِ
أقِلّوا عَلَيْنَا لا أبَاً لأبيكُمُ ، وَلا تَرْشُقُونَا باللُّتَيّا وَبالّتي
تُرِيدُونَ أنْ نُوطى ، وَأنتُمْ أعِزّةٌ ، بِأيّ كِتَابٍ أمْ بِأيّةِ سُنّةِ
فإنْ كُنتُمُ منّا ، فَقَدْ طالَ مَيلُكم قَديماً عَلى عِيدانِ تِلْكَ الأرُومَةِ
فَلا صُلْحَ حتّى تَسمَعوا مِنْ أزِيزِها صَوَاعِقَ إمّا صَكّتِ الأذْنَ صُكّتِ[2]
وَلا صُلْحَ حتّى يَنظُرُوا مِنْ زُهائِها شَوَاهِقَ لا يَبلُغْنَ صَوْتَ المصَوِّتِ[3]
وَحَتّى تَرَوْهَا كَالسَّعَالَى إليكُمُ تَفَلّتُ مِنْ أرْسَانِهَا وَالأجِلّةِ
فَإنّي زَعِيمٌ للأعَادي بِمِثْلِهَا ، وَذَلِكَ رَهْنٌ في ذِمامي وَذِمّتي
فَيا مُنْبِتِي هلْ أنْتَ بالعِزّ مُورِقي ، حَنَانَيكَ كمْ أبقَى ، وَقد طالَ مَنبِتي
أمَا كَمَلَتْ عندَ الخُطُوبِ تجارِبي ؛ أمَا خلَصَتْ عندَ الأمُورِ رَوِيّتي
أمَا أنَا مَوْزُونٌ بِكُلّ خَلِيفَةٍ أرَى أنَفاً مِنْ أنْ يكونَ خَليفَتي
ألَسْتُ مِنَ القَوْمِ الأولى قَد تَسَلّفوا دِيونَ العُلى قَبلَ الوَرَى في الأظِلّةِ

١ البقار : موضع برمل عالج يزعمون أنه كثير الجن .
٢ الأزيز : الصوت . صكت الأذن : ضربتها ضرباً شديداً . صكت الثانية على المجهول : أغلقت ، ولعلها تحريف صمت أي ذهب سمعها .
٣ الزهاء : المقدار .

وَمَا خُلِقَتْ أقْدامُهُمْ وَأكُفُّهُمْ   لِغَيْرِ العَوَالي وَالظُّبَى وَالأسِرّةِ
ذَوو الجَبَهاتِ البِيضِ تلمَعُ بَينَهَا   وُسُومُ المَعَالي وَالوُجُوهِ المُضِيئَةِ
أبَوْا أنْ يُلِمّ الذّلُّ مِنْهُمْ بجانِبٍ،   وَمَا العِزّ إلاّ للنّفُوسِ الأبِيّةِ
وكَمْ بَيْنَ ذي أنفٍ حَمِيٍّ وَحامِلٍ   مَوَارِنَ قد عُوّدنَ جَذبَ الأخِشّةِ[1]
بَلَى ! إنّني مَنْ تَعْلَمانِ ، وَإنّمَا   أرَى الدّهرَ يَعمَى عن بَيانِ فَضِيلَتي
فَخَرْتُ بنَفْسِي لا بِأهْلي مُوَفَّراً   عَلى ناقِصِي قَوْمي مَنَاقِبَ أُسْرَتي
وَلا بُدّ يَوْماً أنْ يَجيءَ فُجاءَةً ،   فَلا تَنظُرَاني عندَ وَقْتٍ مُوَقَّتِ
وَوَاللهِ لا كَدّيْتُ دُونَ مَنَالِهَا ،   وَظَنّي بِربّي أنْ يُبِرّ ألِيّتي[2]

آفة الأخبار رواتها

وقال أيضاً رحمه الله :

أبُيِّنْتَهَا أمْ نَاكَرَتْكَ شِيَاتُهَا ،   نَزَائِعَ يَنْقُلْنَ الرّدَى صَهَوَاتُهَا[3]
طَلَعْنَ سَوَاءً ، وَالرّمَاحُ عَوَابِسٌ   تُعَاسِلُهَا أعْنَاقُهَا وَطلاتُهَا[4]

١ الأخشة ، الواحد خشاش : عود يدخل في عظم أنف البعير .
٢ يبر ، من أبر اليمين : أمضاها على الصدق . الألية : اليمين .
٣ أبينتها : أي أوضحت لك . شياتها ، الواحدة شية : العلامة . النزائع : النجائب التي تجلب إلى غير بلادها .
٤ تعاسلها ، من عسل الفرس في عدوه إذا اضطرب وهز رأسه . الطلاة : العنق .

رَأوا نَقْعَهَا يَدْنُو فَظَنّوا غَمَامَةً ، فَمَا شَعَرُوا حتّى بَدَتْ جبَهاتُهَا

وَفَوْقَ قَطَاهَا غِلْمَةٌ غالِيَةٌ ، تَمِيسُ عَلَى أكْتَافِهَا وَفَرَاتُهَا[1]

مَغَاوِيرُ لا مِيلٌ تُثَنّي رِقَابَهَا ، وَلا بِكَسَالَى أوْهَنَتْهَا سِنَاتُهَا[2]

تَلَثّمُ فَوْقَ اللّثْمِ بالنّقْعِ وَالدّجى ، فَلَوْلا ظُبَاهَا لَمْ تَبِنْ صَفَحاتُهَا

مَتَى تَرَهَا في حَيّهَا تَرَ فِتْيَةً لِيَوْمِ الوَغَى مَأخُوذَةً أُهبَاتُهَا

مُفَرَّغَةً مِمّا تُنِيلُ عُبَابَهَا مِنَ المَالِ أوْ مَمْلُوءَةً جَفَنَاتُهَا

تَخَطّى بِهَا أعْنَاقَ كُلّ قَبِيلَةٍ صَوَارِمُهَا تَهْتَزّ أوْ قَنَوَاتُهَا

تَرَى عِندَها الشّهرَ الحَرَامَ مُحَلَّلاً إذا خَفَرَتْهَا لِلوَغَى عَزَمَاتُهَا

وَأحْلَمُ خَلْقِ اللهِ ، حتّى إذا دَنَا إلَيْهَا الأذَى طارَتْ بِهَا جَهَلاتُهَا

إذا وُسِمَتْ بالنّارِ خَيْلٌ ، فعِنْدَهَا كَرَائِمُ آثَارُ الطّعَانِ سِمَاتُهَا

مَتى سَمِعتْ صَوْتَ الصّرِيخِ تَنَصّتَتْ قِيَاماً إلى داعي الوَغَى سَمَعَاتُهَا

رَحَلْنَا بِأكْبَادٍ غِلاظٍ عَلى الهَوَى قَلِيلٍ إلى ما خَلْفَهَا لَفَتَاتُهَا

إذا أزْمَعَتْ إزْماعَةَ الجدّ لمْ تُبَلْ : أفِتْيَانُهَا البَاكُونَ أمْ فَتَيَاتُهَا

سَوَابِقُهَا أوْلَى بِهَا لا نِسَاؤهَا ، وَأدْرَاعُهَا وَالبِيضُ لا أُمّهَاتُهَا

وَحَيٍّ مِنَ الأعْداءِ بَاتُوا بِلَيْلَةٍ مُنَعَّمَةٍ لَوْ لَمْ تُذَمّ غَدَاتُهَا

وَخَيْلٍ خَشَشْنَا جَوّهمْ بِرِمَاحِنا ، كَمَا خَشّ آنَافَ القُرُومِ بُرَاتُهَا

فَمَا استَيقَظُوا حتّى تداعَى صَهِيلُهَا وَقَدْ سَبَقَتْ ألحَاظَهُمْ عَبَرَاتُهَا

---

[1] قطاها : ظهرها . وفراتها ، الواحدة وفرة : ما سال من الشعر على الأذنين

[2] السنات ، الواحدة سنة : النعاس .

وَلَمْ يَنْجُ إلاّ مَنْ تَخاطَتْ سُيُوفُنا، وَذاقَ الرّدى مَن عَمّمتْ شَفَرَاتُهَا
قَوَاضِبُ لا يُودى بشَيءٍ قَتيلُهَا ، إذا أمْسَتِ القَتْلَى تُسَاقُ دِيَاتُهَا
أنِسْنَا بِأطْرَافِ الرِّمَاحِ ، وَإنّنَا لَنَحْنُ مُحِلّوهَا وَنَحنُ سُقَاتُهَا
نَبَتْنَ لأيْدِينَا خُصُوصاً ، وَإنّمَا لَنَا يَتَوَاصَى بالطّعَانِ نَبَاتُهَا
بِأبْوَابِنَا مَرْكُوزَةٌ ، وَإلى الوَغَى تَزَعْزَعُ في أيمانِنَا قَصَبَاتُهَا
أبِيتُ ، وكَانَ العِزُّ مِنّي خَليقَةً ، وَهَلْ سُبّةٌ إلاّ وَقَوْمي أُبَاتُهَا
فَلا تُفْزِعُوني بالوَعيدِ سَفَاهَةً ، فَلي هَامَةٌ لا تَقْشَعِرّ شَوَاتُهَا[1]
تَعَاوَتْ عَلى عِرْضِي عَصَائبُ جَمّةٌ ، وَلَوْ شِئْتُ مَا التَفَتْ عَليّ عُوَاتُهَا
أُوَلّيهِمُ صَمّاءَ أُذْنٍ سَمِيعَةٍ ، إذا مَا وَعَتْ ألْوَتْ بِهَا غَفَلاتُهَا
يَطُولُ إذاً هَمّي، إذا كانَ كُلّمَا سَمِعتُ نَبِيحاً من كِلابٍ خَسَاتُهَا[2]
لِذِلّتِهَا هَانَتْ عَليّ ذُنُوبُهَا ، فلَمْ أدرِ مِنْ نَبذي لهَا مَنْ جُنَاتُهَا
قَوَارِصُ لمْ تَعْلَقْ بجِلْدي نِصَالُهَا، وَلَوْ كانَ غَيرِي أنفَدَتهُ شَذَاتُهَا[3]
همُ استَلدَغوا رُقْشَ الأفاعي وَنَبّهوا عَقَارِبَ لَيْلٍ نَائِمَاتٍ حُمَاتُهَا
وَهمْ نَقَلُوا عَنّي الذي لمْ أفُهْ بهِ ، وَمَا آفَةُ الأخْبَارِ إلاّ رُوَاتُهَا
رَمَوْني بِما لَوْ أنّ عَيْني رَمَتْ بِهِ جَنَاني ، عَلى عِزّي لهَا ، لَفَقَاتُهَا
أُرِيدُ لَئِنْ أحنُو عَلى الضّغْنِ بَينَنا، وَتَأبَى قُلُوبٌ أنْغَلَتْهَا هَنَاتُهَا

١ الشواة : قحف الرأس وجلدته .
٢ خساتها ، مسهل خسأتها ، وخسأ الكلب : طرده .
٣ الشذاة : بقية القوة .

دَعَوْهَا نُدُوباً بَيْنَنا باندِمَالِهَا ، وَلا تبْلُغُوا مِنّي ، وَإلاّ نَكاتُهَا
فَإنّي مَطُولٌ للأعَادي مُمَاحِكٌ ، إذا نَصَفُوا أوْسَاقَ ضَغْنٍ مَلاتُهَا
لقَد غَرّبَتْني حُظوَةُ الفَضْلِ عنكُمُ ، وَإنْ جَمَعَتْ أعرَاقَنَا نبَعَاتُهَا
وَمَا النّفسُ في الأهلِينَ إلاّ غَرِيبَةٌ ، إذا فُقِدَتْ أشْكَالُهَا وَلِداتُهَا
بَني مُضَرٍ خلّوا نُفُوساً عَزِيزَةً تنَامُ فَأوْلَى أنْ يَطُولَ سِنَاتُهَا
دَعُوها فَخَيرٌ لِلأعَادي هُجُودُها ، وَشَرٌّ لِمَنْ يَغرَى بِها يَقَظَاتُهَا
ثِقُوا عَنْ قليلٍ أنْ يَهُبّ شَرَارُها ، وَإنْ قُلتُمُ قَدْ أخمِدَتْ جَمَرَاتُهَا
وَلا تَأنَسُوا أنّ الجِيادَ بِشُكْلِها ، فَيَا رُبّمَا أرْدَتكُمُ نَزَوَاتُهَا
وَلا تأمَنُوا صَوْلَ النّفوسِ وَإن غدتْ مَضَارِبُهَا مَفْلُولَةً وَظُبَاتُهَا
بَنُو هَاشِمٍ عَيْنٌ ، وَنَحْنُ سَوَادُها عَلى رُغْمِ أقْوَامٍ ، وَأنْتُمْ قَذاتُهَا
وَمَا زِلْتُمُ داءً يُفَرّي إهَابَهَا ، وَإنْ كُنتُمُ مِنها ، وَنَحنُ أساتُهَا
وَأعْجَبُ مَا يَأتي بِهِ الدّهرُ أنّكم طَلَبْتُمْ عُلًى مَا فيكُمُ أدَوَاتُهَا
وَأمّلْتُمُ أنْ تُدْرِكُوهَا طَوَالِعاً ، دَعُوهَا ستَسعَى للمَعَالي سُعَاتُهَا
وَإمّا حَرَنْتُمْ عَنْ مَدَاهَا ، فإنّنَا سِرَاعٌ ، إذا مُدّتْ لنَا حَلَبَاتُهَا
أبِي دُونَكُمْ ذاكَ الذي ما تَعَلّقَتْ بِأثْوَابِهِ الدّنْيَا ، وَلا تَبِعَاتُهَا
تَجَنّبَهَا هَوْجَاءَ لا مُسْتَقِيمَةً خُطَاهَا ، وَلا مَأمُونَةً عَثَرَاتُهَا
غَدَا رَاضِياً بالنّزْرِ مِنْهَا قَنَاعَةً ، وَلَوْ شاءَ قَدْ كانَتْ لهُ جَفَنَاتُهَا
تَلافَظَهَا مِنْ بَعْدِ ما ذاقَ طَعمَهَا ، فَكَانَتْ زُعَاقاً عِنْدَهُ طَيّبَاتُهَا
تَلافَى قُرَيْشاً حِينَ رَقّ أدِيمُهَا ، وَخَفّتْ عَلى أيدي الرّجالِ حَصَاتُهَا

وَرَجّبَهَا مِنْ بَعدِ ما مالَ فَرْعُهَا ، وَحِينَ أبَتْ إلاّ اعْوِجَاجاً قَنَاتُهَا[1]
وكَمْ عادَ في إحدَى عَوَاليهِ هَامَةً لجَبّارِ قَوْمٍ قَطّرَتْهُ شَبَاتُهَا
فَمَنْ غَيْرُهُ لليَعْمَلاتِ يُقيمُهَا ، إذا وَقَعَتْ مَثْنِيّةً رُكُبَاتُهَا
وَمَنْ لعَجاجِ الحرْبِ يَجلو ظَلامَهُ ، إذا خَفَقَتْ في نَقْعِها عَذَبَاتُهَا
وَمَنْ للمَعَالي القُودِ يَقْرَعُ هَامَها ، إذا نَفَتِ الإقْدامَ عَنها صِفَاتُهَا
وَمَنْ لأضَاميمِ الجِيَادِ ، غدوُّها لِطَعْنِ حَماليقِ العِدَى وَبَيَاتُهَا
لَنَا وَعَلَيْنا إنْ لَبِثْنَا هُنَيهَةً ، قِطَافُ رؤوسٍ أينَعَتْ ثَمَرَاتُهَا
فَيَا لهَفي كَمْ مِنْ نُفُوسٍ كَرِيمَةٍ تَمُوتُ ، وَفي أثْنَائِهَا حَسَرَاتُهَا
يَعِزّ عَلَينَا أنْ تَفُوتَ ، وأنّهَا قضَتْ نحبَها أوْ ما انقضَتْ زَفَرَاتُهَا
وكَانَ بِدارِ الهُونِ مُلْقًى جُنوبُها سَوَاءٌ عَلَيْها مَوْتُها وَحَيَاتُهَا
أسَارَى تُعَنّيها الكُبُولُ ، مَذُودَةٌ بَوَاطِشُها ، مَقْصُورَةٌ خَطَوَاتُهَا
وَمَا بَرِحَتْ تَبكي قَتيلاً عُيُونُهَا ، فَلا دَمْعُها يَرْقَا ، وَلا عَبَرَاتُهَا
عَسَى اللهُ أنْ يَرْتَاحَ يَوْماً بفَرْحَةٍ ، فتَنطِقَ أنْضَاءٌ أُطيلَ صُمَاتُهَا
وَيُؤخَذَ ثَارٌ مَاتَ هَمّاً وُلاتُهُ ، وَلَمّا تَمُتْ أضْغَانُهَا وَتِرَاتُهَا
فكَمْ فُرّجَتْ من بَعدِ ما أُغلِقَتْ لَنا مَغالِقُها ، وَاستَبهَمَتْ حَلَقَاتُهَا
غَرَسْتُ غُرُوساً كنتُ أرْجو لَحاقَها، وَآمُلُ يَوْماً أنْ تَطِيبَ جَنَاتُهَا
فإنْ أثْمَرَتْ لي غَيرَ ما كنتُ آمِلاً ، فَلا ذَنْبَ لي إنْ حَنظَلَتْ نَخَلاتُهَا

---

[1] رجبها : أراد قواها .

خير ميت من آل مروان

قال يرثي عمر بن عبد العزيز وقد أجرى ذكره وما تفرد به من الصلاح والعدل وجميل السيرة عن أهل بيته ولما روى جعفر الصادق أنه قال كان العبد الصالح أبو حفص يهدي إلينا الدراهم والدنانير في زقاق العسل خوفاً من أهل بيته :

يا ابنَ عَبدِ العَزيزِ ! لَوْ بَكَتِ العَيْـ ... ـنُ فتًى مِنْ أُميّةٍ لَبَكَيْتُكْ

غيرَ أنّي أقُولُ إنّكَ قَدْ طِبْـ ... ـتَ ، وَإنْ لمْ يَطِبْ وَلَمْ يزْكُ بيتُكْ

أنْتَ نَزّهْتَنَا عَنِ السّبّ وَالقَذْ ... فِ ، فلَوْ أمكَنَ الجزَاءُ جزَيْتُكْ

وَلَوَ انّي رَأيْتُ قَبْرَكَ لاستَحْـ ... ـيَيْتُ مِنْ أنْ أرَى وَمَا حَيّيْتُكْ

وَقَلِيلٌ أنْ لَوْ بَذَلْتُ دِمَاءَ الـ ... ـبُدْنِ حزْناً عَلى الذُّرَى وَسَقَيتُكْ[1]

دَيْرَ سَمْعَانَ لا أغبّكَ غَادٍ ، ... خَيرُ مَيتٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَيتُكْ[2]

أنتَ بالذّكْرِ ، بينَ عَيْني وَقَلْبي ، ... إنْ تَدانَيْتُ مِنكَ أوْ قَد نَأيتُكْ

وَإذا حرّكَ الحَشَا خَاطِرٌ مِنْـ ... ـكَ تَوَهّمْتُ أنّني قَدْ رَأيْتُكْ

وَعَجيبٌ أنّي قَلَيْتُ بَني مَرْ ... وَانَ طُرّاً ، وَأنّني مَا قَلَيْتُكْ

١ البدن بضم الدال وسكنت هنا مراعاة للوزن ، الواحدة بدنة : للذكر والأنثى ، وهي الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة فتنحر بها . سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها .

٢ دير سمعان بفتح السين وكسرها : دير بنواحي دمشق في موضع نزه ، وبساتين محدقة به . عنده قصور ودور وعنده قبر عمر بن عبد العزيز . لا أغبك غاد : أي لا أمطرك يوماً بعد يوم بل كل يوم . والغادي : السحاب الذي ينشأ غدوة .

قَرُبَ العَدْلُ مِنْكَ لَمَّا نَأى الجَوْرُ بِهِمْ ، فاجتَوَيْتَهُمْ وَاجتَبَيْتُكْ[1]
فَلَوَ انّي مَلَكْتُ دَفْعاً لِمَا نَا بَكَ مِنْ طارِقِ الرّدَى لفَدَيْتُكْ

قعود على الهموم

قال في قريب من معنى المراثي :

مَنْ يكُنْ زَائِرِي يَجِدْنِي مُقِيماً أَتْبِعُ الغَانِيَاتِ بِالزّفَرَاتِ
في نَدامَى عَلى الهُمُومِ قُعُودٌ يَدْعَمُونَ الأذْقَانَ بِالرّاحاتِ
كُلّمَا أنْزَفُوا مِنَ الدّمعِ مدّتْ هُمْ دَوَاعي الهُمُومِ بِالعَبَرَاتِ

بادر اللذات

إذا مَضَى يَوْمٌ عَلى هِدْنَةٍ ، وَأنْتَ في سِلْمٍ مِنَ النّائِبَاتْ
فَعَاجِلِ الفُرْصَةَ قَبْلَ الرّدَى ، وَبَادِرِ اللّذّاتِ قَبْلَ البَيَاتْ
وَاسبُقْ ، وَفي حَبلِكَ أُنْشُوطَةٌ ، ضَغْطَ اللّيَالي بِيَدِ الحَادِثَاتْ[2]

١ اجتويتهم : كرهتهم . اجتبيتك : اخترتك واصطفيتك .
٢ الأنشوطة : ربطة دون العقدة إذا مدت بأحد طرفيها انفتحت .

آنائم قلبك ؟

قَدْ آنَ أنْ يُسْمِعَكَ الصَّوْتُ ؛ أنَائِمٌ قَلْبُكَ أمْ مَيْتُ
يَا بَانِيَ البَيْتِ عَلى غِرّةٍ ! أمَامَكَ المَنْزِلُ وَالبَيْتُ
أيَجْزَعُ المَرْءُ لِمَا فَاتَهُ ، وَكُلُّ مَا يُدْرِكُهُ فَوْتُ
وَإنّمَا الدّنْيَا ، عَلى طُولِهَا ، ثَنِيّةٌ مَطْلَعُهَا المَوْتُ

ليال مقمرات بالغواني

مَنْ مُعِيدٌ لِيَ أيّا مي بِجِزْعِ السَّمُرَاتِ[1]
وَلَيَالٍ بِجَمْعٍ وَمِنًى وَالجَمَرَاتِ
وَظِبَاءٌ حَالِيَاتٍ ، كَظِبَاءٍ عَاطِلاتِ
رَائِحَاتٍ في جَلابِيـ ـبِ الدّجَى مُخْتَمِرَاتِ
رَامِيَاتٍ بِالعُيُونِ الـ ـنُّجْلِ قَبْلَ الحَصَيَاتِ

١ جزع السمرات : لعله موضع . والسمرات ، الواحدة سمرة : ضرب من الشجر .

أَلِعَقْرِ القَلْبِ رَاحُوا ، أمْ لِعَقْرِ البَدَنَاتِ
كَيْفَ أَوْدَعْتُ فُؤادِي أعيناً غَيرَ ثِقَاتِ
أيّهَا القَانِصُ مَا أحْ سَنْتَ صَيْدَ الظَّبَيَاتِ
فاتَكَ السّرْبُ ، وَمَا زُوّ دْتَ غَيرَ الحَسَرَاتِ
يَا وُقُوفاً مَا وَقَفْنَ في ظِلالِ السّلَمَاتِ
مَوْقِفاً يَجْمَعُ فِتْيَا نَ الهَوَى وَالفَتَيَاتِ
نَتَشَاكَى مَا عَنَانَا بِكَلامِ العَبَرَاتِ
نَظَرٌ يَشْغَلُ مِنّا كُلّ عَيْنٍ بِقَذَاةِ
كَمْ نَأى، بالنّفْرِ عَنّا، مِنْ غَزَالٍ وَمَهَاةِ
آهِ مِنْ جِيدٍ إلى الدّا رِ كَثِيرِ اللّفَتَاتِ
وَغَرَامٍ غَيْرِ مَاضٍ بِلِقَاءٍ غَيْرِ آتِ
فَسَقَى بَطْنَ مِنًى وَالـ خَيْفَ صَوْبَ الغادِياتِ
وَزَمَاناً نَائِمَ العُـذّ الِ مَأمُونَ الوُشَاةِ
في لَيَالٍ كَاللآلي ، بالغَوَاني مُقْمِرَاتِ
غَرَسَتْ عِندِيَ غَرْسَ الـ شّوْقِ مَمْرُورَ الجَنَاةِ
أيْنَ رَاقٍ لغَرَامي ، وَطَبِيبٌ لِشَكَاتي

البين المشتّ

وقال رحمه الله :

أحِنّ إلى لِقَائِك كُلَّ يَوْمٍ ، وَأسْألُ عَنْ إيَابِك كُلَّ وَقتِ
وَأذْكُرُ مَا مضَى فيَغيضُ صَبْرِي ، وَتَنْفُرُ عَبْرَتي وَيَبُوحُ صَمْتي
وَلي قَلْبٌ ، إذا ذَكَرَ التّلاقي ، تَظَلّمَ مِنْ يَدِ البَيْنِ المُشِتّ

أين ذاك الصبا

قالَ لي عندَ مُلتَقَى الرّكْبِ عَمرٌو: قُوِّمَ العُودُ بَعْدَنَا ، فَانصَاتَا[1]
أيْنَ ذاكَ الصِّبَا ، وَأيْنَ التّصَابي ، سَبَقَا الطّالِبَ المُجِدّ ، وَفَاتَا
مَنْ قضَى عُقْبَةَ الثّلاثِينَ يَغْدُو رَاجِعاً يَطْلُبُ الصِّبَا ، هَيهَاتَا
لَمْ تَزَلْ ، وَالمَشيبُ غيرُ قَرِيبٍ ، نَاعِياً للشّبَابِ حتّى مَاتَا
كنتَ تَبكي الأحياءَ فاستَكثِرِ اليَوْ مَ مِنَ الدّمْعِ ، وَانْدُبِ الأمْوَاتَا

انصات المنحني : استوى .

يا ضيعة الأمل

قال عند خروجه إلى واسط لتلقي
والده وقد عاد من فارس سنة ٣٩٥ :

قَدْ قُلْتُ للنَّفْسِ الشَّعاعِ أضُمُّها : كَمْ ذا القِرَاعُ لكلّ بابٍ مُصْمَتِ[١]
قَدْ آنَ أنْ أعصي المَطامِعَ طائِعاً لليَأسِ ، جامِعَ شَمْلِيَ المُتَشَتّتِ
يَقضِي الحرِيصُ وكيس يَقضِي أرْبَةً مُتَعَلِّلاً أبَداً بِغَيْرِ تَعِلّةِ
قُلْ للّذينَ بَلَوْتُهُمْ ، فَوَجَدْتُهُم آلاً ، وَغَيرُ الآلِ يَنْقَعُ غُلّتي
أعْدَدْتُكُمْ لدِفاعِ كُلّ مُلِمّةٍ عَنّي ، فكُنْتُمْ عَوْنَ كلّ مُلِمّةِ
وَتَخِذْتُكُمْ لي جُنّةً فكَأنّمَا نَظَرَ العَدُوُّ مَقاتِلي مِنْ جُنّتي
سُمَعٌ يَبُلّ بِهَا الحَسُودُ غَليلَهُ ، وَمَتَى نُبِثْنَ عَلى عَدُوٍّ يَشْمَتِ[٢]
تَأبَى ثِمَارٌ أنْ تَكُونَ كَرِيمَةً ، وَفُرُوعُ دَوْحَتِهَا لِئَامُ المَنْبِتِ
لَمّا رَمَيْتُ إلَيْكُمُ بِمَطامِعي ، كَثُرَ الخِلاجُ مُقَلِّباً لرَوِيّتي[٣]
وَوَقَفْتُ دُونَكُمُ وُقُوفَ مُقَسَّمٍ ، حَذَرَ المَنِيّةِ رَاجيَ الأُمنيّةِ[٤]
قَدَمٌ تَؤمّكُمُ ، وَأُخرَى تَنثَني عَنكُمْ ، وَحَزْمُ الرّأيِ للمُتَثَبِّتِ

---

١ الشعاع : التي تفرقت هممها وآراؤها .
٢ السمع ، الواحدة سمعة : الذكر والصيت .
٣ الخلاج : ما يخالج القلب أي يخامره وينازعه من فكر
٤ المقسم : المهموم .

لَوْلا الحَوَادِثُ ما أفَدْتُ تَجارِباً ، يَعسُو الرَّطيبُ وَيَقرَحُ الجذَعُ الفَتي

يَأسٌ ثَنَى سُنَنَ المَطالِبِ عَنكُمُ ، وَلَوَى إلى الأوْطانِ عُنْقَ مَطيّتي

لا عُذْرَ لي إلاّ ذَهَابي عَنْكُمُ ، فإذا ذَهَبْتُ فيأسُكُمْ من رَجعَتي

فَلأرْحلَنّ رَحيلَ لا مُتَلَهّفٍ لِفِرَاقِكُمْ ، أبَداً ، وَلا مُتَلَفّتِ

وَلأنفُضَنّ يَدَيّ يَأساً مِنكُمُ ، نَفْضَ الأنَامِلِ مِنْ تُرَابِ المَيّتِ

وَلألْمَعَنّ بِكُلّ بَيْتٍ شَارِدٍ لَمْعَ المُهنّدِ في يَمينِ المُصْلِتِ

مِنْ كُلّ قافِيَةٍ تَخُبّ إلَيكُمُ بِشُوَاظِها خَبَبَ الجَوَادِ المُفْلِتِ

وَأقولُ للقلْبِ المُنَازِعِ نَحوَكُمْ : أقْصِرْ هَوَاكَ لَكَ اللّتَيّا وَالّتي

أأهُزّ مَنْ لا يَنْثَني وَأُديرُ مَنْ لا يَرْعَوي، وَألومُ مَنْ لا يَختَتي[1]

يا ضَيعَةَ الأمَلِ الّذي وَجّهْتُهُ طَمَعاً إلى الأقْوَامِ بَلْ يا ضَيعَتي

وَسَرَى السّفائِنُ يَنْثَني بِصُدُورِها مَوْجٌ كأسنِمَةِ الجِمَالِ الجِلّةِ[2]

قَوْمٌ ، إذا حَضَرُوا النّديّ مهانَةً عَطَسَتْ مَوَارِنُهُمْ بِغَيْرِ مُشَمّتِ

يا دَهرُ! حَسبُكَ قد أصَبتَ مَقاتلي ، ما زِلْتَ تَطْلُبُ بالمَقادِرِ غِرّتي

مَا لي أُحيلُ عَلى سِوَاكَ بِمَا جَنَى قَدَرٌ عَلى قَدَرٍ ، وَأنْتَ بَلِيّتي

---

١ يختتي : ينكسر من حزن أو مرض فيتخشع .

٢ الجلة : المسنة .

فيا لك دنيا

قال بديهاً في غرض :

وَقَفْنَا لَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الخُطُو ب، نُطالِعُهُمْ مِن خَصَاصَاتِهَا
وَنَرْقُبُ يَوْماً كَأيّامِهَا ، ولَيْلَةَ نَحْسٍ كَلَيْلاتِهَا
فَإنّ عَصَا الدّهْرِ لَمّا تَدَعْ سِيَاقَ الأمُورِ لغَايَاتِهَا
وَإنّ الحَبَائِلَ مَنْصُوبَةٌ ، فَلا تُسْتَغَرّوا بِإفْلاتِهَا
تَسَنّمْتُمُوهَا طِوَالَ الذّرَى ، فَصَبْراً عَلَى بُعْدِ مَهْوَاتِهَا
وَمَنْ أمْطَرَتْهُ سَمَاءُ الغِنَى هَوَى في سُيُولِ قَرَارَاتِهَا
فَيَا لَكِ دُنْيَا تَرِيشُ الرّجَا لَ، وَتُنحي عَلَيهم بمِبرَاتِهَا[1]
وَإنّ مَنَائِحَهَا للفَتَى ، لَرَهْنٌ لَهُ بِنِكَايَاتِهَا
فَبَيْنَا تَقُولُ لَهُ : هَاكَهَا ! إلى أنْ تَقُولَ لَهُ : هَاتِهَا
ألَمْ تَعْلَمُوا أنّ أيّامَكُمْ تُعَدّ إلى حِينِ مِيقَاتِهَا
فكَيْفَ وَثِقتُمْ بأعْوَامِهَا . وَنَحْنُ نَضِنّ بِسَاعَاتِهَا
فَلا تَطْلُبَنّ لَهُمْ عَثْرَةً ، سَتَأتِيهِمُ هيَ مِنْ ذاتِهَا
تَمُرّ اللّيَالي عَلَى نَهْجِهَا ، وَتَجْرِي الخُطُوبُ لعَادَاتِهَا

١ تريش : تغني . تنحي عليهم : تقبل عليهم . المبراة : ما يبرى به القوس .

ريح من الزفرات

هَلْ يَبلُغَنَّهُمُ نُضُوبُ مَدامِعي ، وَفَنَاءُ قَلْبي بَعْدَهُمْ حَسَرَاتِ
رِيحٌ مِنَ الزّفَرَاتِ تَعصِفُ في الحَشا ، وَوَرَاءَهَا مَطَرٌ مِنَ العَبَرَاتِ

عيب الأموات

يَعِبْنَ مَوْتَاهُمُ بأحْيَائِهِمْ ، كَمَا يُعَابُ الحَيُّ بالمَيّتِ
قَوْلُكُمْ زُورٌ ، وَقَوْلي لكُمْ يبقَى بَقَاءَ الجَبَلِ المُصْمَتِ

حرف الثاء

لم يبق للمجد وارث

قال رحمه الله يرثي حرب بن
سعيد بن حمدان وتوفي في شعبان
سنة ٣٨٢ وكان أخوه أبو فراس
الحارث بن سعيد قد مات قبله بقليل :

رَجَوْنَا أبَا الهَيجاءِ إذْ ماتَ حارِثٌ، فمُذْ مَضَيَا لمْ يَبقَ للمَجدِ وَارِثُ
ألا إنّ قَرْمَيْ وَائِلٍ ،لَيلَةَ السُّرَى، أقَامَا ، وَقَدْ سَارَ المَطِيُّ الدّلائِثُ[1]
هُمَا البَازِلانِ المُقْرَمَانِ تَنَاوَبَا عُرَى المَجدِ لمّا عَجّ بالعِبْءِ لاهِثُ[2]
رَفيقَانِ مَا بَاغَاهُمَا العِزَّ صَاحِبٌ؛ نَدِيمَانِ مَا سَاقَاهُمَا المَجدَ ثالِثُ
حُسَامَانِ إنْ فَتّشتَ كلَّ ضَرِيبَةٍ ، فَأثْرُهُمَا فيهَا قَدِيمٌ وَحَادِثُ[3]
بَقيّةُ أسْيَافٍ طُبِعْنَ معَ الرّدَى ، فجاءَ وَجَاءَتْ عاثيَاتٌ وَعَائِثُ[4]

١ الدلائث : السريعة ، الواحدة دلاث .

٢ المقرمان : المسودان .

٣ الأثر : جوهر السيف .

٤ العاثيات : المفسدات . العائث : الأسد .

أحقّاً بِأنّ المَجْدَ هيضَتْ جُبُورُهُ — وَزَالَ عَنِ الحَيّ الطِّوَالُ المَلاوِثُ[1]

وَأيْدٍ عَلى بُسْطِ السّمَاحِ رَقَائِقٌ، — وَهُنّ عَلى قَبضِ الرّمَاحِ شَرَائِثُ[2]

وَسِربٌ بَنُو حَمْدانَ كانُوا حُماتَه — رَعَتْ فيهِ ذُؤبَانُ اللّيَالي العَوَائِثُ

فَأيْنَ كُفَاةُ القُطْرِ في كلّ أزْمَةٍ؛ — وَأينَ المَلاجي منهُمُ ، وَالمَغاوِثُ

وَأينَ الجِيَادُ المُعجِلاتُ إلى الوَغَى، — إذا غَامَ بالنّقعِ المَلا المُتَوَاعِثُ[3]

وَأينَ الثّنَايَا المُطلِعاتُ عَنِ الأذَى، — إذا نَابَ ضَغّاطٌ مِنَ الأمرِ كارِثُ

إذا مَا دَعَا الدّاعونَ للبَأسِ وَالنّدى — فَلا الجُودُ مَتزُورٌ وَلا الغَوْثُ رَائِثُ

يَرُفّ عَلى نَادِيهِمُ الحِلْمُ وَالحِجَا — إذا مَا لَغَا لاغٍ مِنَ القَوْمِ رَافِثُ[4]

مِنَ المُطعَمينَ المَجدَ بالبِيضِ وَالقَنَا — مِلاءَ المَقارِي ، وَالعرِيبُ غَوَارِثُ[5]

إذا طَرَحُوا عِمّاتِهِمْ وَضَحَتْ لهمْ — مَفارِقُ لَمْ يَعصِبْ بِها العَارَ لائِثُ[6]

بكتَهُمْ صُدُورُ المُرْهَفاتِ وَبُشّرَتْ — هِجانُ المَتَالي ، وَالمَطيُّ الرّوَاغِثُ[7]

قُرُومٌ عَلى مَا رَوّحُوا مِنْ وُسُوقِها — وَلا مِنهُمُ الوَاني ، وَلا المُتَمَاكِثُ

يُخَلّى لهُمْ مِنْ كلّ وِرْدٍ جِمامُهُ — إذا وَرَدُوا ، وَالمُعشِبَاتُ الأثَائِثُ[8]

١ الملاوث : الأشراف .

٢ الشرائث : الغلاظ ظهور الأكف .

٣ الملا : الصحراء . المتواعث : الطريق العسر .

٤ الرافث : المفحش .

٥ المقاري : الجفنات . الغوارث : الجياع .

٦ اللائث ، من لاث العمامة : عصبها .

٧ الهجان ، من كل شيء : خياره . المتالي من النوق : التي يتبعها أولادها . الرواغث : المرضعات

٨ الأثائث : الكثيرات الملتفة .

مشَوْا في سُهُولِ المَجدِ حيناً ووَقَفُوا ... بحَيْثُ ابتَدَتْ أوْعَارُهُ وَالأوَاعِثُ

إذا رَكِبُوا سَالَ اللّديدانِ بالقَنَا ، ... وَحنّتْ مَطايَاها المَنَايَا الرّوَاثِثُ[1]

كأنّ الصّقُورَ اللامِحَاتِ تَلَمّظَتْ ... إلى الطُّعمِ وَانصَاعَتْ لهنّ الأبَاغِثُ[2]

مَضَوا لا الأيادي مُخدَجاتٌ نَوَاقِصٌ ... وَلا مِرَرُ العَلْيَاءِ مِنْهُمْ رَثَائِثُ[3]

وَلا طِولُ النّعْمَاءِ فيهم مُقَلَّصٌ ، ... إذا عَلِقَتْهُ المُعصِمَاتُ الشّوَابِثُ[4]

خلَجتُمْ لجَسّاسِ بنِ مُرّةَ طَعنَةً ... رَأى الجِدَّ فيها هِجرِسٌ وَهوَ عابِثُ

وَغادَرْتُمُ أشْلاءَ بَكْرٍ مُقيمَةً ... على العارِ لا تُحثَى علَيها النّبَائِثُ

وَقَدْ كانَ دَينٌ في كُلَيبٍ وَفَى بِهِ ... غَرِيمٌ مَطُولٌ بالدّيُونِ مُمَاغِثُ[5]

وَقائِعُ أيّامٍ كَأنّ إكَامَهَا ، ... بجاري دَمِ الطّعنِ ، الإماءُ الطّوَامِثُ

تَعُودُونَ عَنهَا في قَنَاكُمْ مَبَاشِمٌ ، ... وَعندَ قَنَا بَكرٍ إلَيكُمْ مَغارِثُ[6]

عَقَدْتُمْ بِهَا حَبْلَيْ إسَارٍ وَمِنّةٍ ، ... وَخَانَهُمُ نَقْضُ القُوَى وَالنّكائِثُ

تحَلّلتُمُ مِنْ نَذْرِ طَعنٍ ، وَغَيرُكم ... كَثيرُ الألايا ، غِبَّ ما قالَ حانِثُ[7]

حُرُوبٌ مِنَ الأقدارِ طاحَ عِرَاكُهَا ، ... بحَرْبٍ ، وَلَمْ يَسْلَمْ علَيهِنّ حارِثُ

١ اللديدان : صفحتا العنق .

٢ الطعم : الطعام . انصاعت : مرت سراعاً . الأباغث ، الواحد أبغث وهو من الطير : ما لا يصيد ولا يرغب في صيده .

٣ المرر : الحبال المفتولة والمراد هنا القوة .

٤ المعصمات : المتعلقات . الشوابث ، من تشبث بالشيء : تعلق به .

٥ المماغث : المخاصم .

٦ المباشم ، من البشم : التخمة من كثرة الأكل . المغارث : الجياع .

٧ الالايا ، الواحدة الية : اليمين .

وَكَانَ سِنَاناً أوْجَرَ الخَطْبَ حَدُّهُ ... وَكَانَ يَداً أُرْدي بِها مَنْ أُلاوِثُ[1]

بأخلاقِ أبْاءٍ يَعُودُ بِهَا الأذَى ... وَعُوراً عَلى الأعداءِ وَهيَ دَمَائِثُ

أقُولُ لِنَاعِيهِ إلى المَجْدِ وَالعُلَى : ... رَمَى فَاكَ مَسمومُ الغِرَارَيْنِ فارِثُ[2]

كَأنَّ سَوَادَ القَلْبِ طَارَ بِلُبِّهِ ، ... إلى الطَّوْدِ أقْنى يَنفُضُ الطَّلَّ ضَابِثُ[3]

وَرُزْءٌ رَمَى بَينَ القُلُوبِ شُوَاظَهُ ، ... أجيجُ المَصَالي أسْعَرَتْهَا المَحارِثُ[4]

برُغميَ تُمسِي نَازِلاً دارَ هِجرَةٍ ، ... وَأنْتَ المُصَافي وَالقَرِيبُ المُنافِثُ

وَأنْ لا أُجَافي التُّرْبَ عَنكَ بِرَاحَةٍ ، ... وَلَوْ نازَعَتْنيها الرِّقَاقُ الفَوَارِثُ[5]

وَإنْ تَشتَمِلْ أرْضٌ عَلَيكَ ، فإنّما ... عَلى ماءِ عَينَيّ النّقَا وَالكَثَاكِثُ[6]

سَقَى النَّضَدَ النّجديَّ مَلقَى ضَرَائحٍ ... بها منكُمُ المُستَصرَخُونَ الغَوَايِثُ[7]

فَسِيّانِ فيها،مِنْ وَقَارٍ وَمن عُلًى، ... عِظامُكُمُ وَالرّاسِيَاتُ اللّوَابِثُ

وَلا بَرِحَتْ تُندي عُقُودَ صَعيدِها ، ... نُفَاثَةُ مَا جادَ الغَمامُ النّوَافِثُ

لهَا خَدَشَاتٌ بالمَوَامي ، كَأنّهَا ... عَلى لَقَمِ البَيْداءِ أيْدٍ عَوَابِثُ

صُبَابَةُ عِزٍّ عَبّ في مَائِها الرّدَى ، ... وَعَادَ إلَيْهَا ، وَهوَ ظَمآنُ غَارِثُ

١ ألاوث : أطالب بالأحقاد .

٢ الفارث : المفرق .

٣ الأقنى : أراد البازي . الضابث : القابض بمخالبه .

٤ المصالي، من صلي النار : احترق بها، أو قاسى حرها . المحارث ، الواحد محراث : ما تحرك به النار .

٥ الرقاق الفوارث : السيوف .

٦ النقا : القطعة من الرمل . الكثاكث : التراب ، الواحد كثكث .

٧ النضد : الجبل . الغوايث : المغيثون من يلجأ إليهم .

وَأفنانُ دَوْحاتٍ من المَجدِ أُشرِعَتْ مَشاظي الرّدَى ما بَينَها وَالمَشاعثُ[1]
وَما كنتُ أخشَى الدّهرَ إلاّ عَلَيهِم ، فَهانَ الرّزَايَا بَعدَهُمْ وَالحَوَادِثُ

الأرض تشبع والبطون غراث

قال رحمه الله في الزهد :

يَا آمِنَ الأقْدارِ بادِرْ صَرْفَها ، وَاعلَمْ بِأنّ الطّالِبِينَ حِثَاثُ
خُذْ مِنْ تُرَاثِكَ ما استَطَعتَ فإنّما شُرَكَاؤكَ الأيّامُ وَالوُرّاثُ
لَمْ يَقْضِ حَقّ المَالِ إلاّ مَعْشَرٌ وَجَدُوا الزّمَانَ يَعيثُ فيهِ ، فَعاثُوا
تَحثُو عَلى عَيْبِ الغَنيّ يَدُ الغِنى ، وَالفَقْرُ عَنْ عَيْبِ الفَتى بَحّاثُ
المَالُ مَالُ المَرْءِ ما بَلَغَتْ بِهِ الـ شّهَوَاتُ ، أوْ دَفَعَتْ بِهِ الأحداثُ
مَا كَانَ مِنْهُ فَاضِلاً عَنْ قُوتِهِ ، فَلْيَعْلَمَنّ بِأنّهُ مِيرَاثُ
ما لي ، إلى الدّنيَا الغَرُورَةِ ، حاجَةٌ ، فَلْيَخزَ سَاحِرُ كَيْدِها النّفّاثُ
طَلّقْتُهَا ألفاً لأحْسِمَ دَاءَهَا ، وَطَلاقُ مَنْ عَزَمَ الطّلاقَ ثَلاثُ
سَكَنَاتُهَا مَحْذُورَةٌ ، وَعُهُودُها مَنْقُوضَةٌ ، وَحِبَالُهَا أنْكَاثُ
أُمٌّ المَصَائِبِ لا يَزَالُ يَرُوعُنَا مِنهَا ذُكُورُ نَوَائِبٍ وَإنَاثُ

[1] المشاظي ، من التشظية : التفريق . والمشاعث من التشعث : التفرق .

إنّي لأعْجَبُ مِنْ رِجَالٍ أمسَكُوا بحبَائِلِ الدّنْيَا ، وَهُنّ رِثَاثُ
كَنَزُوا الكُنوزَ، وأغفَلوا شَهَوَاتهم، فالأرْضُ تَشبَعُ وَالبُطُونُ غِرَاثُ
أتُرَاهُمُ لَمْ يَعْلَمُوا أنّ التّقَى أزْوَادُنَا ، وَدِيَارُنَا الأجْداثُ

سلام على الامال

قال في غرض له :

خُذُوا نَفَثَاتٍ من جوَى القَلبِ نافثِ دفاينَ ضَغْنٍ قَدْ رُمِينَ بِنَابِثِ[1]
لَقَدْ كُنّ مِنْ قَبلِ البَوَاحثِ نُزّعاً فكَيْفَ بهِنّ اليَوْمَ بَعدَ البَوَاحِثِ
عَذيرِيَ مِنْ سَيْفٍ رَجَوْتُ قِرَاعَهُ أعَادِيَّ طُرّاً مِنْ قَدِيمٍ وَحَادِثِ
فَخَانَ يَدي ثُمّ انْثَنَى بِغِرَارِهِ ، فَكَانَ لعُنقي اليَوْمَ أوّلَ فَارِثِ
وَمِنْ جبَلٍ أعدَدْتُ شُمَّ هِضَابِهِ ، مَرَدّاً لأيْدي النّائبَاتِ الكَوَارِثِ
فَطَوّحَ لي مِنْ حَالِقٍ ، وَأزلّني زَليلَ المَطَايَا عَنْ مُتُونِ الأوَاعِثِ
وَمِنْ مَشْرَبٍ أنبطتُ يَنْبُوعَ مَائِهِ بأعْلَى الرّوَابي وَالرّيَاضِ الأثَائِثِ
يَضِنّ عَلَيّ اليَوْمَ مِنْهُ بِنَهْلَةٍ ، وَتُبْذَلُ دُوني للنّقَا وَالكَثَاكِثِ
هُوَ الرّزْقُ مَقسُوماً ، وَلَيسَ تَنالُهُ بِبَرْدِ التّبَاطي أوْ بِحَرّ الحَثَاحِثِ

---

١ النابث ، من نبث : نبش .

أعَنْتُمْ علَى حَرْبي المَقَادِيرَ عَنوَةً ، وَرِشتُمْ إلى قَلْبي سِهَامَ الحَوَادِثِ
وَلَمْ تَدْعُوني وَالزّمَانَ ، فَإنّهُ لأكْرَمُ فِعْلاً مِنكُمُ في الهَنَابِثِ[1]
كَذاكَ مَنِ استَدرَى إلى غَيرِ هَضْبةٍ وَشَدّ يَداً بالمُطْمِعَاتِ الرّثَائِثِ
دُعَائي ذِئَابَ القَاعِ خيرٌ مَغَبّةً إذاً ، من دُعائي بَعضَكُمْ للمَغَاوِثِ
فلَوْ أنّني أدْعُو لُؤيّ بنَ غَالِبٍ ، لَقَدْ أنْجَدُوني بالطِّوَالِ المَلاوِثِ
يجِيشُ بهمْ وَادي الظّلامِ كَأنّهُمْ صُدُورُ العَوَالي بِالمَلا المُتَوَاعِثِ
هُمُ أطْلَعُوني بالنّجَادِ وَأرْزَمُوا لنَصْرِيَ إرْزَامَ المَطِيّ الرّوَاعِثِ[2]
وَأرْخَوْا خِنَاقي ، بَعدَمَا كانَ قَتلُهُ يُغَارُ عَلى عُنقي بِأيْدٍ عَوَابِثِ[3]
تَرَى حِلمَهم تحتَ الظُّبَى غَيرَ طائشٍ وَخَطوَهُمُ بَينَ القَنَا غَيرَ رَائِثِ
فَلا الحِلْمُ بالنّائي ، إذا ما دَعَوْتَه؛ وَلا العَزْمُ بالوَاني ، وَلا المُتَمَاكِثِ
وَكُلُّ فَتًى إنْ آدَ ثِقْلُ مُلِمّةٍ ، تَوَرّكَ حِنوَيْ عِبئِها غَيرَ لاهِثِ[4]
ضَنِينٌ بودّي ، لا يزَالُ بوَجْهِهِ كَلامُ العِدَى عَنّي وَنَفثُ النّوَافِثِ
شِعَارِيَ مِنْ دُونِ الشّعَارِ ، وَتارَةً قَرِيبيَ مِنْ دُونِ القَرِيبِ المُنَافِثِ
تَعَمّمْتُمُوها سَوْأةً جَاهِلِيّةً ، لَقَدْ فازَ مَنْ أمسَى بهَا غَيرَ لائِثِ
فَجُرّوا ذُيُولَ العَارِ ، ثمّ تَضَاءَلُوا تَضَاؤلَ أطْهَارِ الإمَاءِ الطّوَامِثِ

١ الهنابث : الشدائد ، الواحدة هنبثة .

٢ أرزموا : صوتوا تصويتاً شديداً . الرواعث : اللابسة الأقراط .

٣ يغار : يشد .

٤ آد : ثقل وشق . تورك : ركب . الحنو : عود الرحل المعوج .

تَقَطّعَتِ الأطْماع فيكُمْ ،ولَمْ يَدَعْ لَكُمْ أمَلاً لُؤمُ الطّبَاعِ الخَوَابِثِ
وَأصبَحتُمُ أطْلالَ دارٍ بقَفْرَةٍ ، تَرَى الرّكبَ مُجتازاً بها غَيرَ لابِثِ
وكَيْفَ أُرَجّيكُمْ لدَفْعِ مَغارِمٍ ، وَقَدْ خابَ رَاجيكُمْ لدَفعِ مَعارِثِ[1]
قَعُوا وِقعةَ السّاري،فقد طالَ حثُّكم إلى العَارِ ، أعْنَاقَ المَطيّ الدّلاثِثِ
فَحتّى متَى أخْفي التّرَاتِ ، وأنتمُ تُثيرُونَ عَنْ مَدفُونِها بالمَباحِثِ
وكمْ أدْمُلُ الأضْغَانَ بَيْني وَبَينكم وَأغضِي عَلى نَقضِ القُوَى وَالنكائِثِ
إذا رُمْتُ مِنْ سَوْآتِكُمْ سَدَّ هوّةٍ تَشَاغَلْتُمُ عَنْ غَيرِها بالنّبَائِثِ
رَأيتُ الصّقورَ الغُلبَ خمصَى منالطوَى وَما مَطعَمُ الدّنيَا لغَيرِ الأبَاغِثِ
فَلا حَظّ في استِنزَالِ رِزْقٍ مُحلّقٍ وَلا نَفعَ في حثّ الحظوظِ الرّوَائِثِ
تَرَكْتُ صُدُوعاً بَيْنَنا لانْشِعَابِهَا وَلَمْ أتَجَشّمْ لَمَّ تِلْكَ المَشاعِثِ
فَزِيدُوا ، فإنّي بَعدَها غَيرُ نَاقِصٍ وَجِدّوا فإنّي بَعدَها غَيرُ عَابِثِ
دُيونٌ مِنَ الأضْغانِ إنْ أبقَ أجزِكم بهِنّ وَإنْ أعطَبْ يَرِثْهُنّ وَارِثي
وَإنْ أنسَ يوْماً ذمّكم يُمس فِعلُكمْ عَلى الذّمّ عِندي مِنْ أشَدّ البَوَاعثِ
وَإنْ أبْطِ يُسْرِعْ بي إلى ما يَسوءُكم لَوَاعِجُ أضْغانٍ إلَيكُمْ حَثَائِثِ
نَحلْتُ إذاً مَا فيكُمُ مِنْ مَعائِبٍ ، وَنازَعتُكُمْ طُعماتِ تلكَ الخَبائِثِ
لَئِنْ أنا لمْ أعلِقْ بأعرَاضِ قَوْمِكمْ بَرَاثِنَ أظفَارِ القَرِيضِ الضّوَابِثِ[2]

١ قوله : المعارث وهي من العرث : الانتزاع والدلك ، لا يؤدي معنى ، ولعلها المغارث بالغين جمع مغرث مصدر ميمي من غرث : جاع . فيكون المعنى دفع الجوع عن الجائعين .
٢ الضوابث ، من ضبث : قبض عليه بكفه .

فَوَاللهِ لا أقْلَعْنَ إلاّ دوَامياً ؛ أَلِيّةَ بَرٍّ لا أَلِيّةَ حَانِثِ
لكَيْ تَعْلَمُوا غِبَّ العَداوَةِ بَيْنَنَا ، وَيَعرُكَكُمْ كَيْدُ المَطولِ المُماغِثِ[1]
سَلامٌ عَلى الآمالِ فيكُمْ ، وَلا سقَى مَعاهِدَها جَوْدُ القُطارِ الدّثَائِثِ[2]
لَعَلّمتُمُوني اليَأسَ من كلّ مَطمَعٍ وَعَوّدْتُمُوني الصّبرَ في كُلّ حادِثِ
وَعَرّفتُمُوني كَيفَ ألتَمِسُ الجَدا إلى غَيرِ أيدي الألأمِينَ الشَّرَابِثِ
تُذَلّلُكُمْ لُقْبَايَ باليَأسِ منكُمُ وَلَمْ أتَذَلّلْ للمِطَالِ المُلابِثِ
فشكراً لمَنْ لمْ يَجعَلِ الرّزْقَ عندكمْ فَلا رَيَّ ظَمآنٍ وَلا شِبعَ غَارِثِ
لَئِنْ ساءَكُمْ منّي حزُونُ خَلائِقي فَقَدْ طالَ ما لمْ أنتَفِعْ بالدّمَائِثِ
خُذُوها كَأطْوَاقِ الحَمامِ ، فإنّها سَتَبقَى بَقَاءَ الرّاسِياتِ اللّوَابِثِ
قَوَافيَ يَقْطُرْنَ النّجيعَ ، كَأنّمَا طُبِعْنَ عَلى طَبْعِ الرّقَاقِ الفَوَارِثِ
إذا مَا مَطَلْنَاهُنّ بُقْيا عَلَيْكُمُ ، خَرَجْنَ خُرُوجَ الخالِعِينَ النّوَاكِثِ
فَيالَيْتُ لا أُعطِي اللّئَامَ مَقَادَةً ، وَلَوْ تَحتَ ضَغّاطٍ مِنَ الأمرِ كارِثِ
ذُنُوبِي أنِ استَمطَرْتُ من غَيرِ ماطِرٍ وَأنّي طَلَبتُ الغَيثَ من غَيرِ غائِثِ

١ المماغث : المخاصم .
٢ الدثائث : الضعاف المطر .

نار القرى

وَإنّ لَنَا النّارَ القَديمَةَ للقِرَى ، تُوَرَّثُ مِنْ أُولى الزّمَانِ وَتُورَثُ
لَنَا القَدَمُ الأُولى إلى كُلّ غَايَةٍ ، وَسُعْيَانُ شَيْءٍ فَارِطٌ وَمُلَبَّثُ[1]
وَفي النّاسِ أخْيَافٌ جَهَامٌ وَمَاطِرٌ وَنَابٌ ، وَمَضّاءٌ ، وَبَازٌ ، وَأبغَثُ[2]

١ الفارط : السابق . الملبث ، من لبثه في المكان : جعله يقيم فيه .

٢ الأخياف : الضروب المختلفة في الأشياء والأخلاق . الجهام : السحاب غير الممطر .

حرف الجيم

غياهب الأماني

قال يفتخر

لِيَ الحَرْبُ مَعْطُوفاً عليّ هِيَاجُهَا وَظِلٌّ جَوَادي قَيْظُهَا وَعَجاجُهَا

وَيَأنَفُ عزْمي أنْ يُرَدّ رِمَاحَهَا إذا اشتَبَهَتْ خُرْصَانُهَا وَزِجاجُهَا[1]

فَما بالُ بَغدادٍ ، إذا اشتقتُ رِحلَةً تَشَبّثَ بي غِيطَانُهَا وَفِجاجُهَا

كَأنّ لَهَا دَيْناً عَلَيّ ، وَإنّني سيَطْلُبُها سَيفي وَدَيْني خَرَاجُهَا

أبَغداذُ مَا لي فيكِ نَهلَةُ شَارِبٍ . من العَيشِ ، إلاّ وَالخطوبُ مِزَاجُهَا

وَلَوْ أنّني أرْضَى بِأدْنَى مَعِيشَةٍ . لأرْضَتْ مُنَائي عندَ أهليكِ حاجُهَا

وَلَكِنّني جَارٍ عَلى حُكْمِ هِمّةٍ ، كَثيرٍ عَنِ الطّبعِ الذّليلِ انعِرَاجُهَا

يُخَيَّلُ لي أنّ الأمَاني غَيَاهِبٌ ، وَلا تَنْجَلي ، إلاّ وَعَزْمي سِرَاجُهَا

١ الخرصان : الأسنة ، الواحد خرص . الزجاج ، الواحد زج : الحديدة التي في أسفل الرمح .

فارس الفرسان عمرو

يرثي صديقاً له من العرب قتله بنو تميم وقيل
إن هذا الرجل كان داعيته فدعا هذه الطائفة
فخالفته ، وله فيه مراث كثيرة تأتي بعد :

أدارِي المُقلتَينِ عَنِ ابنِ لَيلَى ، وَيَأبَى دَمْعُهَا إلاّ لَجاجَا
لهَا ثَبْطٌ عَلى الأيّامِ بَاقٍ تَجِيشُ بِهَا مَعِيناً أوْ أُجَاجَا
كَأنّ بِهَا رَكِيّةَ مُستَمِيتٍ ، يُخَضْخِضُها بُكُوراً وَادّلاجَا
أذُودُ النّفسَ عَنهُ ، وَذاكَ مِنها عِنَانٌ مَا مَلَكْتُ لَهُ مَعَاجَا[1]
كَأنّ العَينَ، بَعدَ اليَوْمِ ، جُرْحٌ إذا طَبّوا لَهُ غَلَبَ العِلاجَا
تَجُمّ على القَذى،وتَفيضُ دَمعاً، مَطالُ الدّاءِ وَادَعَ ثُمّ هَاجَا[2]
وَأينَ كَفَارِسِ الفُرْسَانِ عمرٍو ، إذا رُزْءٌ مِنَ الحِدْثَانِ فَاجَا[3]
بِحَقٍ كَانَ أوّلَهُمْ وُلُوجاً عَلى هَوْلٍ وَآخرَهُمْ خَرَاجَا
إذا رَسَبَتْ حَصَاةُ القَلْبِ مِنْهُ ، طَفَا قَلْبُ الجَبَانِ بِهِ انْزِعَاجَا
بَكَيْتُكَ للسّوَابِقِ مُوضِعَاتٍ قِماصُ السِّرْبِ أعجزَ أنْ يُعَاجَا[4]

١ المعاج : عطف رأس البعير بالزمام .
٢ جم الماء : تجمع بكثرة .
٣ فاجا : مسهل فاجأ .
٤ موضعات : مسرعات . القماص، من قمص الفرس: رفع يديه وطرحهما معاً وعجن الأرض برجليه.

يُقَرِّطُهَا الأعِنَّةَ مُبْدَلاتٍ ، مكانَ جِلالِها ، العلَقَ المُجاجا[1]

يَدَعنَ على الأجالِدِ مُوضَحاتٍ ، كَأنَّ عَلى مَفارِقِها شِجاجا[2]

وَإرْقاصِ المَطيِّ عَلى وَجاها ، يَجُبْنَ إلى العُلَى طُرُقاً نِهاجا

مُرَنَّقَةَ العُيُونِ كَأنَّ فيها دهانَ مَواقِدٍ يَصِفُ الزِّجاجا[3]

وَرِثْتَ عَنِ الأبينِ قَناً وَبَأساً ، فَأنفَقتَ اللّهاذِمَ وَالزِّجاجا[4]

وَمُنخَرِقٍ أخَوْتَ السَّيْفَ فيهِ ، وَحَبْلُ اللّيلِ يَندَمجُ اندِماجا[5]

أرابَكَ ، فاكتَلأتَ بِغَيرِ رمحٍ كَأنَّ عَلى عَوامِلِهِ سِراجا

تَوَقَّرُ جاشَكَ الأهْوالُ فيهِ ، إذا اعتَلَجَ الجَبانُ بهِ اعتِلاجا

وَقد جابَ الذَّميلُ عَلَيكَ وَهْناً ، مِنَ الظَّلْماءِ مَدْرَعَةً وَساجا[6]

وَمَزْلَقَةٍ تُرَشُّ بِها المَنايا ، وَتَسْمَعُ للقُلُوبِ بِها رَجاجا

وَقَفْتَ بشَوْكِ أخمَصِكَ العَوالي وَيَلْقَى المَرْءُ للغَمّ انْفِراجا

وَمُظْلِمَةٍ مِنَ الغَمَراتِ عطشَى جَعَلتَ لها مِنَ القُضُبِ انبِلاجا

وَمائِلَةٍ أقَمْتَ لها كُعُوباً ، وَقَد شغَرَتْ على القَوْمِ اعوِجاجا

وَداهِيَةٍ تُشَوِّلُ بالذُّنابَى ، غَدَوْتَ لبابِ مَطلَعِها رِتاجا

١ العلق : الدم . المجاج : المسال .

٢ الأجالد : جماعة الأشخاص . الموضحات ، من أوضحت الشجة في الرأس : كشفت العظم .

٣ الزجاج ، الواحد أزج : النعام الذي فوق عينيه ريش أبيض .

٤ اللهاذم ، الواحد لهذم : السنان القاطع . الزجاج من الرماح : مر ذكرها .

٥ أخوت السيف : اتخذته أخاً .

٦ الذميل : السير اللين . المدرعة : ضرب من الثياب . الساج : الكساء المربع .

وَمُعضِلَةٍ كفَيتَ ، وَذاتِ وَهْيٍ   شَدَدْتَ لهَا العرَاقي وَالعِنَاجَا[1]

وَفاصِلَةٍ كَسَيْلِ الطَّوْدِ عَجلَى   قطَعتَ بها التّشادُقَ وَالضَّجَاجَا

وَآنيَةِ اللّحُومِ مِنَ القَضَايَا،   أعَدْتَ لَهُنّ كَيّاً ، أوْ نُضَاجَا

وَشَارِدَةٍ رَبَطْتَ لهَا الحَوَايَا ،   وَقَدْ مَرِحَ البِطَانُ بهَا وَمَاجَا

وَرَأيٍ يَفْرُقُ الجُلّى ، وَيَهدِي   وَرَاءَ مَضِيقِهَا سُبُلاً فِجاجَا

قَطَعْتَ بِمَطْرَبَيْهِ عَلى تَمَارٍ   خِلاجَ الشكّ ، إنّ لَهُ خِلاجَا[2]

كأنّكَ صُبتَ مِنهُ بذاتِ فَرْعٍ   عَلى البَوْغَاءِ لَبّدَتِ العَجَاجَا[3]

كَزلَقَةِ الذُّبابِ ، إذا أُمِرَّت   عَلى ذي الدّاءِ بالغتِ الوِداجَا[4]

لَئِنْ نَبَحَتْهُ آونَةً كِلابٌ ،   لَقَدْ لَبِسَتْ بِهِ الأسَدَ المُهَاجَا

فمَنْ يزَعُ العُرَيبَ، إذا تَنَاغَتْ،   وَيَضرِبُ بَينَ غارِبِها سِيَاجَا[5]

وَيُذْكِرُهَا الحُلُومَ عَلى تَنَاسٍ   وَقَدْ بَلَغَتْ حَفَائِظُهَا الهِيَاجَا

يُحَاجِجُها عَنِ الأرْحامِ ، حتّى   يُقِرّ القَوْمُ أنّ لَهُ الحِجَاجَا

وَمَنْ رَدّ النّقَائِذَ بَعْدَ يَأسٍ ،   وَقَدْ جَاوَزْنَ ضُوراً وَالوِلاجَا[6]

١ العراقي ، الواحدة عرقوة : خشبة الدلو . العناج : حبلها .

٢ مطربيه : طريقيه . التماري : الجدال .

٣ صبت : أمطرت . ذات فرع : أراد السحابة . البوغاء : التراب .

٤ الوداج : عرق في العنق ينتفخ عند الغضب . ومعنى البيت غامض .

٥ يزع : يكف . العريب : مصغر عرب ، ولعلها العريب ، بفتح العين : حي من عرب اليمن تناغت : تدانت .

٦ النقائذ : أراد النساء . ضور : حي من العرب . الولاج : الغامض من الأرض .

تَغَلْغَلَ في النّفاقِ فُنَيُّ سَعْدٍ ، رَوَاغَ الذّئْبِ قَدْ وَلَجَ الحِرَاجَا
تَمادَحَتِ الرّبابُ بهِ ، وكانَتْ تُنَابَزُ بِالمَعَائِبِ أوْ تُهَاجَى
برُغْمي أنْ يَكُنَّ قَنَا تَميمٍ قَضَيْنَ على الذّنائِبِ منكَ حَاجَا
حَمَيْتَ مَنابِتَ الرِّمرامِ مِنهُمْ ، وَأخْلَيْتَ الأنَاعِمَ وَالنِّبَاجا[1]
مَنَعتَهُمُ اللِّقاحَ وَمُلْقَحَاتٍ، يَكادُ الخَوْفُ يَمْنَعُها النّتَاجَا
فَما لَقِحَتْ لَهُمْ إلاّ اخْتِلاساً، وَلا وَلَدَتْ لَهُمْ إلاّ خِدَاجا[2]
أبَى البَاغُونَ مِثْلَ مَدَاكَ إلاّ ضَلالاً عَنْ طَرِيقِكَ وَانعِرَاجا
سَأبْعَثُهَا عَلَيْكَ مُسَقَّفاتٍ طِباقَ الأرْضِ ، أُطلِعُها الفِجاجَا
مُسَالاتِ الأغِرّةِ مُلْجَمَاتٍ ، وِحَاداً أوْ مُقَرَّنَةً زِوَاجَا
وَأجْعَلُهَا سُلُوّاً بَعْدَ يَأسٍ ، وَمِنْ ألَمِ الصَّدى وِرْدَ الأُجَاجَا
أقاضٍ حَقٌّ قَبْرِكَ ذُو غَرَامٍ ، أعاجَ الرّكْبَ عَنْ طَرَبٍ وَعَاجَا
يُرِيقُ عَلَيكَ مَاءَ القَلْبِ صِرْفاً وَمَاءُ العَينِ يَجْعَلُهُ مِزَاجَا
وَلَوْ بَلَغَ المُنَى إنْسَانُ عَيْنِي ، خَلا مِنها وَأسكَنَكَ الحُجَاجَا[3]

١ الرمرام : نبت أغبر . النباج : قرية بالبادية .

٢ الخداج : القاء الناقة ولدها قبل تمامه .

٣ الحجاج : العظم الذي ينبت عليه الحاجب .

لا تيأسن

لا تَيْأسَنَّ ، فَرُبَّمَا عَظُمَ البَلاءُ وَفُرِّجَا
قَدْ يَنْسَخُ الخَوْفَ الأما نُ، وَيغلبُ اليأسَ الرَّجَا

الدنيا كثيرة الأزواج

إنّي إذا حَلَبَ البَخيلُ لِبَانَهَا ، أمْسَيْتُ أحلُبُها دَمَ الأوْداجِ
خَطَبَتْني الدّنيا فقُلتُ لها ارْجِعي إنّي أراكِ كَثِيرَةَ الأزْوَاجِ

لم يبق إلا مضغ

وَالعِيسُ قَدْ نَشَفَ مِنها السُّرَى صَفوَ العَرِيكاتِ، وَنِقيَ الأجاجْ
لَمْ يَبْقَ إلاّ مُضَغٌ لاكَهَا طولُ الطَّوَى،واستَرَطَتها الفِجاجْ

حرف الحاء

سيال اليدين

قال يمدح الطائع ويذم بعض أعدائه
وذلك سنة أربع وسبعين وثلاثمائة :

أُغارُ عَلى ثَرَاكَ مِنَ الرِّيَاحِ ، وَأَسْألُ عَنْ غَدِيرِكَ وَالمَرَاحِ
وَأجْهَرُ بالسَّلامِ وَدُونَ صَوْتي مَنيعٌ لا يُجَاوِزُ بالصِّيَاحِ
وَأهْوَى أنْ يُخَالِطَكَ الخُزَامَى وَيَلمَعَ في أبَاطِحِكَ الأقَاحي
وَكَمْ لي نَحوَ أرْضِكَ من مَسيرٍ ، دَفَعْتُ بِهِ الغُدُوَّ إلى الرَّوَاحِ
وَهذا الدّهرُ خَفّضَ من عُرَامي ، وَرَنّقَ مِنْ غَبُوقي وَاصْطِبَاحي
وَقَدْ كَانَ المَلامُ يُطِيفُ مِنّي بمُنجَذِبِ العِنَانِ إلى الجِمَاحِ
تَؤولُ النّائِبَاتُ إلى مُرَادي ، وَيُعطيني الزّمَانُ عَلى اقْتِرَاحي
وَعَالِيَةِ السّوَالِفِ وَالهَوَادي ، تَدافَعُ في الأسِنّةِ وَالصِّفَاحِ
إذا استَقصَينَ غَامِضَةَ الدّيَاجي ، فَقَأْتُ بِهِنّ عاشِيَةَ الصّبَاحِ
وَمُدّرِعٍ سَمَوْتُ لَهُ مُغِذّاً ، وَقَدْ غَرِضَ المُقَارِعُ بالرّمَاحِ

بِنَافِذَةٍ تَمَطَّقُ عَنْ نَجيعٍ ، تَمَطُّقَ شارِبِ المَقِرِ الصُّرَاحِ[1]

وَأُخْرَى في الضُّلُوعِ لهَا هَديرٌ ، هَديرَ الفَحْلِ قُرِّبَ للِقَاحِ

فَمَا لي تَطْلُبُ الأعْداءُ حَرْبي ، وَيُصْبِحُ جانِبِي غَرَضَ اللَّوَاحِ

أبَا هَرِمٍ ، وَأنْتَ تُرِيدُ ضَيمي ، بأيِّ يَدٍ تُطامِنُ مِنْ طَمَاحي

لَحِقْتُ أبي نِزَاعاً في المَعَالي ، وَعِرْقاً في الشّجَاعَةِ وَالسّمَاحِ

وَأنْتَ فَما لَحِقْتَ أبَاكَ إلاّ كَمَا لَحِقَ الذُّنَابَى بالجَنَاحِ

نُميتَ مِنَ العُقوقِ إلى المَخازِي، كَمَا يُنمَى الهَرِيرُ إلى النُّبَاحِ

فَنَحنُ نَرَى مكانَكَ مِنْ نِزَارٍ مكَانَ الدّاءِ في الأدَمِ الصِّحَاحِ

بَني مَطَرٍ دَعُوا العَلْيَاءَ يَطلَعْ إلَيْهَا كُلُّ مُنْذَلِقٍ وَقَاحِ

وَوَلّوا عَنْ مُقَارَعَةِ المَنَايَا ، وَلُقْيَانِ المُلَمْلَمَةِ الرَّداحِ

أيَخفَى لُؤمُ أصْلِكُمُ ، وَهَذي قُرُوفُكُم تَنِمّ عَلى الجِرَاحِ

تُعَيِّرُنَا القَبَائِلُ أنْ قَطَعْنَا قَرَائِنَ عَامِرٍ وَبَني رِيَاحِ

وَعَلّقْنَا مَطَامِعَنَا بِحَبْلٍ ، تُعَلِّقُهُ القُلُوبُ بِغَيرِ رَاحِ

وَكُلُّهُمُ يَجُرّونَ العَوَالي ، مُحَافَظَةً عَلى عُشْبِ البِطَاحِ

فَبَلِّغْ سَادَةَ الأحْيَاءِ أنّا سَلَوْنَا بالغِنَا ضَرْبَ القِداحِ

وَعِفْنَا القَاعَ نَسْكُنُهُ وَمِلْنَا عَنِ السَّمُرَاتِ وَالنَّعَمِ المِرَاحِ

وَطَبّقَتِ العِرَاقَ لَنَا قِبَابٌ نُظَلّلُهَا بِأطْرَافِ الرِّمَاحِ

[1] المقر : نبات مر .

نُعَلَّلُ بالزُّلالِ مِنَ الغَوَادي ، وَنُتْحَفُ بالنّسيمِ مِنَ الرّياحِ
وَجاوَرْنَا الخَليفَةَ حَيثُ تَسْمُو عَرَانِينُ الرِّجَالِ إلى الطِّمَاحِ
نُوَجِّهُ بِالثّنَاءِ لَهُ مَصُوناً ، وَنَرْتَعُ مِنْهُ في مَالٍ مُبَاحِ
وَسَيّالُ اليَدَينِ مِنَ العَطَايَا ، مَهِيبُ الجِدّ مَأمُونُ المُزَاحِ
إذا ابْتَدَرَ المَلامَ نَدَى يَدَيْهِ ، مَضَى طَلْقاً عَلى سُنَنِ المِراحِ
أميرُ المُؤمِنِينَ أذالَ سَيرِي ، ذُرَى هَذي المُعَبَّدَةِ الرِّزَاحِ[1]
فَكَمْ خاضَ المَطيُّ إليكَ بَحراً يَمُوجُ عَلى الأمَاعِزِ وَالضّوَاحي
سَرَابٌ كَالغَدِيرِ تَعُومُ فيهِ رُبًى كَغَوَارِبِ الإبِلِ القِمَاحِ[2]
وكَمْ لَكَ مِنْ غَرَامٍ بالمَعَالي ، وَهَمٍّ في الأمَاني وَارْتيَاحِ
وَأيّامٍ تَشُنّ بِهَا المَنَايَا عَوَابِسَ يَطّلِعْنَ مِنَ النّوَاحي
إذا رِيعَ الشّجاعُ بِهِنّ ، قُلْنَا : لأمْرٍ غَصّ بِالمَاءِ القَرَاحِ
فَلا نَقَلَ المُهَيْمِنُ عَنكَ ظِلاًّ مِنَ النَّعْمَاءِ لَيْسَ بِمُسْتَبَاحِ
وَوَاجَهَكَ الثّنَاءُ بِكُلّ أرْضٍ مُعاوِنَةٍ لِشُكْرِي وَامْتِداحي

١ أذاله : لم يحسن القيام عليه . المعبدة : المطلية بالقطران . الرزاح : التي سقطت إعياء أو هزالا .
٢ القماح : الممتنعة عن الشرب .

إلامَ أصفيكم ودي

قال يمدح أباه ويتألم لبعده وكان بفارس فيما كان أنفذ فيه للإصلاح بين الملكين بهاء الدولة وصمصامها ابني عضد الدولة والعسكرين البغدادي والفارسي وأقام يماطل بالعودة مدة طويلة وذلك في شهر رمضان من سنة سبع وثمانين وثلاثمــائة :

مثالُ عَينَيكَ في الظّبيِ الذي سَنَحا ، وَلّى، وَما دَمّلَ القَلبَ الذي جرَحَا

فرُحتُ أقبَضُ أثناءَ الحَشَا كَمَداً ؛ وَرَاحَ يَبسُطُ أثناءَ الخُطَا مرَحَا

صَفَحْتُ عَنْ دَمِ قَلبٍ طَلّهُ هَدَراً بُقْياً عَلَيْهِ ، فَما أبقَى وَلا صَفَحَا

حَمَى لَهُ كلَّ مَرْعًى سَهمُ مُقلَتِهِ وَمَوْرِدَ المَاءِ مَغْبُوقاً وَمُصْطَبَحَا

أمَاتِحٌ أنتَ غَرْبَ الدّمْعِ من كَمَدٍ عَلى الظّعائِنِ ، إذْ جاوَزْنَ مُطّلَحَا

أتْبَعْتُهُمْ نَظَراً تَدْمَى أوَاخِرُهُ ، وَقد رَمَلنَ عَلى رَملِ العَقيقِ ضُحَى[1]

فيهنَّ أحوَى غَضِيضُ الطَّرْفِ رِعيَتُهُ حَبُّ القُلُوبِ إذا مَا رَادَ أوْ سَرَحَا

عندي مِنَ الدّمعِ ما لَوْ كانَ وَارِدَهُ مَطيُّ قَوْمِكَ يَوْمَ الجِزْعِ ما نَزَحَا

غَادَرْنَ أسْوَانَ مَمطُوراً بِعَبْرَتِهِ يَنحُو مَعَ البارِقِ العُلْوِيّ أينَ نَحَا

يَرُوعُهُ الرّكْبُ مُجْتَازاً وَيُزْعِجُهُ زَجرُ الحُداةِ تَشُلّ الأينُقَ الطُّلُحَا[2]

هَلْ يُبلِغَنّهُمُ النّفسَ الّتي ذَهَبَتْ فيهِمْ شَعاعاً ، أوِ القَلبَ الذي قَرِحَا

١ رملن : هرولن في مشيهن .

٢ الطلح ، الواحد طليح : المعيي .

إنْ هانَ سَفحُ دَمي بالبَينِ عندَهُمُ ، فَوَاجِبٌ أن يَهونَ الدّمعُ إنْ سُفِحَا
قُلْ للعَوَاذلِ : مَهلاً فالمَشيبُ غَدَاً يَغدو عِقالاً لذي القَلبِ الذي طَمَحَا
هَيهاتَ أُحوَجُ مَعْ شَيبي إلى عَذَلٍ ، فالشّيبُ أعذَلُ مِمّنْ لامَني وَلَحَا
قِفْ طالعاً أيّها السّاعي ليُدْرِكَني ، فَبَعدَكَ الجَزَعُ المَغرُورُ قَدْ قَرَحَا
لا عَزّ أخبَثُنَا عِرْقاً ، وَأهْجَنُنَا أمّاً ، وَأصْلَدُنَا زَنْداً إذا قُدِحَا
أظُنّ رَأسَكَ قَدْ أعيَاكَ مَحمَلُهُ ، وَرُبّ ثِقْلٍ تَمَنّاهُ الذي طُرِحَا
كَمِ المُقَامُ عَلى جيلٍ سَوَاسِيَةٍ ، نَرْجو النّدى من إنَاءٍ قَلّ ما رَشَحَا
تَشَاغَلَ النّاسُ باستِدْفَاعِ شرّهِمُ عَنْ أنْ يَسُومَهم الإعطاءَ وَالمِنَحَا
في كُلّ يَوْمٍ يُنَادِيني لِبَيْعَتِهِ مُشَمِّرٌ في عِنَانِ الغَيّ قَدْ جَمَحَا
إنْ تُمنيَنّ لِمِنْدِيلٍ ، إذاً لَكُمُ مَتَى يَشَا مَاسِحٌ مِنكُمْ بهَا مَسَحَا
إلامَ أُصْفيكُمُ وُدّي عَلى مَضَضٍ ، وَكَمْ أُنيرُ وَأُسْدي فيكُمُ المِدَحَا[1]
يَرُومُ نُصْحيَ أقوَامٌ وَرَوْا كَبِدي ، وَالعَجزُ أنْ يُجعَلَ المَوْتورُ مُنتَصَحَا
أرَى جَنَانيَ قَدْ جَاشَتْ حَلائِبُهُ ، ما يَمنعُ القلبَ من فَيضٍ وَقد طَفَحَا
شَمّرْ ذُوَيلَكَ ، وَارْكَبها مذَكَّرَةً ، وَاطلُبْ عن الوَطنِ المَذموم مُنتدَحَا
وَحَمّلِ الهَمّ ، إنْ عَنّاكَ نَازِلُهُ ، غَوَارِبَ اللّيلِ وَالعَيرَانَةَ السُّرُحَا[2]
وَانفُضْ رِجالاً سقَوْكَ الغَيظَ أذنبَةً وَأوْرَثوكَ مَضيضَ الدّاءِ وَالكَشَحَا[3]

1 أنير ، من أنار الثوب : جعل له نيراً ، خلاف أسداه .
2 السرح : السريعة .
3 الكشح : داء في الكشح ، أي الخاصرة .

إنْ عَايَنُوا نِعْمَةً ماتُوا بِها كَمَداً ؛ وَإنْ رَأوْا غُمّةً طارُوا بهَا فَرَحَا

أوْهَتْ أكفُّهُمُ بَيْني وَبَيْنَهُمُ فَتْقاً بغَيرِ العَوَالي قَلّ ما نُصِحَا[1]

نَالُوا المَعَالي ، وَلَمْ تَعرَقْ جِباهُهُمُ فيها لُغُوباً ، وَما نالَ الذي كَدَحَا

سائِلْ عنِ الطّوْدِ لمْ خَفّتْ قَوَاعِدُهُ وَكَانَ إنْ مَالَ مِقْدارٌ بهِ رَجَحَا

قَدْ جرّبوهُ ، فَما لانَتْ شَكيمَتُهُ ، وَحَمّلُوهُ فَمَا أعْيَا وَلا رَزَحَا

رَمَوْا بِهِ الغَرَضَ الأقصَى ، فشافَهَهُ ، مَرَّ القطاميّ جَلّى بَعدَمَا لَمَحَا[2]

مِنَ العِرَاقِ إلى أجْبالِ خُرّمَةٍ ؛ يا بُعْدَهُ مَنْبَذاً عَنّا وَمُطّرَحَا[3]

لَيسَ المَلُومُ الذي شَدّ اليَدَينِ بهِ ، بَلِ المَلُومُ المُرَزّا مَنْ بِهِ سَمَحَا

هُوَ الحُسَامُ ، فَمَنْ تَعلَقْ يداهُ به يَضْمَمْ على الصّفقَةِ العظمى وَقد رَبِحَا

إنْ أغْمَدُوهُ فَلَمْ تُغْمَدْ فَضَائِلُهُ وَلا نَأى ذِكْرُهُ الدّاني ، وَقد نَزَحَا

أهدَى السّلامَ إلَيكَ اللهُ ما حَمَلَتْ غَوَارِبُ الإبِلِ الغَادِينَ وَالرَّوَحَا

وَلا أغَبّ بِلاداً أنْتَ سَاكِنُهَا مَسرَى نَسيمٍ يُميطُ الداءَ إنْ نَفَحَا

أغْدُو عَلى سُبُلِ الأنْوَاءِ مُشْتَرِطاً سُقْيَاكَ في البَلَدِ النّائي وَمُقْتَرِحَا

أفرَدْتَ للهَمّ صَدْراً مِنْكَ مُتّسِعاً عَلى الهُمومِ ، وَقلباً منكَ مُنْشَرِحَا

كَساهُمُ البُهمَةَ الدّهماءَ عَجزُهمُ ، وَالعَزْمُ ألبَسَكَ التّحجيلَ وَالفَرَحَا[4]

---

١ نصح : خيط .

٢ القطامي : الصقر .

٣ خرمة : قرية بفارس . منبذ ، من نبذه : طرحه ورمى به

٤ البهمة : الخطة الشديدة .

عَلَّ اللّيَالِيَ أنْ تُثْنَى بِعَاطِفَةٍ ، فيَستقيلَ زَمَانٌ بَعدَما اجترَحَا
كمَا رَمَى الدّاءُ عُضْواً بَعدَ صِحّتِهِ كذا إذا التاثَ عُضْوٌ رُبّما اصْطلَحَا
فكَمْ تَلاحَكَ بابُ الخَطبِ ثمّ رُمي بقارِعٍ مِنْ يَمينِ اللهِ ، فانْفتَحَا[1]
وَكَمْ تَلاحَمَ كَرْبٌ عِندَ مُعْضِلَةٍ فانجَابَ عَنْ قَدَرٍ لله ، وَانفَسَحَا
أرَى رِجالاً كَبُهْمِ القَاعِ عِندَهُمُ سِيّانِ مَنْ مَزّقَ الآرَاءَ أوْ صَرَحَا[2]
يَعْلُو عَلى قُلَلِ الأعْنَاقِ بَينَهُمُ مَن غَشّ رِئياً وَيُوطا عنقُ مَن نَصَحَا[3]
تَظاهَرُوا بِنِفَاقِ الغَيّ عِنْدَهُمُ حتّى ادّعاهُ على مكرُوهِهِ الفُصَحَا

عظيم من قريش

قال في القادر بالله وقد جلس للناس ودخل إليه في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمـائة :

تَخَطّيْنَا الصّفُوفَ إلى رِوَاقٍ ، تَحَجّبَ بالصّوَارِمِ وَالرّمَاحِ
وَحَيّيْنَا عَظيماً مِنْ قُرَيْشٍ ، كَأنّ جَبِينَهُ فَلَقُ الصّبَاحِ
عَلَيْهِ سِيمِيَاءُ المُلْكِ يَبْدُو وَعُنْوَانُ الشّجَاعَةِ وَالسَّمَاحِ

١ تلاحك : تداخل .
٢ البهم : الحيوانات العجم .
٣ الرئي : حسن المنظر .

آنا ابن الآئمة

قال رحمه الله يفتخر :

عَقَدْنَا لِوَاءَ العُلَى وَالسَّمَاحِ[1] بِرُؤْمِ السَّيُوفِ وَغَرْبِ الرِّمَاحِ

يَلْقَى الطِّعَانَ بِرُمْحٍ وَقَاحِ وَكُلُّ غُلامٍ حَيِيِّ اللِّحَاظِ ،

نَشَاوَى تَقَاضَى صُدُورَ الصِّفَاحِ إِذَا مُطِلَ الثَّارُ جَرَّ القَنَا

قِ ،وَجَرَّدَهَا في بَيَاضِ الأَقَاحِ فَأَغْمَدَهَا في احْمِرَارِ الشَّقِيـ

تَعْثُرُ فيهَا بِبَيْضِ الأَدَاحِي[2] بِكُلِّ فَلاةٍ تَقُودُ الجِيَادَ

وَيُنْعِلُ أَرْسَاغَهَا بِالبِطَاحِ فَيُلْجِمُ أَعْنَاقَهَا بِالجِبَالِ ،

مِ ، أَنْهَبْتُ جِلْدَتَهُ لِلسِّلاحِ وَأَشْقَرَ يَسْرِقُ صِبْغَ المُـدا

طَارَتْ بِهِ غُلَوَاءُ المِرَاحِ[3] إِذَا يَابِسُ المَاءِ بَلَّ الحِزَامَ ،

مَجَالَ الفَوَاقِعِ في كَأسِ رَاحِ تَجُولُ القُرُونُ بِأَعْطَافِهِ ،

وَيَرْمِي الغُدُوَّ بِسَهْمِ الرَّوَاحِ يَشُقُّ الظَّلامَ بِسَيْفِ الضُّحَى ،

لِلذُّلِّ يَخْبِطُ ، وَالعِزُّ ضَاحِ[4] فَيَا رَاكِبَ العَجْزِ مُرْخِي العِنَانِ

١ قوله : برؤم السيوف ، هكذا في الأصل ولعلها محرفة .

٢ قوله : تقود الجياد ، هكذا في الأصل ولعلها تؤود : تفسك . الأداحي ، الواحدة أدحية مبيض النعام في الرمل .

٣ غلواء المراح : سرعته .

٤ الضاحي : الذي لا ظل له .

تقَاضَ المَطالِبَ وَاستَنْبِطِ الـ رّجاءَ وَنَبّهْ عيُونَ النّجاحِ

فلَوْلا المَطامِعُ تَحدُو الطّلابَ، لمَا خفَقَتْ قادِمَاتُ الجَناحِ

وَمَا العَيْشُ عِندِيَ إلاّ الإباءُ، وَبُعْدِي عَنِ المَنزِلِ المُستَباحِ

أُحِبُّ الخيَامَ وَسُكّانَهَا وَأحْسُدُ كُلّ بَعِيدِ المَرَاحِ

وَأغْبِطُ كُلّ فتًى لا يزَالُ عِبْئاً علَى الزّاعِبَاتِ القِمَاحِ[1]

يُخاطِرُ فيهَا بِعقْرِ السَّوَامِ، وَيَشْرَبُ مِنْهَا لِبَانَ اللّقَاحِ

طرُوبُ المَسامِعِ أينَ استَقَلّ صَهِيلُ الجِيَادِ وَجرْسُ النّبَاحِ

وَمَنْ لي بِأنْ أتَلافَى الخُطُوبَ، إنْ نَافرَتْني صُدُورُ الرّمَاحِ

وَمَنْ لي بِتَقْبِيلِ كَفّ الزّمَا نِ مِنْ قَبلِ تَوْقِيعِها باطّرَاحي

كبَا الدّهْرُ بَيْني وَبَينَ المُنَى ، وَطَالَ بزَنْدِ الرّجَاءِ اقتِداحي

أرَى الحِلمَ يَطوِي سِبابَ الرّجالِ ، وَالجَهْلَ يَنْشُرُهُ في التّلاحي

فيُحسَبُ عَيّاً سُكوتُ الحَليمِ ، وَيُعطَى السّفيهُ حُظُوظَ الفِصَاحِ

أُكاشِرُ أبْنَاءَ هَذا الزّمَانِ ، وَأهزَأُ مِنْ نُبْلِهِمْ بامْتِداحي

فبَيْنَ البَوَاطِنِ حَلّ الطّلاقِ ؛ وَبَيْنَ الظّوَاهِرِ عَقْدُ النّكَاحِ

وَإنّي لأحْفَظُ غَيْبَ الخَليلِ إنْ ضَاعَ وَاستَلَبَتْهُ اللّوَاحي

وَإنّي لأقْصِفُ بَطْشَ الفتَى ، وَلَوْ رَدّ بَاعَ القَضَاءِ المُتَاحِ

تَكَدَّرُ دُوني نِطَافُ الكَلامِ ، وَأصقُلُهَا بِالبَيَانِ الصُّرَاحِ

[1] الزاعبات ، من زعب البعير : إذا مر مثقلا أو سريعاً . القماح، من قمح البعير : رفع رأسه عند الحوض وامتنع من الشرب .

أدافِعُ بالجِدّ عَنْ غايَةٍ ، وَلَوْ شِئْتُ بُلّغْتُها بِالمُزاحِ
أرَاني سَيُخْلِقُ عُمرِي الزّمانَ ، وَكُلّ ظَلامٍ جَدِيدِ الصّبَاحِ
زَجَرْتُ السّرُورَ ، فَمَا يُجتَنَى بِغَيرِ العُلَى طَلَبي وَارْتِيَاحي
فَبِاللهِ يَا نَشَوَاتِ الشَّمُولِ عُودي إلى نَفَحَاتِ الرّيَاحِ
وَصُوني عَنِ السّكْرِ مَن لا يزَالُ يُنَدّي المُدامَ بِماءِ القَرَاحِ
أعَافُ ابنَةَ الكَرْمِ لا ابنَ الغَمَا مِ ، بَينَ غَبوقي ، وَبين اصْطِباحي
يَمُرّ الغِنَـاءُ فَيَعْتَاقُني ، وَعِشقُ الحرُوبِ ثنى من جِماحي
وَلَوْ لمْ أغَنّ بِذِكْرِ السّيُوفِ ، لَقَلّ عَلى النّغَماتِ ارْتِيَاحي
وَسَمْرَاءَ تَرْشُفُ ظَلْمَ القُلُو بِ ، قَذّافَةٍ بالنّجيعِ المُبَاحِ
تُطَارِدُ في كُلّ مَلْمُومَةٍ مُنَطّقَـةٍ بِالعَوَالي رَداحِ
تُرِيقُ عَلَيْها كُؤوسَ الدّمَا ءِ بالطّعنِ وَالمَوْتُ نَشوَانُ صَاحِ
فَنَخضِبُ فيها جِباهَ الظُّبَى ، وَنُرْمِدُ فيهَا عُيُونَ الجِرَاحِ
كَأنّا نَرَى الضّرْبَ نَحرَ السّوَامِ ، وَنَحتَسِبُ الطّعنَ ضَرْبَ الصِّفاحِ
فمَنْ ذا أُسَامي ، وَجَدّي النبيُّ ، أمْ مَنْ أُطاوِلُ أمْ مَنْ أُلاحي
أنَا ابنُ الأئِمّةِ وَالنّازِلِينَ كُلَّ مَنيعِ الرُّبَى وَالبَرَاحِ[1]
وَأيْدٍ تُصَافِحُ أيدي الكِرَامِ ، وَإنْ نَفَرَتْ مِنْ أكُفّ الشِّحاحِ
إذا استُصرِخُوا عَصَفُوا بالصّبَا حِ بَينَ الظُّبَى وَالوُجوهِ الصِّباحِ

[1] البراح : المتسع من الأرض لا زرع فيه ولا شجر .

وَسَالوا إلى الطّعنِ سَيلَ القَنَا ، وَمَالُوا على الضّرْبِ مَيلَ الصِّفاحِ
نَشَرْنَا عَلَى عَذَبَاتِ الرّيَـا حِ كُلَّ لِوَاءٍ صَقِيلِ النّوَاحي
وَأحْسَابُنَا سَامِيَاتُ الأُنُوفِ بَينَ المَقَامِ وَبَينَ الضُّرَاحِ[1]

انوف بي معد

بَعضَ المَلامِ فقدْ غَضَضْتُ طَماحي ، وَكَفَيتُ من نَفسِي العَذولَ اللاّحي[2]
مِنْ بَعْدِ مَا خَطَرَ الصِّبَا بمَقادَتي ، وَجَرَى إلى الأمَدِ البَعيدِ جِماحي
عِشرُونَ أوْجَفَ في البَطالَةِ خَلفَهَا عَامَانِ غَلاّ مِنْ يَدَيّ مِرَاحي
زَمَنٌ يَخِفّ بِهِ الجَنَاحُ إلى الصِّبَا ؛ لمّا ظَفِرْتُ بهِ خَفَضْتُ جَنَاحي
أُغضِي عَنِ المَرْأى الأنيقِ زَهَادَةً فيهِ . وَأدْفَعُ لَذّتي بِالرّاحِ
أمَعاهِدَ الأحْبَابِ ! هَلْ عَوْدٌ إلى مَغدًى نَبُلّ بِهِ الجَوَى وَمَرَاحِ
يَكْفيكِ مِنْ أنْفَاسِنَا وَدُمُوعِنَا أنْ تُمطَرِي مِنْ بَعدِنَا وَتُرَاحي
فَلَرُبّ عَيشٍ فيكِ رَقّ نَسيمُهُ . كَالمَاءِ رَقّ عَلَى جُنُوبِ بِطَاحِ
وَتَغزّلٍ كَصَبَا الأصَائِلِ أيْقَظَتْ رَيّا خُزَامَى بِاللّوَى وَأقَاحِ

---

١ الضراح : البيت المعمور في السماء الرابعة .

٢ قوله : بعض الملام ، أراد لم بعض الملام . الطماح : الجماح .

كَمْ فيكِ من صَاحي الشّمائلِ مُنتشٍ   بالدّلّ ، أوْ مَرْضَى العيونِ صِحاحِ
فَسقَى اللّوَى صَوْبُ الغَمَامِ وَدَرُّهُ ،   وَسَقَى النّوَازِلَ فيه صَوْبُ الرّاحِ
وَغَدا فَرَوّحَ ذاكَ عَن تِلكَ الرُّبَى ،   وَسَرَى فَرَوّحَ ذا عَنِ الأرْوَاحِ
فلَطَالَمَا أقْصَدَتْني ظَبَيَاتُهُ ،   وَأرِقْتُ فيهِ لِبَارِقٍ لَمّاحِ
وَالتَحتُ مِنْ كَمَدٍ إليهِ ، وَوِرْدُهُ   نَاءٍ يُعَذّبُ غُلّةَ المُلْتَاحِ
أيّامَ في صِبغِ الشّبَابِ ذَوَائِبِي ،   وَإلى التّصَابي غُدْوَتي وَرَوَاحي
قَوْمي أُنُوفُ بَني مَعَدٍّ وَالذُّرَى   مِنْ وَاضِحٍ فيهِمْ وَمِنْ وَضّاحِ
السّابِقُونَ إلى عُلًى وَمَفَاخِرٍ ،   وَالغَالِبُونَ عَلى نَدًى وَسَمَاحِ
ذَهَبُوا بِشَأوِ المَجْدِ ثُمّ تَلَفّتُوا   هُزُوءاً إلى الطُّلاّعِ وَالطُّلاّحِ[1]
شُوس الحَوَاجِبِ مُغضَبينَ وَفي الرّضَى   ما شِئْتَ مِنْ بِيضِ الوُجوهِ صِبَاحِ
وَرِثُوا المَعالي بالجُدودِ ، وَبَعدَهَا   بضِرَابِ مُرْهَفَةٍ وَطَعْنِ رِمَاحِ
وَقِيَادِ مُخْطَفَةِ الخُصُورِ كَأنّهَا   العِقبانُ تَحتَ مُجَلجِلٍ دَلاّحِ[2]
يَغْبُقْنَ لَيْلاً بالغَبِيقِ وَتَارَةً ،   يَصْبَحْنَ بالغارَاتِ كُلَّ صَبَاحِ[3]
ضَرَبَتْ بِعِرْقي دَوْحَةٌ نَبَوِيّةٌ ،   في مَنصِبٍ وَارِي الزّنَادِ صُرَاحِ
يُنمى إلى أعياصِ خَيْرِ أرُومَةٍ ،   لَيْسَتْ بعَشّاتِ الفُرُوعِ ضَوَاحِ[4]

١ الطلاح : الملحون .
٢ أراد بمخطفة الخصور : الخيول . المجلجل : المصوت . الدلاح : كثير الماء .
٣ قوله بالغبيق : هكذا في الأصل ولم نجد هذه اللفظة في المعاجم ، ولعلها محرفة عن غبوق وهو ما يشرب أو ما يحلب في العشي .
٤ الأعياص: الأصول. العشات: اللئيمات المنبت الدقيقة الأغصان. الضواحي: الأشجار التي لا ظل لها.

وَأبي الذي حَصَدَ الرِّقابَ بِسَيْفِهِ ، في كُلِّ يَوْمِ تَصَادُمٍ وَنِطَاحِ
رُدَّتْ إليهِ الشّمسُ يُحدِثُ ضَوْءُها صُبْحاً عَلى بُعْدٍ مِنَ الإصْبَاحِ
سَائِلْ بِهِ يَوْمَ الزُّبَيرِ مُشَمِّراً ، يَختَالُ بَيْنَ ذَوَابِلٍ وَصِفَاحِ
وَاسْألْ بِهِ صِفّينَ إنّ زَئِيرَهُ أوْدَى بِكَبْشِ أُمَيّةَ النّطّاحِ
وَاسْألْ شُرَاةَ النّهْرَوَانِ ، فإنّهُمْ ضُرِبُوا بِمُنْذَلِقِ اليَدَينِ وَقَاحِ[1]
كَمْ مِنْ طَعِينٍ يَوْمَ ذاكَ مُرَمَّلٍ ، وَحَرِيمِ عِزٍّ بِالطّعَانِ مُبَاحِ[2]
وَمَنَاقِبٍ بِيضِ الوُجُوهِ مُضِيئَةٍ ، أبَداً ، تُكَاثِرُ ألْسُنَ المُدّاحِ
مَنْ قَاسَ ذا شَرَفٍ بِهِ ، فكَأنّما وَزَنَ الجِبَالَ القُودَ بالأشْبَاحِ[3]
قَدْ قُلْتُ للعَادي عَلَيّ بِبَغْيِهِ : مَهْلاً ، فَمَا يَلْحُو القَتادَةَ لاحي[4]
فحَذارِ إنْ مطَرَتْ عليكَ صَوَاعقي؛ وَحَذارِ إنْ هَبّتْ عَلَيْكَ رِيَاحي
أوْفَى الصّبَاحُ فَشَقّ كُلَّ دُجُنّةٍ ، وَعَلا الزّئِيرُ فَغَضّ كُلَّ نُبَاحِ
أنا مَن علمتَ، على المُكاشحِ مُرْهَفٌ نَابي ، وَشَاكٍ في الخِصَامِ سِلاحي
وَأبَيتُ أنْ أُعطي الأعادي مِقوَدي ، أوْ أنْ تَدُرّ عَلى الهَوَانِ لَقَاحي
مِنْ بَعدِ ما أوْضَعتُ في طُرُقِ العُلى، وَأضَرّ بِالأعْداءِ طُولُ كِفَاحي
وَسَحَبتُ من خُلَعِ الخلائفِ طارِفاً لحَظَاتِ كُلِّ مُعَانِدٍ طَمّاحِ

١ الشراة : الذين خرجوا في النهروان على الإمام علي
٢ المرمل : الملطخ بالدم .
٣ القود : المستطيلة .
٤ القتادة : شجرة صلبة لها شوك كالإبر .

وَوَلِيتُ في السِّنِّ القَرِيبَةِ أُسْرَتي ، فَوَكَلْتُ فَاسِدَهُمْ إلى إصْلاحي
بِمَهَابَةٍ عَمّتْ بِغَيرِ تَكَبّرٍ ، وَصَرَامَةٍ أدْمَتْ بِغَيْرِ جِرَاحِ
حِلْمٌ كَحَاشِيَةِ الرّداءِ ، وَدُونَهُ بَأسٌ يَدُقّ عَوَامِلَ الأرْمَاحِ
فَلَئِنْ عَلَوْتُهُمُ ، فَلَيسَ بمُنكَرٍ إمّا عَلَتْ غُرَرٌ عَلى أوْضَاحِ[1]
فَالآنَ أمْدَحُ غَيرَ مَولَى نِعمَةٍ ، لَوْ كُنتُ أُنصَفُ كانَ من مُدّاحي
بُعْداً لِدَهْرٍ خَاضَ بي أهْوَالَهُ ، وَأجَازَني غَمْراً إلى ضَحضَاحِ
لا دَرّ دَرّي إنْ رَضِيتُ بِذِلّةٍ تَلْوِي يَدي وَتَرُدّ غَرْبَ طَماحي
مِنْ دُونِ قَوْدِ الجُرْدِ تَمرِي جَرْيها رَبَلاتُ كُلّ مُغامِرٍ جَحجَاحِ[2]
عَنَقاً عَلى عُنُقِ الطِّلابِ تَحُثّهَا هِمَمٌ ضَمِنّ عَوَائِدَ الإنْجَاحِ[3]
فُطُعٌ البِلادِ وَرَاءَ قاضِيَةِ العُلَى مُتَغَرّباً عَنْ مَوْطِني وَمَرَاحي
أشْهَى إليّ مِنَ النّعيمِ يَدومُ لي ، وَألَذُّ مِنْ نَعَمٍ عليّ مُرَاحِ
إنّي إلى العَذْبِ النّميرِ أصَابَني بِيَدِ الهَوَانِ شَرِبْتُ بِالأمْلاحِ
دَعْني أُخَاطِرْ بالحَيَاةِ ، وَإنّمَا طَلَبُ الرّجَالِ العِزَّ ضَرْبُ قِداحِ
إمّا لِقَاءُ المُلْكِ قَسْراً ، أوْ كَمَا لَقيَ ابنُ حُجْرٍ مِنْ يَدِ الطّمّاحِ

[1] الأوضاح ، الواحد وضح : البرص .
[2] تمري جريها : تستدره . الربلات ، الواحدة ربلة : لحمة باطن الفخذ .
[3] العنق : السير السريع .

الراح والراحة ذل

قال رضي الله عنه

نَبّهتُهُمْ مِثْلَ عَوَالي الرِّمَاحْ | إلى الوَغَى قبلَ نُمُومِ الصّبَاحْ
فَوَارِسٌ نَالُوا المُنَى بِالقَنَا ، | وَصَافَحُوا أعْرَاضَهُمْ بالصِّفَاحْ
لِغَارَةٍ سَامِعُ أنْبَائِهَا | يَغَصّ مِنْهَا بالزّلالِ القَرَاحْ
لَيسَ عَلى مُضْرِمِهَا سُبّةٌ ؛ | وَلا عَلى المُجْلِبِ مِنها جُنَاحْ
دُونَكُمُ ، فابتَدِرُوا غُنْمَهَا ، | دُمًى مُباحاتٍ ، وَمَالٌ مُبَاحْ
فَإنّنَا في أرْضِ أعْدائِنَا | لا نَطَأُ العَذْرَاءَ إلاّ سِفَاحْ
يا نَفْسُ مِنْ هَمٍّ إلى هِمّةٍ ، | فلَيسَ من عِبْءِ الأذى مُسترَاحْ
قَدْ آنَ للقَلْبِ الّذي كَدّهُ | طُولُ مُناجاةِ المُنى أنْ يُرَاحْ
لا بُدّ أنْ أرْكَبَهَا صَعْبَةً | وَقَاحَةً تَحْتَ غُلامٍ وَقَاحْ
يُجْهِدُهَا ، أوْ يَنْثَني بِالرّدَى | دُونَ الذي قُدّرَ ، أوْ بالنّجَاحْ
الرّاحُ وَالرّاحَةُ ذُلُّ الفَتَى ، | وَالعِزُّ في شُرْبِ ضَرِيبِ اللِّقَاحْ[1]
في حَيثُ لا حُكْمٌ لغَيرِ القَنَا ، | وَلا مُطَاعٌ غَيرَ داعي الكِفَاحْ
مَا أطْيَبَ الأمْرَ ، وَلَوْ أنّهُ | عَلى رَزَايَا نَعَمٍ في مَرَاحْ[2]

١ الضريب : ما حلب بعضه فوق بعض من عدة لقاح .

٢ الرزايا : الضعاف .

وَأشْعَثِ المَفْرِقِ ذي هِمّةٍ ، طَوّحَهُ الهَمُّ بَعيداً ، فَطَاحْ
لمّا رَأى الصّبْرَ مُضِراً بِهِ ، رَاحَ،وَمَن لمْ يُطِقِ الذّلّ رَاحْ
دَفعاً بصَدْرِ السّيْفِ لَمّا رَأى ألاّ يَرُدّ الضّيْمَ دَفعاً بِرَاحْ
مَتَى أرَى الزّوْرَاءَ مُرْتَجّةً ، تُمطَرُ بالبِيضِ الظُّبَى أوْ تُرَاحْ
يَصِيحُ فيهَا المَوْتُ عَنْ ألسُنٍ مِنَ العَوَالي وَالمَوَاضِي فِصَاحْ
بِكُلّ رَوْعَاءَ عُظَيْنِيّةٍ يَحتَثّهَا أرْوَعُ شَاكي السّلاحْ[1]
كَأنّمَا يَنْظُرُ مِنْ ظِلّهَا نَعَامَةً زَيّافَةً بِالجَنَاحْ
مَتى أرَى الأرْضَ وَقَدْ زُلزِلَتْ بِعارِضٍ أغْبَرَ دامي النّوَاحْ
مَتى أرَى النّاسَ وَقَدْ صُبّحُوا أوَائِلَ اليَوْمِ بِطَعْنٍ صُرَاحْ
يَلتَفِتُ الهَارِبُ في عِطْفِهِ مُرَوَّعاً يَرْقُبُ وَقْعَ الجِرَاحْ
مَتى أرَى البِيضَ وَقَدْ أمْطَرَتْ سَيلَ دَمٍ يَغْلِبُ سَيلَ البِطاحْ
مَتى أرَى البَيضَةَ مَصْدُوعَةً عَنْ كُلّ نَشْوَانَ طَوِيلِ المِرَاحْ
مُضَمَّخِ الجِيدِ ، نَؤومِ الضُّحَى ، كَأنّهُ العَذْرَاءُ ذاتُ الوِشَاحْ
إذا رَداحُ الرّوْعِ عَنّتْ لَهُ ، فَرّ إلى ضَمّ الكَعَابِ الرَّداحْ
قَوْمٌ رَضُوا بالعَجزِ ، وَاستَبدَلوا بالسّيْفِ يَدمَى غَرْبُه كاسَ رَاحْ
تَوَارَثُوا المُلكَ ، وَلَوْ أنْجَبُوا لَوَرّثُوهُ عَنْ طِعَانِ الرّمَاحْ
غَطّى رِداءُ العِزّ عَوْرَاتِهِمْ ، فافتُضِحُوا بالذّلّ أيَّ افتِضَاحْ

[1] العظينية : المنتفخة البطن من أكل شجر العظين .

إنّيَ وَالشّاتِمَ عِرْضِي كَمَنْ رَوّعَ آسَادَ الشّرَى بالنّبَاحْ

يَطْلُبُ شَأْوِي ، وَهْوَ مُسْتَيْقِنٌ أنّ عِنَانِي في يَمِينِ الجِمَاحْ

فَارْمِ بِعَيْنَيْكَ مَلِيّاً تَرَى وَقعَ غُبارِي في عُيونِ الطِّلاحْ[1]

وَارْقَ عَلى ظَلْعِكَ ، هَيهاتَ أنْ يُزَعْزِعَ الطّوْدُ بِمَرّ الرّيَاحْ[2]

لا هَمّ قَلْبِي بِرُكُوبِ العُلَى يَوْماً ، وَلا بَلّ يَدَيّ السَّمَاحْ

إنْ لمْ أنَلْهَا باشْتِرَاطٍ ، كَمَا شِئْتُ عَلى بِيضِ الظُّبَى وَاقْتِرَاحْ

أفُوزُ مِنْهَا بِاللُّبَابِ الّذي يُغْني الأمَاني نَيْلُهُ وَالصُّرَاحْ

فَمَا الذي يُقْعِدُني عَنْ مَدًى لا هُوَ بِالنّسْلِ ، وَلا باللِّقَاحْ

طُلَيْحَةٌ مَدّ بِأضْبَاعِهِ ، وَغَرّ قَبْلِي النّاسَ حَتّى سجَاحْ[3]

يَطْمَحُ مَنْ لا مجْدَ يَسْمُو بهِ ، إنّي إذاً أُعْذَرُ عِنْدَ الطِّمَاحْ

وَخِطّةٍ يَضْحَكُ مِنْهَا الرّدَى ، عَسرَاءَ تَبرِي القَوْمَ بَرْيَ القِداحْ

صَبرْتُ نَفْسِي عِنْدَ أهوَالِهَا ، وَقُلْتُ : مِنْ هَبوَتِهَا لا بَرَاحْ

إمّا فَتًى نَالَ العُلَى فاشْتَفَى ، أوْ بَطَلٌ ذاقَ الرّدَى فاستَرَاحْ

١ الطلاح : شجر عظام .

٢ ارق على ظلعك : أصلح نفسك ، لا تجاوز حدك في وعيدك .

٣ طليحة : هو ابن خويلد تنبأ ثم أسلم . الأضباع : الأعضاد . سجاح : امرأة تنبأت .

نفرت بنات الصبر

قال أيضاً يذكر غرضاً في نفسه :

في كُلّ يَوْمٍ لِلأحبةِ مَطْرَحُ ، وَعَلى المَنَازِلِ للمَدامِعِ مَسفَحُ
شَوْقٌ عَلى نَـأيِ الدّيَارِ مُغَالِبٌ ، وَجَوًى عَلى طُولِ المَطالِ مُبَرِّحُ
نَفَرَتْ بَنَاتُ الصّبرِ مِنكَ ، وَطَالمَا قُصِرَتْ نَوَازعُ عن ضَميرِكَ تَطمَحُ
يَا هَلْ يُمَانِعُ بَعْدَ طُولِ قِيادِهِ قَلْبٌ يُطاوِعُ في القِيادِ وَيَسْمَحُ
وَعَلى المَطِيّ ظِبَاءُ وَجْرَةَ كُلّمَا غَفَلَ المُرَاقِبُ تَشرَئِبّ وَتَسنَحُ[1]
خَالَسنَنَا النّظَرَ المُرِيبَ ، كَمَا رَنَتْ بَقَرُ الجَوَاءِ إلى وَميضٍ يَلمَحُ
يَبْسِمْنَ عَنْ بَرْدِ الغَمامِ وَبَرْدُهُ رَيّانُ يُغْبَقُ بالمُدامِ وَيُصْبَحُ
كَلّفْتَ عَيْنَكَ نَظْرَةً مَزْؤودَةً مَنَعَتْكَ لَذّتَهَا مَدامعُ تَسفَحُ[2]
أمْسَوْا كَأنّ لَطَائِماً دارِيّةً باتَتْ تَضُوعُ مِنَ القِبابِ وَتَنفَحُ[3]
مَلَكُوا وَلَمّا يُحسِنُوا وَوَلُوا وَلَمّا يَعدِلُوا وَغَنُوا وَلَمّا يَسمَحُوا
قُلْ للّيَالي قَد مَلَكْتِ فأسجِحي، وَلِغَيرِكِ الخُلُقُ الكَرِيمُ الأسجَحُ[4]

---

١ وجرة : موضع عرف بظبائه . تشرئب : تمد أعناقها . تسنح : تعرض .
٢ مزؤودة : مفزعة .
٣ اللطائم ، الواحدة لطيمة : وعاء المسك . دارية : نسبة إلى دارين وهي مشهورة بمسكها .
٤ اسجحي : أحسني .

مِنْ أيّ خَطبٍ مِنْ خُطوبكِ أشتكي ، وَعَنَ ايّ ذَنْبٍ من ذُنوبِكِ أصْفحُ
إنْ أشْكُ فِعلَكِ مِنْ فِراقِ أحِبّتي ، فَلَسُوءُ فِعلِكِ في عِذارِي أقبَحُ
ضَوْءٌ تَشَعشَعَ في سَوَادِ ذَوَائِبي ، لا أستَضِيءُ بِهِ وَلا أستَصْبِحُ
بعتُ الشّبَابَ بِهِ ، على مِقَةٍ لَهُ ، بَيْعَ العَلِيمِ بِأنّهُ لا يَرْبَحُ
لا تُنْكِرَنّ مِنَ الزّمَانِ غَرِيبَةً ، إنّ الخُطُوبَ قَلِيبُهَا لا يَنْزَحُ
للذّلّ بَينَ الأقرَبِينَ مَضَاضَةٌ ، وَالذّلُّ مَا بَينَ الأبَاعِدِ أرْوَحُ
وَإذا رَمَتْكَ مِنَ الرّجَالِ قَوَارِصٌ ، فسِهامُ ذي القُرْبَى القَرِيبَةِ أجرَحُ
الْبَسْ نَسيجَ الذّلّ إنْ أُلْبِسْتَهُ مُتَمَلْمِلاً ، وَإنَاءُ قَلْبِكَ يَطفَحُ
مَا دُمْتَ تَنتَظِرُ العَوَاقِبَ لابِداً لا تَغْتَدي لِعُلًى وَلا تَتَرَوّحُ[1]
وَضَجيعُكَ العَضْبُ الذي لا يُنتضَى ، وَخَليطُكَ الزّوْرُ الذي لا يَبْرَحُ
وَاعلَمْ بِأنّ البَيْتَ، إنْ أوطِنْتَهُ، سِجنٌ ،وَطُولُ الهَمّ غُلٌّ يَجرَحُ
أأُخَيّ لا تَكُ مُضْغَةً مَزْرُودَةً ، تَنْسَاغُ لَيّنَةَ القِيَادِ وَتَسْرَحُ[2]
ألاّ أبَيتَ ، وَأنْتَ مِنْ جَمَرَاتِهَا ؛ وَمِنَ العَجَائِبِ جَمْرَةٌ لا تَلْفَحُ
كُنْ شَوْكَةً يُعيي انتقاشُ شَبَاتِها ، أوْ حَمْضَةً يَشجَى بِهَا المُتَمَلّحُ[3]
وَانفُضْ يَدَيكَ من الثّرَاءِ فكم مضَى مِنْ دونِ ثَرْوَتِهِ البَخيلُ المُصْلِحُ

[1] لابداً ، من لبد بالمكان : أقام فيه .
[2] المزرودة : المبتلعة .
[3] الانتقاش : الاستخراج . الشباة : حد كل شيء ، وإبرة العقرب . الحمضة : ما ملح وأمر من النبات . يشجى ، من الشجا : اعتراض عظم أو نحوه في الحلق . المتملح : أراد الذي يأكلها .

يَبْقَى لِوَارِثِهِ كَرَائِمُ مَالِهِ ، وَلَقَدْ يُرَقِّعُ عَيْشَهُ وَيُرَقِّحُ[1]

قَدْ يُنْتِجُ المَرْءُ العِشَارَ بِجِدِّهِ ، وَسِوَاهُ يَعْتَامُ الفُحُولَ وَيُلْقِحُ[2]

لا عُذْرَ إلاّ أنْ أرَى سُرْبَاتِهَا سَوْمَ الجَرَادِ يَثُورُ مِنها الأبطَحُ[3]

وَالهَامُ تَعْتَصِبُ العَجَاجَ كَأنّهُ في الجَوّ شُؤْبُوبُ الغَمَامِ الأمْلَحُ

قَوْمي الأولى ضَمِنَتْ لهُمْ أحسابُهُمْ أنّ الزّمَانَ بِمِثْلِهِمْ لا يَسْمَحُ

عرَكُوا أدِيمَ الأرْضِ قَبْلَ نَباتِها، وَاستَفْسَحُوا أعْطَانَهَا وتَفَيّحُوا[4]

فتَقُوا بشَزْرِ الطّعنِ أكمَامَ العُلَى، وَهُمُ جِذاعُ قَبَائِلٍ لَمْ يَقْرَحُوا

إنْ أحْرِجُوا لمْ يَجْهَلُوا،وَإذا قضَوْا لمْ يَقْسِطُوا ، وَإذا علَوْا لم يَبجَحُوا

ذَنْبي إلى البُهْمِ الكَوَاذِبِ أنّني الـ ـطِّرْفُ المُطَهَّمُ ، وَالأغَرُّ الأقرَحُ[5]

يُولُونَني خُزْرَ العُيُونِ لأنّني غَلَّسْتُ في طَلَبِ العُلى وَتَصَبّحُوا

وَجَذَبْتُ بالطّولِ الذي لم يَجذِبُوا، وَمَتَحْتُ بالغَرْبِ الذي لمْ يَمتَحُوا

مِنْ كُلّ حَامِلِ إحْنَةٍ لا تَنْجَلِي غَطْشَى دُجُنّتُهَا وَلا تَتَوَضّحُ

ضَبٌّ يُداهِنُني ، وَيُشْكِلُ غَيْبُهُ مِمّا يُرَغّي قَوْلَهُ وَيُصَرِّحُ

يَغْدُو وَمِرْجَلُ ضِغْنِهِ مُتَهَزِّمٌ أبَداً عَليّ ، وَجُرْحُهُ مُتَقَرّحُ

مُسِحَتْ جِبَاهُ الوَانِيَاتِ وَلُطِّمَتْ مِنْ دُونِ غايَتِها العِتاقُ القُرَّحُ

-----

١ يرقح ، من الرقاحة : الكسب والتجارة .

٢ العشار : النياق . يعتام : يختار .

٣ سرباتها ، الواحدة سربة : جماعة الخيل .

٤ تفيحوا : توسعوا .

٥ الطرف : المهر الكريم . المطهم : التام من كل شيء . الأقرح : الذي في وجهه بياض دون الغرة .

لَوْ لَمْ يَكُنْ لي في القُلُوبِ مَهَابَةٌ لمْ يَطْعَنِ الأعداءُ فِيَّ وَيَقْدَحُوا

مَنْ خِيفَ خوْفَ اللّيثِ خُطّ له الرُّبَى، وَعَوَتْ لِتُشْهِرَهُ الكِلابُ النُّبَّحُ

نَظَرُوا بِعَيْنِ عَداوَةٍ لَوْ أنّهَا عينُ الرّضَى لاستَحسَنوا ما استَقبحُوا

مَا كَانَ مِنْ شُعْثٍ ، فإنّي مِنهُمُ لَهُمُ أوَدّ عَلى البعَادِ وَأسمَحُ

لو وفيت مدحي حقه

قال رحمه الله في معنى مثله :

سلَيمانُ لَوْ وَفّيْتَ مَدْحيَ حَقّهُ ، أرَيتُكَ أسبابَ المُنى كَيفَ تَنجَحُ

بَسَطْتُ يَدي حتّى ظَنَنْتُكَ قابضاً يَدَ الدّهرِ عَنّي ، وَهوَ أزْوَرُ أكلَحُ

فأقصَدْتَني باليَأسِ حتّى تركتَني وَظَنّيَ عَنْ نَيْلِ الغِنَى يتَزَحزَحُ

وَأصْعَبتَ لي من بَعدِ ما كنتَ مُسهِلاً مَغالِقَ بِرٍّ شَارَفَتْ تَتَفَتّحُ

فمَنْ مالُهُ في ذِمّةٍ كَيفَ يَجتَدي؛ وَمَنْ أصْلُهُ في ظُلمَةٍ كَيفَ يُمدَحُ

قبح بعد قبح

أُعِيذُكَ مِنْ هِجاءٍ بَعْدَ مَدْحٍ ، فَعُذْنِي مِنْ قِتَالٍ بَعدَ صُلْحِ
مَنَحتُكَ جُلَّ أشْعَارِي ، فَلَمّا ظَفِرْتَ بِهِنَّ لَمْ أظْفَرْ بِمَنْحِ
كبَا زَنْدِي بحَيْثُ رَجَوْتُ مِنْهُ مُسَاعَدَةَ الضِّيَاءِ ، فَخابَ قِدْحي
وَكُنتَ مُضَافِرِي فثَلَمْتَ سَيفي ، وَكُنتَ مُعاضِدي فقصَفتَ رُمْحي
وكُنْتُ مُمَنَّعاً فَأذَلَّ دارِي دُخُولُكَ ذُلَّ ثَغْرٍ بَعْدَ فَتْحِ
فَيَا لَيْثاً دَعَوْتُ بِهِ لِيَحْمِي حِمايَ مِنَ العِدَى فاجتاحَ سَرْحي[1]
وَيَا طِبّاً رَجَوْتُ صَلاحَ جِسْمي بكَفّيْهِ ، فَزَادَ بَلاءَ جُرْحي
وَيَا قَمَراً رَجَوْتُ السَّيْرَ فِيهِ ، فَلَثّمَهُ الدُّجَى عَنّي بِجِنْحِ
سَأرْمي العَزْمَ في ثَغْرِ الدَّيَاجي ، وَأحْدُو العيسَ في سَلَمٍ وَطَلْحِ[2]
لبِشرِ مُصَفَّقِ الأخلاقِ عَذْبٍ ، وَجُودِ مُهَذَّبِ النّشْوَاتِ سَمْحِ
وَقُورٍ مَا استَخَفّتْهُ اللّيَالي ، وَلا خَدَعَتْهُ عَنْ جِدٍّ بِمَزْحِ
إذا لَيْلُ النّوَائِبِ مَدّ بَاعاً ثَنَاهُ عَنْ عَزِيمَتِهِ بِصُبْحِ
وَإنْ رَكَضَ السّؤالُ إلى نَدَاهُ تَتَبَّعَ إثْرَ وَطْأتِهِ بِنُجْحِ
وَأصْرِفُ هِمّتي عَنْ كُلّ نِكْسٍ أمَلَّ عَلى الضّمَائِرِ كُلَّ بَرْحِ[3]
يُهَدّدُني بِقُبْحٍ بَعْدَ حُسْنٍ ، وَلَمْ أرَ غَيْرَ قُبْحٍ بَعْدَ قُبْحِ

١ السرح : الماشية .
٢ السلم والطلح : من الشجر .
٣ أمله : أطاله ، أوقعه في الملل . البرح : الشدة والأذى .

الضانون بالود

أبُثّكَ أنّي رَاغِبٌ عَنْ مَعَاشرٍ   يَضنّونَ بِالوُدّ القَليلِ ، وَأسْمَحُ
إذا مَا جنَوْا ذَنْباً عَليّ احتَقَرْتُهُ ،   فأعفُو عَنِ الذّنبِ العَظيمِ وَأصْفَحُ
وَيُظْهِرُ لي قَوْمٌ بعَاداً وَجَفوَةً ،   وَمَا عَلِمُوا أنّي بِذَلِكَ أفْرَحُ

صبراً على نوب الزمان

صَبْراً عَلى نُوَبِ الزّمَا   نِ وَإنْ أبَى القَلْبُ القَرِيحُ
فلَرُبّ مُبْتَسِمٍ ، وَقَدْ   أخَذَتْ مَآخِذَهَا الجُرُوحُ
يَسْعَى الفَتَى مُتَمَادِياً ،   وَيَدُ المَنُونِ لَهُ تُلِيحُ
كَمْ آمِلٍ يَغْدُو عَلى الـ   أمَلِ البَعيدِ ، فَلا يَرُوحُ
بَيْنَا يُشَادُ لَهُ البِنَا   حَتّى يُخَطّ لَهُ الضّرِيحُ
لا تَيْأسَنْ مِنْ أنْ تَعُو   دَ عَوَائِدٌ وَتَهُبّ رِيحُ
قَدْ يَسْقُطُ العَوْدُ الجَلِيـ   دُ ، وَيَنهَضُ النِّضْوُ الطّلِيحُ
وَيُفَرِّجُ الغَمّاءَ يَحْـ   رَجُ عِنْدَهَا العَطَنُ الفَسِيحُ
وَلِكُلّ شيْءٍ آخِرٌ ،   إمّا جَمِيلٌ أوْ قَبِيحُ

صحيح كالجرب

وَلَوْ كنتَ فيها يوْمَ ذا الأثلِ لم تَؤُبْ وزَادُكَ إلاّ ذاتُ وَدْقَيْنِ تَنْضَحُ[1]

غَداةَ ذُبَالُ السّمْهَرِيّةِ يَلْتَظي بأيمانِنا ، وَالبِيضُ بالبِيضِ تُقْدَحُ

مَوَاقِفُ تُنسِي المَرْءَ مَا كَانَ قَبلَهَا تَرَى الجَذَعَ العاميّ فيهِنّ يَقرَحُ[2]

كَأنّ سِقَاطَ البِيضِ ثُمّ ارْتِفَاعَهَا مَصَارِيعُ أبْوَابٍ تُجَافُ وَتُفْتَحُ[3]

فَإنْ تَكُ قَدْ سُقّيتَ مِثْلِي بكاسِها فَما لَكَ يا ذا الضّبّ لا تَتَرَنّحُ[4]

جُعِلْتَ صَحيحاً مثلَ ضَامنِ نُقْبَةٍ ، لَهُ كُلَّ يَوْمٍ جالِبٌ يَتَقَرّحُ[5]

١ ذات ودقين : الداهية .

٢ الجذع : الصغير من البهائم . العامي : الذي بلغ العام . يقرح : يصير قارحاً .

٣ تجاف : ترد .

٤ الضب : الحقد الخفي .

٥ الضامن، من الضمنة : المرض الملازم . النقبة: أول الجرب . الجالب: الجرح الذي تعلوه جليدة عند البرء .

قد يكظم المرء الأذى

قال في قوم يسرقون شعره وينتحلونه
في بعض البلاد فيفتضحون به ويعرف :

ألا مَنْ عَذِيرِي في رِجالٍ تَوَاعَدُوا ... لِحَرْبِيَ مِنْ رَامي عُقُوقٍ وَرَامِحِ
وَغَرَّهُمُ مِنّي اصْطِبارٌ عَلى الأذَى، ... وَقد يكظِمُ المَرْءُ الأذى غَيرَ صَافحِ
فَما الجَارِمُ الجَاني عُقُوقي بِسَالِمٍ؛ ... وَلا المَاطِلُ اللاّوِي دُيُوني برَابِحِ
أغارُوا عَلى ذَوْدٍ مِنَ الشِّعْرِ آمِنٍ ، ... تَقَادَمَ عِندي مِنْ نِتَاجِ القَرَايحِ
فَيا لَيْتَهُمْ أدَّوهُ في الحَيّ خَالِصاً، ... وَلَمْ يَخْلِطُوهُ بِالرّزَايَا الطّلايحِ[1]
وَإنّكَ لَوْ مَوّهْتَ كُلّ هَجينَةٍ ... عَلى نَاظِرٍ مَا عُدّدَتْ في الصّرَايحِ
أرَى كُلّ يَوْمٍ، وَالأعاجيبُ جَمّةٌ، ... عَلى وَبَرِ الحَرْبَى وُسُومَ الصّحَايحِ
إذا طَرَدُوهَا خَالَفَتْ بِرِقَابِهَا ... رُجُوعاً إلى أوْطَانِهَا وَالمَسَارِحِ
وَإنْ أوْرَدُوها غَيرَ مائِيَ حَايَدَتْ ... حِيَادَ عَيوفٍ يُنْكِرُ المَاءَ قَامحِ[2]
إذا انْجَفَلَتْ في غارَةٍ بِتُّ نَاظِراً ... أُرَاقِبُ مِنْها رَوْحَةً في الرّوَائحِ
كَأنّ بَني غَبْرَاءَ ، إذْ يَنْهَبُونَها ... أحَالُوا عَلى مالٍ بذي الدّوْحِ سارحِ
يُرَجُّونَ مِنْهَا ، وَالأمَانيُّ ضِلّةٌ ، ... رَجَاءَ نِتَاجِ الحَملِ من غَيرِ لاقحِ

[1] الرزايا : الضعاف . الطلايح : المعيية .
[2] القامح : الذي يرد الماء ولا يشرب .

أباغثُ أضرّتها السّفاهةُ ، فاغتدَتْ تخطّفُ هذا القوْلَ خطفَ الجوَارحِ
هبُوهَا إليْكُمْ من يديّ منيحةً ، فقَد آنَ ، يا للقوْمِ ، رَدُّ المَنايحِ[1]
دَعُوا وِرْدَ ماءٍ لَستُمُ مِنْ حَلالِهِ وَحُلّوا الرّوَابي قبْلَ سَيْلِ الأباطحِ
وَلا تَستَهيبوا العاصِفاتِ ، وَأصْلُكُم نَجيلٌ رَمَتْ فيهِ اللّيَالي بقادِحِ[2]
فَمَا أنتُمُ مِنْ مَالِئي ذلِكَ الحِبَا، وَلا فيكُمُ أكْفَاءُ تِلْكَ المَنَاكِحِ
وَلمْ تُحْسِنوا رَعْيَ السّوَامِخِ قبلَها، فكَيْفَ تَعاطَيْتُمْ رُكوبَ الجَوَامحِ[3]
وَلا تَطْلُبُوهَا سِمْعَةً في مَعَرّةٍ تُحَدِّثُ عَنْكُمْ كُلُّ غادٍ وَرَايحِ
خُمُولُ الفتَى خيرٌ من الذّكرِ بالخَنا وَجَرُّ ذُيُولِ المُنْدِيَاتِ الفَوَاضِحِ[4]
وَعِندي قَوَافٍ إنْ تَلَقّينَ بالأذَى نَزَعْنَ بِمُرّ القَوْلِ نَزْعَ المَوَاتِحِ
تُعَدّدُ نَبْرَاتِ الأُسُودِ نَبَاهَةً ، وَتَنسَى أنابيحَ الكِلابِ النّوَابِحِ

مطر غابق وصابح

قَيّدْتُ أزْمَةَ كُلّ مُزْنٍ رَائِحِ مُتَحَمِّلٍ عِبْءَ المَوَاطِرِ دالِحِ
حَتّى يَشُقّ عَلى العَقيقِ مَزَادَهُ ، مِنْ غَابِقٍ لِرِيَاضِهِ أوْ صَابِحِ

١ المنيحة : الناقة يجعل لك وبرها ولبنها وولدها .
٢ النجيل : ضرب من الحمض .
٣ السوامخ : الزروع تطلع أولا .
٤ المنديات ، الواحدة مندية : الكلمة يندى لها الجبين خجلا .

ذكرت

ذَكَرْتُ علَى فَتْرَةٍ مِنْ مِرَاحِ ... مَنازِلَ بَيْنَ قَناً ، فالصُّفَاحِ
وَأَرْضاً تَبَدَّلَ قُطَّانُهَا ، ... مَجَرَّ القَنَا بِمَجَرِّ المَسَاحي

لو كنت شاهدها

فَلَوْ كُنْتَ شاهِدَها في الدُّجَى ، ... وَقَدْ ضَمَّهَا البَلَدُ الأَفْيَحُ
إذا ذَكَرَتْكَ علَى وِنْيَـةٍ ... رَأَيْتَ ذَفَارِيَّهَا تَنْضَحُ

صلح الطير

في قِتَالٍ كَانَ لِلطَّيْـ ... ـرِ علَى قَتْلاهُ صلْحُ
يَتَرَاغَيْنَ وَبَيْنَ الـ ... ـوَحْشِ وَالعِقْبَانِ ذَبْحُ

حرف الخاء

طود ساخ

قال عند ظهور الأمر في موت عضد الدولة مخاطباً لأبيه وهو إذ ذاك بفارس في القلعة وذلك سنة ٣٧٢ وسنه حينئذ فوق الثلاث عشرة بقليل :

أبْلِغَا عَنّيَ الحُسَيْنَ أَلُوكاً ؛ إنّ ذا الطّوْدَ بَعدَ عَهدِكَ سَاخَا[١]
وَالشّهَابَ الّذي اصْطَلَيْتَ لَظَاهُ عَكَسَتْ ضَوْءَهُ الخطُوبُ فَبَاخَا[٢]
وَالفَنيقَ الذي تَدَرّعَ طُولَ الـ أرْضِ خَوّى بهِ الرّدَى ، فَأنَاخَا[٣]
إنْ تَرِدْ مَوْرِدَ القَذَى وَهوَ رَاضٍ فَبِمَا يَكْرَعُ الزّلالَ النُّقَاخَا[٤]
وَالعُقَابُ الشّغْوَاءُ أهْبَطَهَا النّيـ قُ ، وَقَدْ أرْعَتِ النّجُومَ سِمَاخَا[٥]
أعْجَلَتْهَا المَنُونُ عَنّا ، وَلَكِنْ خَلّفَتْ في دِيَارِنَا أفْرَاخَا
وَعَلَى ذَلِكَ الزّمَانِ بِهِمْ عَا دَ غُلاماً مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ شَاخَا

١ ساخ : انخسف .
٢ باخ : سكن .
٣ الفنيق : الفحل المكرم . خوى
٤ النقاخ : الماء البارد .
٥ السماخ : ثقب الأذن .

لم يبق إلا برزخ

قال عند عوده من الحجاز وقد قطع
الرمل المعروف بمربخ وذلك سنة ٣٩٤ :

أقُولُ لهَا حيَثُ انتَهَى مَسقطُ النّقا: نصلتِ وَأيمُ اللهِ مِنْ رَملِ مُرْبِخِ
نجَوْتِ علَى ما فيكِ من وِنيَةِ السُّرَى وَطَيِّ المَوَامي سَرْبَخاً بعدَ سَرْبَخِ[1]
بحَيْثُ الفتَى لمَا يُجِبْ دَعوَةَ الفتَى وَلا يَعْطِفُ الأخُ الكَرِيمُ على الأخِ
وَلَمْ يَبْقَ إلاّ بَرْزَخٌ ، فاقذِفي بِهِ وَرَاءكِ ، إنّ الدّارَ من بَعدِ بَرْزَخِ

١ الموامي : الفلوات . السربخ : الأرض الواسعة .

حرف الدال

الحبيب المحجوب

يمدح الطائع ويهنئه بعيد الفطر سنة ٣٧٧
ويعاتبه على تأخير الإذن في لقائه ويذم أعداءه :

إلى كَمِ الطَّرْفُ بالبَيْداءِ مَعقُودُ ، وكَمْ تَشَكَّى سُرَايَ الضُّمَّرُ القُودُ
تَعِلَّةٌ لِيَ ، بَعْدَ القُرْبِ ، تَوْلِيَةٌ عَنِ المَقَامِ ، وَبَعْدَ النَّوْمِ تَسهيدُ
يا دارَ ذُلٍّ لِمَنْ فارَقتِ فَعْدَتَهُ ، وَالعِزُّ أوْلَى بِمَنْ عُلّقتِ يا بيدُ
أرْمي بِأيْدي المَطَايَا كُلَّ مُشْتَبِهٍ تَنْبُو بِأخْفَافِهَا عَنْهُ الجَلاميدُ
وَكُلَّ لَيْلٍ تُضِلّ النّجمَ ظُلْمَتُهُ ، قَلْبُ الدّليلِ بهِ حَيرَانُ مَزْؤودُ
وَغِلْمَةٍ في ظُهُورِ العيسِ أرّقَهُمْ هَمٌّ شَعَاعٌ ، وَآمَالٌ عَبَادِيدُ[1]
مُلَثَّمِينَ بِمَا رَاخَتْ عَمَائِمهُمْ وَكُلُّهُمْ طَرِبٌ للبَيْنِ غِرّيدُ[2]
لا آخُذُ الطّعْنَ إلاّ عَنْ رِمَاحِهِمُ إذا تَطاعَنَتِ الشُّمُّ المَنَاجِيدُ
وَرُبّ أمْرٍ بَعيدِ الغَايِ قَرّبَني مِنْهُ السّوَابِقُ وَالبُزْلُ المَقَاحِيدُ[3]

١ الشعاع : المتفرق . العباديد : الذاهبة في كل وجه .
٢ راخت ، من راخى عمامته : أمن ، واطمأن .
٣ البزل ، الواحدة بازل : التي شق نابها . المقاحيد ، الواحدة مقحاد : الناقة الكبيرة أصل السنام .

وَخِطّةٍ بَيْنَ أرْمَاحِ العِدَى ضَمِنَتْ نَجَايَ مِنْ ضِيقِها سَمرَاءُ قَيدُودُ[1]
ما لي بغَيرِ العُلى في الأرْضِ مُضْطرَبٌ، وَلا لجَنْبي بِغَيرِ العِزّ تَمْهِيدُ
وَلا خَطَوْتُ إلى بَأسٍ وَلا كَرَمٍ ، إلاّ وَمَوْضِعُ رِجْلي مِنْهُ مَوْجُودُ
ضَاعَ الشّبابُ ، فقلْ لي أينَ أطلُبُهُ ، وَازْوَرّ عَنْ نَظرِي البيضُ الرّعاديدُ
وَجَرّدَ الشّيبُ في فَوْدَيّ أبيَضَهُ ؛ يا لَيْتَهُ في سَوَادِ الشَّعْرِ مَغمُودُ
بِيضٌ وَسُودٌ برَأسِي لا يُسَلّطُهَا عَلى الذّوَائِبِ إلاّ البِيضُ وَالسّودُ
يُؤمِّلُ النّاسُ أنْ يَبقَوا وَما علِمُوا أنّ الفتَى لِيَدِ الأقْدارِ مَوْلُودُ
شُغِلْتُ بالهَمّ حتّى مَا يُفَرّحُني ، لَوْلا الخَليفَةُ ، نَوْرُوزٌ وَلا عِيدُ
أهْوَى لَهُ كُلَّ أيّامٍ يُسَرّ بِهَا ، وَإنْ طَغَى بَيْنَنَا نَأيٌ وَتَبْعِيدُ
مُحَسَّدُ المَجدِ مَغبُوطٌ مَناقِبُهُ ، مُتَيَّمُ القَلْبِ بالعَليَاءِ مَعمُودُ
كَرِيمُ مَا ضَمّ بُرْداهُ وَعِمّتُهُ ، عَفِيفُ مَا ضُمِّنَتْ مِنهُ المَرَاقِيدُ
مُطَهَّرُ القَلْبِ لا انهَلّتْ مَدامِعُهُ ، وَجْداً ، وَمَا حَقّرَ الأنفاسَ تَصْعيدُ
مَا رَاقَ عَيْنَيْهِ إلاّ ما أقَرّهُمَا مِنَ المَكَارِمِ ، لا عَينٌ وَلا جِيدُ
المُورِدُ الرّمْحَ مَا نَالَتْ عَوَامِلُهُ ؛ وَالمُطْعِمُ العَضْبَ ما عَزّاهُ تَجرِيدُ
وَالقائِدُ الخَيْلَ يَمطُو في أعِنّتِها مَطْوَ النّعَامِ أضَلّتْهَا القَرَادِيدُ[2]
في كُلّ يَوْمٍ لَهُ نُعْمَى يُجَدّدُهَا تَملا يَدي ، وَلَقَوْلي فيهِ تجديدُ
وَمَا أُسَرّ بِمَالٍ لا أعُزّ بِهِ ، وَلا ألَذّ بِرَأيٍ فيهِ تَفْنِيدُ

١ القيدود : الناقة الطويلة الظهر .
٢ يمطو : يجد . القراديد ، الواحد قردد : المرتفع من الأرض .

لَيسَ السَّرَاءُ بغَيرِ المَجدِ فائِدَةً ، وَمَا البَقَاءُ بِغَيرِ العِزّ مَحْمُودُ[1]

جُرْحُ الحِمامِ وَلا جُرْحُ الأذى أبَداً ، وَالمَوْتُ عندَ طُرُوقِ الضّيمِ مَوْرُودُ

صَارَتْ إلَيكَ ، أميرَ المُؤمنينَ ، عَلى غَرّاءَ أحْرَزَهَا آباؤكَ الصِّيدُ

مِنْ هاشِمٍ أنْتَ في صَمّاءَ شَاهِقَةٍ ، لهَا رِوَاقٌ بِبَاعِ المَجْدِ مَعمُودُ

نِهَايَةُ العِزّ أنْ تَبقَى لَهُ أبَداً ، وَغايَةُ الجُودِ أن يَبقَى لكَ الجُودُ

لأيِّ حَالٍ يُدارِي القَلْبُ غُلّتَهُ ، رَجَاءَ وِرْدٍ وَوِرْدي منكَ تَصرِيدُ[2]

قد كنتُ عَنْ عَدَدِ الأيّامِ في شُغُلٍ فاليَوْمَ عامي لوَعْدٍ مِنْكَ مَعدُودُ

ألامُ فيكَ ، وَأذْني غيرُ سَامِعَةٍ ، فَاللّوْمُ مُطّرَحٌ ، وَالعَذْلُ مَرْدُودُ

يَرُومُ مُلكَكَ مَن لا رأيَ يُنجِدُهُ ، وَلا فَخَارٌ ، وَلا بأسٌ ، وَلا جُودُ

وكَيفَ يَطلُبُ شأواً منكَ ذو ظَلَعٍ ، بَاقي غُبَارِكَ في عَيْنَيْهِ مَوْجُودُ

ما كلّ بارِقَةٍ تَحدو السّحابَ ، وَلا كُلّ السّحَابِ مَبَارِيقٌ مَرَاعِيدُ

يَستَفرِهُ الخَيْلَ ، وَالأقدارُ تَحصُرُهُ ، وَيَستَطيلُ العَوَالي ، وَهْوَ رِعدِيدُ[3]

لا تَحفَلَنْ بوَعيدٍ زَلّ عَنْ فَمِهِ ، فَما يَضُرّ مِنَ المَغرُورِ تَوْعِيدُ

وَلا يُؤمِّلُ أنْ يَلْقَاكَ في عَدَدٍ ، إنْ أصْحَرَ اللّيثُ أخفى شخصَهُ السِّيدُ[4]

وَلَوْ بَسَطتَ يميناً بالعِرَاقِ ، إذاً نَالَتْهُ ، وَهْوَ بَعيدُ الدّارِ مَطْرُودُ

١ السراء بالسين : هكذا في الأصل ، ولعلها الثراء بالثاء .

٢ التصريد : السقي دون الري .

٣ يستفره : يستكرم .

٤ أصحر : خرج إلى الصحراء .

أعيذُ مَجدكَ أنْ أبقَى على طَمَعٍ ... وأنْ تَكُونَ عَطَايَايَ المَوَاعِيدُ
وأنْ أعيشَ بَعيداً مِنْ لِقَائِكُمُ ، ... ظمآنَ قلبٍ، وَذاكَ الوِرْدُ مَوْرُودُ
ما لي أحِبّ حَبيباً لا أشَاهِدُهُ ، ... ولا رَجَايَ إلى لُقْيَاهُ مَمْدُودُ
وأتْعِبُ القلبَ فيمَنْ لا وِصَالَ لَهُ ؛ ... يا للرِّجَالِ ! أقَلّ الخُرَّدُ الغيدُ
أكثرْتُ شعري ولَمْ أظفَرْ بحَاجتِهِ ، ... فَسَقّني قَبْلَ أنْ تَفنَى الأغاريدُ
قَدْ جَاءَ عيدٌ ،وَعيدُ المَرْءِ لَذّتُهُ ، ... وأنْتَ فيهمْ عَظِيمُ القَدْرِ مَحمُودُ
عَيْشُ الفَتَى كُلّهُ وَقْتٌ يُسَرّ بهِ ، ... مِنَ الدُّنَا ، وَجَميعُ العَيشِ مَفقودُ
فَاسْعَدْ بِهِ ، وَبأيّامٍ طُرِفْنَ بهِ ؛ ... إنّ العَزيزَ عَلى العِلاّتِ مَسعُودُ
فَلَيلُ مَدْحِكَ في شِعْرِي يُزَيّنُهُ ، ... حتّى كأنّ مَقَالي فيكَ تَغْرِيدُ
كَمْ خَوّضَ النّاسُ في قَوْلي وَقائلهِ ؛ ... وَكَمْ غَلا بيَ إغْرَاقٌ وَتَجويدُ
أذَمّ مِنْ أجْلِ أشْعَارِي فَوَا عَجَبا! ... تُذَمّ إنْ جَنَتِ الخَمرَ العَناقيدُ
وَمَا شَكَوْتُ لأنّ العِزّ يُقْعِدُني ، ... وأنْتَ سَيفي وَيَوْمُ الرّوْعِ مَشهُودُ

الأيام يوم واحد

قال يمدح الملك بهاء الدولة ويشكره على ما ورد من أمره بأن يضاف إلى أعماله النظر في أمور الطالبيين بجميع البلاد ولم يبلغ ذلك أحد من أهل هذا البيت، واجتمع الناس في دار فخر الملك وقرئت الكتب الواردة بذلك وكان يوماً مشهوداً مذكوراً وذلك يوم الجمعة السادس عشر من المحرم سنة ٤٠٣ :

مَنْ رَأى البَرْقَ بغَوْرِيّ السَّنَدْ ، فِي أدِيمِ اللّيلِ يَفرِي وَيَقِد[١]
حَيْرَةُ المِصْبَاحِ تَزْهُوهُ الصَّبَا خَلَلَ الظَّلْمَاءِ يَخْبُو وَيَقِدْ
كُلّمَا أنْجَدَ عُلْوِيّ السّنَا ، قَامَ بالقَلْبِ اشتِيَاقٌ وَقَعَدْ
كَمْ أضَاءَ البَرْقُ لي مِنْ مَعهَدٍ ذابَ دَمْعُ العَينِ فيهِ وَجَمَدْ
زَمَغَانٍ أنْبَتَ الحُسْنُ بِهَا هَيَفاً تَرْعَاهُ عَيْنِي ، وَغَيَدْ
كُلّمَا عَاوَدَ قَلْبِي ذِكْرُهَا ، لَعِبَ الدّمْعُ بِجَفْنَيّ ، وَجَدّ
إنْ رِيمَ السّرْبِ أدْنَى لي الجَوَى ، وَنَأى بالصّبْرِ عَنّي وَالجَلَدْ
بِنَدًى غُصْنَيْنِ غُصْنٍ وَنَقاً ، وَجَنَى عَذْبَيْنِ شَهْدٍ وَبَرَدْ
قُلْ لزَوْرِ الشّيْبِ : أهْلاً ! إنّهُ أخَذَ الغَيّ وَأعْطَانِي الرّشَدْ
طَارِقٌ قَوّمَ عُودِي بالنُّهَى ، بَعدَمَا استَغمزَ من طُولِ الأوَدْ
وَقَرَ اليَوْمَ جُمُوحاً رَأسَهُ ، جَارَ مَا جَارَ طَوِيلاً وَقَصَدْ

١ السند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح . يفري : يشق . يقد : يقطع .

ظَلَّ لَمَّاعٌ جَلاهُ بَارِحٌ ، بَعدَما أبْرَقَ حِيناً ، وَرَعَدْ
لا تَعُدَّ العَيْشَ شَيْئاً ، إنّهُ نَفَسٌ يَقْضِي ، وَآيّامٌ تُعَدّ
إنّمَا الأيّامُ يَوْمٌ وَاحِدٌ ، وَغُرُورٌ اسمُهُ اليَوْمَ وَغَدْ
يا قِوَامَ الدّينِ مُلّيتَ بِهَا دَوْلَةً تَجْرِي إلى غَيْرِ أمَدْ
كَسِقَاطِ النّارِ أوْرَى قَدْحُهُ ، كُلّمَا فَرّ عَنِ النّارِ وَقَدْ
أصْلُهَا يَطْلُبُ أعْمَاقَ الثّرَى ، وَذُرَاهَا يَطْلُبُ النّجْمَ صُعُدْ
كُلّمَا زَادَ عُلُوّاً فَرْعُهَا ، زَادَ مَسْرَاهَا قَرَاراً وَوَطَدْ
كَيفَ تُوهي طُنُباً مِنْ بَيْتِهَا ، نُوَبُ الأيّامِ وَالجَدُّ وَتِدْ
أنْتَ آسِيهَا ، إذا لَجّ بِهَا مِنْ أعَادِيهَا رَدَاعٌ وَضَمَدْ[1]
قَائِدُ الخَيْلِ تَسَاقَى بِالرّدَى ، تَحْتَ آسَادٍ لَهَا النّقْعُ لُبَدْ
تَحْسِبُ الشُّوسَ عَلى أكْتَادِهَا فِلَقَ الجَنْدَلِ في مَاءِ الزّرَدْ[2]
وَعَلى أرْبَقَ قَدْ أرْسَلَهَا كالقَطا الجُونِ يُبادِرْنَ الثَّمَدْ
وَبِيَمٍّ وَدَجُوهَا بِالقَنَا ، رُبّمَا داوَيْتَ مِنْ غَيرِ عَمَدْ[3]
يَوْمَ أمسَى مِنْ قَنَاهَا مَاطِراً ، سَالَ وَادِيهِ مِنَ الطّعْنِ وَمَدّ
فَضّ جَمْعَ الغَيِّ عَنْ شِدّتِهَا ، زَأرَ الضّيْغَمُ فَانْصَاعَ النَّقَدْ[4]

١ رداع : وجع الجسد . الضمد : التظلم .

٢ الشوس ، الواحد أشوس : الجريء . الأكتاد ، الواحد كتد : ما بين مغرز العنق إلى ما بين الكتفين .

٣ اليم : القصد . ودجوها : قطعوا أوداجها . العمد : الوجع .

٤ النقد : الغنم .

وَنَجَا المَغْرُورُ مِنْ جَامِحِهَا مُفْلِتَ الشّحمَةِ حَلْقَ المُزْدَرِدْ

غَاوِياً يَحْلُمُ بالمُلْكِ ، وَهَلْ يَغْلِبُ العَيرُ عَلى بَيْتِ الأسَدْ

أذكَرُونَا يَوْمَ ذي قَارٍ ، وَقَدْ أقْبَلُوهُ عَارِضَ الطّعْنِ بَرَدْ

رُحِضَ الأغْلَفُ في تَيّارِهِ ، وَرَدَ العِلْجُ ، وَمَا كَادَ يَرِدْ

يَصْطَلي نَارَ طِعَانٍ مَضّةً ، أوْقَدَتْ فيها نِزَارُ بنُ مَعَدّ

سَلْ صَفيحَ الهِنْدِ عَنْ مَوْقِفِهِ ، وَبِعَيْنِ الشّمْسِ للنّقعِ رَمَدْ

جَرّ في دارِ الأعَادي فَيْلَقاً ، كَرُغَاءِ البَحْرِ يَرْمي بالزّبَدْ

فَعَلَى الجَوّ سُقُوفٌ مِنْ قَناً ، وَعَلى الأرْضِ قُطوعٌ مِنْ جَسَدْ

أصْعَقَ الأعْداءَ حَتّى خِلْتَهُ زَفَيَانَ الرّيحِ يَرْمي بالعَضَدْ[1]

رَكْدَةٌ عَنْ جَوْلَةٍ تَحْسَبُهَا مِرْجَلَ القَيْنِ غَلا ثُمّ بَرَدْ

مَا أضَلّ الرّمْحُ فيها مِنهُمُ ، عَثَرَ السّيْفُ بهِ فيمَا وَجَدْ

مِنْ بَني سَاسَانَ أفنَى ضُرِبَتْ حُجَرُ المُلْكِ عَلَيْهِ وَالسُّدَدْ

طَلَعَتْ في كُلّ أُفْقٍ شَمْسُهُ ، هَلْ تَرَى يختَصّ بالشّمسِ بلَدْ

مَا رَأيْنَا كَأبيهِ نَاجِلاً ، وَلَدَ النّاسَ جَميعاً بِوَلَدْ

إنْ يَكُنْ تَاجاً وَعَضْداً فابنُهُ ، دُرّةُ التّاجِ وَدُمْلُوجُ العَضُدْ

لا ضَحَا ظِلُّكُمُ يَوْماً ، وَلا مَطَلَ الإقْبَالُ فيكُمْ مَا وَعَدْ

وَتَفَارَطْتُمْ عَلى رَفْهِ السُّرَى ، مَوْرِدَ النّعماءِ وَالعَيْشِ الرّغَدْ[2]

١ زفيان الريح : سوقها السحاب . العضد : شجر

٢ تفارطتم : تسابقتم . رفه السرى : لينه .

وَغَدَا الجَدُّ جَمُوحاً بِكُمُ ، مَا لَهُ عَنْ غَايَةِ الأيّامِ رَدّ
تَقْصُرُ الآجَالُ مِنْ أعْدائِكُمْ وَيُطَالُ العَيْشُ فيكُمْ وَيُمَدّ
تَنْفَدُ الغُدْرَانُ أحْيَاناً ، وَمَا لِعُبَابِ اليَمّ ذي اللُّجّ نَفَدْ
جَعْجَعَ المَجْدُ بِكُمْ مَبرَكَهُ ، رَاضِياً بالدّارِ فيكُمْ وَالبَلَدْ
وَقِبَابُ المُلْكِ في أعْطَانِهَا ، رُفِعَتْ مِنكُمْ بعادِيّ العَمَدْ
مَعْشَرٌ فَاتَ المَسَاعي سَعْيُهُمْ ، ضَلّ مَنْ كَاثَرَ رَمْلاً بِعَدَدْ
أفْسَدُوا الدّهْرَ عَلى أوْلادِهِ ، لا يُرَى مِثْلُهُمُ فيمَنْ وَلَدْ
يا مُعيدَ المَاءِ في عُودي ، وَيَا مُثْبِتِي بَعْدَ اضْطِرَابٍ وَأوَدْ
ثَمَرِي اليَوْمَ لِمَنْ أوْرَقَني ، وَإذا مَا أوْرَقَ الفَرْعُ عَقَدْ
كُلّ يَوْمٍ لَكَ نُعْمَى غَضّةٌ ، تَعقُدُ الفَخرَ بِأطوَاقٍ جُدُدْ
رُبّ مَنٍّ بَعْدَ مَنٍّ مِنكُمُ ، جاءَ عَفْواً ، وَيَداً مِنْ بَعدِ يَدْ
فَاعْتَقِدْهَا نَاظِمَاتٍ للعُلَى ، جامِعاتِ المَجدِ ، وَالمَجدُ بَدَدْ
مِنْ مَطَايَا الذّكْرِ لا يَحْسُرُهَا أبَداً وَعْثُ بِلادٍ وَجَدَدْ[1]
عُقَدٌ للمَجْدِ بَاقٍ عَيْنُهَا ، أبَدَ الدّهْرِ ، وَللمَجْدِ عُقَدْ
خَارِجِيّاتٌ يُبَادُونَ المَدَى ، وَلهَا فيكَ بَوَاقٍ وَقُعُدْ[2]

١ يحسرها : يعييها . الوعث : الطريق العسر . الجدد : الأرض الغليظة المستوية .

٢ الخارجيات : السوابق . القعد ، الواحد قعود : وهو من الإبل ما يقتعده الراعي في كل حاجة

قل للعدى شموا الهوان

يمدحه وقد اشتدت به العلة وأرجف عليه ثم
أبل منها وصلح وذلك في جمادى الأولى سنة ٤٠٣ :

أبَى اللهُ إلاّ أنْ يَسُوءَ بكَ العِدَى، ويُصْبِحَ مُستَثْنَى البَقاءِ على الرّدَى
وَمَا كَانَ هَذا الدّهرُ يَوْماً بِنازِعٍ نِجادَ حُسَامٍ مِثْلَهُ مَا تَقَلّدَا
لَعاً وَلَعاً لا عثرَ مِنْ بَعدِ هَذِهِ تَلَقّى العُلَى واستَأنَفَ العِزَّ أغيَدا[1]
خَفِيتَ خَفَاءَ البَدرِ يُرْجَى ظهورُهُ، وَمَا غابَ بَدْرُ اللّيْلِ إلاّ لِيُشهَدَا
غُرُوبُ الدّرَارِي ضَامِنٌ لطُلُوعِها، فَيا فَرْقَداً باقٍ عَلى اللّيلِ فَرْقَدَا
مَعَاذاً لهَذا البَحْرِ مِمّا يُغيضُهُ، مَعاذاً لشَمْلِ المَجْدِ أنْ يَتَبَدّدَا
سَلِمتَ لَنَا، وَاللهُ أرْأفُ بالعُلَى مِن ان يَنطوِي عنّا وَأرْحمُ للنّدَى
فَقُلْ للعِدَى شُمّوا الهَوَانَ بأجدَعٍ، وَعَضّوا عَلى الأيدي القِصَارِ بأدرَدَا[2]
أفِيقُوا لهَا مِنْ سَكْرَةِ الغَيّ وَابتَغوا زِماماً إلى مَا تَكْرَهُونَ وَمِقْوَدَا
حَسِبْتُمْ بأنّ المُلْكَ هِيضَتْ جُبورُهُ، وَأنّ سَوَامَ المَجْدِ أصْبَحنَ شُرَّدَا
لهَا اليَوْمَ رَاعٍ لا يُرَاعُ سَوَامُهُ، أذَلّ لهَا نَهْجَ الطّرِيقِ وَعَبّدَا
إذا طَمِعَ الأعْداءُ فِيهَا أجارَهَا، وَأرْتَعَهَا بَيْنَ العَوَالي، وَأوْرَدَا

١ لعا : دعاء له أي أنعشك الله وأقامك من عثرتك .

٢ الأدرد : الذي ليس له أسنان .

وَإنّ قِوَامَ الدّينِ قَدْ عَبّ بَحْرُهُ وَعِيداً أقَامَ الخَالِعِينَ وَأقْعَدَا
تَقُوهُ ، فَبَيْنَا تَنظُرُ البَحْرَ ساكِناً إلى أنْ تَرَاهُ شَائِلَ اللُّجّ مُزْبِدَا
أأطْمَعَكُمْ أنّ الحُسامَ قضَى المُنى وَلَمْ يبقِ عندَ الدّهرِ ثأراً ، فأغمَدَا
وَإنّي ضَمِينٌ إنْ تَجَرّدَ مَازِقٌ لغَاوٍ مِنَ الأيّامِ أنْ يَتَجَرّدَا
أمَا يُرْهَبُ القَطّاعُ إلاّ مُجَرَّداً ، أمَا يُتّقَى العَسّالُ إلاّ مُسَدَّدَا
لِيَهْنِ اللّيَالي وَالمَعَالي أنّهَا إثَابَةُ بُرْءٍ عَدّهَا المَجْدُ مَوْلِدَا
عَلى حِينَ طَارَتْ بالقُلُوبِ مَخَافَةٌ ، أطِيرَ فَرِيصُ المُلْكِ منها وَأُرْعِدَا
وَأصْبَحَتِ الآمَالُ غَرْثَى ظَمِيّةً ، يُوَاعدنَ من نُعماكَ مَرْعًى وَمَوْرِدَا
فَلَوْ يَستَطيعُ الدّهرُ مِنْ بَعدِ هذِه ، لألبَسَكَ اليَوْمَ التّمِيمَ المُعَقَّدَا[1]
بِأيّ مَنَالٍ أمْ بِأيّةِ أذْرُعٍ تَعاطَيتُمُ اليَوْمَ البِنَاءَ العَطَوَّدَا[2]
بِنَاءٌ أقَامَ المَجْدَ فيهِ عِمَادَهُ ، وَقَرّرَهُ تَحْتَ العَوَالي ، وَوَطّدَا
كَدَأبِكُمُ مِنْهُ غَدَاةَ حَدَاكُمُ ، تُشَاغِلُهُ الآذانُ عَنْ طَرَبِ الحُدَا
وَكَبّكُمُ كَبَّ الحَجيجِ هَدِيّهُ يُحَشْحِشُها نحسُ النّصَالِ إلى المَدَى
كَأيّامِ حَنْوَيْ دارزِينَ وَأرْبقٍ ، مَوَاقِفُ أخبَى الطّعنُ فيها وَأوْقَدَا[3]
أطِيلُ اختِرَاطَ البِيضِ فيها فلَوْ خَفَا بهَا لَمَعَانُ البَرْقِ ظُنّ المُهَنّدَا[4]

١ التميم : الشديد ، الطويل الكامل .

٢ العطود : الشديد .

٣ دارزين واربق : موضعان .

٤ خفا البرق : لمع .

وَتَخفَى بهَا الأمطارُ من طولِ ما جرَى عليها نَجيعُ الطّعنِ والضّرْبِ سرْمدَا

شُلِلْتُمْ بِهَا شَلّ الطّرائِدِ بالقنَا، تَبَرّأ مَنْ وَلّى وَضَلّ الذي هدَى[1]

وَمَا زَادكُمْ منهنّ غيرُ جوَائفٍ هوَادِرَ يَرْدُدْنَ المسابرَ وَاليدَا[2]

دَعُوا لقَمَ العَلْيَاءِ للمُهْتَدي به ، وَخلّوا طَريقاً غَارَ فيه وَأنْجدَا

لأطولِكمْ طَولاً ،إذا المُزْنُ أصْبحتْ غَوَارِزَ لا يُعْدَمْنَ خلفاً مُجَدّدَا[3]

نَهيتُكُمُ عَنْ ذي هماهمَ مُشبلٍ ، حمَى بجُنوبِ السِّيء ضَالاً وَغرْقَدَا[4]

فَضَافِضَ غَيلٍ في الدّمَاءِ عَيِيّة ، كَأنّ عَلى لَيتَيْهِ سِبّاً مُوَرّدَا[5]

يُفَرّقُ بَينَ الجَحفَلَينِ زَئيرُهُ ، كمَا أطّ نَجديّ الغَمامِ وَأرْعدَا

يَجُرّ سَآبيّ الدّمَاءِ وَرَاءَهُ . مَجرّ الخَليعِ الشّرْعبيّ المُعَضَّدَا[6]

وَحذّرْتُكُمْ مُغْلَوْلِباً ذا غُطَامِطٍ إذا كَبّ بوصيّ السّفينِ وَأزْبَدَا[7]

لَهُ زَجَلٌ كالفَحْلِ يَقْرَعُ شَوْلَهُ، ألَظّ بِقَرْقارِ الهَديرِ وَرَدّدَا[8]

١ شللتم : طردتم .

٢ الجوائف ، الواحدة جائفة : الطعنة تبلغ الجوف . هوادر : تصوت أو تغلي بالدم . المسابر : ما يسبر به الجرح ليعرف غوره .

٣ الغوارز : القليلة المطر .

٤ السيء : أرض من أراضي العرب . الضال والغرقد : ضربان من الشجر .

٥ الفضافض : الواسعة . الغيل : الماء الجاري على وجه الأرض . وقوله : عيية ، هكذا في الأصل ، والعيية : الكالة . ليتيه ، الواحد ليت : صفحة العنق . السب : الخمار .

٦ السآبي : المرتوي من الدم ، كناية عن الرمح . الخليع : من أعيا أهله خبثاً ومكراً . الشرعبي : ضرب من البرود . المعضد : ثوب له علم في موضع العضد .

٧ المغلولب : القبيلة العزيزة الممنعة . الغطامط : البحر العظيم . البوصي : ضرب من السفن .

٨ ألظ : داوم . قرقار الهدير : البعير الصافي الصوت .

أَلا أَخْرِسَ الغَاوِي ، ولا فاهَ قائِلٌ بأمثالِها ، ما بَلَّلَ القَطرُ جَلمَدَا

وَلا وَجَدَ الرّاجونَ أُفقكَ مُظْلِماً ، وَزَنْدُ النّدَى يَوْماً بكَفّكَ مُصْلِدا

وَلا سَمِعَ الأَعْداءُ إلاّ بِأصْلَمٍ ، وَلا نَظَرَ الحُسّادُ إلاّ بِأرْمَدَا[1]

فلَيسَ المُنى ما عشتَ قالصَةَ الجَنى عَلَينا وَلا النُّعمَى بناقصَةِ الجَدَا

بقيتَ بقَاءَ القَوْلِ فيكَ ، فإنّهُ إذا بَلَغَ الباقي المَدى جاوَزَ المَدَى

وَلا بَعُدَ المأمُولُ مِنْ أنْ تَنالَهُ ، فإنْ فاتَ في ذا اليَوْمِ أدْرَكْتَهُ غَدا

وَمُلّيتَ حتّى تَسأمَ العَيشَ مَلّةً ، فلَوْ خُلّدَ الأقْوامُ كنتَ المُخَلَّدَا

ساعة بين نيل العز والذل

يمدح الصاحب إسماعيل بن عباد
ولم ينفذها إليه وذلك سنة ٣٧٥ :

إبَاءٌ أقَامَ الدّهْرَ عَنّي وَأقْعَدَا ، وَصَبْرٌ عَلى الأيّامِ أنْأى وَأبْعَدَا

وَقَلْبٌ تقَاضَاهُ الجَوَانِحُ أنّةً ، إذا رَاحَ مَلآناً مِنَ الهَمّ ، أوْ غَدَا

أخُوذٌ عَلى أيدي المَطامِعِ بالنّوَى نِزَاعاً ، وَمَا يَزْدادُ إلاّ تَبَعُّدَا[2]

إذا رَكِبَتْ آمَالُهُ ظَهْرَ نِيّةٍ ، رَأيْتَ غُلاماً غَائِرَ الشّوْقِ مُنجِدَا

[1] الأصلم : المقطوع الأذن .
[2] النزاع : الشوق .

غَذِيٌّ زَمَاعٍ لا يَمَلُّ كَأنّمَا يَرَى اللّيلَ كُوراً وَالمَجَرّةَ مِقوَدَا
يُلَثِّمُ عِرْنِينَ الحُسَامِ بِهِمّةٍ تُكَلّفُهُ خَوْضَ اللّيَالي مُجَرَّدَا
أبَا خَاطِباً ودّي عَلَى النّأيِ ، إنّني صَدِيقُكَ إنْ كنتَ الحُسامَ المُهَنّدَا
فإنّي رَأيْتُ السّيْفَ أنصرَ للفتَى ، إذا قَالَ قَوْلاً مَاضِياً أوْ تَوَعّدَا
أرَى بَينَ نَيْلِ العِزّ وَالذّلّ سَاعَةً مِنَ الطّعنِ تَقتادُ الوَشيجَ المُقَصَّدَا[1]
فَمَنْ أخّرَتْهُ نَفْسُهُ ماتَ عاجِزاً ؛ وَمَنْ قَدّمَتْهُ نَفْسُهُ مَاتَ سَيّدَا
إذا كَانَ إقدامُ الفَتَى ضَائِراً لَهُ ، فَما المَجدُ مَطلُوباً، وَلا العِزُّ مُقتدَى
فِدًى لابنِ عبّادٍ ضَنِينٌ بِنَفْسِهِ ، إذا نَقَضَ الرّوْعُ الطِّرَافَ المُمَدَّدَا[2]
وَدَبّرَ أطْرَافَ الرّمَاحِ ، وَإنّمَا يُدَبِّرُ قَبْلَ الطّعْنِ رَأياً مُسَدَّدَا
بهِ طَالَ مِنْ خَطوِي، وكنتُ كأنّني مَشَيْتُ إلى نَيْلِ المَعَالي مُقَيَّدَا
وَمَنْ ماتَ في حَبسِ المَذَلّةِ قَلْبُهُ رَأى العِزَّ في دارِ المَذَلّةِ مَوْلِدَا
يَسُرّ الفَتَى حَملُ النّجَادِ ، وَرُبّما رَأى حَتفَهُ في صَفحَتَيْ ما تَقَلّدَا
لنَالَ المَعالي مَنْ يُذِلّ بنَفْسِهِ ، وَلا يَدّخرُ الآبَاءَ مَجْداً مُوَطَّدَا
وَمَا يُستَفَادُ العِزّ مِنْ شيمَةِ الفَتَى إذا كَانَ في دِينِ المَعَالي مُقَلَّدَا
أبَا قَاسِمٍ هذا الذي كُنتُ رَاجِياً ، لأُرْغِمَ أعْداءً ، وَأكْبِتَ حُسّدَا
إذا جزِعَتْ أيّامُنَا كنتَ مَعْقِلاً ؛ وَإنْ ظَمِئَتْ آمَالُنَا كُنتَ مَوْرِدَا
وَلَمّا رَأيْتُ الثّوْبَ يُعفي قَرِينَهُ ، لَبِستُ إلَيكَ الشّرْعَبيّ المُعَضَّدَا

١ الوشيج : قصب الرماح . المقصد : المكسر

٢ الطراف : بيت من أدم .

وَلَوْ كانَ لا يَجني على المَرْءِ بَأسُهُ ... لَدَرّعَني العَزْمُ الدِّلاصَ المُسَرَّدَا

وَلَيْلٍ دَفَعْنَاهُ إلَيْكَ ، كَأنّما ... دَفَعْنَا بِهِ لُجّاً مِنَ اليَمّ مُزْبِدَا

وَشَمسٍ خَلَعناها عَلَيكَ مَرِيضَةً ، ... وَكُنّا لَبِسْنَاهَا رِداءً مُوَرَّدَا

وَمَلْكٍ أنِفْنَا أنْ نُقيمَ بِبَابِهِ ، ... فَزَوّدَنَا زَادَ امرِىءٍ مَا تَزَوّدَا

وَأمْرَدَ حَيٍّ مُلْتَحٍ بِلِثَامِهِ ، ... يَطولُ جَوَاداً قادحَ السّنّ أجرَدَا[1]

رَأى أرْجلَ الحُوصِ الخِماصِ كأنّما ... تُسَالِبُ أيْدِيهَا النِّجَاءَ العَمَرّدَا[2]

تركْنا لأيدي العيسِ ما خلفَ ظَهرِها ... وَمَنْ ذَلّ في دارٍ رَأى البُعدَ أحمَدَا

وَسِرْنا عَلى رُغْمِ الظّلامِ كَأنّنَا ... بُدُورٌ تُلاقي مِنْ جَنَابِكَ أسعُدَا

تَرَكْتُ إلَيكَ النّاسَ طُرّاً كأنّني ... أرَى كلّ مَحجوبٍ بَعيراً مُعَبَّدَا

فَيا لَيتَ رُعيَانَ القَضِيمَةِ خَبّرُوا ... بأنّي رَعَيْتُ العِزّ غَضّاً مُجَدَّدَا[3]

فَلِلّهِ نُورٌ في مُحَيّاكَ ، إنّهُ ... يُمَزّقُ جِلْبَاباً مِنَ اللّيلِ أرْبَدَا

وَلله مَا ضَمّتْ ثَنَايَاكَ ، إنّهَا ... ثَنَايَا جِبَالٍ تُطلِعُ البأسَ وَالنّدَى

أغِرْ ضَوْءَهَا ، يا قِبلَةَ المَجْدِ ، إنّني ... أرَى غُرَرَ الآمَالِ نَحوَكَ سُجّدَا

وَأنتَ الذي ما احتَلّ في الأرْضِ مقعداً ... مِنَ الجدّ إلاّ اشتَقّ في الجَوّ مَصْعَدَا

إذا ظَمِئَتْ عِيسٌ إلَيكَ ، فَإنّمَا ... حَقَائِبُهَا تَرْوِي لُجَيْناً وَعَسجَدَا

١ قادح السن : متآكلها .

٢ الحوص : الغائرة العيون . الخماص : الجياع . تسالب : تختلس . النجاء : ما ارتفع من الأرض العمرد : الطويل .

٣ القضيمة : الميرة القليلة .

تُكَتِّمُكَ الأَسْرَارُ حَزْماً وَفِطْنَةً ، وَتَفْضَحُكَ الآرَاءُ عِزّاً وَسُؤْدُدَا

وَمَا كُنتَ إلاّ السّيفَ يُعرَفُ مُنتَضًى ، وَيُنكَرُ في بَعضِ المَوَاطِنِ مُغمَدَا

وَحَيٍّ جِلالٍ قَدْ صَبَحتَ بِغَارَةٍ مِنَ الخَيْلِ يَستَاقُ النّعامَ المُشَرَّدَا

وَيَوْمٍ مِنَ الأيّامِ شَوّهْتَ وَجْهَهُ بأغبَرَ كَدَّ الطّيرَ حتّى تَبَلّدَا[1]

رَمَتْ بكَ أقصَى المَجدِ نفسٌ شرِيفَةٌ ، وَقَلْبٌ جَرِيءٌ لا يَخافُ من الرّدَى

وَهِمّةُ مِقْدامٍ عَلى كُلّ فَتْكَةٍ ، يُفَارِقُ فِيهَا طَبعُهُ مَا تَعَوّدَا

مُقِيمٌ بِصَحرَاءِ الضّغائِنِ مُصْحِراً ، إذا أخمَدَتْ مِن نارِها الحَرْبُ أوْقدَا

لَكَ القَلَمُ المَاضِي الذي لَوْ قَرَنْتَهُ بجَرْيِ العَوَالي كَانَ أجرَى وَأجوَدَا

إذا انْسَلّ مِنْ عَقْدِ البَنَانِ حَسِبتَهُ يَحوكُ على القِرْطاسِ بُرْداً مُعَمَّدَا

يُغازِلُ مِنْهُ الخَطُّ عَيْناً كَحِيلَةً إذا عَادَ يَوْماً ناظِرُ الرّمحِ أرْمَدَا

وَإن مَجّ نَصْلٌ من دمِ الصِّرْبِ أحمراً أرَاقَ دَماً من مَقتَلِ الخَطبِ أسوَدَا[2]

إذا استَرْعَفَتهُ هِمّةٌ منكَ غادَرَتْ قَوَادِمَهُ تَجرِي وَعِيداً وَمَوْعِدَا

سَأُثْني بأشعارِي عَلَيكَ ، فَإنّني رَأيتُ مَسُودَ القَوْمِ يُطرِي المُسَوَّدَا

فَما عَرّفَتني الأرْضُ غَيرَكَ مَطلَباً ، وَلا بَلّغَتْني العِيسُ إلاّكَ مَقصَدَا

ألا إنّ تَرْكَ الحَمدِ تَبخيلُ مُحسِنٍ ، وَمَا بَذَلَ المِعْطَاءُ إلاّ لِيُحْمَدَا

لَئِنْ كُنتُ في مَدحِ العُلى فاغِراً فماً ، فَإنّي إلى غَيرِ النّدَى باسِطٌ يَدَا

خَطَبْتُ إلَيكَ الوُدّ لا شَيْءَ غَيرَهُ ، وَودُّ الفَتَى كالبِرّ يُعطَى وَيُجتَدَى

---

١ الكد : الإلحاح بالطلب . التبلد : الاستكانة والخضوع .

٢ الصرب : الصبغ الأحمر .

دَعَاني إلَيْكَ العزُّ حتّى أجبْتُهُ ، وَمَنْ طَلَبَتْهُ جُمّةُ المَاءِ أوْرَدَا

وإنّي لأرْجُو مِنْ جِوَارِكَ فَعْلَةً ، أغيظُ بِهَا الحُسّادَ مَثنًى وَمَوْحَدَا

وَمَدْحُكَ هذا بِكْرُ مَدْحٍ مَدَحتُه ، وكنتُ أرُوضُ القَوْلَ حتّى تَسَدّدَا

وَلَوْ عَلِقَتْ منّي بغَيرِكَ مَدْحَةٌ ، لَكُنْتُ كَمَنْ يَعتاضُ بالماءِ جَلمَدَا

وَلَستُ براضٍ هذِهِ لَكَ تُحفَةً ، أُضَمّنُهَا فيكَ الثّنَاءَ المُخَلَّدَا

فإنْ كانَ شِعرِي فاتَكَ اليَوْمَ آبِياً عَليّ ، فإنّي سَوْفَ أعطيكَهُ غَدَا

وَلَوْلاكَ ما أوْمَى إلى المَدحِ شاعِرٌ يَعُدّ عَلِيّاً للعُلَى وَمُحَمّدَا

أبُوهُ أبُوهُ المُسْتَطيلُ بِنَفْسِهِ ، عَلى العِزّ مَصْرُوفاً بِهِ وَمُقَلَّدَا

فتًى سِنّهُ عن خَمسَ عشرَةَ حِجّةً تُرَبّي لَهُ فَضْلاً وَمَجداً وَمَحتِدَا

فَتيُّ الصِّبَا كَهلُ الفَضَائِلِ ما مشَى إلى العُمرِ إلاّ احتَلّ في الفضْلِ مقعدَا

تَفَرّدَ لا يُفشِي إلى غَيرِ نَفْسِهِ حَديثاً وَلا يَدعُو من النّاسِ مُنجدَا

وَلا طالِباً مِنْ دَهْرِهِ فَوْقَ قُوتِهِ ، كَفَاني مِنَ الغُدرَانِ ما نَقَعَ الصّدَى

سَأحمَدُ عَيشاً صَانَ وَجهي بمائِهِ ، وَإنْ كانَ ما أعطَى قَليلاً مُصَرَّدَا[1]

وَقالوا : لِقَاءُ النّاسِ أنسٌ وَرَاحةٌ ، وَلَوْ كنتُ أرْضَى النّاسَ ما كنتُ مفرَدَا

طَرِبتُ إلى الفَضْلِ الذي فيكَ وَانتَشَى لذِكرِكَ شِعْرِي رَاقِداً وَمُسَهَّدَا

وَما كنتُ إلاّ عاشِقاً ضَاعَ شَجْوُهُ ، فَأصْبَحَ يَستَملي الحَمَامَ المُغَرِّدَا

وَلَيسَ عَجيباً إن طَغَى فيكَ مِقوَلٌ ، رَآكَ حَقيقاً في المَعالي ، فَجَوّدَا

---

[1] المصرد : القليل .

بَعُدتُ عَنِ الإنشادِ مِن غيرِ رَغبَةٍ ، وَلكِنّني استَخلَفتُ نُعماكَ مُنشِدا
فَمُرْني بِأمْرٍ قَبلَ مَوتي ، فإنّني أرَى المَرْءَ لا يَبقى وَإنْ بَعُدَ المَدَى
وَمَا المَيتُ إلاّ رَاحِلٌ كَرِهَ النّوَى ، وَأعْجَلَهُ المِقْدارُ أنْ يتَزَوّدا

بيني وبينك حرمتان

يمدحه أيضاً وقد بلغه أن شيئاً من شعره وقع إليه فأعجب به وأنفذ إلى بغداد لانتساخ تمام شعره وكتب بها إليه وذلك في المحرم سنة ٣٨٥ :

أثَرُ الهَوَادِجِ في عِرَاصِ البِيدِ ، مِثْلُ الحِبَالِ عَلى الجِمَالِ القُودِ
يَطلُعنَ مِنْ رَمْلِ الشّقيقِ لَوَاغِباً، زَحفَ الجُنُوبِ بعارِضٍ مَمدُودِ[1]
كَمْ بانَ في المُتَحَمِّلِينَ عَشيّةً ، مِن ذي لَمًى خَصِرِ الرّضَابِ بَرُودِ[2]
وَقَضِيبِ إسحِلَةٍ لَوِ انعَطَفَ الصَّبَا يَوْماً لَنَا بِقَوَامِهِ الأُمْلُودِ[3]
مَرّوا على رَمْلَيْ زَرُودَ ، فهَلْ تَرَى إلْصَاقَةً لِحَشًى بِرَمْلِ زَرُودِ
مُتَلَفّتِينَ مِنَ القِبَابِ ، كَأنّمَا انتَقَبُوا بأعيُنِ رَبْرَبٍ وَخُدُودِ

١ اللواغب : المعيية . العارض : الجبل .
٢ الخصر : البارد .
٣ الإسحلة : شجرة تشبه الأثل تعمل منها المساويك .

غَرَسُوا الغُصُونَ عَلى النَقَا وَتَرَنّحوا   مِنْ كُلِّ مَائِلَةِ الغَدائِرِ رُودِ[1]
إنَّ اللآلي بَينَ أصْدافِ اللَّمَى ،   غَلَبَتْ مَرَاشِفُهَا عَلى مَجلُودِي
وَلَوَوْا بوَعْدِي يوْمَ خَفّ قَطِينُهمْ ،   وَمِنَ الصُّدُودِ اللّيُّ بالمَوْعُودِ
لَمْ تُرْضِنِي تِلْكَ اللّيَالي عَنهُمُ   بِنَوَالِهِمْ ، فأقُولَ يَوْماً : عُودِي
سِيّانِ قُرْبُهُمُ عَليّ ، وَبُعدُهُمْ ،   لَوْلا الجَوَى وَعَلاقَةُ المَعْمُودِ[2]
رَبَعَتْ عَلى آثَارِكُمْ نَجدِيّةٌ ،   غَرّاءُ ذاتُ بَوَارِقٍ وَرُعُودِ
تَسقي مَعالِمَ منكُمُ ، لَوْلا النّوَى   لَمْ أرْمِهَا بِقِلّى ، وَلا بِصُدُودِ
وَلَعُجْتُ فيها طارِحاً عَنْ نَاظِرِي ،   ثِقْلَ الدّمُوعِ ، وَثانِياً مِنْ جِيدِي
هَلْ تَبْرُدُونَ حَرَارَةً مِنْ حَائِمٍ   حَرّانَ عَنْ ذاكَ الغَديرِ مَذُودِ
فَلَقَدْ تَمَعّكَ في مَوَاطِىءِ عيسكمْ   يَوْمَ الوَداعِ ، تَمَعُّكَ المَوْؤودِ[3]
وَأمَا وَذَيّاكَ الغُزَيِّلُ إنّـهُ   عَرَضَ الزّلالَ وَحالَ دونَ وُرُودِي
أغْدُو إلى طَرْدِ الظّبَاءِ ، وَأنْثَنِي ،   وَأنَا الطّرِيدَةُ للظّبَاءِ الغِيدِ
حتامَ تَعْتَلِقُ البَطالَةُ مِقْوَدِي ،   وَيَعُودُني لِهَوَى الظّعائِنِ عِيدِي
عِشرُونَ أرْدَفَهَا الزّمَانُ بِأرْبَعٍ ،   أرْهَفنَني ، وَمَنَعنَ مِنْ تَجرِيدِي[4]
أعْلَقْتُ في سِرْبِ الخُطُوبِ حَبَائِلي،   وَقَدَحتُ في ظُلَمِ الأمورِ زُنُودِي

[1] الرود : الشابة الحسنة .
[2] المعمود : الذي ضناه العشق .
[3] تمعك : تمرغ . الموؤود : المدفون حياً .
[4] أرهفنني : رققني .

وَكَرَعْتُ في حُلْوِ الزّمَانِ وَمُرّهِ ما شئتُ وَاعتَقَبَ العوَاجمُ عُودي[1]
وَفَرَعْتُ رَابيَةَ العُلَى، مُتَمَهِّلاً، أجْرِي أمَامَ الطّالِبِ المَجْهُودِ
وَخَبَطْتُ في المُتَعَرّضِينَ بِقَوْلَةٍ جَدّاءَ مِنْ بِدَعِ الزّمانِ شَرُودِ[2]
فضَرَبْتُ أوْجُهَهُمْ بِغَيرِ مَنَاصِلٍ، وَهزَمْتُ جَمعَهُمُ بِغَيرِ جُنُودِ
مَا ضَرّني، لمّا فَلَلْتُ غُرُوبَهُمْ، أنّي كَثُرْتُ لهُمْ وَقَلّ عَديدي
وَأبي الذي حَسَدَ الرّجَالُ قَديمَهُ؛ إنّ المَنَاقِبَ آيَةُ المَحْسُودِ
ذو السّنّ وَالشّرَفِ الذي جَمَعتْ بهِ كَفّاهُ أخمِطَةَ العُلَى . وَالجُودِ[3]
إحدَى أخامِصِهِ رِقَابُ عُدَاتِهِ، مِنْ سَيّدٍ بَلَغَ العُلَى وَمَسُودِ
فَالآنَ إذْ نَبَذَ المَشيبُ شَبيبَتي، نَبْذَ القَذَى، وَأقامَ مِنْ تَأوِيدي
وَفَرَرْتُ مِنْ سِنّ القَرُوحِ تَجارِباً، وَعَسَا على قَعَسِ السّنِينَ عَمُودي[4]
وَلَبِستُ في الصّغَرِ العُلَى مُسْتَبْدِلاً أطْوَاقَهَا بِتَمَائِمِ المَوْلُودِ
وَصَفَقْتُ في أيدي الخَلائِفِ رَاهِناً لَهُمُ يَدي، بوَثَائِقٍ وَعُقُودِ[5]
وَحَلَلْتُ عِندَهُمُ مَحَلّ المُجتَبَى، وَنَزَلْتُ مِنهُم مَنزِلَ المَوْدُودِ
فَغَرَ العَدُوُّ يُرِيدُ ذَمّ فَضَائِلي؛ هَيهَاتَ أُلْجِمَ فُوكَ بالجُلمُودِ
هَمساً، فكَمْ أسكَتُّ قَبلَكَ كاشحاً بِمَنَاقِبي، وَعَليّ فَضْلُ مَزِيدِ

١ اعتقب : تفحص .
٢ جداء : لعله أراد جديدة .
٣ الأخمطة، الواحد خمط : اللبن الطيب الريح .
٤ القعس : خروج الصدر .
٥ صفقت : أراد بايعتهم بالخلافة .

مَا لي أُريغُ النَّصْفَ مِنْ مُتَحَامِلٍ ، أوْ أطلُبُ الإجْمَالَ عِندَ حَسُودِ
أمْ كَيفَ يَرْأمُني ،ولَيسَ بمُنجِبي ، أتَرَى الرَّؤومَ تكونُ غَيرَ وَلُودِ
فَلأنْهَضَنَّ إلى المَعَالي نَهْضَةً مِلءَ الزّمانِ تَفي بطُولِ قُعُودِي
إجمَحْ أمَامَكَ إنْ هَمَمْتَ بفَعلَةٍ ، وَتَغابَ عَنْ عذْلٍ وَعَنْ تَفنيدِ[1]
وَإذا التَفَتَّ إلى العَوَاقِبِ بَدّلَتْ قَلْبَ الجَرِيّ بِمُهْجَةِ الرِّعْدِيدِ
قَدْ قُلْتُ للإبلِ الطِّلاحِ حَدَوْتُهَا غَلَسَ الظّلامِ بِسَائِقٍ غِرّيدِ
مِنْ كُلّ مُضْطَرِبِ الزِّمَامِ ، كأنّهُ في اللّيْلِ زُمّ بِأرْقَمٍ مَطْرُودِ
فَتَلَ الطّوَى أجْوَافَهَا بِظُهُورِها ، وَأحَلّ أكْلَ لحُومِهَا للبِيدِ
إنْ لمْ تَرَيْ كَافي الكُفَاةِ ، فلَم يزَل مِنكُنّ مَسْقِطُ ظَالِعٍ أوْ مُودِ[2]
بِهُدَاهُ يَسْتَضْوِي الوَرَى وَبِهَدْيِهِ قَرُبَ الطّرِيقُ لَهُمْ إلى المَعْبُودِ
أسَدٌ إذا جَرّ القَبَائِلَ خَلْفَهُ ، حَلّ الطُّلَى بِلِوَائِهِ المَعْقُودِ
وَمُقَصِّرٍ في الطُّولِ غَيرِ مُقَصِّرٍ في الضّرْبِ يَقطَعُ كلَّ حَبلِ وَرِيدِ
وَمُزَعزَعٍ مثلِ الجَرِيرِ، إذا انْحَنَى للطّعْنِ شُيّعَ بالطّوَالِ المِيدِ[3]
مَا مَرّ يَسْحَبُ مِنهُ إلاّ رَدّهُ رَيّانَ يَقْطُرُ مِنْ دِمَاءِ الصِّيدِ
وَالجَيشُ يَرْفَعُ عِمّةً مِنْ قَسطَلٍ فَوْقَ القَنَا وَيَجُرّ ذَيلَ حَدِيدِ
سَلَفٌ لِكُلّ كَتيبَةٍ يَطَأُ العِدَى ، فِيهَا مُفَاجَأةٌ بِغَيرِ وَعِيدِ

١ اجمح أمامك : أي أسرع ، لا يردك شيء .
٢ الظالع : الغامز في مشيه . المودي : الهالك .
٣ الجرير : الحبل .

فِي غِلْمَةٍ حَمَلُوا القَنَا ، وَتَحَمّلوا أعْبَاءَ يَوْمِ المَأزِقِ المَشْهُودِ
قَوْمٌ ، إذا رَكِبُوا الجِيَادَ تَجَلبَبُوا بِقَسَاطِلٍ وَتَعَمّمُوا بِبُنُودِ
وَإذا سَرَوْا كَمَنُوا كُمُونَ أرَاقِمٍ ؛ وَإذا لَقُوا بَرَزُوا بُرُوزَ أُسُودِ
وَإذا هَتَفْتَ بِهِمْ لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ ، تَدْمَى غَوَارِبُ نَحرِهَا المَوْرُودِ
كَثَرُوا الحَصَى بِجُمُوعِهِمْ وَتَلاحَقُوا بِكَ مِنْ قِيَامٍ فِي السّرُوجِ قُعُودِ
كَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ أبَاتَ كَأنّمَا يَطْوِي الضّلُوعَ عَلَى قَنًا مَقْصُودِ
لِوَعِيدِ مُحتَضِرِ العِدَى بِحُسَامِهِ ، قَبْلَ احْتِمَالِ ضَغَائِنٍ وَحُقُودِ
وَمُؤلَّلاتٍ كَالرِّمَاحِ تَلَمّظَتْ فِيهَا المَنُونُ تَلَمُّظَ المَزْؤودِ[1]
سُودُ المَخَاطِمِ يَنْتَظِمْنَ مَحَاسِناً بِيضاً ، يُضِئْنَ عَلَى اللّيَالي السّودِ
كَتَفَتّحِ النُّوّارِ فَتّقَهُ الحَيَا ، أوْ كَالصّبَاحِ فَرَى الدُّجَى بِعَمُودِ
ما زَالَ قَدْرٌ مِنْ عَقِيرَةِ سَيْفِهِ عَلَماً أمَامَ رِوَاقِهِ المَمْدُودِ
وَجِفَانِ جُودٍ كَالرّكَايَا تُستَقَى أبَداً بِأيْدِي نُزّلٍ وَوُفُودَ
كَمْ حَجّةٍ لكَ في النّوَافِلِ نَوّهَتْ بِدُعَاءِ دِينِ العَدْلِ وَالتّوْحِيدِ
وَمُجَادِلٍ أدْمَى جِدالُكَ قَلْبَهُ ، وَأعَضّهُ بِجَوَانِبِ الصَّيْخُودِ[2]
وَشَفَيْتَ مُمتَرِضَ الهُدَى من مَعشرٍ سَدّوا مِنَ الآرَاءِ غَيرَ سَدِيدِ
قَارَعْتَهُمْ بِالقَوْلِ حَتّى أذْعَنُوا ، وَأطَلْتَ نَوْمَ الصّارِمِ المَغْمُودِ

١ المؤللات : المحددات الأطراف . التلمظ : التلوق . المزؤود : المذعور .

٢ الصيخود : الصخر الشديد .

جَمْرٌ بِمَسهَكَةِ الرِّيَاحِ نَسَفْتَهُ، كَانَ الضَّلالُ يَمُدُّهُ بوَقُودِ[1]
في كُلّ مُعضِلَةٍ أضَبَّ رِتَاجُهَا ، يُلْقِي إلَيكَ الدِّينُ بالإقْلِيدِ[2]
فَاللهُ يَشْكُرُ وَالنَّبيُّ مُحَمَّدٌ وَقَفَاتِ مُبْدٍ في النّضَالِ مُعِيدِ
رَأيٌ يُغَبّ ، إذا الرِّجالُ تَلَهْوَجُوا الآرَاءَ، أوْ عَجِلُوا عَنِ التّسْدِيدِ[3]
لَوْ كَانَ يُمكِنُني التّقَلّبُ لمْ يكُنْ إلاّ إلَيْكَ تَهَائمي وَنُجُودِي
وَطَوَيتُ،ما بَعُدَتْ،مَسافَةَ بَينِنَا، إنّ البَعِيدَ إلَيْكَ غَيرُ بَعِيدِ
وَأنَختُ عِيسِي في جَنابِكَ طَارِحاً بِفِنَاءِ دارِكَ أنْسُعي وَقُتُودِي[4]
وَتَرَكْتُ أسْوُقَها نُكُوسَ عَقِيرَةٍ مُتَبَدّلاتِ صَوَارِمٍ بِقُيُودِ
بَيْني وَبَينَكَ حُرْمَتَانِ تَلاقَتَا ، نَثْرِي الذي بِكَ يَقتَدي وَقَصِيدي
وَوَصَايِلُ الأدَبِ الذي تَصِلُ الفَتَى لا بِاتّصَالِ قَبَائِلٍ وَجُدُودِ
قَدْ كنتُ أعقِلُ عَن سِوَاكَ عَقَائِلي، وَأصُونُ دُرّ قَلائِدي وَعُقُودِي
وَأحوكُ أفوَافَ القَرِيضِ ، فَلا أرَى أنّي أدَنِّسُ بِاللّئَامِ بُرُودِي
وَلَقَدْ ذَمَمتُ النّاسَ قَبلَكَ كُلّهم، فَالآنَ طُرّقَ لي إلى المَحْمُودِ
إنْ أُهْدِ أشْعَارِي إلَيْكَ ، فَإنّهُ كَالسَّرْدِ أعْرِضُهُ عَلى داوُدِ
لَكِنّني أعطَيتُ صَفوَ خَوَاطِرِي ، وَسَقَيْتُ ما صَبّتْ عَلَيّ رُعُودِي
وَسَمَحْتُ بالمَوْجُودِ عِندَ بَلاغَتي ؛ إنّي كَذاكَ أجُودُ بِالمَوْجُودِ

[1] المسهكة : ممر الريح الشديدة .
[2] أضب : صوت . الإقليد : المفتاح .
[3] يغب : يحمد غبه ، عاقبته . تلهوجوا : لم يبرموا أمرهم .
[4] الأنسع ، الواحد نسع : السير تشد به الرحال . القتود ، الواحد قتد : خشب الرحل .

رداء من الجمال

يمدح الوزير أبا نصر سابور بن ازدشير
وكتب بها إليه وهو بالأهواز بعقب زوال وحشة
كانت بينه وبين والده ويذكره بالوصلة التي
كانت بينهما على بنت الوزير ثم انفسخ ذلك :

أُعَاتِبُ أيّامي ،وَمَا الذّنْبُ وَاحِدٌ ، وَهُنّ اللّيَالي البَادِيَاتُ العَوَائِدُ
وَأهْوَنُ شيءٍ في الزّمَانِ خُطُوبُهُ ، إذا لَمْ يُعَاوِنْهَا العَدُوُّ المُعَانِدُ
وَكَيفَ تَلَذُّ العَيشَ عَينٌ ثَقِيلَةٌ على الخَلْقِ أوْ قَلبٌ على الدّهرِ وَاجِدُ
وناصبُ مالٍ ،وهوَ في الجُودِ فائضٌ ، وناقصُ حَظٍّ . وهوَ في المَجْدِ زائدُ
نَضَوْتُ شَبَاباً لمْ أنَلْ فيهِ سُبّةً . عَلى أنّ شَيطَانَ البَطَالَةِ مَارِدُ
وكنتُ قَصِيرَ البَاعِ عَنْ كُلِّ مُجرِمٍ ، وَمِنْ عُنْدُدي قَلبٌ جَرِيٌّ وَسَاعِدُ
وَعِندِي إبَاءٌ لا يَلِينُ لِغَامِزٍ ، وَلَوْ نَازَعَتْنِيهِ الرِّقَاقُ البَوَارِدُ[1]
وَكلُّ فتًى لم يَرْضَ عن عزْمةِ القَنا ، ذَليلاً ، وَلَوْ ناجَى عُلاهُ الفَرَاقِدُ
وَلَوْلا الوَزِيرُ الأزْدَشِيرِيُّ وَحْدَهُ ، لَغَاضَ المَعالي وَالنّدَى وَالمَحامِدُ
وَسُدّ طَرِيقُ المَجدِ عَنْ كلّ سالكٍ ، وَضَاقَتْ عَلى الآمَالِ هذي المَوَارِدُ
فَتًى نَفَحَتْني مِنْهُ رِيحٌ بَلِيلَةٌ ، تُغادِرُ عُودِي وَهوَ رَيّانُ مَائِدُ
وَمَدّ بضَبْعي يَوْمَ لا العَزْمُ ناصِرٌ ، وَلا الرّمْحُ مَنّاعٌ ،وَلا العَضْبُ ذائِدُ

[1] الرقاق البوارد : السيوف القواتل .

وَسَاعَدَ جَدّي في بلُوغي إلى العُلى، وَمَا بَلّغَ الآمَالَ إلاّ المُسَاعِدُ
عَلى حِينَ وَلاّني المُقَارِبُ صَدّهُ ، وَزَادَ عَلى الصّدّ العَدُوُّ المُبَاعِدُ
تَوَدُّ العُلَى طُلاّبُهَا، وَهوَ وَادِعٌ، وَيَبْلُغُ مَا لمْ يَبلُغُوا ، وَهوَ قاعِدُ
يُخَلّى لَهُ عَنْ كُلّ عِزٍّ وَسُؤدُدٍ، وَيُلْقَى إلَيْهِ في الأمُورِ المَقالِدُ
أنِيسُ سُرُوجِ الخَيْلِ في كلّ ظُلمةٍ، وَبَينَ الغَوَاني مَضْجَعٌ مِنهُ بَارِدُ
هُمُومٌ تُنَاجَى بِالعَلاءِ وَهِمّةٌ لهَا فَارِطٌ في كُلّ مَجدٍ وَرَائِدُ[1]
يُعَلّمُهُ بَهْرَامُ كُلَّ شَجَاعَةٍ ، وَيُقْطِعُهُ أقْصَى المَعَالي عُطَارِدُ[2]
وَكَيْفَ يَغَصّ الأقْرَبُونَ بِوِرْدِهِ وَقَدْ نَهِلَتْ مِنْهُ الرّجَالُ الأبَاعِدُ
لكَ اللهُ مَا الآمَالُ إلاّ رَكَائِبٌ ، وَأنْتَ لهَا هَادٍ وَحَادٍ وَقَايِدُ
أبَى لكَ إلاّ الفَضْلَ نَفسٌ كَرِيمَةٌ، وَرَأيٌ إلى فِعْلِ الجَميلِ مُعَاوِدُ
وَطَوْدٌ مِنَ العَلْيَاءِ مُدّتْ سُموكُهُ فَطالَتْ ذُرَاهُ وَاطمَأنّ القَوَاعِدُ
وَإنّي لأرْجُو مِنْ عَلائِكَ دَوْلَةً تُذَلِّلُ لي فيهَا الرِّقَابُ العَوَانِدُ
وَيَوْماً يُظِلّ الخَافِقَيْنِ بِمُزْنَةٍ رَذاذٍ ، غَوَادِيها الرّؤوسُ الشّوَارِدُ
لأعْقِدَ مَجداً يُعجِزُ النّاسَ حَلُّهُ، وَتَنحلّ مِنْ هَامِ الأعَادي مَعاقِدُ
فَمَنْ ذا يُرَامِيني وَلي مِنكَ جُنّةٌ ؛ وَمَنْ ذا يُدانيني وَلي منكَ عَاضِدُ
عَلَيّ رِداءٌ مِنْ جَمالِكَ وَاسِعٌ ، وَعِنْدِيَ عِزٌّ مِنْ جَلالِكَ خَالِدُ
وَلَوْ كُنتُ مِمّنْ يَملِكُ المَالُ رِقّهُ لَقَلّتُ بعُنقي مِنْ نَداكَ قَلائِدُ

١ الفارط : السابق إلى الماء .
٢ بهرام : هو المريخ عند الفرس . عطارد : نجم معروف .

فَلا تَتْرُكَنّي عُرْضَةً لمُضَاغِنٍ يُطَارِدُ في أضْغَانِهِ وَأُطَارِدُ
وَلَوْلا صُدُودٌ مِنكَ هانَتْ عَظائِمٌ تَشُقّ على غَيرِي وَذَلّتْ شَدائِدُ
وَلكِنّكَ المَرْءُ الذي تَحتَ سُخطِهِ أُسُودٌ تَرَامَى بالرّدَى وَأسَاوِدُ
كَأنّكَ لِلأرْضِ العَرِيضَةِ مَالِكٌ وَحِيداً ، وَللدّنْيا العَظِيمَةِ وَالِدُ
فَعَوْداً إلى الحِلْمِ الذي أنْتَ أهلُهُ ، فمِثْلُكَ بِالإحْسَانِ بَادٍ وَعَائِدُ
وَحَامٍ عَلى مَا بَيْنَنَا مِنْ قَرَابَةٍ ، فإنّ الذي بَيْني وَبَيْنَكَ شَاهِدُ
وَأرْعِ مَقَالي مِنكَ أُذْناً سَمِيعَةً ، لهَا بِلِقَاءِ السّائِلِينَ عَوَائِدُ
وَمُرْ بجَوَابٍ يُشْبِهُ البَدْءَ عَوْدُهُ ، لِيُرْدِي عَدُوّاً ، أوْ لِيكبِتَ حاسِدُ[1]

أكافينا النصيح

قال بديهاً لكافي الكفاة وزير بهاء الدولة وقد عاتبه على تأخره عنه :

أكَافِيَنَا النّصِيحَ بَقِيـ ـتَ فِينَا دائِماً أبَدَا
تَحُثّ إلى العُلَى قَدَماً ، وَتَبْسُطُ بِالنّوَالِ يَدَا
لَئِنْ حَرّقْتَني عَذْلاً ، لَقَدْ نَوّهْتَ بي صُعُدَا
فَطُلْتُ الأطْوَلِينَ عُلًى ، وَفُتُّ الأبْعَدِينَ مَدَى
عَلَيّ طُرُوقُ وِرْدِكُمُ ؛ وَلَيْسَ عَليّ أنْ أرِدَا

---

[1] ليكبت : ليخزى .

نفس صبارة

يمدح أباه ويذم الزمان لخطوب طرقته ،
وذلك سنة أربع وسبعين وثلاثمائة :

إذا احتَبَى بالعُشْبِ الوَادِي ، وَانْحَلَّ فِيهِ الوَاكِفُ الغَادِي
وَفَوَّفَتْ رِيحُ الصَّبَا مَتْنَهُ تَفْوِيفَ أعْلامٍ وَأبْرَادِ[1]
فَلا سَقَاكِ اللهُ مِنْ صَفْوِهِ ، أوْ تُنجِزِي في السَّيرِ مِيعَادِي
رُبَّ طِلابٍ أتْلَعٍ رُمْتُهُ ، وَحَاجَةٍ عَالِيَةِ الهَادِي[2]
مُعْتَجِراً باللّيْلِ أحْدُو بِهِ بَزْلاءَ تَسْتَوْلي عَلَى الحَادِي[3]
لا أرِدُ المَاءَ ، وَلَوْ أنّني ضَجيعُ أسْدامٍ وَأعْدَادِ[4]
كَأنّني رَوْعَاءُ مَطْرُودَةٌ يَزْوَرّ عَنْهَا جَانِبُ الوَادِي
هذا ، وكَمْ فَيضٍ تَرَشّفْتُهُ ، وَالمَاءُ لا يُلْوِي عَلَى الصّادِي
تَوْمٌ بِي الخَرْقَاءَ مَخطُومَةٌ أمَامَ وُرّادٍ وَرُوّادِ[5]
أشْرَفُ بَيْتٍ مِنْ بَني هاشِمٍ ، وَخَيْرُ أطْنَابٍ وَأعْمَادِ

١ فوفت : خططت .
٢ الأتلع : الطويل . الهادي : العنق .
٣ المعتجر : الذي يلف عمامته على رأسه . البزلاء : الناقة التي شق نابها .
٤ الأسدام ، الواحد سدم : الهم مع الندم ، الغيظ مع الحزن . الأعداد ، الواحد عد : الماء الجاري لا ينقطـع .
٥ الخرقاء : الأرض الواسعة . مخطومة : أراد ناقة مخطومة ، أي موضوع لها زمام .

أَلقَتْ إلَيْهِ نَاقَتي ،في السُّرَى ، فُضُولَ إتْهَامي وَإنْجَادِي

تَرَكْتُ مَنْ لَيسَتْ لَهُ هِمّةٌ مُلْتَفِتاً في المَاءِ وَالزّادِ

تَلَوْتَ مُوسَى بابنِهِ في العُلَى ، بفَضْلِ أجْدادٍ وَأجْدادِ

نِعْمَ حِمَى الدّرْعِ لِيَوْمِ الوَغى أنْتَ وَرَاعي الحِلْمِ للنّادي

إذا القَنَا مُدّ مَدَى بَاعِهِ عَانَقْتَهُ في ثَوْبِ فِرْصَادِ[1]

أدعُوكَ ، وَالدّهرُ لَهُ وَقْفَةٌ مَا بَينَ إصْدارِي وَإيرَادِي

لِمِثْلِهَا أدْعُو بَنَاتِ السُّرَى ، تَخْلِطُ أعْنَاقاً بِأعْضَادِ

نَفسِي ، كمَا تَعرِفُ ، صَبّارَةٌ لوْ لمْ يَفُضّ الخطبُ مِنْ آدِي[2]

وَلَوْ أمِنْتَ الدّهْرَ أحْداثَهُ ، صَافَحتَ كَفّ الضّيغَمِ العادِي

ما ليَ لا أرْغَبُ عَنْ بَلْدَةٍ تَرْغَبُ في كَثْرَةِ حُسّادِي

مَا الرّزْقُ بالكَرْخِ مُقيمٌ ، وَلا طَوْقُ العُلَى في جِيدِ بَغْدادِ

بِكُلّ أرْضٍ ، إنْ تَوَرّدْتُها ، دِيَارُ أشْكَالٍ وَأضْدادِ

أنْحَلَنِي فِيهَا طِلابُ العُلَى ، وَذاكَ فَخرِي عِنْدَ أنْدادِي

لَوْ كَانَ دائي مِنْ غَرَامِ الهوَى جَزِعْتُ مِنْ أبْصَارِ عُوّادِي

أينَ الغَوَاني مِنْ طِلابي ، وَمَا أطْلُبُ إلاّ الرّائِحَ الغَادِي

أكْثَرُ مَا يَلْقَيْنَني سَاهِراً مَا بَيْنَ أعْرَافٍ وَأكْتَادِ[3]

١ الفرصاد : التوت الأحمر .

٢ من آدي : أراد من قوتي .

٣ الأعراف ، الواحد عرف : شعر عنق الفرس . الأكتاد . الواحد كتد : ما بين الكاهل إلى الظهر.

وَقَلّ ما يَلْقَيْنَني راقِداً ... ما بَينَ أحْشاءٍ وأجْيَادِ

إنْ مَسّني نابُ الرّدَى لمْ أقُلْ ... يا لَيْتَ مَوْتي كانَ ميلادي

سِيّانِ ما سَيْري عَلى سابِحٍ ... أوْ شَرْجَعٍ تَخفِقُ أبْرادي[1]

وَمَا مُقامُ الحُرّ في عِيشَةٍ ... لَهَا المَقاديرُ بِمِرْصادِ

تَفْدِي الفَتَى في عَيشِهِ ألسُنٌ، ... وَما لَهُ مِنْ حَتْفِهِ فادِ

قالوا ، وَما أُنْكِرُها قَوْلَةً ... مِنْ مائِقٍ في الغَيّ مُنْقادِ[2]

الظّلمُ وَالإنصافُ من فِعلِ مَنْ ... يَحكُمُ في الحاضِرِ وَالبادي

فَقُلْتُ : إنّي وَجَميعَ الوَرَى ... مِنْهُ عَلى وَعْدٍ وَإيعادِ

إنْ كانَ إسْلامي عَلى هَذِهِ ، ... فَكُلُّ غَيٍّ عِنْدَ إرْشادي

هَيهاتَ لا أحْسُدُ ذا قُدْرَةٍ ، ... وَلَوْ حَوَى عاقِرَ أغْمادي[3]

وَلَوْ حَسَدتُ الفَضْلَ في أهلِهِ ، ... حَسَدْتُ آبائي وَأجْدادي

١ الشرجع : الجنازة

٢ المائق : الأحمق .

٣ عجز البيت غامض

عصبة ترى الجور عدلاً

يمدحه ويهنئه بعيد الأضحى
ويعرض بذم ابن عبد الله وزير
عضد الدولة وذلك بعد وفاته
لعداوة كانت بينهما سنة ٣٧٦ :

شَقِيَتْ مِنكَ بالعَلاءِ الأعادي، وَالمَعَالي ضَرَائِرُ الحُسّادِ
وَاستَقَادَ الزّمَانُ بَعدَ التّداني مِنْ رِجَالٍ تَفَاءَلُوا بالبِعَادِ
وَرَعَيْتَ الإيَابَ غَضّاً جَدِيداً ، وَتَبَدّلْتَ مَطْمَحاً بالقِيَادِ[1]
وَإذا مَا الشّجَاعُ شَمّرَ بُرْدَيْـ ـهِ ، فَلِلّهِ أيُّ يَوْمِ جِلادِ
أمْرَعَتْ أرْضُنَا بِكُلّ مَكَانٍ ، وَاستَجابَتْ لَنا بُرُوقُ الغَوَادي
وَحَبَانَا بِوَبْلِهِ كُلُّ أُفْقٍ ، وَأتَانَا بِسَيْلِهِ كُلُّ وَادِ
أتُرَى آنَ للمُنَى أنْ تُقَاضِي حَاجَةً طَالَ مَطْلُها في الفُؤادِ
بَينَ هَمٍّ تَحتَ المَنَاسِمِ مَطْرُو حٍ ، وَعَزْمٍ على ظُهُورِ الجِيادِ[2]
وَمَهَارٍ يَكُدّهَا كُلَّ يَوْمٍ طَرَدٌ ، أوْ قَوَارِحُ في الطّرَادِ[3]
مِنْ قُلُوبٍ لهَا التّقَلّبُ في العَزْ مِ ، وَأيْدٍ طَلِيقَةٍ بالأيَادي[4]

---

١ المطمح ، من الطموح : الجماح .
٢ الهم : الهمة .
٣ الطرد : الصيد .
٤ الأيادي : النعم ، الواحدة يد .

مَا يُبَالي الهُمَامُ أيْنَ تَرَقّى ، وَخِبَاءُ العُلَى أمِينُ العِمَادِ
يا حَيَاةً يَشجَى بهَا كُلُّ حَيٍّ ، وَالتّوَالي شَجِيّةٌ بِالهَوَادِي[1]
إنْ سَمَا بالنّفَاقِ غيرُكَ ، فالأوْ عَالُ مَلْوِيّةٌ عَلَى الأطْوَادِ
أوْ تَعاطَى مَداكَ ، فالمَرْءُ مَسبُو قٌ إذا كَفّ مِنْ عِنَانِ الجَوَادِ
حَرّكَتْ عَزْمَةَ المَعَالي ، وَلكنْ يُحدِثُ السّيلُ خِفّةً في الجَمادِ
كَيفَ يَستَعمِلُ السَّماحَ وَبَذْلَ الـ مَالِ غَيرُ المُعَلَّمِ المُستَفَادِ
نحنُ في عُصْبَةٍ تَرَى الجَوْرَ عدلاً ، وَتُسَمّي الضّلالَ دارَ رَشَادِ
في رِجَالٍ تَهزَا بوَفْدِ المَعالي ، وَدِيَارٍ تَسْطُو عَلَى الوُرّادِ
إنّمَا أنْتَ نِعْمَةُ اللهِ في الأرْ ضِ ، إذا كَانَ نَقمَة للعِبَادِ
لكَ طَبْعٌ تَعَرّفَتْهُ اللّيَالي ، وَامترَى فيهِ كُلُّ قَارٍ وَبَادِي
جاعِلٌ قَسْوَةَ الوَعِيدِ عَلَى الأيّا مِ عَبْداً لِرِقّةِ المِيعَادِ
أيَكُونُ البَخيلُ غَيرَ بَخيلٍ ، أمْ يَكُونُ الجَوَادُ غَيرَ جَوَادِ
لأجَارَ الزّمَانُ مِنْ كلّ بُؤسٍ ظَاهِرَ الجَدّ طَاهِرَ الأجْدادِ
فَرِحَاتٌ بِهِ العُيُونُ كَمَا تَفْـ رَحُ بِالعُشْبِ أعْيُنُ الرُّوّادِ
وَاضِحُ العَزْمِ مُتْلَئِبّ المَطَايَا ، مُستَطِيبُ الإتْهَامِ وَالإنْجَادِ[2]
أخَذَتْ كَفُّهُ بِصَخْرَةِ عَزْمٍ دَوّخَتْ بالطِّلابِ هَامَ البِلادِ
وَجَبَانٍ لَوَيْتَ عَنهُ ، فَأمسَى وَجِلَ العَينِ مِنْ قِرَاعِ الرُّقَادِ

١ الهوادي : المتقدمات ، ضد التوالي .
٢ المتلئب : المستقيم ، المنتصب .

مُسْتَطِيراً كَأَنَّ هُدّابَ جَفْنَيْـ ـهِ عَلَى النّاظِرِينَ شَوْكُ القَتَادِ
لا أقَالَ الإلهُ مَنْ خَانَكَ العَهْـ ـدَ ، وَجازَاكَ بَغْضَةً بالوِدادِ
ظَنَّ بالعَجزِ أنّ حَبْسَكَ ذُلٌّ ، وَالمَوَاضِي تُصَانُ بِالأغْمَادِ
قَصّرَ الدّهْرُ مِنْ ذُرَاهُ ،وَقَدْ كَا نَ بتلكَ الظُّبَى طَوِيلَ النِّجادِ
وَأذَلّ الزّمَانُ بَعْدَكَ عِطْفَيْـ ـهِ ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أعزّ العِبَادِ
كُنتَ لَيثاً ، وَكانَ ذِئباً ، وَلكِنْ لا تَلَذُّ الأشْكَالُ بِالأضْدادِ
وَتَمَادَى بِمَا جَنَاهُ عَلَى الأ يّامِ حتّى جَنَى عَلَيهِ التّمَادِي
سَمَحَتْ كَفُّهُ بِهِ لِلمَنَايَا ، بَعدَ أنْ لمْ يكُنْ مِنَ الأجْوَادِ
ظَنّ أنّ المَدَى يَطُولُ وَفي الآ مالِ مَا لا يُعَانُ بِالأجْدَادِ
كُلُّ حَيٍّ يُغالِطُ العَيشَ بالدّهْـ ـرِ وَكُلٌّ تَعدُو عَلَيْهِ العَوَادِي
لَوْ رَجَعْنَا إلى العُقُولِ يَقِيناً ، لَرَأيْنَا المَمَاتَ في المِيلادِ
كَيفَ لا يَطلُبُ الحِمامَ عَليلٌ حكَمَ الدّهرُ فيهِ رَأيَ المَعَادِ
لَوْ أُجِيزَتْ لَهُ العِيَادَةُ يَوْماً لَقَضَى مِنْ فَظَاظَةِ العُوّادِ
أوْ تَصَدّى لِمَجْمَعٍ جَرّحَتْهُ ألسُنُ القَوْمِ بالعُيُونِ الحِدادِ
هكَذا تُدْرِكُ النّفُوسُ مِنَ الأعْـ ـداءِ بَرْدَ القُلُوبِ وَالأكْبَادِ
كُلُّ حَبْسٍ يَهُونُ عِندَ اللّيالي بَعدَ حَبسِ الأرْوَاحِ في الأجْسادِ
وَتَدارَكْتَ مَا تَمَنّيتَ ، وَالأحْـ ـشاءُ مَزْرُورَةٌ عَلى الأحْقَادِ
نِلْتَ بَعضاً وَسَوْفَ تُدرِكُ كُلاًّ ، إنّمَا السّيلُ بَعْدَ قَطْرِ العِهَادِ
مِثْلَ مَا مَرّ لا تُعِيدُ اللّيَالي ، وَالحَدِيثُ السّفيهُ غَيرُ مُعَادِ

رُبَّ يَوْمٍ شَهِدْتُهُ ، وَالمَنَايَا تَطرَحُ الطّعنَ من رؤوسِ الصِّعادِ
وَالظُّبَى تَقذِفُ الغُمودَ وَمَاءُ الـ نّقْعِ جَارٍ عَلى الرُّبَى وَالوِهَادِ
خَلّقَ الخَيلَ بالنّجيعِ ، وكانتْ غُرَرُ الخَيْلِ مَعْقِلاً للجِسَادِ
يا قَرِيعَ الزّمَانِ ، دِعوَةَ صَبٍّ بِالأمَاني ، مُتَيَّمٍ بالمُرَادِ
لَكَ إنْ ذُمّتِ المَحاضِرُ يَوْماً عُنْفُوَانُ الثّنَاءِ في كُلّ نَادِ
نَظَرَ العيدُ مِنْكَ بَدْراً تَخَفّى بُرْهَةً عَنْ نَوَاظِرِ الأعْيَادِ
فَتَهَنّ السّرُورَ،فَاليَوْم مَصْقُو لُ الحَوَاشِي مُجَرَّرُ الأبْرَادِ
مِنْ مَرَامٍ بعَادُهُ لتَدانٍ ، وَمُرَادٍ نُقْصَانُهُ لازْدِيَادِ
لَوْ قَدَرْنَا عَلَى المُنَى لَفَدَيْنَا ذي الأضَاحي من الظُّبَى بالأعادِي
إنّمَا نَحْنُ مُشْبِهُوكَ وَمَا الأشْ بَالُ إلاّ طَبَائِعُ الآسَادِ
نحنُ ذاكَ الغِرَارُ مِنْ هَذِهِ البِيـ ضِ وَذاكَ الشّرَارُ مِنْ ذا الزّنَادِ
هَذِهِ تُحفَتي إلَيْكَ ، وَخَيرُ الـ شّعْرِ مَا كانَ تُحفَةَ الإنْشَادِ
وَضَميرِي إذا طَرَحتُكَ فيهِ ، جَاشَ لي بَحْرُهُ بخَيرِ العَتَادِ[1]
أنَا مِنْ صَفْوَةِ النّبيّ ، وَغَيرِي وَلَدٌ لا يُعَدُّ في الأوْلادِ

[1] العتاد : ما أعد لأمر ما .

مناجاة الشعر

قال رحمه الله يمدحه أيضاً :

خَيرُ الهَوَى مَا نجَا مِنَ الكَمَدِ ،   وَعَاشِقُ العِزّ مَاجِدُ الكَبِدِ

مَا حَمَلَ الذّلَّ ظَهرُ مَارِنَةٍ ،   وَلا انزَوَى عَن طَبيعَةِ الصَّيَدِ[1]

كَيفَ يُرَبّي الحَيَاةَ مُقْتَبِلٌ   يَرَى المُنى عَاقِراً بِلا وَلَدِ

يَعذُلُني في الزّمَاعِ كُلُّ فتًى ،   وَالسّيفُ إنْ قَرّ في الغُمودِ صَدِي

أنَا النُّضَارُ الذي يُضَنّ بِهِ ،   لَوْ قَلّبَتْني يَمِينُ مُنتَقِدِ

إنّي أظُنّ الظّنُونَ صَادِقَةً ،   كَأنّ يَوْمي طَلِيعَةٌ لغَدِي

ما وَتَرَ الدّهرُ لِمّتي ، وَيَدِي   تَأخُذُ ، قَبلَ المَشيبِ ، بالقَوَدِ

تَغدُرُ بي وَفرَتي ، وكُنتُ إذا   طَلَبْتُ غَيرَ الوَفَاءِ لَمْ أجِدِ

بَعدَكُم حَنّتِ الرّكَابُ ، وَسَا   لَ الرّكْبُ بالصّحصَحانِ وَالجَدَدِ[2]

وَاللّيلُ بَينَ النّجُومِ تَحسَبُهُ   يَخطِرُ في نَثْرَةٍ مِنَ الزَّرَدِ[3]

لَيْلي بِبَغْدادَ لا أقَرُّ بِهِ ،   كَأنّني فيهِ نَاظِرُ الرّمَدِ

يَنفِرُ نَوْمي كَأنّ مُقْلَتَهُ   تُشْرَجُ أجفَانُهَا عَلى ضَمَدِ[4]

---

١ أراد بظهر المارنة : الأنف ، ولعله ظهر مارنه . الصيد : رفع الرأس كبراً .
٢ الصحصحان : ما استوى من الأرض . الجدد : الأرض الغليظة ، وما استرق من الرمل .
٣ النثرة : الدرع .
٤ تشرج : تخاط . الضمد : العصابة يشد بها الجرح .

أفـكِرُ في حَالَةٍ أُطَاوِلُهَا ، وَفَعْلَةٍ تَخْضِبُ القَنَا بِيَدِي

للنّفْسِ أنْ تَبعَثَ العزَائِمَ وَالرّأ يَ ، وكُلُّ الفِعَالِ للجَسَدِ

هَا إنّهَا نَوْمَةٌ بِسَوْرَتِهَا ، أقَالَتِ العَينَ عَثْرَةَ السَّهَدِ[1]

لا اطّرَدَتْ بي إلَيْكَ سَابِحَةٌ ، حتّى أرَى النّقْعَ عاليَ الكَتَدِ

مَا ليَ لا أرْكَبُ البعَادَ ، وَلا أُدْعَى عَلى القُرْبِ بيضَةَ البَلَدِ[2]

أصْحَبُ مَنْ لا ألُومُ صُحْبَتَهُ ، غَيرَ نَزُورِ النّدَى وَلا جَحِدِ[3]

فَتًى رَأى الدّهْرَ غَيرَ مُؤتَمَنٍ ، فَمَا فَشَا سِرُّهُ إلى أحَدِ

وَاتّهَمَ الحَيلَ ، فَهوَ يَمتَحِنُ الـ مُهْرَةَ قَبْلَ الطّرَادِ بالطّرَدِ

في كُلّ فَجٍّ يَقُودُ رَاحِلَةً ، تَجذِبُها الأرْضُ جِذْبَةَ المَسَدِ[4]

لا يُبْعِدِ اللهُ غِلْمَةً رَكِبُوا أغرَاضَهُمْ وَاستَفَوْا مِنَ البُعُدِ[5]

رَمَوْا بِعَهْدِ النّعيمِ ، وَاصْطَنَعوا كُلّ بَخِيلِ الذُّبَابِ مُطّرَدِ[6]

قَلّوا عَلى كَثْرَةِ العَدُوّ لَهُمْ ، كَمْ عَدَدٍ لا يُعَدّ في العُدَدِ

لي فيهِمُ أشرَفُ الحُظُوظِ، إذا الـ رَّوْعُ أعَانَ الحُسَامَ بالعَضُدِ

١ سورتها : حدتها . السهد : الأرق .

٢ بيضة البلد : أكبر قومه .

٣ النزور : القليل . الجحد : القليل المطر .

٤ المسد : حبل من ليف .

٥ استفوا : صاروا بالمفاوي وهي الأرضون التي تنبت الفوة وهي عروق دقاق طوال حمر يصبغ ويداوى بها .

٦ المطرد : الطويل . الذباب : لعله أراد حد السيف ، والمعنى غامض .

وَأينَ مِثْلُ الحُسَينِ إنْ حَسُنَتْ صَنائِعُ البِيضِ وَالقَنَا القَصِدِ[1]

أبْلَجُ إنْ صَاحَتِ المَطِيُّ بِهِ ، فَدَى التّنَائي بعيشَةِ الرّغَدِ

مَا خَلَعَ الدّهْرُ عَنْهُ سَابِغَةً ، وَاللّيْثُ لا يُنْتَضَى مِنَ اللّبَدِ

لَوْ أمْطَرَتْهُ السّمَاءُ أنْجُمَهَا عِزّاً لَمَا قَالَ للسّمَاءِ قَدِي[2]

لا يَسْألُ الضّيْفُ عَنْ مَنازِلِهِ ، وَمَنْزِلُ البَدْرِ غَيرُ مُفْتَقَدِ

رَأى الظُّبَى في الغُمودِ آجِنَةً ، وَالخَيلَ مَلطُومَةً عَنِ الأمَدِ

فَاسْتَلَّ أسْيَافَهُ ، وَأوْرَدَهَا غَمْرَ المَنَايَا بِمَائِهَا الثّمَدِ

تَخْلِقُ أجْفَانُهَا وَيَعْرِضُهَا دَمُ الطُّلَى في غَلائِلٍ جُدُدِ

يا قائِدَ الخَيْلِ في سَنابِكِها ، مَا يَشمَتُ السّهْلُ منهُ بالجَلَدِ

يَفديكَ يَوْمَ الخِصَامِ مُمْتَهِنٌ كَأنّهُ مُضْغَةٌ لمُزْدَرِدِ

وَصَارِخٍ رَافِعٍ عَقِيرَتَهُ ، فَكَكْتَ عَنْهُ جَوَامِعَ الزَّرَدِ

إذا المُنى قَابَلَتْكَ أوْجُهُهَا صَفَدْتَ بَاعَ المَطَالِ بالصَّفَدِ[3]

رُبَّ مَخُوفٍ كَأنَّ طَلْعَتَهُ تَلْقَى المَطَايَا بطَلْعَةِ الأسَدِ

حَطَطْتَ فيهِ الرّحَالَ مُحْتَزِماً، وَأنْتَ ثَاني المُهَنّدِ الفَرِدِ

تَسْحَبُ بُرْدَيْكَ في مَلاعِبِهِ ، وَمَا اقْتَفَتْهُ بَرَائِنُ الأسَدِ

زَادَكَ في كُلِّ مَا خُصِصْتَ بِهِ ، في كُلِّ أمنٍ وَيَوْمِ مُحتَشَدِ

١ القصد : المتكسر .

٢ قدي : يكفي .

٣ صفدت : قيدت ، شددت . الصفد : العطاء .

كُلُّ أصَمَّ الكُعُوبِ مُعْتَدِلٍ ، خَلَتْ أنَابِيبُهُ مِنَ الأوَدِ

وَكُلُّ طَاغي الغِرَارِ تَلْحَظُهُ ، مِنْ غِمدِهِ في طَرَائِقٍ قِدَدِ[1]

وَلأمَةٍ سَالَ فَوْقَهَا زَرَدٌ ، كَالمَاءِ في قِطْعَةٍ مِنَ الزَّبَدِ

حُكْمُكَ بالسّيْفِ غيرُ مُنهَجِمٍ ، وَأنْتَ بالضّرْبِ غَيرُ مُتّئِدِ[2]

لله بَيْتٌ رَفَعْتَ عِمَّتَهُ ، أغْنَاهُ سُلْطَانُهُ عَنِ العَمَدِ

خَلائِقٌ طَلْقَةٌ مُعَبَّسَةٌ ، كالصّابِ يَجري بصُورَةِ الشُّهُدِ

فَأنْتَ يَوْمَ النّوَالِ في حُلَلٍ مِنها ، وَيَوْمَ النّوَالِ في زَرَدِ[3]

عَلامَةُ العِزّ إنْ حُسِدْتَ بِهِ ، أنّ المَعَالي . قَرَائِنُ الحَسَدِ

كَمْ لَكَ مِنْ وَقْفَةٍ صَقَلْتَ بها رَسَائِلاً دُبّجَتْ عَلى البُرُدِ

تَنُوبُ عَنْ كُنْهِهَا مَعَارِفُهَا ، وَفَضْلُ بَدْرٍ يَنُوبُ عَنْ أُحُدِ

نَاجَاكَ شِعرِي ، وَكنتُ أخرِسُهُ عَنِ الوَرَى قانِعاً بِمُقْتَصَدِي

كَانَ نِزَاعي إلَيكَ يَسْمَحُ بي ، فالآنَ مُذْ عُدْتُ ضَنَّ بي بَلَدِي

١ الطرائق القدد : الأهواء المختلفة .

٢ المنهجم : المنهدم .

٣ النوال الأول : العطاء . النوال الثاني : النصيب ، الصواب .

لا يفرح الأعداء

يمدحه أيضاً ويذكر مجلسه مع المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة حين قبض عليه وحمل إلى فارس فحبس في القلعة هو وابن عمر العلوي وابن معروف قاضي القضاة وقال له: كم تدل علينا بالعظام النخرة! فقال هذه القصيدة وسنه فوق العشر بقليل :

نُصَافي المَعَالي ، وَالزّمانُ مُعانِدٌ ، وَنَنْهَضُ بِالآمَالِ ، وَالجَدُّ قَاعِدُ
تَمُرُّ بِنَا الأيّامُ غَيْرَ رَوَاجِعٍ ، كَمَا صَافَحتْ مَرَّ السّيولِ الجَلامِدُ
وَتُمْكِنُنَا مِنْ مائِها كُلُّ مُزْنَةٍ ، وَتَمنَعُنا فَضْلَ السّحابِ المَزَاوِدُ[1]
وَمَا مَرِضَتْ لي في المَطالِبِ هِمّةٌ ، وَأحداثُهُ في كُلّ يَوْمٍ عَوَائِدُ
عَوَائِدُ هَمٍّ لا يُحَيِّيْنَ غِبْطَةً بِهِنّ ، وَلا تُلْقَى لَهُنّ الوَسَائِدُ
وَلله لَيْلٌ يَمْلأُ القَلْبَ هَوْلُهُ ، وَقَدْ قَلِقَتْ بالنّائِمِينَ المَرَاقِدُ
يَقَرُّ بِعَيْنِي أنْ أرَى أرْضَ بَابِلٍ تَخوضُ مَغانِيها الجِيادُ المَذَاوِدُ[2]
وَأسْحَبُ فيها بُرْدَ جَذلانَ شامِتٍ، إذا شاءَ غَنّتْهُ الرّقاقُ البَوَارِدُ[3]
سَلَكْنا رِقابَ العِيسِ من خَلَلِ الدُّجى تُلاعِبُهَا أشْطَانُهَا وَالمَقَاوِدُ
وَقَدْ حَفّ بالبَدْرِ النّجُومُ كأنّهُ هَدِيٌّ تَهَاداهُ الإمَاءُ الوَلائِدُ[4]

١ المزاود ، الواحدة مزادة : ما يوضع فيه الماء والزاد .
٢ المذاود : الدفاعون عن ذمارهم . وأراد بالجياد : فرسان الخيل .
٣ الرقاق البوارد : السيوف القتالة .
٤ الهدي : العروس . تهاداه : تسوقه .

وفي أعيُنِ القَوْمِ انضِمامٌ مِنَ الكرَى، وَطَرْفُ السُّرَى بَيْنَ الأزِمَّةِ شَاهِدُ
فَمُضْطَرِبٌ في غَرْزِهِ مُتَرَنِّحٌ، وَآخَرُ مَكْبُوبٌ على الرّحلِ ساجِدُ
وَعَائِرَةٍ قَدْ وَقّرَ النَّوْمُ لحظَها تُسَفِّهُ جَفْنَيهَا الهُمُومُ العَوَائِدُ
تَقُودُ جيَاداً ما اتُّهِمْنَ على مَدًى، بَلَى، رُبّما ارْتابَتْ بهِنّ الأوَابِدُ[1]
إذا جَالَ في أشداقِها الظِّمْءُ قلّصَتْ لهَا الأرْضُ وَانقادَتْ إليها المَوَارِدُ
أبَحْنَا لها تَقْتَضّ مِنْ عُذَرِ الرُّبَى، فكَرّتْ علَيها بالعَجاجِ الفَدافِدُ[2]
طَرَائِقُ بِيدٍ يَعسِلُ الآلُ بَيْنَهَا، كما اضْطَرَبَ السِّرْحانُ وَاللّيلُ بارِدُ
هَجَمنا علَى غَوْلِ الطّرِيقِ وَبُعْدِهِ وَمَا رَكَضَتْ فيه الرّياحُ الصّوَارِدُ[3]
أأُرْسِلُ خَيلَ اللّحظِ في طَلَبِ الهوَى، وَمِنْ ظَنّهَا أنّ الخُدُودَ طَرَائِدُ
وَلي شُغُلٌ في طالِبٍ ضَلّ قَصْدَهُ، أُسَائِلُ عَنهُ مَا يَقُولُ المَقَاصِدُ
أقُولُ لِدَهْرٍ تَاهَ إذْ صِيدَ لَيْثُهُ: كَذاكَ يُصَادُ اللّيثُ وَاللّيثُ رَاقِدُ
أثَلّمَ هذا النّصْلَ بالضّرْبِ ضَارِبٌ، وَزَعْزَعَ هذا الطّوْدَ بالوَطْءِ صَاعِدُ
تَعَزَّ، فَمَا كُلّ المَصَائِبِ قَادِمٌ عَلَيكَ، وَلا كُلّ النّوَائِبِ عَائِدُ
يَنَالُ الفَتَى مِنْ دَهرِهِ قَدْرَ نَفسِهِ، وَتَأتي عَلَى قَدْرِ الرّجَالِ المَكَايِدُ
فِدًى لكَ يا مَجدَ المَعالي وَبَأسِهَا، فِعَالُ جَبَانٍ شَجّعَتْهُ الحَقَائِدُ

١ الأوابد : الوحوش .
٢ العذر ، الواحدة عذرة : البكارة . يريد أنهم أباحوا لها أن تجتاز ربى لم تجتز بعد . الفدافد الواحد فدفد : الفلاة .
٣ الغول : بعد المسافة والمشقة . الصوارد : الباردة .

فَمَا تَرَكَتْ منكَ الصّوَارِمُ وَالقَنَا ، ... وَلا أخَذَتْ مِنكَ الحِسَانُ الخَرَائِدُ
عُزِلْتَ وَلَكِنْ ما عُزِلتَ عنِ النّدى ، ... وَجُودُكَ في جيدِ العُلى لكَ شَاهِدُ
بوَجهِكَ مَاءُ العزّ في العَزْلِ ذائِبٌ ، ... وَوَجهُ الذي وُلّي مِنَ المَاءِ جامِدُ
فَأنْتَ تُرَجّي المُلْكَ ،وَهوَ زَوَالُهُ ، ... بغَيرِ جِلادٍ فيهِ ، وَهْوَ مُجَالَدُ
فلا يَفرَحِ الأعداءُ فالعَزْلُ مَعرِضٌ ... إذا رَاحَ عَنْهُ صَادِرٌ جَاءَ وَارِدُ
وَما كُنتَ إلاّ السّيفَ يَمضِي ذُبابُهُ ، ... وَلا يَنْصُرُ العَلْيَاءَ مَنْ لا يُجالِدُ
نُضِي فقضَى حَقَّ الضّرَائبِ في الوَغَى ، ... وَأثْنَتْ عَلَيْهِ حِينَ رُدّ المَغَامِدُ
فأعطَوْا عِنَانَ الضّرّ غَيرَكَ إذْ رَأوْا ... يَمينَكَ تَستَوْلي عَلَيْهَا الفَوَائِدُ
وَما كنتَ يَوْماً في الزّمانِ بِمُمسِكٍ ... عُرَى المالِ إنْ ضَجّتْ إليكَ المَوَاعِدُ
وَلا كنتَ تَرْضَى أنْ تَصِحّ بِبَلْدَةٍ ، ... إذا قيلَ : عُضْوٌ من زَمانِكَ فَاسِدُ
أيَا غُدْوَةً سَاءَ الحُسَينَ صَبَاحُها ، ... وَسَرّ العِدَى فيها الزّمَانُ المُعَانِدُ
لحَقّقْتِ عِنْدِي أنّ كُلَّ صَبيحَةٍ ... مُجاجَةُ سُمٍّ ، وَاللّيَالي أسَاوِدُ
يُعَرّفُكَ الإخْوَانُ كُلٌّ بِنَفْسِهِ ، ... وَخَيرُ أخٍ مَنْ عَرّفَتْكَ الشّدائدُ
وَطاغٍ يُعيرُ البَغْيَ غَرْبَ لِسَانِهِ ، ... وَلَيسَ لَهُ عَنْ جانبِ الدّينِ ذائِدُ
شَنَنْتَ عَلَيْهِ الحَقّ حتّى رَدَدْتَهُ ... صَمُوتاً ، وَفي أنيَابِهِ القَوْلُ رَاقِدُ
يَدِلّ بِغَيرِ اللهِ عَضْداً وَنَاصِراً ، ... وَنَاصِرُكَ الرّحمَنُ ، وَالمَجدُ عاضِدُ
تُعَيّرُ رَبّ الخَيرِ بَالي عِظَامِهِ ، ... ألاَ نُزّهَتْ تِلْكَ العِظَامُ البَوَائِدُ
وَلَكِنْ رَأى سَبّ النّبيّ غَنيمَةً ، ... وَمَا حَوْلَهُ إلاّ مُرِيبٌ وَجَاحِدُ
وَلَوْ كانَ بَينَ الفاطِمِيّينَ رَفرَفَتْ ... عَلَيهِ العَوَالي وَالظُّبَى وَالسّوَاعِدُ

ألا إنّ جَدبَ الحِلمِ عندكَ مُخصِبٌ، وَإنّ لَئيمَ المَجْدِ عِندَكَ رَافِدُ
ضَجِرْتَ مِنَ العَلياءِ فاختَرْتَ عزْلَها، كَأنّكَ قَدْ أفنَتْ نَداكَ المَحَامِدُ
تَرَكْتَ قَلُوصاً بالفَلاةِ وَوَحْشَها، تُجاذِبُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَتُرَاوِدُ
سَتَذْكُرُكَ الأرْماحُ وَهيَ قَوَارِبٌ، وَلَيسَ لهَا إلاّ القُلُوبُ مَوَارِدُ[1]
حوَى المجدَ يا قيسَ بنَ عَيلانَ ماجدٌ، وَجَلّ، فَمَا يُلْقَى لَهُ فيهِ حَاسِدُ
فَتًى يَحتَوِي أرْماحَكمْ، وَهوَ صَارِمٌ، وَيُسرِي جُيُوشاً نحوَكمْ، وَهوَ وَاحِدُ
وَيَوْمَ عُوَيْثٍ، وَالسّيوفُ بَوَارِقٌ، تَظَلّ المَنَايَا، وَالقِسِيُّ رَوَاعِدُ
رَدَدْتَهُمُ، وَالسُّمرُ بَينَ ظهورِهمْ تُعَقَّلُ فيهِ المَوْتَ، وَالمَوْتُ شارِدُ[2]
وَقَدْ خَلَقَتْ فيها عيُوناً قَرِيحَةً، يَنَامُونَ عُمرَ اللّيلِ، وَهيَ سَوَاهِدُ
أسِنّةُ فِهْرٍ في صُدُورِ جيِادِهِمْ، كَأنّ قَنَاهَا للجِيَادِ مَقَاوِدُ
هُمُ ذَخَرُوا أعْمَارَهُمْ لسيُوفِهِ، فأوْلى لهَا وَالحَرْبُ عَذرَاءُ نَاهِدُ[3]
رَأيْتُ فيَافي تَقتَضِي هَبَوَاتِهِ، وَتَرْغَبُ أرْسَاغَ الجِيَادِ القَوَادِدِ[4]
مدًى يَمخَضُ الأشوَاطَ حتّى يعيدها، وَلا زُبْدَةٌ إلاّ الجَوَادُ المُجاوِدُ[5]
لَنِعْمَ حَرِيمُ العَزْمِ أنتَ وَثَغرُهُ، إذا رَجّحَ الرّأيَ الألَدُّ المُجَالِدُ

١ القوارب، الواحد قارب: طالب الماء ليلا، وهنا أراد الرماح الطالبة شرب الدم.
٢ تعقل: تشد وتربط.
٣ أولى لها: كلمة تهدد ووعيد، أي قاربه ما يهلكه.
٤ الفيافي، الواحدة فيفاء: المفازة لا ماء فيها. تقتضي: تطلب. هبواته، الواحدة هبوة: الغبرة. الأرساغ، الواحد رسغ: مفصل ما بين الساعد والكتف. القوادد: القاطعات الفلاة.
٥ المجاود: المفاخر بالجود.

أَلَسْتَ مِنَ القَوْمِ الذينَ إذا سَطَوْا تَبَرّى مِنَ التّاجِ العَظِيمُ المُعَاقِدُ
سياطُهُمُ بيضُ الظُّبَى وَسُجونُهم إذا غَضِبُوا دونَ العَلاءِ المَلاحِدُ
رِقَابُ العِدَى وَالعِيسُ فيهم ذَليلَةٌ ، وَللبِيضِ ما نِيطَتْ عَلَيهِ القَلائِدُ
يُعَشِّشُ طَيرُ الخضْبِ في حُجُرَاتِهِمْ ، وَتُعقَلُ منهُنَّ البُيُوتُ الشَّوَارِدُ[1]
وَمَا وَالِدٌ مِثلُ ابنِ مُوسَى لِمَوْلِدٍ قَرِيبٍ تَجَافَاهُ الرِّجَالُ الأبَاعِدُ
حَمَى الحَجَّ وَاحتَلَّ المَظالِمَ رُتْبَةً ، عَلى أنَّ رَيْعَانَ النّقَابَةِ زَائِدُ
فَأقبَلَ ، وَالدّنْيا مَشُوقٌ وَشايِقٌ ، وَأعرَضَ ، وَالدّنْيَا طَرِيدٌ وَطَارِدُ
وَسَاعَدَهُ ، يَوْمَ استَقَلّ رِكَابَهُ ، أخُوهُ ،وَقالَ البَيْنُ: نِعْمَ المُسَاعِدُ
هُمَا صَبَرَا ، وَالحَقُّ يَرْكَبُ رَأسَهُ عَشِيّةَ زَالَتْ بالفُرُوعِ القَوَاعِدُ
تَفَرّدَ بِالعَلْيَاءِ عَنْ أهْلِ بَيْتِهِ ، وَكُلٌّ يُهَادِيهِ إلى المَجْدِ وَالِدُ
وَتَختَلِفُ الآمَالُ في ثَمَرَاتِهَا ، إذا شَرِقَتْ بالرّيِّ ، وَالمَاءُ وَاحِدُ
وَمَدّ عَلى الجَوْزَاءِ أطْنَابَ مَنزِلٍ يَلُوذُ بحَقْوَيْهِ السُّهَا وَالفَرَاقِدُ
فَقُرٌّ لِنِيرَانِ البَوَارِقِ مُصْطَلٍ ، وَظِمْءٌ لأحْوَاضِ الغَمَائِمِ وَارِدُ
أحَقُّ بِلادِ اللهِ بالمُزْنِ أرْضُهُ ، إذا شَامَ أقصَى خَطرَةِ البَرْقِ رَائِدُ
كَأنّي بِهِ ، وَالعِزُّ يَنضُو هُمُومَهُ، وَقد خضَعَتْ تلكَ الخطوبُ النّوَاكِدُ
أعَادَ إلَيْهِ اللهُ مَاضِي سُرُورِهِ ، وَرَدّ اللّيَالي وَهيَ بِيضٌ أمَاجِدُ
مُنِيتَ بشَوْقٍ يَنحَرُ الدّمعَ سَيفُهُ ، إذا حَادَثَتْهُ بالصّقَالِ المَعَاهِدُ

١ الخضب : خضرة الشجر ، ولعلها محرفة عن خصب .

أآلَ هُذَيْمٍ هَلْ تَقَرُّ قُلُوبُكُمْ وَقَلبُ ابنِ عَدنانٍ على الدّهرِ وَاجِدُ
إذا جَحَدُوا نُعمَاكَ لَوّتْ رِقابَهُمْ لِمَنّكَ أطْوَاقٌ بِهَا وَقَلائِدُ
وَلا زَالَتِ الأسيَافُ تَسبي حَرِيمَهم، وتَسبي حَرِيمَ المَالِ مِنكَ القَصَائِدُ

السهام الطائشة

يمدحه أيضاً ويهنئه برد أعماله القديمة إليه
وهي النقابة وإمارة الحج والنظر في المظالم
وذلك في جمادى الأولى سنة ثمانين وثلاثمائة :

أُنْظُرْ إلى الأيّامِ كَيْفَ تَعُودُ، وَإلى المَعَالي الغُرّ كَيْفَ تَزِيدُ
وَإلى الزّمَانِ نَبَا، وَعاوَدَ عَطْفَهُ، فَارْتَاحَ ظَمْآنٌ، وَأوْرَقَ عُودُ
نِعَمٌ طَلَعْنَ عَلَى العَدُوّ بِغَيْظِهِ، فَتَرَكْنَهُ حَمِرَ الجَنَانِ يَمِيدُ[1]
قَدْ عَاوَدَ الأيّامَ مَاءُ شَبَابِهَا، فَالعَيْشُ غَضٌّ، وَاللّيَالي غِيدُ
إقْبَالُ عِزٍّ كَالأسِنّةِ مُقْبِلٌ، يَمضِي، وَجَدٌّ في العَلاءِ جَدِيدُ
وَعُلًى لأبْلَجَ مِنْ ذُؤابَةِ هَاشِمٍ، يُثْنَى عَلَيْهِ السّؤدُدُ المَعْقُودُ
قَدْ فَاتَ مَطْلُوباً وَأدْرَكَ طَالِباً، وَمُقَارِعُوهُ عَلَى الأُمُورِ قُعُودُ

---

١ حمر الجنان : أي يتحرق غضباً .

خَسأتْ عيُونُهمُ ، وَقد طَمَحَتْ له ... عُدَدٌ عِرَاضٌ في العُلى وَعَدِيدُ[1]

مَا صَالَ إلاّ انجَابَ غَيٌّ مُظْلِمٌ ، ... وَانْدَقّ مِنْ عَمَدِ الضّلالِ عَمودُ

يَأسُو وَيَجرَحُ ، فالجرَاحَةُ عَزْمَةٌ ... تُصْمَى ، وَآسيها النّدَى وَالجُودُ

سَطْوٌ وَصَفْحٌ يَطْرُقَانِ عَدُوَّهُ ... أبَداً ، وَوَعْدٌ صَادِقٌ وَوَعِيدُ

عَنْ أيّ بَاعٍ في العَلاءِ رَمَيْتُمُ ... لَيْثاً تَقِيهِ مَقَادِرٌ وَجُدُودُ

طَاشَتْ سِهَامُكُمُ وَفَارَقَ نَزْعَهُ ... سَهْمٌ إلى قَلْبِ العَدُوّ سَدِيدُ

حَسَدُوك لمّا فَاتَ سَعيُكَ سَعيَهُمْ ... صُعُداً فَمَا نَقَعَ الغَليلَ حَسُودُ

وَرَأوْا بَوَايِجَهَا تَلُوحُ ، وَرِيحَهَا ... تَسْرِي ، وَعارِضَها الغَزِيرَ يَجُودُ[2]

عَجِلَ الزّمانُ بها إليكَ ، وَحُطّمتْ ... بَينَ الضّلُوعِ ضَغَائِنٌ وَحُقُودُ

قَدْ كنتُ أخشَى أنْ يَقولَ مُخَبِّرٌ : ... كادُوا وَمَا أُعطُوا المُرَادَ فَكيدُوا

أوْ أنْ يُقَالَ : أقَارِبٌ نَزَعَتْ بهمْ ... ظِنَنٌ ، فَكُلٌّ بالعُقُوقِ بَعِيدُ

سُئِلُوا العوَادَ ، فجانَبوهُ ، فعاوَدوا ، ... وَالآنَ إذْ مَلَكَ الزّمانُ ، وَقِيدُوا

لَوْلا الألِيّةُ مِنْكَ ألاّ تَنْتَضِي ... عَضباً يَقُومُ مَقَامَهُ التّفْنِيدُ

لَسَنَنْتَ في الأقْوَامِ ، غَيرَ مُلَوَّمٍ ، ... مَا سَنّ يَوْمَ ابنِ الزّبَيرِ يَزِيدُ

اليَوْمَ أصْحرَتِ الضّغائِنُ ، وَانجَلَتْ ... تِلْكَ المَوَارِنُ ، وَالجِبَاهُ السّودُ

وَتَرَاجَعُوا عُصَباً إلَيكَ ، وَخَلفَهمْ ... عَنَفَ السّبَاقُ ، وَللقُلُوبِ وَئِيدُ[3]

١ خسأت : كلت . العراض : الكثيرة .

٢ بوايجها : بروقها ، متسع رملها ، دواهيها .

٣ الوئيد : الصوت الشديد .

فاصْفَحْ فسَوْفَ يَنالُ صَفحَكَ منهمُ ... مَا لا يَنالُ العَضْبُ ، وَهوَ حَديدُ
وَحَذارِ مِنْ وَبلِ العِقابِ، وَقد بدتْ ... مِلْءَ العُيُونِ بَوَارِقٌ وَرُعُودُ
وَتَغنَمُوا عفْواً يَفِيضُ ، وَفَيْئَةً ... تَدْنُو ، وَحِلْماً لا يَزَالُ يَعُودُ[1]
فَلَسَطْوَةُ الضِّرْغَامِ أجمَلُ بالفتى ... مِنْ أنْ يُرَى عَالٍ عَلَيْهِ السِّيدُ
مَا السّؤدُدُ المَطْلُوبُ إلاّ دونَ ما ... يَرْمي إلَيْهِ السّؤدُدُ المَوْلُودُ
فَإذا هُمَا اتّفَقَا تَكَسّرَتِ القَنَا ... إنْ غَالَبَا ، وَتَضَعضَعَ الجُلمُودُ
وَأجَلُّ مَا ضَرَبَ الرّجَالُ بِحَدّهِ الـ ... ـأعْداءَ مَجْدٌ طَارِفٌ وَتَلِيدُ
الآنَ أُطْلِقَتِ النّصُولُ وَرُشّحَتْ ... لِسَبيلِهَا قُبُّ الأيَاطِلِ قُودُ
وَتَبَلّجَ البَيْتُ الحَرَامُ طَلاقَةً ، ... مُذْ قيلَ : إنّ جَمَالَهُ مَرْدُودُ
وَعَلى المَظالِمِ وَالنّقَابَةِ هِمّةٌ ... يَقْظَى ، وَظِلٌّ أمَانَةٍ مَمْدُودُ
حَمْداً لأنْعُمِكَ الجِسامِ ، فَلم يزَل ... أبَداً يَزِيدُ لهَا عَليّ مَزِيدُ
علّيْتَني حتّى تَحَقّقَتِ العِدَى ... أنّي حَمِيمٌ للعُلَى وَعَقِيدُ[2]
وَتَرَكْتَ حُسّادي، عَلى زَفَرَاتِهِمْ ، ... عُوجَ الضّلوعِ ، فَوَاجِدٌ وَعَمِيدُ
فَلأشْكُرَنّكَ مَا تَجَاذَبَ مِقوَلي ... نَثْرٌ يَشُقّ عَلى العِدَى وَقَصِيدُ
وَالشّكْرُ أنْفَسُ ما وَجَدْتُ، وَإنّما ... أمَلُ الفَتَى أنْ يُقبَلَ المَوْجُودُ

١ الفيئة : الغنيمة .
٢ العقيد : المعاهد .

كنز فخار

يمدح أخاه ويهنئه بمولودة جاءته :

جُرّي النّسيمَ علَى مَاءِ العَنَاقيدِ ،   وَعَلّلي بِالأمَاني كُلَّ مَعْمُودِ

يا نَفْحَةً هزّتِ الأحْشَاءَ شَائِقَةً ،   وَذَكّرَتْ نَفَحَاتِ الخُرّدِ الغِيدِ

يَضُمُّهَا اللّيلُ في أثْنَاءِ غَيهَبِهِ ،   وَالقَطْرُ يَلْمَسُ أطْرَافَ الجَلاميدِ

كأنّها عَنْ طَرِيقِ المُزْنِ طائِشَةً ،   لَحْظٌ تُرَدّدُهُ أجْفَانُ مَزْؤودِ

لَيْتَ الأحِبّةَ أغْرَينَ الرّيَاحَ بِنَا ،   وَإنْ نَأَيْنَ عَلَى شَحْطٍ وَتَبْعيدِ

وَلَيْتَهُنّ عَلَى يَأسِ اللّقَاءِ لَنَا   عَلّلْنَ بالوَعْدِ سَيرَ الضُّمّرِ القُودِ

أبيتُ ، وَاللّيْلُ مَبْثُوثٌ حبَائِلُهُ ،   وَالوَجْدُ يَقْنِصُ مِنّي كُلَّ مَجلودِ

شَوْقاً إلَيكَ ، وَإشفاقاً عَلَيكَ ، وَلي   دَمعانِ مَا بَينَ مَحْلُولٍ وَمَعقُودِ

لَيسَ الغَرِيبُ الذي تَنأى الدّيارُ بهِ ،   إنّ الغَرِيبَ قَرِيبٌ غَيرُ مَوْدُودِ

يا طَائِرَ البَانِ مَا غُرّبتَ عَنْ سكَنٍ   يَوْماً ، وَلا كنتَ عَن مأوًى بِمَطْرُودِ

وَأنْتَ في ظِلّ أفْنَانٍ مُهَدّلَةٍ ،   تَحْنُو عَلَيْكَ بِقِنوَانِ العَنَاقيدِ

مَلأتَ عُشّيكَ طَعماً غيرَ مُختَلَسٍ ،   بلا رَقيبٍ ، وَوِرْدٍ غَيرِ تَصْرِيدِ

تَبكي وَمَا لكَ مِنْ إلْفٍ فُجِعتَ بهِ ،   وَلا لُوِيتَ ، عَلى بُعْدٍ ، بِمَوْعُودِ

ظَلَمتَ ، ما أنتَ مِنْ هَمّي وَلا كَمَدي ،   إنّ العَليلَ لَقَلْبٌ عَادَهُ عِيدي

أنا الذي إنْ بَكَى وَجداً فحُقّ لَهُ ،   كَمْ بَينَ بَاكٍ مِنَ البَلوَى وَغِرّيدِ

وَخُلَّةٍ جُذِبَتْ تَثْنِي مَوَدَّتَهَا عَنِّي ، وأمسَكْتُ عَنْهَا بالمَوَاعِيدِ
مِنِّي إلى الدَّهْرِ شكوَى غَيرُ غَافِلَةٍ عَنْ مُوثَقٍ بحِبَالِ العَجزِ مَصْفُودِ
يُحارِبُ الهَمَّ إنْ مَالَ الرُّقَادُ بِهِ ، حتّى تَجلّى غَيابَاتُ المَرَاقِيدِ
بَيْنِي وبَينَ المُنى أنّي أقُولُ لهَا : بَيني وَبَيْنَكِ قَطْعُ البِيدِ وَالبِيدِ
وَسَاهِمِينَ عَلَى الأكْوَارِ دَأبُهُمُ قَرْعُ السِّيَاطِ بِأعنَاقِ المَقاحِيدِ[1]
عاطِيَتُهم مِنْ عُلالاتِ الكَرَى نُطَفاً ، وَالسّيرُ يَرْجُمُ جُلمُوداً بجُلمُودِ
وَللحُدَاةِ عَلَى آثَارِنَا زَجَلٌ ، يُغزِي المَطَايَا بأجوَازِ القَرَادِيدِ[2]
يُقَطِّعُونَ حُبَى الأيّامِ عَنْ طَبَعٍ وَتَحتَبي بِالمَعَالي وَالمَحامِيدِ[3]
وَيَهْجُرُونَ ، إذا جَدّت عزَائِمُهُمْ ، دُنْيَا تَلاعَبُ بِالغُرِّ المَجَاوِيدِ
ما الفَقرُ عارٌ وَإنْ كَشّفتَ عَوْرَتَهُ ؛ وَإنّمَا العَارُ مَالٌ غَيرُ مَحْمُودِ
تُلْقَى أكُفُّهُمُ في كُلّ نَائِبَةٍ ، مَلْوِيّةً بِحبَالِ البَأسِ وَالجُودِ
إنْ صَاحَ صَائحُهم يوْمَ الوَغى هَجَموا عَلَى السَّوَابِقِ بالبِيضِ المَذاوِيدِ
وَكَمْ عَدُوٍّ مَشَتْ فيهِ رِماحُهُمُ ، فاستَنصرَ الرّكضَ من جرْداءَ قَيدودِ[4]
مِنْ كُلّ أبْلَجَ إنْ خَبّتْ عزَائِمُهُ ألقَتْ إلَيْهِ الأمَانِي بالمَقَالِيدِ

[1] الساهمون، الواحد ساهم : المتغير لون الوجه . المقاحيد : النياق العظام الأسنمة ، الواحدة مقحاد.
[2] القراديد ، الواحد قردود : ما ارتفع من الأرض .
[3] عن طبع بسكون الباء وفتحها للوزن : أي عن سجية جبلوا عليها ، أو هي عن طبع بفتح الباء : أي دنس وعيب .
[4] القيدود : الناقة الطويلة الظهر .

إذا تَحَرّقَ ، أحْشَاءُ الفَلا مُلِئَتْ مِنْ رَعيهِ خاطِرَ الرّئبالِ وَالسِّيدِ[1]
وَإنْ جرَى شرِقَتْ بالحَصْلِ رَاحتُهُ أخذاً وَبَدّدَ أنْفَاسَ المَجَاهِيدِ[2]
يابنَ الحُسَينِ وَما دَعوَايَ كاذِبَةً ، إذا نَسَبْتُكَ في الشُّمِّ المَنَاجِيدِ
الطّاعِنِينَ مِنَ الأعْداءِ مَا لَحِقُوا ، وَالخَيْلُ تَلطِمُ هَامَاتِ الصّياخيدِ[3]
مُعَوّدُونَ مِنَ الأيّامِ مَرْتَبَةً ، لا يَسْتَطِيلُ إلَيها كُلُّ صِنديدِ
يَأبَوْنَ أنْ يَلبَسَ الإظلامُ رَبْعَهُمُ لَيْلاً ، وَمَا عَذّبُوا طَرْفاً بتَسهيدِ
وَيَغضَبُونَ إذا عَاطَيتَهُمْ هِمَماً مُرَفَّهَاتٍ ، وَهَمّاً غَيرَ مَكْدُودِ
هُمُ الضّيُوفُ لأرْضٍ غَيرِ آهِلَةٍ مِنَ الأنِيسِ ، وَوِرْدٍ غَيرِ مَوْرُودِ
فَأنْتَ أبْسَطُهُمْ بَاعاً ، إذا بَسَطوا أيدِيهِمُ لِوَعِيدٍ ، أوْ لمَوْعُودِ
الآنَ جَاءَتْ خُيُولُ السّعدِ رَاكِضَةً تَجري بيَوْمٍ مُضِيءِ الوَجهِ مَجدودِ
بِمَوْلِدٍ صَقَلَ الآبَاءُ حِلْيَتَهُ ، فَطَوّقَ المَجْدُ أعنَاقَ المَوَالِيدِ
مَوْلُودَةٌ نَهَبَ الرّاؤونَ بَهْجَتَهَا لَثماً ، وَعانَقتَها في ثَوْبِ مَحسُودِ
كانَتْ شِهاباً كسا ظَلماءَهُ وَضَحاً ، وَاللّيلُ يَدْخُلُ في أثْوَابِهِ السّودِ
جَاءَتْ بِهَا لَيْلَةٌ تَثْني سَوَالِفَهَا في صَدْرِ يَوْمٍ رَشيقِ القَدّ أمْلُودِ
لله شَمْسُ عُلًى جاءتْ بِجَوْهَرَةٍ غَرّاءَ ، عَنْ قَمَرٍ بالمَجْدِ مَسعُودِ
ما عُدّدَتْ منكَ إلاّ نُطفَةٌ سَلَكَتْ إلى الأمَاني طَرِيقَ المَاءِ في العُودِ

[1] التحرق : العطش . والبيت غامض ، ولعله محرف .
[2] الحصل ، من قولهم : أحرز خصله أي غلب .
[3] الصياخيد ، الواحدة صيخود : الصخرة الشديدة .

نَشرْتَ منها خِماراً في الفَخارِ طوَى مَعَ النّوَائبِ تِيجَانَ الصّنَادِيدِ
شَرِيفَةٌ رَشّحَتْ مِنهَا مَنَاسِبُها ، لِحِلْيَةِ العِزّ ، مَجرَى اللّيتِ وَالجِيدِ
ما كنتَ تَقبَلُ بَذْلَ الدّهرِ تَكرِمَةً حتّى حَبَاكَ بِبَذْلٍ غَيرِ مَرْدُودِ
أعطَاكَ كَنزَ فَخارٍ كَانَ يَصرِفُهُ مِنْ نَسلِ غَيرِكَ في شتّى عَبادِيدِ[1]
شجاً لنَفسِ شُجاعِ الحرْبِ مُعترِضاً، وَفَرْحَةً لِفُؤادِ العَاتِقِ الرُّودِ[2]
فَرّقتَ عَنكَ العِدى تَدمَى ضَمائرُها بِبَاعِ عِزٍّ عَلى الأيّامِ مَمدُودِ
لا زِلتَ تَملِكُ ،وَالأحداثُ رَاغمةٌ ، عِناقَ غُصْنِ الأماني غيرِ مَخضُودِ
وَتَستَنيرُ لكَ الأيّامُ مُلهِيَةً ، يُنمَى بِهَا كُلُّ إصْباحٍ إلى عِيدِ
يا مُطلِقَ السّمعِ وَالأسماعُ ما برِحتْ أسِيرَةً في يَدَيْ عَذْلٍ وَتَفْنيدِ
وَرُبّ رُزْءٍ مِنَ الأيّامِ مُنْهَجِمٍ ، عَزّاكَ مِنهُ النُّهَى عَن خَيرِ مَفقُودِ
ما زِلتَ تَرْقُبُ إحسانَ الزّمَانِ لَهُ حتّى تَبَدّلْتَ مَوْلُوداً بمَوْلُودِ

[1] العباديد : الفرق من الناس .
[2] العاتق : الجارية أول ما أدركت . الرود ، الواحدة رادة : المرأة السريعة الشباب .

نفس حرّة

قال فيه أيضاً جواباً عن أبيات كتبها
بعقب زوال وحشة كانت بينهما :

عَجِبتُ مِنَ الأيّامِ إنجازَها وَعدِي، وَتَقرِيبَها مَا كانَ مِنّي عَلى بُعْدِ[1]

وَإنّ اللّيَالي، مُذْ لَبِستُ رِداءَها، تُحاذِرُ من حدّي فتَزْرِي على جِدّي[2]

وَلي إنْ يَطُلْ عمرِي معَ الدّهرِ وَقفةٌ تُذَلّلُ أحداثَ الزّمَانِ لِمَنْ بَعدِي

وَإنّي لمُرّ البأسِ، مُستَرْعَفُ الظُّبَى؛ وَإنّي لحُلْوُ الجُودِ مُستَمطَرُ الرِّفْدِ

إذا بَزّني مَالي عَطَاءً تَرَكْتُهُ حَميداً، وَطالَبتُ القَوَاضِبَ بالرّدّ

وَقَدْ عَجَمَتْ منّي اللّيالي مُذَرَّباً تَخَلّلَ أنيَابَ الأسَاوِدِ وَالأُسْدِ[3]

إذا خَبّ فيهِ، مِلءَ حَيزُومِهِ، الجوَى تَوَقّرَ يُخفي منهُ غَيرَ الذي يُبدِي

وكنتُ، إذا الأيّامُ جُلْنَ بِساحَتي، رَجَعنَ وَلَمْ يَبلُغنَ آخرَ مَا عِندِي

وَلَكِنّها نَفسٌ، كما شِئتَ، حُرّةٌ، تَصُولُ وَلَوْ في ماضِغِ الأسدِ الوَرْدِ

وَأعظَمُ ما ألفَيتُ، شَجْواً وَلَوْعَةً، عِتابُ أخٍ فَلّ الزّمانُ بهِ حَدّي

أقِيكَ الرّدَى ماكانَ ماكانَ عن قِلًى، وَلَكِنْ هنَاتٌ كِدْنَ يَلعَبنَ بالحِلْدِ

1 قوله : إنجازها وتقريبها ، نصبهما بنزع الخافض ، والتقدير لانجازها .

2 زرى عليه : عابه .

3 المذرب : أراد سيفاً محدداً .

وَلا تَحسبَنَّ القَلبَ جازَتْ كُلُومُهُ إلى القَلبِ، إلاّ بَعدَما حزّ في الجِلْدِ

مَنَحتُكَ ما عندي من الصّدّ مُعلِناً ، وَعَقْدُ ضَميرِي أنْ أدومَ عَلى الوُدّ

وَلمْ أغْدُ مَحلُولَ اللّحاظِ طَلاقَةً ، وَقَلبيَ مَعقُودُ الجَنانِ عَلى الحِقْدِ

سَجَايَا رَعَيْنَ المَجْدَ في تَلَعَاتِهِ ، وَنَاقَلْنَ في العَلْيَاءِ غَوْراً إلى نَجدِ

وَقَدْ كنتُ أبغي رُتْبَةً بَعدَ رُتْبَةٍ ، فَآنَفُ لي مِنْ أنْ أفوزَ بهَا وَحْدِي

حِفاظاً على القُرْبَى الرّؤوم ِ، وَغَيرَةً على الحَسَبِ الدّاني، وَبُقيا على المَجدِ

وَلِمْ لا ؟ وَنَحْنُ الرّاجعانِ من العُلى إلى المَغرِسِ الرّيّانِ وَالسّؤدُدِ الرّغدِ

مِنَ القَوْمِ أشْبَاهُ المَكَارِمِ فيهِمُ ، وَعِرْقُ المَعالي الغُرّ وَالحَسَبِ العِدّ[1]

حَسَدْتُ عَلَيكَ الأجنَبينَ مَحَبّةً ، وَنافَستُ فيكَ الأبْعَدِينَ على الوُدّ

وَقَدْ كَانَ لَذْعٌ ، فاتّقَيْتُ شَبَاتَه بقَلبٍ على الضرّاءِ كالحَجَرِ الصّلْدِ

تَجَلّدْتُ حَتّى لمْ يَجِدْ فيَّ مَغمَزاً، وَعُدْتُ كمَا عادَ الجُرَازُ إلى الغِمْدِ

وَهَا أنَا عُرْيَانُ الجَنَانِ مِنَ الّتي تَسوءُ وَمَنفوضُ الضّلوعِ من الوَجدِ

وَكَمْ سَخَطٍ أمسَى دَليلاً إلى رِضًى ، وَكَمْ خَطَإٍ أضْحَى طَرِيقاً إلى عَمدِ

أُقَلّبُ عَيْناً في الإخَاءِ صَحيحَةً ، إذا ارْتَمَتِ الأعداءُ بالأعيُنِ الرُّمْدِ

وَإنّيَ مُذْ عَادَ التّوَدّدُ بَيْنَنَا تجَلّى الدُّجى عن ناظِري وَوَرَى زَندِي

وَعادَ زَماني بَعدَما غاضَ حُسنُهُ ، أنيقاً كبُرْدِ العَصْبِ أوْ زَمنِ الوَرْدِ[2]

وَكنتُ سَليبَ الكَفّ من كلّ ثَرْوَةٍ ، فأصبَحتُ من نَيلِ الأماني على وَعْدِ

[1] العد : الكثير من الشيء .
[2] العصب : البرود اليمانية .

وَفارَقتُ ضيقَ الصّدرِ عنكَ إلى الرّضَى ، كما نَشَطَ المأسور مِنْ حَلَقِ القِدَ
وَقد ضَمّني مَحضُ الصّفاءِ وَصِدْقُه إليكَ كما ضُمّتْ ذِراعٌ إلى عَضُدِ
وكنتُ ، على ما بَينَنا مِنْ عَيابَةٍ ، أعدُّكَ جَدّي حينَ أسطو على ضِدّي

هلم نعد صفو الوداد

هذه القصيدة ارسلها إليه أخوه الشريف المرتضى علم الهدى أبو القاسم علي قدس الله روحيهما :

تكَشّفَ ظِلُّ العَتبِ عن غُرّةِ العَهدِ ، وَأعدى اقتِرَابُ الوَصْلِ منّا على البُعْدِ[1]
تجَنّبَني مَن لَستُ عَن بعضِ هجرِهِ صَفُوحاً . وَلا في قَسوَةٍ عنهُ بالجَلْدِ
نَضَتْهُ يَدُ الإعتابِ عَمّا سَخَطتُهُ ، كما يُنتضَى العَضْبُ الجُرَازُ من الغِمدِ
وكُنتُ عَلى مَا جَرّهُ الهَجرُ مُمسكاً بحَبلِ وَفَاءٍ غَيرِ مُنْفَصِمِ العَقْدِ
أمِينُ نَوَاحي السّرّ لَمْ تَسْرِ غَدْرَةٌ بِبَالي . وَلَمْ أحْفِلْ بداعيَةِ الصّدّ
تَلِينُ عَلى مَسّ الإخاءِ مَضَارِبي ، وَإنْ كنتُ في الأقوَامِ مُستحسَنَ الجِدّ
وَلمّا استَمَرّ البَيْنُ في عُدَوَائِهِ ، تَغَوّلَ عَفوِي أوْ تَرَقّى إلى جُهْدِي[2]

[1] أعداه : نصره ، وأعانه .
[2] العدواء : البعد ، والموانع

أُصاحبُ حُسنَ الظنّ وَالشكُّ مُقبِلٌ بوَجهي إلى حيثُ استَترَتْ عُرَى الودّ[1]

إذا اتّسعَتْ في خطّةِ الصدّ فكرَتي، تجلّلني همٌّ يضيقُ بِهِ جِلدي

وَإنْ نَاكرَتني خلّةٌ مِنْ خِلالِهِ، تعرّضَ قلبي يفتَديهَا منَ الحقدِ

يَخالُ رِجالٌ مَا رَأوْا لِضَلالَةٍ، وَلَنْ تُستَشَفَّ الشمسُ بالأعينِ الرُّمْدِ

وَكَمْ مُظْهِرٍ سِيما الوِدادِ يرَوْنَهُ حَميداً، وَمَا يُخفي بَعيداً من الحَمدِ

وَحُوشيتَ أن ألقاكَ سَبطاً تَظاهُرِي، وَإنْ كُنتَ مَطوِيّاً على باطِنٍ جَعدِ

إذا تَرَكتَ يُمنَى يدَيكَ تَعَلّقِي، فيا ليتَ شعرِي من تمَسّكُ من بَعدِي

إيَاباً، فلَمْ تُشرِفْ على غايَةِ النّوَى، ولَمْ تَنأَ كُلَّ النّأيِ عَن سَنَنِ القَصْدِ

فَلا الدّرُّ نَثراً لَيسَ يُدْفَعُ حُسنُهُ، ولَيسَ كمَا ضَمّتهُ ناحِيَةُ العِقْدِ

وَلَوْ لَمْ يُلاقِ القَدْحُ زنداً بمِثْلِهِ لمَا انبَعَثَتْ شُهْبُ الشّرَارِ من الزّندِ

فقدْ غاضَ سُخْطانَا، فهل من صُبابةٍ برَأيكَ؟ إنّي قد تَصَرّمَ ما عِندِي

هلُمّ نُعِدْ صَفْوَ الوِدادِ كمَا بَدَا، إعادَةَ مَن لم يُلفِ عَن ذاكَ مِن بُدّ

وَنَغتَنِمِ الأيّامَ، فَهْيَ طَوَائِشٌ، تُوَاتي بِلا قَصْدٍ، وَتَأبَى بِلا عَمْدِ

وَمِثلُكَ أهدَى أن يُقادَ إلى الهُدَى، وَأرْشَدُ أنْ يَنحازَ عَن جِهةِ الرُّشْدِ

[1] استترت عرى الود: لعله أراد قطعت.

قمر من السعد

قال في أبي سعيد بن خلف وقد تخلص من نكبة لحقته :

يا دارُ مَنْ قَتَلَ الهَوَى بَعْدِي ، وَجَدُوا وَلا مِثلَ الذي عِنْدِي

لا تَعْجَبِي ، يا دارُ ، أنّهُمُ أبدَوْا ، وَمَنْ يكُ وَاجداً يُبْدِي

رَبْعٌ قَرِيبُ العَهْدِ أحْسَبُهُ بالظّاعِنِينَ ، وَقَدْ مضَى عَهْدِي

لَوْ حرّكَتْ ذاكَ الرّمَادَ يَدٌ لَرَأتْ بَقَايَا الجَمْرِ وَالوَقْدِ

إنّي لَيُعْجِبُنِي حِمَاكَ ، إذا نَشَرَ النّسيمُ ذَوَائِبَ الرّنْدِ

وَالمَاءُ تَصْقُلُهُ الرّيَاحُ كَمَا أبدَى العِيابُ مُضَاعَفَ السّرْدِ[1]

حَيّا مَرِيضَ ثَرَاكَ غَادِيَةٌ ، تُعْطِيهِ رِيحَ العَنْبَرِ الوَرْدِ

أوْ ذاتُ نَهْدٍ بَينَ سَارِيَةٍ ، تَتَلَوّيَانِ تَلَوّيَ القِدّ[2]

يَتَشَقّقُ البَرْقُ اللّمُوعُ بِهَا وَتَرُوعُهُ بِتَهَزّمِ الرّعْدِ

لي مُقْلَةٌ مَا تَسْتَفِيقُ جَوًى ، تَدْمَى ، وَيَقْرَعُ مَاؤهَا خَدّي

وَالعِيسُ مَا وَجَدَتْ تَحِنّ ، وَلا تُخفي ، وَأكتُمُ دائِماً وَجْدِي

وَمَلامُ أيّامٍ ، وَلَيْسَ لَهَا عَطفٌ وَبَعضُ اللّوْمِ لا يُجدِي

١ العياب ، الواحدة عيبة : ما توضع فيه الثياب . السرد : اسم لكل درع ، أو حلق .

٢ لعله أراد بذات النهد بين سارية : سحابة فوق سحابة سارية ليلا . القد : السوط .

لا خَيرَ في دُنْيَا نَوَائِبُهَا تَدْوِي ، وَداءُ مَنُونِها يُعدِي[1]
لا تَحْسَبَنَّ الرِّزْقَ مُطَّرَحاً ، فَالرِّزْقُ بَيْنَ مَوَاضِعِ الأُسْدِ
وَلَرُبَّ مَصْحُوبٍ غَرِضْتُ بِهِ غَرَضَ الحَوَامسِ من قذى الوِرْدِ[2]
دانَى يَدِي فَنَفَضْتُها حَذَراً مِنْ أنْ يُدَنِّسَ هَزْلُهُ جِدّي
وَمُبَخَّلٍ إنْ جَادَ بَعْدَ مَدًى، فَالمَاءُ يَطْلُعُ مِنْ صَفاً صَلْدِ[3]
كَيْفَ السَّبِيلُ إلى بُلَهْنِيَةٍ في ذا الزّمَانِ وَعِيشَةٍ رَغْدِ[4]
في كُلِّ لَيْلٍ لي وَقُودُ مُنًى ، وَمَطامِعٌ وَسَّدْتُهَا عَضْدِي
وَالمَرْءُ مَا أرْضَى أمَانِيَهُ يَنْقَادُ مِنْ لَعِبٍ إلى جِدِّ
وَجهي مَجَالٌ للطِّعَانِ ، فَمَا خَوْفي لِقَاءَ الحَرِّ وَالبَرْدِ
فَلأشْرَبَنَّ مَنَاقِباً بِدَمِي ، وَلأنقُبَنَّ عَلى العُلَى جُهْدِي
وَلأُرْحِلَنَّ العِيسَ مَرْحَلَةً عَوْجَاءَ ، بَيْنَ القُورِ وَالوَهْدِ
عَلِّي أُلاقِي مَنْ أسَرُّ بِهِ ، وَيُفَلَّ عِنْدَ لِقَائِهِ كَدِّي
وَأتُوبُ مِنْ ذَمِّ الزّمَانِ ، إذا عَلِقَتْ يَدايَ يَدَيْ أبي سَعدِي
خِلّي ، وَإنْ بَعُدَ الزّمَانُ بِهِ ، يَوْماً ، وَمَاطَلَنِي بِهِ وَعْدِي
وَمُطالِعي في الأُنْسِ إنْ لُوِيَتْ عَنّي الرِّقَابُ ، وَلَجَّ في صَدِّي

١ تدوي : تمرض .

٢ غرضت به : مللته .

٣ الصفا ، الواحدة صفاة : الحجر الصلد الضخم . الصلد : الصلب الأملس .

٤ البلهنية : رخاء العيش .

لا تَحْسَبُوا ذا البُعدَ غَيّرَني ، فَالبُعْدُ غَيرُ مُغَيِّرٍ وِدّي
وَإذا الفَتَى حَسُنَتْ رِعَايَتُهُ في القُرْبِ ضَاعَفَها عَلى البُعْدِ
لَوْ تَسْألُونَ دَمي سَمَحْتُ بِهِ مِنْ غَيرِ مَعْصِيَةٍ ، وَلا رَدّ
أوْ كَانَ جِلْدٌ يُسْتَعَارُ إذاً ، يَوْمَ الطّعانِ ، لعِرْتُكُمْ جِلْدي
أوْ أنّ خُطْواً يُسْتَرَابُ بِهِ مِنكُمْ سَحَبتُ وَرَاءكُمْ بُرْدي
كَانَتْ غَيَابَةَ حَادِثٍ فَجَلا دَيْجُورَهَا قَمَرٌ مِنَ السّعْدِ
وَنَهَضْتُ مِنها غَيرَ مُكتَرِثٍ ، مِثلَ الحُسَامِ نَزَا مِنَ الغِمْدِ
اللهُ جَارَكَ مَا رَمَتْكَ نَوًى تُذْرِي الرّكَائِبَ أوْ قَطَا الجُرْدِ
وَأنَا الذي إنْ تَدْجُ نَائِبَةٌ يُصْبِحْ أمَامَكَ مُورِياً زَنْدي

صفوه يعرب

يهنىء بعض أصدقائه بمولود وقيل
إنه أعدها ليهنىء بها أخاه السيد المرتضى
فجاءته بنت فصرفها إلى غيره :

أُسَائِلُ سَيفي : أيُّ بارِقَةٍ تُجْدِي ، وَلي رَغْبَةٌ عَمّنْ يُعَلِّلُ بالوَعْدِ
وَأطْلُبُ في الدّنْيا العُلَى ، وَرَكائِبي مُقَلْقَلَةٌ مَا بَينَ غَوْرٍ إلى نَجْدِ

يُشَتِّتُ تُرْبُ القَاعِ وَسْمَ أكُفِّهَا ، وَأخفافُهَا في حَيِّزِ النّصّ وَالوَخْدِ[1]
وَخِطّةِ ضَيْمٍ خادَعَتْني ، فَفِتُّها إلى مَطْلَعٍ بَينَ المَذَمّةِ وَالحَمْدِ
وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَى خَرَقْتُ وَشَمسُهُ تَساقَطُ مِنْ هامِ الإكَامِ إلى الوَهْدِ
وَلَيْلٍ دَجُوجِيٍّ كَأنّ ظَلامَهُ سَمَاوَةُ مَلْوِيّ الذّرَاعَينِ بالقِدِّ[2]
خَطَوْتُ ، وَفي كَفّي خِطامُ نَجيبَةٍ مُدَفّعَةٍ مِنْ كُلّ قُرْبٍ إلى بُعْدِ
إذا لَحَظَتْ مَاءً جَذَبْتُ زِمَامَهَا ، وَقُلْتُ : ارْغَبِي بالعزّ عن مَوْرِدٍ ثَمْدِ
تَوُمّينَ خيرَ الأرْضِ أهْلاً وَتُرْبَةً يُحَطّ بِهَا رَحْلُ المَكارِمِ وَالمَجْدِ
وَفي الأرْضِ قَوْمٌ يَلطِمونَ جِباهَهَا إذا هَجَمَتْ أعْلَى المَنَازِلِ بالوَفْدِ
وَتَنبُو أكفُّ العِيسِ عن عَرَصَاتِهِمْ من البُخلِ حتّى تَستَغيثَ إلى الطّرْدِ
فَما خَدَعَتها رَوْضَةٌ عَنْ مَسيرِها، وَلا لمعُ مَعسُولٍ تَطَلّعَ مِنْ وِرْدِ
أكُفُّ بَني عَدْنانَ تَستَمطِرُ الظُّبَى وَتأنَفُ مِن جُودِ الغَمائمِ بالعَهْدِ[3]
وَتَلقَى الوَغَى، وَاليَوْمُ يَنصُرُ بِيضَهُ على البِيضِ في مجْرًى من الحَدّ وَالجدّ
مَنازِلُهُمْ عقرُ المَطَايَا ، وَإنّمَا تُعَقّلُهَا بالبِشْرِ وَالنّائِلِ الجَعْدِ[4]
جَذَبتُم بضَبعِ المَجدِ ،يا آلَ غالبٍ، وَغادَرْتُمُ الإعْدامَ مُنْعَفِرَ الخَدّ
على حِينَ سَدّتْ ثُلمَةَ العارِ عَنكُمُ صُدُورُ العَوَالي وَالمُطَهَّمَةِ الجُرْدِ

١ النص : استخراج أقصى السير . الوخد : ضرب من السير السريع .
٢ سماوة كل شخص : شخصه .
٣ العهد : المطر .
٤ الجعد : الكريم .

وَكَمْ غارَةٍ أقبَلْتُمُوها مَوَاقِراً من الأسَلِ الذَّيّالِ وَالبِيضِ وَالسَّرْدِ
كَمَا قَادَ عُلْوِيُّ السّحَابِ غَمَامَةً وَجَلْجَلَهَا مِلءٌ مِنَ البَرْقِ وَالرّعدِ[1]
كَفَى أمَلي في ذا الزّمَانِ وَأهْلِهِ عليٌّ مُجيراً مِنْ يَدِ الدّهرِ أوْ مُعْدِي
فتًى ما مَشَى في سَمعِهِ شَدْوُ قَيْنَةٍ وَلا جَذَبَتْ أحشاءهُ سَوْرَةُ الوَجْدِ
وَلا هَجَرَ السُّمْرَ العَوَالي لِلَذّةٍ ، وَلا عاتَبَ البِيضَ الغَوَاني على الصّدّ
إذا أظْلَمَتْ آمَالُ قَوْمٍ بِرَدّهَا أضَاءَ سَنَا مَعْرُوفِهِ ظُلْمَةَ الرّدّ
وَإنْ شَامَ يَوْماً نارَهُ خِلْتَ أنّهَا تَطَلّعُ نَحْوَ الوَارِدِينَ مِنَ الزّنْدِ
وَكَمْ بَينَ كَفّيهِ إذا احتَدَمَ الرّدَى وَبَينَ العَوَالي مِنْ زِمامٍ وَمن عَقْدِ
لِيَهنِكَ يا ابنَ الأكرَمينَ ابنُ حُرّةٍ ، تمَزّقَ عَنهُ النّحسُ عن غُرّةِ السّعدِ
فَرَبٌّ لَهُ خَيْلَ الوَغَى ، فَلِمِثْلِهِ تُرَبّي اللّيَالي كاهِلَ الفَرَسِ النّهْدِ
وَبَشّرْ بِهِ البِيضَ الصّوَارِمَ وَالقَنَا ، وَبَشّرْهُ عَنْ قَوْلِ النّوَائِبِ بالجَلْدِ
ستَذكُرُهُ وَالحَرْبُ يَنكِحُها الرّدَى وَقَدْ طَلّقَتْ أغمادَها قُضُبُ الهِنْدِ
كَأنّي بهِ جارٍ علَى حُكْمِ سَيفِهِ يُعاهِدُهُ أنْ لا يَبيتَ عَلَى حِقْدِ
إذا أنْهَضَتْهُ للنّزَالِ حَفِيظَةٌ ، وَأنْهَضَ مُسْتَنَّ الحُسامِ من الغِمدِ
وَأرْخَى بعِطْفَيْهِ حَوَاشِي نِجَادِهِ وَجَرّ عَلَى أعقَابِهِ فاضِلَ البُرْدِ
وَعَطّفَ خِرْصَانَ الرّماحِ ، كأنّهَا مِنَ الدّمِ في أطْرَافِها شَجَرُ الوَرْدِ
وَزَعزَعَ نَظْمَ الرّمحِ حتّى يَرُدّهُ نِثاراً عَلَى الأعداءِ بالحَطْمِ وَالقَصْدِ[2]

[1] جلجلها : حركها .
[2] النثار : رمي الشيء متفرقاً . القصد : الكسر .

وَشَايحَ عَنْ أحْسَابِهِ بِحُسَامِهِ ، وَذَبّ عَنِ العِرْضِ المُمَنَّعِ بالرِّفدِ[1]
رَأيتَ فتًى في كَفِّهِ سِمَةُ النّدَى ، وَفي وَجْهِهِ شِبْهٌ مِنْ الأبِ وَالجَدّ
إذا ما احتَبَى في الحَيّ وَامتَدّ بَاعُهُ ، رَأيتَ أبَاهُ حينَ يَحكُمُ أوْ يُجدِي
إلى جَدّهِ تُنْمَى شَمَائِلُ مَجْدِهِ ، وَهَل تَرْجِعُ الأشبالُ إلاّ إلى الأُسْدِ
وَليدٌ هَمَى مَاءُ العُلَى في جَبينِهِ ، وَقَدْ شِمتُ مِنهُ بارِقَ الحَسَبِ العِدّ
فلَوْ قيلَ يَوْماً: أينَ صَفوَةُ يَعرُبٍ ؟ رَأيتَ العُلَى تُومي إلى ذلكَ المَهْدِ
إلى رَبْعِكَ المَألُوفِ منّي تَطَلّعَتْ رِقَابُ القَوَافي تحتَ أدْعَجَ مُزْبَدّ
وَلَمّا بَعَثْتُ الشّعرَ نحوَكَ قالَ لي : الانَ فَعُقْ ، إلاّ إلى بَابِهِ ، قَصْدِي[2]
سقَيتَ النّدَى شِعرِي فأنبَتَ حَمدَهُ وَلَوْ صَابَ في جِسمي لأنبَتَهُ جِلدِي
وَإنّي لأستَحيي العُلَى فيكَ أنْ أرَى ضَنيناً من الشّعرِ المَصُونِ بما عِندِي
كَبَتُّ الحَسُودَ النّدْبَ حتّى كَبَبْتُهُ، فمَنْ عاذِري يوْماً من الحاسِدِ الوَغْدِ
إذا الشّمسُ غاضَتْ كلَّ عينٍ صَحيحةٍ فكَيْفَ بهَا في هَذِهِ المُقَلِ الرُّمْدِ

[1] شايح : قاتل . ذب : دافع .
[2] الان : مخفف الآن .

العلى نشو سيوف الهند

قال في الافتخار وشكوى الزمان :

أبَارِقٌ طَالَعَنا مِنْ نَجْدِ ، يُضِيءُ في عَارِضِهِ المُرْبَدّ
مُسْتَعْبِراً عَنْ زَفَرَاتِ الرّعْدِ مَاءً كَمَا ارْتَجّتْ شِعابُ العِدّ
يَقْرِنُ أعنَاقَ الرُّبَى بالوَهْدِ ، وَمَنْهَلٌ مُبَرْقَعٌ بِالثّمْدِ
هَتَكْتُهُ بِاليَعْمَلاتِ الجُرْدِ ، مُلَثّمَاتٍ باللُّغَامِ الجَعْدِ[1]
يَفْقَأنَ بالمَصْدَرِ عَينَ الوِرْدِ ؛ وَلَيْلَةٍ صَدِيّةِ الفِرِنْدِ[2]
بِيضُ النّجُومِ وَاحمِرَارُ الوَقْدِ مثلُ سِماطَيْ نَرْجِسٍ وَوَرْدِ
أوْ مُقَلٍ صَحَائِحٍ وَرُمْدِ ، تُنَازِعُ اللّحْظَ وَلَيسَ تُعْدِي
يَقولُ لي الدّهرُ: ألا تَستَجدِي: أينَ ضِيَاءُ المَطْلَبِ المُسْوَدّ ؟
أرَى اللّيَالي يَشْتَهِينَ بُعْدِي ، وَلا يُقَرِّبْنَ يَداً مِنْ زَنْدِي
يَلِجْنَ بَينَ صَارِمي وَغِمْدِي ، كَأنّ صَمصَامي بِغَيرِ حَدّ
وَحَاجَتي تُصْلَى بِنَارِ الرّدّ ؛ ألاحِظُ الغَيّ بِعَينِ الرُّشْدِ

[1] اللغام : زبد أفواه الإبل . الجعد : الكثير المتراكم .

[2] صدية، مسهل صدئة: ما علاها الصدأ، وهو مادة لونها يأخذ من الحمرة والشقرة تتكون على وجه الحديد ونحوه بسبب رطوبة الهواء . الفرند : السيف . استعار صدأ الفرند لما في الليلة من بياض واحمرار بيّنه في البيت التالي .

وَلا أبَالي مِنْ تَمادي بُعْدِي | أعُوذُ مِنْ رِزْقٍ بِغَيرِ كَدّ
في ذا الوَرَى قَلْبٌ بِغَيرِ حِقْدِ ؛ | مَنْ ذا الذي عَلى الزّمَانِ يُعْدِي
كُلٌّ جَوَادٍ كَاذِبٌ في الوَعْدِ ؛ | وَكُلُّ خِلٍّ خَائِنٌ في الوُدّ
يَحِلّ بالعُذْرِ نِطَاقَ العَهْدِ ، | لا عَانَقَتْ هُوجُ الرّياحِ بُرْدِي
إلاّ عَلى ظَهْرِ أقَبٍّ نَهْدِ ، | يَخْطُو عَلى مُلَمْلَمَاتٍ مُلْدِ
كَأنّهُ في سَرَعَانِ الوَخْدِ ، | يَلْعَبُ في أرْسَاغِهِ بالنّرْدِ[1]
يَا أيّهَا المُخَوّفي بِسَعْدِ ، | طَرَحْتَنِي بَينَ النّيُوبِ الدُّرْدِ
وَلَوْ أتَاكَ النّصْرُ مِنْ مَعَدّ ، | جَلجَلْتَ من لحمي زَئيرَ الأُسْدِ
آهاً لنَفْسٍ حُبِسَتْ في جِلْدِي؛ | إنّ الأسيرَ غَرَضٌ بالقِدّ
أشْرَفُ ذُخري صَارِمٌ في الغِمْدِ ؛ | إنّ العُلَى نَشْوُ سُيُوفِ الهِنْدِ
لا بُدّ أنْ أطْرُقَ بَابَ الجَدّ ، | وَأجْعَلَ الحُلّةَ عُرْسَ الرِّفْدِ
وَيَطْرُدَ اللّيْلَ لِسَانُ زَنْدِي ، | حَتّى أُقَاسَ بِأبِي وَجَدّي
هُنّئْتَ يا مَالِكَ رِقّ المَجْدِ ، | وَمُتْعِبِي دُونَ الوَرَى بالحَمْدِ

مِنكَ العَطَايَا وَالمُنى مِنْ عِندِي

[1] سرعان الوخد : أوائل السير السريع .

بحر من دم

كتب بها إلى صديق له :

لَحيّا عَهْدَهنّ حيَا العِهَادِ ، نَدًى يَغتَصُّ مِنْهُ كُلُّ نَادِ
وَأطْلالاً يُطلّ الدّمْعُ فيهَا ، إذا بَدَتِ الحَوَاضِرُ وَالبَوَادي
رِوَاءٌ لا تُريحُ الرّيحُ فيهَا مِنَ الإدْلاجِ إنْتَاجَ الغَوَادي[1]
إذا مَاتَ الحَيَا بَينَ السّوَارِي ، أتَاهَا بالغَوَادي في مَعَادِ[2]
مَجَاهِلُ مَنْزِلٍ كَانَتْ زَمَاناً مَعَالِمَ كُلّ مَكْرُمَةٍ وَآدِ[3]
تَكُفّ رُبُوعُها أيدي الأمَاني ، وَقَدْ عَانَقْنَ أعنَاقَ الأيَادي
إذا حَلّ الحُبَى أمَلٌ طَرِيفٌ ، حَبَتْهُ مُهْجَةُ المَالِ التّلادِ
فَمَا لي وَاللّقَاء ، وَكُلّ يَوْمٍ تُهَدّدُني الرّكَائِبُ بِالبِعَادِ
دَعي عَذْلي فلَيسَ العَذلُ يُجنى بِهِ مَا أثْمَرَتْ شيَمي وَعَادي[4]
وَلي عَزْمٌ تَعُوذُ بِهِ العَوَالي ، إذا فَزِعَتْ إلى مُهَجِ الأعَادي

١ الرواء ، الواحد ريان : الممتلىء . تريح ، من أراحه: أدخله في الراحة . الادلاج : سير الليل. إنتاج الغوادي : مطر السحب المبكرة .

٢ السواري ، الواحدة سارية : السحابة تسري ليلا .

٣ الآد : القوة .

٤ العاد : الواحدة عادة .

يَضُمّ شَعَاعَهُ قَلْبٌ ، وَلَكِنْ تَضِيقُ بِهِ حَيَازِيمُ البِلادِ[1]

وَكَمْ قَلْبٍ أَسَرّ عَلَيّ حِقْداً ، فَأَفْشَى سِرّهُ سِرُّ النّجَادِ

وَيَوْمٍ تَعثُرُ الخِرْصَانُ عَمْداً بِهِ فِي كُلّ نَحْرٍ أَوْ فُؤادِ[2]

يَشُقّ الرّوْعَ عَنْ ضَاحِي بُدُورٍ، بَرَزْنَ مِنَ العَجَاجَةِ في دآدِ[3]

تُرِيهِمْ فِيهِ مِرْآةُ المَنَايَا ، بِصِدْقِ يَقِينِهِمْ ، وَجْهَ المَعَادِ

وَحَشْوُ أكُفّهِمْ سُمْرٌ رِوَاءٌ بِوِرْدِ المَوْتِ مِنْ مُهَجٍ صَوَادِ

تُهَدّيهَا إلى الطّعْنِ المَنَايَا ، بِحَيْثُ تَضِلّ فِي طُرُقِ الهَوَادي[4]

وَقَد نَشأتْ سَحابٌ مِنْ عَجاجٍ تَعُطّ صُدُورَهَا أَيدي الجِيَادِ[5]

بِأرْمَاحٍ خُلِقْنَ مِنَ المَنَايَا ، وَأَسْيَافٍ طُبِعْنَ عَلى الجِلادِ

زَرَعْتُ أسِنّتي فِي كُلّ قَلْبٍ بِهَا ، وَالهَامُ تُزْرَعُ بالحِصَادِ

وَبَحْرِ دَمٍ تَعُومُ الطّيرُ فيهِ ، وَتَرْقَى بَيْنَ أمْوَاجِ الطِّرَادِ

تَرَاهَا في فُرُوجِ النّقْعِ حُمراً ، كَمَا طَارَ الشّرَارُ عَنِ الزِّنَادِ

وَلَيْلٍ بَاتَ يُصْلِتُ لي هُمُوماً ، يُطَلّ بِغَرْبِهِنّ دَمُ الرُّقَادِ

وَكَيْفَ يُحِبّ أغْمَارَ اللّيَالي ، أسِيرُ الطّرْفِ في أيدِي السُّهَادِ

فَلَوْ حَلّ المُؤمَّلُ عَقْدَ هَمّي شَدَدْتُ بِمُقْلَتيّ عُرَى الرُّقَادِ

---

١ شعاعه : متفرقه . الحيازيم : الصدور ، الواحد حيزوم .

٢ الخرصان ، الواحد خرص : الرمح .

٣ الضاحي : البارز . الدآد : اللهو واللعب .

٤ الهوادي : الأعناق .

٥ تعط : تشق .

وَإنّي وَهْوَ في خَيْشُومِ مَجْدٍ ، تَنَفّسَ عَنْ نَسيمٍ مِنْ وَدادِ

كَأنّ عُهُودَنَا كَانَتْ قُلُوباً ، تُرَبّى بَيْنَ أحْشَاءِ العِهَادِ

أيَنسبُنُي لَهُ ظَنٌّ غَوِيٌّ ، وَكَانَ الغَيُّ يَمكُرُ بالرّشَادِ

إذاً ، فثَكِلتُ سَابِحَتي وَسَيفي غَدَاةَ وَغًى ، وَرَاحِلَتي وَزَادِي

أتَخلَعُ حَلْيُكَ الأشعَارَ عَنْهَا إذا كُسِيَتْ مِنَ المعنى المُعَادِ

وَمنْ هَذا يَقُومُ مَقَامَ فَضْلٍ ، قَعَدْنَ لَهُ ذُرَى الصُّمّ الصِّلادِ

أأترُكُ ضَيغَماً في ظَهْرِ طَوْدٍ ، وَآخُذُ تَتْفُلاً في بَطْنِ وَادِ[1]

وَألْفِظُ صَفْوَ أحْشاءِ الغَوَادِي ، وَأجْرَعُ رَنْقَ أحْشَاءِ الثِّمَادِ

وَقَدْ عَلِمَتْ رَبيعَةُ أنّ بَيْتي ، لِغَيرِ الغَدْرِ ، مَرْفُوعُ العِمَادِ

أتَتْكَ قِلادَةٌ لَمْ يَخْلُ مِنْهَا صَليفُ الجُودِ أوْ جِيدُ الجَوَادِي[2]

فَمَنْ لَمْ يُجْرِ دَمْعَتَهُ عَلَيها فَخاطِرُهُ أقَظُّ مِنَ الجَمَادِ

وَمَا أجني بهَا عُذْراً وَلَكِنْ مُحَافَظَةً عَلى ثَمَرِ الوَدادِ

[1] التتفل : الثعلب .

[2] الصليف : عرض العنق ، وهما صليفان من الجانبين .

وجوه تقطر المجد

مَرِضَتْ بعدكم صُدورُ الصِّعادِ ، لا دَوَاءٌ إلاّ قُلُوبُ الأعادِي
إنّ خيرَ الرِّمَاحِ ما شَرِقَتْ بالـ طّعْنِ مِنْهَا مَعَاقِدُ الأكْبَادِ
أيُّ خَطْبٍ أرْخَى ذُؤابَةَ لَيْلٍ ، لَمْ أجُبْهُ مِنْ عَزْمَتي بِزِنَادِ[1]
حكَمَ الدّهرُ أنّ صَاحبَ ذا العَيـ شِ قَتِيلُ المُنَى بِغَيرِ مُرَادِ
وَقَصيرُ الغِنى طَوِيلُ يَدِ الجُو دِ ثَقِيلُ الحِجَى خَفيفُ العَتادِ
كُلّمَا قُلْتُ رَوّحَتْني اللّيالي، ضَرَبَتْ بي آفَاقَ هَذي البِلادِ
وَتَلَقّتْ بيَ الظّلامَ ، رَديفَ الـ نّجْمِ ، بَينَ الإتْهَامِ وَالإنْجَادِ
وَعِتَابُ الزّمَانِ مِثلُ عِتابِ الـ عَيْنِ تُنْهَى،وَدَمْعُهَا بازْدِيَادِ
ضَجّتِ الخَيلُ من سَرَايايَ حتّى لحَسَدْنَ البِطَاءَ قُبُّ الجِيَادِ
كُلَّ يَوْمٍ أقُودُهَا شَائِمَاتٍ بَارِقَ المَوْتِ مِنْ سَماءِ الجِلادِ
بِلُيُوثٍ تَقْري الهَجيرَ وُجُوهاً تَقْطُرُ المَجْدَ بَينَ قَارٍ وَبَادِ
شَرِقَتْ غُرّةُ القَرِيضِ بِنَدْبٍ أشرَقَتْ عِنْدَهُ وُجُوهُ الأيَادِي

[1] أجبه ، من جابه : قطعه ، خرقه .

إذا عربي لم يكن مثل سيفه

لأيّ حَبيبٍ يَحْسُنُ الرّأيُ وَالوُدُّ ، وَأكثرُ هذا النّاسِ لَيسَ لَهُ عَهْدُ
أرَى ذَمّيَ الأيّامَ مَا لا يَضِيرُهَا ، فَهَلْ دافِعٌ عَنّي نَوَائِبَهَا الحَمْدُ
وَمَا هَذِهِ الدّنْيا لَنَا بِمُطِيعَةٍ ، وَلَيسَ لخَلْقٍ مِنْ مُدارَاتِها بُدّ
تَحُوزُ المَعَالي وَالعَبِيدُ لِعَاجِزٍ ، وَيَخْدُمُ فيها نَفسَهُ البَطلُ الفَرْدُ
أكُلٌّ قَرِيبٍ لي بَعيدٌ بِوِدّهِ ؛ وكُلُّ صَديقٍ بَينَ أضْلُعِهِ حِقْدُ
وَلله قَلْبٌ لا يَبُلّ غَلِيلَهُ وِصَالٌ، وَلا يُلْهيهِ عَنْ خِلّهِ وَعْدُ
يُكَلّفُني أنْ أطْلُبَ العِزّ بالمُنى ؛ وَأينَ العُلَى إنْ لَمْ يساعدْنيَ الجَدّ
أحِنّ ، وَمَا أهْوَاهُ رُمْحٌ وَصَارِمٌ ، وَسابِغَةٌ زُغْفٌ ، وَذو مَيعَةٍ نَهْدُ[1]
فَيا ليَ مِنْ قَلْبٍ مُعنًّى بهِ الحَشَا ؛ وَيا ليَ مِنْ دَمْعٍ قَرِيحٍ بِهِ الخَدّ
أُرِيدُ مِنَ الأيّامِ كُلَّ عَظِيمَةٍ ، وَمَا بَينَ أضْلاعي لهَا أسَدٌ وَرْدُ
وَلَيسَ فتًى مَن عاقَ عن حَملِ سيفه إسَارٌ ، وَحَلاّهُ عَنِ الطّلبِ القِدّ[2]
إذا كانَ لا يَمضِي الحُسَامُ بنَفسِهِ ، فَلِلضّارِبِ المَاضِي بقَائِمِهِ الحَدّ
وَحَوْليَ مِنْ هَذا الأنَامِ عِصَابَةٌ تَوَدُّدُهَا يَخْفَى وَأضْغانُها تَبدُو

١ السابغة : الدرع الطويلة . الزغف : اللينة ، الواسعة المحكمة. الميعة ، من ماع الفرس: جرى . النهد : الفرس الحسن الجميل الجسيم .

٢ حلاه ، لعلها مسهل حلأه : منعه .

يَسُرُّ الفَتى دَهْرٌ، وَقَدْ كانَ ساءه، وَتَخدُمُهُ الأيّامُ ، وَهوَ لهَا عَبْدُ

وَلا مَالَ إلاّ مَا كَسَبتَ بنَيْلِهِ ثَنَاءً ، وَلا مَالٌ لمنْ لا لَهُ مَجْدُ

وَمَا العَيشُ إلاّ أنْ تُصَاحِبَ فِتيَةً طوَاعنَ لا يَعنيهِمُ النّحْسُ وَالسّعدُ

إذا طَرِبُوا يَوْماً إلى العِزّ شَمّرُوا ؛ وَإنْ نُدِبُوا يَوْماً إلى غَارَةٍ جَدّوا

وَكَمْ ليَ في يَوْمِ الثّوِيّةِ رَقْدَةٌ يُضَاجِعُني فيهَا المُهَنّدُ وَالغِمْدُ

إذا طَلَبَ الأعداءُ إثْرِي بِبَلْدَةٍ ، نجَوْتُ وَقَدْ غَطّى عَلى أثَرِي البُرْدُ

وَلَوْ شَاءَ رُمْحِي سَدّ كُلّ ثَنِيّةٍ تُطَالِعُني فيهَا المَغَاوِيرُ وَالجُرْدُ

نَصَلْنا عَلى الأكْوَارِ مِنْ عَجزِ لَيلةٍ تَرَامَى بنا في صَدْرِها القُورُ وَالوَهدُ[1]

طَرَدْنَا إلَيها خُفّ كُلّ نَجيبَةٍ ، عَلَيْهَا غُلامٌ لا يُمَارِسُهُ الوَجْدُ

وَدُسْنا بأيدِي العيسِ لَيْلاً ، كأنّما تَشابَهَ في ظَلمَائِهِ الشِّيبُ وَالمُرْدُ

ألا لَيتَ شِعرِي ! هَلْ تُبَلّغُني المُنى وَتَلقَى بيَ الأعداءَ أحصِنَةٌ جُرْدُ ؟

جِيَادٌ، وَقَدْ سَدّ الغُبارُ فُرُوجَها، تَرُوحُ إلى طَعنِ القَبائِلِ أوْ تَغدُو[2]

خِفَافٌ عَلى إثْرِ الطّرِيدَةِ في الفَلا ، إذا ماجَتِ الرّمضَاءُ وَاختَلَطَ الطّرْدُ

كَأنّ نجُومَ اللّيْلِ ،تحتَ سُرُوجِها، تَهَاوَى عَلى الظّلمَاءِ وَاللّيلُ مُسوَدّ

يُعيدُ عَلَيها الطّعنَ كُلٌّ ابنِ هِمّةٍ كَأنّ دَمَ الأعْداءِ في فَمِهِ شَهْدُ

يُضَارِبُ حَتّى مَا لِصَارِمِهِ قِوًى ، وَيَطْعَنُ حَتّى مَا لِذابِلِهِ جَهْدُ

---

١ نصلنا : خرجنا . القور : الجبال الصغيرة ، الواحد قارة . الوهد : المطمئن من الأرض .

٢ جياد : مسرعة .

تَغَرَّبَ لا مُسْتَحْقِباً غَيرَ قُوتِهِ ؛ وَلا قَائِلاً إلاّ لِمَا يَهَبُ المَجْدُ[1]

وَلا خَائِفاً إلاّ جَرِيرَةَ رُمْحِهِ ؛ وَلا طَالِباً إلاّ الذي تَطلُبُ الأُسدُ

إذا عَرَبِيٌّ لَمْ يَكُنْ مثلَ سَيفِهِ مَضاءً عَلى الأعْداءِ أنْكَرَهُ الجَدّ

وَمَا ضَاقَ عَنهُ كلُّ شَرْقٍ وَمَغرِبٍ من الأرْضِ إلاّ ضَاقَ عن نفسه الجِلدُ

إذا قَلّ مالُ المَرْءِ قَلّ صَدِيقُهُ ، وَفَارَقَهُ ذاكَ التّحَنّنُ وَالوُدّ

وَأصْبَحَ يُغضِي الطّرْفَ عن كلّ منظرٍ أنِيقٍ وَيُلْهِيهِ التّغَرّبُ وَالبُعْدُ

فَمَا لي وَللأيّامِ أرْضَى بِجَوْرِهَا ، وَتَعْلَمُ أنّي لا جَبَانٌ وَلا وَغْدُ

تَغَاضَى عُيُونُ النّاسِ عَنّي مَهَابَةً كما تَتّقي شمسَ الضّحى الأعينُ الرُّمدُ

تخَطّتْ بيَ الكُثْبَانَ جَرْداءُ شَطبَةٌ فَلا الرّعيُ دانٍ من خُطاها وَلا الوِرْدُ[2]

تُدافِعُ رِجْلاهَا يَدَيْهَا عَنِ الفَلا إلى حَيثُ يُنمَى العزّ وَالجَدّ وَالجِدّ

فَجاءتْكَ وَرْهاءَ العِنَانِ بِفَارِسٍ تَلَفّتَ حتّى غابَ عَنْ عَيْنِهِ نجدُ[3]

وَمِثْلُكَ مَن لا تُوحشُ الرّكبَ دارُه وَلا نازِلٌ عَنها إذا نزَلَ الوَفْدُ

فَيَا آخِذاً مِن مَجدِهِ ما استَحَقّهُ ، نَصِيبُكَ هَذا العزّ وَالحَسَبُ العِدّ

أبٌ أنتَ أعلى منهُ في الفَضْلِ وَالعُلى ، وَأمضَى يداً ، وَالنّارُ وَالِدُها زَنْدُ

وَمَا عَارِضٌ عُنوَانُهُ البِيضُ وَالقَنا أخو عارِضٍ عُنوَانُه البَرْقُ وَالرّعْدُ

١ مستحقباً ، من استحقبه : شده في مؤخر رحل أو قتب واحتمله خلفه . القائل : الساكن إلى الشيء .

٢ الشطبة : الفرس السبطة اللحم .

٣ الورهاء : الحمقاء .

وَكَمْ لكَ في صَدْرِ العَدُوِّ مَرَشَةٌ يُخَضِّبُ منهُ الرّمحَ مُنبَعِقٌ وَرْدُ[1]
وَفَوْقَ شَوَاةِ الذِّمْرِ ضَرْبَةُ ثائِرٍ يَكَادُ لَهُ السّيفُ اليَمانيُّ يَنقَدُّ[2]
يَوَدّ رِجَالٌ أنّني كُنتُ مُفْحَماً، وَلَوْلا خِصَامي لمْ يَوَدّوا الذي وَدّوا
مَدَحتُهُمُ فاستَقْبَحَ القَوْلُ فيهِمُ ، ألا رُبَّ عُنْقٍ لا يَليقُ بِهِ عِقْدُ
زَهِدْتُ وَزُهدي في الحَياةِ لِعِلّةٍ ، وَحُجّةُ مَن لا يَبلغُ الأمَلَ الزّهْدُ
وَهَانَ عَلى قَلْبي الزّمَانُ وَأهلُهُ ، وَوِجدانُنا ، وَالمَوْتُ يَطلُبُنا، فَقْدُ
وَأرْضَى مِنَ الأيّامِ أنْ لا تُميتَني ، وَبي دُونَ أقْرَاني فَوَائبُهَا النُّكْدُ

قول الفحول ونجدة الأنجاد

لَيْتَ الخَيالَ فَرِيسَةٌ لِرُقَادي، يَدْنُو بطَيفِكِ عَنْ نَوًى وَبعَادِ
وَلَقَدْ أطَلْتُ إلى سُلُوّكِ شِقّتي وَجعلتُ هَجرَكِ وَالتجَنّبَ زَادي
أهْوِنْ بِما حَمّلتِنيهِ مِنَ الضّنَى لَوْ أنّ طَيفَكِ كانَ مِنْ عُوّادي
وَلَقَلّمَا نَزَلَ الخَيَالُ بمُقْلَةٍ رَوْعَاءَ نَافِرَةٍ بِغَيرِ رُقَادِ
ما تَلتَقي الأجفَانُ منها سَاعَةً ، وَإذا التَقَتْ فَلِغَضّ دَمْعٍ بَادِ

1 المرشة : الطعنة الواسعة . المنبعق : أراد به الدم المتفجر ، من انبعق السحاب : تفجر بالمطر . الورد : الأحمر .
2 الشواة : الأطراف . الذمر : الشجاع .

لا يَبْعَدَنْ قَلْبي الذي خلّفتُهُ وَقْفاً على الإتْهامِ وَالإنْجادِ
إنّ الذي عمّرَ الرّقادَ وِسادَةً ، لمْ يَدْرِ كيفَ نبَا عليّ وِسادي
لا زَالَ جَيبُ الليلِ مُنفصمَ العُرَى عَنْ كلّ أوْطَفَ مُبرِقٍ مِرْعادِ[1]
يَسقي مَنازِلَ عاثَ فيهنّ البِلَى ، بَينَ الغُوَيْرِ فَجانِبِ الأجْمَادِ
وَإذا الرّيَاحُ تَبَوّعَتْ ، فصُدورُها لعِناقِ حاضِرِ أرْضِكُمْ وَالبَادي[2]
وَلَقَد بَعَثْتُ من الدّموعِ إليكُمُ بركَائبٍ، وَمِنَ الزّفيرِ بِحادِ
إنّي متى استَنجدتُ سِرْبَ مَدامعٍ خذَلَتْهُ أسرَابُ الفِرَاقِ العَادي
لَوْلا هَوَاكِ لمَا ذَلَلْتُ ، وَإنّمَا عِزّي يُعَيّرُني بِذُلّ فُؤادي
مَا للزّمانِ يَذُودُني عَن مَطلَبي ، وَيُرِيغُني عَن طارِفي وَتِلادي
يَحنُو عَليّ ،إذا أقَمتُ كَأنّني الـ أسرَارُ في أحشَاءِ كلّ بِلادِ
عاداتُ هذا النّاسِ ذَمُّ مُفَضَّلٍ ، وَمَلامُ مِقدامٍ ، وَعَذْلُ جَوَادِ
وَلَقَدْ عَجِبتُ، وَلا عَجيبٌ أنّهُ كُلّ الوَرَى للفَاضِلِينَ أعَادي
وَأرَى زَمَاني يَستَلينُ عَرِيكَتي ، وَأرَى عَدُوّي يَستَحِرّ عِنَادي[3]
أتَظُنّني ألقَى إلَيكَ يَداً ، وَمَا بَيني وَبَينَكَ غيرُ ضَرْبِ الهَادي
أسعَى لِكُلّ عَظيمَةٍ ، فَأنَالُها عَزْماً يَفُوتُ هَوَاجِسَ الحُسّادِ
عَزْماً قَوِيّاً لا يُشَاوِرُ رِقْبَةً للخَطْبِ في الإصْدارِ وَالإيرَادِ

١ الأوطف : السحاب المسترخي لكثرة مائه .
٢ تبوعت : مدت باعها .
٣ استحره : وجده حاراً .

مَا زَالَ يَشهَدُ لي إذا استَنطَقتُهُ | بالجُودِ في لَيلِي ، لِسَانُ زِنَادِي
إنّي لَتَحقُنُ ماءَ وَجهي هِمّتي | مِنْ أنْ يُرَاقَ عَلى يَدي بأيَادِ
مِمّا يُقَلّلُ رَغبَتي أنّي أرَى | صَفَدي بِبَذلِ المالِ مثلَ صِفادي[1]
وَالمَالُ أهوَنُ مَطلَباً من أنْ أرَى | ضَرِعاً أرَامي دُونَهُ وَأرَادي[2]
وَمُنَاضِلٍ عَثَرَتْ بِهِ أحسَابُهُ | في مَسلَكٍ وَعرٍ مِنَ الأجْدادِ
خَلَقتُ عُرْفَ جَوَادِهِ بنَجيعِهِ ، | وَالسَبقُ في طَلَقِ الرّدى لجَوَادي
وَكَرُبَ يَوْمٍ غَضّةٍ أطرَافُهُ | صُقِلَتْ بخَطوِ رَوَائحٍ وَغَوَادي
يوْمٍ أرَاقَ دمَ الغَمامِ على الشُّرَى | بظُبًى مِنَ الإيماضِ غَيرِ حِدادِ
وَلِغُرّةِ الجَوّ الرّقيقِ أسِرّةٌ | يَلمعنَ من قِطَعِ السّحابِ الغادي
جاذَبتُهُ صَافي أديمِ هَجيرِهِ ، | وَاليَعمَلاتُ شَوَاحِبُ الأعضَادِ
في فِتيَةٍ سَلَبُوا النّهارَ ضِياءَهُ | وَرَمَوْا بَيَاضَ جَبينِهِ بِسَوَادِ
وَحشَوْا حَشا الظّلماءِ ملءَ جنانها | حتى تصَدّعَ بالصّديعِ البَادي[3]
وكأنّما بِيضُ النّجومِ فَوَاقِعٌ | في زَاخِرٍ مُتَتَابِعِ الإزْبَادِ
نَالُوا عَلى قَدْرِ الرّجَاءِ ، وَإنّمَا | يَرْوَى عَلى قَدْرِ الأُوَامِ الصّادي
قَوْمٌ إذا قَرَعُوا زُنُوداً للقِرَى ، | سَتَرُوا فُرُوجَ النّارِ بالوُرّادِ
ما ضَلّ في قلبِ امرِىءٍ أمَلٌ سرَى | إلاّ وَجُودُهُمُ الهُدَى وَالهَادي

١ صفدي : عطائي . صفادي : وثاقي .
٢ الضرع : الذليل . ارادي : اداري .
٣ الصديع : الصبح .

طُنُبٌ يُعَثِّرْنَ الخُطوبَ، وَباحَةٌ مَمْنُوعَةٌ إلاَّ مِنَ الرُّوَّادِ[1]

سَحَبُوا أنَابيبَ القَنَا ، فكأنَّمَا سَحَبُوا بِهِنَّ حَوَاشِيَ الأبْرَادِ

يَزْجُرْنَ جُرْداً لا تُقِرّ على الثّرَى مَرَحاً كَأنَّ التُّرْبَ شوْكُ قَتَادِ

من كُلّ تَلعاءِ المَناكِبِ، جيدُها يُغْني عَنِ القَرَبوسِ يَوْمَ طِرَادِ[2]

ضرَبوا قِبابَ البِيضِ فوْقَ مَفارِقٍ أطنَابُهَا شَرْعُ القَنَا المَيَّادِ[3]

ذُبُلٌ يُهَذِّبُهَا الطّعانُ ، وَإنّهَا تَزْدادُ جَهْلاً كُلّ يَوْمِ جِلادِ

يحمِلنَ عِبْءَ الموْتِ وَهيَ خفايفٌ في الطّعنِ بَيْنَ جَناجنٍ وَهَوَادِ[4]

هُمْ أنشَبُوا قِصَدَ القَنا من وَائِلٍ من حَيْثُ نارُ الحِقدِ في إيقَادِ[5]

وَلَغُوا بوَقْعِ حَوَافِرٍ في مأزِقٍ ، مَلأوا بهِنّ مَسامِعَ الأصْلادِ

نَجْبٌ نَفَضْنَ لهُ الفَرائصَ خِيفةً تحتَ العَرينِ ، بَرَاثِنُ الآسَادِ[6]

لَبِسَتْ لَهُ الحَرْبُ المَشوبةُ قِبلةً وَتَعَوّدَتْ مِنْهُ صُدُورَ صِعَادِ[7]

وَكَدَتْ وُجوهُهمُ العجاجةَ طلعةً وَظُبَى السُّيُوفِ ثوَاكِلُ الأغمادِ

مِنْ كلّ نَصْلٍ أضمَرَتْ أحشاؤه الـ أرْوَاحَ وَهوَ حشًى بغَيرِ فُؤادِ

---

١ أعاد ضمير الجمع المؤنث في يعثّرن إلى طنب المفرد على نية الجمع .

٢ التلعاء : الطويلة العنق . القربوس : حنو السرج أي قسمه المقوس المرتفع قدام المقعد ومن مؤخره

٣ اطنابها : حبالها . شرع القنا : الرماح المسددة .

٤ الجناجن : عظام الصدر . الهوادي : الأعناق ، وقد مر .

٥ القصد ، الواحدة قصدة : القطعة مما يكسر .

٦ النجب : السخي الكريم ، ولم ندر لم يعود .

٧ معنى هذا البيت غامض ، وربما كان فيه تحريف .

الخَيلُ تَرْتَشِفُ الصّعيدَ نُسورُها طَرْداً ، وَتَلفِظُهُ عَلى الأكْتَادِ[1]

أقبلْنَ مِثلَ السّيلِ صَوّبَ عُنْقَه نَشَزُ العِقَابِ إلى قَرَارِ الوَادي

وَتَكادُ تَمسَحُ من دِماءِ جِرَاحِها آثَارَ مَا نَقَشَتْ عَلى الأطْوَادِ

تَرْجيعُ قَعقَعَةِ الشّكيمِ إذا سرَتْ لِعُداتِهَا ، بَدَلٌ مِنَ الإبعَادِ

يَوْمٌ كأنَّ الأرْضَ فيهِ عانَقَتْ صَدْرَ السّماءِ بعارِضٍ مُنْقَادِ

وَيَكادُ جامحُهُ يُثَقِّفُ في الطُّلَى بالطّعْنِ ، أطرَافَ القَنَا المُنْآدِ

وَكأنّهُنّ ، إذا انحَنَينَ ، رَوَاكِعٌ صَلّتْ إلى قِبَلٍ مِنَ الأكْبَادِ

وَشَقَقْنَ أرْدِيَةَ الضّغائِنِ بالرّدَى من بَعدِ ما شَمَلَتْ قلوبَ إيَادِ

إنْ يُسلَبوا ضَافي الدّرُوعِ ، فإنّهم كاسونَ من عَلَقٍ دُرُوعَ جِسادِ

رَجَعَ الضّرَابُ رِجالَهُمْ بعَمائمٍ مُحْمَرَّةٍ وَنِساهُمُ بحِدادِ

لا يَنقُضُونَ بُنَى الحُقود كأنّما شِيدَتْ ضُلُوعُهُمُ على الأحقَادِ

مُهَجٌ كأنبُوبِ اليَرَاعِ ، إذا عَدَا رَوْعٌ وَعِندَ المُطْمِعاتِ عَوَادي

كادَتْ تَطيرُ مخافَةً لوْ لمْ تَكُنْ مِنْ شُرّعِ الأرْمَاحِ في أسْدَادِ

بَلَغَتْ لَنَا الأرْماحُ كُلَّ طَماعةٍ وَحَوَتْ لَنا الأسيافُ كُلَّ مُرَادِ

أنا خِلُّ كلَّ فتًى إذا أيْقَظْتُهُ أيقظتُ كالنضّاضِ أوْ كالعَادي[2]

ألِفَ الحُسامَ ، فَلَوْ دَعَاهُ لغارَةٍ عَجْلانُ ، صَاحَبَهُ بغَيرِ نِجَادِ

[1] نسورها : ما ارتفع من بواطن حوافرها ، الواحد نسر . الأكتاد ، الواحد كتد : مجتمع الكتفين من الإنسان .

[2] النضاض : الحية . العادي : الأسد .

كَفّاهُ تَصْدِيها الدِّماءُ من القَنا، طَوْراً، ويَصْقُلُها النّدى في النّادي
إنْ جادَ أقنى المُعسرِينَ، وإن سطا أفنى القَنا بمَوَايِرِ الفِرْصادِ[1]
مَنْ مُبلِغُ الشّعَرَاءِ عنّي أنّ لي قَوْلَ الفُحولِ ونَجدَةَ الأمجادِ
قد كانَ هذا الشّعرُ يُنتزَعُ في الدُّنا عنهُمْ ، فكانَ عِقَالَهُ ميلادِي

عزمه في حده

يمدح وسئل ذلك

هُوَ سَيْفُ دَوْلَتِنا الذي يَوْمَ الوَغَى يَفْرِي قُلُوبَ عُداتِهِ بِفِرِنْدِهِ
يَعدُو بطِرْفٍ إنْ جرَى سبَقَ الرّدى وَبِصارِمٍ يَسِمُ الطُّلَى في غِمْدِهِ
جارٍ ، ولَكِنْ رأْيُهُ في جَرْيِهِ ، ماضٍ ، ولَكِنْ عزْمُهُ في حَدِّهِ

[1] أقنى : أغنى . موابر الفرصاد : أراد الدم السايل .

السابقون إلى المجد

قال يفتخر بقريش ونزار على قحطان
واليمن وذلك في رمضــان سنة ٣٨٥ :

أَرَاكَ سَتُحدِثُ للقَلْبِ وَجْدا ، إذا مَا الظّعائِنُ وَدّعْنَ نَجْدَا
بَوَاكِرُ يَطْلُعْنَ نُقْبَ الغُوَيْرِ ، شَأَوْنَ النّوَاظِرَ نَأْياً وَبُعْدَا[1]
تُتَبّعُهُمْ نَظَرَاتِ الصّقُورِ آنَسْنَ هَفْهَفَةَ الطّيرِ جِدّا[2]
عَلَى قَنَوَيْنِ ، ألا مَنْ رَأى ظَعائنَ بالطّعنِ وَالضّرْبِ نَجْدَا[3]
نُخَالِسُهَا مِنْ خِلالِ القَنَا سَلاماً ، وَنَعْلَمُ أنْ لا تَرُدّا
كَأنّ هَوَادِجَهَا وَالقِبَابَ يَثْنِينَ مِنهُنّ بَاناً وَرَنْدَا
فَمَا شِئتَ تَنسِمُ بالقَلْبِ نَشْراً ، وَمَا شِئتَ تَقطِفُ بالعَينِ وَرْدَا
كَأنّ قَوَانِيَ أنْمَاطِهَا قُطُوعُ رِياضٍ من الطّلّ تَندَى[4]
يَصُدّونَ عَنّا بلَمعِ الخُدُودِ ، وَيَمْنَعُنا وَجدُنَا أنْ نَصُدّا
كَأنّا بِنَجْدٍ غَدَاةَ الوَدَاعِ نُصَادي عُيُوناً من الدّمعِ رُمْدَا[5]

---

١ النقب : الطريق . الغوير : ماء لكلب . شأون : سبقن .
٢ هفهفة الطير : صوت طيرانه .
٣ القنوان : جبلان . النجد : الغلبة ، ولعله نعت بالمصدر .
٤ القواني : الحمر . الأنماط ، الواحد نمط : ضرب من البسط . القطوع ، الواحد قطع : البساط والطنفسة تكون تحت الراكب .
٥ نصادي : نساتر ، نداري .

وَأيسَرُ مَا نَالَ مِنّا الغَلِيلُ   أنْ لا نُحِسَّ مِنَ المَاءِ بَرْدَا
أثَارُوا زَفِيراً يَلُفُّ الضّلُوعَ   لَفَّ الرّيَاحِ أنَابِيبَ مُلْدَا
فَكُلٌّ حَرَارَةُ أنْفَاسِهِ   تَدُلُّ عَلى أنّ في القَلْبِ وَقْدَا
وَإنّيَ للشّوْقِ مِنْ بَعْدِهِمْ   أرَاعي الجَنُوبَ رَوَاحاً وَمَغْدَى
وَأفْرَحُ مِنْ نَحْوِ أوْطَانِهِمْ   بِغَيْثٍ يُجَلْجِلُ بَرْقاً وَرَعْدَا
إذا طَلَعَ الرّكْبُ يَمّمْتُهُ   أُحَيّي الوُجُوهَ كُهُولاً وَمُرْدَا
وَأسألُهُمْ عَنْ جَنُوبِ الحِمَى   وَعن أرْضِ نجدٍ وَمَن حلّ نَجدَا
نَشَدْتُكُمُ اللهَ ، فَلْيُخْبِرَنَّ   مَنْ كانَ أقرَبَ بالرّمْلِ عَهْدَا
هَلِ الدّارُ بالجِزْعِ مَأهُولَةٌ ،   أنَارَ الرّبيعُ عَلَيْهَا وَأسْدَى[1]
وَهَلْ حَلّبَ الغَيْثُ أخْلافَهُ   عَلى مَحضَرٍ مِنْ زَرُودَ وَمَبْدَا؟
وَهَلْ أهْلُهُ عَنْ تَنَائي الدّيَارِ ،   يُرَاعُونَ عَهْداً وَيَرْعَوْنَ وُدّا ؟
لَئِنْ أقْرَضَ اللهُ ذاكَ النّعيمَ   فيهِمْ ، لقَدْ كانَ قَرْضاً مُؤدّى
أعَارَ الزّمَانُ ، وَلَكِنّهُ   تَعَقّبَ إعْطَاءَهُ ، فَاسترَدّا
أنَا ابنُ العَرَانِينِ مِنْ هَاشِمٍ .   أرَقُّ القَبَائِلِ رَاحاً وَأنْدَى
أكَنُّهِمُ للمَرَامِيلِ ظِلاًّ ،   وَأثْقَبِهِمْ للمَطَارِيقِ زَنْدَا[2]

١ الجزع : محلة القوم ، وجزع الوادي : حيث تقطعه . ولعله هنا موضع بعينه . أنار الثوب جعل له نيراً ، أي هدباً ولحمة . أسدى الثوب : أقام سداه . وهو ما مد من خيوطه خلاف اللحمة والفظتان مستعارتان لإزهار نبات الربيع .

٢ المراميل : الفقراء . المطاريق : الضيوف يطرقون ليلا .

سِرَاعٍ إلى نَزَوَاتِ الخُطُوبِ ، يَهُزّونَ سُمراً،وَيَمرُونَ جُرْداً[1]
كَأنَّ الصّرِيخَ يُهَاهي بِهِمْ ، أُسُوداً تَهُبّ مِنَ الغِيلِ رُبْداً[2]
إذا أغرَقُوا بِيضَهُمْ في الطُّلَى وَسامُوا القَنَا من دمِ الطعنِ وِرْدَا
عَلى القُبّ تَشغَلُهُنّ السّيَاطُ أمَامَ الرّعِيلِ عُنُفاً وَشَدّا
رَمَيْنَ السِّخَالَ،وَقَيْنَ النّفُوسَ حتّى يَلَغْنَ لغُوباً وَجُهْدَا
فَمَا أوْمَأوا بِصُدُورِ الرّمَاحِ يَوْماً إلى القِرْنِ إلاّ تَرَدّى
سُيُوفٌ تُطِيلُ قِرَاعاً وَقَرْعاً ، وَخَيْلٌ تُعِيدُ طِرَاداً وَطَرْدَا
وَتَغْلَقُ فِيهِمْ رُهُونَ المُلُوكِ قَتلاً بِيَوْمِ طِعانٍ وَصَفْدَا
وَكَمْ صَافَ مِنْ دارِهِمْ سَيّدٌ، وَقَاظَ يُعَالِجُ في الجِيدِ قِدّا
كَأنَّ الفَتَى مِنهُمُ في النّزَالِ يَرَى أكبَرَ الغُنْمِ إنْ قيلَ أوْدَى
وَلا يَحمَدُ العَيشَ في يَوْمِهِ ، إذا لمْ يُلاقِ مِنَ السّيفِ هَدّا[3]
يَبِيتُ عَلى ظُبَتَيْ هِمّـةٍ يُجَاني خُصُوماً من النّوْمِ لُدّا[4]
إذا غَلّ أيْدِي الرّجَالِ النّعَاسُ، شَدّ عَلى العَضْبِ باعاً أشَدّا
وَأصْبَحَ تَزْفِيهِ رِيحُ العَجَاجِ غَضْبَانَ أعجَلَ أنْ يَستَعِدّا[5]
وَسِيّانِ مَنْ جَرّ عَزْمَاتِهِ وَحيداً إلى الرّوْعِ أوْ جَرّ جُنْدَا

١ يمرون ، من مرى الفرس : استخرج ما عنده من جري بسوط أو غيره .
٢ هاهى به : قال له : هيه ، وهي كلمة طرد واستزادة .
٣ الهد : الكسر بشدة .
٤ الظبة : حد السيف . يجاني : يجالس .
٥ زفته : استخفته وطردته .

يَرَى مَهْرَباً ، فَيُلاقي الرّدَى ... لِقاءَ امرِىءٍ لا يرَى مِنْهُ بُدّا
مُضِيءُ المُحيّا كأنّ الجَمالَ ، ... إذا هَبّ منهُ ، جَبيناً وَخَدّا[1]
تَرَى وَجْهَهُ في حُضُورِ النّدَى ... كالعَضْبِ رَقرَقتَ فيهِ الفِرِنْدا
يُنيرُ وَيُلْحِمُ في خِفيَةٍ ، ... إلى أنْ يَحُوكَ مِنَ الرّأيِ بُرْدا
بَني عَمّنَا أينَ قَحْطانُكُمْ ، ... إذا عَبّ بَحرُ نِزارٍ وَمَدّا
مَضَغْنَاكُمُ إذْ عَدَدْنا قُرَيْشاً، ... وَتَلهَمُكُمْ إذْ بَلَغْنا مَعَدّا
هُمُ ألدَغُوكُمْ حُمَاةَ الرّماحِ ... وَلَدّوكُمُ بظُبَى البِيضِ لَدّا[2]
حَمَوْكُمْ مَنابتَ عُشبِ البِلادِ ، ... تَحَلّوا مِنَ النّورِ سَبطاً وَجَعدا
وَسَامُوا بِنَجْدٍ مَطَايَاكُمُ ، ... لِمَا نَشطَتْ مِنْهُ بالغَوْرِ رَدّا
لَنَا مَنْ تَعُجّ الوَرَى بِاسْمِهِ ، ... إلى اللهِ نَدْعُوهُ في المَجْدِ جَدّا
وَبَيْتٌ تَهَاوَى إلَيْهِ المَطِيُّ ، ... تَهزّ الدّلاءَ ذَميلاً وَوَخْدا[3]
بنَا أنقَذَ اللهُ هَذا العُرَيْبَ ، ... حتّى استَقَامَ إلى الدّينِ قَصْدا
وَذَلّ غَوَاشِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا ... سَعَى في الضّلالَةِ سَعْياً مُجِدّا
وَأخفَتَ زَمْجَرَةَ المُشْرِكِينَ ، ... يَفْرِي الجَمَاجِمَ قَطّاً وَقَدّا
فَأكْثِرْ بِمَا طَلّ تِلْكَ الدّمَاءَ ، ... وَأعظِمْ بِما جَرّ بَدْراً وَأحْدا
وَإنّ لَنا بَضّ تِلكَ العُرُوقِ ، ... إذا عُدْنَ يَنبِضْنَ كَيّاً مُعدّا

١ هب منه : أراد تناول منه .

٢ الحماة ، الواحدة حمة : إبرة العقرب . لدكم : خصمكم .

٣ الدلاء : سمة للإبل . الذميل والوخد : من ضروب السير .

فَلا تَشمَخَنْ يا ابنَ أُمّ الضّلالِ ، بجَدّي وَجَدْتَ مِنَ النّارِ بَرْدَا
أجارَ عَلى عَجَلٍ أخْمَصَيْكَ مِنْ زَلَقِ الغَيّ إذْ كِدْتَ تَرْدَى
وَأعتَقَ عُنْقَكَ مِنْ سَيْفِهِ ، فَأصْبَحَ رَأسُكَ حُرّاً وَعَبْدَا
يَزِيدُ عَلى مُشتَهَى الجُودِ جُوداً، وَيَبْني عَلى غايَةِ المَجدِ مَجْدَا
نُلِينُ عَطَائِفَنَا لِلقَرِيبِ ، وَنُولي المُجَانِبَ قُرْباً أجَدّا[1]
وَلَيسَ لَنَا شَيْخُ الرّاحَتَينِ ، إذا جَادَ أعطَى قَليلاً وَأكْدَى[2]
لَقَدْ زَجَرَ المَجْدَ حتّى أصَابَ بِنا مَطْلَعَ النّجمِ لا بَلْ تَعَدّى
كَذاكَ مَنَاقِبُنَا ، فانظُرُوا : أأحصَيْتُمُ رَمْلَ يَبرِينَ عَدّا
سَبَقْنَا إلى المَجدِ مَنْ كانَ قَبلاً فكَيفَ نُقَاسُ بمَنْ جاءَ بَعْدَا

لنا القنا و البيض

قال قدست نفسه الزكية أيضاً

لَوْ عَلِمَتْ أيَّ فَتًى مَاجِدٍ ذاتُ اللّمَى وَالشّنَبِ البَارِدِ
لمّا وَفَى لي مَوْعِدِي بِالنّوَى . مِنْ غَيرِ ذَنْبٍ وَوَفَى وَاعِدِي

١ العطائف : الواحدة عطيفة : القوس .
٢ الشيخ : تقبض الجلد . أكدى : منع .

كالغُصْنِ مَهزُوزاً ، ولَـكِنـّهُ يَفْعَلُ فِعْلَ الخَطِلِ المَائِدِ[1]
أضْلَلْتَ قَلْبي فيكَ عَمْداً وَقَدْ تَعَيّنَ الثّأرُ عَلى العَامِدِ
فَهَلْ لِمَا أضْلَلْتَ مِنْ نَاشِدٍ ؛ وَهَلْ لِمَا ضَيّعتَ مِنْ وَاجِدِ
قُلُوبُنَا عِندَكَ مَعقُودَةٌ بِطَرْفِ ذاكَ الشّادِنِ العَاقِدِ
أفلَتَنا ، ثُمّ ثَنَى طَرْفَهُ ، تَلَفُّتَ الظّبْيِ إلى الصّائِدِ
مَا أنْصَفَ الفَاسِقُ في لحظِهِ ، لَمّا أرَانَا عِفّةَ العَـابِدِ
تَعَزُّزُ الحُبّ لَـهُ ذِلّـةٌ ، وَنَاقِصُ الحُبّ إلى زَائِدِ
وَالمَرْءُ مَحْسُودٌ بِلَذّاتِهِ ، وَالحُبُّ مَلْذُوذٌ بِلا حَاسِدِ
يا عَذْبَةَ المَبْسِمِ بُلّي الجَوَى بِنَهْلَةٍ مِنْ رِيقِكِ الصّارِدِ[2]
أرَى غَدِيراً شَبِماً مَاؤهُ ، فَهَلْ لذاكَ المَاءِ مِنْ وَارِدِ
مَنْ لي بِهِ مِنْ عَسَلٍ ذائِبٍ يَجرِي خِلالَ البَرَدِ الجَامِدِ
أنَا ابنُ مَنْ لَيسَ بِجَدٍّ لَهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ بالمَاجِدِ الجَائِدِ
وَلَمْ يَكُنْ في سِلْكِ آبَائِهِ غَيرُ طَوِيلِ البَاعِ وَالسّاعِدِ
قَدْ حَلَبَ الدّهْرَ أفَاوِيقَهُ ، وَأتْبَعَ الشّارِدَ بِالطّارِدِ[3]
لَنَا الجِبَالُ القُودُ مَرْفُوعَةً تَزِلّ عَنْهَا قَدَمُ الصّاعِدِ
لَنَا الجِيَادُ القُبُّ أخّاذَةٌ عَلى العِدَى بِالأمَدِ الزّائِدِ

[1] الخطل : أراد الرمح المضطرب .
[2] الصارد : البارد .
[3] الأفاويق : اللبن يجتمع في الضرع بين الحلبتين .

لَنَا القَنَا وَالبِيضُ مِطْوَاعَةٌ   في الضَّرْبِ يَعْصِينَ يَدَ الغَامِدِ
لَنَا الأُسُودُ الغُلْبُ في غِيلِهَا   مِنْ ثَائِرٍ بَأساً وَمِنْ لابِدِ
مِنْ أسَدٍ طَالَ بِهِ عُمْرُهُ ؛   وَمِنْ قَرِيبِ العُمْرِ مُسْتَاسِدِ
يا أيّهَا العَائِبُ لي جَهْلَةً   حَذارِ مِنْ أرْقَمِيَ الرّاصِدِ
أُقَدّمُ النّذْرَ ، وَلي سَطْوَةٌ   تُنَفّرُ النّوْمَ عَنِ الرّاقِدِ
كَلَمْعَةِ البَارِقِ مُجتَازَةٌ ،   تَقْضِي عَلى زَمْجَرَةِ الرّاعِدِ
إنْ كُنْتَ مَا جَرّبْتَني ضَارِباً ،   فاصْبِرْ لِما جاءكَ مِنْ ساعِدِي
وَهَاكَ مِنْ كَفّيَ مَفْرُوجَةً   فَرْجَ القَبَا مُوسِيَةَ العَائِدِ[1]
رُبّ نَعِيمٍ زَالَ رَيْعَانُهُ   بِلَسْعَةٍ مِنْ عَقْرَبِ الحَاسِدِ
أنَا الّذِي أبْذُلُ مِنْ طَارِفي   مِثْلَ الّذي أبْذُلُ مِنْ تَالِدِي
مَا مَرْوَتي للنّاحِتِ المُنْتَحي   يَوْماً ، وَلا غُصْنيَ للعَاضِدِ[2]
أسْعَى لِقَوْمٍ قَعَدُوا في العُلَى ؛   مَا أكْثَرَ السّاعي إلى القَاعِدِ
أنَا الّذي يُوسِعُهَا جَوْلَةً   تُجَفّلُ الذّوْدَ عَنِ الذّائِدِ
أنَا الّذي يُوطِىءُ أكْتَافَهَا   مَا رَنّ رُمْحٌ بِيَدَيْ مَارِدِ
أنَا الّذي يُضْرِمُ آفَاقَهَا ،   كَأنّهَا مَعْمَعَةُ الوَاقِدِ
أنَا الّذي يُوجِرُ أبْطَالَهَا   ضَرْباً كَخَبْطِ الجَمَلِ الوَارِدِ
مَا أنَا للعَلْيَاءِ إنْ لَمْ يَكُنْ   مِنْ وَلَدِي مَا كَانَ مِنْ وَالِدِي

١ موسية : معاونة .
٢ العاضد : القاطع بالمعضد ، حديدة كالمنجل تقطع الشجر

وَلا مَشَتْ بي الخَيْلُ إنْ لمْ أطَأ سَرِيرَ هذا الأغْلَبِ المَاجِدِ
فإنْ أنَلْهَا ، فَكَمَا رُمْتُهُ ، أوْ لا ، فَقَدْ يَكْذِبُني رَائِدِي
وَالغَايَةُ المَوْتُ ، فَما فِكْرَتي أسَائِقِي أصْبَحَ أمْ قائِدِي

زرد النفاق

قال أيضاً ويذكر غرضاً في نفسه سنة ٣٨٩ :

هَلْ رِيعَ قَلْبُكَ للخَليطِ المُنْجِدِ ، بِلوَى البُرَاقِ تَزَايَلُوا عن مَوْعِدِي
قالُوا: غَداً يَوْمُ النّوَى، فتَسَلّفُوا عَضّاً لأطْرَافِ البَنَانِ عَلى غَدِ
رَفَعُوا القِبَابَ ، وَبَيْنَهُنّ لُبانَةٌ لَمْ تَقْضِها عِدَةُ الغَزَالِ الأغْيَدِ
وَغَدَوْا غُدُوّ الرّوْضِ ألبَسَهُ الحَيَا نَسْجَيْنِ بَيْنَ مُسَرَّدٍ وَمُعَضَّدِ
وَوَرَاهُمُ قَلْبٌ يُشَاقُ وَمُهْجَةٌ بَرَدَتْ رَدًى ، وَغَليلُها لمْ يَبْرُدِ
لاثُوا خدودَهُمُ على عينِ النّقَا ، وَدُمَى النّمارِقِ وَالغُصُونِ المُيَّدِ
وَأهِلّةٍ بِتْنَا نَضَلُّ بِضَوْئِهَا ، وَلَقَدْ تَرَانَا بالأهِلّةِ نَهْتَدِي
فَسَقَى ثَرَى تلكَ الغُصُونِ نَبَاتِهِ مَا شَاءَ مِنْ سَبَلِ الغَمامِ المُزْبِدِ
وَلَقَدْ مَرَرْتُ على الدّيارِ ، فعَزّني جَلَدِي وَكَانَ أعَزَّ منهُ تَجَلّدِي
لَوْلا مُكَاثَرَةُ الدّمُوعِ عَشِيّةً ، لعَرَفْتُ رَسْمَ المَنْزِلِ المُتَأبِّدِ

لهفي لأيامِ الشبابِ على ندَى أطرافهِنّ وظلِّهِنّ الأبرَدِ
أيامَ أنفُضُ للمِراحِ ذوائبي ، وأرُوحُ بينَ معذَّلٍ ومفنَّدِ
ومُرَجَّلِينَ مِنَ الحِمَامِ غرانِقٍ ، مثلِ الغُصُونِ ثيابُها الوَرَقُ النَّدِي[1]
مُتَمَلّيِينَ مِنَ الشبابِ كأنهمْ أقمارُ غاشيةِ الظلامِ الأربَدِ
صُقِلَتْ نُصُولُ خدودِهِمْ بيدِ الصِّبَا، مُرْدُ العوارضِ في زمانٍ أمرَدِ
تَستنبِطُ الألحاظُ ماءَ وُجُوهِهِمْ ، فيكادُ ينقَعُ من غَضارتِها الصَّدِي[2]
لا تَنفُرُ الحَسْناءُ مِنْ مَسّي ، ولا تُثْنَى إذا مُدّتْ إلى أرَبٍ يَدِي
وبَيَاضُ مَا بَيْني وبَينَ أحِبّتي ، يَوْمَ اللّقاءِ ، مِنَ الغُرابِ الأسْوَدِ
فالآنَ إذْ قَدَعَ النّوائبُ مَرْوَتي ، وألَنَّ مَعْجِمَ عُودِيَ المُتَشَدِّدِ
وقَصرْنَ خطوِي عن مُراهَنةِ الصِّبَا، فخطوتُ للذّاتِ خَطْوَ مُقَيَّدِ
ألْبَسْنَني بُرْدَ الوَقارِ ضَرُورَةً ، وأرَيْنَني جَدَدَ الطّريقِ الأقصَدِ[3]
فاليَوْمَ أسْلَسُ في القِيادِ ، وطَالَما مَنَعتْ فُضُولُ عِزَامتي من مِقوَدِي
مَا لي أذِلُّ ، وصَارِمي لَمْ يَنْثَلِمْ بِطُلَى العِدى وقَنايَ لمْ يَتَقَصّدِ
قَدْ طَالَ في ثَوْبِ الهُمُومِ تَزَمُّلي ، فَلآخُذَنّ لِنَهْضَتي مِنْ مَقْعَدِي
ولأطْعَنَنّ دُجَى الظّلامِ بجَسرَةٍ هَوْجاءَ تَسألُ مَوْرِداً عَنْ مَوْرِدِ[4]

١ مرجلين، من رجل الشعر : سرحه . الحمام، الواحدة حمة : السواد ولعله أراد الشعر الأسود. الغرانق بفتح الغين جمع غرانق بضمها : الشبان البيض الجميلون .

٢ ينقع : يروى . الغضارة : النعمة وطيب العيش .

٣ الجدد : الأرض الغليظة المستوية . الأقصد : الأشد استقامة .

٤ الجسرة : الناقة القوية . الهوجاء : المسرعة .

في غِلْمَةٍ هَدَمُوا ذُرَى عَبْدِيَّةٍ ... أنْضاءِ خَمْسٍ للنَّجاءِ ...

تَصِلُ الذُّؤوبَ كأنّ طاليَ أنيُقٍ ... نَضَحَ الذِّفَارَى بالكُحَيلِ المُعْقَدِ[2]

مَشَقَ الهَجيرُ لحُومَها ، وتَناضَلَتْ ... أخفَافُها بِالأمْعَزِ المُتَوَقِّدِ

وَإذا المَوَامي غُلْنَ آخرَ جُهدِها ، ... صَاحتْ بها الأعرَاقُ : دونكَ ، فازْدَدِ

حتى إذا رَكِبُوا الرّؤوسَ من الكرَى ... وَتَصَوّبَ العَيّوقُ بَعْدَ تَصَعّدِ[3]

جَعَلُوا الخُدُودَ عَلى أزِمّةِ ضُمّرٍ ، ... فتَلَ الكَلالُ قُيُودَهنّ بلا يَدِ

مِثلُ الصّوارِمِ وَالدُّجَى أغمادُهَا . ... حتّى تُسَلّ إلى المَغَارِ الأبْعَدِ

أنا في الضّحى سَرْجُ الحصَانِ وَفي الدُّجى ... كُورٌ عَلى ظَهْرِ الأمُونِ الجَلْعَدِ[4]

بيَدي من الهِنديّ فَضْلُ عِمامَةٍ ، ... لا بُدّ أعْصِبُهَا بِرَأسٍ مُسَوَّدِ

إنّي لأغْلَطُ آنِفاً بمواسي ، ... وَأُقيمُ مِنْ عُنُقِ الأبيّ الأصْيَدِ[5]

قُلْ للعِدَى ، إنْ بِتُّ أُوقِدُ نارَها ... مَا بَيْنَنَا أبَداً ، إذا لَمْ تَخْمَدِ

فَدَعُوا مُصَاوَلَةَ الضّرَاغمِ وَانبَحوا ... نَبحَ الكِلابِ عَلى نجُومِ الأسْعَدِ

لا يَغْرُرَنّكُمُ تَنَاوُمُ ضَيغَمٍ ، ... وَتَنَاذَرُوا وَثَبَاتِ أغْلَبَ مُلْبِدِ[6]

الصّارِمُ المَشْهُورُ يُنْذِرُ نَفسَهُ ، ... فخُذُوا الحِذارَ مِنَ الحُسامِ المُغمَدِ

١ العبدية : وصف للنياق . العمرد : الطويل ، وقد مر .

٢ الذفارى ، الواحدة ذفرى : الموضع الذي يعرق من البعير خلف الأذن . الكحيل : القطران

٣ العيوق : نجم يتلو الثريا ولا يتقدمها .

٤ الأمون : الناقة المأمونة العثار . الجلعد : الصلبة الشديدة .

٥ قوله بمواسي : هكذا في الأصل . ولعل في اللفظة تحريفاً اختل الوزن معه وغمض المعنى .

٦ الملبد : الأسد اللاصق بالأرض .

وَأَقارِبٌ جَعَلُوا العُقُوقَ سَجِيَّةً ، يَتَوارَثُونَ سَفَاهَةً عَنْ قُعْدُدِ[1]

لَبِسُوا لَنَا زَرَدَ النِّفَاقِ ، فأصْبَحوا في ذِمَّةِ الخُلُقِ اللَّئِيمِ الأَوْغَدِ

وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الضُّلُوعُ قَسَاوَةً تُثْنَى عَلَى قِطَعِ الصَّفَاءِ الجَلْمَدِ

قالُوا : الصِّفَاحُ ! فقلتُ : إنَّ أَلِيَّةً أنْ لا أَمُدَّ يَدِي بِغَيرِ مُهَنَّدِ

مِنْ كُلِّ مَنْخُوبِ الجَنَانِ كَأَنَّهُ ، في الرَّوْعِ مَطْرُودٌ وَإنْ لَمْ يُطْرَدِ[2]

إنْ عَايَنَ النَّقْعَيْنِ أَنْكَرَ قَلْبَهُ ، وَنَجَا بِنَاصِيَةِ الطِّمِرِّ الأَجْرَدِ

لَوْ عِيدَ مِنْ داءِ الفَهَاهَةِ وَاحِدٌ عادُوهُ مِنْ عَيٍّ إذا حضرَ النَّدِي

مُتَقَدِّمٌ في لُؤْمِهِ مِيلادُهُ ، وَمِنَ الخُمُولِ كَأَنَّهُ لَمْ يُولَدِ

قُلْ لِلَّذِي بالغَيِّ سَوَّى بَيْنَنَا : أيْنَ الغُبَارُ مِنَ الجِبَالِ الرُّكَّدِ

لا تُدْنِيَنَّ مُوَارِبِينَ دَعَوْتَهُمْ يَوْمَ الطِّعَانِ فَسَوَّفُوكَ إلى الغَدِ

تَرَكُوا القَنَا تَهفُو إلَيكَ صُدُورُهُ ، وَالقَوْمُ بَيْنَ مُهَلِّلٍ وَمُغَرِّدِ

حتّى اتَّقَوا بِكَ ثَمَّ فاغِرَةَ الرَّدَى ، فَنَجَوْا ، وَأَنْتَ عَلَى طَرِيقِ المَزْرَدِ[3]

قَذَفُوكَ في غَمَائِهِا ، وَتَبَاعَدُوا عَنها ، وَقالُوا: قُمْ لِنفسِكَ وَاقعُدِ

قَطَعَ الزّمَانُ قِبالَ نَعلِكَ ، فانْتَعِلْ أُخرَى تَقِيكَ مِنَ العِثَارِ وَجَدِّدِ[4]

يَصِلُ الذّليلُ إلى العَزِيزِ بكَيْدِهِ ، وَالشّمسُ تُظْلِمُ من دُخانِ المَوْقِدِ

١ القعدد : الجد الأعلى .

٢ منخوب الجنان : ضعيف القلب .

٣ المزرد مصدر ميمي من زرده : خنقه .

٤ القبال من النعل : زمامها .

وَاشْدُدْ يَدَيْكَ إلى الوَغَى بمُغامِرٍ نَدْبٍ ، لعاداتِ الطّعانِ مُعَوَّدِ
لمْ يَنْتَقِشْ شَوْكُ القَنَا مِنْ جلدِهِ في الرّوْعِ إلاّ بالقَنَا المُتَقَصِّدِ
مِنْ كُلّ مُرْبَدّةِ النّجيعِ إذا علَتْ نَغَرَاتُها قَطَعَتْ حُضُورَ العُوّدِ[1]
إنْ سَوّمُوهُ إلى الرّهَانِ ، فإنّمَا مَسَحُوا جَبِينَ مُقَلَّدٍ لمُقَلَّدِ
مَا عُذْرُ مَنْ ضَرَبَتْ بهِ أعْرَاقُهُ ، حتّى بَلَغْنَ إلى النّبيّ مُحَمّدِ
أنْ لا يَمُدّ إلى المَكارِمِ بَاعَهُ ، وَيَنَالَ مُنْقَطِعَ العُلى وَالسّؤدُدِ
مُتَحَلّقاً حتّى تَكُونَ ذُيُولُهُ أبَدَ الزّمَانِ عَمَائِماً للفَرْقَدِ
أعِنِ المَقَادِرَ لا تَكُنْ هَبّابَةً ، وَتَأزّرِ اليَوْمَ العَصَبْصَبَ وَارْتَدِ[2]
لا تَغْبِطَنّ عَلى البَقَاءِ مُعَمَّراً ، فَلَقُرْبُ يَوْمِ مَنِيّةٍ مِنْ مَوْلِدِ

أنا الغلام القرشي

قال قلست نفسه الزكية

يَا قَلْبِ جَدّدْ كَمَدَا ، فَمَوْعِدُ البَيْنِ غَدَا
لَمْ أرَ فَرْقاً بَعْدَهُمْ بَيْنَ الفِرَاقِ وَالرّدَى

١ مربدة النجيع : أي أن دمها فيه ربدة : اغبرار . النغرات : الصوت الذي يحدثه جيشان الدم وسيلانه من جوف الطعنة .
٢ الهبابة ، من هب : صاح وانهزم . العصبصب : الشديد .

يَا زَفْرَةً هَيّجَهَا حَادٍ مِنَ الغَوْرِ حَدَا
أغْنَى زَفِيرُ العَاشِقِيـ نَ عِيسَهُ عَنِ الحُدَا
أرْعَى الحُمُولَ نَاظِراً ، وَألْزِمُ القَلْبَ يَدَا
وَأطْرُدُ الطّرْفَ عَلَى آثَارِهِمْ مَا انْطَرَدَا
مُذْ أوْقَدُوا بِأضْلُعِي جَمْرَ الغَضَا مَا خَمَدَا
وَمُذْ أذَابُوا مَاءَ عَيْـ نِي بِالأسَى مَا جَمَدَا
يا هَلْ أرَى مِنْ حَاجَةٍ حِقْفَ النّقَا وَالجَمَدَا[1]
وَحَيثُ سالَ الرّمْلُ عَنْ جَرْعَائِهِ ، وَانْعَقَدَا
وَهَلْ أُعِيدُ نَاظِراً يَتْبَعُ سِرْباً مُنْجِدَا
يَمْشِينَ هَزّاتِ القَنَا ، مَالَ وَمَا تَحَصّدَا
هَلْ نَاشِدٌ يَنْشُدُ لي ذاكَ الغزَالَ الأغْيَدَا
مَا ضَلّ عَنّي إنّمَا ضَلّ بِقَلْبي كَمَدَا
رَهَنْتُهُ قَلْبي ، وَمَنْ يَرْهَنُ قَلْباً أبَدَا
يَا مُنْجِزاً وَعِيدَهُ ، وَمَاطِلاً مَا وَعَدَا
أرَاكَ مِنّي أقْرَباً ، وَإنْ غَدَوْتَ أبْعَدَا
عَذّبْتَ قَلْبي عَنَتاً ، وَالطّرْفُ لا القَلْبُ بَدَا
رُبّ ثَنَايَا بَرَدَتْ لِذِي جَوًى مَا بَرَدَا
يَا حَرّ قَلْبي ! مَنْ سُقِي رُضَابَهُنّ الأبْرَدَا

---

[1] حقف النقا : ما اعوج من الرمل . الجمد : جبل بنجد .

لَمْ يَدْرِ هَلْ ذاقَ بِهَا جَمْرَ غَضاً أوْ بَرَدَا[1]
يَا كَبِدِي تَجَلُّداً ، فَمَا أُطِيقُ الجَلَدَا
عَسَى فُؤادٌ يَرْعَوِي ، رُبَّ مُضِلٍّ وَجَدَا
وَحَمَّلَ الحَاجَ الرِّمَا حَ لا الأمُونَ الجَلْعَدَا
إنّي ، إذا مَا لَمْ أجِدْ إلاّ الهَوَانَ مَوْرِدَا
كُنْتُ أدَاوِي كَبِدِي، لَوْ غَادَرُوا لي كَبِدَا
دَعْ لِلمَشِيبِ ذِمّةً ، إنّ لَهُ عِنْدِي يَدَا
أعْتَقَ مِنْ رِقّ الهَوَى مُذَلَّلاً مُعَبَّدَا
لَكِنْ هَوًى لي أنْ أرَى اَوْنَ عِذارِي أسْوَدَا
مَرّ البَيَاضَانِ عَلَيْـ ـهِ : شَائِباً وَأمْرَدَا
مَا أخْلَقَ البُرْدَ ، فَلِمْ بَدّلَ لي وَجَدّدَا
لَوْلا تَكَالِيفُكَ لَمْ أُعْطِ الزّمَانَ مِقْوَدَا
وَلا ثَنَيْتُ عُنُقِي إلى اللّيَالي صَيَدَا
سَجِيّةٌ مِنْ بَطَلٍ لازَمَ مَا تَعَوّدَا
بَايَعَ أطْرَافَ القَنَا ، وَعَاقَدَ المُهَنّدَا
شَاوَرْتُ قَلْباً آبِياً ، فَقَالَ لي : لا تَرِدَا
إنّي لِقَوْمٍ بَعُدُوا في المَجْدِ وَالجُودِ مَدَى

[1] قوله : بها ، أعاد ضمير المؤنث إلى الرضاب وهو مذكر ولعله على نية الجمع ، أو أنه محرف عن بـه .

شوسٍ ، إذا الباغي بَغَى ، سُمْحٍ ، إذا الجادي جَدَا
تَفَرَّعُوا طَوْدَ العُلَى ، وَالجَبَلَ العَطَوَّدَا[1]
مَجْدُهُمُ أقْدَمُ مِنْ هَضْبِ القِنَانِ مَوْلِدَا
أصَادِقٌ في الخَطْبِ للسَّيْفِ ، وَللمَالِ عِدَا
إذا اهْتَدَى بِنَارِهِمْ طَارِقُ لَيْلٍ مَا اهتَدَى
تَقَارَعُوا عَلَى القِرَى ، وَاقْتَرَعُوا عَلَى الجَدَا
وَغَارَةٍ في سُدْفَةٍ تُوقِظُ حَيّاً رَقَدَا
بِضُمَّرٍ أسْقَطَهَا عَلَيْهِمُ مَعَ النَّدَى
تُلْهِبُ نَضّاً زَعْزَعاً ، أوْ قَرَباً عَمَرَّدَا[2]
كَأنّني أبْعَثُهَا فِيهِمْ ثُنَى وَمَوْحِدَا
مُزَاحِمٌ يَقْذِفُ في يَوْمِ الحِصَابِ جَلْمَدَا
مِنْ كُلّ مَحْبُوكٍ كَمَا أمَرَّ لاوٍ مَسَدَا
يُغْنِي الفَتى عِنَانُهُ عَنْ سَوْطِهِ ، إذا عَدَا
كَأنّمَا فَارِسُهُ يَقْدَعُ ذِئْباً أصْرَدَا[3]
أنْزَعُ عَنْ صَفْحَتِهِ شَوْكَ القَنَا مُقَصَّدَا
لَوْ شِمْتَهُ بِبَارِقٍ مَاءَ الكُلابِ أوْرَدَا

١ العطود : الطويل ، وقد مر .
٢ النض : الريح . القرب : البئر القريبة الماء . العمرد : الطويل
٣ يقدع : يكف . الأصرد : الحنق المغتاظ .

وَكُلُّ صِلٍّ لامِظٍ يَطْلُبُ رَيّاً للصّدَى
أقْدَمَ مِنْ سِنَانِهِ ، إذا الجَبَانُ عَرّدَا[1]
مَاضٍ ، فَإنْ شَمّ طُرُوقَ الضّيْمِ زَاغَ حَيَدَا
يَلْقَى الطّرَادَ جَذِلاً ، كَمَا يُلاقي الطّرَدَا
أنَا الغُلامُ القُرَشِيّ مُنْجِباً مَا وَلَدَا
أنْزَعتُ دَلوِي قَبْلَكُمْ إلى العِرَاقِ سُؤدُدَا
مَا زَالَ عَزْمي لِيَ عَنْ دارِ الهَوَانِ مُبْعِدَا
مُرَحّلِي عَنْ بَلَدٍ ، وَرَاجِماً بي بَلَدَا
إنْ لَمْ يَكُنْ نَيلُ مُنًى فَابْغِ إذاً وِرْدَ رَدَى

ما هذه يدي

قال وقد اختار هذين البيتين من
قصيدة قالها في صباه وأسقط الباقي :

أبَرَّ عَلى الأنْوَاءِ فَضْلي وَنَائِلي ، وَطالَ على الجَوْزَاءِ قَدري وَمَحْتِدِي
يَدِي ألِفَتْ بَذْلَ النّوَالِ فلوْ نبَتْ عنِ الجُودِ يَوْماً قلتُ: ما هذه يَدِي

1 عرد : هرب .

موتوا بغيظكم

قال وقد بلغه عن رجل من
الطالبيين ذكره في معنى النقابة :

قُلْ للعِدَى مُوتُوا بِغَيْـ ظِكُمُ ، فَإِنَّ الغَيْظَ مُرْدِي
وَدَعُوا عُلًى أَحْرَزْتُهَا ، يَا وَادِعِينَ بِطُولِ جُهْدِ
كَمْ بَيْنَ أَيْدِيكُم ، وَبَيْـ نَ النَّجْمِ مِنْ قُرْبٍ وَبُعْدِ
وَلِيَ النِّقَابَةَ خَالُ أُ مِّي قَبْلُ ، ثُمَّ أَبِي وَجَدِّي
وَلِيتُهَا طِفْلاً ، فَهَلْ مَجْدٌ يُعَدَّدُ مِثْلَ مَجْدِي
وَأَظُنُّ نَفْسِي سَوْفَ تَحْـ مِلُنِي عَلَى الأَمْرِ الأَشَدِّ
حَتَّى أَرَى مُتَمَلِّكاً شَرْقَ العُلَى وَالغَرْبَ وَحْدِي

فتى هاشم

قال وقد بلغه عن بعض قريش افتخار على ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بمن لا نسب بينه وبين الصحابة رضي الله تعالى عنهم :

يُفَاخِرُنا قَوْمٌ بِمَنْ لمْ يَلِدْهُمُ ... بتَيمٍ . إذا عُدّ السّوَابِقُ أوْ عَدِي

وَيَنسَوْنَ مَنْ لَوْ قَدّمُوهُ لقدّموا ... عِذارَ جَوَادٍ في الجِيادِ مُقَلَّدِ

فَتَى هاشِمٍ بَعْدَ النّبيّ وَبَاعُهَا ، ... لمَرْمى عُلًى أوْ نَيلِ مجْدٍ وَسوْدُدِ

وَلَوْلا عَليٌّ مَا عَلَوْا سَرَوَاتِهَا ، ... وَلا جَعجَعُوا منها بمَرْعًى وَمَوْرِدِ

أخَذْنا عَلَيهِمْ بالنّبيّ وَفَاطِمٍ ... طِلاعَ المَساعي من مَقامٍ وَمَقعَدِ[1]

وَطُلْنَا بسِبْطَيْ أحْمَدٍ وَوَصِيّهِ ... رِقابَ الوَرَى من مُتهِمينَ وَمُنجِدِ

وَحُزْنا عَتيقاً ، وَهوَ غايَةُ فخرِكم ... بمَوْلِدِ بِنتِ القَاسِمِ بنِ مُحَمّدِ

فَجَدٌّ نَبيٌّ ثمّ جَدٌّ خَلِيفَةٌ . ... فَما بَعدَ جَدّينَا عَليٍّ وَ...

وَمَا افتَخَرَتْ بَعدَ النّبيّ بغَيرِهِ ... يَدٌ صَفَقَتْ يَوْمَ البِيَاعِ على يَدِ

[1] طلاع المساعي : ملؤها .

مستن المكارم والعلى

قال قدست نفسه الزكية :

نَزَلْنَا بِمُسْتَنِّ المَكَارِمِ وَالعُلَى ، فَلَمْ نُبْقِ فَضْلاً للرِّجالِ وَلا مَجْدَا[1]

وَلَيْسَ نَرَى للفَضْلِ وَالمَجْدِ دونَنا عَلى حالَةٍ قَصْداً وَلا خَلفَنا مَغْدَى

نَمَاني قُرُومٌ مِنْ ذَوَائِبِ غالِبٍ ، يَمُدُّونَ بي في كل طَوْدِ عُلًى مَدَّا

لَئِنْ جَحَدُوا أنّي ابنُ خَيرِ الوَرَى أباً فلَن يجحدوا أنّي ابنُ خيرِ الوَرَى جَدّا

وا لهفتاه لعصبة علوية

يرثي الحسين بن علي عليهما السلام
في يوم عاشوراء سنة ٣٩١ :

هَذي المَنَازِلُ بالغَميمِ ، فَنادِهَا ، وَاسكُبْ سَخِيَّ العَينِ بَعدَ جَمادِهَا

إنْ كانَ دَينٌ للمَعالِمِ ، فاقضِهِ ، أوْ مُهْجَةٌ عِنْدَ الطُّلُولِ فَفادِهَا

يَا هَلْ تَبُلُّ مِنَ الغَليلِ إلَيْهِمُ ، إشْرَافَةٌ للرَّكْبِ فَوْقَ نِجادِهَا

١ المستن : المضمار .

نُؤْيٌ كَمُنْعَطِفِ الحَنِيَّةِ دُونَهُ سُحمُ الخُدُودِ لهنّ إرْثُ رَمَادِهَا

وَمَنَاطُ أطْنَابٍ وَمَقْعَدُ فِتْيَةٍ ، تَخْبُو زِنَادُ الحَيِّ غَيرَ زِنَادِهَا

وَمَجَرُّ أرْسَانِ الجِيَادِ لِغِلْمَةٍ سَجَفُوا البُيُوتَ بِشُقْرِها وَوِرَادِهَا

وَلَقَدْ حَبَسْتُ عَلَى الدِّيارِ عِصَابَةً مَضْمُومَةَ الأيْدِي إلى أكْبَادِهَا

حَسْرَى تَجاوَبُ بالبُكَاءِ عُيُونُهَا وَتَعُطّ بالزّفَرَاتِ فِي أبْرَادِهَا[1]

وَقَفُوا بِهَا حتّى كأنّ مَطِيّهُمْ كَانَتْ قَوَائِمُهُنّ مِنْ أوْتَادِهَا

ثُمّ انثَنَتْ ، وَالدّمعُ مَاءُ مَزَادِها ، وَلَوَاعِجُ الأشْجَانِ مِنْ أزْوَادِهَا

مِنْ كُلّ مُشْتَمِلٍ حَمَايِلَ رَنّةٍ قَطْرُ المَدامعِ مِنْ حُلِيّ نِجَادِهَا[2]

حَيّتْكَ بَلْ حَيّتْ طُلُولَكَ دِيمَةٌ يَشْفِي سَقِيمَ الرّبْعِ نَفثُ عِهادِهَا

وَغَدَتْ عَلَيْكَ مِنَ الخَمَايِلِ يَمنةً تَستَامُ نَافِقَةً عَلَى رُوّادِهَا[3]

هَلْ تَطْلُبُونَ مِنَ النّوَاظِرِ بَعدَكم شَيْئاً ، سِوَى عَبَرَاتِها وَسُهادِهَا

لَمْ يَبقَ ذُخرٌ للمَدَامعِ عَنكُمُ ، كَلاّ ، وَلا عَيْنٌ جَرَى لرُقَادِهَا

شَغَلَ الدّمُوعَ عَنِ الدّيارِ بُكَاؤنا لِبُكَاءِ فَاطِمَةٍ عَلَى أوْلادِهَا

لَمْ يَخلُفُوهَا فِي الشّهِيدِ وَقَدْ رَأى دُفَعَ الفُرَاتِ يُذَادُ عَنْ أوْرَادِهَا[4]

---

١ تعط : تشق . أبرادها : ثيابها ، الواحد برد .

٢ الحمايل ، الواحدة حمالة : علاقة السيف . الرنة : الصوت ، ولعله أراد بها رنة السيف كناية عن السيف بدليل قوله الحمايل والنجاد ، وهي من لوازم السيوف .

٣ الخمايل ، الواحدة خميلة : القطيفة . اليمنة : برد يمني . تستام : تسأل تعيين الثمن . روادها : طلابها .

٤ الدفع ، الواحدة دفعة : دفقة المطر ، استعارها للفرات . أو أنه أراد بالفرات الماء العذب . تذاد : تمنع . أورادها : شربها .

أتُرَى دَرَتْ أنّ الحُسَيْنَ طَرِيدَةٌ لقَنَا بَنِي الطَّرداءِ عِنْدَ وِلادِهَا
كَانَتْ مَــآتِمُ بالعِرَاقِ تَعُدّهَا أُمَوِيّةٌ بِالشّامِ مِنْ أعْيَادِهَا
مَا رَاقبَتْ غَضَبَ النّبيّ، وَقد غدَا زَرْعُ النّبيّ مَظِنّةً لحِصَادِهَا
بَاعَتْ بَصَائِرَ دِينِهَا بضَلالِهَا ، وَشَرَتْ مَعَاطِبَ غَيّهَا برَشَادِهَا
جَعَلَتْ رَسُولَ اللهِ مِنْ خُصَمَائِها، فلَبِئْسَ ما ذَخَرَتْ ليَوْمِ مَعادِهَا
نَسْلُ النّبيّ عَلى صِعَابِ مَطِيّهَا ، وَدَمُ النّبيّ عَلى رُؤوسِ صِعَادِهَا
وَا لَهْفَتَاهُ لِعُصْبَةٍ عَلَوِيّةٍ ، تَبِعَتْ أُمَيّةَ بَعْدَ عِزّ قِيَادِهَا
جَعَلَتْ عِرَانَ الذّلّ في آنَافِهَا ، وَعِلاطَ وَسْمِ الضّيمِ في أجْيَادِهَا[1]
زَعَمَتْ بِأنّ الدّينَ سَوّغَ قَتْلَهَا ، أوَلَيسَ هَذا الدّينُ عَنْ أجدادِهَا
طَلَبَتْ تُرَاثَ الجَاهِلِيّةِ عِنْدَهَا ، وَشَفَتْ قَدِيمَ الغِلّ من أحقَادِهَا[2]
وَاستَأثَرَتْ بالأمْرِ عَنْ غُيّابِهَا ، وَقَضَتْ بمَا شاءَتْ عَلى شُهّادِهَا
اللهُ سَابَقَكُمْ إلى أرْوَاحِهَا ، وَكَسَبْتُمُ الآثَامَ فى أجْسادِهَا[3]
إنْ قُوّضَتْ تِلْكَ القِبابُ ، فإنّمَا خَرّتْ عِمَادُ الدّينِ قَبْلَ عِمادِهَا
إنّ الخِلافَةَ أصْبَحَتْ مَزْوِيّةً عَنْ شَعْبِهَا بِبَيَاضِهَا وَسَوَادِهَا
طَمَسَتْ مَنَابِرَهَا عُلُوجُ أُمَيّةٍ ، تَنْزُو ذِئَابُهُمُ عَلى أعْوَادِهَا
هيَ صَفْوَةُ اللهِ الّتي أوْحَى لهَا ، وَقَضَى أوَامِرَهُ إلى أمْجَادِهَا

[1] العران : عود يجعل في أنف البعير . العلاط : حبل يجعل في عنقه .
[2] الغل : الحقد .
[3] أجسادها : دماؤها ، الواحد جسد .

أخَذَتْ بِأطْرَافِ الفَخارِ ، فَعَاذِرٌ أنْ يُصْبِحَ الثَّقَلانِ مِنْ حُسّادِهَا
الزّهْدُ وَالأحْلامُ في فُتّاكِهَا ، وَالفَتْكُ ، لَوْلا اللهُ ، في زُهّادِهَا
عُصَبٌ يُقَمَّطُ بِالنّجَادِ وَلِيدُهَا ، وَمُهُودُ صِبيَتِهَا ظُهُورُ جِيَادِهَا
تَرْوِي مَنَاقِبَ فَضْلِها أعْداؤهَا أبَداً ، وَتُسْنِدُهُ إلى أضْدادِهَا
يا غَيرَةَ اللهِ اغْضَبِي لِنَبِيِّهِ ، وَتَزَحْزَحِي بِالبِيضِ عَنْ أغْمادِهَا
مِنْ عُصْبَةٍ ضَاعَتْ دِمَاءُ مُحَمّدٍ وَبَنِيهِ بَيْنَ يَزِيدِهَا وَزِيَادِهَا
صَفَدَاتُ مَالِ اللهِ مِلءُ أكُفّها ، وَأكُفُّ آلِ اللهِ في أصْفَادِهَا[1]
ضَرَبُوا بِسَيْفِ مُحَمّدٍ أبْنَاءَهُ ضَرْبَ الغَرَائِبِ عُدْنَ بَعدَ ذِيادِهَا
قَدْ قُلْتُ لِلرّكْبِ الطِّلاحِ كَأنّهم رُبْدُ النّسُورِ على ذُرَى أطْوَادِهَا[2]
يَحْدُو بِعُوجٍ كَالحَنِيّ أطَاعَهُ مُعتَاصُها ، فَطَغَى عَلَى مُنقَادِهَا[3]
حَتّى تَخَيَّلُ ، مِنْ هَبابِ رِقَابِهَا، أعنَاقَهَا في السّيرِ مِنْ أعْدَادِهَا[4]
قِفْ بي ، وَلَوْ لَوْثَ الإزَارِ . فإنّما هيَ مُهجَةٌ عَلِقَ الجَوَى بفُؤادِهَا
بالطَّفّ حَيْثُ غَدا مُرَاقُ دِمائِها ، وَمُنَاخُ أيْنُقِهَا لِيَوْمِ جِلادِهَا
القَفْرُ مِنْ أرْوَاقِها ، وَالطّيرُ مِنْ طُرّاقِهَا . وَالوَحْشُ مِنْ عُوّادِهَا
تَجْرِي لهَا حَبَبُ الدّمُوعِ . وَإنّمَا حَبُّ القُلُوبِ يَكُنَّ مِنْ أمْدادِهَا

[1] الصفدات : العطايا . الأصفاد : الأغلال .
[2] الطلاح : المعيون ، الواحد طلح .
[3] العوج ، الواحدة عوجاء : الناقة السيئة الخلق .
[4] الهباب : النشاط والسرعة . الأعداد ، الواحد عد : الماء الجاري لا ينقطع . شبه مواصلتها لسيرها السريع بالماء الجاري الذي لا ينقطع .

يا يَوْمَ عاشُوراءَ كَمْ لكَ لَوْعَةً تتَرَقَّصُ الأحْشاءُ مِنْ إيقادِها
مَا عُدْتَ إلاّ عادَ قَلْبي غُلّةً حرَّى ، وَلَوْ بالَغْتُ في إبْرادِها
مِثْلُ السّليمِ مَضيضَةٌ آنَاؤهُ ، خُزْرُ العيُونِ تَعُودُهُ بِعِدادِها
يا جَدُّ لا زَالَتْ كَتَائِبُ حَسْرَةٍ تَغْشَى الضّميرَ بِكرّها وَطِرادِها
أبداً علَيْكَ ، وَأدْمُعٌ مَسفُوحَةٌ ، إنْ لمْ يُرَاوِحْها البُكاءُ يُغَادِها
هذا الثّناءُ ، وَمَا بلَغْتُ ، وَإنّمَا هِيَ حَلْبَةٌ خلَعُوا عِذارَ جَوَادِها
أأقُولُ : جادَكُمُ الرّبيعُ ، وَأنْتُمُ في كُلّ مَنْزِلَةٍ رَبيعُ بِلادِها
أمْ أستَزِيدُ لَكُمْ عُلاً بمَدائحي ، أينَ الجِبالُ مِنَ الرُّبَى وَوِهَادِها
كَيفَ الثّناءُ على النّجومِ ، إذا سَمتْ فَوْقَ العيُونِ إلى مَدَى أبْعادِها
أغنَى طُلُوعُ الشّمسِ عَنْ أوْصَافِها بِجَلالِها وَضِيائِها وَبِعَادِها

رب ساع لقاعد

قال أيضاً يرثيه عليه السلام
في يوم عاشوراء سنة ٣٩٥ :

وَرَاءَكَ عَنْ شَاكٍ قَليلِ العَوَائِدِ ، تُقَلّبُهُ بالرّمْلِ أيْدي الأبَاعِدِ
يُرَاعي نجُومَ اللّيلِ وَالهَمّ ، كُلّمَا مَضَى صَادِرٌ عَنّي بآخَرَ وَارِدِ
تَوَزّعَ بَينَ النّجمِ وَالدّمعِ طَرْفُهُ بِمَطْرُوفَةٍ إنْسَانُهَا غَيرُ رَاقِدِ

وَمَا يَطَّبِيهَا الغُمْضُ إلاّ لأنّهُ طَرِيقٌ إلى طَيْفِ الخَيالِ المُعَاوِدِ[1]
ذَكَرْتُكُمُ ذِكْرَ الصِّبَا بعدَ عَهدِهِ ، قَضَى وَطَراً منّي وَلَيسَ بِعَائِدِ
إذا جَانَبُوني جانِباً مِنْ وِصَالِهِمْ عَلِقْتُ بِأطْرَافِ المُنَى وَالمَوَاعِدِ
فَيا نَظرَةً لا تَنظُرُ العَينُ أُختَهَا إلى الدّارِ من رَملِ اللّوَى المُتَقاوِدِ[2]
هيَ الدّارُ لا شَوْقي القَديمُ بِناقِصٍ إلَيْهَا ، وَلا دَمْعي عَلَيها بجَامِدِ
وَلي كَبِدٌ مَقْرُوحَةٌ لَوْ أضَاعَهَا مِنَ السُّقمِ غَيرِي ما بَغاها بناشِدِ
أمَا فَارَقَ الأحبابَ قَبلي مُفَارِقٌ ، وَلا شَيّعَ الأظْعَانَ مِثلي بِوَاجِدِ
تَأوّبَني داءٌ مِنَ الهَمّ لَمْ يَزَلْ بِقَلْبيَ حتّى عادَني منهُ عائِدِي
تَذَكّرْتُ يَوْمَ السِّبطِ من آلِ هاشِمٍ وَمَا يَوْمُنا مِنْ آلِ حَرْبٍ بِوَاحِدِ
وَظَامٍ يُرِيغُ المَاءَ قَدْ حِيلَ دُونَهُ سَقَوْهُ ذُبَابَاتِ الرِّقَاقِ البَوَارِدِ
أتَاحُوا لَهُ مُرَّ المَوَارِدِ بِالقَنَا ، عَلى مَا أبَاحُوا مِنْ عِذابِ المَوَارِدِ
بَنَى لهُمُ المَاضُونَ آسَاسَ هَذِهِ ، فَعَلّوا عَلى آسَاسِ تِلكَ القَوَاعِدِ[3]
رَمَوْنَا كَمَا يُرْمَى الظّماءُ عن الرِّوَا يَذُودُونَنا عَنْ إرْثِ جَدٍّ وَوَالِدِ[4]
وَيا رُبّ سَاعٍ في اللّيَالي لِقَاعِدٍ ، عَلى ما رَأى، بَلْ كلّ ساعٍ لقاعِدِ
أضَاعُوا نُفُوساً بالرِّمَاحِ ضَيَاعُهَا يَعِزُّ عَلى البَاغِينَ مِنّا النّوَاشِدِ

١ يطبيها : يدعوها .

٢ المتقاود : المتطاول .

٣ علوا : بنوا العلالي .

٤ الرواء : الماء العذب . يذودوننا : يدفعوننا ويمنعوننا .

أَللهُ ! مَا تَنْفَكُّ في صَفَحَاتِهَا خُمُوشٌ لِكَلْبٍ مِنْ أُمَيَّةَ عاقِدِ
لَئِنْ رَقَدَ النُّظَّارُ عَمَّا أصابَنَا ، فَمَا اللهُ عَمَّا نِيلَ مِنَّا بِرَاقِدِ
لَقَدْ عَلَّقُوهَا بالنَّبِيِّ خُصُومَةً إلى اللهِ تُغْني عَنْ يَمينٍ وَشَاهِدِ
وَيا رُبَّ أدْنَى مِنْ أُمَيَّةَ لِحْمَةً ، رَمَوْنا على الشَّنَآنِ رَمْيَ الجَلامِدِ
طَبَعْنَا لَهُمْ سَيْفاً ، فَكُنَّا لِحَدّهِ ضَرَائِبَ عَنْ أيْمانِهِمْ وَالسَّوَاعِدِ
ألاَ لَيسَ فِعلُ الأوّلِينَ ، وَإنْ عَلا علَى قُبْحِ فِعْلِ الآخرِينَ ، بِزَائِدِ
يُريدونَ أنْ نَرْضَى وَقد مَنعوا الرِّضَى لِسَيرِ بَني أعمَامِنَا غَيرِ قَاصِدِ[1]
كَذَبْتُكَ ، إنْ نازَعتَني الحقَّ ظالماً، إذا قُلْتُ يَوْماً إنّني غَيرُ وَاجِدِ

لا فرار من المنايا

يرثي أبا طاهر بن ناصر الدولة وكان صديقاً له :

تَفُوزُ بِنَا المَنُونُ وَتَسْتَبِدُّ ، وَيَأخُذُنَا الزّمَانُ ، وَلا يَرُدُّ
وَأنْظُرُ مَاضِياً في عَقْبِ مَاضٍ ، لَقَدْ أيْقَنْتُ أنّ الأمْرَ جِدّ
رُوَيْداً بالفِرَارِ مِنَ المَنَايَا ، فَلَيْسَ يَفُوتُهَا السّارِي المُجِدّ
فَأيْنَ مُلُوكُنَا المَاضُونَ قِدْماً، أعَدّوا للنّوَائِبِ ، وَاستَعَدّوا

---

[1] القاصد : المستقيم .

وَأيْنَ مُعَاقِدُو الدّنْيَا قَدِيماً ، نَبَتْ بِهِمُ ، فَلا إلٌّ وَعَقْدُ[1]

وَكُلٌّ فَتًى تَحُفُّ بِجَانِبَيْهِ خَوَاطِرُ بالقَنَا قُبٌّ وَجُرْدُ

فَمَا دَفَعَ المَنَايَا عَنْهُ وَفْرٌ ، وَلا هَزَمَ النّوَائِبَ عَنْهُ جُنْدُ

وَلا أسَلٌ لهَا قَرْعٌ وَوَخْزٌ ؛ وَلا قُضُبٌ لَهَا قَطٌّ وَقَدّ

أعَارَهُمُ الزّمَانُ نَعِيمَ عَيْشٍ ، فَيَا سُرْعَانَ مَا نَزَعُوا وَرَدّوا

هُمُ فَرَطٌ لَنَا في كُلّ يَوْمٍ نَمُدّهُمُ . وَإنْ لمْ يَستَمِدّوا[2]

فَلا الغَادِي يَرُوحُ فَنَرْتَجِيهِ ، وَلا المُتَرَوِّحُ العَجْلانُ يَغْدُو

وَلِلإنسَانِ مِنْ هَذي اللّيَالي وَهُوبٌ لا يَدُومُ وَمُستَرِدّ

تُجِدّ لَنَا مَلابِسَهَا ، فَيَبْقَى جَدِيداهَا ، وَيَبْلَى المُستَجَدّ

أإبْرَاهِيمُ ! أمّا دَمْعُ عَيْنِي عَلَيكَ ، فَما يُعَدّ . وَلا يُحَدّ

يُغَصِّصُ بالأوَائِلِ مِنهُ طَرْفٌ ، وَيَدْمَى بالأوَاخِرِ مِنْهُ خَدّ

بَكَيْتُكَ للوِدادِ ؛ وَرُبّ بَاكٍ عَلَيكَ مِنَ الأقَارِبِ لا يَوَدّ

وَإنّ بُكَاءَ مَنْ تَبكِيهِ قُرْبَى لَدُونَ بُكَاءِ مَنْ يَبكِيهِ وُدّ

إذا غِضْنَا الدّمُوعَ أبَتْ عَلَيْنَا مَنَاقِبُ مِنكَ لَيسَ لهنّ نِدّ

فَمِنهُنّ اشتِطاطُكَ في المَساعي ، وَفَضْلُ العَزْمِ ، وَالبَاعُ الأشَدّ

فَأيْنَ مُسَابِقُ الآجَالِ طَعْناً ، يَعُودُ وَرُمْحُهُ رَيّانُ وَرْدُ

وَأيْنَ الآسِرُ الفَكّاكُ يَسْرِي إلَيْهِ مِنَ العِدَى ذَمٌّ وَحَمْدُ

١ الإل : العهد .

٢ الفرط : المتقدم قومه إلى الماء ، وما تقدمك من الأجر ، والعجلة ، والأمر الذي يفرط فيه صاحبه

فَأعْنَاقٌ أحَاطَ بِهِنَّ مَنٌّ ؛ وَأعْنَاقٌ أحَاطَ بِهِنَّ قَدّ
أيَا سَهْماً رَمَى غَرَضاً ، فأخطَا، وَذِي الأقْدارُ أسْهُمُهَا أسَدّ
وَلَوْ غَيرُ الرّدَى جَاثَاكَ أقْعَى بِهِ مِنْ بَأسِكَ الخَصْمُ الألَدّ
قَتيلٌ فَلَهُ نَابٌ كَهَامٌ ، وَكانَ العَضْبَ ضَوّأهُ الفِرِنْدُ[1]
وَذَلّ بِذُلّ قَاتِلِهِ ، فَأضْحَى لِقَاتِلِهِ بِهِ عِزٌّ وَمَجْدُ
فَيَا أسَداً يَصُولُ عَلَيْهِ ذِئْبٌ ، وَيَا مَوْلًى يَطُولُ عَلَيهِ عَبْدُ
وَكَيْفَ رَجَوْتُ أنْ يَبقَى سَلِيماً، وَمَا شُرْبُ القُرُونِ لَهُ مُعَدّ[2]
وَهَلْ بَقِيَتْ قَبائِلُهُ ، فَيَبقَى، رَبِيعَةُ أوْ نِزَارٌ أوْ مَعَدّ
مِنَ القَوْمِ الألى طَلَبُوا وَنَالُوا، وَجَدّ بِهِمْ إلى العَلْيَاءِ جَدّ
إذا نُدِبُوا إلى البَأسَاءِ عَاجُوا ؛ وَإنْ أُدْنُوا إلى العَوْرَاءِ صَدّوا
تَصَدّعَ مَجْدُ أوّلِهِمْ ، فشَدّوا جَوَانِبَهُ بِأنْفُسِهِمْ وَسَدّوا
إذا عُدّ الأمَاجِدُ جَاءَ مِنْهُمْ عَدِيدٌ كَالرّمَالِ ، فَلَمْ يُعَدّوا
سَقَاهُ أحَمُّ نَجْدِيٌّ التّوَالي ، يُعَمُّ بِوَدْقِهِ غَوْرٌ وَنَجْدُ[3]
إذا مَخَضَتْ حَوَافِلَهُ جَنُوبٌ، مَرَى لَقَحاتِهِ بَرْقٌ وَرَعْدُ[4]
تَدافَعَ مِنْهُ مَلآنَ الحَوَايَا ، سِيَاقُ النِّيبِ أصْدَرَهُنّ وِرْدُ[5]

١ الكهام : الكليل . ضوأه : أناره . الفرند : جوهر السيف .
٢ القرون : لعله جمع القرن : الدفعة من المطر ، وأراد هنا الماء مطلقاً .
٣ الأحم : أراد سحاباً أحم . والأحم : الأسود والأبيض . الودق : المطر .
٤ حوافله : ضروعه . مرى الضرع : مسحه ليدر . اللقحات ، الواحدة لقحة : الناقة .
٥ الحوايا ، الواحدة حوية : ما تحوى ، أي انقبض واستدار من الأمعاء . سياق النيب : أي النياق المسوقة .

وَلا عَرّى ثَرَاهُ مِنَ الغَوَادِي ... وَمِنْ نُوّارِهَا سَبطٌ وَجَعْدُ
إذا مَا الرّكْبُ مَرّ عَلَيهِ قالُوا : ... أيَا حَالي الصّعيدِ سَقَاكَ عَهْدُ
لَقَدْ كَرُمَتْ يَمينُكَ قبلُ حَيّاً ... وَقَدْ كَرُمَ الغَمَامُ عَلَيكَ بَعْدُ

مضى النجباء الأطولون

يرثي أبا حسان المقلد بن المسيب وقتله غلمان داره بالأنبار غيلة ليلا وذلك في صفر سنة ٣٩١ وكان صديقاً له :

أعَامِرُ ! لا لليَوْمِ أنتَ ، وَلا الغَدِ ، ... تَقَلّدْتَ ذُلّ الدّهرِ بَعدَ المُقَلَّدِ
وَأصْبَحتَ كالمَخطُومِ مِنْ بَعدِ عِزّة ... مَتَى قِيدَ مَشّاءٌ عَلى الضّيمِ يَنقَدِ
فَإنْ سَارَ للأعْدَاءِ غَيرُكَ فَارْبَعي ؛ ... وَإنْ قَامَ للعَلْيَاءِ غَيرُكَ فَاقعُدِ[1]
وَقُلْ للحِمَى لا حَاميَ اليَوْمَ بَعدَهُ ... وَلا قائِمٌ مِنْ دُونِ مَجدٍ وَسُودُدِ
وَللبِيضِ لا كَفٌّ لمَاضٍ مُهَنّدٍ ، ... وَللسُّمْرِ لا بَاعٌ لِعَالٍ مُسَدَّدِ[2]
وَقُلْ للعِدَى أمْناً عَلى كلّ جانِبٍ ... مِنَ الأرْضِ أوْ نَوْماً على كلّ مَرْقَدِ
فقَدْ زَالَ مَن كانَتْ طَلائعُ خَوْفِهِ ... تُعارِضُكُمْ في كُلّ مَرْعًى وَمَوْرِدِ

١ قوله : فاربعي ، هكذا في الأصل، ولعل الياء متولدة من اشباع الكسرة . واربع : توقف، وانتظر ، وأقم .
٢ العالي : أعلى قناة الرمح .

فَأَيْنَ الجِيَادُ المُلْجَمَاتُ عَلَى الوَحَى ... سِرَاعاً إلى نَقْعِ الصَّرِيخِ المُنَدَّدِ[1]

وَأَيْنَ الطِّوَالُ الزَّاعِبِيَّاتُ لَوْ يَشَا ... لِتَنَالَ بِهَا مَا بَيْنَ نَسْرٍ وَفَرْقَدِ[2]

وَأَيْنَ الظُّبَى مَا زَالَ مِنْهَا بِكَفِّهِ ... رِدَاءٌ عَظِيمٌ ، أَوْ عِمَامَةُ سَيِّدِ

وَأَيْنَ المَطَايَا تَذْرَعُ البِيدَ وَالدُّجَى ... إلى أَقْرَبٍ مِنْ نَيْلِ عِزٍّ وَأَبْعَدِ

وَأَيْنَ الجِفَانُ الغُرُّ مِنْ قَمَعِ الذُّرَى ... هِجَانُ الأَعَالِي بِالسَّدِيفِ المُسَرْهَدِ[3]

وَأَيْنَ القُدُورُ الرَّاسِيَاتُ كَأَنَّهَا ... سَمَاوَاتُ رِبْلانِ النَّعَامِ المُطَرَّدِ[4]

وَأَيْنَ الوُفُودُ المَاتِحُونَ بِبَابِهِ ... بِسَجْلَيْنِ مِن بَحْرَيْ وَعِيدٍ وَمَوْعِدِ[5]

مُرِمُّونَ مِنْ قَبْلِ اللِّقَاءِ مَهَابَةً ... إذا رَمَقُوا بَابَ الطِّرَافِ المُمَدَّدِ[6]

يُشِيرُونَ بِالتَّسْلِيمِ مِن خَلَلِ القَنَا ... إلى وَاضِحٍ مِنْ عَامِرٍ غَيْرِ قُعْدُدِ

يُحَيُّونَ مَرْهُوباً كَأَنَّ رِوَاقَهُ ... وَلِيجَةُ مَفْتُولِ الذِّرَاعَيْنِ مُلْبِدِ

إذا هَمَّ أَمْضَى الرَّأْيَ غَيْرَ مُلَوَّمٍ ... وَإِنْ قَالَ أَجْرَى القَوْلَ غَيْرَ مُفَنَّدِ

حُسَامٌ نَكَا فِيهِ كَهَامٌ بِغُرَّةٍ ... وَأَوْلَى لَهُ لَوْ هَزَّهُ غَيْرَ مُغْمَدِ

لَئِنْ فَلَّ الذُّلاَّنُ مِنْهُ ، فَرُبَّمَا ... تَحَيَّفَ مِن مَاضِي الظُّبَى شَقَّ مِبْرَدِ[7]

١ الوحى : العجلة والإسراع . وفي نسخة الوجى : أي الحفا . المندد : الرافع صوته بالاستغاثة .
٢ الزاعبيات : صفة للرماح المنسوبة إلى زاعب ، بلد ، أو رجل . النسر والفرقد : من النجوم .
٣ القمع ، الواحدة قمعة : رأس سنام الجمل . الذرى : الأسنمة . الهجان : البيض . السديف : شحم السنام . المسرهد : المقطع .
٤ سماوات ، الواحدة سماوة ، وسماوة كل شيء : شخصه . ربلان : هكذا في الأصل ولم نجدها ، ولعلها محرفة عن ربلات : أصول الأفخاذ .
٥ السجل : الدلو .
٦ مرمون : ساكتون .
٧ الذلان : الذليل . تحيف : تنقص .

فَلا نَعِمَ الباغُونَ يَوْماً بعيشَةٍ ؛ وَلا حَضَرُوا إلاّ بِألأمِ مَشْهَدِ
وَلاصَادَفُوا في الدّهرِ مَنجىً لخائفٍ؛ وَلا وَجَدُوا في الأرْضِ مأوًى لمُطرَّدِ
وَلا شَرِبُوا إلاّ دَماً بَعْدَهُ ، وَلا تَحابَوْا بِغَيرِ الزّاعِبيّ المُقَصَّدِ
وَلا نَظَرُوا إلاّ بِعَمْيَاءَ بَعْدَهُ ؛ وَلا ارْتَضَعُوا إلاّ بِخِلْفٍ مُجَدَّدِ[1]
أبَعْدَ الطِّوَالِ الشُّمّ مِنْ آلِ عَامِرٍ إلى البِيضِ وَالأدرَاعِ وَالخيلِ وَالنَّدِي
وَأهلِ القِبابِ الحُمرِ يُرْخي سُدولُها عَلى سُؤْدُدٍ عَوْدٍ وَمَجدٍ مُوَطَّدِ[2]
إذا فَزِعُوا للأمْرِ ألجَوْا ظُهُورَهُمْ إلى كُلّ طَوْدٍ مِنْ نِزَارٍ عَطَوَّدِ[3]
لهُمْ جَامِلٌ داجي المِرَاحِ كَأنّمَا تَرَاغَينَ عَنْ قِطْعٍ من اللّيلِ أسوَدِ
تَرُوحُ لَهُمْ حُمْرُ الهَوَادي كأنّها قَوَاني عُرُوقِ العَنْدَمِ المُتَوَرِّدِ
كَأنّ الرِّيَاضَ الغُرّ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ ذِئابُ الغَضَا يَمرَحنَ في كلّ مَرْوَدِ[4]
إذا ما انتَشَوا هزّوا رُؤوساً كَرِيمَةً لهَا طَرَبٌ بالجُودِ قَبْلَ التّغَرّدِ
تَرَامَوْا بهَا حَمراءَ تَحسَبُ شَرْبَها ذَوِي قِرّةٍ حَفّوا جَوَانِبَ مَوْقِدِ[5]
لهُم سامِرٌ تَحْتَ الظّلامِ وَرَاكِدٌ عَلى النّارِ يُذْكيها بِضَالٍ وَغَرْقَدِ[6]
يَقُولُ الفَتَى منهُمْ لرَاعي عِشَارِهِ: ألاَ لا تُقَيِّدْهَا بِغَيرِ المُهَنّدِ

١ المجدد : المقطوع .
٢ العود : القديم . الموطد : الثابت .
٣ ألجوا : مسهل ألجأوا . العطود : الطويل ، وقد مر .
٤ المرود : مكان الرود : الذهاب والمجيء ، وتفقد ما في الأرض من مراع ومياه .
٥ الشرب : الشاربون . القرة : البرد .
٦ الضال والغرقد : نوعان من الشجر .

مضى النُّجباءُ الأطوَلُونَ كأنهُمْ صُدُورُ القَنا في الشَّرْعَبيِّ المُعَضَّدِ
رَمَتْ فيهِمُ بعْدَ التئامٍ وَألفَةٍ يَدُ الأُرَبى، صَدْعَ البَلاطِ المُمَرَّدِ[1]
تَشَظَّوا تَشَظِّي العودِ تجري فُرُوعُه على ثَغْرِها خَرْقاءَ مَجنُونَةَ اليَدِ
تَكَبَّهُمُ الأيامُ عَنْ جَمَحاتِها كما كُبَّ أعجازُ الهَديِّ المُقَلَّدِ
خانَتْ بهِمُ الأجداثُ عنّا وَأُطبِقَتْ على المَجدِ منهم كلُّ بيداءَ قَرْدَدِ[2]
فمَنْ يَعدِلُ المِيلاءَ أوْ يَرْأَبُ الثَّأى وَيَأخُذُ مِنْ رَيْبِ الزَّمانِ عَلى يَدِ
تَفَانَوْا عَلى كَسْبِ العُلى، وَتجرَّعوا بأيديهِمُ كأسَ الرّدى جَرَعَ الصّدي
كما رَضَّ في مَرِّ السُّيُولِ عَشِيَّةً ذُرَى جَلمدٍ صَعبِ الذّرَى قَرْعُ جُلمدِ
الا في سَبِيلِ المَجدِ ثاوُونَ لمْ تَكُنْ قُبورُهُمُ غَيرَ الدِّلاصِ المُسَرَّدِ[3]
وَكانُوا أحاديثَ الرِّفاقِ، فأصْبَحوا أغاني للغوريِّ وَالمُتَنَجِّدِ
لعاً لَكُمُ مِنْ عاثِرِينَ تَتابَعُوا عَلى زَلَلِ الأقدامِ عَثْرَ المُقَيَّدِ
أفي كُلِّ يَوْمٍ قَطْرَةٌ مِنْ دِمائِكمْ تُمَسِّحُها مِن ظفرِ شَنعاءَ مُؤْئِدِ[4]
مُلُوكٌ وَإخْوانٌ كَأنيَ بَعْدَهُمْ عَلى قُرْبٍ من خِمْسِ يَوْمٍ عمَرَّدِ
عُرَاعِرُ يَنْزُو القَلبُ عِندَ ادّكارِهِمْ نزاءَ الدَّبَى بالأمعَزِ المُتَوَقِّدِ[5]

---

١ الأربى : الداهية . وقوله : صدع البلاط ، أراد صدعتهم صدع البلاط المملس .

٢ القردد : ما ارتفع من الأرض .

٣ الدلاص : الدرع . المسرد : المنسوج زرداً .

٤ المؤئد : الداهية .

٥ عراعر : شرفاء . الدبى : صغار الجراد . الأمعز : المكان الصلب .

سَقَاكُمْ ، وَلَوْلا عَادَةٌ عَرَبِيّةٌ ، لَقَلّ لَكُمْ قَطْرُ الحَبِيّ المُنَضَّدِ
مِنَ المُزْنِ رَجْرَاجُ العُبابِ ، كأنّهُ مِنَ البُطْءِ تَرْجافُ الكَسيرِ المُقَوَّدِ
تَخَالُ عَلى هَامِ الرُّبَى مِنْ رَبَابِهِ عَنَاصِيَ هَامَاتِ الحُجَيجِ المُلَبَّدِ[1]
تَرَادَفَ يُزْجي كَلكَلاً بَعدَ كَلكَلٍ ، تَطَلُّعَ رَكْبٍ مِنْ أبانَينِ مُنجِدِ[2]
خَفَى بَرْقُهُ ثُمّ استَطَارَ كَأنّهُ يُشَقِّقُ هُدّابَ المُلاءِ المُعَمَّدِ[3]
لحَانَا مِنَ الدّنْيَا إلى مُسْتَقِرّةٍ تُنَوّلُنَا عَذْبَ الجَنَى وَكَأنْ قَدِ
عَلِقْنَا جِمادَ النَّبلِ نَاقِصَةَ الجَدا ، تَرُوحُ عَلَيْنا بالغُرُورِ وَتَغْتَدي[4]
أمِنْ بَعدِهِم أرْجُو الخُلُودَ وَهَذِهِ سَبيلي وَمِنْ تِلكَ الشّرائعِ مَوْرِدي
فإنْ أنجُ مِنْ ذا اليَوْمِ قاطِعَ رِبقَةٍ ، فقَصرِيَ مِنْ رَيْبِ المَنُونِ عَلى غَدِ
سَوَاءٌ مُخَلًّى للمَنَايَا أكيلَةٌ ، وَمَنْ رَاحَ مِنّا في التّميمِ المُعَقَّدِ[5]
فقُلْ للّيَالي بَعدَهم : هاكِ مِقوَدي تَقَضّى إيابي ، فاصْدُرِي بيَ أوْ رِدِي
وَدُونَكِ من ظَهرِي وَقد غالَ أسرَتي طَرِيقُ الرّدَى ، ظَهرَ الذّلُولِ المُعَبَّدِ
بِأيّ يَدٍ أرْمي الزّمَانَ وَسَاعِدٍ ، وكانوا يدي أعطَيتُها الخطبَ عن يدي
وَمَا كانَ صَبرِي عَنهمُ مِنْ جَلادَةٍ ؛ أبَى الوَجْدُ لي بَلْ عادةٌ من تجلّدي

١ العناصي : النبات المتفرق . الحجيج تصغير الحاج : النبات لا شوك له .
٢ أبانان : جبلان .
٣ المعمد : الموشى .
٤ جماد النبل : هكذا في الأصل ، والنبل بالفتح : السهم وحوادث الدهر . وبالضم : الذكاء والنجابة ، والفضل وكمال الجسم .
٥ التميم ، الواحدة تميمة : عوذة تعلق في عنق الصبي دفعاً للعين الشريرة .

هو القدر

يرثي أبا شجاع بكر بن أبي الفوارس ويعزي عنه الوزير أبا علي الحسن بن أحمد لصداقة كانت بينهما اقتضت ذلك :

أَلا مَنْ يُمْطِرُ السَّنَةَ الجَمَادَا؛ وَمَنْ للجَمْعِ يُطْلِعُهُ النِّجَادَا

وَمَنْ للخَيْلِ يُقْبِلُهُنّ شُعْثاً ، وَيَرْكَبُهُنّ شُقْراً ، أَوْ وِرَادَا

غَدَاةَ الرَّوْعِ يُنْعِلُهَا الهَوَادي مِنَ الأَعْدَاءِ وَاللِّمَمَ الجِعَادَا

مُجَلْجِلَةً كَأَنّ بِهَا أُوَاماً إلى وَقْعِ الصَّوَارِمِ أَوْ جُوَادَا[1]

يُسَامِحُهَا القِيَادَ إلى المَعَالي ، وَعِنْدَ الضَّيْمِ يُمْطِلُها القِيَادَا

وَمَنْ للحَرْبِ يَنْضَحُ ذِفْرِيَيْهَا ، وَيَعْرُكُهَا جِلاداً أَوْ طِرَادَا

يُبَدِّلُ مِنْ دَمِ الأَعْداءِ فيها لِصَارِمِهِ الحَمَائِلَ وَالعِمَادَا

هَوَى قَمَرُ الأنامِ ، وَكانَ أَوْفَى عَلى قَمَرِ التَّمَامِ عُلًى وَزَادَا

فَقُلْ للقَلبِ: لُبَّكَ وَالتَّعَزّي ؛ وَقُلْ للعَيْنِ : جَفْنَكِ وَالرُّقَادَا

مَصَائِبُ لا أُنَادِي الصَّبرَ فيهَا ، وَلا أُدْعَى إلَيْهِ ، وَلا أُنَادَى

أَلِلْعَيْنَيْنِ قَدْ قَذِيَا بُكَاءً ، أَمِ الجَنْبَيْنِ قَدْ قَلِقَا وِسَادَا

كَأَنّ الوَسْمَ شَعْشَعَ فيهِ قَيْنٌ بِجُذْوَتِهِ عَلَطْتُ بِهِ الفُؤَادَا[2]

---

١ الأوام والجواد : العطش .

٢ علطت : وسمت .

مِنَ القَوْمِ الأولى ملأُوا اللّيَالي إلى أصْبَارِهَا كَرَماً وَآداً[1]
وَرَسّوا في فَوَاغِرِ كُلّ خَطْبٍ صُدُورَ البِيضِ وَالزُّرْقَ الحِدادَا[2]
إذا صَابَ الحَيَا بِبِلادِ ضَيْمٍ جلَوْا عَنهنّ ، وَانتَجَعُوا بلادَا
هُمُ الجَبَلُ المُطِلُّ على الأعادي إذا رَجَمَ الزّمَانُ بهِ ، وَرَادَا
لهُمْ حَسَبٌ ، إذا نَقّبْتَ عَنهُ ، تَضَرّمَ جَمْرَةً ، وَوَرَى زِنَادَا
لهُمْ أنفٌ يَذُبّ الضّيمَ عَنهُم ، وَرَأيٌ يَفرِجُ الكُرَبَ الشّدَادَا
وَأيْمانٌ ، إذا مَطَرَتْ عَطَاءً ، حَسِبْتَ النّاسَ كُلّهُمُ جَوَادَا
تَرَى رَأيَ الفَتَى فيهِمْ مُطَاعاً ، وَقَوْلَ المَرْءِ مِنهُم مُستَعَادَا
وَقَدْ بَلَغُوا مِنَ العَلْيَاءِ أقصَى ذَوَائِبِهَا ، وَمَا بَلَغُوا المُرَادَا
أشَتّ جَميعَهُمْ صَرْفُ اللّيَالي، وَلا يُبقي الجميعَ ، وَلا الفِرَادَا
مُصَابُكَ لمْ يَدَعْ قَلْباً ضَنِيناً بغُلّتِهِ . وَلا عَيْناً جَمَادَا
كَأنّ النّاسَ بَعْدَكَ في ظَلامٍ، أوِ الأيّامَ ألْبِسَتِ الحِدادَا
وَكُنْتُ أفَدْتُ خِلّتَهُ ، وَلكِنْ أفَادَنيَ الزّمَانُ ، وَمَا أفَادَا
فَإنْ لَمْ أبْكِهِ قُرْبَى تَلاقَتْ مَغارِسُهَا بَكَيْتُ لَهُ وِدَادَا
يَعِزّ عَليّ أنْ أطْوِيهِ صَفْحاً ، وَأذْهَبَ عَنْهُ نَأياً أوْ بِعَادَا
تَعَزّ ، أبَا عَليٍّ . إنّ خَطْباً عَلى العِلاّتِ يَبْلُغُ مَا أرَادَا
هُوَ القَدَرُ الذي خَبَطَتْ يَدَاهُ ثَموداً . مِنْ مَعاقِلِها ، وَعَادَا

١ أصبارها : رأسها . الآد : القوة .
٢ رسوا : دسوا . فواغر ، من فغر فاه : فتحه .

وَضَعْضَعَ كُلُّ مَنْ حَمَلَ العَوَالي وأرْجَلَ كلَّ مَن رَكِبَ الجِيادَا
يُعَرّي ظَهْرَ أكثَرِنا عَدِيداً ، وَيَهْجُمُ بَيْتَ أطْوَلِنا عِمادَا
كَذاكَ الدّهرُ إنْ أبْقَى قَليلاً أحالَ عَلى بَقيّتِهِ ، وَعادَا
وَبَيْنَا المَرْءُ يَجْنيهِ ثِماراً ، إلى أنْ عادَ يَخْرطُهُ قَتادَا
وَأقْرَبُ ما تَرَى فيهِ انْتِقاصاً ، إذا ما قيلَ قَدْ كمَلَ ازْدِيادَا
وَنَعْلَمُ أنْ سَيُوجِرُنا مُراراً، بِآيَةِ أنْ يُلَمّظَنَا شِهادَا
وَمَا تُجْدي الدّمُوعُ عَلى فَقيدٍ وَلَوْ غَسَلَتْ مِنَ العَينِ السّوَادَا
وَكُنْتَ مُقَلَّداً مِنْهَا حُساماً عَلى الأعْداءِ داهِيَةً نَآدَى[1]
فَنافَسَكَ الرّدَى في مَضْرِبَيْهِ . فَبَزّ النّصْلَ ، وَاختَلَعَ النِّجادَا
فَنادِ اليَوْمَ غَيرَ أبي شُجَاعٍ . وَصَمّ أبَا شُجَاعٍ أنْ يُنادَى[2]
حَدَا غَيرَ الغَمامِ إلَيْهِ كُوماً تَعِزّ عَلى المَقاوِدِ أنْ تُقادَا
نَزائِعَ مِنْ رِيَاحِ الغَوْرِ شَبّتْ، عَلى القُلَلِ ، البَوارِقَ وَالرِّعادَا
مُخَيِّضْنَ بِهِنّ مَخضَ الوَطبِ حتّى إذا جَلْجَلْنَ أطْلَقْنَ المَزَادَا[3]
تَلامَحَتِ البُرُوقُ بِجَانِبَيها ، كَأنّ لهَا انْحِلالاً وَانْعِقادَا
كَأنّ بِهِنّ رَاعيَ مُرْزِمَاتٍ أبَسّ فَحَرّكَ الخُورَ الجِلادَا[4]

١ النآدى : الداهية . وصف الشيء بمثله للتعظيم .
٢ أبا شجاع : هكذا في الأصل ، ولعلها أبو شجاع فاعل صم ، أي انسدت أذنه .
٣ المزاد : راويات الماء . وأراد بإطلاق المزاد : الإمطار .
٤ أبس الراعي : إذا دعا ما يرعاه إلى الماء . الخور : النوق الغزر . الجلاد : الكبار من الإبل

فَيَا للنّاسِ أوقِرُهُ تُرَاباً ،   وَأستَسقي لأعظُمِهِ العِهَادَا
وَمَا السُّقيَا لِتَبلُغَهُ ، وَلَكِنْ   وَجَدْتُ لهَا عَلى قَلبي بُرَادَا

الأيام أسدٌ مذلة

يرثي عمه أبا عبد الله أحمد بن
موسى وتوفي في شهر ربيع الآخر
سنة ٣٨١ ويعزي والده عنه وقد
خرج إلى واسط لتلقي بهاء الدولة :

سَلا ظاهرَ الأنفاسِ عن باطنِ الوَجدِ ،   فَإنّ الذي أُخفي نَظيرُ الذي أُبْدِي
زَفيراً ، تَهَادَاهُ الجَوَانِحُ كُلّمَا   تَمَطّى بقَلبي ضَاقَ عَنْ مَرّه جِلدِي
وَكَيفَ يُرَدّ الدّمعُ ، يا عَينِ ، بعدَمَا   تَعَسّفَ أجْفاني ، وَجارَ على خَدّي
وَإنّيَ إنْ أنضَحْ جَوَايَ بِعَبْرَةٍ   يَكُنْ كَتَخَبّي النّارِ يُقدَحُ بالزّندِ
فهَذي جُفُوني مِنْ دُموعيَ في حَياً ،   وَهَذا جَنَاني مِنْ غَليلِيَ في وَقْدِ
حَلَفتُ بِما وَارَى السّتارُ ، وَما هوَتْ   إلَيهِ رِقابُ العِيسِ تُرْقِلُ أوْ تَخدِي
لَقَدْ ذَهَبَ العَيشُ الرّقيقُ بذاهِبٍ   هوَ الغارِبُ المَجزُولُ من ذُرْوَةِ المجدِ
وَإنّي ، إذا قَالُوا مَضَى لِسَبِيلِهِ ،   وَهِيلَ عليهِ التُّرْبُ من جانبِ اللّحدِ
كَسَاقِطَةٍ إحدَى يَدَيهِ إزَاءَهُ ،   وَقَدْ جَبّها صَرْفُ الزّمانِ من الزّندِ
وَقَدْ رَمَتِ الأيّامُ مِن حيثُ لا أرَى   صَميميَ بالدّاءِ العَنيفِ على عَمْدِ

فَلا تَعْجَبَا أنّي تَحَلّتُ مِنَ الجَوَى، فَأيْسَرُ ما لاقَيتُ ما حَزّ في الجِلْدِ

وَلَوْ أنّ رُزْءاً غَاضَ مَاءً لَكَانَهُ ، وَجَفّتْ لَهُ خُضْرُ الغُصُونِ منَ الرّنْدِ

سَقَى قَبرَهُ مُستَمطِرٌ ذُو غِفَارَةٍ ، يَجُرّ عَلَيْهِ عُرْفَ مَلآنَ مُرْبَدّ[1]

إذا قُلتُ: قد خفّتْ مَتاليهِ أرْزَمَتْ وَأجْلَبَ بالبَرْقِ المُشَقَّقِ وَالرّعْدِ[2]

حُسامٌ جَلا عنهُ الزّمانُ ، فصَمّمَتْ مَضَارِبُهُ حِيناً ، وَعَادَ إلى الغِمْدِ

سِنَانٌ تَحَدّتهُ الدّرُوعُ بزُغفِها ، فَبَدّدَ أعيَانَ المُضَاعَفِ وَالسّرْدِ

جَوَادٌ جَرَى حتّى استَبَدّ بِغايَةٍ تُقَطِّعُ أنْفاسَ الجِيَادِ مِنَ الجَهْدِ

سَحَابٌ عَلا حتّى تَصَوّبَ مُزْنُهُ، وَأقْلَعَ لَمّا عَمّ بالعيشَةِ الرّغْدِ

رَبيعٌ تَجَلّى ، وَانجَلَى ، وَوَرَاءَهُ ثَنَاءٌ ، كَمَا يُثْنى عَلى زَمَنِ الوَرْدِ

نَعَضّ على المَوْتِ الأنامِلَ حَسرَةً ، وَإنْ كانَ لا يُغْني غَنَاءً وَلا يُجدي

وَهَلْ يَنْفَعُ المَكْلُومَ عَضٌّ بَنانِه وَلَوْ ماتَ من غَيظٍ على الأسدِ الوَرْدِ

عَوَارٍ مِنَ الدّنْيا يُهَوّنُ فَقْدَها تَيَقُّنُنَا أنّ العَوَارِيَ للرّدّ

يَنالُ الرّدى مَن يَعرِضُ الهَضْبُ دونه وَلَوْ كانَ في غَوْرٍ من الأرْضِ أوْ نجدِ

وَيَسْلَمُ مَنْ تُسْقَى الأسِنّةُ حَوْلَه بأيدِي الكُماةِ المُعلِمينَ عَلى الجُرْدِ

فَما ذاكَ إن لم يَلْقَ حَتفاً بِخَالِدٍ ؛ وَلا ذا مِنَ الحَتفِ المُطِلّ عَلى بُعْدِ

لَئِنْ ثَلَمَتْ مِنّي اللّيَالي عَشائِرِي فَمَا ثَلَمُوا إلاّ مِنَ الحَسَبِ العِدّ

١ الغفارة : كل شيء يغطى به شيء آخر ؛ وأراد هنا سحابة . العرف : الشعر النابت في محدب رقبة الفرس ، استعاره للسحاب . والعرف أيضاً : موج البحر .

٢ البرق المشقق : المستطيل .

شَجَوْنِي ، وَلَمْ يُبْقُوا لِعَيْنِي بَلَّةً … من الدَّمعِ إلاّ استَفرَغوها من الوَجْدِ

عزَاءَكَ ؛ فَالأيامُ أسْدٌ مُذِلَّةٌ ، … تَعُطُّ الفَتى عَطَّ المَقارِيضِ للبُرْدِ[1]

إذا أوْرَدَتْهُ نَهْلَةً مِنْ نَعيمِهَا ، … أعَادَتْهُ حَرّانَ الضّلُوعِ من الوِرْدِ

أغَلَّ إلى القَلْبِ المَنيعِ مِنَ القَنَا ، … وَأجرَى إلى الآجَالِ من قُضُبِ الهِنْدِ

أرَادَ بِكَ الحُسّادُ أمْراً ، فَرَدَّهُ … عَلَيهِمْ سفاهُ الرّأيِ وَالرّأيُ قد يُرْدي

فَلا يُغمِدَنّ السّطْوَ وَالحِلْمَ ضَائِرٌ، … وَقَدْ نَزَعَ الأعْدَاءُ آصِرَةَ الوُدّ

هُمُ قَعقَعُوا بَغياً عَلَيكَ وَأجلَبُوا، … فَآبُوا ، وَمَا قامُوا بحَلٍّ ، وَلا عَقْدِ

وَقَدْ رَكِبُوهُ مَرّةً بَعْدَ مَرّةٍ ، … فَيا لَذلولِ البَغيِ من مَركبٍ مُرْدِي

فحتّى متى تُغضِي مِرَاراً عَلى القَذَى … وَتَلحَظُكَ الأضْغانُ من مُقَلٍ رُمْدِ

فَإنْ لا تَصِلْ تُصْبِحْ عِداكَ كَثيرَةً … عَلَيكَ ،وَدَاءُ الطّعنِ إن هِبتَه يُعدي

وَهَلْ كانَ ذاكَ البُعدُ إلاّ تَنَزُّهاً … على المُضْمِرِ البَغضَاءِ وَالحاسدِ الوَغدِ

وَجِئتَ مَجيءَ البَدْرِ أخلَقَ ضَوءُهُ ، … فَعادَ جَدِيدَ النّورِ بالطّالعِ السّعْدِ

وكمْ من عَدوٍّ قد سرَى فيكَ كَيدُهُ … سُرَى السّمّ من رَقطاءَ ذاتِ قَرًا جَعدِ

فأغْفَلْتَهُ ثُمّ انتَضَيتَ عَزيمَةً ، … نزَعتَ بِها مِنْ قَلبِهِ حُمَةَ الحِقْدِ

وَذي خَطَلٍ أوْجَرْتَهُ منكَ غُصّةً ، … فأطْرَقَ مِنها لا يُعيدُ وَلا يُبْدي

---

[1] تعط : تشق .

وجد على وجد

قال بديهاً يرثي في شهر ربيع الآخر
سنة ٣٩٤ أحد فقهاء الشيعة وقد نعي
إليه عند عوده من مكة وهو بالعذيب:

أتَاني، ورَحلي بالعُذَيبِ، عَشيةً ، وأيدي المَطَايا قَدْ قَطَعنَ بنا نَجْدَا
نَعيٌ أطَارَ القَلْبَ عَنْ مُستقَرّه ، وكنتُ على قَصْدٍ فأغلَطَني القَصْدَا
فلَيتَ نَعَى الرَّكبُ العِراقيُّ غَيرَهُ ، فما كُلُّ مَفقُودٍ وَجعتَ لَهُ فَقْدَا
وَيا ناعِيَيهِ اليَوْمَ غُضّا عَلى قَذًى ، فقد زدتُما قلبي على وَجدِهِ وَجْدَا[1]
فَبِئْسَ ، عَلى بُعدِ اللّقاءِ ، تحِيّةٌ أحيّا بهَا تُذْكي على كَبدي وَقدَا
برُغميَ أنْ أوردْتَ قبلي بِمَوْرِدٍ ، تبَرّضْتَ منهُ لا زُلالاً وَلا بَرْدَا[2]
جزَتكَ الجَوَازِي عَن عِمادٍ أقمتَها، وَعَنْ عُقَدٍ للدّينِ أحكَمتَها شَدّا
وَذي جَدَلٍ ألجَمْتَ فاهُ بِغُصّةٍ ، تلَجلَجُ فيهِ ، لا مَساغاً ، وَلا رَدّا
قَعَستَ لَهُ حتّى التَقَيْتَ سِهامَهُ ، وَأثبَتّ في تامُورِهِ الحُجَجَ اللُّدّا[3]
وَمَزْلَقَةٍ للقَوْلِ ما شِئْتَ دَحضَها ، وَقد زَلّ عَنها مَن أعادَ وَمَن أبدَى

١ الوجد : الحزن .

٢ تبرضت منه : أخذت قليلا من مائه .

٣ قعست له : أي قعدت له خارجاً صدرك وداخلا ظهرك . تاموره : قلبه ، أو نفسه . اللد : الشديدة الخصومة .

وَإنّي لأستَسْقي لكَ اللهَ عفْوَهُ ، وَيا لكَ غَيثاً مَا أعَمَّ ، وَمَا أنْدَى
وَأخْلِقْ بِمَنْ كانَ النّبيُّ وَرَهطُهُ مُحامِينَ عَنهُ أنْ يَفُوزَ وَلا يَرْدَى
بكَيتُكَ حتّى استَنفَدَ الدّمعَ ناظرِي، وَلَوْ مَدّني دَمعي عَلَيكَ لمَا أجدَى

جبل هوى

يرثي أبا إسحق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب وتوفي في شوال سنة ٣٨٤ وكان بينهما من المودة الأكيدة والمكاتبات بالنظم والنثر ما هو معروف وبلغ من العمر إحدى وتسعين سنة :

أعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا علَى الأعْوَادِ ؛ أرَأيْتَ كَيْفَ خبَا ضِيَاءُ النّادِي
جَبَلٌ هَوَى لوْ خرّ في البَحرِ اغتَدى مِنْ وَقْعِهِ مُتَتَابِعَ الإزْبَادِ
ما كنتُ أعلَمُ قَبلَ حطّكَ في الثرَى أنّ الثرَى يَعْلُو عَلى الأطْوَادِ
بُعْداً لِيَوْمِكَ في الزّمَانِ . فَإنّهُ أقذَى العُيُونَ وَفَتّ في الأعْضَادِ
لا يَنْفَدُ الدّمْعُ الذي يُبْكَى بِهِ ؛ إنّ القُلُوبَ لَهُ مِنَ الأمْدَادِ
كَيفَ انمحى ذاكَ الجَنابُ وَعُطّلَتْ تلكَ الفِجاجُ وَضَلّ ذاكَ الهَادي
طاحَتْ بتِلْكَ المَكرُماتِ طَوَائِحٌ، وَعَدَتْ عَلى ذاكَ الجَوَادِ عَوَادي
قالوا : أطاعَ وَقِيدَ في شَطَنِ الرّدَى ، أيْدِي المَنُونِ مَلَكْتِ أيّ قِيَادِ
مِنْ مُصْعَبٍ لَوْ لمْ يَقُدْهُ إلَهُهُ بِقَضَائِهِ مَا كَانَ بِالمُنْقَادِ

هَذا أبُو إسْحَقَ يُغْلِقُ رَهْنُهُ ؛ هَلْ ذا يَدٍ ، أوْ مانعٍ ، أوْ فَادِ
لَوْ كُنْتَ تُفدَى لافتَدَتكَ فَوَارِسٌ مُطِرُوا بعارِضِ كُلِّ يَوْمِ طِرَادِ
وَإذا تَألّقَ بَارِقٌ لِوَقيعَةٍ ، وَالخَيْلُ تَفحَصُ بالرِّجَالِ بَدادِ[1]
سَلّوا الدّرُوعَ مِنَ العُبابِ ، وَأقبَلوا يَتَحَدّبُونَ عَلى القَنَا المَيّادِ
لَكِنْ رِمَاكَ مُجَبِّنُ الشّجعانِ عن إقدامِهِمْ ، وَمُضَعضِعُ الأنْجَادِ
كاللّيثِ يُوهَنُ بالتّرَابِ ، وَيَمتَلي نَوْماً عَلى الأضْغَانِ وَالأحقَادِ
وَالدّهْرُ تَدخُلُ نَافِذاتُ سِهَامِهِ مَأوَى الضّلالِ وَمَرْبَضَ الآسَادِ
ألقَى الجِرَانَ عَلى عَنَطْنَطِ حِميَرٍ ، فَمَضَى ، وَمَدّ يَداً لأحْمَرِ عَادِ[2]
أعزِزْ عَلَيّ بِأنْ أرَاكَ ، وَقَدْ خَلَتْ مِنْ جَانِبَيْكَ مَقَاوِدُ العُوّادِ
أعزِزْ عَلَيّ بِأنْ يُفَارِقَ نَاظِرِي لَمَعَانَ ذاكَ الكَوْكَبِ الوَقّادِ
أعزِزْ عَلَيّ بِأنْ نَزَلْتَ بِمَنْزِلٍ مُتَشَابِهِ الأمْجَادِ وَالأوْغَادِ
في عُصْبَةٍ جُنِبُوا إلى آجَالِهِمْ ؛ وَالدّهْرُ يُعْجِلُهُمْ عَنِ الإرْوَادِ[3]
ضَرَبُوا بِمَدْرَجَةِ الفَنَاءِ قِبَابَهُمْ مِنْ غَيرِ أطْنَابٍ ، وَلا أوْتَادِ
رَكْبٌ أنَاخُوا لا يُرَجّى مِنْهُمُ قَصْدٌ لإتْهَامٍ . وَلا إنْجَادِ
كَرِهُوا النّزُولَ ، فأنزَلَتْهُمْ وَقعَةٌ للدّهْرِ بَارِكَةٌ بِكُلّ مَقَادِ
فتَهافَتُوا عَنْ رَحْلِ كلّ مُذَلَّلٍ . وَتَطاوَحُوا عَنْ سَرْجِ كلّ جَوَادِ

[1] تفحص : تبحث بأرجلها . بداد : متفرقة .
[2] الجران : عنق البعير . العنطنط : الطويل .
[3] الارواد : الرفق ، والتمهل .

بَادُونَ في صُوَرِ الجَميعِ ، وَإنّهُمْ مُتَفَرِّدُونَ تَفَرُّدَ الآحَادِ
مِمّا يُطيلُ الهَمَّ أنّ أمَامَنَا طُولَ الطّرِيقِ وَقِلّةَ الأزْوَادِ
عُمري ! لقَدْ أغمَدتُ منكَ مُهَنّداً في التُّرْبِ كانَ مُمزِّقَ الأغمَادِ
قَدْ كنتُ أهوَى أنْ أُشَاطِرَكَ الرّدى ، لَكِنْ أرَادَ اللهُ غَيرَ مُرَادي
وَلَقَدْ كَبَا طَرْفُ الرّقَادِ بنَاظِري أسَفاً عَلَيْكَ . فَلا لَعاً لِرُقَادِ
ثَكِلَتْكَ أرْضٌ لَمْ تَلِدْ لكَ ثانياً ، أنّى . وَمِثْلُكَ مُعْوِزُ الميلادِ[1]
مَنْ للبَلاغَةِ وَالفَصَاحَةِ إنْ هَمَى ذاكَ الغَمَامُ ، وَعَبّ ذاكَ الوَادي
مَنْ للمُلُوكِ يَحِزُّ في أعْدائِهَا بِظُبًى مِنَ القَوْلِ البَليغِ حِدادِ
مَنْ للمَمَالِكِ لا يَزَالُ يُلِمّهَا بِسِدادِ أمْرٍ ضَائِعٍ وَسَدَادِ
مَنْ للجَحَافِلِ يَستَزِلُّ رِمَاحَهَا وَيَرُدُّ رَعْلَتَهَا بِغَيْرِ جِلادِ[2]
مَنْ للمَوَارِقِ يَستَرِدّ قُلُوبَهَا بِزَلازِلِ الإبْرَاقِ وَالإرْعَادِ
وَصَحَائِفٍ فيهَا الأرَاقِمُ كُمَّنٌ ، مَرْهُوبَةُ الإصْدارِ وَالإيرَادِ
تَدْمَى طَوَابِعُهَا ، إذا استَعْرَضْتَها ، مِنْ شِدّةِ التّحْذيرِ وَالإيعَادِ
حُمْرٌ عَلى نَظَرِ العَدُوّ ، كأنّمَا بِدَمٍ يُخَطّ بِهِنّ لا بِمِدادِ
يُقْدِمْنَ إقْدامَ الجُيُوشِ ، وَباطِلٌ أنْ يَنْهَزِمْنَ هَزَائِمَ الأجْنَادِ
فِقَرٌ بِهَا تُمْسِي المُلُوكُ فَقِيرَةً أبَداً إلى مَبْدًى لَهَا وَمَعَادِ
وَتَكُونُ صَوْتاً للحَرُونِ ، إذا وَنَى ، وَعِنَانَ عُنْقِ الجَامِحِ المُتَمَادي

[1] معوز الميلاد ، من أعوذه : دعا له بالحفظ وقال له : أعيذك بالله . والمعنى غامض .

[2] رعلتها : كثرتها . الجلاد : القتال .

تُرْقي، وتَلْذَعُ في القلوبِ، وإن يَشَا حَطَّ النجُومَ بِهَا مِنَ الأبْعَادِ
إنّ الدّمُوعَ عَلَيْكَ غيرُ بَخيلَةٍ ، والقَلْبَ بالسُّلْوَانِ غَيرُ جَوَادِ
سَوّدْتَ مَا بَيْنَ الفَضَاءِ وَنَاظِرِي ، وَغَسَلْتَ مِنْ عَيْنَيَّ كُلَّ سَوَادِ .
رَيُّ الخُدُودِ مِنَ المَدامِعِ شَاهِدٌ أنّ القُلوبَ مِنَ الغَليلِ صَوَادِ
ما كنتُ أخشَى أنْ تَغِينَ بلفظَةٍ ، لتَقُومَ بَعْدَكَ لي مَقَامَ الزّادِ
ماذا الذي مَنَعَ الفَنيقَ هَديرَهُ مِنْ بَعْدِ صَوْلَتِهِ عَلى الأذْوَادِ
ماذا الذي حَبَسَ الجَوَادَ عن المَدَى مِنْ بَعْدِ سَبْقَتِهِ إلى الآمَادِ
ماذا الذي فَجَعَ الهُمَامَ بِوَثْبَةٍ ، وَعَدا عَلى دَمِهِ ، وَكَانَ العَادِي
قُلْ للنّوَائِبِ : عَدّدي أيّامَهُ ، يَغنى عَنِ التّعْديدِ بِالتّعْدادِ
حَمّالُ ألْوِيَةِ العَلاءِ بنَجْدَةٍ ، كَالسّيْفِ يَغْنى عَنْ مَنَاطِ نِجَادِ
قَلَصَتْ أظِلّةُ كُلِّ فَضْلٍ بَعدَهُ : وَأمَرّ مَشْرَبُهَا عَلى الوُرّادِ
لَقَضَى لسانُكَ ، مُذْ ذَوَتْ ثَمَرَاتُه . أنْ لا دَوَامَ لِنُضْرَةِ الأعْوَادِ
وَقَضَى جَنانُكَ ، مُذْ قَضَتْ وَقَداتُهُ ، أنْ لا بَقَاءَ لِقَدْحِ كُلِّ زِنَادِ
بَقِيَتْ أعَيْجَازٌ يَضِلُّ تَبيعُهَا . وَمَضَتْ هَوَادٍ للرِّجَالِ هَوَادِ
يا لَيتَ أنّي ما اقتَنَيْتُكَ صَاحِباً . كَمْ قِنيَةٍ جَلَبَتْ أسًى لفُؤادي
إنْ لمْ تَسُعْ إلى التّناسُلِ نَفْسُهُ . كُفِيَ الأسَى بِتَفَاقُدِ الأوْلادِ
بَرْدُ القُلُوبِ لِمَنْ تُحِبّ بَقَاءَهُ مِمّا يَجُرّ حَرَارَةَ الأكْبادِ
لَيسَ الفَجَائِعُ بِالذّخائِرِ مِثلَها بِأمَاجِدِ الأعْيَانِ وَالأفْرَادِ
وَيَقولُ مَنْ لمْ يَدْرِ كُنهَكَ : إنّهم نَقَصُوا بِهِ عَدَداً مِنَ الأعْدادِ

هَيهاتَ! أُدرجَ بَينَ بُرْدَيكَ الرّدَى رَجُلُ الرّجالِ وَأوْحَدُ الآحَادِ
لا تَطلُبي ، يا نَفسِ ، خِلاً بَعدَهُ ، فَلَمِثْلُهُ أعْيَا عَلَى المُرْتَادِ
فُقِدَتْ مُلائِمَةُ الشُّكُولِ بِفَقْدِهِ وَبَقِيتُ بَينَ تَبَايُنِ الأضْدادِ
مَا مَطْعَمُ الدّنْيَا بِحُلْوٍ بَعدَهُ أبَداً ، وَلا مَاءُ الحَيَا بِبُرَادِ
الفَضْلُ نَاسَبَ بَيْنَنَا ، إنْ لمْ يَكُن شَرَفي مُنَاسِبَهُ وَلا مِيلادي
إنْ لمْ تكُنْ مِنْ أُسرَتي وَعَشيرَتي ، فَلأنْتَ أعْلَقُهُمْ يَداً بوِدادي
لَوْ لمْ يَكُنْ عالي الأصُولِ فقد وَفَى شَرَفُ الجُدُودِ بِسُؤدُدِ الأجدادِ
لا دَرّ دَرّي إنْ مَطَلْتُكَ ذِمّةً في بَاطِنٍ مُتَغَيِّبٍ ، أوْ بَادِ
إنّ الوَفَاءَ ، كَمَا اقترَحتُ، فلوْ يكُنْ حَيّاً ، إذاً مَا كُنْتُ بالمُزْدَادِ
لَيسَ التّنَافُثُ بَيْنَنَا بِمُعَاوَدٍ أبَداً ، وَلَيْسَ زَمَانُنَا بِمُعَادِ[1]
ضَاقَتْ عَليّ الأرْضُ بَعدَكَ كُلُّهَا، وَتَرَكْتَ أضْيَقَهَا عَليّ بِلادي
لكَ في الحَشَى قَبْرٌ ، وَإنْ لمْ تأوِهِ ، وَمِنَ الدّمُوعِ رَوَائِحٌ وَغَوَادي
سَلّوا مِنَ الأبرَادِ جِسمَكَ وَانثَنى جِسمي يُسَلّ عَلَيْكَ في الأبْرَادِ
كَمْ مِنْ طَوِيلِ العُمْرِ بَعدَ وَفَاتِهِ بالذّكْرِ يَصْحَبُ حاضراً ، أوْ بادي
مَا مَاتَ مَنْ جَعَلَ الزّمَانَ لِسَانَهُ يَتْلُو مَنَاقِبَ عُوَّداً وَبَوَادي
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الرّبيعُ وَإثْرُهُ بَاقٍ بِكُلّ خَمَايِلٍ وَنِجَادِ
لا تَبْعَدَنّ وَأينَ قُرْبُكَ بَعدَهَا ؛ إنّ المَنَايَا غَايَةُ الأبْعَادِ

[1] التنافث : المخاطبة ، والمسارة .

صَفَحَ الثَّرَى عَنْ حُرِّ وَجهِكَ أنّهُ مُغْرًى بِطَيِّ مَحاسِنِ الأمْجَادِ
وتَماسَكَتْ تِلْكَ البَنَانُ ، فطالمَا عَبِثَ البِلَى بِأنَامِلِ الأجْوَادِ
وَسَقَاكَ فَضْلُكَ إنّهُ أرْوَى حَياً مِنْ رَائِحٍ مُتَحَرِّسٍ ، أوْ غَادِ
جَدَثٌ عَلَى أنْ لا نَبَاتَ بِأرْضِهِ ، وقَفَتْ عَلَيْهِ مَطالِبُ الرُّوّادِ

يبغي النجاة غداً

قال في الزهد

تَرَكَ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا ، وَرَضِي بالدُّونِ مُقْتَصِداً
نَافِراً مِنْهَا ، فلَيسَ يرَى بِالأمَـاني آنِساً أبَدَا
بَعْدَ أنْ نَالَ العَلاءَ ، وَمَا زَالَ يَنْمِي جَدُّهُ صُعُدَا
نَفَضَ الأطْمَاعَ عَنْ يَدِهِ وَاستَخارَ الوَاحِدَ الأحَدَا
وَرَأى أنْ لا نَجَاةَ لَهُ ، فَمَضَى يَبغي النَّجَاةَ غَدَا

ناقض الوداد

قال في النسيب

يا غائباً نقضَ الودادا . أشمتَّ بالقُربِ البعادا
وتركتني . والشوقُ يأ بى أنْ يُروّحَ لي فؤادا
تأبى سوابقُ عبرتي أنْ تخدعَ المُقَلُ الرُّقادا
لوْ أنَّ طرْفي سارَ نحوَكَ لاتخذْتُ النومَ زادا
فارْجِعْ إلى رسْمِ الصفا ءِ ، فإنّهُ إنْ عُدتَ عادا
ودَعِ العِدى . فوحرْمةُ الْ علياءِ لا بلغوا المُرادا
بسطوا لنا أيْدي النوا لِ ، وما نرى منهم جوادا
قلبي أسيرٌ في حبا لِكَ لا أؤمّلُ أنْ يُقادا
أعجلْتَ قلْبي أنْ يمَسّ الـ هجْرَ . فاستلَبَ الودادا
يا بائعي بالنزْرِ مُختاراً ليبلُغَ ما أرادا
إنْ جُدْتَ بي فلْيَندَمَنْ منْ كانَ بي يوْماً جوادا
منْ ضاعَ مثْلي مِنْ يديْهِ . فليتَ شعْري ما استفادا
لا يلْبَسُ الوُدَّ الطريفَ مُجامِلٌ خلَعَ التِّلادا

صبر ولا جلد

مِثْلُ وُدّي لا يُغَيِّرُهُ   لكَ هِجْرَانٌ ولا بُعُدُ
وَجُفُوني لا يَزَالُ بِهَا   طَيفُ حِلمٍ مِنكَ يَطّرِدُ
وَضَمِيرِي أنْتَ تَعْلَمُهُ،   لكَ لا يَلْوِي بِهِ أحَدُ[1]
يامُقيدَ الشّوْقِ من كَبِدِي!   آهِ لا صَبْرٌ ، وَلا جَلَدُ[2]
دُ[3]

القلب الوفي

قال أيضاً رحمه الله

أتُرَى الأحْبَابُ مُذْ ظَعَنُوا   وَجَدُوا للبَينِ مَا أجِدُ
لا يَبِتْ ذاكَ الحَبِيبُ كَمَا   بَاتَ هَذا القَلْبُ وَالكَبِدُ
كَانَ زُوراً بَعْدَ بَيْنِهِمُ ،   وَغُرُوراً ذَلِكَ الجَلَدُ
وَمَتَى تَدْنُ الدّيَارُ بِهِمْ،   يَجِدُوا قَلبي كَمَا عَهِدُوا

١ يلوي به : يجحده .
٢ المقيد ، من أقاد القاتل بالقتيل : قتله به قوداً أي بدلا منه .
٣ قوله : عدد ، لعل مراده أن اعضاءه محصاة لها ، أو معدة لها .

الهوى داؤه يعدي

خُذي نَفَسي يا رِيحُ من جانبِ الحمى ... فَلاقي بِهَا لَيلاً نَسيمَ رُبَى نَجْدِ

فَإنّ بذاكَ الحَيّ إلْفاً عَهِدْتُهُ ، ... وَبالرّغمِ منّي أنْ يَطولَ به عَهدِي

وَلَوْلا تَداوِي القَلْبِ من ألمِ الجَوَى ... بِذِكْرِ تَلاقِينَا قَضَيْتُ من الوَجْدِ

وَيَا صَاحِبيَّ اليَوْمَ عُوجَا لتَسْألا ... رُكَيْباً من الغَوْرَينِ أنضَاؤهم تَخدِي

عَنِ الحَيّ بالجَرْعاءِ جَرْعاءِ مالكٍ ، ... هَلِ ارْتَبعوا وَاخضَرّ وَاديهمُ بَعدي

كَأنّ بِعَيْنِي بَعْدَهُمْ غائرَ القذى ... إذا أنَا لَمْ أنْظُرْ إلى العَلَمِ الفَرْدِ

شَمَمْتُ بنَجْدٍ شِيحَةً حَاجِرِيّةً ، ... فأمطَرْتُها دَمعي ، وَأفرَشتُها خَدّي

ذَكَرْتُ بهَا رَيّا الحَبيبِ علَى النّوَى ، ... وَهَيهاتَ ذا يا بُعدَ بَينِهِما عِندي

وَإنّي لمَجْلُوبٌ ليَ الشّوْقُ كُلّمَا ... تَنَفّسَ شَاكٍ ، أوْ تألّمَ ذو وَجْدِ

تَعَرّضَ رُسلُ الشّوْقِ وَالرَّكبُ هاجد ، ... فتُوقِظُني مِنْ بَينِ نُوّامهمْ وَحدِي

فَقُلتُ لأصْحَابي : ألاَ تَتزَافرُوا ؟ ... رُوَيدَكُمُ ! إنّ الهوَى داؤهُ يُعدي

وَمَا شَرِبَ العُشّاقُ إلاّ بَقيّتي ، ... وَلا وَرَدُوا في الحُبّ إلاّ على وِرْدِي

التفات القلب

أقُولُ وَقد جازَ الرِّفاقُ بذِي النّقَا ، وَدُونَ المَطَايَا مُرْبَخٌ وَزَرُودُ[1]

أتَطْلُبُ يا قَلْبي العِرَاقَ منَ الحِمَى، ليَهْنكَ مِنْ مَرْمًى عَلَيْكَ بَعيدُ

وَإنّ حَدِيثَ النّفْسِ بالشّيْءِ دُونَهُ رِمَالُ النّقَا مِنْ عالجٍ ، لَشَدِيدُ

تَرَى اليَوْمَ في بَغدادَ أنْدِيَةَ الهَوَى لهَا مُبْدِىءٌ مِنْ بَعدِنَا وَمُعِيدُ

فمِن وَاصِفٍ شوْقاً وَمن مُشتكٍ حشاً، رَمَتْهُ المَرَامي أعيُنٌ وَخُدُودُ

تَلَفّتَ حتّى لَمْ يَبِنْ مِنْ بِلادِكم دُخانٌ وَلا مِنْ نارِهِنّ وَقُودُ

وَإنّ التِفَاتَ القَلْبِ مِنْ بَعدِ طَرْفه طَوَالَ اللّيَالي نَحْوَكُمْ لَيَزِيدُ

وَلمّا تَدَانَى البَيْنُ قالَ لِيَ الهَوَى : رُوَيداً ! وَقالَ القَلبُ: أينَ تُرِيدُ

أتَطْمَعُ أنْ تَسْلُو على البُعدِ وَالنّوَى وَأنتَ عَلى قُرْبِ المَزَارِ عَمِيدُ

وَلَوْ قالَ لي الغادونَ : ما أنتَ مُشتَهٍ غَدَاةَ جزَعْنا الرّملَ ، قُلتُ: أعُودُ

ألصّبرُ، وَالوَعْسَاءُ بَيْني وَبَينَكُم، وَأعلامُ خبْتٍ ؟ إنّني لجَلِيدُ[2]

١ المربخ : رملة في البادية . زرود : موضع .

٢ الخبت : المتسع من بطون الأرض .

القلب الظمآن

يا طيبَ نَجْدٍ، وَحُسنَ ساكِنِهِ لَوْ أنهُمْ أنجزُوا الذي وَعَدُوا
قالُوا، وَقَدْ قُرِّبَتْ رَكائِبُنَا، وَالقَلْبُ يَظْمَا بهِمْ، وَلا يَرِدُ:
أتَارِكٌ أرْضَنَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أنجَدَ قَلْبي وَأعْرَقَ الجَسَدُ

أيام سود

صَدّتْ، وَمَا كانَ لها الصّدُودُ. وَازْوَرّ عَنّي طَرْفُها وَالجِيدُ
يَقُولُ لمّا أخْلَقَ الجَدِيدُ. إذا البَجَالُ ذَلِكَ الوَلِيدُ[1]
يا أينَ ذاكَ الخَضِلُ الأُمْلُودُ. رَيّانَ مِنْ مَاءِ الصِّبَا يَمِيدُ
تُصْحِبُهُ اللّحظَ العَذارَى الغِيدُ. غَدا الغَزَالُ اليَوْمَ، وَهوَ سِيدُ
قُلتُ: نَعَمْ! ذاكَ الذي أرِيدُ. مَضَى حَبِيبٌ قَلّمَا يَعُودُ
لَشُدّ مَا أوْجَعَني الفَقِيدُ. أيّامُنَا بَعْدَ البَيَاضِ سُودُ

1 البجال: الشيخ الكبير المبجل.

طريد الحسان

أُمَيْمَ ! إنّ أخاكِ غَضٌّ جِماحُهُ ... بِيضٌ طَرَدْنَ عَنِ الذّوائبِ سُودَا

عُقَبُ الجَديدِ إذا مَرَرْنَ على الفتى ... مَرَّ الفَوادِحِ لَمْ يَدَعْنَ جَديدَا[1]

قَدْ كانَ قَبْلَكِ للحِسانِ طَرِيدَةً، ... فاليَوْمَ راحَ عَنِ الحِسانِ طَرِيدَا

حَوّلْنَ عَنْهُ نَواظِراً مَزْوَرّةً ، ... نَظَرَ القِلى، ولَوَيْنَ عنهُ خُدُودَا

نَشَدَ التّصابي، بَعدَما ضاعَ الصِّبا، ... غرَضاً ، لَعَمْرُكِ يا أُمَيمَ ، بَعيدَا

ترى العين ما لا تنال اليد

تَحَمّلَ جيرانُنا عَنْ مِنًى ، ... وَقالُوا : النَّقا بَيْنَنا مَوْعِدُ

وَهَلْ نَاقِعٌ قَوْلُ ذي غُلّةٍ ، ... وَقَدْ بَعدَ الرَّكْبُ: لا يَبْعَدُوا[2]

تَنادَوْا بِأنّ التّنائي غَداً : ... لكَ السّوءُ مِنْ طالِعٍ ، يا غَدُ

فَلِلّهِ مَا جَمّعَ المَأزِمَا ... نِ وَجَمْعٌ لِقَلْبيَ وَالمَسْجِدُ

1 العقب : الآثار ، الواحدة عقبة . الفوادح : الخطوب ، الواحدة فادحة .

2 الناقع : المسكن . ذو الغلة : العطشان .

يُضَاعُ فَيُنشَدُ قَعْبُ الغَبُوقِ ، وَقَلْبِي يُضَاعُ ، وَلا يُنشَدُ[1]
وَغَيْداءَ مِنْ مَاطِلاتِ الدّيُونِ ، لهَا بالحِمَى زَمَنٌ أغْيَدُ
تَرِيعُ كمَا التَفَتَتْ ظَبْيَةٌ بِذِي البَانِ عَنّ لهَا المَوْرِدُ[2]
نَظَرْتَ وَهَيهَاتَ مِنْ نَاظِرَيْكَ ظِبَاءُ تِهَامَةَ يَا مُنْجِدُ
وَيَا رُبّمَا ، وَالهَوَى ضِلّةٌ ، تَرَى العَينُ مَا لا تَنَالُ اليَدُ

سقى الله

قال في معنى مثل القول فيه :

سَقَى اللهُ يَوْماً ساعَدَتنا كُؤوسُهُ ، عَلى حِينَ مَا جَادَ الزّمانُ بِمُسْعِدِ
جَلَوْنا عَلَيهِ الخَمرَ حتّى تكَشّفَتْ فَوَاقِعُهَا عَنْ لَوْنِهَا المُتَوَرّدِ
نَفَضْ لَنَا عَنْهَا حَبَاباً كَأنّهُ قَذًى يَتَمَشّى بَيْنَ أجفَانِ أرْمَدِ
وَنَدْمَانِ صِدْقٍ تَسْلُبُ الرّاحُ عَقلَه ، وَتَسْلُبُهَا خَدّاهُ حُسْنَ التَوَرّدِ
فَلا زَالَتِ الأيّامُ تَجرِي صُرُوفُهَا عَلَينا بمَغْبُوطٍ مِنَ العَيشِ سَرْمَدِ

١ القعب : القدح الضخم
٢ تريع : تخاف .

عيش رقيق ند

قال وكتب بها إلى صديق له :

حَطَطْتُ المَكَارِمَ عَنْ عَاتِقِي . وَجَرَّدَنِي الذُّلُّ عَنْ مَحْتِدِي
وَإِلاَّ . فَلا أَمَّنِي النَّازِلُونَ ، وَلا جَاءَنِي الطَّارِقُ المُجْتَدِي
وَلا قُلْتُ . إِنِّيَ عِنْدَ الفَخَا رِ . إِلاَّ لغَيْرِ أَبِي أَحْمَدِ
مَتَى حُلْتُ عَن وِدِّكَ المُصْطَفَى وَأَخْلَفَ مَا رُمْتُهُ مَوْلِدِي
سَأَلْقَاكَ بِالعَهْدِ عِنْدَ المَشِيبِ . وَهَا أَنَا فِي حِلْيَةِ الأَمْرَدِ
وَإِنِّي . إِذَا لَمْ أَجِدْ نَاصِراً . وَجَدْتُكَ أَنْصَرَ لِي مِنْ يَدِي
خُذِ الوَقْتَ . وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّبِيبَ يَأْخُذُ مِنْ يَوْمِهِ لِلغَدِ
فَمَا يَنْفَعُ المَرْءَ . بَعْدَ المَنُونِ . قَوْلُ النَّوَادِبِ : لا تَبْعَدِ
عَلَى أَنَّنِي تُحْفَةٌ لِلصَّدِيقِ يَرُوحُ بِنَجْوَايَ ، أَوْ يَغْتَدِي
وَإِنِّي لَيَأْنَسُ بِي الزَّائِرُونَ أَنِيسَ النَّوَاظِرِ بِالأُثْمُدِ
تُغَمِّضُ لِي أَعْيُنُ الحَاسِدِينَ . كَالشَّمْسِ فِي نَاظِرِ الأَرْمَدِ
فَلا دَخَلَ البُعْدُ مَا بَيْنَنَا ، وَلا فَكَّ مِنَّا يَداً عَنْ يَدِ
وَطُوِّلَ أَيَّامُنَا بِالمُقَامِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ رَقِيقٍ نَدِي

أول زلة وآخرها

هَبْ للدّيَارِ بَقِيةَ الجَلَدِ . وَدَعِ الدّمُوعَ وَبَاعِثَ الكَمَدِ
وَاذْهَبْ بِنَفسِكَ أنْ يُقالَ سَلا وَصَفَا لِدَاعِي العَذْلِ وَالفَنَدِ
أتَصُدُّ عَنْ طَلَلٍ رَعَيْتَ بِهِ مَا شِئتَ مِنْ هَيَفٍ وَمِنْ غَيَدِ
طَوَتِ اللّيَالي مِنْ مَعَارِفِهِ مَا كَانَ مِنْ عَلَمٍ وَمِنْ نَضَدِ
أمْسَى الهَوَى فيهِ بِلا أثَرٍ . وَجَرَى البِلَى فيهِ بِلا أمَدِ
وَلَقَدْ عَهِدْتُ رُبَاهُ جَامِعَةً بَيْنَ الظّبَاءِ الغِيدِ وَالأُسُدِ
أيّامَ مَنْ فَتَكَ الغَرَامُ بِهِ يَمْشِي بِلا عَقْلٍ وَلا قَوَدِ
إنّ الأُولى بَعَثُوا بِبَيْنِهِمُ مَا زَوّدُوا في القُرْبِ للبُعَدِ
مَا ضَرّهُمْ، وَالبَيْنُ يَحفِزُهمْ، لَوْ عَلّلُونَا بانْتِظَارِ غَدِ
وَجَدُوا وَمَا جادُوا، وَمُحْتَقِبٍ للّوْمِ مِنْ أثَرِي . وَلَمْ يَجِدِ[1]
لَيْتَ الّذِي عَلِقَ الرّجَاءُ بِهِ . إذْ لَمْ يَجُدْ للصّبّ لَمْ يَجُدِ
وَلَقَدْ رَأيْتُهُمُ . وَحَيُّهُمُ مُتَقَعْقِعُ الأطْنَابِ وَالعَمَدِ[2]
فَكَأنّمَا أقْنَى بَرَاثِنَهُ يَنْشَبْنَ بَيْنَ القَلْبِ وَالكَبِدِ

١ وجدوا : غضبوا ، أو حزنوا . المحتقب : الجامع .

٢ متقعقع : مضطرب .

وَغَرِيرَةٍ خَلْفَ السُّجُوفِ لَهَا نَسَبٌ إلى أوْمَانَةِ العُقُدِ[1]
خَرَجَتْ خُرُوجَ الرِّيمِ عَاطِلَةً ، وَبِجِيدِهَا حَلْيٌ مِنَ الجَيَدِ
تُجْرِي الأرَاكَ عَلَى مُفَلَّجَةٍ يَجْرِينَ مِنْ شَهْدٍ عَلَى بَرَدِ
عَنّي إليكِ ، فَلَسْتِ مِنْ أرَبي ، مَا أنتِ من غَيّي وَمِنْ رَشَدي
قَضَتِ اللّيَالي مِنْكِ مَأرَبَتي ، وَنَفَضْتُ من عَلَقِ الغَرَامِ يَدي
وَحَدَا النُّهَى وَالشّيبُ رَاحِلَتي ، عَلَى اسْتِقَامَاتي عَلَى الجَدَدِ
فَاليَوْمَ أتبعُ الزّمَامَ ، وَهَلْ يُغْني إبَايَ اليَوْمَ أوْ صَيَدي
لا تَقْرِ ، يا ضَيفَ الهُمومِ ، قِرًى ، إلاّ قِرَى العَيْرَانَةِ الأُجُدِ[2]
وَانهَضْ ، فإنْ لمْ تَحظَ في بَلَدٍ بالرِّزْقِ ، فَاقْطَعْهُ إلى بَلَدِ
وَابغِ العُلَى أبَداً ، فكَمْ طَلَبٍ قَدْ بَاتَ مِنْ نَيلٍ عَلَى صَدَدِ[3]
إمّا يُقَالُ : سَعَى ، فأحرَزَهَا ، أوْ أنْ يُقَالَ : مضَى ، وَلَمْ يَعُدِ
قُولا لهَذا الدّهرِ مَعْتَبَةً : أسرَفتَ بي ، يا دَهرُ ، فَاقتَصِدِ
كَمْ لَوْعَةٍ تُهدَى إلى كَبِدِي ، وَعَظِيمَةٍ تُلْقَى عَلَى كَتَدي
وَعَجَائِبٍ مَا كُنّ في فِكَرِي ، وَغَرَائِبٍ مَا دُرْنَ في خَلَدي
أيُصَاحُ بي عَنْ كُلّ صَافِيَةٍ طَرْداً إلى الأقْذَاءِ وَالثّمَدِ
وَأُسَامُ في أكْلاءِ مُوبِئَةٍ مُحْتَشُّهَا دُونَ السّوَامِ رَدِي

١ قوله : أومانة ، هكذا في الأصل ولم نجدها . العقد : اسم قبيلة وهو بسكون القاف وحرك للقافية
٢ العيرانة : الناقة تشبه العير بصلابتها . الأجد : القوية .
٣ الصدد : القرب .

هَلْ نَافِعِي ، وَالجَدُّ فِي صَبَبٍ، مَرِّي مَعَ الآمالِ فِي صُعُدِ
أَمْسَى عَلَيَّ مَعَ الزَّمَانِ أَخٌ قَدْ كُنْتُ آمُلُ يَوْمَهُ لِغَدِ
مَنْ كَانَ أَحنَى ، عِندَ نَائِبَةٍ ، مِنْ وَالِدِي وَأَبَرَّ مِنْ وَلَدِي
لَمْ يُثْمِرِ الظَّنُّ الجَمِيلُ بِهِ ، فَقَدِي مِنَ الظَّنِّ الجَمِيلِ قَدِي
لَوْ كَانَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ بَيْنِي وَبَيْنَ الذِّئْبِ وَالأَسَدِ
لأَوَيْتُ مِنْ هَذَا إِلى حَرَمٍ ، وَلَجَأْتُ مِنْ هَذَا عَلى عَضُدِ
وَلأَصْبَحَا فِي الرَّوْعِ مِنْ عَدَدِي كَرَماً وَفِي اللأْوَاءِ مِنْ عُدَدِي
وَلَمَانَعَا عَنِّي ، إِذَا جَعَلَتْ نُوَبُ الزَّمانِ تَهِيضُ مِن جَلَدِي
أَوْ كانَ مَا قَدَّمْتُ مِنْ مِقَةٍ سَبَباً إِلى البَغْضَاءِ لَمْ يَزِدِ
بَلْ لَوْ قَذَفْتُ بِمِدْحَتِي لَكُمُ فِي البَحْرِ ذِي الأَمْوَاجِ وَالزَّبَدِ
لَرَمَى إِلَيَّ أَشَفَّ جَوْهَرَةٍ ، وَسَقَى بِأَعذَبِ مَائِهِ بَلَدِي
كَمْ مِن مَطَالِبَ قَد عَقَدْتُ بِهَا طَمَعِي ، فَحَلَّ مَرَائِرَ العُقَدِ
وَأَعَادَنِي مِنْهَا عَلى أَسَفٍ ، وَأَبَاتَنِي فِيهَا عَلى ضَمَدِ
الفِعْلُ مَهْزَأَةٌ لِكُلِّ فَمٍ ، وَالعِرْضُ مِندِيلٌ لِكُلِّ يَدِ
فَلْيَثْبُتَنَّ الآنَ إِنْ ثَبُتَتْ قَدَمٌ عَلى جَمْرٍ لِمُعْتَمِدِ
وَلْيَصْبِرَنَّ لِوَقْعِ صَاعِقَتِي . وَيُوَطِّنَنَّ حَشاً عَلى الزُّؤُدِ[1]
فَلَتَدْخُلَنَّ عَلَيْهِ قُبَّتَهُ ، وَلاَّجَةٌ تَخْفَى عَلى الرَّصَدِ
وَهَوَاجِمٍ يَدْفَعْنَ كُلَّ يَدٍ ، وَنَوَافِذٍ يَهْزَأْنَ بِالزَّرَدِ

[1] الزؤد : الفزع .

كَالبِيضِ لا يُصْقَلْنَ عَنْ طَبَعٍ ، وَالسُّمْرِ لا يُغْمَزْنَ عَنْ أوَدِ
حَتّى يَذُوقَ لِحَدّ أنْصُلِهَا طَعْناً ، وَلا طَعْنَ القَنَا القَصَدِ
وَمَتَى يُوقِعْ فَلٌّ مِقْنَبِهَا . لَمْ أُخْلِهَا أبَداً مِنَ المَدَدِ[1]
أخْطَأتُ في طَلَبي . وَأخطَأ في يَأسِي ، وَرَدّ يَدِي بِغَيرِ يَدِ
فَلأجْعَلَنّ عُقُوبَتي أبَداً ، أنْ لا أمُدّ يَداً إلى أحَدِ
فَتَكُونَ أوّلَ زَلّةٍ سَبَقَتْ مِنّي ، وَآخِرَهَا إلى الأبَدِ

كريم القوم من خدم العلى

قال أيضاً وكان قد سافر إلى الكوفة وتحدث عنه أنه قد عزم على التوجه إلى مصر ثم عاد إلى بغداد فقال هذه القصيدة ينبىء عما في نفسه ويمدح فيها الأتراك وانه لا يفارقهم ويذم بعض أعدائه ويذكر فيهـا ملوك بني بويه :

تَزَوّدْ مِنَ المَاءِ النُّقَاخِ ، فَلَنْ تَرَى بِوَادي الغَضَا مَاءً نُقَاخاً وَلا بَرْدَا[2]
وَنَلْ مِن نَسيمِ الرَّنْدِ وَالبَانِ نَفحَةً ؛ فهَيهاتَ وَادٍ يُنبِتُ البَانَ وَالرَّنْدَا
وَعُجْ بالحِمَى عَيْناً ، فلَستَ برَامِقٍ طَوَالَ اللّيَالي ذَلِكَ العَلَمَ الفَرْدَا

١ المقنب : الجماعة من الخيل .
٢ الماء النقاخ : الماء البارد العذب الصافي .

وكُرٌّ إلى نَجْدٍ بِطَرْفِكَ إنّهُ ... متى يَعْدُ لا يَنظُرْ عقيقاً ولا نَجْدَا

تَلَفّتَ دُونَ الرّكْبِ والعينُ غَمْرَةٌ ... وَقَدْ مَدّها سَيلُ الدّمُوعِ بما مَدّا

لَعَلّي أرَى داراً بِأسْنِمَةِ النّقَا ... فَأطْرَبُنَا للدّارِ أقْرَبُنَا عَهْدَا

تَلاعَبُ بي بَيْنَ المَعَالِمِ لَوْعَةٌ ... فتَذهَبُ بي يأساً وَتَرْجِعُ بي وَجْدَا

مَنازِلُ نَاشَدْتُ السّحابَ فَما قضَى ... فَرِيضَتَها عنّي السّحابُ. وَلا أدّى

وَهَلْ بَالغٌ مَا يَبْلُغُ الدّمعُ عِندَهَا ... حَقَائبَ غَيثٍ تحملُ البرْقَ وَالرّعْدَا

أمنكِ الخيالُ الطّارِقي بَعدَ هَجعَةٍ ... يُعاطي جوَى الظّمآنِ مُبتَسماً بَرْدَا

دَنَا مِنْ أعَالي الرّقمتَينِ، وَمَا دَنَا، ... وَصَدّ وَقَدْ وَلّى الظّلامُ. وَما صَدّا

وَمِنْ عَجَبٍ رَيّي وَما نَقَعَ الصّدَى، ... وَعَدّي لَهُ مَنّاً عَليّ. وَما اعتَدّا

أساءَ لَيَالي القُرْبِ نَأياً وَهِجْرَةً ... وَأسدَى على بُعدٍ من الدارِ ما أسدَى

أفي كُلّ يَوْمٍ للمَطامِعِ جاذِبٌ ... يُجَشّمُني ما يُعجِزُ الأسدَ الوَرْدَا

كَأنّي إذا جادَلْتُ دونَ مَطالِبي ... أجَادِلُ لِلأيّامِ ألْسِنَةً لُدّا

أحُلّ عُقُودَ النّائبَاتِ. وَأنْثَني ... وَخَلفي يَدٌ للدّهْرِ تُحكِمُها عَقْدَا

إذا مَا نَفَذْتُ السّدّ مِنْ كلّ حادثٍ ... رَأيتُ أمامي دُونَ مَا أبْتَغي سَدّا

أأتْرُكُ أمْلاكاً رِزَاناً حُلُومُهُمْ ... حُلُولاً عَلى الزّوْرَاءِ أيمانُهُمْ تَنْدَى

كَأنّكَ تَلْقَى مِنْهُمُ أجَمِيّةً ... مُؤلّلَةَ الأنيَابِ أوْ قُلَلاً صَلْدَا[1]

[1] الأجمية : نسبة إلى الأجمة : مثوى الأسد . والأرد أسد . مؤللة : محددة . القلل ، الواحدة قلة : أعلى الشيء . الصلد : الصلب . وقد وصف الجمع هنا بالمفرد . إلا إذا كان في عجز البيت تحريف ، لأن معنى قلل صلد غامض .

وَلا يَـأنَفُ الجَبّارُ أنْ يَحتَفيهِمُ ، وَلا الحُرُّ يأبَى أن يكُونَ لهم عَبدَا

إذا مَا عَدِمْنَا الجُودَ منهُمْ لعِلّةٍ ، فلَنْ نَعدَمَ العَليَاءَ منهم وَلا المَجدَا

وَإنّ كَرِيمَ القَوْمِ مَنْ خَدَمَ العُلى؛ وَإنّ لَئيمَ القَوْمِ مَن خَدَمَ الرِّفْدَا

إذا مَا طَرَقْتَ المَرْءَ منهُمْ وَجَدْتَهُ على النّارِ لا كابي الزِّنادِ وَلا وَغْدَا

لهُمْ كُلُّ مَوْقوذٍ مِنَ التّاجِ رَأسُهُ غَنيٍ بالعُلى أنْ يَنسُبَ الأبَ وَالجَدَّا[1]

نُحَاسِنُ أقْمَارَ الدُّجَى بِوُجُوهِهِم فَنَبْهَرُهَا نُوراً وَنَغْلِبُهَا سَعدَا

تَخَالُهُمُ غيداً، إذا بَذَلُوا النّدَى، وَتحسَبُهمْ جِنّاً، إذا ركبوا الجُرْدَا

إذا طَرِبُوا للجُودِ أمطَرْتَهُمْ حَيّاً ؛ وَإنْ غَضِبُوا للمَجدِ هيّجتَهمْ أسدَا

وَأنقُلُ بَيْتي في البِلادِ مُجَاوِراً بُيُوتَ المَخازِي قد ضَلَلتُ إذاً جِدّا

خِيَاماً قَصيرَاتِ العِمَادِ تَخَالُهَا كِلاباً على الأذنابِ مُقعِيَةً رُبْدَا

إذا عَزّ مَاءٌ بَينَهُمْ وَرَدُوا القَذَى؛ وَإنْ قَلّ زَادٌ عندَهمْ مَضَغُوا القِدّا

تَرَى الوَفْدَ عَن أعطانِهِمْ وَقِبَابِهِمْ مِنَ اللّؤمِ أنأى مِنْ نَعامِهِمْ طَرْدَا

أأتْرُكُ أمْطَاءَ السّوَابِقِ ضِلّةً ، وَأستَحمِلُ الحَاجَاتِ أحمِرَةً قُفْدَا[2]

لرَأيٍ لَعَمْرِي غَيرِ دانٍ مِنَ النُّهَى، وَلا وَاسِطٍ في الحَزْمِ قَبْلاً وَلا بَعدَا

فَلا طَرَبٌ إنْ زِدْتُ قُرْباً إلَيْهِمُ ؛ وَلا أسَفٌ إنْ زَادَ مَا بَينَنَا بُعْدَا

كَعَمتُ لساني أنْ يَقولَ ،وَإنْ يَقُلْ ، فقُلْ في الجِرازِ العَضْبِ إن فارَقَ الغمدَا

وَإنّ بُرُوداً للمَخَازِي مُعَدّةٌ ، فمَنْ شاءَ في ذا الحَيّ أسحَبْهُ بُرْدَا

---

١ الموقوذ ، لعله من وقذه النعاس : غلبه كأنه سكران ، أو من وقذه : تركه عليلا .

٢ القفد ، الواحد أقفد : المسترخي العنق .

قلائدُ في الأعناقِ بالعارِ لا تَهي ... على مرّ أيامِ الزّمانِ ، ولا تَصْدا

إذا صَلصلَتْ بَينَ القَنا قَصَفتِ القَنا ، ... وإنْ زَفرَتْ بالسّرْدِ قطّعتِ السّرْدا

لمَا بَينَ أعرَاضِ الرّجالِ قَعاقِعٌ ، ... مَدارِجُها أسعَى من الغُرّ أوْ أعدَى[1]

أآلَ بُوَيْهٍ ما نَرَى النّاسَ غَيرَكمْ ، ... ولا نَشتَكي للخَلْقِ أوْلاكمُ فَقدا

نَرَى مَنعَكُمْ جُوداً ومَطلَكُمْ جَداً ، ... وَإذلالَكُمْ عِزّاً وإمرارَكم شَهدا

وعَيشَ اللّيالي عِندَ غَيرِكُمُ رَدًى ، ... وَبَرْدَ الأمَاني عِندَ غَيرِكمُ وَقْدا

إذا لمْ تَكُونُوا نازِلي الأرْضِ لم نجِدْ ... بها الوَادِيَ المَمطورَ وَالكَلأ الجَعْدا

وَيُنْبِطُ مِحفَارِي بِأرْضِكُمُ الغِنَى ، ... إذا ما نَبا عن جانبِ اللّؤمِ أوْ أكدَى[2]

وكُنتُ أرَى أنّي مَتى شِئتُ دونَكُمْ ... وَجَدْتُ مَجازاً للمَطالِبِ أوْ مَعدَى

فلَمْ أرَ لي مِنْ مَطلَعٍ عَن بِلادكم ، ... ولا مِنْ مَرَاحٍ للأمَاني ولا مَغدَى

خُذُوا بزِمَامي قَدْ رَجَعْتُ إليكُمُ ، ... رُجُوعَ نَزِيلٍ لا يرَى منكُمُ بُدّا

أُرِيدُ ذَهَاباً عَنكُمُ ، فيَرُدّني ... إلَيكُمْ تجارِيبُ الرّجالِ ، ولا حَمدا

[1] الغر ، الواحد الأغر : وهو من الخيل ما كان بجبهته غرة

[2] ينبط : يستخرج الماء . أكدى : قطع ومنع .

مغلقو الجود

أرَى وُجُوهاً وَأيْمَاناً مُقَفَّلَةً ، فَمُغْلَقُ البِشرِ مِنها مُغلَقُ الجُودِ
مُعَبَّسِينَ لِئَلاَّ يُحْدِثُوا طَمَعاً لِلسّائِلِينَ ، وَلا يُوفُوا بِمَوْعُودِ
نَوَالُهُمْ بَيْنَ صَعْبِ النَّيْلِ مُمتَنِعٌ بالمَطلِ أوْ مُستَخَسِّ القَدرِ مَرْدودِ

جنود ادی

هَوًى لَكُما إنّ الشّبابَ يُعَادُ ، وَإنّ بَيَاضَ العَارِضَينِ سَوَادُ
وَإنّ اللّيَالي عُدْنَ ، وَالحَيُّ جيرَةٌ ، كَمَا كُنّ ، أمْ لا ! مَا لهنّ مَعَادُ
حَنَنتُ إليكُم حَنّةَ النِّيبِ أصْبَحتْ تَلُوبُ عَلى المَاءِ الرّوَى وَتُذَادُ[1]
تَوَانٍ بِأعنَاقِ الغَلِيلِ ، وَقد حوَى مَشَارِعَهُ عَذْبُ الجُمامِ بُرَادُ[2]
دَعِ الوَجْدَ يَبلُغْ ما أرادَ ، فما الهوَى بِدانٍ ، وَلا عَهْدُ الدّيَارِ مُعَادُ

[1] النيب ، الواحدة ناب : الناقة المسنة . تلوب : تحوم حول الماء . الروى : الماء الغزير المروي . تذاد : تدفع ، تمنع .

[2] قوله : توان بأعناق الغليل ، هكذا في الأصل ولعلها محرفة . المشارع ، الواحدة مشرعة : مورد الماء . الجمام : الماء الكثير المجتمع . البراد : البارد .

وَإنّ بذاكَ الجِزْعِ وَحْشاً غَريرَةً ، تَصيدُ ، وَأعيَا النّاسَ كيفَ تُصَادُ

إذا أنبَضَ الرّامي رَمَيْنَ فُؤادَهُ ، فَظَلّ ، وَلَمْ يُمْلَكْ لَهُنّ قِيَادُ

غَداةَ وَقَفْنَا ، وَالدّمُوعُ مُرِشّةٌ ، كَأنّ عُيُونَ الوَاقِفِينَ مَزَادُ

أبَى طُولُ هَمٍّ أنْ تكونَ مَضَاجعٌ ، وَغُزْرُ دُمُوعٍ أنْ يُكَنّ رُقَادُ

فَبَيْنَ ضُلُوعي وَالهُمُومِ تَقَارُعٌ ؛ وَبَينَ جُفُوني وَالمَنَامِ طِرَادُ

لَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ ، وَالنّوَى مُطمئنّةٌ ، سَلِيمٌ لَهُ يَوْمَ الفِرَاقِ عِدَادُ[1]

فَيَا بَيْنُ لمْ تَنفَعْ إلَيكَ وَسيلَةٌ ؛ وَيا وَجْدُ لمْ يَسلَمْ عَلَيكَ فُؤادُ

حَلَفْتُ بِأيدِيهِنّ في كُلّ مَهْمَهٍ ، عَلَيهِنّ مِنْ بَاقي الظّلامِ سَوَادُ

كأيدي العَذارَى الفاقِداتِ تَدارَعَتْ لِلَدْمِ الطُّلَى أطمارُهنّ حِدادُ[2]

خَوَانِفُ ، مَهْبُوطٌ بهِنّ عَشِيّةً ، قَرَارٌ ، وَمَطْلُوعٌ بهِنّ نِجَادُ[3]

تُقَصّ بِآثَارِ الدّمَاءِ ، كَأنّها مَسَاحِبُ جَرْحَى يَوْمَ طَالَ طِرَادُ

يُطَيِّرْنَ بِالوَقْعِ الشّرَارَ ، كأنّمَا مَنَاسِمُهَا تَحْتَ الظّلامِ زِنَادُ

كَأنّ الدّجَى وَالفَجرُ يرْكَبُ عقِبَه نَزَائِعُ دُهْمٍ خَلْفَهُنّ وِرَادُ

أزِيزُ سُرًى ما فيهِ للغَمضِ مَطمَعٌ ، كَأنّ قُتُودَ اليَعْمَلاتِ قَتَادُ[4]

رَوَامٍ إلى جَمْعٍ كَأنّ رُؤوسَهَا قِبَابٌ بَنَتْهَا بِالمَرَاقِبِ عَادُ

١ العداد : الجنون ، ووقت الموت .

٢ قوله : تدارعت لعلها تدرعت : لبست دروعها أي قمصانها . أو أنها محرفة . اللدم : اللطم . الطلى ، الواحدة طلية وطلاة : العنق . أطمارهن : ثيابهن الرثة .

٣ الخوانف ، الواحدة خانفة : الشامخة بأنفها .

٤ الأزيز : شدة السير . القتود ، الواحد قتد : الرحل . القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر .

يُجَعجِعنَ أجلاداً وَهاماً رَوَاجِفاً ، وَهُنّ عَلى مَا نَابَهُنّ جِلادُ[1]

لِحَيٍّ عَلى الجَرْعَاءِ الأمِ رِحْلَةٍ إذا ظَعَنُوا سَاقُوا العُيُوبَ وَقَادُوا

إذا رَحلُوا عَنْ خِطّةِ اللّؤمِ خالفوا إلَيْهَا بِأعْنَاقِ المَطِيّ وَعَادُوا

لهمْ مَجْلِسٌ ما فيهِ للمَجْدِ مَقعَدٌ ، وَمَرْبَطُ عَارٍ مَا عَلَيْهِ جِيَادُ

بُيُوتُهُمُ سُودُ الذُّرَى ، وَلِنَارِهِمْ مَوَاقِدُ بِيضٌ مَا بِهِنّ رَمَادُ

لَهُمْ حَسَبٌ أعمَى أضَلّ دَلِيلَهُ ، فَلَمْ يَدْرِ في الأحْسابِ أينَ يُقَادُ

تَحَيّرَ في الأحْيَاءِ ذُلاًّ مَتَى يَرُمْ سَبِيلَ العُلَى يُضْرَبْ عَلَيْهِ سِدادُ

لَهُ عَنْ بُيُوتِ الأكْرَمِينَ دَوَافِعٌ ؛ وَعَنْ هَضَبَاتِ المَاجِدِينَ ذِيَادُ

قِبَابٌ يُطَاطِي اللّؤمُ مِنْهَا كَأنّها، وَلَوْ رُفِعَتْ فَوْقَ الجِبَالِ ، وِهَادُ

وَأيْدٍ جُفُوفٍ لا تَلِينُ ، وَإنّهَا ، وَلَوْ مَطَرَتْ فِيهَا الغُيُومُ ، جَمادُ

لهنّ عَلى طَرْدِ الضّيُوفِ تَعَاقُدٌ ، هِرَاشُ كِلابٍ بَيْنَهُنّ عِقَادُ

تُصَانُ النُّصُولُ النّابِيَاتُ ، وَعندَهم نُصُولٌ مَوَاضٍ مَا لهنّ غِمَادُ

أمَا كانَ فيكُمْ مُجمِلٌ ، أوْ مُجامِلٌ ، إذا لمْ يَكُنْ فيكُمْ أغَرٌّ جَوَادُ ؟

فَلا مَرْحَباً بالبَيْتِ لا فيهِ مَفزَعٌ لِلاجٍ ، وَلا للمُسْتَجِنّ عِمَادُ[2]

فَلا تُرْهِبُوني بِالرّمَاحِ سَفَاهَةً ، فَعِيدانُ أوْطَانِي قَناً وَصِعَادُ

وَلا تُوعِدُونِي بِالصّوَارِمِ ضِلّةً ، فَبَيْنِي وَبَينَ المَشْرَفيّ وِلادُ

سأمضَغُ بالأقوَالِ أعرَاضَ قَوْمكُمْ ، وَللقَوْلِ أنْيَابٌ لَدَيّ حِدَادُ

١ يجعجعن ، من جعجع البعير : حركه للإناخة والنهوض ، بركه . الاجلاد : الأجسام .
٢ لاج : مسهل لاجيء .

تَرَى للقَوَافي ، وَالسّمَاءُ جَلِيّةٌ ، عَلَيْكُمْ بِرُوقٌ جَمّةٌ وَرِعَادُ
فحَمْداً لآلِ الغَوْثِ إنّ أكُفّهُمْ سِبَاطُ الحَوَاشِي ، وَاللِّمَامُ جِعَادُ
إذا وَقَفُوا في المَجدِ خافُوا نَقيضَهُ ، فتَمّوا عَلى عُنْفِ السّيَاقِ وَزَادُوا
أقامُوا بِأقْطَارِ العُلَى ، وَتَنَاقَلُوا عَلَيها وَأبْدَوْا في العُلَى ، وَأعادُوا
إلى حَسَبٍ منهُ عَلى البَدْرِ عِمّةٌ ، وَفي عَاتِقِ الجَوْزَاءِ مِنْهُ نِجَادُ
بِمَنْ تَنزِلُ الحَاجاتُ،يا أُمّ مالكٍ ، وَأيْنَ رِجَالٌ تُعتَفَى وَبِلادُ !
حبَستُ مَقالي مَحبَسَ البُدنِ أبتَغي بِهِ عِوَضاً جَمّاً ، وَلَيسَ يُرَادُ
أرَى زُهْدَ مُستَامٍ وَأرْجُو زِيَادَةً ، ضَلالاً ، أبَيْنَ الزّاهِدِينَ أُزَادُ
فَلا اخضَرّ وَادٍ أنتُمُ مِنْ حِلالِهِ ، وَلا جِيدَ مَا جَادَ البِلادَ عِهَادُ
وَلا رُفِعَتْ نارٌ لكُمْ مِنّيَ لَيْلَةٍ . وَلا رَاحَ مَالٌ طارِفٌ وَتِلادُ
فَما للنّدَى فيكُمْ نَصيبٌ وَسَهمُهُ ، وَلا لِلأمَاني مَسْرَحٌ وَمُرَادُ
ألا إنّ مَرْعَى الطّالِبِينَ هَشَائِمٌ لَدَيكُمْ ، وَوِرْدَ الآمِلِينَ ثِمَادُ
لَكُمْ عِقْدَةٌ قَبْلَ النّوَالِ مَرِيرَةٌ ، وَدَاهِيَةٌ بَعْدَ النّوَالِ نَآدُ
زَرَعْتُم وَلَكِنْ حالَ من دونِ زَرْعِكُم جُنُودُ أذًى مِنهَا دَبًى وَجَرَادُ

غارة الجليد

قال في سقوط الثلج ببغداد الذي لم يرَ
مثله وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٣٩٨ :

أرَى بَغدادَ قَدْ أخنَى عَلَيهَا ، وَصَبّحَهَا بِغَارَتِهِ الجَليدُ
كَأنّ ذُرَى مَعالِمِهَا قِلاصٌ نَوَاءٍ كُشّطَتْ عَنْهَا الجُلُودُ[1]
كَأنّ بِهِ لُغَامَ العِيسِ بَاتَتْ تُسَاقِطُهُ عِجَالُ الزّجرِ قُودُ
غَطَى قِمَمَ النّجادِ ، فكلُّ وَادٍ عَلى نَشَزَاتِهِ سِبٌّ جَدِيدُ[2]
كَمَا تَعرَى بِهِ الغِيطانُ مَحْلاً ، وَتَغْبَرُّ التّهَايِمُ وَالنّجُودُ[3]
فَمَهما شِئْتَ تَنظُرُ مِنْ رُبَاهَا إلى بِيضٍ عَوَاقِبُهُنّ سُودُ
أقُولُ لَهُ ، وَقَدْ أمْسَى مُكِبّاً عَلى الأقطَارِ يَضْعُفُ، أوْ يَزِيدُ :
وَرَاءَكَ ، فَالخَوَاطِرُ بَارِدَاتٌ عَلى الإحْسانِ ، وَالأيدِي جُمودُ
وَإنّكَ لَوْ تَرُومُ مَزِيدَ بَرْدٍ إلى بَرْدٍ ، لأعْوَزَكَ المَزِيدُ

١ القلاص ، الواحدة قلوص : الناقة الشابة . نواء ، الواحدة نائية : البعيدة .
٢ غطى : ستر . نشزاته : مرتفعاته . السب : الخمار والعمامة .
٣ الغيطان ، الواحد غوط : المطمئن الواسع من الأرض . التهايم : الأراضي المنحدرة إلى البحر

ردوا تراث محمد

رُدّوا تُرَاثَ مُحَمَّدٍ رُدّوا ، لَيسَ القَضيبُ لكُمْ ، ولا البُرْدُ[1]

هَلْ عَرَقَتْ فيكُمْ كَفَاطِمَةٍ ، أمْ هَلْ لَكُمْ كَمُحَمَّدٍ جَدّ

جُلُّ افتِخَارِهِمُ بِأنّهُمُ عِنْدَ الخِصَامِ مَصَاقِعٌ لُدّ[2]

إنّ الخَلائِفَ وَالأولى فَخَرُوا بِهِمُ عَلَيْنَا قَبْلُ ، أوْ بَعْدُ

شَرُفُوا بِنَا وَبِجَدّنَا خُلِقُوا ، وَهُمُ صَنَائِعُنَا . إذا عُدّوا

بان عهد الشباب

بانَ عَهْدُ الشّبابِ مِنكُمْ حميداً ، وَجَديداً لَوْ كَانَ دامَ جَديدَا

فَتَرَى الظّاعنَ المُقَوَّضَ بَيْتَيْـ ـهِ يُرَجّي من قُلعَةٍ أنْ يَعُودَا[3]

1 القضيب : أراد به قضيب الملك ، الصولجان . البرد : أراد بردة النبي التي كان يتوارثها الخلفاء ويلبسونها في الأعياد .

2 المصاقع ، الواحد مصقع : البليغ العالي الصوت . اللد : الشديد .

3 القلعة : الرحلة .

لا يُرَى ناقِلاً إلى الحَيّ رِجْلاً ، لا ولا ثانِياً إلى الدّارِ جِيداً
فإذا شِئْتَ أنْ تُبَكّي لَيالِيـ ـهِ ،فمِلآنَ قُلْ لعَينَيكَ جُوداً![1]

لكل هبوب ركود

أُحاجي رِجالاً : ما مَلابِسُ سُودُ ، جَدائِدُ لا يَبْقَى لَهُنّ جَديدُ؟
سَحائِبُ تَمضِي بالفَتى ،فَصَوَاعقٌ ، وَغَيْثٌ ، وَهَيفٌ زَعزَعٌ وَبُرُودُ[2]
كَذلكَ ، وَالأيّامُ نُعمَى وَأبْؤسٌ ، لِكُلّ هُبُوبٍ ، يا أُمَيمَ، رُكُودُ

اقتدح بفؤادي

يَا قَادِحاً بِالزِّنَادِ ، مُرْ ، فَاقتَدِحْ بفُؤادِي
نَارُ الغَضَا دُونَ نَارِ الـ قُلُوبِ وَالأكْبَادِ

[1] ملآن : من الآن .
[2] الهيف : الريح الحارة .

أمير المؤمنين

قال ويعني نفسه :

هَذا أميرُ المُؤمِنِينَ مُحَمَّدٌ ، كَرُمَتْ مَغارِسُهُ وَطابَ المَوْلِدُ
أوَمَا كَفَاكَ بِأنَّ أمّكَ فَاطِمٌ ، وَأبُوكَ حَيْدَرَةٌ ، وَجَدُّكَ أحمَدُ
يُمسِي، وَمَنزِلُ ضَيفِهِ لا يُحتَوَى كَرَماً ، وَبَيْتُ نُضَارِهِ لا يُقْلَدُ

غيري أضلكم

غَيرِي أضَلّكُمُ ، فلِمْ أنَا نَاشِدُ، وَسِوَايَ أفقَدَكُمْ ، فلِمْ أنا وَاجِدُ
عَجَباً لَكُمْ يأبَى البُكاءَ أقَارِبٌ مِنكُمْ ، وتَشْرَقُ بالدّموعِ أباعِدُ

أسلاب الأسود

أتَوْا بِمَخالِبِ الآسَادِ سُلّتْ بَرَاثِنُهَا ، وَأشْلاءِ الجُلُودِ
وَأيُّ مُمَنَّعٍ يَأبَى عَلَيْهِمْ ، إذا آبُوا بِأسْلابِ الأُسُودِ

عقود العقود

ظَبْيٌ بِرَامَةَ كُحْلُهُ مِنْ طَرْفِهِ . يَرْمِي القُلُوبَ وَحَلْيُهُ مِنْ جِيدِهِ
بَاتَتْ تَرَائِبُهُ وِشَاحَ وِشَاحِهِ ، وَغَدَتْ مَضَاحِكُهُ عقودَ عُقُودِهِ

رشاش كالإبر

مِنْ كُلِّ سَارِيَةٍ كَأَنَّ رَشَاشَهَا إبَرٌ تُخَيِّطُ للرِّيَاضِ بُرُودْ
نَثَرَتْ فَرَائِدَهَا . فنَظَمتِ الرُّبَى مِنْ درِّهِنَّ قَلائِداً وَعُقُودْ

بعاداً

بعاداً، فلَيتَ اليَمَّ دُونَكَ أزْبَدَا . وَلَيتَ مَكانَ الطَّوْقِ مِنكَ المُهَنَّدَ
أعَذْلاً على أنْ أصْحِبَ الجودَ مِقْوَدي ، وَأرْهُنَ في كَسْبِ المَكارِمِ لي يَدَ

خيام كالكلاب

وَلاحَتْ لَنَا أبْيَاتُ آلِ مُحَرِّقٍ ، بِهَا اللّؤمُ ثاوٍ لا يَرُوحُ وَلا يَغْدُو
خِيَامٌ قَصِيرَاتُ العِمَادِ ، كَأنّها كِلابٌ عَلى الأذْنَابِ مُقْعِيَةٌ رُبْدُ

مشغول بالهوى

جَعَلْتُ لكَ الفَرْخَيْنِ يا نَصرُطُعمةً ، فقُمْ غَيرَ رِعديدٍ لِنَفسِكَ وَاقعُدِ
فَإنّيَ مَشْغُولٌ عَنِ الرّأيِ بالهَوَى . وَبابنِ سُرَيْجٍ وَالغَرِيضِ وَمَعْبَدِ[1]

لبيك

أقُولُ لَبّيْكَ ، وَلَمْ تُنَادِ . مَا أوْقَعَ المَوْتَ عَلى الجَوَادِ
مَا كُنْتَ إلاّ حَيّةً بِوَادِ . وَأسَداً عَلى العَدُوّ عَادِ
وَرُبّ جَارٍ لي مِنَ الأعَادِي ، أقَامَ بَعْدَ ذِلّةٍ عِمَادِي
كَأنّهُ في الكُرَبِ الشّدَادِ ، جَارُ الحُذاقيّ أبي دُوَادِ[2]

[1] ابن سريج والغريض ومعبد : مغنون مشهورون .
[2] الحذاقي : الفصيح .

حرف الذال

طاعة العذل أذى

قال في الغزل رحمه الله :

تَرَى النّازِلِينَ بِأرْضِ العِرَا — قِ ، قَدْ عَلِموا أنّ وَجدي كَذَا
فَلا حَبّذا بَلَدٌ بَعْدَهُمْ ، — وَإنْ أُوطِنُوهُ ، فَيَا حَبّذَا
دَنَا طَرَبٌ ، وَالهَوَى نَازِحٌ ، — فَيَا بُعْدَ ذاكَ ، وَيَا قُرْبَ ذَا
هَوًى لي أطَعْتُ بِهِ العَاذِلِينَ ، — وَمَا طَاعَةُ العَذْلِ إلاّ أذَى
وَكُنْتُ أُقَذّي بِهِ نَاظِرَيّ ، — فَمُذْ غَابَ صَارَ لِعَيْنَي قَذَى[1]

[1] أقذي : أخرج القذى من ناظري . والقذى : ما يقع في العين فيؤذيها .

حرف الراء

صفقة الغبن

يمدح بهاء الدولة ويهنئه بنيروزه

مَا للبَيَاضِ وَالشَّعَرْ ... مَا كُلُّ بِيضٍ بِغُرَرْ
صَفْقَةُ غَبْنٍ في الهَوَى ... بَيْعُ بَهِيمٍ بِأغَرّ
صَغّرَهُ في أعيُنِ الغيدِ ... بَيَاضٌ وَكِبَرْ
لَوْلا الشّبَابُ مَا نَهَى ... عَلى المَهَا ، وَلا أمَرْ
ما كَانَ أغْنَى لَيْلَ ذا المَفْرِقِ عن ضَوْءِ القمرْ
قَدْ كَانَ صُبْحُ لَيْلِهِ ... أمَرّ صُبْحٍ يُنْتَظَرْ
وَاهاً ، وَهَلْ يُغْني الفَتَى ... بُكَاءُ عَيْنٍ لأثَرْ
يَا حَبّذَا ضَيْفُكَ مِنْ ... مُفَارِقٍ ، وَإنْ عَذَرْ
أيْنَ غَزَالٌ دَاجِنٌ ، ... رَأى البَيَاضَ ، فَنَفَرْ
هَيهَاتَ رِيمُ السّرْبِ لا ... يَدْنُو إلى ذِيبِ الخَمَرْ[1]

1 الريم : الغزال . الخمر : ما يواريك من الشجر وغيره .

يا دَهْرُ ! مَا ذَنْبُكَ فِي   مَا رَابَنِي بِمُغْتَفَرْ

رُبَّ ذُنُوبٍ لِلفَتَى   لَيْسَ لَهَا اليَوْمَ عِذَرْ

أقْصِرْ فَقَدْ جُزْتَ المَدى   مُجَامِلاً ، أوْ فَاقْتَصِرْ

الآنَ إذْ لَفَّ النُّهَى   مِرَّةَ حَزْمٍ بِمِرَرْ[1]

وَعَادَ مُنْصَاتي عَلَى   أيْدِي اللّيَالي يَنْأطِرْ[2]

وَسَالَمَتْ شَمَائِلي ،   جِنُّ العَرَامِ وَالأشَرْ[3]

كَانَ ظَلاماً، فَانْجَلَى الـ   يَوْمَ ، وَظِلاًّ فَانحَسرْ

أقْسَمْتُ بالأطْلاحِ قَدْ   أدْمَجَ مِنْهُنَّ الضَّمَرْ[4]

كَأنّ أيْدِيهَا يُلا   طِمْنَ مِنَ المَرْوِ إبَرْ[5]

يُمْطَلْنَ بالعُشْبِ ، فَلا   رِعْيٌ لَهَا إلاّ الجِرَرْ[6]

كُلُّ عَلاةٍ تَتّقي السّوْ   طَ بِمَجْدُولٍ مُمَرّ

كَأنّهَا حَنِيّةٌ ،   إلاّ اللِّيَاطَ وَالوَتَرْ[7]

يَحْمِلْنَ كُلّ شَاحِبٍ،   طَوَى اللّيَالي وَنَشَرْ

مُلَبِّداً يَرْمي إلى   مَكّةَ حَصْبَاءَ الوَبَرْ

١ المرة : قوة الخلق . المرر ، الواحدة مرة : طاقة الحبل .

٢ المنصاة من النصي : عظم العنق . ينأطر : يتعطف .

٣ جن العرام : معظم الشراسة والأذى . الأشر : البطر .

٤ الأطلاح : الإبل . أدمج : لف . الضمر : الهزال .

٥ المرو : حجارة بيض رقيقة .

٦ الرعي : ما يرعى ، الكلأ . الجرر ، الواحدة جرة : ما يفيض به البعير فيأكله ثانية

٧ الحنية : القوس . اللياط : قشرة القصبة ، القناة ، القوس .

إذا رَأى أعْلامَهَــا عَجّ إلَيْهَــا وَجَــأرْ
أمّ اللّوَى ثُمّ نَحَا الـ خَيْفَ . وَلَبّى وَجَمَرْ
في مُحْرِمينَ بَــدّلُوا الـ غَيْظَ بِتَعقَادِ الأُزُرْ
إنّ قِوَامَ الدّينِ أوْ لى بِالعُلَى مِنَ البَشَرْ
وَبِالجِيَــادِ وَالقَنَا . وَبِالعَدِيدِ وَالنّفَرْ
وَبِالمَقَــاوِيمِ العُــلا . وَبِالمَعَاظِيمِ الكُبَرْ
مُهَذّبُ الأعْيَاصِ في الـ آبَاءِ مُخْتَارُ الشّجَرْ
مُفْتَرِشٌ لِلمُلْكِ أحْ لَى في المَعَالي وَأمَرّ
في صِبْيَةٍ تَفَوّقُوا . مِنْ حَلَبِ العِزّ دِرَرْ
مَلاعِبٌ بَيْنَ قِبَــابِ المُلْكِ مِنهمْ وَالحَجَرْ
مِنْ مَعشَرٍ لمْ يُخْلَقُوا إلاّ لِنَفْعٍ . أوْ ضَرَرْ
لِسَدّ ثَغْرٍ فَاغِرٍ . بالبِيضِ . أوْ طَعْنِ ثُغَرْ
كَانُوا ثُمَالَ النّاسِ وَالـ أمْنَ . إذا مَا الأمْرُ هَرّ[1]
أيّامَ لا نَلْقَى لَنَــا مُعْتَصَماً . وَلا وَزَرْ
جَرّوا إلى طَعْنِ العِدَى أرْعَنَ هَدّادَ المَجَرّ[2]
جَحافِلاً . كَالسّيْلِ أبْ قَى غَمْراً بَعْدَ غَمَرْ[3]

٢ ارعن : اي جيش ارعن له فضول .
٣ غمراً بعد غمر : شدة بعد شدة ، مكروه بعد مكرو

قَدْ لَبِسَتْ جِيَادُهَا بَرَاقِعاً مِنَ الغُرَرْ
ضُمَّرٌ كَأَمْثَالِ القَنَا ، لَوْلا السَّبِيبُ وَالعُذَرْ
مُعْجِلَةٌ فُرْسَانُهَا حَتَّى عَنِ الدِّرْعِ تُزَرْ
يَقْرَعُ فِيهِنَّ القَنَا ، وَقْعَ المَدَارِي في الشَّعَرْ
أَلَمْ أَكُنْ أَنْهَى العِدَى عَنْ نابِ نَضْنَاضٍ ذَكَرْ
لَهُ إلَيْهِمْ مَسْحَبٌ يَهْدِي المَنَايَا وَمَجَرّ
مُجَالِياً بِكَيْدِهِ ، إنْ عَاجَزَ القَوْمَ أَسِرْ
يُمْسِي بَطِيناً مِنْ دَمِ الـ أعداءِ وَهوَ مُضْطَمِرْ
يَنَامُ لا عَنْ غَفْلَةٍ ، عَيْناً ، وَبالقَلْبِ سَهَرْ
مَا ضَرَّهُ مِنْ سَمْعِهِ أَنْ لا يُعَانَ بِالبَصَرْ
بَقِيَّةٌ مِنْ قِدَمِ الـ أَضْلالِ وَقَادُ النَّظَرْ
وَمُوجَدُ المَتْنَيْنِ إنْ صَمَّمَ للعَقْرِ عَقَرْ
كَأَنَّ في سَاعِدِهِ وَعْياً وَعَى ثُمَّ جَبَرْ
كالقَاتِلِ اعتَامَ القِوَى بَعْدَ القِوَى ثُمَّ شَزَرْ
مُخَفَّضُ الجَأْشِ ، إذا صَاحَ بِهِ الجَمْعُ وَقَرْ
أَخْبَرَ خَافي الشَّخْصِ إلا بِالمَقَامِ المُشْتَهَرْ
يُقْعِي بِنَجْدٍ وَالحِمَى ، مِنْ وَثْبَةٍ عَلى غَرَرْ
مُبْتَرِكٌ الصَّالي عَلى النَّارِ لَيَالِيَ القِرَرْ
كَمْ قُلْتُ مِنْهُ لِلعِدَى: حَذَارِ إنْ أَغْنَى الحَذَرْ

وَعَوَّذُوا مِنْهُ الشُّحُو رَ وَالرِّقَابَ وَالقَصَرْ
إيَّاكُمُ مِنْهُ ، إذا أوْعَدَ نَاباً ، وَظُفُرْ
وَقَامَ نَفْضَ الحِلسِ يَجْ لُو نَاظِراً ثُمَّ زَأرْ[1]
مُلْتَفِعاً بِشَمْلَةٍ ، فِيهَا البُجَارِي وَالبُجَرْ[2]
أنْذَرَهُمْ مِنْهُ ، وَعِنْ دَ القَوْمِ أضْعَافُ الخَبَرْ
تَوَقَّعُوا طِلاعَهَا كَنَاغِرِ العِرْقِ نَغَرْ[3]
إنَّ العِدَى لَيُنْضِهَا ، إنْ لَمْ يَقِ العَفْوُ حَزَرْ[4]
كَأنَّهَا حَائِمَةُ العِقْ بَانِ فِي اليَوْمِ المَطِرْ
يَمْشِينَ مِنْ صِبْغِ الدِّمَا ءِ فِي رِيَاطٍ وَأُزُرْ
تُخَاطِرُ البُزْلُ ، وَقَدْ مَارَ عَلَيْهِنَّ القَطَرْ
فِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَهَا مُنْجَدِلٌ وَمُنْعَفِرْ
تُجَرَّ فِي شَوْكِ القَنَا جَرَّ القَدِيدِ المُصْطَهِرْ[5]
تَخَبَّرُوا اليَوْمَ ، فَمَا بَعْدَ الطِّعَانِ مِنْ خَبَرْ
آلَ بُوَيْهٍ أنْتُمُ الأمْ طَارُ ، وَالنَّاسُ الخُضَرْ
مَا فِي اللَّيَالِي غَيْرُكُمْ شَيْءٌ بِهِ العَيْنُ تَقَرّ

. . . . .

١ الحلس : ما يوضع على ظهر البعير تحت البرذعة .

٢ البجاري : الدواهي . البجر : العيوب .

٣ طلاع الشيء : قدره ، والطلاع من الإناء : ملؤه . الناغر : الجرح يسيل منه الدم .

٤ قوله : لينضها وحزر ، هكذا في الأصل ، وفي البيت تحريف .

٥ المصطهر : الذائب .

إنْ تَنهَضِ الجَأشُ بكُمْ فَمَا نُبَالي مَنْ عثَرْ
لَوْلاكُمُ لَمْ يَبْقَ في عُودِ الرّجاءِ مُعْتَصَرْ
قَدْ غَنيَ المُلْكُ بِكُمْ ، وَهْوَ إلَيْكُمْ مُفْتَقِرْ
فَدُمْ عَلى الأيّامِ أرْ سَى في العُلَى مِنَ الحَجَرْ
تَرْفَعُ ذَيْلاً لِمَرَاقي الـ مَجْدِ ، أوْ ذَيْلاً تَجُرّ
وَانْعَمْ بِذا النّيْرُوزِ زَوْ راً نَازِلاً وَمُنْتَظَرْ
يُفَاوِحُ النّعْمَى ، كَمَا فَاوَحَتِ الرّوْضُ المَطَرْ
قَضَيْتَ فيهِ وَطَراً ، وَمَا قَضَى مِنْكَ وَطَرْ
مَا جَزَعي لِمَنْ مَضَى ، وَأنْتَ لي ، فيمَنْ غَبَرْ
أنْتَ المُرَادُ وَالمَرَا دُ ، وَالمَعَاذُ وَالعَصَرْ[1]
رِدْ مِنْ جِمَامِ العِزّ لا مُطّرَقاً ، وَلا كَدِرْ[2]
وَازْدَدْ بَقَاءً وَعُلًى ، مَا بَعْدَ وِرْدَيْكَ صَدَرْ
مُقَدَّماً إلى العُلَى ، مُؤخَّراً عَنِ القَدَرْ

١ المراد بالفتح : المرعى . العصر : الدهر والمطر والعطية .
٢ المطرق : الماء الذي خوضته الإبل .

مقلم أظفار الخطوب

قال في الصاحب عميد الجيوش أبي علي بن اشتاذ هرمز وكتب بها إليه وقد توجه من واسط إلى بغداد في كتاب يعتذر فيه من تأخره عن تلقيه لشكاة لحقته وذلك في المحرم سنة ٣٩٦ :

أيَا مَرْحَباً بالغَيثِ تَسرِي بُرُوقُهُ . تَرَوّحَ بِنُدي لا بَكِيّاً وَلا نَزْرَا
طَلَعتَ عَلى بَغدادَ وَالخَطبُ فَاغِرٌ، فَعادَ ذَميماً يَنزِعُ النّابَ وَالظُّفْرَا
أضاءَتْ وَعزّتْ بَعدَ ذُلٍّ وَرُوّضَتْ كأنّكَ كُنتَ الغَيثَ وَاللّيثَ وَالبَدْرَا
تُغَايِرُ أقْطَارَ البِلادِ مَحَبّـــةً عليكَ، فهذا القُطرُ يحسُدُ ذا القُطْرَا
وَقَلّمتَ أظفارَ الخُطوبِ فَما اشتَكى نَزِيلُكَ كَلْماً للخُطُوبِ وَلا عَقْرَا
وَمَن ذا الذي تُمسِي من الدّهرِ جارَهُ فيَقبَلَ للمِقدارِ، إنْ رَابَهُ، عُذْرَا
فَيا وَاقِفاً دُونَ الذي تَستَحِقّهُ . لوَ انّكَ جُزْتَ الشمسَ لم تجُزِ القَدرَا
فَعَثْراً لأعداءٍ رَمَوْكَ، وَلا لَعاً ، وَنَهْضاً عَلى رُغْمِ العَدوّ، وَلا عَثْرَا

جواد لا يشق غباره

قال يمدح فخر الدين أبا غالب بن خلف وكتب بها إليه وهو بفارس ويشكره على قضاء حاجة كاتبه بها فأمر بقضائها حين وقف على ذكرها في كتابه قبل أن يستتم قراءة جميعه وذلك في شعبان سنة ٣٩٦ :

لَنْ تَشُقّوا لِذا الجَوَادِ غُبَارَا ، فَارْبَحُوا خَلْفَهُ الوَحَى والعِثَارَا[1]

وَقَفُوا في مَصَارِعِ العَجْزِ عَنهُ ، فاتَ فَوْتَ الوَمِيضِ مَن لا يُجارَى

سابِقٌ عُضّتِ الأكُفُّ عَلَيْهِ ، أنْجَدَ اليَوْمَ في العَلاءِ وَغَارَا

قامَ يَجني العُلَى، وَأنتُمْ قُعودٌ ، وَصَحَا للنّدَى ، وَأنتُمْ سَكارَى

طَلَبُوا شَأوَكَ المُبَرِّزَ ، هَيهَا تَ طَرِيقاً عَلى الجيادِ خَبَارَا[2]

لَيسَ مِنهم مَن ساقَ تلكَ المَسَاعِي بَ غِلاباً ، وَقادَ ذاكَ القِطَارَا

شَمّرِي أيّهَا الرّكابُ ، وَخَلّي عَطَنَ اللّوْمِ وَالعِمَادَ القِصَارَا

وَانزِلي بِي مُجاوِراً في أُنَاسٍ ، لا يَذُمّ النّزِيلُ فيهمْ جِوَارَا

خَلَطوا الضّيفَ بالنّفوسِ على العُسْـ رِ ، وَبَاتوا على السّماحِ غَيَارَى

عِندَ أقنى مِنَ البُزَاةِ عَتيقٍ ، تَرَكَ الطّيرَ وَاقِعَاتٍ وَطَارَا

١ الوحى : السرعة . ولعلها الوجى : الحفا

٢ الخبار : الأرض اللينة المسترخية .

مَنْ إذا عَرَضُوا تَعَرّضَ جُوداً ، وَإذا جَارَتِ اللّيَالي أجَارَا

مَا مُقَامي عَلى الجَداولِ أرْجُو هَا لنَيلٍ ، وَقد رَأيتُ البِحَارَا

كالّذي شَاوَرَ الدُّجَى في سُرَاهُ ، وَاستَغَشّ النّجُومَ وَالأقْمَارَا

يَا أبَا غَالِبٍ دَعَوْتُكَ للخَطْ بِ ، وَمَن يَظْلمَ يَستدرِ القُطارَا

لَمْ أجَاوِزْكَ بالدّعَاءِ ، فَلَبّيْ تَ جِهَاراً ، وَقَد دَعوْتُ سِرَارَا

لمْ تَقُلْ لا ، ولَمْ تَشُدّ عَلى خِلْ فِ النّدَى بَينَ رَاحتيكَ صِرَارَا[1]

وَسَبَقْتَ العِلاّتِ ، لمْ تَنْتَظِرْها ، وَلَوْ شِئْتَهَا لَكَانَتْ كِثَارَا[2]

قَدْ هَزَزْنَاكَ للنّدَى ، فَوَجَدْنَا وَرَقاً نَاضِراً ، وَعُوداً نُضَارَا

وَرَأيْنَا النّوَالَ عَيْناً بِلا مَطْ لٍ ، إذا مَا النّوَالُ كانَ ضِمارَا[3]

لمْ تَزَلْ كامِلاً ، وَلمْ تَسْمُ بالكا ملِ مِن قَبلِ أنْ تَشُدّ الإزَارَا

صِبيَةٌ مِنْ مَعَاشِرٍ حَذّقُوهُمْ أدَبَ الجُودِ وَالعَلاءَ صِغَارَا

ألْيَقُ النّاسِ بالسّمَاحِ أكُفّاً ، وَالمَعَالي شَمَائِلاً وَنِجَارَا

في صِيَالِ الأُسُودِ إنْ نَزَلَ الخَط بُ عَلَيهِمْ وَفي حَيَاءِ العَذَارَى

كَلَقَاحٍ تَأبَى عَلى العَصْبِ دَرّاً ، وَعَلى المَسْحِ تَستَهِلُّ غِزَارَا[4]

أطْلَقُونَا مِنَ الخُطُوبِ فَبِتْنَا في يَدِ المَنّ مُطْلَقِينَ أسَارَى

---

١ الخلف : ضرع الناقة ، أو حلمته . الصرار : خيط يشد به الضرع .

٢ العلات : لعله من قولهم : تعالت الناقة إذا استخرجت ما عندها من السير . وهذا البيت مختل الوزن ، غامض المعنى .

٣ الضمار : المال الذي لا يرجى عوده .

٤ العصب : شد فخذي الناقة لتدر . المسح ، من مسح ضرع الناقة : أمر يده عليه لتدر .

ما نَرَى عندَ غَيرِكم مِنْ جَميلٍ لَيسَ إلاّ مِنْ عندِكم مُستَعارَا
قَدْ رَأينا الإحسانَ منكُمْ عِيَاناً، وَسَمِعْنَاهُ عَنْكُمُ أخبَارَا
مَنْ رَأى قَبلَكُمْ شُموساً مضيئا تِ جَمَعْنَ الأنْوَارَ وَالأمْطَارَا
نَظَرُ الحِيلَةِ الخَفِيّةِ عِنْدِي ، نَظَرُ الغَيْثِ صَابَ يَبْغي قَرَارَا
لمْ يُخالِطْ عَنْهَا اللّحاظُ، وَلا أصْـ ـفَحُ عَنها فِعلَ اللّئيمِ ازْوِرَارَا
بَادَرَ الحَادِثَ المُعَدَّ إلَيْهَا ، وَرَأى الغُنْمَ أنْ يَكُونَ بِدارَا
يُوقِدُ النّارَ للقِرَى ، وَعَلَيهَا حَسَبٌ لَوْ خَبَا الوَقُودُ أنَارَا
وَلَوِ اسطَاعَ، وَالمَطِيُّ تَسَامَى، شَبّ فَوْقَ الرِّجَالِ باللّيلِ نَارَا
هِمَمٌ هَمُّهَا العُلَى عَلّمَتْهُ بالنّدَى كَيفَ يَملِكُ الأحرَارَا
لا كَقَوْمٍ لمْ يَطْلُعُوا شَرَفَ الجو دِ ، وَلَمْ يَرْفَعُوا لمَجدٍ مَنَارَا
يَقِفُ الحَقُّ عِندَهمْ ، فيُلاقي طُرُقَ الجُودِ بَيْنَهُمْ أوْعَارَا
عَرَفُوا مُحكَمَ التّجارِبِ في البُخْـ لِ ، وَكانوا عنِ النّدى أغْمَارَا
عِنْدَ جَوْلِ الآرَاءِ بُلْهٌ عَنِ الحَزْ مِ وَفي الخَطبِ عاجِزُونَ حَيارَى
يا كَمَالَ العُلى ، وَيَا وَزَرَ المُلْـ ـكِ ، إذا لَمْ يَجِدْ مَعَاناً وَدارَا
مُعْمِلاً في الخَميسِ أقلامَكَ الغُـ ـرَّ ، إذا أعمَلُوا القَنَا الخَطّارَا
كُلّما أشرَعُوا الذّوَابِلَ أشْرَعْـ ـتَ غَرِيماً صَدْقاً ، وَرَأياً مُغَارَا
بِكَ سَدّوا فَوَارَ جَائِشَةِ القَعْـ ـرِ ، لهَا عَائِدٌ يَرُدّ السِّبَارَا[1]
وَجَدُوا طِبّهَا لَدَيْكَ ، فَوَلَوْ كَ عَلَى البُعْدِ عِرْقَهَا النّعّارَا

[1] السبار : ما يسبر به الجرح ، يمتحن غوره .

لَوْ أقَامُوا لهَا سِوَاكَ لَشَبّتْ ، صَعْبَةً تَمْنَعُ المَطَا وَالعِذَارَا[1]
ضَرَبُوا أوْجُهَ البِكَارِ ، وَقَادُوا لِلأعَادِي قَبَاقِباً هَدّارَا[2]
وَرَأوْا في مَنَاكِبِ المُلْكِ وَهْناً ، فَدَعَوا باسمِهِ ، فكانَ جبَارَا
قَائِداً للقِرَاعِ كُلَّ حِصَانٍ ، تَتَرَاءَى بِهِ عُقَاباً مُطَارَا
مِثْلَ لَوْنِ العُقَارِ تَحْسَبُهُ نَا رَاً يَطِيرُ الطّعَانُ مِنهَا شِرَارَا
دافِعاً بالرِّمَاحِ في كُلِّ ثَغْرٍ لُجَجاً تَرْكَبُ العَدُوَّ غِمَارَا
يَتَلاغَطْنَ باصْطِكَاكِ العَوَالي ، لَغَطَ الحَجّ يَرْجُمُونَ الجِمارَا
عَجَباً لّلذي أجَرْتَ مِنَ الأ يّامِ لِمْ لا يُحَارِبُ الأقْدَارَا
أيَخَافُ الخُطُوبَ مَنْ كانَ للّيْ ثِ نَزِيلاً ، وكانَ للنّجمِ جَارَا
لَوْ قَدَرْنَا ، وَسَاعَفَتنا اللّيَالي ، لَوَصَلْنَا بِعُمْرِكَ الأعْمَارَا

بحر النعماء

قال رحمه الله وكتب بها إليه أيضاً :

يَا نَاشِدَ النَّعْمَاءِ يَقْفُو إثْرَهَا! قِفِ المَطَايَا قَدْ بَلَغْتَ بَحرَهَا
مَسِيلُهَا فِينَا ، وَمُسْتَقَرُّهَا طَوْدُ العُلَى وَشَمْسُها وَبَدْرُهَا

١ المطا : الظهر . العذار من اللجام : ما سال على خد الفرس .
٢ البكار ، الواحد بكر : الفتي من الإبل . القباقب : الجمل الهدار .

فوضتِ الدنيا إليهِ امرها ، … وقلدته نفعها وضرها

عُدّتْ مَساعِيها،فكَانَ فَخرَها ، … لمْ تَفْقدَ عيَنُ المَجدِ مُذْ أقرّهَا

ذُو شيِمَةٍ تُعطي العُيونَ خُبرَها، … لا تُحوِجُ النّاظِرَ أنْ يُقِرَّهَا

نَرْجُو وَنَخْشَى حُلْوَها وَمُرّها، … كَجَمّةِ المَاءِ نُرَجّي غَمرَهَا

يَوْمَ الوُرُودِ،وَنَهَابُ قَعْرَهَا ، … يَبعَثُها بَعثَ السّحابِ قَطرَهَا

مُحَجّلاتِ نِعَمٍ وَغُرُّهَا ، … شَغَلَتنَا حتّى نَسِينَا شُكْرَهَا

يُهْدِي إلَيْنَا شَفْعَهَا وَوِتْرَهَا، … عِيَابَ دارِينَ حَمَلنَ عِطرَهَا[1]

إنّ المَعَالي وَلَدَتْكَ بِكْرَهَا ، … ما ضَمّنَتْ مِثلَكَ يَوْماً حِجرَهَا

أمَا رَوْوماً أرْضَعَتْكَ دَرّهَا ، … لَوْ ألّفَتْ على النّظامِ نَثْرَهَا

قَلائِدُ المَجدِ لَكُنتَ دُرَّهَا ، … نَرَى الأعادِي إنْ عَزَمْتَ ثَغرَهَا

أباغِثَ الطّيرِ تَرَاءتْ صَقرَهَا ، … فَحلُ وَغًى يُنسِي الفحولَ هَدرَهَا

لأصبَحتَنَا ، وَوُقِينَا شَرَّهَا ، … ظَلمَاءُ أمسِ لا تكُونُ فَجرَهَا

[1] العياب ، الواحدة عيبة : زبيل من أدم . دارين : بلد مشهور بمكة .

قرت عيون المجد والفخر

يمدح أبا سعيد بن خلف ويهنئه بخلع
السلطان عليه :

قَرَّتْ عُيُونُ المَجدِ وَالفَخْرِ بخِلْعَةِ الشَّمْسِ عَلى البَدْرِ
صُبَّتْ عَلى عِطْفَيْهِ أطْرَافُهَا مُعْلَمَةً بِالعِزِّ وَالنَّصْرِ
كَأنَّها خِلْعَةُ ثَوْبِ الدُّجَى، في عَاتِقِ العَيُّوقِ وَالنَّسْرِ
زَرَّ عَلَيْهِ المَلْكُ فَضْفَاضَهَا ، وَإنَّمَا زَرَّ عَلى البَحْرِ
خَطَوْتَ فِيهَا غَيرَ مُسْتَكبِرٍ ، خَطْوَ السُّهَا في خِلَعِ الفَجرِ
جَاءَتْ عَوَاناً مِنْ تَحِيَّاتِهِ . وَأنْتَ مِنهَا في عُلًى بِكْرِ
فَكُلَّ يَوْمٍ أنْتَ في صَدْرِهِ فَارِسُ طِرْفِ الحَمْدِ وَالأجْرِ
تَغْدُو بِكَ الأيَّامُ نَهَّاضَةً تَطْلُعُ مِنْ مَجْدٍ إلى فَخْرِ
فَانهَضْ فَلَوْ رُمْتَ لَحاقَ العُلَى صَافَحتَ أيْدِي الأنْجُمِ الزُّهْرِ
وَلَوْ زَجَرْتَ المُزْنَ عن صَوْبِهِ ، لَضَنَّتِ الأقْطَارَ بِالقَطْرِ[1]
وَضَمَّتِ الأنْوَاءُ أخْلافَهَا ، كَمَا اسْتَمَرَّ المَاءُ في الغُدْرِ
فَأنْتَ سِرٌّ في ضَمِيرِ العُلَى ، كَالعِقْدِ بَيْنَ الجِيدِ وَالنَّحْرِ
تَبَرَّجَتْ مِنكَ وُجُوهُ المُنَى مُرْتَجَةً في النَّائِلِ الغَمْرِ

[1] قوله : ضنت الأقطار ، نصب بنزع الخافض ، والمراد ضنت على الأقطار .

إنّكَ مِنْ قَوْمٍ ، إذا استَلأمُوا تَقَبّلُوا في البِيضِ وَالسُّمْرِ
وَقَطّرُوا الخَيْلَ بِفُرْسَانِهَا ، خارِجَةً عَنْ حَلْقَةِ الحُضْرِ[1]
وَجَاذَبُوا الأيّامَ أثْوَابَهَا عَنْهَا ، بِأيْدي النَّهْيِ وَالأمْرِ
من كلّ طَلْقِ الوَجهِ سَهلِ الحَيا يَبسِمُ عَنْ أخْلاقِهِ الغُرّ
مُقَدَّمٍ في القَوْمِ مَا قَدّمَتْ عَنْ رِيشِهَا قَادِمَةُ النّسْرِ
رَيّانَ ، وَالأيّامُ ظَمْآنَةٌ ، مِنَ النّدَى ، نَشوَانَ بالبِشْرِ
لا يُمْسِكُ العَذْلُ يَدَيهِ ، وَلا تَأخُذُ مِنْهُ سَوْرَةُ الخَمْرِ
إلَيْكَ سَيّرْتُ بِهَا شَامَةً ، وَاضِحَةً في غُرّةِ الدّهْرِ
شَدَا بِهَا العُتْرُفُ في جَوّهِ ، وَارْتَاحَ طَيرُ الصّبحِ في الوَكْرِ[2]
أبْيَاتُهَا مِثْلُ عُيُونِ المَهَا ، مَطْرُوفَةُ الألحَاظِ بالسِّحْرِ
جَاءَتْ تُهَنّيكَ بطَوْقِ العُلى. وَلَفْظُهَـــا يَفْتَرّ عَنْ دُرّ
فَاسْعَدْ ، أبَا سَعْدٍ ، بإقْبَالِهِ . فالمَدْيُ مَجنُوبٌ إلى النّحْرِ
مَا هُوَ إنْعَامٌ ، وَلَكِنّهُ مَا خَلَعَ الغَيْثُ عَلى الزّهْرِ
جاءَتْكَ مِنْ قِبلي ، وَإحسَانُها يَقُومُ لي عِندَكَ بالعُذْرِ
وَلَوْ أجَبْتُ الشّوْقَ لَمّا دَعَا جاءَكَ بي مِنْ قَبلِ أنْ تَسْرِي

١ الحضر : ارتفاع الفرس في عدوه .
٢ العترف : الديك .

البشر عنوان البشير

يمدح أباه في يوم الغدير ويذكر
رد أملاكه عليه وذلك في سنة ٣٩٦ :

نَطَقَ اللّسانُ عَنِ الضّميرِ ، وَالبِشْرُ عُنْوَانُ البَشِيرِ
الآنَ أعفَيْتَ القُلُو بَ مِنَ التّقَلْقُلِ وَالنُّفُورِ
وَانجَابَتِ الظّلْمَاءُ عَنْ وَضَحِ الصّبَاحِ المُسْتَنِيرِ
مَا طَالَ يَوْمُ مُلَثَّمٍ إلاّ استَرَاحَ إلى السّفُورِ
خَبَرٌ تَشَبّثَ بِالمَسَا مِعِ عَن فَمِ المَلِكِ الخَطيرِ
وَأذَلّ أعنَاقَ العِدَى . ذُلٌّ المَطِيّةِ لِلجَرِيرِ
يَسْمُو بِهِ قَوْلُ الخَطِيـ بِ وَتَستَطِيلُ يَدُ المُشِيرِ
وَضَمَائِرُ الأعْداءِ تَقْـ ذِفُ بِالحَنِينِ عَلَى الزّفِيرِ
وَسَوَابِقُ العَبَرَاتِ تَرْ كُضُ في السّوَالِفِ وَالنّحورِ
تَفْدِي ضَمِيرَكَ في النّوَا ئِبِ غَيرَ فَضْفَاضِ الضّمِيرِ
مُتَحَيّرٌ عِنْدَ النّوَا ئِبِ مُستَرِيبٌ بِالأُمُورِ
غَرِضٌ بِنِعْمَتِهِ . وَبَعْـ ضُ القَوْمِ يَشرَقُ بالنّمِيرِ[1]

[1] الغرض لعله من غرض الإناء : ملأه ، فيكون المعنى أنه مملوء بنعمته . أو من الأنف الغارض : الطويل ، فيكون المعنى أنه شامخ بأنفه . يشرق : يغص .

يَخْتَرُّ بِالدُّنْيَا ، وَحَبْ لُكَ لا يُدَلّى بِالغُرُورِ
حَسِبَ المُضَمَّخَ بِالدِّمَا ءِ كَمَنْ تَغَلَّفَ بِالعَبِيرِ
وَلأَنْتَ مِثْلُ القُرِّ يَعْـ صِفُ مِنهُ بِالشِّعْرَى العَبُورِ[1]
كُنْتَ النَّسِيمَ جَرَى عَلَيْـ هِ ، فَغَضَّ مِن نارِ الحَرُورِ
عَجْلانَ يَحْمِلُ مَغْرَمَ الـ دُّنْيَا عَلَى ظَهْرٍ حَسِيرِ
يَسطُو بِلا سَبَبٍ ، وَتِلْـ كَ طَبِيعَةُ الكَلْبِ العَقُورِ
أَنْتَ المُكَلَّلُ بِالمَنَا قِبِ عِنْدَ إِيمَاضِ الثُّغُورِ
في رِفْقَةِ البَيْدَاءِ ، أَوْ بَيْنَ المَنَازِلِ وَالقُصُورِ
غَيَّرْتَ أَلْوَانَ الرِّمَا حِ ، وَرَوْنَقَ البِيضِ الذُّكُورِ
وَرَدَدْتَ أَعطَافَ الظُّبَى ، تَخْتَالُ في العَلَقِ الغَزِيرِ
بِضَوَامِرٍ مِثْلِ النُّسُو رِ وَغِلْمَةٍ مِثْلِ الصُّقُورِ
وَبِأُسْرَةٍ مِنْ هَاشِمٍ غَدَرُوا بِرَبَّاتِ الخُدُورِ
سُمْرِ التَّرائِبِ وَالطُّلَى ، بِيضِ العَوَارِضِ لا الشُّعورِ
مُسْتَنْجِدُونَ عَلَى البِعَا دِ ، وَمُنْجِدُونَ عَلَى الحُضُورِ
المَانِعُونَ مِنَ الأَذَى ، وَالمُنْقِذُونَ مِنَ الدُّهُورِ
لَهُمُ الكَلامُ ، وَإِنَّمَا لِلأُسْدِ صَوْلاتُ الزَّئِيرِ
النَّجْرُ مُخْتَلِفٌ ، وَإِنْ كَانَ النِّبَالُ مِنَ الجَفِيرِ[2]

١ القر : البرد . الشعرى العبور : نجم .

٢ الجفير : جعبة السهام تكون من جلد .

فِي النّاسِ غَيرُ مُطَهَّرٍ ، وَالحُرُّ مَعْدُومُ النّظيرِ
وَالنّسْلُ يَتخبُثُ بَعْضُهُ ، مَا كُلُّ مَاءٍ للطّهُورِ
لَكَ دُونَ أعرَاضِ الرّجَا لِ حَمِيّةُ الرّجُلِ الغَيُورِ
وَلِماءِ كَفّكَ في المُحُو لِ طَلاقَةُ العَامِ المَطيرِ
مَا بَينَ نِعْمَةِ طَالِبِ فِينَا ، وَدَعْوَةِ مُسْتَجيرِ
العِزُّ مِنْ شِيَعِ الغِنَى ، وَالذّلُّ أوْلَى بِالفَقيرِ
وَلَرُبّمَا رُزِقَ الغِنَى رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالبَعيرِ
عَصَفَتْ بِمُبْغِضِكَ النّوَا ئِبُ مِنْ أميرٍ ، أوْ وَزِيرِ
لَمّا أرَادَ بِكَ المَنِ يّةَ صَارَ مِنْ تُحَفِ القُبورِ
جَذَبَتْهُ في شَطَنِ المَنُو نِ يَدُ النّآدِ العَنْقَفيرِ[1]
وَضَحَتْ بِهِ الأيّامُ في ظِلّ النّعيمِ إلى الهَجِيرِ
مُتَأوّهاً تَحْتَ الخُطُوبِ تَأوُّهَ الجَمَلِ العَقيرِ
لَعِبَتْ بِكَ الدّنْيَا ، وَسَعْ يُكَ في فَمِ الجَدّ العَثُورِ
وَالرّيحُ تَلْعَبُ بِالذّوَا بِلِ ، وَهيَ تَطعَنُ في الصّدورِ
مَا التَذّ لُبْسَ الصّوفِ إلاّ مَنْ تَعَمّمَ بِالقَتيرِ[2]
مُتَخَدّدُ الخَدّيْنِ مُغْ بَرُّ الذّوَائِبِ وَالضُّفُورِ
سَامٍ بِفَضْلِ حَيَائِهِ ، وَالطّرْفُ يُوصَفُ بالفُتُورِ

١ النآد العنقفير : الداهية .
٢ القتير : الشيب .

أسَرَ الوَقَارُ طِمَاحَهُ ، وَالقيدُ أملَكُ بالأسيرِ
مِنْ بَعْدِ مَا صَحِبَ الرّكَا بَ لا يَعِفُ عَنِ المَسيرِ
جَذْلانَ يَنْظُرُ وَجْهَهُ في عَارِضِ العَضْبِ الشّهيرِ
مُتَغَطْرِفاً كَالسّيْلِ يَبْ طُشُ بالجَنَادِلِ وَالصّخُورِ
إنّا بَني الدّنْيَا نُعَلّ لُ بِاللّيَالي وَالشّهُورِ
كَفَلَتْ بِأنْفُسِنَا ، وَهَلْ طِفْلٌ يَعيشُ بِغَيرِ ظِيرِ
نَحنُ الشّبُولُ مِنَ الضّرَا غِمِ وَالنِّطَافُ مِنَ البُحورِ
وَإذا عَزَانَا نَاسِبٌ نَسَبَ الشّمُوسَ إلى البُدُورِ
غَدَرَ السّرُورُ بِنَا ، وَكَا نَ وَفَاؤهُ يَوْمَ الغَديرِ
يَوْمٌ أطَافَ بِهِ الوَصِ يُّ، وَقَدْ تَلَقّبَ بِالأميرِ
فَتَسَلَ فِيهِ وَرُدّ عَا رِيَةَ الغَرَامِ إلى المُعيرِ
وَابْتَزّ أعْمَارَ الهُمُو مِ بِطُولِ أعْمَارِ السّرُورِ
فَلَغَيْرُ قَلْبِكَ مَنْ يُعَلّ لُ هَمّهُ نُطَفُ الخُمُورِ
لا تَقْنَعَنْ عِنْدَ المَطَا لِبِ بِالقَليلِ مِنَ الكَثيرِ
فَتَبَرّضُ الأطْمَاعِ مِثْلُ تَبَرّضِ الثّمَدِ الجَرُورِ[1]
هَذا أوَانُ تَطَاوُلِ الحَا جَاتِ وَالأمَلِ القَصيرِ
فَانفَحْ لَنَا مِنْ رَاحَتَيْ كَ بِلا القَليلِ وَلا النّزُورِ
لا تُحْوَجَنَ إلى العِصَا بِ وَأنتَ في الضّرْعِ الدّرُورِ

1 التبرض : التبلغ بالقليل . الثمد : الماء القليل . الجرور : البعيد القعر

آثارُ شُكْرِكَ في فمي ، وَسِمَاتُ وُدّكَ في ضَمِيري
وَقَصِيدَةٍ عَذْرَاءَ مِثْلِ تَأَلُّقِ الرَّوْضِ النَّضِيرِ
فَرِحَتْ بِمَالِيكِ رِقِّهَا ، فَرَحَ الجَمِيلَةِ بِالغَدِيرِ
وَكَأَنَّهُ في وَصْفِهَا . جَارُ الفَرَزْدَقِ أَوْ جَرِيرِ
وَكَأَنَّهُ في حُسْنِهَا بَيْنَ الخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ

المنى نهزة الثائر

يمدحه ايضا

رَأَيْتُ المُنَى نُهْزَةَ الثَّائِرِ ، وَسَهْمَ العُلَى في يَدِ القَامِرِ
وَمَا عَدِمَ المَجْدَ مُسْتَأْسِدٌ يَبُلُّ القَنَا بِالدَّمِ المَائِرِ
وَلَوْ ضَمِنَ العِزُّ بَعْضَ الوُكُورِ أَغَارَتْ يَدَاهُ عَلَى الطَّائِرِ
وَإِنْ وَلَجَ الضِّغْنُ أَثْوَابَهُ نَضَا لِبْدَةَ الأَسَدِ الخَادِرِ
يُسَفِّهُ في الرَّوْعِ فِعْلَ القَنَا ، وَيَرْضَى عَنِ المِقْضَبِ البَاتِرِ
فَشَمِّرْ لِمُظْلِمَةٍ مَا تَزَا لُ تَقْبِضُ مِن بَطْشَةِ النَّاظِرِ
وَرِدْ غَمْرَةَ العِزِّ بَيْنَ الرِّمَاحِ ، وَاحجُرْ عَلَى المَاءِ في الحَاجِرِ
رَأَيْتُكَ تَصْلَى بِحَرِّ الطِّعَا نِ ، كَمَا صَلِيَتْ شَحمَةُ الصَّاهِرِ
أَبُثُّكَ أَنِّي قَطَعْتُ الزَّمَا نَ أَطْلُبُ عِزِّيَ ، أَوْ نَاصِرِي

فَمَا ارْتَاحَ هَمّي إلى صَاحِبٍ ، وَلا نَامَ عَزْمي عَلى سَامِرِ
إذا قَيّدَ اللّيْلُ خَطْوَ المُنَى مَشَى النّوْمُ في مُقْلَةِ السّاهِرِ
وَإنّي أخِفُّ إلى المُسْمِعَا تِ عَنْ خَطْرَةِ الشّغَفِ الخاطِرِ
وَمَا ذاكَ جَهْلاً ، وَلَكِنّهُ نِزَاعُ الجَوَادِ إلى الصّافِرِ
وَلَوْلا القَرِيضُ وَأشْغَالُهُ شَغَلْتُ بِغَيرِ المُنَى خاطِري
وَمَا الشّعْرُ فَخرِي ، وَلَكِنّهُ أطُولُ بِهِ هِمّةَ الفَاخِرِ
أُنَزّهُهُ عَنْ لِقَاءِ الرّجَا لِ وَأجْعَلُهُ تُحْفَةَ الزّائِرِ
فَمَا يَتَهَدّى إلَيْهِ المُلُو كُ إلاّ مِنَ المَثَلِ السّائِرِ
وَإنّي ،وَإنْ كُنْتُ مِنْ أهْلِهِ ، لَتُنْكِرُني حِرْفَةُ الشّاعِرِ
وَطَوّقَني الدّهْرُ ثِنْيَ الزّمَا مِ ، فَالآنَ أهْزَأُ بِالزّاجِرِ
وَإنّي لألْقَى مِنَ النّائِبَا تِ مَلْقَى الأشَاءِ مِنَ الآبِرِ[1]
أوَانِسُ وَحْشِيَّ هَذا البَرُو قِ في مَوْطِنِ النّعَمِ النّافِرِ[2]
وَأصْحَبُ فِيهَا رِفَاقَ السّحَا بِ تَنْبُو عَنِ البَلَدِ العَامِرِ
لَعَلّيَ ألْقَى عِصِيّ النّوَى ، تَأوُّبَ ذِي اللّبَدِ الصّادِرِ
وَكُنْتُ ، إذا مَنَحَتْني المُلُوك نَزَازاً مِنَ النّائِلِ الغَامِرِ[3]
أبَيْتُ القَلِيلَ ، وَلَكِنّني رَدَدْتُ الرَّذاذَ عَلى المَاطِرِ

١ الاشاء : صغار النخل . الآبر : ملقح النخل .
٢ البروق : الجبان . ولعله أراد به السحاب البارق ، أو غير ذلك مما لم ندركه .
٣ النزاز ، من نز المكان : تحلب منه الماء .

وَمَا الفَخْرُ في أدَبٍ نَاتِجٍ	يُضَافُ إلى مَطْلَبٍ عَاثِرِ
وكمْ قُمتُ في مَشهدٍ للخُطوبِ	قِيَاماً بَغيضاً إلى الحَاضِرِ
أرُدّ النّوَائِبَ بِالمُوسَوِيّ ،	وَأُعْطِي الرّغَائِبَ بالنّاصِرِي
وَلَوْلا الحُسَينُ عَصَبتُ الرّجاءَ ،	وَأغْضَيْتُ عَنْ بَرْقِهِ النّاثِرِ
وَأشْمَتُّ بالقُرْبِ أيْدِي النّوَى ،	وَخَاطَرْتُ بالطّمَعِ العَاثِرِ
إذا هَمّ بَاعَ الطُّلَى بِالظُّبَى ،	وكَفَّ المُعَاقِرَ بِالثّائِرِ
كَأنّ الظّلامَ إذا خَاضَهُ	تَلَثّمَ بِالقَمَرِ السّافِرِ
رَأى المَجْدَ أعْظَمَ مَا يُقتَنَى ،	إذا السّيْفُ عَقّ يَدَ الشّاهِرِ
فَطَاعَنَ حَتّى استَبَاحَ الرّمَا	حَ ؛ إنّ الغَنيمَةَ للظّافِرِ
رَمَى بِالجِيَادِ صُدُورَ الرِّكَا	بِ عَنْ قُدْرَةِ الآمِلِ القَادِرِ
فَقَادَ الجَديلَ إلى لاحِقٍ ،	وَأهْدَى الوَجِيهَ إلى دَاعِرِ[1]
وَأصْبَحَ ، وَهْوَ وَرَاءَ المَطِـ	ـيِّ يَلْعَبُ بالأجْرَدِ الضّامِرِ
إذا مَشَقَ الخِفُّ فَوْقَ البِطَا	حِ وَقّعَ فِيهِنّ بِالحَافِرِ
يُوَقِّعُ ألحَاظَهُ ، وَالشّجَا	عُ يَلْحَظُ عَنْ نَاظِرٍ فَاتِرِ
إذا عَزّ عَنْ حِلْمِهِ أوّلٌ ،	فَإنّ الحَمِيّةَ في الآخِرِ
فَمَا انفَرَجَ الدّهْرُ عَنْ مِثْلِهِ	إذا عَصَفَ الرّوْعُ بِالصّابِرِ
أحَدُّ عَلى الطّعنِ مِنْ صَارِمٍ ،	وَأصْفَحَ عَنْ زَلّةِ العَاثِرِ
وَأجْدَرَ ، إنْ نَابَهُ نَائِبٌ ،	بِردّ الأُمُورِ إلى الآمِرِ

[1] الجديل ولاحق ووجيه وداعر : أسماء فحول من الخيل .

أبَا أحْمَدٍ ! ثَمَرَاتُ المَديـ ـحِ تُحرَزُ عَن فَرْعِكَ النّاضِرِ
إذا العَجزُ حَطّ المَعَالي هَجَمْـ ـتَ عَلى هَالَةِ القَمَرِ البَاهِرِ
وَمَا زِلْتَ تَعْدِلُ في الغَادِرِيـ ـنَ ، حتّى انتَصَفتَ مِنَ الجائرِ
أتَتْكَ تُشَبّبُ لُبَّ الفَتَى ، كَمَا مَزّقَتْ نَفْثَةَ السّاحِرِ[1]

لو تعلم الأفلاك

يمدحه أيضاً وقد توجه من فارس
ـرف الدولة سنة ٣٧٥ :

وَقْفٌ عَلى العَبَرَاتِ هَذا النّاظِرُ ، وَكَفَاهُ سُقْماً أنّهُ بِكِ سَاهِرُ
رُدّي عَلَيْهِ مَا نَضَا مِنْ لحظِهِ ، خَدّاكِ وَالغُصْنُ الوَرِيقُ النّاضِرُ
فَلأنْتِ آمَنُ أنْ يَلُومَكِ عَاذِلٌ في فَرْطِ حُبّ ، أوْ يَغُرَّكِ عَاذِرُ
هَذا الفِرَاقُ ،وَأنْتِ أعلَمُ بالهَوَى ، فَارْعَيْ ، فَأيّامُ المُحِبّ غَوَادِرُ
وَأنَا الفِداءُ لِمَنْ أبَاحَ حِمَى الهوَى فَغَدَتْ تَطَاهُ مَنَاسِمٌ ، وَحَوَافِرُ
حُوشِيتِ أنْ ألقَاكِ سَارِقَ لحظَةٍ تَلِدُ الوَفَاءَ ، وَأُمُّ عَهدِكِ عَاقِرُ
وَأبَى الهَوَى ما كدتُ أسلُو في الكَرَى الاّ ارْتَقَى طَرْفي الخَيالُ الزّائرُ

١ تشبب : تحسّن .

اليَوْمَ جارَ البَيْنُ في أحكامِهِ . فكأنَّ أسبابَ الوَفاءِ جرائِرُ
هذي الدّيارُ لها بِمُنْعَرَجِ اللّوَى. قفْراً . تجنّبَها الغمامُ الباكِرُ
أرْضٌ أقولُ بِها لِسانِحَةِ المَها : أنا ، إنْ عثرْنَ، لعاً وقلبي العاثِرُ
قالتْ وقد غمرَتْ دُموعي وجْنَتي : لله ما فعلَ المَحلُّ الدّاثِرُ
أغضيتُ عن وجهِ الحبيبِ تكرُّماً ، وأريْتُهُ أنَّ الجفونَ كواسِرُ
هبْ لي وحَسبي نَظرةً أرْنُو بِها ، فمقرُّها وجهُ الحُسَيْنِ الزّاهِرُ
فلَثَمَ أبلَجُ إنْ أهلَّ جَبينُهُ جمَحتْ إليهِ خَواطِرٌ . ونواظِرُ
قرُبَ الغَمامُ فعَنْ قَريبٍ ينثَني فيَبُلُّ مرْبَعكَ العَريضُ الماطِرُ
إنْ حلَّ بِيداً فالخلاءُ محافِلٌ . أوْ قادَ خيْلاً فالسّروجُ منابِرُ
يا ابنَ الأكابِرِ لا أقمْتَ بِمَشْهَدٍ . إلاَّ وذِكرُكَ في المكارِمِ سائِرُ
ما سِرْتَ حتّى سارَ نعتُكَ أوّلاً . فسَرَيْتَ تتْبَعُهُ . وهمُّكَ آخِرُ
نفَثَتْ لكَ الأمطارُ في عُقَدِ الرُّبَى. فقصَدْتَها . إنَّ الغَمامَ لساحِرُ
ذَلّلْ رِكابَكَ أينَ سِرْتَ كأنّما وصَى المَطيَّ بِكَ الجَديلُ وداعِرُ
ما ضَرَّ مَنْ شَرِبَ الحِمامَ تكرُّهاً بِظُباكَ في رَوْعٍ . وأنتَ تُعاقِرُ
قُضُبَ الأعادي لا ترُومي ضَرْبَهُ أبداً . فأنتِ لِما يَحُدُّ مَسابِرُ
سايَرْتُ أزْماني . فلَمْ أبلُغْ مَدىً. حتّى استقَلَّ بِيَ الثّناءُ السّائِرُ
وصَحِبْتُ أيّامَ الهوَى فرَأيْتُها سَرْحاً حَمَتْهُ عَواذِلٌ وعَواذِرُ
ورَأيْتُ أكبَرَ ما رَأيْتُ مُتيَّماً مُتَنازِعاهُ آمِرٌ . أوْ زاجِرُ
فندِمتُ بعدَ الحبّ كيفَ أطيعُهُ . وعَصَيْتُ عزْماتي . وهُنَّ أوامِرُ

أبكي علَى الأيّامِ وَهيَ ضَوَاحِكٌ في وَجْهِ غَيرِي وَهْوَ فِيهَا حَائِرُ
لَوْ شَابَ طَرْفٌ شابَ أسوَدُ ناظِرِي، من طُولِ ما أنا في الحَوَادثِ نَاظِرُ
أوْ أنَّ هَذِي الشّمسَ تَصْبُغُ لِمّةً ، صَبَغَتْ شَوَاتي طُولَ ما أنا حَاسِرُ[1]
أوْ كانَ يَأنَسُ بالأنِيسِ أوَابِدٌ يَوْماً ، لَزَمّ لِيَ النّعَامُ النّافِرُ[2]
مَا المَجْدُ إلاّ في السُّرَى، وَالحَمْدُ إ لاّ في القِرَى ، وَالمُستَغِرُّ الخَاسِرُ[3]
وَغداً أُمَشّي العِيسَ بَينَ حَطيطَةٍ وَوَدِيقَةٍ لَمْ يُغْنِ فِيهَا مَاطِرُ[4]
تَنْدَى مَنَاسِمُهَا دَماً ، وَشِفَاهُهَا تَنْدَى لُغَاماً ، وَالخِفافُ مَشافِرُ
يَخبِطْنَ أجوَازَ الصّفيحِ على الوَجَى، وَاللّيْلُ مُنْتَشِرُ القَوَادِمِ طَائِرُ
بَيْنَا يُوَسّدُنَا الكَرَى أعْضَادَهَا حتّى قَذَفْنَ النّوْمَ ، وَهْيَ نَوَافِرُ
خُوصٌ ، كَأنّ عُيُونَها في هَامِها قُلُبٌ بَعُدْنَ عنِ الوُرُودِ غَوَائِرُ[5]
وَإذا عَبَرْنَ بِمَاءِ وَادٍ جُزْنَـهُ عُجُلاً ، يَخِدْنَ ، كأنّهنّ صَوَادِرُ
وَإلَيكَ أنحَلَتِ الفَلا أخفَافَهَا ، تُطْوَى بِهِنّ قَبَائِلٌ وَعَمَائِرُ[6]
يَحْمِلْنَ رَكْباً مُغرَمِينَ ، إذا سرَوْا رُفِعَتْ لهُمْ تَحتَ الظّلامِ عَقَائِرُ[7]

١ شواتي : جلدة رأسي .
٢ الأوابد : الوحوش . زم : تقدم في السير .
٣ المستغر بكسر الغين : المخدوع ؛ وبفتحها : من أتي على غرة ، أي غفلة .
٤ الحطيطة والوديقة : قد يكونان اسمي موضعين .
٥ القلب ، الواحد قليب : البئر .
٦ العمائر ، الواحدة عمارة : أخص من القبيلة .
٧ العقائر ، الواحدة عقيرة ، ورفع عقيرته : أي رفع صوته .

نَحِلُوا مِنَ البَلوَى نحُولَ مَطِيّهِمْ ... فَضَوَامِرٌ مِنْ فَوْقِهِنّ ضَوَامِرُ
فَأتَتْكَ لَوْ كَلّفْتَ مَا كَلّفْتَهَا ... نُوَبَ الزّمَانِ أتَتْكَ ، وَهيَ زَوَافِرُ
لِلّهِ صَبرُكَ حَيثُ تَفتَرِقُ الظُّبَى ... بَينَ الهَوَادِي ، وَالقَنَا مُتَشَاجِرُ
وَاليَوْمُ أسْوَدُ لِمّةً مِنْ لَيْلِهِ ، ... سَتَرَتْكَ مِنْهُ ذَوَائِبٌ وَغَدائِرُ
في حَيْثُ سُدّ عَلى الطّيورِ مَجالُها ، ... حتّى رَعَى مَا في الوُكُورِ الطّائِرُ
لَثَمْتَ خَدّ الشّمسِ مِنهُ بِأسْوَدٍ ، ... وَالنُّورُ يَشْهَدُ أنّ وَجْهَكَ سَافِرُ
يَوْمٌ تَوَدُّ السُّمْرُ أنّ صُدُورَهَا ، ... لِتَعُدّ مَا كَسَبَتْ يَداكَ ، خَنَاصِرُ
وَالسّبْيُ تَعْصِفُ بِالجُيُوبِ أكُفُّها ، ... في جَنْبِ ما عَصَفَتْ قَناً وَبَوَاتِرُ
فَعَلى النّساءِ مِنَ الخُرُوقِ يَلامِقٌ ؛ ... وَعَلى الرّجَالِ مِنَ النّجيعِ مَغافِرُ[1]
وَلَّوا ، وَأيدِيهِمْ عَلى هَامَاتِهِمْ ، ... فَكَأنّمَا تِلْكَ الأكُفُّ مَعَاجِرُ[2]
وَبَذَلْتَ أجْسَادَ الكُمَاةِ لِوَحْشَةٍ ، ... فَعَلِمْنَ أنّكَ أنْتَ فِيهِ الظّافِرُ
أنّى تُعَرِّسُ فَالرّيَاضُ مَطَافِلٌ ... لِسَوَامِ إبْلِكَ ، وَالوُحوشُ جآذِرُ[3]
وَإذا تُسَالِمُ فالسَّمُومُ صَوَارِدٌ ؛ ... وَإذا تُحَارِبُ ، فَالنّسيمُ هَوَاجِرُ[4]
وَكأنّ رُمحَكَ حالِبٌ لِدَمِ الطُّلَى ، ... وَكَأنّ سَيفَكَ في الجَمَاجمِ جَازِرُ
لَوْ تَعْلَمُ الأفْلاكُ أنّكَ وَالِدِي ، ... لَمْ تَرْضَ أنّي لِلسّمَاءِ مُصَاهِرُ

١ اليلامق ، الواحد يلمق : القباء (القنباز) . النجيع : الدم . المغافر ، الواحد مغفر : زرد يلبس على الرأس تحت القلنسوة .
٢ المعاجر ، الواحد معجر : ثوب تشده المرأة على رأسها .
٣ المطافل ، الواحد مطفل : المكان الرخص الناعم .
٤ السموم : الريح الحارة . صوارد : باردة .

وَبِحَسْبِ جُودِكَ أنّني لكَ مادِحٌ؛ وَبِحَسْبِ مَجدِي أنّني بِكَ فاخِرُ
إنّ الّذي حَلّتْهُ غُرُّ مَدائِحي ، نَدْبٌ كَساهُ مَفاخِرٌ وَمَآثِرُ
كَثُرَتْ نُعُوتُ صِفاتِهِ في مَدْحِهِ ، فَكَأنّ مادِحَهُ المُفَوَّهَ سامِرُ
كَفَلَ البَقاءَ بنَفْسِهِ فَلَوِ انقَضَى ذا الدّهْرُ عاوَدَهُ الزّمانُ الغابِرُ
وَاليَوْمَ كَمْ في صَدْرِهِ لَكَ آمِلٌ يُعطَى، وكَمْ في عَجزِهِ لكَ شاكِرُ
أمُعَثَّرَ الأحْداثِ في أذْيالِها نَاجاكَ مَدْحي ، وَالجُدُودُ عَوَاثِرُ
إنّي رَضِيتُكَ في الزّمانِ مُمَدَّحاً ، وَعُلاكَ لا تَرْضَى بِأنّيَ شاعِرُ

بنينا مصاد العلى

يمدحه ويذكر خلاصه وخلاص
خيه من القلعة وحصولهما بشيراز :

مِنَ الظُّلْمِ أنْ نَتَعاطَى الخُمارَا ، وَقَدْ سَلَبَتْنَا الهُمُومُ العُقَارَا
وَفِينَا شَآبِيبُ صَرْفِ الزّمانِ ، تَرْوَى مِراراً وَتَظْمَا مِرارَا
تُخَيّرُني عِفّتي وَالغِنَى ، وَمَنْ لِيَ أنّي مَلَكْتُ الخِيارَا
وَلَوْ أنّ لي رَغْبَةً في النّوَا لِ أجْمَمْتُهُ ، وَاجتَدَيتُ البحارَا
وَهَوّنَ صَوْلَتَهُ أنّني أرَى العَيشَ ثَوْبَ بِلًى مُستَعارَا
فَما أرْكَبُ الخَطبَ إلاّ جَليلاً ، وَلا أجْذُبُ الأمْرَ إلاّ اقتِسارَا

وكُنْتُ ، إذا مَا استَطَالَ العَدُوُّ نَثَلْتُ عَلَيْهِ القَنَا وَالشِّفَارَا
وكَمْ لي إلى الدّهْرِ مِنْ حَاجَةٍ أبُلّ بِهَا ذابِلاً أوْ غِرَارَا
تُجَرّ إلَيْهَا ذُيُولُ المُنَى ، وَيَخْلَعُ فِيهَا الزّمَانُ العِذارَا
وَيَوْمٍ تَخَرّقْتَ فِيهِ السّيُوفَ ، وَخُضْتَ إلَيْهِ الدّمَاءَ الغِزَارَا
أثَرْتَ العَجَاجَ عَلَيْهِ دُخَاناً ، وَأضْرَمْتَ مِنْ مائِرِ الطّعْنِ نَارَا
وَعَانَقتَ مِنْ بِيضِهِ في النّجيعِ شَقِيقاً ، وَمِنْ سُمْرِهِ جُلّنَارَا
وَلَيْلَةِ خَوْفٍ شِعَارُ الفَتَى يُصَافِحُ بالسّمْعِ فِيهَا السِّرَارَا
أبَحْنَا حِمَاهَا أكُفَّ المَطيّ ، حَتّى انْتَهَبْنَا الرُّبَى وَالجِرَارَا[1]
وَأرْضٍ مُقَنَّعَةٍ بِالهَجِيرِ تَنضُو مِنَ الآلِ عَنها خِمَارَا
هَجَمْتَ عَلَى جَوّهَا بِالرّمَاحِ تَبْني مِنَ الطّلّ فيها مَنَارَا
فَما أرْتَعتَ من شُعُبَاتِ الحِمامِ ، وَلا خِفْتَ فِيهِ لأمْرٍ خِطَارَا
وَفَلّلْتَ مِنْ جَنَبَاتِ الخُطُوبِ بِعَزْمٍ ، إذا جَارَ دَهْرٌ أجَارَا
وَمِمّا يُحَلّلُ ذَمَّ الزّمَانِ إقْصَاؤهُ المَاجِدِينَ الخِيَارَا
أسَمْعي ذُؤابَةَ هَذا الأنَامِ دُعَاءً يَجُرّ عَلَيّ الجِهَارَا
ثِقَا بِالإلَهِ ، فَإنّ الزّمَانَ يُعطي أماناً ، وَيُمطي حِذارَا
وَلا عَجَبٌ أنْ يُعِيرَ الثّرَاءَ ، فَالمَجدُ أكْرَمُ مِنْ أنْ يُعَارَا
إذا سالَمَ المَوْتُ نَفْسَيْكُمَا ، فَلا حَارَبَ الدّهْرُ إلاّ اليَسَارَا
أصَابَتْكُمَا نَكْبَةٌ فانجَلَتْ ، وَعَاوَدْتُمَا العِزَّ إلاّ الدّيَارَا

[1] الجرار : الوهاد ، الواحد جر .

وَدَهْرٌ يَرُدّ عَلَيْنَا العَلا ءَ ، أجدِرْ بِهِ أنْ يَرُدّ الغُفَارَا[1]
ألَمْ تَرَ يا مَنْ رَمَتْهُ الخُطُوبُ يَمِيناً تُنَازِعُهُ أوْ يَسَارَا
وَمَنْ خَوّضَ الدّهْرُ مِنْ مَالِهِ قَوَارِحَ أحْدَاثِهِ وَالمَهَارَى
وَمَا أكَلَ الحَطْبُ مِنْ عِزّنَا ، وكُنّا لَهُ سَلَعاً أوْ مُرَارَا[2]
بَنَيْنَا مَصَادَ العُلَى مُصْمَتاً ، فَبَعْثَرَ لِلذّلّ فِيهِ وِجَارَا[3]
عَقَدْنَا بِبَاعِ الرّدَى ذِمّةً ، فحَلّ الذّمَامَ وَفَضّ الذّمَارَا
وَنَحْنُ نُؤمّلُ أنّ الزّمَانَ يَرُدّ الّذِي مِنْ عُلانَا استعارَا
وَنَمْلِكُ أعْنَاقَ أحْدَاثِهِ ، فَنُلْبِسُهَا مِسْحَلاً أوْ عِذارَا[4]
وَتَجْلُو غَمَايِمُهَا عَنْكُمَا هُمُوماً تُظِلّ القُلُوبَ الحِرَارَا
وَيُعْطِيكُمَا اللهُ نَفْسَ الحَسُو دِ رِقّاً مُسَلّمَةً ، أوْ أسَارَى
وَيَرْجِعُ شَانِيكُمَا شَاحِباً ، يُنَفّضُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ الغُبَارَا
وَمَنْ قَمَرَ الدّهْرُ أمْوَالَهُ قَضَى جَدُّهُ أنْ يَرُدّ القِمَارَا
وَحَسْبُكَ كَيْداً يُمِيتُ العَدُوّ أنْ يَطْلُبَ الذّلُّ مِنكَ الفِرَارَا
لَئِنْ جُلْتُمَا في مَكَرّ الزّمَانِ ، فَبَوّاكُمَا مِنْ مَدَاهُ العِثَارَا
فَمَا يَقْرَعُ الجَهْلُ إلاّ الحَلِيمَ ، وَلا يَنكُثُ الخُرْقُ إلاّ الوَقَارَا

١ الغفار بالضم : شعر كالزغب يكون على العنق واللحيين والقفا ونحو ذلك . وبالكسر : ميسم يكون على الخد . والمراد من هذه اللفظة غامض .
٢ السلع والمرار : من أنواع الشجر المر .
٣ المصاد : مكان الصيد . الوجار : جحر الضبع وغيرها .
٤ المسحل : اللجام . العذار : ما سال من اللجام على خد الفرس .

تَفَرّقَ مَالُكُمَا في العِدَى ، وَشَخْصُكُمَا وَاحِدٌ لا يُمَارَى
وَلَمْ أَلْقَ مُنْفَرِداً في الزّمَانِ يُسَائِلُ عَنْ إلْفِهِ : أينَ سَارَا
سَأنْتَظِرُ الدّهْرَ مَا دامَ لي بوَعْدٍ وَأسْأرُ عِندي انْتِظَارَا
لحَى اللهُ دَهْراً كَثِيرَ العَدُوّ ، حَتّى الظّلامُ يُعَادي النّهَارَا
تَصَفّحْتُ أوْجُهَ أبْنَائِهِ ، فلَمْ يَجِدِ اللّحْظُ فيهِمْ قَرَارَا
رَأيْتُ الصّبَاحَ يَذُمّ المَسَا ءَ ذَمّي ، وَيَكْرَهُ مِنهُ الجِوَارَا
وَيَشْحَبُ فِيهِ عَلى أنّهُ يُبَدّلُ في كُلّ يَوْمٍ صِدَارَا[1]
فكونُوا كَمَا أنا في النّائِباتِ آبَى مَعَ القَدْحِ إلاّ اسْتِعارَا
فَمَا غَرّني جُودُهُ بالثّرَاءِ ، وَمَا زَادَني مِنْهُ إلاّ نِفَارَا

سماح في جوانبه إباء

يمدحه أيضاً :

أمَا ذُعِرَتْ بِنا بَقَرُ الخُدُورِ ، وَغِزْلانُ المَنَازِلِ وَالقُصُورِ
عَشِيّةَ مَا التَفَتْنَ عَلى رَقِيبٍ ، وَلا استَحْيَيْنَ مِنْ نَظَرِ الغَيُورِ
أمَا وَاللهِ لَوْ أطْلَقْتُ شَوْقي لَفَاضَ عَلى التّرَائِبِ وَالنّحُورِ
أكُنْتَ مُعَنّفي لَمّا التَقَيْنَا عَلى وَطَرٍ مِنَ الدِّمَنِ الدُّثُورِ

---

١ الصدار : قميص يغشى الصدر بلا كمين .

نَبُلٌ مِنَ الدُّمُوعِ عَلَى زَفِيرِ مَرَاتِعَ ذَلِكَ الظَّبْيِ الغَرِيرِ
وَقَدْ أظمَا الهَوَى مِنَّا قُلُوباً ، كَرَعْنَ مِنَ الصَّبَابَةِ في غَدِيرِ
وَلِلسَّيرِ التِدامٌ في المَطَايَا ، وَلِلبَيْنِ احتِدامٌ في الصُّدُورِ
أحِينَ جَذَبتُمُ الأوْطانَ عَنَّا بِأعْنَاقِ المُخَطَّمَةِ النَّفُورِ
وَجَدْنَ الشَّجْوَ في نَغَمِ الأغاني، وَنَشْوَ الشَّوْقِ في نُطَفِ الخُمورِ
بوَاقِينَا تُتَيِّمُ بِالمَوَاضِي . وَزَائِرُنَا يَتِيهُ عَلَى المَزُورِ
سَقَى اللهُ البِطَاحَ وَمَا تَصَدَّى لَنَا بَيْنَ الخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ
وَآرَاماً بِرَامَةَ ، كُلَّ غَيْثٍ تَمَلَّسَ مِنْ سَحَائِبِهِ مَطِيرِ
فَفِيهَا هَزّنِي أرَجُ الخُزَامَى . وَأعْدَانِي عَلَى نَارِ الهَجِيرِ
قَبَضْتُ يدَ السَّحابِ بِفَيْضِ دَمعي . وَأسْكَتُّ الحَمَايمَ بالزَّفِيرِ
رَكِبْتُ إلَيْكَ أعجَازَ اللّيَالي ، أخُوضُ مِنَ المَسَاءِ إلى البُكُورِ
وَفِتْيَانٍ تَهُزُّهُمُ المَذاكي ، بِأطْرَافِ الحَمَايِلِ وَالسُّيُورِ
فَجِئتُكَ رَاكِباً صَهَوَاتِ دَهْرٍ كَثِيرِ وَقَائِعِ الجَدّ العَثُورِ
لَحَى اللهُ امرأً يَنْضُو حُسَاماً ، فَيَجْبُنُ ، وَهْوَ مَلآنُ الضّمِيرِ
أمَا في هَذِهِ الدُّنْيَا نَجِيبٌ يُسَاعِدُني عَلَى حَرْبِ الدُّهُورِ
فَنَشْرَبَ آجِنَ الغُدْرَانِ فِيهَا . إذا مَا الذّلُّ حَامَ عَلَى النَّمِيرِ
وَنَلْقَى أشْهَبَ الأمْوَاهِ تَرْمي بِرَغْبَتِنَا إلى شِبْهِ البُحُورِ
أبِيتُ . إذا المَطَامِعُ أيقَظَتْني ألاحِظُهُنّ عَنْ طَرْفٍ كَسِيرِ
وَأمْلأُ مُقْلَتيَّ مِنَ العَوَالي ، إذا امتَلأتْ مِنَ العَلَقِ الغَزِيرِ

وَيُعْجِبُني أطيطُ الرّحْلِ تَرْمي أزِمّتُهُ السّهُولَ إلى الوُعُورِ

وَلا أرْضَى مُصَاحَبَةَ الهُوَيْنَا ، إلى طُرُقِ المَطَالِبِ وَالشُّقُورِ[1]

وَيَصْحَبُني ذُؤالَةُ مُسْتَرِيباً بِشَخْصِي في الأمَاعِزِ كَالخَفِيرِ[2]

لأنّي مَا تَحَيّفَني زَمَانٌ ، فَأحْوَجَني الحُسَامُ إلى نَصِيرِ

وَلا اقتَضَتِ الهَوَاجِرُ لَثْمَ خَدّي فَمَاطَلَهَا لِثَامي عَنْ سُفُورِي

وَكُنْتُ ، إذا تَوَعّدَني قَبِيلٌ وَرَبّى الطّعْنَ في البِيضِ الذّكُورِ[3]

رَمَيتُهُمُ بِمُحتَبِلِ الأعَادِي ، وَقَاطِعِ حَبوَةِ المَلِكِ الخَطِيرِ[4]

كَأنّي لَمْ أشُقّ عَلى اللّيَالي بحَرْبٍ ، أوْ خِصَامٍ ، أوْ مَسِيرِ[5]

وَلا أضْحَكْتُ سَيفي في جِهادٍ يُمَزِّقُ عَنْهُ تَعْبِيسَ الثّغُورِ

عَذِيرِي مِنْ بِلادٍ لَيسَ تَخلُو ، سِوَائي ، مِنْ مَلِيكٍ أوْ أمِيرِ

تَضَنّ وَقَد ضَنَنْتُ ، فَمَا أرَاهَا بِعَينِ المُسْتَعِيرِ ، وَلا المُعِيرِ

إذا أدْنَيْتُ رِجْلي مِنْ ثَرَاهَا ، فَزِعْتُ بِهَا إلى قَتَدِ البَعِيرِ

أرَى تَرْكَ الصّلاةِ بِهَا حَلالاً ، فَمَا أمتَاحُهَا مَاءَ الطّهُورِ[6]

وَكَيْفَ تَتِمّ في بَلَدٍ صَلاةٌ ، وَجُلُّ بِقَاعِهِ قِبَلَ الفُجُورِ

---

١ الشقور : الأمور الملتصقة بالقلب المهمة له ، الواحد شقر .

٢ ذؤالة : علم للذئب . الأماعز ، الواحد أمعز : المكان الصلب الكثير الحجارة .

٣ ربى الطعن : هذبه .

٤ المحتبل من الأحبولة : المصيدة . الحبوة : ما يحتبى أي يشتمل به .

٥ أشق : أصعب ، أوقع المشقة .

٦ امتاح الماء : نزعه .

أُلاحِظُ في جَوَانِبِهَا رِجَالاً ، فَأَعْرِفُ مَنْ أَرَى غَيْرَ النَّظِيرِ

تُغَمِّضُ عن وُجوهِهِمُ الدَّرَارِي ، وَتُسحَبُ فيهِمُ غُرَرُ البُدُورِ

عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ صَوْتي ، وَلَكِنْ صَهيلُ الخَيلِ يُطرِقُ للهَرِيرِ[1]

مَضَوْا إلاَّ بَقَايَا سَوْفَ تَمْضِي ، وَشَرُّ القَوْمِ شَذَّ عَنِ القُبُورِ

وَمَا زَالَتْ جِمَامُ المَاءِ تَفْنَى ، وَتُختَمُ مَدَّةُ الثَّمَدِ الجَرُورِ[2]

وَنِكْسٍ شَاطَرَتْهُ مِنَ اللَّيَالي يَدٌ عَنْ شيمَتَيْ كَرَمٍ وَخيرِ

فَأَصْبَحَ لا يَرَى للمَالِ عِتْقاً ، وَتَمْلِكُ كَفُّهُ رِقَّ البُدُورِ[3]

تَخَيَّلَ ضَوْءَ دِرْهَمِهِ الأَمَاني مَضَاجِعَ هَامَةِ القَمَرِ المُنيرِ

صَحِبْنَا الدَّهرَ ، وَالأَيَّامُ بِيضٌ ، وَنَحْنُ نَوَاضِرٌ سُودُ الشُّعُورِ

فَلَمَّا اسْوَدَّتِ الدُّنْيَا بَرَزْنَا لَهَا بِيضَ الذَّوَائِبِ بالقَتِيرِ

تَميلُ عَلى مَنَاكِبِنَا اللَّيَالي ، بِأَلْوَانِ الغَدَائِرِ وَالضُّفُورِ

وَنَرْسُبُ في مَصَائِبِهَا ، وَنَطْفُو لِغَيْرِ بَنِي أَبِينَا بِالسُّرُورِ

إذا لَحَظَتْ عَزَائِمُنَا التَقَيْنَا إلى مُقَلٍ مِنَ الأَيَّامِ حُورِ

تُرِينَا في جِبَاهِ الأُسْدِ ذُلاًّ ، وَفي حَدَقِ الأَرَاقِمِ كَالفُتُورِ

أَقُولُ لِنَاقَتِي ، وَاليَوْمُ يَمْلا إنَاءَ البِيدِ مِنْ مَاءِ الحَرُورِ

وَقَدْ سَحَبَتْ ذَوَائِبَهَا ذُكَاءٌ عَلى قِمَمِ الجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ

١ يطرق : يصمت .

٢ المدة ، من مده بالماء : ساعده فيه ، زاده فيه . الثمد : الماء القليل .

٣ البدور ، الواحدة بدرة : كيس فيه عشرة آلاف درهم .

تَمُرّ عَلى الظِّبَاءِ مُكَنَّسَاتٍ، كمَا قَطَنَ العَذارَى في الخُدورِ[1]
تُعَاتِبِهُا المَرَاتِعُ في الفيَافي ، وَيَشكُوهَا الكِبَاثُ إلى البَرِيرِ[2]
إذا بَابُ الحُسَيْنِ أضَافَ رَحْلي ، أذُمّ عَلى المَطِيّ مِنَ المَسيرِ
فَثَمّ الغَيْثُ مَعقُودُ النّوَاصِي ، وَلَيْثُ الغَابِ مَحلُولُ الزّئيرِ
أطَالَ العُشْبَ مِنْ سُرَرِ الرّوَابي، وَحَطّ المَاءَ في قِطَعِ الصّبِيرِ[3]
سَمَاحٌ في جَوَانِبِهِ إبَاءٌ ، كحُسْنِ المَاءِ في السّيفِ الشّهِيرِ
فَتًى يَصْلَى بِأطْرَافِ المَوَاضِي ، وَنَارُ الحَرْبِ طَائِشَةُ السّعيرِ
وَيَمْشُقُ بالعَوَالي في الهَوَادِي ، وَطُرْسُ اليَوْمِ مُختَلِطُ السّطورِ[4]
يَرُدّ الشّمسَ مَطرُوفاً سَنَاهَا ، وَقَدْ حُجِبَتْ بأجْنِحَةِ النّسُورِ
هُمَامٌ جَرّ أرْسَانَ المَعَالي إلَيْهِ ، وَطَاسَ أطنَابَ الأُمُورِ[5]
يُشَاوِرُ، وَهْوَ أعْلَمُ بِالقَضَايَا، فَيَسْبُقُ رَأيُهُ قَوْلَ المُشِيرِ
وَيُفرِغُ صَائِبَاتِ الرّأيِ فيهَا ، كَإفْرَاغِ النّبَالِ مِنَ الجَفيرِ
رَمَى بِالنّارِ في ثَغْرِ الدّيَاجي ، وَأدّبَ شِيمَةَ الكَلْبِ العَقُورِ
لمَزْؤودٍ تَقَاذَفُهُ المَطَايَا ، وَيُسْنِدُهُ إلى ظَهْرٍ حَسِيرِ
عَلى ظَلْمَاءَ قَابِضَةٍ إلَيْهِ بِلَحْظِ المُجْتَلي وَيَدِ المُشيرِ

١ مكنسات ، من كنس الظبي : تغيب واستتر في كناسه ، أي بيته .
٢ الكباث : النضيج من ثمر الأراك . البرير : الأول من ثمر الأراك .
٣ السرر ، الواحدة سرة : أفضل مواضع الوادي . الصبير : السحاب .
٤ يمشق : يسرع بالطعن .
٥ طاس : وطىء .

تَنَاعَسَ نَجمُها عَنْ كلِّ سارٍ، فَيَقْظُ بَيْنَ رَاحِلَةٍ وكُورِ
مَتَى أَلْقَاكَ قَائِدَهَا عِرَاباً مُثَلَّمَةَ الأشَاعِرِ وَالنّسُورِ[1]
تَهَادَى كَالعَذارَى حَالِيَاتٍ، مَعَاقِدُ حُزْمِهَا بَدَلُ الخُصُورِ
فأسبَحُ مِنْ دِمائِكَ في خَلُوقٍ، وَأَرْفُلُ مِنْ عَجاجِكَ في عَبيرِ
إذا رَكَضَتْ بِسَاحَتِكَ اللّيَالي، فَلا زَالَتْ تَقَاعَسُ في الشّهُورِ
وَإنْ طَالَتْ بهَا أيْدِي الأمَاني، فَلا امتَدَّتْ يَدُ الوَعْدِ القَصِيرِ
وَلا زَالَتْ رِمَاحُكَ مُطْلَقَاتٍ تُرَدِّدُهَا إلى الأجَلِ الأسِيرِ

رضوا بخيال المجد

قال أيضاً يمدحه ويذم بعض أعدائه
وذلك سنة ٣٧٤ ويذكر فيها أغراضاً
كثيرة وهي أطول ما قاله :

بِغَيرِ شَفِيعٍ نَالَ عَفْوَ المَقَادِرِ، أخُو الجَدِّ لا مُسْتَنْصِراً بالمَعَاذِرِ
وَأعجبُ فِعلاً من قُعودي على العُلى، سُرَايَ بِأعْقَابِ الجُدُودِ العَوَاثِرِ
أُؤمّلُ مَا أبْقَى الزّمَانُ، وَإنّمَا سَوَالِفُهُ مَعْقُودَةٌ بِالغَوَابِرِ
فخَلِّ رِقابَ العِيسِ يَجذِبُها السُّرَى بِآمَالِ قَوْمٍ مُحْصَدَاتِ المَرَائِرِ

[1] الأشاعر : ما استدار بالحافر من منتهى الجلد . النسور ، الواحد نسر : لحمة في باطن الحافر.

فَمَا التذَّ طَعْمَ السّيرِ إلاّ بمُنيَةٍ ، وَإنّ الأمَاني نِعْمَ زَادُ المُسَافِرِ
وَدُونَ مُدارَاةِ المَطيّ عَلى الوَجَى مُشَاغَبَةُ الأشجَانِ دونَ الضّمائِرِ
فلَيتَ قُلُوبَ العَاشِقِينَ إذا وَنَى بهَا السّيرُ كانَتْ في صُدُورِ الأباعِرِ
وَللهِ قَلْبي مَا أرَقّ عَلى الهوَى . وَأصْبَى إلى لَثْمِ الخُدُودِ النّوَاضِرِ
يَحِنّ إلى ما تَضْمَنُ الخُمرُ وَالحلَى ، وَيَصْدُفُ عَمّا في ضَمَانِ المَآزِرِ
وَلَمّا غَدَوْنَا للوَداعِ وَنَقّرَتْ صُرُوفُ النّوَى دونَ الخَليطِ المُجاوِرِ[1]
عَنِيتُ مِنَ القَلْبِ العَفيفِ بعاذِلٍ ، وَمِنْ خُدَعِ الشّوْقِ السّفيهِ بِعَاذِرِ
عَشِيّةَ لا عِرْسُ الوَفَاءِ بِمُرْمِلٍ لَدَيْنَا ، وَلا أُمُّ الصّفَاءِ بِعَاقِرِ
وَمَنْ لمْ يَنَلْ أطْمَاعَهُ مِنْ حَبيبِهِ رَضِي ، غيرَ رَاضٍ ، بالخَيالِ المُزَاوِرِ
وَكُنْتُ أذُودُ الدّمْعَ إلاّ أقَلّهُ لسُقيَا حِمًى من بَعدِ بَينِكَ داثِرِ
وَإنّيَ لا أرْضَى ، إذا مَا تَحَمّلَتْ إلَيْهِ مَرَابيعُ السّحَابِ المَوَاطِرِ
كِلِيني إلى لَيْلٍ كَأنّ نُجُومَهُ تُغازِلُ طَرْفي عَن عُيُونِ الحَآذِرِ
أمُرّ بِدارٍ مِنْكِ مَشجُوجَةِ الثّرَى بِمَجْرَى نَسيمِ الآنِسَاتِ الغَرَائِرِ[2]
تَمُرّ عَلَيْهَا الرّيحُ ، وَهيَ كأنّهَا تَلَفّتُ في أعْطَافِ تِلْكَ المَقَاصِرِ
وَيَشْهَقُ فيهَا بِالأصَائِلِ وَالضّحَى حَيَا كُلّ عَرّاصِ الشّآبيبِ ماطِرِ[3]
وَيَسْتَنّ فِيهَا البَرْقُ حَتّى تَخالَهُ يَفِيضُ بفَيْضِ القَطرِ في كلّ حاجِرِ

١ قوله : نقرت ، هكذا في الأصل وهي لا تؤدي معنى بيناً ، ولعلها محرفة .
٢ مشجوجة : ممزوجة .
٣ العراص : السحاب ذو البرق والرعد .

وَلَمّا رَأَيتُ اللّيلَ مُستَرِقَ الخُطَى ، وَأطْرَافَهُ تَجلُو وُجُوهَ التّبَاشِرِ[1]
أرِقْتُ لأجفَانِ الرّكَائِبِ هَبّةً بِألحَاظِ جَوّالِ العَزَائِمِ سَاهِرِ
وَسِيماً بهِ يَعتَلّ بالأعيُنِ الكَرَى ، وَيَنشَقّ عَنْ مَكنُونِهِ كلُّ نَاظِرِ[2]
بيَهْمَاءَ يَستَغْوِي الحُداةَ سَرَابُها علَى ظَمَإٍ بَينَ الجَوَانِحِ ثَائِرِ[3]
وَيَحبُو بِهَا الأعيَاسُ حتّى كأنّها تُنَصّ عَلى أخفَافِهَا بالكَرَاكِرِ[4]
وَمَوْلًى أُدانيهِ على السّخطِ وَالرّضَى ، وَيَبعَطُ عَنّي ، وَالقَنا في الحَنَاجِرِ[5]
يَهُزّ عَليّ السّوْطَ ، وَالرّمحُ دُونَهُ ، وَهزُّ العَوَالي غَيرُ هَزّ المَخَاصِرِ
عَطَفْتُ لَهُ صَدْرَ الأصَمّ ، وَتَحتَهُ عَوَاطِفُ أسْبَابِ الحُقُودِ النّوَافِرِ
فَخَرّ ، وَفِيهِ لِلطّعَانِ مَنَاظِرٌ يُطَالِعُهَا طَيرُ الفَلا بِالمَنَاسِرِ
فَما ظَفِرَتْ من نَفسِهِ أُمُّ قَشْعَمٍ ، بِمَا ظَفِرَتْ مِنْ جِسمِهِ أُمُّ عامِرِ[6]
وَرَكْبٍ تَفادَى النّوْمُ أنْ يَستَخِفّهُ إذا ما الكَرَى ألقَى يَداً في المَحاجِرِ
وَرَدْتُ بهِ بُحبُوحَةَ الوِرْدِ ، فانثَنى يُقَلِّصُ صَافي مَائِهِ في المَشَافِرِ
وَغَادَرَ أحْشَاءَ الغَدِيرِ ضَوَامِراً ، مِنَ المَاءِ في ظِمءِ النّوَاحي الضّوَامِرِ

١ التباشر : أول الصباح . وقوله : مسترق الخطى ، أي هارب .

٢ الرسيم : ضرب من سير الإبل . يعتل : يتعلل ، يتشغل .

٣ البهماء : الفلاة لا ماء فيها .

٤ الأعياس : النياق . تنص ، من نص الناقة : استحثها شديداً . الكراكر ، الواحدة كركرة : رحى زور البعير .

٥ يبعط : يبعد .

٦ أم قشعم : المنية . أم عامر : الضبع .

وُرُودَ خَفيفِ الوِرْدِ أوّلَ وَارِدٍ	طُرُوقاً إلى مَاءٍ ، وَأوّلَ صَادِرِ
إذا هَزّ أطْرَافَ الخَليجِ رَمَتْ بهِ الـ	ـمَوَارِدُ خِفّاً في وُجُوهِ المَصَادِرِ
وَكَانَ إذا مَا عَاقَهُ بُعْدُ مَطْلَبٍ	يُضَعْضِعُ أعضَادَ المَطِيّ الزّوَافِرِ
تَمَرّسَ بالأيّامِ حتّى ألِفْنَهُ ،	وَكَرّ على أحْداثِها وَالدّوَائِرِ
وَأخْطَأ سَهْمُ القِطْرِ مَقتَلَ مَحلِهِ	فَزَمّ قَسِيّ العَادِيَاتِ الهَوَامِرِ[1]
فتًى حينَ أكْدَتْ أرْضُهُ هَجَمَتْ به	على لابنٍ مِنْ آلِ عَدْنَانَ تَامِرِ
على مَاجِدٍ لا يَسرَحُ اللّوْمُ عِندَهُ ،	وَلا تُدَّرَى أفْعَالُهُ بالمَنَاكِرِ[2]
إذا رَاوَحَ الرُّعْيَانُ لَيلاً سَوَامَهُ ،	فَقَدْ لَفّهَا جِنْحُ الظّلامِ بِعَاقِرِ
تَفَرّعْتُ حتّى عَوّدَتْني رِمَاحُهُ ،	فعَوّدتُ مِنْ سُوءِ الظّنونِ سرَائِرِي
تَشَابَهُ أيّامي بِهِ ، فَكَأنّمَا	أوَائِلُهَا مَمْزُوجَةٌ بالأوَاخِرِ
هُوَ الوَاهِبُ الألفِ الّتي لَوْ تَسومُها	قبيلاً ، فَدَاهَا بالجَديلِ وَداعِرِ[3]
يَطُولُ إذا مَدّ الرُّدَيْنيّ بَاعُهُ ،	وَعَانَقَ أعْنَاقَ الرّجَالِ المَسَاعِرِ[4]
فَيَفْرِي طَرِيقاً للسِّبَارِ ، كَأنّمَا	لهَا ذِمّةٌ في الطّعنِ ، رِسْلُ المَسَابِرِ[5]
تَعَلّقَ في ثِنْيِ العَرِينِ بِعَزْمَةٍ	تُذَلّلُ أمْطَاءَ اللّيُوثِ الخَوَادِرِ

١ القطر : ضرب من النحاس . المحل : الخديعة والكيد . ورجل محل : لا ينتفع به . زم : تقدم في السير . القسي : السير الشديد . العاديات : الخيل . الهوامر : الضاربات بحوافرها شديداً .
٢ تدرى : تختل ، تخدع .
٣ الجدير وداعر : فحلان .
٤ المساعر : الطوال الأعناق .
٥ السبار : ما يسبر به غور الشيء . الرسل : التمهل والتؤدة والرفق .

فَطَرّدَهَا حتّى استبَاحَ شُبُولَها ، وَمَا ضَعْضَعَتْهُ أُسْدُهَا بِالزّمَاجِرِ

يَخِفّ إلَيهِ الجَيشُ ، حتى كَأنّهُ يَمُدّ بِأعْنَاقِ النّعَامِ النّوَافِرِ

جزَى اللهُ عَنْهُ الخَيلَ ما تَستَحقّهُ إذا رَقَصَتْ بالدّارِعِينَ المَغَاوِرِ

وَخَبّتْ على بَيْداءَ تَشْرَقُ ماءَهَا عنِ الرّكبِ في طَيّ العُيونِ الغَوَائِرِ[1]

تَمُرّ على المَعْزَاءِ خَفّاقَةَ الحَصَى ، وَتَحثو بوَجهِ الشّمسِ تُرْبَ القَرَاقِرِ[2]

وَتَسترْعِفُ الآفَاقُ لَمْعَ صَفائِها بمُغبَرّةٍ تَمْحُو سُطُورَ الهَوَاجِرِ

حمَى بَيضَةَ الإسلامِ بالحَقّ فاحتمتْ وَقَرّتْ بأعشاشِ الرّمَاحِ الشّوَاجِرِ

وَمِنْ قَبلُ ما كانَتْ تَقَلْقَلُ خيفَةً وَتَرْقُبُ في الأيّامِ وَهْصَةَ كَاسِرِ[3]

إذا عَبّقَتْ أخلاقُهُ أرَجَ العُلَى ، تَضَوّعَ في الحَيّيْنِ كَعْبٍ وَعَامِرِ

وَلَمّا انجلَتْ من حَوْزَةِ الشّرْكِ فُرْصَةٌ تَقَنّصَها وَالدّينُ دامي الأظَافِرِ

تَدارَكَها وَالرّمْحُ يرْكَبُ رَأسَهُ ، فَيَرْعَفُ مِنْ قَطرِ الدّمَاءِ القَوَاطِرِ

بطَعنٍ كوَلغِ الذّئبِ، إنْ زَعزَعَ القَنا سَقَاهَا شَآبِيبَ الدّمَاءِ المَوَائِرِ

أفَاضَ على عَدْنانَ فَضْلَ وَقَارِهِ ، وَقَدْ مَسّهَا طَيشُ السّهامِ الغَوَائِرِ

فَبَوّأ أوْفَاهُمْ يَداً قُلّةَ العُلَى وَمَدّ بِأضْبَاعِ الرّجَالِ البَحَاتِرِ[4]

إذا جَنّبُوهُ للرّهَانِ أتَوْا بِهِ جَوَاداً يُفَدّى شَأوُهُ بِاليَعَافِرِ

١ تشرق : تغص . ماءها : أراد بمائها فنصب بنزع الخافض .

٢ القراقر ، الواحدة قرقرة : الأرض اللينة .

٣ الوهصة : الوطأة الشديدة .

٤ القلة : القمة . البحاتر : القصار ، الواحد بحتر .

يُغَطّي عَلى أوْضَاحِهَا بِغُبَارِهِ ، وَيَخْرُجُ سَهْلاً من جُنُوبِ الأوَاعِرِ
إذا ذَكَرُوهُ للخِلافَةِ لَمْ تَزَلْ تَطَلّعُ مِنْ شَوْقٍ رِقَابُ المَنَابِرِ
لَعَلّ زَمَاناً يَرْتَقي دَرَجَاتِهَا بِأرْوَعَ مِنْ آلِ النّبيّ عُرَاعِرِ[1]
وَمَنْ لي بِيَوْمٍ أبْطَحيٍّ سُرُورُهُ ، يُجَوِّلُ مَا بَيْنَ الصّفَا وَالمَشَاعِرِ
فَهَا إنّ طَوْقَ المُلْكِ في عُنُقِ ماجِدٍ ؛ وَإنّ حُسامَ الحَقّ في كَفّ شَاهِرِ
وَيَا رُبّ قَوْمٍ مَا استَعاضُوا لِذِلّةٍ شَهِيقَ العَوَالي مِنْ حَنِينِ المَزَامِرِ
كُؤوسُهُمُ أسْيَافُهُمْ وَخِضَابُهَا إذا جَرّدُوهَا مِنْ دِمَاءِ المَعَاصِرِ
رَضَوْا بخَيالِ المَجدِ وَالشّخص عندَه ، وَمَا قيمَةُ الأعرَاضِ عِندَ الجَوَاهِرِ
هُمُ تَبِعُوهُ مُقْصِرِينَ ، وَرُبّمَا تَوَسّدَتِ الأظْلافُ وَقْعَ الحَوَافِرِ
إذا عَدّدُوا المَجدَ التّليدَ تَنَحّلُوا عُلًى تَتَبَرّى مِنْ عُقُودِ الخَنَاصِرِ
حَرِيّونَ إلاّ أنْ تُهَزّ رِمَاحُهُمْ . ضَنِينُونَ إلاّ بِالعُلَى وَالمَفَاخِرِ
هُمُ انتَحَلُوا إرْثَ النّبيّ مُحَمّدٍ . وَدَبّوا إلى أوْلادِهِ بِالفَوَاقِرِ
وَمَا زَالَتِ الشّحنَاءُ بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ تُرَبّي الأمَاني في حُجُورِ الأعَاصِرِ
إلى أنْ ثَنَوْهَا دَعْوَةً أمَوِيّةً ، زَوَتْهَا عَنِ الإظْهَارِ أيْدي المَقادِرِ
وَلَوْ أنّ مِنْ آلِ النّبيّ مُقِيمَهَا ، لَعَاجُوا عَلَيْهِ بالعُهُودِ الغَوَادِرِ
فَمَا هَرَقُوا في جَمْعِها رِيَّ عَامِلٍ ؛ وَلا قَطَعوا في عَقدِها شِبْعَ طَائِرِ
وَقَدْ مَلأُوا مِنْهَا الأكُفّ ، وَأهلَها ، فَمَا مَلأوا مِنْهَا لَحَاظَ النّوَاظِرِ
فَرَاشُوا لَهُمْ نَبلَ العَداوَةِ بَعدَمَا بَرَوْهَا وَكَانَتْ قَبلُ غيرَ طَوَائِرِ

[1] العراعر : الشريف .

شَهِدْتُ لَقَدْ أَدّى الخِلافَةَ سَيْفُهُ إِلى جانِبٍ مِنْ عَقْوَةِ الدّينِ عامِرِ
يُفَرِّقُ ما بَيْنَ الكُؤوسِ وَشُرْبِها ، وَيَجْمَعُ ما بَيْنَ الطُّلى وَالبَواتِرِ
فَيَرْفَعُ صَدْرَ السَّيْفِ إِنْ حَطَّ كَأْسَهُ ، وَيَمْرِي دِماءَ الهامِ إِنْ لَمْ يُعاقِرِ
وَيَنْهَضُ مُشْتاقاً إِلى مَصْرَعِ القَنا ، فَيَسْحَبُ بُرْدَيْ فاسِقِ السَّيْفِ طاهِرِ
مُعَظَّمُ حَيٍّ ما رَمَتْهُ هَجيرَةٌ ، فَقَعْقَعَ في أَعْراضِها بِالهَواجِرِ
وَلَمّا طَغَتْ عَيْلانُ في عِشْقِ غَيِّها رَماها مِنَ الكَيْدِ الوَحِيِّ بِساحِرِ
رَماهُمْ مِنَ الرُّمْحِ الطَّويلِ بِحالِبٍ ، وَمِنْ شَفْرَةِ العَضْبِ الحُسامِ بِجازِرِ
وَأَضْرَمَ ناراً ، فاسْتَرابُوا بِضَوْئِها ، وَما هِيَ إِلاّ لِلضُّيُوفِ السَّوائِرِ
فَلَمّا تَراخَتْ في الضَّلالِ ظُنُونُهُمْ تَراخى فَطارَتْ نارُهُ في العَشائِرِ
وَلَمّا أَرَوْهُ نَفْرَةَ العارِ خافَها ، وَلَوْ نَفَرَتْ أَرْماحُهُمْ لَمْ تُحاذِرِ
فَأَرْسَلَها شَعْواءَ تَقْدَحُ نارَها عَلى جَنَباتِ الأَمْعَزِ المُتَزاوِرِ
شَماطيطَ يُجْرُونَ الحَديدَ كَأَنَّما مَشَيْنَ عَلى مَوْجٍ مِنَ اليَمِّ زاخِرِ
عَلَيْها مِنَ البِيضِ العَوارِضِ فِتْيَةٌ خِضابٌ قَناها مِنْ دِماءِ المَناحِرِ
مَفارِقُ لا يَعْلُو عَلَيْها مُطاوِلٌ ، غَداةَ وَغًى ، إِلاّ قِبابُ المَغافِرِ
فَجاؤوكَ وَالخَيْلُ العِتاقُ طَلائِحٌ تَضاءَلُ مِنْ عِبْءِ الرِّماحِ العَواثِرِ
وَما حَرَّكُوها لِلطِّعانِ ، كَأَنَّما زِجاجُ قَناها عُلِّقَتْ بِالأَشاعِرِ
وَجارَتْ سِهامُ المَوْتِ فيهِمْ ، وَإِنَّما دَليلُ المَنايا في السِّهامِ الجَوائِرِ
وَطَأْتَهُمُ بِاللاّحِقِيّاتِ وَطْأَةً تُذَلِّلُ خَدَّ الجانِبِ المُتَصاغِرِ
فَأَزْعَجْتَ داراً مِنْهُمُ مُطْمَئِنَّةً ، وَأَخْلَيْتَها مِنْ كُلِّ عافٍ وَسامِرِ

شَنَنْتَ بِهَا الغَارَاتِ حتّى تُرَابُهَا يَثُورُ على العاداتِ مِنْ غَيرِ حافِرِ
وَكُلُّ فَتَاةٍ مِنْ نِزَارٍ تَرَكْتَهَا تَرِيعُ إلى ظِلّ الرَّبُوعِ الدّوَاثِرِ
تُحَشِّشُ في أذْيَالِهَا مُسْتَكِينَةً، وَتَحْطِبُ ذُلاًّ في حِبَالِ الغَدَائِرِ[1]
وَكُلُّ غُلامٍ مِنْهُمُ شَامَ سَيْفَهُ رَأى فيهِ وَجْهَ الحَقّ طَلْقَ المَنَاظِرِ
وَلَمّا امتَطَى ظَهْراً مِنَ الغَيّ كَاسِياً تَنَدّمَ أنْ أعْرَى ظُهُورَ البَصَائِرِ
جَفَتهُ العُلى، فانسَلّ من عُقْدَاتِها، وَمَا عَلِقَتْ أعْطَافُهُ بِالمَآثِرِ
وَلَوْ لَمْ تُمَسَّحْ بِالأمَانِ رُؤوسُهُم لَمَا أنِسَتْ هَامَاتُهُمْ بِالغَفَائِرِ
تَفَرّتْ قُلُوبُ القَوْمِ حتّى تَهَتّكَتْ بِمَا استَتَرَتْ فيهِ بَنَاتُ السّرَائِرِ
أبَا أحْمَدٍ ثِقْ بِالمَعَالي، فإنّهَا، إذا لَمْ تُرَعْ بالبُخْلِ غَيرُ غَوَادِرِ
فَمَا مَالُكَ المَذْخُورُ إلاّ لِطَالِبٍ؛ وَلا رَبْعُكَ المَعْمُورُ إلاّ لِزَائِرِ
وَلا تَطْلُبَا ثَارَ الرِّمَاحِ، وَإنّمَا دِمَاءُ المَعَالي في رِقَابِ الجَرَائِرِ[2]
جَلَوْتَ القَذى عَن مُقلَتَيَّ فباشَرَتْ صَنيعَكَ أجْفَاني بِألحَاظِ شَاكِرِ
فَإنْ هَزّ يَوْماً فَرْعَ مُلْكِكَ حاسِدٌ فإنّ المَعَالي مُحْكَمَاتُ الأوَاصِرِ
هُوَ العُودُ سَهْلٌ للسّمَاحِ جَنَاتُهُ، وَلكِنْ على الأعداءِ وَعْرُ المَكَاسِرِ
أذَمَّ عَلى الأيّامِ مِنْ كلّ حَادِثٍ، وَحَاطَ جَنَابَ الدّينِ من كلّ ذاعِرِ[3]

١ تحشش : تجمع الحشيش .

٢ تطلبا : الألف بدل من نون التوكيد الخفيفة ، والأصل تطلبن . الجرائر ، الواحدة جريرة : الذنب والجناية .

٣ أذم : أجار . الذاعر : الخبيث .

وَضَمّ شِفَاهَ الوَحشِ حتّى ظَنَنْتُهُ سيَصْدَى صِقَالاً في نيوبِ القَساوِرِ
وَمَا زَالَ يَسْمُو بِالمَعالي كَأنّها تَجُرُّ إلَيْهِ بِالنّجُومِ الزّوَاهِرِ
لَهُ سابِقاتُ القَبْلِ في كُلّ أوّلٍ ، مضَى ، وَبَقَاءُ البُعدِ في كلّ آخرِ
تَرَفّعَ في العَلْيَاءِ عَن وَصْفِ مادِحٍ ، وَرَفّعتُ عَنْ مَدحِ المُلوكِ خوَاطِري
فَمَا هُوَ لَوْلا مَا أقُولُ بِسَامِعٍ ؛ وَلا أنَا لَوْلا مَا يَمُنّ بِشَاعِرِ

المجد شاعره

يمدحه أيضاً

بَلاءُ القَلْبِ نَاظِرُه ، وَأنْجَى النّاسِ كَاسِرُهُ
إذا مَا عَنّ حُسْنٌ لَمْ تُشَبّثْهُ نَوَاظِرُهُ
وَأذْكَى المُضْمَرَاتِ حشاً تُطَهّرُهُ ضَمَائِرُهُ
وَتَشْهَدُ بِالعَفَافِ عَلى بَوَاطِنِهِ ظَوَاهِرُهُ
وَمَا فَخْرُ العَفِيفِ الجِسْمِ إنْ فَسَقَتْ سَرَائِرُهُ
وَلي طَرْفٌ تُصَرّفُهُ عَلى حُكْمي مَحَاجِرُهُ
وَقَلْبٌ عَاقِرٌ في الدّهْرِ مِنْ داءٍ يُخَامِرُهُ
وَلَفْظُ فَمٍ ، إذا مَا جَالَ لا تُخْشَى هَوَاجِرُهُ
وَرُبّ سَناً أرِقْتُ لَهُ يُخَادِعُني تَبَاشِرُهُ

حَيّاً يَسْتَنّ بَارِقُهُ ، كَمَا يَسْتَنّ مَاطِرُه
وَيَشْدُو فِيهِ رَاعِدُهُ كَمَا تَشْدُو زَوَاخِرُه
وَمَسْجُورٍ عَلى جَدَدٍ تَمَطّى بي هَوَاجِرُه[1]
تَخُرّ لنَهْضِهِ الحِرْبَا ءُ ، سَاجِدَةً يَعَافِرُه[2]
تُرَشّفُني مَوَارِدُهُ ، وَتَلْفِظُني مَصَادِرُه
وَنَائي الحَجْرَتَينِ يَكَا دُ يُدْنِيهِ تَضَافُرُه[3]
تَمَسّ أسِنّةَ الأرْمَا حِ مِنْ طُولٍ مَغَافِرُه
كَأنّ الشّمْسَ تَرْمُقُهُ فَتُخْجِلُهَا بَوَاتِرُه
وَتَطرُدُ ضَوْءَهَا مِنْهُ ، عَلى ذُعْرٍ كَوَاسِرُه
فَمَا يَنسَابُ لحَظُ الشّمْ سِ ، أوْ يَنسَابُ طائِرُه
يَمُجّ شُعَاعُهَا تِبْراً ، قَوَادِمُهَا نَوَاثِرُه
دَنَانِيرٌ تَلَمّعُ مِنْ مَوَاقِعِهَا دَيَاجِرُه
تَنَقّلُ في مَغَافِرِهِ ، كمَا انْتَقَلَتْ حَوَافِرُه
وَكُلٌّ مُلَثَّمٍ بالنّقْ عِ هَافِيَةٍ غَدَائِرُه
يَخِفّ مُشَيَّعاً كَبُرَتْ بِصَارِمِهِ جَرَائِرُه
وَيَنْشُرُ طَعْنَهُ شَزْراً ، إذا انْتَظَمَتْ مَفَاخِرُه

١ المسجور : الموقد . الجدد : الأرض الغليظة المستوية ، وما استرق من الرمل .

٢ اليعافر ، الواحد يعفور : ظبي بلون التراب .

٣ الحجرتين : الناحيتين .

وَلَيْسَ كَهَائِبٍ يَلْقَى الرَّدى وَالسَّيْفُ زَاجِرُهْ
يَرُوحُ عَنِ الوَغَى أبَداً مُرَفَّهَــةً ضَوَامِرُهْ
وَمَا حُطِمَتْ ذَوَابِلُهُ ، وَلا قُرِعَتْ مَحَاضِرُهُ
وَلا قَبَضَتْ أنَامِلَهُ عَلَى مَالٍ زَوَاجِرُهُ
وَلا ثُنِيَتْ لَهُ إلاّ عَلَى مَجْدٍ خَنَاصِرُهُ
إذا ذُكِرَ اسمُهُ ارْتَجّتْ ، أوِ ارْتَعَدَتْ مَنَابِرُهُ
وَحِيدٌ في طِلابِ المَجْـ ـدِ ، تَرْفُضُهُ عَشَائِرُهُ
وَيَعْلَمُ جُرْحُ صَارِمِهِ بِأنّ الرّمْحَ سَابِرُهُ
فَيَا لَيْثاً يُرَاوِحُهُ قَبِيلٌ لا يُبَاكِرُهُ
وَيَعْلَمُ مَنْ يُنَازِلُهُ بِأنّ المَوْتَ آسِرُهُ
وَأيُّ الأُسْدِ قَادَ المَوْ تَ تَحْمِيهِ زَمَاجِرُهُ
تَقُودُ زِمَامَ جَيْشٍ أنْـ ـتَ أوّلُــهُ وَآخِرُهُ
تَنَطّقَ بِالقَنَا يَحْمَـ ـرُّ نَاهِضُهُ وَعَاثِرُهُ
يَبُزّ اللّيْثَ جِلْدَتَهُ ، إذا أرْدَاهُ بَاتِرُهُ
وَلا تَلْوِي عَلَى سَلَبٍ ، إذا ظَفِرَتْ عَسَاكِرُهُ
فَيَا غَيْثاً يَغِيضُ الغَيْـ ـثُ إنْ هَجَمَتْ هَوَامِرُهُ
وَيَا رَجُلاً تَخَافُ الأُسْـ ـدُ إنْ خَفَقَتْ أعَاصِرُهُ
وَيَا طَوْقاً تَخَاوَصُ عَنْ جَوَانِبِـهِ جَبَابِرُهُ[1]

[1] تخاوص : تغض من بصرها .

وَيَا قَمَراً دُجَاهُ مبَا تُثِيرُ لَهُ مَنَاسِرُهُ[1]

وَيَا نَصْلاً تَطَلّعُ مِنْ غِرَارَيْهِ مَحَاذِرُهُ

وَيَا رَوْضاً يُحَيّي مَا رِنَ العَلْيَاءِ نَاضِرُهُ

وَيَا عُوداً تَنُمّ عَلَى أعَالِيهِ عَنَاصِرُهُ

وَكَمْ هَزَأتْ بِعَاجِمَةٍ عَلَى طَمَعٍ مَكَاسِرُهُ

يُمَزّقُ عَنْكَ جَيْبَ النّقْعِ مَصْقُولٌ تسايرُهُ

وَلَيْلٍ بَاتَ يَسْهَرُهُ ، كَأنّ المَجْدَ سَامِرُهُ

يَبُثّ سَوَامَ لَحْظَتِهِ ، وَأنْجُمُهُ أزَاهِرُهُ

إذا مَا افْتَرّ خَالَ اللّيْلُ أنّ الفَجْرَ بَاهِرُهُ

وَإنْ أسْرَى يَوَدّ الأفْقُ أنّ البَدْرَ ضَامِرُهُ

وَتَغْشَى في الظّلامِ بضَوْءِ غُرّتِهِ عَذَافِرُهُ[2]

فَلا عَجَبٌ لَهُ في اللّيْلِ إنْ ضَلّتْ أبَاعِرُهُ

لَقَدْ مَلَكَ الفَخَارَ وَبَاتَ يَنهاهُ وَيأمُرُهُ

جَوَادٌ أنْتَ رَاكِبُهُ ، وَسَيْفٌ أنْتَ شَاهِرُهُ

وَلَمْ أرَ في الزّمَانِ فَتًى تَجَنّبُهُ بَوَادِرُهُ

يَحُوطُ الدّهْرُ مُهْجَتَهُ وَتَكْلَؤهَا مَقَادِرُهُ

وَتُقْبَلُ في سِوَاهُ مَتَى جَنَى جُرْماً مَعَاذِرُهُ

. . . . .

١ المناسر ، الواحد منسر : القطعة من الخيل ، أو الجيش .

٢ العذافر : الأسود ، الأشداء من الإبل .

وَلَمّا تَاهَ مَدْحي فيـ ـهِ دَلّتْـهُ مَـآثِرُه
إذا مَا ضَلّ نَابُ اللّيْـ ـثِ هَرّتْهُ أظَافِرُه
ألا مَنْ كنتُ شاعِرَهُ ، فَإنّ المَجْدَ شَاعِرُه
وَإنّ اللّفْظَ مَطْرُوحٌ عَلى فِكْرِي جوَاهِرُه
فَـأمّا النّظْمُ نَاظِمُهُ ، وَأمّا النّثْرُ نَاثِرُه
إذا مَا كُنتَ لي فَخْراً ، فَمَنْ هَذا أُفَاخِرُه

كفك مأوى كل مكرمة

يمدح أباه ويذكر غرضاً في نفسه :

شِيمي لحاظَكِ عَنّا ظَبيَةَ الخَمَرِ ، لَيسَ الصِّبا اليَوْمَ مِنْ شأني وَلا وَطَرِي[1]
ماتَ الغَرَامُ ، فما أُصْغي إلى طَرَبٍ ، وَلا أُرَبّي دُمُوعَ العَيْنِ للسّهَرِ
مَنْ يَعشَقُ العِزّ لا يَعنُو لِغَانِيَةٍ ؛ في رَوْنَقِ الصّفْوِ ما يُغْني عن الكَدَرِ
شُغِلْتُ بالمَجْدِ عَمّا يُستَلَذّ بِهِ : وَقائِمُ اللّيلِ لا يَلوِي عَلى السَّمَرِ
طَوَيتُ حَبلَ زَمانٍ . كنتُ أندُبُهُ ، إذا جَذَبْتُ بِهِ بَاعاً مِنَ العُمُرِ
لا يُبْعِدِ اللهُ مَنْ غَارَتْ رَكَائِبُهُم ، وَأنجَدَ الشّوْقُ بَينَ القَلبِ وَالبَصَرِ

١ شيمي : اغمدي . الخمر : ما واراك من شجر أو غيره .

يا وَقْفَةً بِوَرَاءِ اللَّيْلِ أعْهَدُهَا ، كَانَتْ نَتِيجَةَ صَبْرٍ عاقِرِ الوَطَرِ
وَالوَجْدُ يَغصِبُنِي قَلباً أضَنُّ بِهِ ، وَالدَّمْعُ يَمنَعُ عَيْني لَذَّةَ النَّظَرِ
طَرَقْتُهُمْ وَالمَطَايَا يُستَرَابُ بِهَا ، وَاللَّيْلُ يَرْمُقُنِي بِالأنْجُمِ الزُّهُرِ
أُصَانِعُ الكَلْبَ أنْ يُبدِي عَقِيرَتَهُ ، وَالحَيُّ مِنّي، إذا أغفَوْا عَلى غَرَرِ
وَفي الخِبَاءِ الذي هَامَ الفُؤادُ بِهِ ، نَجْلاءُ مِنْ أعيُنِ الغِزْلانِ وَالبَقَرِ
أبْرَزْتُهَا ، فتَحاضَرْنا ، مُبَاعَدَةً عَنِ الخِيَامِ، نُعَفّي الخَطوَ بالأُزُرِ
ثُمّ انثَنَيتُ وَلَمْ أدنَسْ سوَى عَبَقٍ عَلى جُنُوبي لِرَيّا بُرْدِها العَطِرِ
لا أغفَلَ المُزْنُ أرْضاً يَعقِلُونَ بِهَا وَلا طَوَى عَنهُمُ مُستَعذَبَ المَطَرِ
جَرّ النَّسيمُ عَلى أعطَافِ دارِهِمُ ذَيلاً ، وَألبَسَها مِنْ رِقّةِ السَّحَرِ
وَمَا بُكائي عَلى إلْفٍ فُجِعتُ بِهِ ، إلاّ لكُلّ فتًى كالصّارِمِ الذّكَرِ
مَا حَارَبُوا الدّهْرَ إلاّ لانَ جَانِبُهُ ، إنّ المُشَيَّعَ أوْلى النّاسِ بالظّفَرِ
يا لَلرّجَالِ ، دُعَاءٌ لا يُشَارُ بِهِ ، إلاّ إلى غَرَضٍ بالذّلّ وَالحَذَرِ
رِدُوا الرّحيلَ فإنّ القَلبَ مُرْتَحِلٌ ، وَسَافِرُوا إنّ دَمعَ العَينِ في سَفَرِ
وَيَوْمَ ضَجّتْ ثَنَايَا بابِلٍ ، وَمَشَتْ بالخَيلِ في خِلَعِ الأوْضَاحِ وَالغُرَرِ
قُمنَا نُجَلّي وَرَاءَ اللّثْمِ كلَّ فتًى كَأنّ حِلْيَتَهُ في صَفحَةِ القَمَرِ
إنّي لأمْنَحُ قَوْماً لا أزُورُهُمُ مَجَّ القَنَا من دَمِ الأوْداجِ وَالثُّغَرِ
طَعناً كمَا صَبّحَ الغُدْرَانَ مُمتَحِنٌ رَمَى ، فَشَتّتَ شَمْلَ المَاءِ بالحجَرِ
وَجاهِلٍ نالَ مِنْ عِرْضِي بِلا سَبَبٍ، أمسَكْتُ عَنْهُ بلا عَيٍّ وَلا حَصَرِ

حَمَتْهُ عَنّي المَخازِي أنْ أعاقِبَهُ ، كَذاكَ تُحمَى لحُومُ الذَّوْدِ بالدَّبَرِ[1]

وَمَهمَهٍ كَشِفَارِ البِيضِ مُطّرِدٍ بالآلِ ، عَارٍ مِنَ الأعلامِ وَالخَمَرِ

إذا تَدَلّتْ عَلَيْهِ الشّمسُ أوْحَشَهَا تَوَلُّعُ المَوْرِ بالأنْهَارِ وَالغُدُرِ

غَصَصْتُ تُرْبَتَهُ بالعِيسِ مَالِكَةً ، عَلَى النَّجاءِ ، رِقَابَ الوِرْدِ وَالصَّدَرِ

أطوِي البِلادَ إلى ما لا أذِلُّ بِهِ مِنَ البِلادِ ، وَمَا أطوِي على خَطَرِ

مَجاهِلاً مَا أظُنُّ الذّئْبَ يَعرِفُهَا ، وَلا مَشَى قَائِفٌ فِيهَا عَلَى أثَرِ

يَنْسَى بِهَا اليَقِظُ المِقْدامُ حاجَتَهُ ، وَيُصْبِحُ المَرْءُ فِيهَا مَيّتَ الخَبَرِ

لا تَبْعَدَنّ أمَانيَّ الّتي نَشَرَتْ عَلَى الزّمَانِ بأيدي الأيْنُقِ الصُّعُرِ

إلَيْكَ لَوْلاكَ مَا لَجّ البِعَادُ بِهَا ، تَرَى المَنَازِلَ بِالإدْلاجِ وَالبُكَرِ

يا ابنَ النّبيّ مَقَالاً لا خَفَاءَ بِهِ ، وَأحسَنُ القَوْلِ فينا قَوْلُ مُختَصِرِ

رَأيتُ كَفّكَ مأوَى كلّ مَكرُمَةٍ ، إذا تَوَاصَتْ أكُفُّ القَوْمِ بالعَسَرِ

لَطَابَ فَرْعُكَ ، وَاهتَزّتْ أرَاكَتُهُ في المَجْدِ ، إنّ المَعالي أطْيَبُ الشّجَرِ

ما كلُّ نَسلِ الفَتَى تَزْكُو مَغارِسُهُ ، قَدْ يُفجَعُ العُودُ بالأوْرَاقِ وَالثّمَرِ

إنّ الرّمَاحَ ، وَإنْ طَالَتْ ذَوَائِبُهَا مِنَ العِدى تَتَوَاصَى عَنكَ بالقِصَرِ

تَسُلّ مِنكَ اللّيَالي سَيْفَ مَلحَمَةٍ يَستنهِضُ المَوْتَ بينَ البِيضِ وَالسُّمُرِ

مُشَيَّعُ الرّأيِ إنْ كَرّتْ أسِنّتُهُ ، جَرَّ القَنَا بَيْنَ مُنْآدٍ وَمُنْأطِرِ[2]

فَاسلَمْ ، إذا نكَبَ المَرْكوبُ رَاكِبَهُ ، وَاستَأسَدَ الدّهْرُ بالأقدارِ وَالغِيَرِ

١ الذود : القطعة من الإبل . الدبر : الزنابير .

٢ المنآد : المنحني ، المنعطف . المنأطر : المنثني .

ابن خيراب

يمدح خاله ويعتذر من البيت
الذي في آخر القصيدة البائية لأنه
عتب عليه لأجله وقد تقدم :

لكَ السّوَابِقُ وَالأَوْضَاحُ وَالغُرَرُ ، وَنَاظِرٌ مَا انطَوَى عَنْ لحظِهِ أثَرُ
وَعَاطِفَاتٌ مِنَ البُقْيَا ، إذا جُعِلَتْ مُحقَّرَاتٌ مِنَ الأَضْغَانِ تَبْتَدِرُ
إطْرَاقَةٌ كَقُبُوعِ الصِّلّ يَتْبَعُهَا عَزْمٌ يَسُورُ ، فلا يُبقي وَلا يَذَرُ[1]
وَاللّيثُ لا تَرْهَبُ الأقرَانُ طَلْعَتَهُ حتّى يُصَمِّمَ منهُ النّابُ وَالظُّفُرُ
أنتَ المُؤدِّبُ أخلاقَ السّحابِ ، إذا ضَنّتْ بِدِرّتِهَا العَرّاصَةُ الهُمُرُ[2]
من بعدِ ما اصْطَفَقَتْ فيها صَوَاعِقُها، وَشَاغَبَ البَرْقَ في أطرافِها المَطَرُ
وَالبالغُ الأمرِ جالَتْ دونَ مَبلَغِهِ سُمرُ القَنَا ، وَأُمِرَّتْ دونَهُ المِرَرُ[3]
وَالقاذِفُ النّفسِ في حمرَاءَ إنْ خفيتْ بالنَّقْعِ نمّ على ضَوْضَائِها الشّرَرُ
في جَحْفَلٍ لَمْ تَزَلْ تَهدِي أوَائِلَهُ مَطالِعٌ مِنْ نِجادِ الأرْضِ تنتظِرُ
إنْ نَالَ مِنْكَ زَمَانٌ في تَصَرّفِهِ مَا لا يُمَلِّكُهُ مِنْ غَيرِكَ القَدَرُ
فالبِيضُ تَعلَقُ إنْ سَارَتْ مُهَجِّرَةً مِنَ الشّحوبِ بِما لا تَعلَقُ السُّمُرُ

١ القبوع ، من قبع : أدخل رأسه في جلده وتوارى .
٢ العراصة : السحابة ذات البرق والرعد . الهمر : السيالة .
٣ المرر ، الواحدة مرة : قوة الخلق وشدته .

مَا ناهَضَ الرِّحلَةَ الخَرْقاءَ مُعتَقِلاً ... بالحَزْمِ مَنْ فَلَّ مِنْ آرَائِهِ السَّفَرُ
فاسلُبْ مَرَاحَ المَطَايا مِنْ مَنَاسِمِها ... مُزَامِلَ النَّجمِ وَالإظْلامُ مُعتَكِرُ[1]
وَجُبْ بَيْنَ فُرُوجِ اللّيلِ أسنِمَةً ، ... ما استَافَ أخفافَها أيْنٌ وَلا ضَجَرُ[2]
خُرْسُ البُغامِ ،تَرُدّ الصَّوْتَ كاظمَةً ، ... وَقَدْ تَصَاعَدَ مِنْ أعناقِها الجِرَرُ
كَمْ حَاجَةٍ بِمَكَانِ النَّجْمِ قرّبها ... طُولُ التَّعَرّضِ وَالرّوْحاتُ وَالبُكَرُ
أسَالَ في اللّيْلِ إفْرِنْدَ الصّبَاحِ بنَا ... سَيْرٌ تَسَاقَطُ مِنْ إدْمانِهِ الأُزُرُ
وَمَشهَدٍ مِثلِ حَدّ السّيفِ مُنصَلِتٍ ... تَزِلّ عَنْ غَرْبِهِ الألْبَابُ وَالفِكَرُ
طَعَنْتَ بِالحُجّةِ الغَرّاءِ ثُغْرَتَهُ ، ... وَرُمْحُ غَيرِكَ فيهِ العَيُّ وَالحَصَرُ
وَقَسطَلٍ شَرِقَتْ شمسُ النّهارِ بهِ ، ... فأسفَرَ النّقْعُ ، وَالآفاقُ تَعتَجِرُ
تَسَلّطَتْ فيهِ أطرَافُ الظُّبَى وَدَنَتْ ... عَوَامِلُ السُّمرِ فارْتابَتْ بهَا الثُّغَرُ
فَوّقْتَ فيهِ سِهَاماً غَيرَ طَائِشَةٍ ، ... في حيثُ يَرْمَحُ صَدرَ المَعجِسِ الوَتَرُ[3]
فما استَخفّكَ من حملِ النُّهَى خَرَقٌ ، ... وَلا استَكَفّكَ عن طَعنِ العدى خَفَرُ
وَمَا نَظَرْتَ إلى الأيّامِ مُعْتَبِراً ، ... إلاّ وَأعطاكَ كَنزَ العِبرَةِ النّظَرُ
وَنِعْمَ قَادِحُ زَنْدٍ أنْتَ في ظُلَمٍ ، ... لا يُوقِدُ النّارَ فيها المَرْخُ وَالعُشَرُ[4]
بذِكْرِ جُودِكَ يُستَسقَى المُحولُ إذا ... لَمْ يُلْهِ فيهَا نِسَاءَ الحِلّةِ السّمَرُ

١ المزامل ، من زامله : عادله على البعير .
٢ استاف : اشتمّ . الأين : التعب .
٣ المعجس : مقبض القوس .
٤ المرخ والعشر : ضربان من الشجر سريعا الوري .

لمّا جَرَيتَ جرَتْ خيلٌ سَوَاسِيَةٌ ، وَلّتْ وَخَافَ عَلى أنفَاسِهَا البَهَرُ[1]

إنّ البَهِيمَ إذا مَسَحْتَ جَبْهَتَهُ ، فالحكمُ أنْ تُلطمَ الأوْضَاحُ وَالغُرَرُ

قارَعْتَ دَهرَكَ حتّى لاحَ مَقتَلُهُ ؛ ما استُقبحَ الرّوْعُ حتّى استُحسنَ الظَّفرُ

الآنَ نِعْمَ مَقِيلُ التّاجِ لِمتّهُ ، وَنِعْمَ مَغْنَى العُلَى أيّامُهُ الزُّهُرُ

تَطِيشُ أمْوَالُهُ وَالبَذْلُ يَطْلُبُهَا ، مَا وَفّرَ المَالَ عَنْ أعْرَاضِهِ وَقَرُ[2]

مُشيَّعٌ هَذّبَ الأرْماحَ مُذْ فَطَنَتْ إلى طِعَانِ الأعادي ، وَالرّدى غُمَرُ[3]

يَسْرِي مِنَ الكَيدِ جَيشاً لا غُبارَ لهُ ، وَلا طَلائِعَ تَهْدِيهِ وَلا نُذُرُ

كَمْ باتَ في لهَوَاتِ اللّيلِ تَعرُكُهُ مَا بَيْنَ أكْوَارِها المَهْرِيّةُ الصُّعُرُ

وَالخَيْلُ تَقدَحُ مِنْ أرْساغِها شَرَراً أمسَى يُعَثّنُ مِنهُ التُّرْبُ وَالمَدَرُ[4]

رَدّ السّيُوفَ ، فمَغلُولٌ وَمُنْثَلِمٌ ، عَلى الرِّمَاحِ ، وَمُنْـآدٌ وَمُنْأطِرُ

إذا أشَاحَ بِنَصْلٍ في أنَامِلِهِ قَامَتْ تُعَانِقُهُ الهَامَاتُ وَالقَصَرُ[5]

نَصْلٌ تَمَطّى المَنَايَا في مَضَارِبِهِ ، إذا المُعَزِّزُ أثْنَى نَصْلَهُ الخَوَرُ[6]

عَارٍ ، يُصَافِحُ أعنَاقَ الرّجالِ بِهِ ، يَوْمَ النّزَالِ ، وَمَا في بَاعِهِ قِصَرُ

إذا الوُفُودُ دَعَتْ للضّرْبِ شَفرَتَهُ أطَاعَ فاحتَشَمَتْ من ضِيقِهِ العَكَرُ[7]

١ قوله : خاف هكذا في الأصل ولعلها خيف للمجهول . البهر : انقطاع النفس .
٢ الوقر : الثقل .
٣ الغمر ، الواحدة غمرة ، وغمرة الشيء : شدته ومزدحمه .
٤ يعثن : يدخن .
٥ القصر : أصول الأعناق .
٦ المعزر : المعين النصير ، والملوم . الخور : الضعف .
٧ العكر ، الواحدة عكرة : القطعة من الإبل .

سَأَلْتُ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْماءَ مُقْمِرَةً ... عَنْهُ ، وَهَلْ يُتَمارَى أنهُ القَمَرُ
نَفْسِي فداءُ أَخٍ لَمْ يُقْذِ صُحْبَتَهُ ، ... إذْ كُلُّ صَافِيَةٍ فِي مَائِهَا كَدَرُ
مَا حَانَ مِنَّا لغَيرِ العزِّ مُضْطَرَبٌ ، ... وَلا اطَّبَانَا إلى غَيرِ العُلَى وَطَرُ
أَأَعذُرُ الدَّهرَ إذْ جارَتْ حُكُومَتُهُ ... إذاً فَفُسِّقَ عُذْرِي حِينَ أَعْتَذِرُ
عِنْدَ ابنِ خَيرِ أَبٍ حامَتْ أنامِلُهُ ... عَلى القَنَا وَمَشَتْ في كَفِّهِ البُتُرُ
وَرُبَّ قَوْلِ مَرِيضٍ قَدْ سَهِرْتُ لَه ، ... أفضَى إليَّ بِهِ عَنْ لَفظِكَ الخَبَرُ
مَا لي تُسَفِّهُ أَشْعارِي الَّتِي شَهِدَتْ ... أنِّي بِبَعْضِ فَخَارٍ مِنكَ أفْتَخِرُ
يا ابنَ الذين تَبَارَى في نِدائِهِمُ ... أصْوَاتُنَا ، إنْ عَرَتْ أوْطانَنا الغِيَرُ
إذا كَرَرْنَا حَدِيثاً مِنهُمُ اعتَرَضَتْ ... تَجلُو قَدِيمَهُمُ الآيَاتُ وَالسُّوَرُ
وَكَمْ عَدُوٍّ ، إذا شَاغَبْتَ دَوْلَتَهُ ... يَزْوَرُّ عَنْ طَاعَتَيْهِ السَّمعُ وَالبَصَرُ
قَدْ كانَ مُلْكُكَ خَلْفَ العِزِّ يرْضَعُهُ ... حتّى عَصَاكَ فخانَتْ رشفَهُ الدِّرَرُ
كَمْ حاطِبٍ خانَهُ حَبلٌ ، فأقعَصَهُ ... ذُلاًّ ، وَشَرُّ الحِبَالِ الحَيَّةُ الذَّكَرُ
وَمَجلِسٍ ما أظُنُّ الهَمَّ يَعْرِفُهُ ، ... يَنضُو الكَرَى عَنْ مَآقِي شَرْبِه السَّهَرُ
ألْمَى الظِّلالِ ، إذا ما القَيظُ جَلَّلَهُ ... تَرَاكَضَتْ في حَوَاشِي رَوْضِهِ الغُدُرُ
مَاءٌ كَجِيدِ الفَتَاةِ الرُّودِ قَابِضَةً ... مِنَ الحُلِيِّ عَلى أثْنَائِهِ الزَّهَرُ
ضَمَّخْتَ بالرَّاحِ أثوَابَ الكؤوسِ كمَا ... فَضَّ النَّسيمَ عَلى أعطافِهِ السَّحَرُ
مُتَيَّمٌ بِالعُلَى ، وَالمَجْدُ يَألَفُهُ ، ... وَمَا مَشَى في نَوَاحي خَدِّهِ الشَّعَرُ
يُخَبِّرُ الوَفْدُ مِنهُ عِندَ رِحلَتِهِ ، ... وَالمَاءُ يُخبِرُنَا عَنْ وِرْدِهِ الصَّدَرُ
أُعِيذُ مَجدَكَ أنْ يَشكُو إلَيهِ فَمٌ ... أعدى على الشَّهدِ فيهِ الصَّابُ وَالصَّبِرُ

حيّاكَ بالعُذْرِ في عذراءَ قد خرقَتْ عنها الحجابَ وما افتضّتْ لها عُذَرُ
زُفّتْ إليكَ وسجفُ الخِدرِ يعلقُها، ومعْ قبولِكَ لا يغلُو لها مهرُ

شرف الخمار

يهنىء أخاه بمولودة، وهذه
من أوائل شعره :

لَبِستُ الوَغَى قبلَ ثوبِ الغُبارِ، وقارَعْتُ بالنّصْلِ قبلَ الغِرارِ
وأُسْدٍ ، إذا شعَرَتْ بالحِمَامِ رأتْ عيشَها خلفَ ذاكَ الشّعارِ
طِوالِ الخُدُودِ ، قِصارِ الحُقُودِ ، رِواءِ الشِّفارِ ، ظِماءِ المِهارِ
ومُنْتَجِعينَ دِيارَ العَدُوِّ في كُلِّ مُضْطَرِمٍ ذي أُوارِ
بِسُمْرٍ مُثَقَّفَةٍ للطّعانِ ، وجُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ للغِوارِ
ويومٍ ختمْنا عليْهِ الرّدَى ، وقدْ فُضّ عنْهُ خِتامُ الذِّمارِ
تَصيدُ قُلُوبَ الأعادي بِهِ صُدُورُ القَنَا ، وهيَ هيمٌ ضَوارِ
إذا سَتَرَ النّقْعُ آثارَها ، هتَكْنَ الضّمائرَ عنْ كُلِّ ثارِ
قُلُوبُهُمُ بِذُيُولِ الحِمَامِ مِنْ وَقْعِ أطْرافِها في عِثارِ
وتَجْهَرُ بالمَوْتِ أرْواحُهُمْ ، وسُمْرُ القَنَا معَهَا في سِرارِ
وقَدْ وَرَدُوا بِصُدُورِ الرِّماحِ ، كمَا صَدَرُوا بِصُدُورِ الشِّفارِ

كَسَوْنَا قَنَانَا ثِيَابَ الدِّمَاءِ ، وَنحنُ مِنَ العَارِ فيها عَوَارِ
لَقَدْ كُنْتُ أسحَبُ بُرْدَ الشِّماسِ لا يَرْفعُ العَذلُ مُرْخى إزَارِي
فَأصْبَحْتُ قَبْلَ نُزُولِ العِذَارِ مُعْتَرِفاً ، صَابِراً للعِذَارِ
ألاَ رُبَّ صَبٍّ بِحُبِّ العُلَى ، وَلِيدِ المَطَايَا ، رَضِيعِ السِّفَارِ
بَعِيدِ المَعَالي ، قَرِيبِ العَوَالي ، صَدِيقِ الأيَادي ، عَدُوِّ النُّضَارِ
فَتًى لا يُعَفِّرُ أحْلامَــهُ غِرَارُ التَّصَابي بِأيدي العُقَارِ
يُمَزِّقُ بالعِيسِ جَيْبَ الدُّجَى ، وَيَهْتِكُ بالخَيْلِ صَدرَ النَّهَارِ
إذا غَاضَ مَاءُ النَّدى أسْبَلَتْ يَدَاهُ بِمَاءٍ مِنَ الجُودِ جَارِ
إذا مَا رَعَتْ في رُبَى جُودِهِ هِزَالُ الأمَاني غَدَتْ كالشِّبَارِ[1]
وَكَمْ نَدِيَتْ مِنْ نَدَاهُ المُنَى ، نَدَى سُمْرِهِ بالنَّجِيعِ المُمَارِ
وَمَنْ كُنَّ يَهْوِينَ خَلْفَ الرَّجاء ، فأمسَيْنَ مِنْ جُودِهِ في قَرَارِ
كَمَا قَدَّ قَلْبُكَ يا ابنَ الحُسَيْنِ ، مِنْ شَوْقِهِ وَعُيُونِ الفَخَارِ
بِمَوْلِدِ غَــرَّاءَ أعْطَيْتَهَا بُدُوَّ الأهِلَّةِ بَعْدَ السِّرَارِ
أغَارَتْ عَلى الحُسْنِ أسْبَابُهَا ، فَـأسْبَابُهُ عِندَهَا في إسَـارِ
وَلا عَجَبٌ أنْ تَرَى مِثْلَهَا ، وَزَنْدُكَ في كَرَمِ العِرْقِ وَارِي
نَثَرْنَ عَلَيْهَا سَوَادَ القُلُوبِ ، وَكَانَ الهَنَا في خِلالِ النِّثَارِ
وَلَوْ أنْصَفَ الدَّهْرُ لمْ نَقْتَنِـعْ بِغَيرِ قُلُوبِ النُّجُومِ الدَّرَارِي
هُنَاكَ بِهَا اللهُ مَا غَرَّدَتْ صُدُورُ القَنَا في أعَالي نِزَارِ

---

[1] قوله : كالشبار ، لعله من شبر إذا بطر .

وَأحيَا بِهَا لَكَ مَيْتَ العُلَى، وَأرْدَى بِهَا كُلَّ عَابٍ وَعَارِ
وَذَلّتْ عَمَائِمُ قَوْمٍ بِهَا ، كَمَا أنّهَا شَرَفٌ للخِمَارِ
فَحَسْبُكَ فَخْرٌ بِهَذا المَدِيحِ ، وَإنْ غاضَ في المدحِ ماءُ افتخارِي
يَزُورُكَ بَينَ قُلُوبِ العُداةِ ، فَيَقْطَعُهَا في اتّصَالِ المَزَارِ
غَدَتْ كفُّ مَجدِكَ من مَدحَتي تَجُولُ مَعَاصِمُهَا في سِوَارِ

الجار قبل الدار

قال على لسان رجل نزل بقبيلة من العرب فحمدها فسأله القول في ذلك :

جَرّبتُ آلَ الغَوْثِ ثُمّ تَرَكتُهمْ مُتَخَيِّراً وَالجَارُ قَبْلَ الدّار
السّابِقِينَ إلى مُنَاخِ مَطيّتي ، لمّا تَدافَعَتِ العَرِيبُ جِوَارِي
وَالضّارِبِينَ عَليّ بَيْتَ زِمَامَةٍ خَسَأَ العَدُوُّ فَما يُطيقُ ضِرَارِي
أعظَمتُمُ حَسَبي ، وَلمّا تَحفِلُوا مَا رَثّ مِنْ سَلَبي وَلا أطْمَارِي
وَعَرَفْتُمُ منّي مَخيلَةَ سُودُدٍ خَفِيَتْ وَرَاءَ مَلابِسِ الإقْتَارِ
كَيْفَ اعترَافي للزّمَانِ وَرَيْبِهِ ، فِعْلَ الذّليلِ ، وَأنْتُمُ أنصَارِي
أجمَمتُمُ في الصّبحِ رَاعي هَجمَتي ، وَكَفَيْتُمُ باللّيلِ مُوقِدَ نَارِي

عقيد العلى

قال أيضاً في صديق له أهدى إليه
رداء فلم يقبله فعتب عليه فكتب إليه :

عقَيدَ العلُى لا زِلْتَ تَستَعبِدُ العلُى، وَتُعْتِقُ مِنهَا رِقَّ كُلّ أسيرِ
لئنْ خَفّ من ضَافي رِدائِكَ عاتِقي فودُّكَ يَخطُو في رِداءِ قَتيرِي[1]
ستَعلَمُ أنّ الثوْبَ يَدثُرُ رَسمُهُ، ورَسْمُ الهوَى في القلبِ غيرُ دثُورِ
فَلا تُشْمِتَنّ الحاسِدِينَ، فَسرُّهم يَشِفّ لِظَنّي مِنْ وَرَاءِ أمُورِ

سيف وعارض ممطر

يشكر صديقاً له :

لأيّ صَنَائِعِهِ أشكُرُ ، وَفي أيّ أخلاقِهِ أنظُرُ
فَتًى طَانَبَ المَجدُ في بَيْتِهِ ، هُوَ السّيْفُ والعارِضُ المُمطِرُ
فتًى، كالحُسَامِ وَصَوْبِ الغمَامِ ، ذا يَستَهِلّ ، وَذا يُمطِرُ

... ...

١ القتير : الشيب .

إذا ازْدَحَمَتْ فِيهِ الحَاظُنَا ، وَقَدْ ضَمّ أعْطَافَهُ المَحْضَرُ
تَرَى أنّ جِلْبَابَهُ لامَـــةٌ مِنَ البَأسِ ، أوْ تَاجَهُ مِغْفَرُ
وَأجْرَيْتُ شُكْرِي إلى شأوِهِ ، فَجَاءَ ، وَأنْفَاسُهُ تَزْفِرُ

نوام عن الحمد والأجر

قال وسئل ذلك

سَأُنْزِلُ حَاجَاتِي إذا طَالَ حَبسُهَا بِأبْوَابِ نُوّامٍ عَنِ الحَمْدِ وَالأجْرِ
بأرْوَعَ مَصْبُوبٍ عَلى قالبِ الحَيَا ، وَأبْيَضَ مَطبُوعٍ عَلى سِكّةِ البَدرِ

ذوائب العجاج

قال يفتخر وهي من أول قوله :

يا حَبّذا فَوْقَ الكَثِيبِ الأعْفَرِ ، رَكْزُ الذّوَابِلِ في ظِلالِ الضُّمّرِ
وَمُنَاخُ كُلّ مَطِيّةٍ مَعْقُولَةٍ ، وَمَجَالُ كُلّ مُنَاقِلٍ مُتَمَطِّرِ[1]

[1] المناقل : الفرس السريع نقل القوائم . المتمطر : المسرع

تَطَرَّحُ الرَّكْبِ الطِّلاحِ عَلى النّقا يَهْفُونَ بَيْنَ مُزَمَّلٍ
رُفِعَتْ لِعَيْنِ النّاظِرِ المُتَنَوِّرِ ، وَاللّيْلُ مِثْلُ الوَاقِفِ المُتَحَيِّرِ
نَارٌ كَـأَطْرَافِ البُرُوقِ تَشُبُّهَا ، بِمَطَالِعِ البَيْدَاءِ ، أيدي مَعشَرِ
كَمْ نَفَّرَتْ مِنْ شَجْوِ قَلْبٍ نافِرٍ ، وَاستَمطَرَتْ مِنْ دَمعِ عَيْنٍ مُمطِرِ
لِلّهِ ! أيّةُ سَاعَةٍ حَضَرَ الأسَى فيها ، فغُيّبَ في القُلُوبِ الحُضَّرِ
أجنَتْ بهَا غُدْرَ الوَفَاءِ فلَمْ تَغِضْ ، وَالغُدْرُ طَامي المَاءِ غَيرُ مُكَدَّرِ
وَفَوَارِسٍ رَكِبُوا النِّجاءَ ، وَأَدْلَجوا مِنْ مُوغِلٍ خَلْفَ المُنَى وَمُغَرَّرِ[1]
مَرّوا يَجُرُّونَ الرِّمَاحَ لِغَارَةٍ ، وَالطّالِعَاتُ عَنِ الدُّجَى لَمْ تُجرَرِ
فَكَأَنّمَا الجَرْبَاءُ لِمّةُ أَحلَسٍ وَلَهَا المَجَرّةُ مَفرِقٌ لَمْ يُستَرِ[2]
أفْشَى حَنِينُ رِكَابِهِمْ سِرَّ السُّرَى لَغَباً ، فَـأَضْمَرَ في نَزَائِعَ ضُمَّرِ
نَحَرُوا بِهَا نَحْرَ الفَلاةِ ، وَقَلّبُوا قَلْبَ الظّلامِ عَلى ذَميلٍ مِسْعَرِ[3]
وَالعِيسُ تَلطِمُ خَدَّ كُلِّ مَفَازَةٍ ، وَتُرِيقُ مَا أَبْقَى المَزَادُ وَتَمتَرِي
وَلَرُبَّ مُنْذَلِقٍ تَمَنْطَقَ سَيفَهُ ، بِنَجِيعِ كُلِّ مُمَنطَقٍ وَمُسَوَّرِ
وَمُسَوَّدٍ بِالغَدْرِ وَجهَ وَفَائِهِ ، عَصْفَرْتُهُ بِشَبَا الوَشيجِ الأسمَرِ
فشَفَيتُ غُلَّ النّفسِ مِنْ حَوْبَائِهِ نَهلاً يُعَلّ مِنَ الدّمِ المُثْعَنْجِرِ[4]

١ النجاء ، لعلها جمع ناجية : الناقة السريعة .
٢ الجرباء : السماء . الأحلس : الكثير الشعر .
٣ المسعر ، لعله من السعران : شدة العدو .
٤ الحوباء : النفس . المثعنجر : السائل .

خَلَعَ الحَيَاءَ جُنَاتُهُ ، وَصَوَارِمي خَلَعَتْ عَلَيْهِ يَلْمَقاً لمْ يُزْرَرِ
وَلَقَدْ رَمَيتُ ضَميرَهُ مِنْ خَشيَتي بِأحَدّ مِنْ طَرَفِ السّنَانِ ، وَأعقَرِ
وَلَرُبّ روعٍ رُعْتُهُ بفَوَارِسٍ ، قَلَبُوا صُدورَ رِماحِهِمْ للأظْهُرِ
فكَدَرْتُ تحتَ النّقعِ ، من جبَهاتِهِم مثلَ النّجومِ على العَجَاجِ الأكْدَرِ
وَهُمُ الأُلى رَبّتْ لَهُمْ أحسابُهُمْ وَلَدَ المَعَالي في حُجُورِ الأعصُرِ
مِنْ كُلّ أبْلَجَ مُذْ تَلَثّمَ وَجهُهُ بالنّقْعِ في طَلَبِ العُلَى لمْ يُسفِرِ
ما زَالَ يَخطِرُ في غَمامَةِ قَسطَلٍ ، بَينَ العَوَالي ، أوْ قَميصِ سَنَوّرِ[1]
لا يَتّقي الشّمسَ ، الظّهائرَ ، إنْ سرَى ، إلاّ بظِلّ قَناً وَعَارِضِ عِثْيَرِ[2]
في مَعْرَكٍ سَحَبَ العَجاجُ ذَوَائباً سُوداً بِهِ ، فَوْقَ النّجيعِ الأحْمَرِ
فكَسَفْتُ ضَاحِيَهُ بِنَقْعٍ مُظْلِمٍ ، وَكَشَفْتُ داجِيَهُ بِوَجْهٍ مُقمِرِ
وَكَأنّمَا ثَغَرَ الظّلامُ نُجُومَهُ ، فَتَساقَطَتْ فَوْقَ الرّمَاحِ الخُطّرِ
أفَلَ السّنَانُ عَنِ الطّعَانِ كَأنّهُ الـ ـمِرّيخُ بَعْدَ طُلُوعِهِ كَالمُشتَرِي[3]
وَتَقَعقَعَتْ بَينَ الكُلَى قِصَدُ القَنَا ، فَكَأنّ كُلّ حَشًى رِبَابَةُ مَيسِرِ[4]
عَثَرَتْ بأرْيَاشِ القَشَاعِمِ شَمسُهُ ، وَالطّعْنُ في هَبَوَاتِهِ لمْ يَعْثُرِ
نَثَرَتْ على بَيْضِ الكُمَاةِ دَرَاهِماً ، فَنَثَرْنَ ضَرْباً ، وَهيَ لَمْ تَتَنَثّرِ

١ السنور : السلاح . ولبوس من قد كالدرع .
٢ الظهائر ، الواحدة ظهيرة : انتصاف النهار . العثير : الغبار .
٣ المريخ : نجم أحمر . المشتري : نجم أبيض .
٤ الربابة : خرق تجمع فيها السهام .

لَمْ تَشْعُرِ الهَامَاتُ عِنْدَ نِثَارِهَا بِقَرَارِهَا ، فَكَأَنَّهَا لَمْ تُنْثَرِ
يَجْرُونَ ، وَهِيَ مُقِيمَةٌ ، لكِنَّهَا خَطَّارَةٌ مِنْ مِغْفَرٍ فِي مِغْفَرِ
مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي القَبَائِلَ أَنَّنِي مُتَوَطِّنٌ عُنُقَ العَلَاءِ بِمَفْخَرِ
أَشْرَعْتُ ضَمَّ الجُودِ مَشْرَعَ تَالِدِي فَامْتَاحَهُمْ، وَطِلَاحُهُمْ لَمْ تَصْدُرِ[1]
جَاءَتْ كَمَا جَاءَ الشِّهَابُ مُضِيئَةً ، تَجْلُو الأَسَى عَنْ قَلْبِ كُلِّ مُفَكِّرِ
مِنْ خَاطِرٍ خَطَرَتْ بِهِ هِمَمُ العُلَى، وَالشِّعْرُ بَعْدُ بِقَلْبِهِ لَمْ يَخْطُرِ
نَائِي الخَنَا، دَانِي النُّهَى، صَافِي السَّدَى، ضَافِي العَطَايَا ، وَالعُلَى وَالمَفْخَرِ

جو من ماء وأرض من نار

أَمَا لَوْ لَمْ تُعَاقِرْهُ العُقَارُ ، عُقَارَ الشَّوْقِ مَازَجَهُ الوَقَارُ
وَقَفْنَا نَغْصِبُ الأَجْفَانَ مَاءً ، لَهُ مِنْ نَارِ أَضْلُعِنَا انْتِصَارُ
فَكَمْ مِنْ نَشْوَةٍ لِلشَّوْقِ تَهْفُو بِصَبْرٍ مَسَّهُ مِنْهَا خُمَارُ
سَقَى دِرَرُ السَّحَابِ صَدَى رُبُوعٍ بِمَا يَظْمَا إِلَيْهِنَّ المَزَارُ
وَجَاذَبَهَا فُضُولَ المَحْلِ عَنْهَا بِأَيْمَانٍ مِنَ الخِصْبِ القِطَارُ
لَيَالِيَ يُوقِظُ التَّذْكَارُ شَوْقِي ، وَهَجْعَةُ سَلْوَتِي فِيهَا غِرَارُ

[1] الضم : الجمع والقبض ، ولم ندرك المراد منها هنا ، ولعله أراد مجموع الجود .

أَلا إِنَّ الزَّمَانَ قَضَى عَلَيْنَا بِأَحْدَاثٍ لَنَا فِيهَا اعْتِبَارُ
إذا مَا الخَطْبُ ضَلَّلَنَا دُجَاهُ ، أَنَارَتْ مَنْ تَحَارُ بِنَا مَنَارُ
نَصُدُّ عَنِ الحَيَا ، وَالجَوُّ مَاءٌ ، وَنَسْتَلِمُ الثَّرَى ، وَالأَرْضُ نَارُ
سَرَيْنَا فِي ضَمِيرِ البِيدِ حَتَّى تَرَكْنَاهَا ، وَنَحْنُ لَهَا شِعَارُ
أَبَا للمَجْدِ مِنْ قَوْمٍ لِئَامٍ ، أَلاَ حُرٌّ عَلَى عِرْضٍ يَغَارُ
فَأَشْجَعُهُمْ ، إِذا فَزِعُوا ، جَبَانٌ ، وَأَذْكَاهُمْ ، إذا نَطَقُوا ، حِمَارُ
لَبُونُكُمُ تَدُرُّ لأَبْعَدِيكُمْ ، وَعِنْدِي الذِّينُ مِنهَا وَالنِّفَارُ[1]
لِغَيْرِي ضَوْءُ نَارِكُمُ ، وَعِنْدِي دَوَاخِنُهَا السَّوَاطِعُ وَالأُوَارُ
وَجُرْدٍ قَدْ لَبِسْنَ ثِيَابَ لَيْلٍ ، ضَوَامِرَ فِي أَيَاطِلِهَا اقْوِرَارُ
بِرَكْبٍ تُرْعَدُ الظَّلْمَاءُ مِنهُمْ فَيَسْتُرُهَا مِنَ الجَزَعِ النَّهَارُ
يُهَلْهِلُ نَسجَ ثَوْبٍ مِن عَجَاجٍ ، تَشِفُّ وَرَاءَ طُرَّتِهِ الشِّفَارُ
سَتَرْنَ الجَوَّ بِالقَسطَالِ حَتَّى كَأَنَّ البَدْرَ أَضْمَرَهُ السِّرَارُ
وَيَوْمٍ سُلِّطَتْ فِيهِ العَوَالِي عَلَى الأَرْوَاحِ ، وَاحْتُرِمَ الذِّمَارُ
نُعَانِقُ فِيهِ أَبْكَارَ المَنَايَا ، وَهُنَّ لِغَيْرِ أَنْفُسِنَا ظُؤَارُ[2]
وَقَدْ حَجَزَ العَجَاجُ ، فَلا نَجَاءٌ ، وَقَدْ ضَاقَ المَجَالُ ، فَلا قَرَارُ
وَمِلْنَا بِالجِيَادِ عَلَى وَجَاهَا ، وَقَدْ دَمِيَ الشَّكَائِمُ وَالعِذَارُ
وَقَدْ وَسَمَتْ حَوَافِرُهَا كُؤُوساً ، وَمِنْ عَلَقِ الدِّمَاءِ لَهَا عُقَارُ

١ الذين بكسر الذال : العيب .
٢ الظؤار ، الواحدة ظئر : العاطفة على غير ولدها ، المرضعة له

وَأجرَى الضّرْبُ في الأحشاءِ غُدراً   تبَرّضُ ماءَهَا الأسَلُ الحِرَارُ[1]
ضَرَبْنَ لَنَا النّسُورُ رِوَاقَ ظِلٍّ   تَلُوذُ بِحَقْوَةِ القُبّ المِهَارُ
تُحلّ الهَامُ فيهِ بِالمَوَاضِي ،   وَفي الأعْنَاقِ حَبْلُ رَدًى مُغَارُ
تَخُوضُ تَرَائِكاً مِنْهَا لُجَيْناً ،   وَتَصْدُرُ ، وَهيَ مِن عَلَقٍ نُضَارُ[2]
بِضَرْبٍ يَنْثُرُ الشّفَرَاتِ ، حتّى   لَهَا في كُلّ جَانِحَةٍ غِرَارُ
بِكُلّ فَتًى يَزِلّ العَارُ عَنْهُ ،   إذا مَا هَزّ ضَبْعَيْهِ الفَخَارُ
حُسَامٌ لا يَضِبّ عَلَيْهِ غِمْدٌ .   وَلَيْثٌ لا يُطِلّ عَلَيْهِ زَارُ[3]
تَـألّفُ حَدّ صَارِمِهِ المَنَايَا ،   وَفيهَا عَنْ حُشَاشَتِهِ ازْوِرَارُ
يُجَرّدُ مِعْصَماً مِنْ صَدْرِ رُمْحٍ ،   وَيَرْجِعُ ، وَالفُؤادُ لَهُ سِوَارُ
وَسُمْرِ الخَطّ تَعْثُرُ بِالهَوَادِي ،   فَيَجْذِبُهَا إلى المُهَجِ العِثَارُ
وَكَمْ مِنْ طَعنَةٍ في رَحبِ صَدرٍ   يَجُوزُ بِها إلى القَلْبِ الصِّدارُ
فَلَوْلا أنّهَا فَهِقَتْ نَجِيعاً ،   تَخَرّقَهَا لِوُسْعَتِهَا الغُبَارُ
وَقَدْ جَثَمَ الرّدَى في كُلّ سَهمٍ   لَهُ في كُلّ حَيْزُومٍ مَطَارُ
إذا اخْتَارَتْ بَنُو قَيْسٍ نِزَالي   رَجَعْتُ وَكَالرّدَى فِيهَا الخِيَارُ
بِرُمْحٍ طَرْفُهُ يَزْدادُ لَحْظاً ،   إذا مَا غَضّ مِنْهُ دَمٌ مُمَارُ
صَمُوتٌ بَيْنَ أطْرَافِ العَوَالي ،   وَفي طَعْنِ القُلُوبِ لَهُ خُوَارُ

١ تبرض : تتبلغ بالقليل . الأسل : الرماح . الحرار : العطاش .
٢ الترائك . الواحدة تريكة : بيضة الحديد .
٣ يضب عليه : يحتويه . زأر : صوت الأسد .

إذا سَالَتْ عَوَالِيهِ بِحَتْفٍ ، فَلَيْسَ لهَا سِوَى قَلْبٍ قَرَارُ
يَصُدَّ حُسَامُهُمْ عَنْ مَاءِ قَلبي ، وَأعْلَمُ أنَّ غَرْبَيْهِ حِرَارُ
وَيَنكُصُ رُمحُهُمْ في الطّعنِ حتّى كَأنّ كُعُوبَهُ عَنّي قِصَارُ
عُقَابُ النّصْرِ تَحتَهُمُ مَهيضٌ ، وَنَسْرُ المَوْتِ فَوْقَهُمُ مُطَارُ[1]
لَقَدْ أضْحَكْتُ عَنّي آلَ فِهرٍ بِأرْمَاحٍ بَكَتْ فيهَا نِزَارُ
هُمُ شُهبٌ ، إذا اتّقَدُوا لحَرْبٍ فخِرْصَانُ الرّمَاحِ لهَا شِرَارُ
إذا وَقَفَتْ قَنَاهُمْ عَنْ طِعَانٍ ، فلَيسَ لهَا سِوَى المَوْتِ انتِظَارُ
إذا اطّرَدَتْ أكُفُّهُمُ بجُودٍ أسَرّتْ مَاءَهَا السّحُبُ الغِزَارُ
بهِمْ ألِفَ الضّرَائبَ حَدُّ سَيفي ، وَشَجّعَني عَلى الطّلَبِ الخِطارُ[2]

النصل المغمود

قال يفتخر أيضاً :

قَدْ زَيّلَتْ عَظيمَةٌ ، فشَمّرِي ، وَارْضَيْ بما جرّ القَضَاءُ وَاصْبِرِي[3]
يا نَفْسِ قَدْ عَنَّ المُرَادُ ، فخُذي إنْ كُنتِ يَوْماً تأخُذينَ أوْ ذَرِي

١ أراد بعقاب النصر : الراية .
٢ الخطار : جمع خطر .
٣ زيلت : فرقت .

نُهْزَةُ مَجْدٍ كُنْتُ في طِلابِهَا ، لِمِثْلِهَا يَنصُفُ سَاقي مِئْزَرِي
عِشرُونَ أعجلْنَ الصِّبا وَجُزْنَ بِي غَايَاتِهِ ، وَمَا قَضَيْنَ وَطَرِي
فَكَيْفَ بالعَيْشِ الرَّطِيبِ بَعدَمَا حَطَّ المَشِيبُ رحلَهُ في شَعَرِي
سَوَادُ رَأسٍ أمْ سَوَادُ نَاظِرٍ ، فَإنّهُ مُذْ زَالَ أقْذَى بَصَرِي
مَا كَانَ أضْوَى ذَلِكَ اللّيْلَ على سَوَادِ عِطْفَيْهِ ، ولَمّا يُقْمِرِ
عُمْرُ الفَتَى شَبَابُهُ ، وَإنّمَا آوِنَةُ الشّيْبِ انقِضَاءُ العُمُرِ
ألاَ صَدِيقٌ في الزّمَانِ مَاجِدٌ أشْكُو إلَيْهِ عُجَرِي وَبُجَرِي[1]
يُعتِقُ مِنْ رِقّ الهَوَانِ عَانِقاً ، عَجّ مِنْ الضَيمِ عَجيجَ المُوقَرِ
حَسبيَ مِنْ رَعيِ الهَشيمِ المُجتوَى؛ حَسبيَ مِنْ وِرْدِ الأُجاجِ الكَدِرِ
فَمَا أرَى إلاّ سَوَاماً هُمَّلاً ، أوْ صُوَراً مَذْمومَةً كَالصَّوَرِ[2]
مَا أنَا إلاّ النّصْلُ مَغمُوداً ، وَلَوْ جَرّدَني الرّوْعُ لَبَانَ جَوْهَرِي
لا بُدّ أنْ يَظْهَرَ مَعْرُوفي فَقَدْ طَالَ عَلى مَرّ الزّمَانِ مُنكَرِي
لا بُدّ أنْ أصْدُرَ بَعدَ مَوْرِدِي ، فَرُبّ قَوْمٍ يَرْقُبُونَ صَدَرِي
لا بُدّ أنْ أشْعِرَ وَجْهي جُرْأةً ، فَطَالَمَا ذَلّلَ عُنْقي خَفَرِي
لا بُدّ أنْ أحْمِلَ أبْنَاءَ الوَغَى عَلى خِفَافٍ في الطِّرَادِ ضُمّرِ
يَطْلُعُ للنّاظِرِ هَادي نَقْعِهَا ، طُلوعَ قَيدُومِ السّحابِ الأغبَرِ[3]

[1] عجري وبجري : أمري كله .

[2] الصور : الاعوجاج . وأكال في الرأس .

[3] قيدوم الشيء : مقدمه وصدره .

حَوَامِلاً إلى العِدَى خَطّيّةً تُعِيرُ طَرْفَ البَطَلِ المُقَطَّرِ[1]

مِنْ كُلّ أظْمَى نَاهِلٍ سِنَانُهُ أوْ حَسَنِ الإثْرِ قَبيحِ الأثَرِ

يَنْطَحْنَ بِالأقْرَانِ بَيْنَ مُعْلَمٍ بالدّمِ ، أوْ مُعَلَّمٍ بِالعِثْيَرِ

كُلُّ جَرِيّ القَلْبِ في مُقْتَحَمٍ للرَّوْعِ ، مَغْرُورٍ بِهِ مُغَرَّرِ

عَمَائِمٌ مِنَ التَّرِيكِ وُضَّحٌ عَلى جَلابِيبَ مِنَ السَّنَوّرِ

كَأنّمَا فَوْقَ قَطَا جِيَادِهَا أُسُودُ خَفّانٍ وَجِنُّ عَبْقَرِ

مِنْ كُلّ مَمْشُوقٍ يُجَارِي ظِلَّهُ كالطّائِرِ الزّائِفِ في التّمَطّرِ[2]

مُرَوَّعٍ مِنْ حَوْلِهِ كَأنّهُ صَالٍ يَقِي البُرْدَ نَوَازِي الشّرَرِ

دونَكَ فانظُرْني ، فإنْ جَهِلتَني ، فَرُبّمَا دَلّ عَلَيّ مَنْظَرِي

كَيفَ وَقَدْ طابَتْ أُصُولُ دَوْحَتي تُمِرُّ للجَانِينَ يَوْماً ثَمَرِي

أوائِلي مَنْ قَد عَلِمتَ في العُلَى ، وَمَعشَرِي عَلى القَديمِ مَعشَرِي

ذَوَائِبُ المَجْدِ المُنيفَاتُ عَلى جَمَاجِمٍ مُنيفَةٍ في مُضَرِ

ذَوُو البِطاحِ الفِيحِ وَالبيتِ الذي يَعْلُو الوَرَى وَالعَدَدِ المُجَمْهَرِ

كُلُّ عُذَيقٍ في العُلى مُرَجَّبٍ عِزاً وَعَوْدٍ في العُلى مُجَرْجِرِ[3]

كَمْ يَوْمِ مَجْدٍ ظَاهِرٍ فَخَارُهُ عَنهُمْ ، ظُهورَ الأبْلَقِ المُشَهَّرِ

يا قَدَمي دونَكِ مَسعاةَ العُلَى ، قَدْ ضَمِنَ الإقبالُ أنْ لا تَعثُرِي

١ تعير ، من أعوره : صيره أعور . المقطر : المصروع على أحد قطريه ، أي شقيه وجانبيه .

٢ التمطر : إسراع الطير في هويه .

٣ العود : المسن من الإبل .

لَيَكْثُرَنْ خَطْوُكِ ، أوْ تَنتَحِلِي   سَرِيرَ مُلْكٍ ، أوْ مَرَاقِي مِنْبَرِ
لا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ أعِزَّ نَصْرُهُ ،   يُقِرُّ عَيْنَ الوَاجِدِ المُسْتَعبِرِ
فإنْ نُصِرْتِ ، فالنّعيمُ مُدّةٌ ،   والمَضْجَعُ العَاذِرُ إنْ لمْ تُنْصَرِي
كَمْ مَطْلَبٍ مُنْتَظَرٍ خَدَمْتُهُ ،   وَمَطْلَبٍ جَاءَ وَلَمْ أنْتَظِرِ
عِلّةُ مِثْلِي السّيفُ لا مُمرِضَةٌ   أضُجّ مِنْهَا كَضَجِيجِ الأدْبَرِ[1]
لا بُدّ مِنْ تَعْفِيرِهِ في تُرْبِهَا   بِالدّاءِ ، أوْ بِالقَاطِعِ المُذَكَّرِ
فَبالسّقَامِ ذِلّةٌ لِمَنْ قَضَى ،   وَبالظُّبَى أعَزُّ للمُغَفَّرِ
فإن أمُتْ من دونِها يَمضِي الرّدَى   بِمُعْذِرٍ في السّعيِ لا بِمُعْذِرِ[2]
وَإنْ أعِشْ هُنَيْهَةً ، فَرُبّمَا   شَقّ عَلى أذْنِ العَدُوّ خَبَرِي

فجر الردى

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الخَيْلَ دامِيَةً ،   تَختَالُ في أعْطَافِهَا السُّمْرُ
في ظُلْمَةٍ مِنْ لَيْلِ غَيْهَبِهَا ،   مَا إنْ لهَا إلاّ الرّدَى فَجْرُ
فَكَأنّ مَجّ دَمِ النّحُورِ بِهَا   إثْرَ الطّعَانِ مَقَاوِدٌ حُمْرُ

١ الأدبر : المقروح .
٢ المعذر الأولى : بمعنى أتى بما يعذر عليه ، أبدى عذراً ، والثانية : بمعنى مقصر ، أو مذنب

آين الذوائب من الحافر

قال أيضاً في المحرم سنة ٣٨٨ :

ما عِندَ عَينِكَ في الخَيالِ الزّائِرِ، أطُرُوقُ زَوْرٍ أمْ طَمَاعَةُ خاطِرِ
بَاتَ الكَرَى عِندي يُزَوِّرُ زَوْرَةً مِنْ قَاطِعٍ نَائي الدّيَارِ مُهَاجِرِ
أحْذاكَ حَرَّ الوَجْدِ غَيرَ مُسَاهِمٍ، وَسَقَاكَ كَأسَ الهَمّ غَيرَ مُعَاقِرِ
إنّ الظّعَائِنَ يَوْمَ جَوِّ سُوَيْقَةٍ عَاوَدْنَ قَلْبي عِنْدَ يَوْمِ الحَاجِرِ
سَارَتْ بهِمْ ذُلُلُ الرّكابِ فَلا رِوًى للظّامِيَاتِ ، وَلا لَعاً للعَاثِرِ
كَمْ في سُرَاها مِنْ سُرُوبِ مَدامعٍ تَقْفُو سُرُوبَ رَبَارِبٍ وَجَآذِرِ[1]
حَلَبَتْ ذَخَائِرَها المَدامِعُ بَعدَكم في أرْبُعٍ قَبْلَ العَقِيقِ دَوَاثِرِ
يَبكِينَ حَيّاً خَفّ غَيرَ مُقَايِضٍ بهَوًى ، وَحَيّاً قَرّ غَيرَ مُزَاوِرِ
لَوْ تَحْفِلُونَ بِزَفْرَةٍ مِنْ وَاجِدٍ، أوْ تَسْمَعُونَ لأنّةٍ مِنْ ذاكِرِ
لا تَحْسَبُوا أنّي أقَمْتُ ، فإنّمَا قَلْبُ المُقِيمِ زَمِيلُ ذاكَ السّائِرِ
قالوا: المَشيبُ! فعِمْ صَبَاحاً بالنُّهَى، وَاعقُرْ مَرَاحَكَ للطُّرُوقِ الزّائِرِ
لَوْ دامَ لي وُدُّ الأوَانِسِ لَمْ أُبَلْ بطُلُوعِ شَيْبٍ وَابيضَاضِ غَدائِرِ
لَكِنّ شَيبَ الرّأسِ إنْ يَكُ طالِعاً عِندي فوَصْلُ البِيضِ أوّلُ غَائِرِ

[1] سروب المدامع : جريانها . السروب الثانية واحده سرب : القطيع . الربارب ، الواحد ربرب : القطيع من بقر الوحش . الجآذر ، الواحد جؤذر : ولد البقرة الوحشية .

وَاهاً عَلَى عَهْدِ الشَّبَابِ وَطِيبِهِ ، وَالغَضِّ مِنْ وَرَقِ الشَّبَابِ النَّاضِرِ
وَاهاً لَهُ مَا كَانَ غَيرَ دُجُنَّةٍ ، قَلَصَتْ صُبَابَتُهَا كَظِلِّ الطَّائِرِ[1]
سَبْعٌ وَعِشْرُونَ اهتَصَرْنَ شَبِيبَتِي ، وَأَلَنَّ عُودِي لِلزَّمَانِ الكَاسِرِ
كَانَ المَشِيبُ وَرَاءَ ظِلٍّ قَالِصٍ لأخي الصِّبَا ، وَأَمَامَ عُمرٍ قَاصِرِ
وَأَرَى المَنَايَا إنْ رَأَتْ بكَ شَيبَةً جَعَلَتْكَ مَرْمَى نَبْلِهَا المُتَوَاتِرِ
تَعْشُو إلى ضَوْءِ المَشِيبِ فتَهتَدي، وَتَضِلُّ في لَيْلِ الشَّبَابِ الغَابِرِ
لَوْ يُفْتَدَى ذاكَ السَّوَادُ فَدَيْتُهُ بِسَوَادِ عَيْنِي بَل سَوَادِ ضَمَائِرِي
أبَيَاضُ رَأسٍ وَاسوِدادُ مَطالِبٍ ؟ صَبراً عَلَى حُكْمِ الزَّمَانِ الجَائِرِ
إنْ أصْفَحَتْ عَنهُ الخُدودُ، فطالمَا عَطَفَتْ لَهُ بِلَوَاحِظٍ وَنَوَاظِرِ
وَلَقَدْ يَكُونُ وَمَا لَهُ مِنْ عاذِلٍ ، فَاليَوْمَ عَادَ وَمَا لَهُ مِنْ عَاذِرِ
كَانَ السَّوَادُ سَوَادَ عَينِ حَبِيبِهِ ، فَغَدَا البَيَاضُ بَيَاضَ طَرْفِ النَّاظِرِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ في الشَّيْبِ إلاّ أنّهُ عُذْرُ المَلُولِ وَحُجّةٌ لِلهَاجِرِ
سَالِمْ تَصَارِيفَ الزَّمَانِ ، فمَنْ يرُمْ حَرْبَ الزّمانِ يَعُدْ قَلِيلَ النَّاصِرِ
مَن كانَ يَشكو من رَشَاشِ خُطُوبِه فَلَقَدْ سَقَانِي بالذَّنُوبِ الوَافِرِ[2]
أبْلِغْ ظِبَاءَ الحَيِّ أنّ فُؤادَهُ قَطَعَ العَلاقَةَ ، وَارْعَوَى لِلزَّاجِرِ
أوْرَدْنَنِي فَعَلِمْتُ أنّ مَوَارِدِي ، لَوْلا النُّهَى، لمْ أدْرِ أيْنَ مَصَادِرِي

١ قلصت : انقبضت . الصبابة : بقية الماء ، استعارها لبقية الدجنة ، أي الظلمة .

٢ الذنوب : الدلو .

فَالَتْ لُبّاً مِنْ عَلائِقِ صَبْوَةٍ ، وَنَشِطْتُ قَلْباً مِنْ جَوًى مُتَخامِرِ[1]

أنَا مَنْ عَلِمْتُنَّ ، الغَدَاةَ ، نَقِيَّةً أُزْرِي ، وَضَامِنَةَ العَفَافِ مَآزِرِي

فَاعْرِفْنَ كَيْفَ شَمَائِلِي وَضَرَائِبي ، وَانْظُرْنَ كَيْفَ مَنَاقِبي وَمَآثِرِي

كَمُعَاقِدِ الحَبْلِ الأشَمِّ مُعَاقِدِي ، وَمُجَاوِرِ البَيْتِ الحَرَامِ مُجَاوِرِي

لَمْ يَشْتَمِلْ قَلْبي الرَّجَاءَ وَلَمْ يَكُنْ طَرْفي جَنِيبَةَ كُلّ بَرْقٍ نَائِرِ

وَأبَيْتُ أنْ تَرِدَ المَطَالِبَ هِمّتي ، أوْ أنْ يُسِفَّ إلى المَطَامعِ طائِرِي

أسعَى عَلَى أثَرِ النّوَائِبِ مُنْصِفاً مِنهَا ، وَآسِي كُلَّ عِرْقٍ نَاغِرِ

قُلْ لِلأعَادِي جَنِّبُوا عَنْ سَاحِلي ، لا يُغْرِقَنّكُمُ التِطَامُ زَوَاخِرِي

لَوْلا خُمُولُكُمُ لَقَدْ قُلّدْتُمُ عَاراً بِنَظْمِ غَرَائِبي وَسَوَائِرِي

أخزَيْتُمُ ذا كِبْرَةٍ وَتَكَاوُسٍ ، وَفَضَلْتُمُ ذا وَدْعَةٍ وَقُرَاقِرِ[2]

فَتَنَاذَرُوا نَابَ الشّجَاعِ مَشَى بِهِ جِنحُ الدُّجَى ، وَيَدُ العَقورِ الخادِرِ

يا سَاعِياً لِيَنَالَ مَطْمَحَ غَايَتي ، أيْنَ الذّوَائِبُ مِنْ مَدَقّ الحَافِرِ

إذْهَبْ بِسَبّي إنْ سَبَبْتُكَ فَاخِراً ، قَدْ نَوّهَتْ بِكَ ضَرْبَةٌ مِنْ بَاتِرِ

مِنْ عَارِ هَذا الدّهرِ نَيْلُكَ لِلعُلَى ، وَجُنُونُ هَذَا المَنجَنونِ الدّائِرِ[3]

قَوْمي الأُولى لَحَبُوا إلى نَيْلِ العُلى وَضَحَ الطّرِيقِ لِمُنجِدٍ أوْ غَائِرِ

---

1 فالت : فاجأت ، صادفت ، ولعلها أفلت أي خلصت وأطلقت .

2 التكاوس : تراكب اللحم ، وكثرة العشب والتفافه . الودعة من الودع : مناقيف صغار تخرج من البحر ، أو جوف في جوفها دويبة ، وقد يعلق الودع في أعناق الأطفال أو على صدورهم وقاية لهم من العين الشريرة . القراقر : الحادي الحسن الصوت .

3 المنجنون : الدولاب يستقى عليه . وأراد دوران الدهر .

أخذُوا المَعَالي عنْ مُتُونِ قَوَاضِبٍ تَرِدُ الغِوَارَ وَعَنْ ظُهُورِ ضَوَامِرِ
وَعَنِ الرِّمَاحِ يَشيطُ في أطْرَافِهَا بالطّعْنِ كُلُّ مُغَامِرٍ وَمُغَاوِرِ[1]
قَوْمٌ إذا اشتَجرَتْ علَيْهِمْ خُطّةٌ زَعَمُوا النّوَائِبَ بِالقَنَا المُتَشَاجِرِ
وَإذا التقَتْ أيْدِيهِمُ في أزْمَةٍ سَاجَلْنَ أذْنِبَةَ السّحَابِ المَاطِرِ
لا نَارُهُمْ نَارٌ مُغَمَّضَةٌ ، وَلا أبْيَاتُهُمْ بِالغَائِطِ المُتَزَاوِرِ[2]
وَتَسُوفُ أفْوَاهُ المُلُوكِ أكُفَّهُمْ سَوْفَ السّوَامِ رَبِيعَ رَوْضٍ بَاكِرِ[3]
شُجَعَاءُ أفْئِدَةٍ بِغَيرِ صَوَارِمٍ ، خُطَبَاءُ ألْسِنَةٍ بِغَيرِ مَنَابِرِ
ذَمَرُوا قُلُوبَ المَادِحِينَ ، وَإنّمَا مَدْحُ المُلُوكِ شَجَاعَةٌ للشّاعِرِ[4]
يَتَغَايَرُونَ عَلى السّمَاحِ ، كأنّمَا يَتَغَايَرُونَ عَلى وِصَالِ ضَرَائِرِ
أهْدِي إلى قَوْمي نَصِيحَةَ حَازِمٍ طَبٍّ بِأدْوَاءِ الضّغَائِنِ خَابِرِ
لا تَنْظُرُوا الجَاني لِمَحْوِ ذُنُوبِهِ بِمُلَفّقَاتِ تَنَصُّلٍ وَمَعَاذِرِ
لَنْ تَظْفَرُوا بالعِزّ حتّى تَصْبُغُوا ثَوْبَ المَعَالي بالنّجِيعِ المَائِرِ
لا تَعْتِبُوا إلاّ بِألسِنَةِ القَنَا ، فَلَهُنّ إطْآرُ البَعِيدِ النّافِرِ[5]
وَدَعُوا التّظاهُرَ بالحُلُومِ ، فإنّهَا سَبَبُ انْبِعَاثِ جَرَائِمٍ وَجَرَائِرِ
لا تُخْدَعَنّ ، فَمَا عُقُوبَةُ قَادِرٍ إلاّ بِأحْسَنَ مِنْ تَجَاوُزِ قَادِرِ

١ يشيط : يهلك .
٢ المغمضة : المبهمة ، ولعله أراد المخفية لئلا يراها طراق الليل . الغائط : المطمئن من الأرض . المتزاور : المنحرف .
٣ تسوف : تشم .
٤ ذمروا : شجعوا .
٥ الإطآر : العطف من أطر .

ضرب المجد عليهم بيته

يفتخر بالاسلام وبقوته على الفرس
وذلك في ذي الحجة سنة ٣٩٧ وقد
اجتاز بالمدائن ونظر إلى إيوان كسرى:

قَرَّبُوهنَّ لِيُبْعِدْنَ المَغَارَا ، وَيُبَدِّلْنَ بِدارِ الهُونِ دارَا
وَاصْطَفُوهنَّ لِيُنْتِجْنَ العُلَى بالعَوَالي ، لا لِيُنْتِجْنَ المِهَارَا
في بُيُوتِ الحَيِّ أدْنَى مَنْزِلاً ، وَمَقامَاتٌ مِنَ البِيضِ العَذارَى
أخْدِمُوهُنَّ الغَوَاني غَيْرَةً ، إنّهُمْ كانُوا على المَجدِ غَيارَى
غُرَرٌ تَقْنِصُ مَنْ لاطَمَهَا يَوْمَ تُمسِي لَطمَةُ الذِّمرِ جُبَارَا[1]
جَلَّلُوهَا الرَّقْمَ مِنْ عِزّتِهَا ، وَأدَرّوا لمَقَارِيهَا العِشَارَا[2]
أقْضَمُوهَا بَدَلَ الرُّطْبِ الجَنَى ، وَسَقَوْهَا بَدَلَ المَاءِ العُقَارَا[3]
كُلُّ مَحبُوكِ القَرَا تَحسَبُهُ طائِراً أوْفَى على النِّيقِ ، وَطَارَا[4]
تَخْرُجُ النَّبْأةُ مِنْهُ وَثْبَةً ، مَضْرَبَ الرِّيحِ عَلى الطَّوْدِ الإزَارَا
يَلحَقُ الرّمحَ ، وَلَوْ كُنّ القَنَا كَسِيَاطِ الاعوَجِيّاتِ قِصَارَا

١ الذمر : الشجاع . جباراً : هدراً .
٢ الرقم : الثوب المخطط . المقاري : أراد الضيوف . العشار : النياق التي مضى على حملها عشرة أشهر .
٣ الرطب : العشب .
٤ القرا : الظهر . النيق : أرفع موضع في الجبل .

وَأَغَرُّ الخَلْقِ ، وَالخُلْقُ لَهُ نَسَبٌ رُدِّدَ في السَّيْفِ مِرَارَا
وَبَيَاضُ الخُلْقِ أعلى رُتْبَةً مِنْ بَيَاضٍ زَانَ وَجهاً وَعِذارَا
سَلْ بِقَوْمٍ نَزَلَ الدّهْرُ بِهِمْ ، فَأَسَاءَ اللُّبْثَ فِيهِمْ وَالجِوَارَا
لَمْ تَكُنْ عَلْيَاؤهُمْ مَنْحُولَةً أبَدَ الدّهْرِ ، وَلا المَجدُ مُعَارَا
طَيِّبُو الأرْدانِ إنْ جَالَسْتَهُمْ قُلْتَ دارِيّونَ قَد فَضّوا العِطارَا[1]
كانَ نَشْرُ المِسكِ باقي عَهدِهِمْ ، وَعُهُودُ النّاسِ دِمْناً وَذِئَارَا[2]
نَابَ عَرْفُ الطّيبِ عن نارِ القِرَى في لَيَالِيهِمْ ، إذا الطّارِقُ حَارَا
ضَرَبَ المَجْدُ عَلَيْهِمْ بَيْتَهُ وَغَدَوْا دونَ حِمَى المَجدِ إطارَا
شَذّبَتْ أيْدي اللّيَالي مِنْهُمُ عَدَداً لا يَرْأمُ الضّيمَ كِثَارَا[3]
عانَقُوا الهَضْبَ، وَكانُوا هَضْبَةً لا يُلاقي عِندَها السّيلُ قَرَارَا
صَدَعَ المِقْدارُ فِيهِمْ صَدْعَةً مَنْبَذَ القَعْبِ أبَى إلاّ انكِسَارَا[4]
لمْ تَكُنْ خَتْلاً ، وَلَكِنْ غارَةً أمِنَ الشَّلّةَ مَن لاقَى العِوَارَا[5]
قَدْ نَزَلْنَا دارَ كِسْرَى بَعدَهُ أرْبُعاً مَا كُنّ للذّلّ ظُؤارَا
أسفَرَتْ أعطَانُهَا عَنْ مَعْشَرٍ شَغَلوا المَجدَ بهمْ عَن أنْ يُعارَا
تَصِفُ الدّارُ لَنَا قُطّانَهَا : المَعَالي ، وَالمَسَاعي وَالنِّجَارَا

١ داريون : نسبة إلى دارين ، بلد مشهور بمسكه .
٢ الدمن : السرقين والزبل . الذئار : السرقين قبل خلطه بالتراب .
٣ يرأم الضيم : يألفه .
٤ منبذ ، من نبذه : طرحه ورمى به لقلة الاعتداد به . القعب : القدح الضخم .
٥ الشلة : أن يصيب الثوب سواد لا يذهب بالغسل . العوار : الخرق والشق بالثوب .

وَإذا لَمْ تَدْرِ مَا قَوْمٌ مَضَوْا ، فَسَلِ الآثَارَ وَاستَنْبِ الدّيَارَا
آلُ سَاسَانَ حَدَا الخَطبُ بِهِمْ ، وَاستَرَدّ الدّهْرُ مِنهُمْ مَا أعَارَا
بَعْدَمَا شَادُوا البُنَى تَرْفَعُهَا عَمَدُ المَجْدِ قِبَاباً وَمَنَارَا
كُلُّ مَلمُومِ القَرَا صَعْبِ الذّرَى ، يَزْلَقُ العِقْبَانُ عَنْهُ وَالنّسَارَا
جَعجَعُوا الإيوَانَ في مَبْرَكِهِ ، مَبرَكَ البَازِلِ قد قضّى السّفَارَا
حَمَلَ الدّهْرَ إلى أنْ رَدّهُ ضَاغِطَ العِبْءِ ضُلُوعاً وَفِقَارَا
مُطْرِقاً إطْرَاقَ مَأمُونِ الشّذَا غَمَرَ النّادِيَ حِلْماً وَوَقَارَا[1]
أوْ مَلِيكٍ وَقَعَ الدّهْرُ بِهِ ، فَأمَاطَ الطّوْقَ عَنْهُ وَالسّوَارَا
أوْهَنَتْ مِنْهُ اللّيَالِي فَقْرَةً ، لا يُلاقِي وَهْنَهَا اليَوْمَ جُبَارَا
أينَ لا أينَ المَعَالِي جَمّةً ، وَالحِمَى أفيَحَ ، وَالرّأيُ مُغَارَا
وَرِجَالٌ شُدِخَتْ أوْضَاحُهُمْ ، غَلَبُوا الأعْنَاقَ مَنّاً وَإسَارَا[2]
يُهْمِلُونَ المَالَ إهْمَالَهُمُ غارِبَ السّرْحِ وَيَرْعَوْنَ الذّمَارَا
كُلُّ مَوْقُوذٍ مِنَ التّاجِ لَهُ نَهَرٌ يَسقي يَلَنْجُوجاً وَغَارَا[3]
ذي ضِيَاءٍ إنْ جَلا عِرْنِينَهُ ضَوّأ اللّيْلَ ، وَمَا أوْقَدَ نَارَا
تَسْكُنُ الضّوْضَاءُ عَنْهُ هَيْبَةً مثلَ مَا لَبّدَتِ المُزْنُ الغُبَارَا
كَزَئِيرِ اللّيْثِ يَنْفي صَوْتُهُ ، عَنْ خَفاً فيهِ ، ثُؤاجاً وَيُعَارَا[4]

١ الشذا : الأذى .
٢ أوضاحهم : جماعاتهم .
٣ الموقوذ : الثقيل . اليلنجوج : العود يتبخر به .
٤ عن خفاً فيه : هكذا في الأصل ولعلها محرفة عن : حفافيه أي جانبيه . الثؤاج : صياح الغنم . اليعار : صوت المعزى .

عُمَرُوا لَمْ يَعْلَمُوا أنَّ لَنَا جَائِزَ الأمْرِ عَلَيْهِمْ وَالإمَارَا
قَدَّرُوا جَدَّ نِزَارٍ وَاقِفاً ، وَمَشَى الجَدُّ فَمَا عَزّوا نِزَارَا
لاوَذُوا لمّا رَأوْا مِنْ دُونِهِمْ وَادِياً يُلْقِي بِهِ السَّيْلُ غِمَارَا[1]
عَايَنُوا الضَّرْبَ دِرَاكاً في الطُّلَى، يُعجِلُ الفارِسَ ، وَالطّعنَ بِدارَا
أصْحَرَ اللّيثُ العِفِرْنَى ، فانثَنَى يَطلُبُ اليَرْبوعُ في الأرْضِ وِجارَا
قَهْقَرُوا الشِّرْكَ عَلى أعْقَابِهِ ، بَعْدَمَا استَقدَمَ غَيّاً وَضِرَارَا
وَأثَارُوا الدِّينَ مِنْ مَرْبِضِهِ ، وَأطَارُوا عَنْ مَجالِيهِ الخِمَارَا
دايَنُوا المَجْدَ بِأطْرَافِ القَنَا ، فَغَدَا عَيْناً ، وَقَدْ كانَ ضِمَارَا
عَلِمُوا ، لمّا أُذيقُوا بَأسَنَا ، أنّ عِقْبَ الجَرْيِ قد بذّ الحِضَارَا
لا أغَبَّ الدّارَ مِنْ بَعدِهِمُ شُوَّلٌ يَحْمِلْنَ وَبْلاً وَقِطَارَا[2]
في غَمَامٍ بُهَّلٍ أخْلافُهَا ، أطْلَقَ الرّاعِدُ عَنْهُنّ الصِّرَارَا[3]
مُثْقَلاتٍ تَرْجُمُ الوَدْقَ ، بِهَا كَأكُفّ الحَجّ يَرْمُونَ الجِمارَا
تَحْفِزُ المَاطِرَ في جَرْعَائِهَا ، نَغَرَ العِرْقُ إذا ما العِرْقُ فَارَا[4]
كُلُّ دَهْمَاءَ تَرَى القَطْرَ بِهَا مِنْ لُجَيْنٍ، وَتَرَى البَرْقَ نُضَارَا
جَهْمَةٌ تَضْرِبُ غارِيَهَا الصَّبَا ، رَجّةَ الرّكْبِ يَكُدّونَ البِئَارَا[5]

١ لاوذوا : راوغوا .
٢ الشول ، الواحدة شائلة : لعله أراد بها السحابة المرتفعة من شالت الناقة ذنبها رفعته .
٣ البهل : التي لا صرار عليها . والصرار : ما يربط به ضرع الناقة لئلا يرضعها ولدها .
٤ تحفز : تسوق . الجرعاء : رملة مستوية . نغر العرق : سال الدم منه .
٥ غاريها مثنى الغار : الجيش . يكدون : ينزعون . البئار : جمع بئر .

كَالمَطَايَا أقْبَلَتْ مَرْحُولَةً ، شَلّهَا حَادٍ ، إذا أنْجَدَ غَارَا
أوْ نَعَامُ الدّوّ بَادَرْنَ الدُّجَى ، يتَجَاوبْنَ عِرَاراً وَزِمَارَا[1]
طاوَلُوا الدّهرَ ولَمْ يبقُوا ، وَمَنْ يَأمَنُ اللّيْلَ عَلَيْهِ وَالنّهَارَا

لله ملقى على الرمضاء

يرثي الحسين بن علي بن أبي طالب
عليهما السلام في عاشورا سنة ٣٧٧ :

صَاحَتْ بِذَوْدِيَ بَغْدادٌ ، فَآنَسَنِي تَقَلّبي في ظُهُورِ الخَيْلِ وَالعِيرِ
وكُلّما هَجهَجَتْ بي عَنْ مَنازِلِها عَارَضْتُهَا بِجَنَانٍ غَيرِ مَذْعُورِ
أطْغَى علَى قَاطِنِيهَا غَيرَ مُكْتَرِثٍ، وَأفْعَلُ الفِعْلَ فِيهَا غَيرَ مَأمُورِ
خَطْبٌ يُهَدّدُني بالبُعدِ عَن وَطَني ، وَمَا خُلِقتُ لغَيرِ السّرْجِ وَالكُورِ
إنّي ، وَإنْ سَامَني ما لا أُقَاوِمُهُ ، فقَدْ نجَوْتُ، وَقِدحي غَيرُ مَقْمُورِ
عجلانَ ألبِسُ وَجهي كُلَّ داجيَةٍ ، وَالبَرُّ عُرْيَانُ مِنْ ظَبْيٍ وَيَعفُورِ
وَرُبّ قَائِلَةٍ ، وَالهَمُّ يُتْحِفُني بِنَاظِرٍ مِنْ نِطَافِ الدّمعِ مَمطورِ:
خَفّضْ عَلَيكَ، فلِلأحزَانِ آوِنَةٌ، وَمَا المُقِيمُ عَلَى حُزْنٍ بِمَعْذُورِ

[1] الدو : الفلاة . العرار : صياح الظليم . الزمار : صوت النعام .

فقُلتُ: هيهاتَ! فاتَ السّمعُ لائمَه، لا يُفْهِمُ الحُزْنُ إلاّ يَوْمَ عاشُورِ

يَوْمٌ حَدَا الظّعنَ فيه لابنِ فاطِمَةٍ سِنانُ مُطّرِدِ الكَعْبَيْنِ مَطْرُورِ[1]

وَخَرّ للمَوْتِ لا كَفٌّ تُقَلّبُهُ ، إلاّ بِوَطْءٍ مِنَ الجُرْدِ المَحاضِيرِ[2]

ظَمْآنَ سَلّى نَجيعُ الطّعنِ غُلّتَهُ عَنْ بارِدٍ من عُبَابِ الماءِ مَقرُورِ

كأنّ بِيضَ المَوَاضِي ، وَهيَ تَنهبُهُ ، نارٌ تَحَكّمُ في جِسْمٍ مِنَ النّورِ

للهِ مُلْقًى علَى الرّمضاءِ عَضّ بِهِ فَمُ الرّدَى بَينَ إقْدامٍ وَتَشْمِيرِ

تَحنُو عَلَيْهِ الرُّبَى ظِلاًّ ، وَتَسترُهُ عَنِ النّوَاظِرِ أذْيَالُ الأعاصِيرِ

تَهَابُهُ الوَحْشُ أنْ تَدْنُو لمَصْرَعِهِ ، وَقَدْ أقَامَ ثَلاثاً غَيرَ مَقْبُورِ

وَمُورِدٌ غَمَرَاتِ الضّرْبِ غُرّتَهُ ، جرَتْ إلَيْهِ المَنايَا بالمَصادِيرِ

وَمُستَطِيلٌ عَلَى الأزْمَانِ يَقْدِرُها جَنَى الزّمَانُ عَلَيْهَا بالمَقادِيرِ[3]

أغْرَى بِهِ ابنَ زِيَادٍ لُؤمُ عُنصُرِهِ ، وَسَعْيُهُ لِيَزِيدٍ غَيرُ مَشْكُورِ[4]

وَوَدّ أنْ يَتَلافَى مَا جَنَتْ يَدُهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ كَسراً غَيرَ مَجبُورِ

تُسْبَى بَنَاتُ رَسُولِ اللهِ بَيْنَهُمُ ، وَالدّينُ غَضٌّ المَبادي غَيرُ مَستُورِ

إنْ يَظْفَرِ المَوْتُ مِنّا بابنِ مُنْجِبَةٍ ، فَطَالَمَا عَادَ رَيّانَ الأظَافِيرِ[5]

١ المطرور : المحدد .

٢ المحاضير : الخيول التي ترتفع بعدوها .

٣ يقدرها : يوقتها ويدبرها .

٤ ابن زياد : أي عبيد الله بن زياد ابن أبيه .

٥ ريان الأظافير : يريد أن الموت عاد مخضوب الأظافر من دماء الذين قتلهم الحسين ، أو عاد الحسين أحمر الأظافر من دماء قتلاه .

يَلْقَى القَنَا بجَبِينٍ شَانَ صَفْحَتَهُ   وَقْعُ القَنَا بَيْنَ تَضْمِيخٍ وَتَعْفِيرِ[1]
مِنْ بَعْدِ مَا رَدّ أطرَافَ الرّمَاحِ بهِ   قَلْبٌ فَسِيحٌ وَرَأيٌ غَيرُ مَحصُورِ
وَالنّقْعُ يَسحَبُ مِنْ أذْيَالِهِ ، وَلَهُ   عَلَى الغَزَالَةِ جَيبٌ غَيرُ مَزْرُورِ
في فَيْلَقٍ شَرِقٍ بالبِيضِ تَحسَبُهُ   بَرْقاً تَدَلّى عَلَى الآكَامِ وَالقُورِ
بَني أُمَيّةَ ! مَا الأسْيَافُ نَائِمَةٌ   عَنْ شَاهِرٍ في أقاصِي الأرْضِ مَوْتُورِ
وَالبَارِقَاتُ تَلَوّى في مَغَامِدِهَا ،   وَالسَّابِقَاتُ تَمَطّى في المَضَامِيرِ
إنّي لأرْقُبُ يَوْماً لا خَفَاءَ لَهُ ،   عُرْيَانَ يَقْلَقُ مِنْهُ كُلُّ مَغْرُورِ
وَللصّوَارِمِ مَا شَاءَتْ مَضَارِبُهَا ،   مِنَ الرّقَابِ شَرَابٌ غَيرُ مَنْزُورِ
أكُلَّ يَوْمٍ لآلِ المُصْطَفَى قَمَرٌ   يَهْوِي بِوَقْعِ العَوَالي وَالمَبَاتِيرِ ؟
وَكُلَّ يَوْمٍ لَهُمْ بَيْضَاءُ صَافِيَةٌ   يَشُوبُهَا الدّهرُ مِنْ رَنْقٍ وَتَكْدِيرِ
مِغْوَارُ قَوْمٍ ، يرُوعُ المَوْتُ من يَدهِ ،   أمْسَى وَأصْبَحَ نَهْباً للمَغَاوِيرِ
وَأبْيَضُ الوَجْهِ مَشْهُورٌ تَغَطْرُفُهُ ،   مَضَى بِيَوْمٍ مِنَ الأيّامِ مَشهورِ
مَا لي تَعَجَّبْتُ مِنْ هَمّي وَنَفرَتِهِ ،   وَالحُزْنُ جُرْحٌ بقَلبي غَيرُ مَسبُورِ
بِأيّ طَرْفٍ أرَى العَلْيَاءَ إنْ نضبَتْ   عَيْني ، وَلجْلَجتُ عَنْها بالمَعَاذِيرِ[2]
ألقَى الزّمَانَ بكَلْمٍ غَيرِ مُنْدَمِلٍ ،   عُمرَ الزّمَانِ ، وَقَلْبٍ غَيرِ مَسرُورِ
يا جَدِّ لا زَالَ لي هَمٌّ يُحَرِّضُني   عَلَى الدّمُوعِ وَوَجْدٌ غَيرُ مَقْهُورِ
وَالدّمْعُ تَحْفِزُهُ عَينٌ مُؤرَّقَةٌ ،   حَفْزَ الحَنِيّةِ عَنْ نَزْعٍ وَتَوْتِيرِ
إنّ السّلُوّ لَمَحظُورٌ عَلى كَبِدي ،   وَمَا السّلُوّ عَلى قَلْبٍ بِمَحْظُورِ

---

١ التضميخ بالطيب ، والتعفير بالتراب .
٢ لجلجت : ترددت بالكلام .

نجمان آفلان

يرثي أبا طاهر بن ناصر الدولة وقتله أبو الذواد العقيلي في المحرم سنة ٣٨٢ وقد تقدمت له مرثية أخرى في قافية الدال، وهذه القصيدة فصيحة الألفاظ كثيرة المعاني وفسرها ابن جني في حياة الرضي فمدحه لأجل ذلك :

أَلْقِي السِّلاحَ رَبيعَةَ بنَ نِزَارِ ، أَوْدَى الرَّدَى بقَرِيعِكِ المِغْوَارِ[1]

وَتَرَجَّلِي عَنْ كُلِّ أجْرَدَ سابحٍ ، مِيلَ الرِّقابِ نَوَاكِسَ الأبصَارِ

وَدَعِي الأعِنّةَ مِنْ أكُفّكِ إنّها فَقَدَتْ مُصَرِّفَهَا لِيَوْمِ مَغَارِ

وَتَجَنّبِي جَرَّ القَنَا ؛ فَلَقَدْ مضَى عَنهُنّ كَبْشُ الفَيْلَقِ الجَرّارِ

وَلِيَغْدُ كلُّ مُغَرِّضٍ مِنْ بَعدِهِ مُغْرًى بِحَلّ مَعَاقِدِ الأكْوَارِ[2]

قطعَ الزّمانُ لسانَكِ العضْبَ الشَّبَا ، وَهَدَى تَخَمُّطَ فَحلِكِ الهَدّارِ[3]

وَاجتاحَ ذاكَ البَحرَ يَطفَحُ مَوْجُهُ ، وَطَوَى غَوَارِبَ ذَلِكَ التّيّارِ

اليَوْمَ صَرَّحَتِ النّوَائِبُ كَيْدَهَا فِينَا ، وَبَانَ تَحَامُلُ الأقْدارِ

مُسْتَنْزِلُ الأسَدِ الهِزَبْرِ بِرُمْحِهِ وَالِي ، وَفَالِقُ هَامَةِ الجَبّارِ

وَتَعَطّلَتْ وَقَفَاتُ كُلّ كَرِيهَةٍ أبَداً ، وَحُطّ رِوَاقُ كُلّ غُبَارِ

١ القريع : السيد المختار من قومه .

٢ المغرض : المتفكه ، المازح ، والجاعل آخر غرضاً له

٣ التخمط : الهدير .

هَيهاتَ لا عَلَقُ النَّجيعِ بِعامِلٍ يَوْماً ، وَلا عَاقَ السُّرَى بعِذارِ[1]
يا تَغْلِبَ ابنَةَ وَائِلٍ ! ما لي أرَى نَجميَنْكِ قَدْ أفَلا عَنِ النُّظّارِ
غَرْبًا ، فَذاكَ غُرُوبُهُ لِمَنيّةٍ عَجْلَى ، وَذاكَ غُرُوبُهُ لإسارِ
مَا لي رَأيْتُ فِناءَ دارِكِ عَاطِلاً مِنْ كلّ أبلَجَ كالشّهابِ الوَارِي
مُتَخَلّيَ الأقْطارِ إلاّ مِنْ جوًى وَنَشيجِ كُلّ خَرِيدَةٍ مِعْطَارِ
وَحَنينِ مُلْقَاةِ الرّحَالِ مُنَاخَةً ، وَصَهيلِ وَاضِعةِ السّرُوجِ عَوَارِي
فُجِعتْ سماؤكِ بالشموس وَحُوّلَتْ عَنْهَا وَعَنْكِ مَطالِعُ الأقْمَارِ
في كُلّ يَوْمٍ نَوْءُ مَجدٍ ساقِطٌ مِنْهَا ، وَنَجمُ مَنَاقِبٍ مُتَوَارِ
عَضّتْ بِبَازِلِهَا المَنُونُ وَلَم تزَلْ تَفْرُو طَرِيقَ النّابِ بالأظفَارِ
يا طَالِباً بالثّارِ أعجَلَكَ الرّدَى عَنْ أنْ تَنَامَ على وُجُودِ الثّارِ
يَعتَادُ ذِكْرُكَ مَا تَهزّمَ مِرْجَلٌ وَطَغَى تَغَيُّضُ بُرْمَةٍ أعْشَارِ[2]
هجرَتْ رِكابُ الركبِ بعدكَ قطعَها هَوْلَ الدُّجَى وَمَهَاوِلَ الأوْعَارِ
وَعَدِمْنَ كُلّ مَفازَةٍ مَرْهُوبَةٍ ، وَأمِنَّ كُلّ مُخَاطِرٍ عَقّارِ[3]
فَالآنَ يَجرُرْنَ الأزِمّةَ بُدَّناً ، بَيْنَ المِيَاهِ تَفيضُ وَالأنْوَارِ
أينَ القِبَابُ الحُمرُ تَفهَقُ بالقِرَى مَهْتُوكَةَ الأسْتَارِ للزُّوّارِ

١ العذار : ما سال من اللجام على خد الفرس ، وشفرتا النصل .
٢ تغيض الماء : نقص أو غار أو نضب ، والثمن : نقص . ولعل اللفظة محرفة . البرمة : القدر من حجر . الاعشار : العظيمة لا يحملها إلا عشرة .
٣ العقار : الذي يعقر الإبل ، والذي يوقع بالصيد .

أينَ الفِناءُ تَموجُ في جنّاتِه بصَهيلِ جُردٍ أوْ رُغاءِ عِشارِ[1]
أينَ القَنا مَركوزةً تَهفو بِها عَذَبُ البُنودِ يَطِرْنَ كلَّ مَطارِ
أينَ الجيادُ مَلَلْنَ من طولِ السُّرى يَقْذِفنَ بالمُهَراتِ والأمْهارِ
مِن مَعشرٍ غُلْبِ الرّقابِ جَحاجحٍ غَلَبوا على الأقدارِ والأخطارِ
من كلِّ أروَعَ طاعنٍ أوْ ضاربٍ ، أوْ واهبٍ ، أوْ خالعٍ ، أوْ قارِ
وفَوارسٍ كالشُّهبِ تَطرَحُ ضَوءَها يَومَ الوَغى وأُوارِ حَرِّ النّارِ
رَكِبُوا رِماحَهُمُ إلى أغراضِهِمْ أمَمَ العُلَى، وَجرَوْا بغَيرِ عِثارِ[2]
واستَنزَلُوا أرْزاقَهُمْ لسُيُوفِهِمْ، فَغَنُوا بِغَيرِ مَذَلّةٍ وَصَغارِ
كانُوا هُمُ الحَيَّ اللّقاحَ، وَغيرُهم ضَرَعٌ على حُكْمِ المَقاوِلِ جارِ[3]
لا يَنبُذُونَ إلى الخَلائِفِ طاعةً بِقَعاقِعِ الإيعادِ والإنْذارِ
عَقَدُوا لواءَهُمُ ببِيضِ أكُفّهِمْ كِبْراً على العَقّادِ والأمّارِ
واستَقطَعُوا خِلَعَ المُلُوكِ وأيقَنوا أنّ اللّباسَ لها ادّرَاعُ العارِ
كَثُرَ النّصِيرُ لهمْ ، فلَمّا جاءَهمْ أمْرُ الرّدَى وُجِدُوا بِلا أنْصارِ
هُمْ أعجَلوا داعي المَنونِ تَعرُّضاً للطّعْنِ بَينَ ذَوابِلٍ وَشِفارِ
أوَلَيسَ يَكْفِينا تَسَلُّطُ بأسِها، حتّى تَسَلُّطُها على الأعمارِ
نَزَلُوا بِقارِعَةٍ تَشابَهَ عِندَها ذُلُّ العَبيدِ وَعِزّةُ الأحرارِ

١ قوله : في جناته ، لعلها محرفة عن جنباته .

٢ أمم العلى : قصد العلى .

٣ اللقاح : لعله جمع لقحة : العقاب . الضرع : الضعيف الجبان . المقاول : الملوك .

سَدَّ البِلَى، وَأَنارَ فَوْقَ جُسومهم ... مِنْ كُلِّ مُنْهَالِ النّقَا مَوّارِ

خُرْسٌ قدِ اعتَنقوا الصّفيحَ، وَطالما ... اعتَنَقُوا الصّفائحَ وَالدّماءُ جَوَارِ

نُقِضَتْ مَرَائرُهمْ، وكنّ أكفُّهم ... مَبْلُولَةً بالنّقْضِ وَالإمْرَارِ

صارُوا قَرَاراً للمَنُونِ، وَإنّمَا ... كَانُوا لسَيْلِ الذّلّ غيرَ قَرَارِ

كُنّا نَرَى أعيانَهمْ مَمدُوحَةً، ... فَاليَوْمَ يُمْتَدَحُونَ بِالآثَارِ

شَرَفاً بني حَمدانَ! إنّ نفوسَكمْ ... مِنْ خَيرِ عِرْقٍ ضَارِبٍ وَنِجَارِ

أنِفَتْ من المَوْتِ الذّليلِ فأشعرَتْ ... جَلَداً عَلى وَقْعِ القَنَا الخَطّارِ

بَكَرَتْ عَلَيْكَ سَحابةٌ نَفّاحَةٌ ... تُلْقي زَلازِلَهَا عَلى الأقْطَارِ

شَهّاقَةٌ أسَفاً عَلَيْكَ بِرَعْدِها، ... طَوْراً، وَبَاكِيَةٌ بعَذْبِ قِطارِ

وَسَقَتكَ أوْعيةُ الدّموعِ فجاوَزَتْ ... قَطَرَاتِ ذاكَ العَارِضِ المِدْرَارِ

وَإذا الصَّبَا حدَتِ النّسيمَ مَرِيضَةً ... تَفلِي جَميمَ الرّوْضِ وَالنّوّارِ[1]

مَمطُورَةَ الأنْفاسِ فاهَ بطِيبِهَا ... سَحَرٌ يَبِينُ بِهَا مِنَ الأسْحَارِ

فَجرَتْ على ذاكَ التّرابِ سَليمةً ... مِنْ غَيرِ اضْرَارٍ لهَا بِجِوَارِ

تجرِي وَذاكَ القَبرُ غَيرُ مُرَوَّعٍ ... منِهَا، وَذاكَ التُّرْبُ غَيرُ مُثَارِ

إنّي ذَكَرْتُكَ خَالِياً، فكأنّما ... أخَذَتْ عَلَيّ الأرْضُ بالأطْرَارِ[2]

وَكَأنّمَا مالَتْ عَليّ بحَدّهَا ... نَزَوَاتُ قَانِيَةِ الأدِيمِ عُقَارِ

١ تفلي : ترعى .

٢ الأطرار : الأطراف والنواحي .

لا زَالَ زَائِرُ قَبْرِهِ في عَبْرَةٍ تَنْعَى البَقَاءَ إلَيْهِ ، وَاسْتِعبَارِ
وَالرَّوْضُ من حالٍ عَلَيهِ وَعاطِلٍ ، وَالمُزْنُ مِنْ غَادٍ عَلَيْهِ وَسَارِ

وقائع الدهر[1]

يرثي المظفر أبا الحسن عبيد الله بن محمد وتوفي في ذي القعدة سنة ٣٨٧ وقد ورد الخبر بوفاته وهومتوجه من الري إلى مدينة السلام، وكان بينهما مودة قديمة وصداقة وكيدة وكذلك بينه وبين أبيه رضي الله عنهما :

أوَمَا رَأَيْتَ وَقَائِعَ الدَّهْرِ ، أفَلا تُسِيءُ الظَّنَّ بالعُمْرِ
بَيْنَا الفَتَى كالطَّوْدِ تَكنُفُهُ هَضَبَاتُهُ، وَالعَضْبِ ذي الأثْرِ
يَأبَى الدَّنِيّةَ في عَشِيرَتِهِ ، وَيُجاذِبُ الأيدي على الفَخْرِ
وَإذا أشَارَ إلى قَبَائِلِهِ ، حَشَدَتْ إلَيْهِ بِأوْجُهٍ غُرّ
يَتَرَادَفُونَ عَلى الرّماحِ كأنّهم سَيْلٌ يَعُبّ وَعارِضٌ يَسْرِي
إنْ نَهنَهُوا زَادُوا مُقَارَبَةً ، فَكَأنّمَا يَدْعُونَ بِالزّجْرِ
عَدَدُ النّجُومِ ، إذا دُعي بهمُ ، يَتَزَاحَمُونَ تَزَاحُمَ الشَّعْرِ
عَقَدُوا عَلى الحُلّى مآزِرَهُمْ ، سُبْطَ الأنامِلِ طَيّبِي الأُزْرِ

[1] هذه القصيدة هي من الكامل الأحذ وقد وردت فيها بعض أبيات تامة .

زَلَّ الزَّمَانُ بِوَطْءِ أخْمَصِهِ ، وَمُوَاطِىءُ الأزْمَانِ للعثْرِ
نَزَعَ الإبَاءَ ، وكَانَ شَمْلَتَهُ ، وَأقَرَّ إقْرَاراً عَلَى صُغْرِ
صَدْعُ الرَّدَى أعْيَا تَلاحُمَهُ ؛ مَنْ ألْحَمَ الصَّدَفَيْنِ بالقِطْرِ؟[1]
جَرَّ الجِيادَ عَلَى الوَجَى وَمَضَى أمَماً يَدُقّ السَّهْلَ بالوَعْرِ
حتّى التَقَى بالشّمسِ مَغْمَدُهُ في قَعْرِ مُنْقَطِعٍ مِنَ البَحْرِ
ثمّ انْثَنَتْ كَفُّ المَنُونِ بِهِ ، كالضِّغْثِ بَيْنَ النّابِ وَالظُّفْرِ[2]
لَمْ تَشْتَجِرْ عَنْهُ الرِّمَاحُ . وَلا رَدَّ القَضَاءَ بِمَالِهِ الدَّثْرِ[3]
جَمَعَ الجُنُودَ وَرَاءَهُ . فكأنّما لاقَتْهُ . وَهْوَ مُضَيَّعُ الظَّهْرِ
وَبَنَى الحُصُونَ تَمَتُّعاً فكأنّمَا أمسَى بِمَضْيَعَةٍ ، وَلا يَدْرِي
وَبَرَى المَعَابِلَ للعِدَى فكأنّما لِحِمَامِهِ كَانَ الذي يَبْرِي[4]
هَذا عُبَيْدُ اللهِ حِينَ رَمَى عَرْضَ العُلَى، وَأبَى على الدّهرِ
وَرَمَتْ بِهِ العَيّوقَ هِمّتُهُ ، فَوَطي رِقَابَ الأنْجُمِ الزُّهْرِ[5]
غَلَبَتْ مَآثِرُهُ النّجُومَ عَلى عَرَصَاتِهَا . وَبَدَأنَ بِالبَدْرِ
وَتَنَاذَرَ الأعْدَاءُ صَوْلَتَهُ ، فَأبَاتَ أشجَعَهُمْ عَلى ذُعْرِ
قَادَتْ حَزَامَتُهُ المَنُونَ فَلَمْ تَمْنَعْ مَضَارِبَ بِيضِهِ البُتْرِ

١ الصدفان : غلافا اللؤلؤ . القطر : النحاس .
٢ الضغث : قبضة الحشيش .
٣ المال الدثر : المال الكثير .
٤ المعابل : نصول السهام .
٥ وطي : مسهل وطيء .

نَكَصَتْ أسِنّتُهُ وأحجَمَ جُنْدُهُ ... جزَعاً لمَطْلَعِ ذَلِكَ الأمْرِ

قَدْ كَانَ مَشهُوراً إذا ذُكِرَتْ ... خُطَطُ الوَغَى وَمَوَاقِفُ الصّبرِ

مُتَهَلّلاً في كُلّ نَائِبَةٍ ، ... تَضَعُ القُطُوبَ مَوَاضِعَ البِشْرِ

يَرْقَى إلى أمَدِ المَكَارِمِ وَالعُلَى، ... لَمْ تَخْتَزِلْهُ مَوَانِعُ الكِبْرِ

لَوْ لَمْ يُعَارِضْهُ الحِمَامُ ، إذاً ... لمَضَى عَلَى غُلَوَائِهِ يَجْرِي

أوْدَى ، وَمَا أوْدَتْ مَنَاقِبُهُ ، ... وَمِنَ الرّجَالِ مُعَمَّرُ الذّكْرِ

طَوَتِ اللّيَالِي بَعْدَ مَصْرَعِهِ ... نَارَ القِرَى وَمُعَرَّسَ السَّفْرِ

خُلّي وَتِرْب أبي لَقَدْ سَلَبَتْ ... مِنّي النّوَائِبُ أنْفَسَ الذّخْرِ

قد كانَ مِن عُدَدي إذا طَرَقَتْ ... بَزْلاءُ ضَاقَ بِهَا حِمَى الصّدرِ[1]

وَهوَ الزّمَانُ عَلَى تَقَلّبِهِ ، ... يَنْوِي العُقُوقَ بِنِيّةِ البِرّ

كَمْ زَفْرَةٍ خَرْسَاءَ أكْظِمُهَا ... مُتَمَسّكاً بِعَلائِقِ الأجْرِ

ضَمُرَتْ بِجِوِتِهَا عَلَيكَ ، وَفِي ... أحْشَائِهَا كَلَوَاعِجِ الجَمرِ

لَوْ أنّ مَا أنحَى عَلَيْكَ يَدٌ ... رَاعَتْكَ بالإنْبَاضِ عَنْ عَقْرِ[2]

لوَقفتُ بَينكما لأعكِسَ سهمها ... عَنْ نَحرِكَ البَادي إلى نَحرِي

وَلَوَ انّهَا سَمْرَاءُ مُشْرَعَةٌ ، ... أعطَيتُ حَدّ سِنَانِهَا صَدْرِي

وَسَمَحتُ دونَكَ بالحَيَاةِ عَلَى ... ضَنّي بِهَا ، وَكَرَائِمِ الوَفْرِ

أوْ بَالِغاً بِالنّفْسِ مَعذِرَةً ، ... وَالسّعْيُ بَيْنَ النُّجْحِ وَالعُذْرِ

١ البزلاء : الداهية العظيمة .

٢ العقر : محلة القوم ، المنزل ، البناء المرتفع

لَـكِـنْ رَمَتْكَ أشَدُّ رَامِيَةٍ سَهْماً ، وَأهداها إلى العَقْرِ[1]

بَلَغتكَ من خَلفِ الدُّرُوعِ وَمن خَلَلِ القَنَا ، وَالعَسكَرِ المَجرِ

حَمَلَ الغَمامُ جَديدَ رَيّقِهِ ، فَسَقَى مُغَيَّبَ ذَلِكَ القَبْرِ

لَوْلا مُشَارَكَةُ المَدَامِعِ في سُقْيَاهُ قَلّ لَهُ نَدَى القَطْرِ

لَوْ أنْبَتَتْ تُرَبُ الرِّجَالِ عَلى قَدْرِ العُلَى وَنَبَاهَةِ القَدْرِ

نَبَتَتْ عَلَيْهِ مِنْ شَجَاعَتِهِ تِلْكَ الجَنَادِلُ بِالقَنَا السُّمْرِ

إنّ التَّوَقّي فَرْطُ مُعجِزَةٍ ، فَدَعِ القَضَاءَ يَقُدُّ أوْ يَفرِي

لَوْ مَالَ بالقَرْنَينِ خَوْفُهُمَا للمَوْتِ، ما اضطَغَنا عَلى الوِتْرِ[2]

أوْ عَدّدَا مَا في الخِطَالِ ، إذاً لَتَوَادَعَا أبَداً عَلى غِمْرِ[3]

نَحمي المَطَاعِمَ للبَقَاءِ، وَذي الآجَالُ مِلءُ فُرُوجِها تَجرِي

لَوْ كَانَ حِفْظُ النّفسِ يَنفَعُنا كَانَ الطّبِيبُ أحَقَّ بالعُمْرِ

المَوْتُ داءٌ لا دَوَاءَ لَهُ ، سِيّانِ مَا يُوبي وَمَا يَمْرِي

١ العقر ، من عقره : جرحه ، أوقع به .
٢ اضطغنا : أضمرا الحقد . الوتر : الظلم ، الانتقام .
٣ عددا : أحصيا . الخطال ، الواحد خطل : الفحش في الكلام . الغمر : الحقد .

دار القبر

قال بديهاً يرثي أبا بكر بن شاهويه توفي في جمادى الأولى سنة ٣٩٦ ولم يتبع نعشه إلا ثلاثة نفر الرضي أحدهم على كثرة أصدقائه ، وكان هذا الرجل جليل القدر ببغداد :

لَعَمْرِي لَقَدْ ماطَلْتُ لوْ دَفَعَ الرّدى مِطالٌ وَقَد عاتَبتُ لَوْ سَمِعَ الدّهرُ

أفي كُلِّ يَوْمٍ أنْتَ غَادٍ مُشَيِّعٌ حَبيباً إلى دارٍ يُقَالُ لهَا القَبْرُ

لَئِنْ كانَ لي في كُلِّ ما أنَا تَارِكٌ وَرَاءَ الثّرَى أجرٌ لَقَدْ عَظُمَ الأجرُ

سَقَيْتُ أبَا بَكْرٍ عَلَى البُعدِ وَالنّوَى، وَلا بَلّ هامَ الشّامِتِينَ بِكَ القَطْرُ

أخي مَا أقَلَّ التّابِعِيكَ إلى الثّرَى ، وَإخْوَانُكَ الأدْنَوْنَ من قَبلِها كُثْرُ

لَقَدْ كَانَتِ النّكرَاءُ منكَ خَلِيقَةً ، وَلا عُرْفَ حَتّى يُتّقَى قَبلَه النُّكْرُ

ألاَ إنّمَا المَاضُونَ مِنّا هُمُ الأولى أرَاحُوا وَحَطّوا وَالبَوَاقي هم السَّفْرُ

نُتَبّعُهُ أبْصَارَنَا ، وَهوَ ذاهِبٌ ، كما مالَ قَرْنُ الشمسِ أوْ وَجَبَ البدرُ[1]

عَلَيكَ سَلامُ اللهِ فَاتَ بكَ الرّدَى، وَلَمْ يَبْقَ عَينٌ للِّقَاءِ وَلا أثْرُ

[1] وجب : غاب .

المرء كالقضيب

يعزي أبا سعيد بن خلف عن ابنه

لَوْ رَأَيْتُ الغَرَامَ يَبلُغُ عُذْرَا ، قُلْتُ حزْناً وَلَمْ أقُلْ لكَ صَبْرَا
وَاستَزَدْنَا رِيحَ الزَّفِيرِ هُبُوباً ، وَسَحَابَ الدّمُوعِ وَبْلاً وَقَطْرَا
وَرَأيْنَا مُعَرَّسَ الحُزْنِ سَهْلاً في الرّزَايَا وَجَانِبَ الصَّبرِ وَعْرَا
لَكِنِ الأمرُ مَا عَلِمْتَ، وَهَلْ تَنْظُرُ مِنْ وَقْعَةِ الزّمَانِ مُبِرّا
وَاقِعاً بالأضْدادِ أرْوَى ، وَأظمَا ، وَقَضَى ، وَاقتَضَى ، وَسَاءَ وَسَرّا
كُلَّ يَوْمٍ يَغْدُو بِقَاطِعَةِ الآ مَالِ غَضْبَانَ قَدْ تَأبّطَ شَرّا
مُذْنِباً كُلّما شَكَا شاكٍ كيداً ، وَإذا قِيلَ قَدْ أنَابَ أصَرّا
ضَيْغَماً يَخبِطُ السُّرُوبَ طَرُوباً، كُلّمَا مَرّ بِالعَقِيرَةِ كَرّا[1]
وَأرَى النّاسَ وَافِراً وَمُلَقّى بالرّزَايَا ، وَالأرْضَ داراً وَقَبْرَا
مَنْزِلي قَلْعَةٌ وَلُبْثٌ ، فَهَذا كَ مَجَازاً لَنَا ، وَهذا مَقَرّا
كُلَّ يَوْمٍ نَذُمّ للدّهْرِ عَهْداً خانَ فيهِ وَنَشتَكي منهُ غَدْرَا
قَدْ أُنِيخَتْ لَنَا الرّكَائِبُ، فالحا زِمُ عَبّى زَاداً، وَوَطّأ ظَهْرَا
أسمَعَ الحاديانِ ، وَاستَعجَلَ الرّكْ بُ ، زِمَاعاً إلى المَنُونِ وَنَفْرَا
كَمْ فَقِيدٍ لَنَا طَوَتْهُ اللّيَالي ، ذُقْنَ مِنهُ حُلْواً وَذُقْنَ مُرّا

1 السروب : الطرق . العقيرة : ما عقر من الصيد ، وصوت الباكي .

وَكَأنّ الأيّامَ يُدْرِكْنَ ثَأراً عِندَنا فيهِ ، أوْ يُقَضّينَ نَذْرَا

إنّمَا المَرْءُ كَالقَضيبِ ، تَرَاهُ يَكتسي الأخضَرَ الرّطيبَ ليَعرَى

مَعكَسُ السّهمِ ذا يُرَاشُ ليمضِي في المَرَامي وَذا يُرَاشُ ليُبْرَى

مَنْ مُؤدٍّ إلى عَليٍّ ألُوكاً ، أبِجِدٍّ عَصيتَ للصّبْرِ أمْرَا

أيُّ خَطْبٍ رَاخَى قِوَاكَ ، وَقَدْ كنْتَ جَديلاً على الخُطوبِ مُمَرّا[1]

وَقَنَاةٍ صَمّاءَ تَطْعَنُ في الخَطْبِ خِلاجاً على الزّمَانِ ، وَشَزْرَا[2]

أعلُ مِنْ عثْرَةِ الأسَى إنّ للأنْجادِ نَهْضاً وَللأعَاجزِ عَثْرَا

أيُّ بَاقٍ يُبْقي عَلَيْكَ ، وَلَوْ كُنْتَ مُوَقًّى مِنَ الخُطوبِ مُعَرّى

أفْقَدَ الأصْلَ بالغاً مُنتَهَى النّبْتِ المُرَجّى مَن أفقدَ الفَرْعَ نَضرَا

كُنْ كَعودِ الطّرِيقِ طالَ سُرَاهُ يَشتَكي قَفْرَةً وَيَألَمُ عَقْرَا

وَالجَليدَ الذي إذا الدّهرُ أبْكَى مِنهُ قَلباً جَلّى عَلى النّاسِ ثَغْرَا

مُستَميتاً يَزُرّ بالصّبرِ دِرْعاً ، وَيَرَاهُ في ظُلْمَةِ الهَمّ فَجْرَا

وَقَرَتْهُ رَوَائِعُ الدّهْرِ ، حتّى لمْ يُرَعْ غَيرَ مَرّةٍ ، وَاستَمَرّا

كُلّمَا زِيدَ غُمّةً ، زَادَ صَبراً ، ضَرَمُ الزّنْدِ كُلّمَا لُزّ أوْرَى

أرْمَضَتْهُ هَوَاجِرُ الخَطْبِ، فانقادَ حَمولَ الأذى، وَمَا قال هُجرَا

هابَ ضَحضَاحَها ، وَمَرّ بهِ الدّهْرُ عَلى سُبْلِهَا ، فَخاضَ الغَمرَا

كُلّمَا غَابَ مِنْ بَني خَلَفٍ بدْرٌ يُضِيءُ الظّلامَ أخْلَفَ بَدْرَا

---

١ الجديل : الزمام المجدول من أدم . الممر : المحكم الفتل .

٢ الخلاج : الغمز ، والجذب والانتزاع . وطعن الشزر : طعن على غير استواء .

نفضَ الدهرِ منهمُ ، ثمّ أعيوْ ... هُ بُدُوراً مِنَ المَطامِعِ تترى
عَجَباً سمتُكَ السّلُوّ ، وَعِندي ... مسُّ جُرْحٍ من الهوَى ليسَ يَبرَا
أتوَخّى بَرْدَ القُلُوبِ مِنَ الوَجْـ ... ـدِ ، وَقَلْبي يَزْدادُ بالوَجْدِ حَرّا
وَإذا قُلْتُ : يَنْزِعُ الدّهْرُ نَاباً ... مِنْ بقَايَا ذَوِيّ أعلَقَ ظُفْرَا
كُلّمَا أبْلَغَ العَوَاذِلُ سَمْعي ... في التّسَلّي عَنْ مَعْشَرٍ زَادَ وَقْرَا
أجِدُ القَلْبَ بَعدَ لَوْميَ أسخَى ، ... فكَأنّ اللاّحي بما قالَ أغْرَى
زَادَ عَذْلاً ، فَزَادَ قَلْبي وُلُوعاً ؛ ... رُبّ آسٍ أرَادَ نَفْعاً ، فَضَرّا
فَسَقَى الدّمعُ مَعْشَراً نَزَلوا القَلْـ ... ـبَ ، وَأخْلَوْا بَاقي المَنازِلِ طُرّا
كُلّمَا قَصّرَ الحَيَا كَانَ ماءُ العَيْـ ... ـنِ أبْقَى صَوْباً ، وَأعظَمَ غَزْرَا
كَمْ حَشَوْتُ الثّرَى حُساماً طريراً ، ... وَطَوِيلاً لَدْناً ، وَطِرْفاً أغَرّا[1]
وَخُدُوداً مِثلَ الذّوَابِلِ مُلْساً ، ... وَجِبَاهاً مِثْلَ الدّنَانِيرِ غُرّا
وَكأنّ القُبورَ منهم بِذي الجِزْ ... عِ عِيَابٌ حَمَلنَ دُرّاً وَعِطْرَا
أوْجُهٌ صَانَهَا الجَلالُ ، فَأمْسَيْـ ... ـنَ تُرَاباً تَحتَ الجَنَادِلِ غُبْرَا
عَطّلَ الدّهْرُ مِنْ حِلاهنّ فِينَا ، ... وَتَحَلّى الثّرَى بِهِنّ وَأثْرَى
قَطَعَ المَوْتُ بَيْنَنَا ، فَتَبَايَـ ... ـنّا لِقَاءً ، إلاّ نِزَاعاً وَذِكْرَا
فَبَعَدْنَا ، وَمَا اعتَمَدْنَا بعاداً ، ... وَهَجَرْنَا ، وَمَا أرَدْنَا الهَجْرَا
رَوْعَةٌ إنْ جَزِعْتُ مِنها فعُذْرٌ ... لِجَزُوعٍ ، وَإنْ صَبَرْتُ ، فأحرَى
وَقَعَتْ مَوْقِعَ العَوَانِ مِنَ الدّهْـ ... ـرِ ، وَإنْ كانَتِ الرّزِيّةُ بِكْرَا[2]

١ الطرير : المحدد . الطرف : الكريم من الخيل .

٢ العوان : ما كان في منتصف السن من كل شيء ، والحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى .

أين بنو أم المكارم

يرثي قوماً من عشيرته وأقاربه انقرضوا ويتألم لفقدهم وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٣٩٣ :

تَنَاسَيْتُ ، إلاّ بَاقِيَاتٍ مِنَ الذّكرِ ، ... لَيَالِيَنَا بَيْنَ القَرِينَةِ وَالغَمْرِ[1]

وكمْ زَادَني فيها الهَوَى عَنْ جِمامِهِ ، ... وَقَارَعَني الغَيْرَانُ عَنْ بَيضَةِ الخِدرِ[2]

وَذي دَعَجٍ لا نَابِلُ الحَيّ رَايِشاً ، ... وَلا بَارِياً يَبرِي من الشّرّ ما يَبرِي

يُقَلّبُ لي في مِحْجَرَيْ أُمّ شَادِنٍ ... تَجَفّلُ ، أوْ يَدْنُو دُنُوّاً عَلى ذُعْرِ

تَلَقّيْتُ مِنْ طَرْفَيْهِ سَهْماً وَجَدتُه ... يَلَذّ عَلى عَيني وَيُؤلمُ في صَدْرِي

فَيَا لَكَ مِنْ رَامٍ أَصَمّ سِهَامَهُ ، ... وَإنْ نِلْنَ مِنّي باليَدَينِ إلى النّحْرِ

أقُولُ لغَيداقٍ ، وَأذْكَرَني الهَوَى ... على النّأي: ما للقَلبِ وَيْبكَ وَالذّكرِ[3]

تُذَكّرُني ما حالَتِ الأرْضُ دُونَهُ ، ... ألا إنّمَا سَوّلْتَ للدّمعِ أنْ يَجرِي

وَطَيُّ اللّيَالي وَالجَدِيدُ إلى بِلًى ، ... وَلَيسَ لما يَطوِي الجَديدانِ من نَشْرِ

وَشَرُّ الرّفِيقَيْنِ الذي إنْ أمَرْتَهُ ... عصَاكَ وَإن ما حُطتَه الدّهرَ لمْ يَدْرِ

يُقَارِعُني ، حتّى إذا كَلّ غَرْبُهُ ، ... نَسِينَا التّصَافي وَاندَمَلنَا عَلى غَمْرِ

١ القرينة : موضع في الطائف . الغمر : موضع بينه وبين مكة يومان .

٢ الجمام : ما علا رأس المكيال فوق طفافه . بيضة الخدر : الجارية .

٣ الغيداق : الناعم والكريم ، ولعله اسم رجل . ويبك : ويلك .

أفي كُلِّ يَوْمٍ أنْتَ مَاتِحُ عَبْرَةٍ ... عَلَى طَلَلٍ بالودِّ ، أوْ مَنْزِلٍ قَفْرِ[1]
وَمُنْتَزِحٍ جَمّاتِ عَينَيكَ رَاجِعاً ... إلى غَزْرِ مَاءٍ لا بَكيءٍ وَلا نَزْرِ[2]
أقُولُ: عَزَاءً ، وَالجَوَى يَستَفِزّهُ ، ... وَأعيَا الأوَاسِي عَيٌّ عَظْمٍ عَلَى وَقْرِ
فَلَمّا أبَى إلاّ البُكَاءَ رَفَدْتُهُ ... بعَيْنَيْنِ كَانَا للدّمُوعِ عَلى قَدْرِ
وَقُلْتُ لهُ: رُدّ الجُفونَ عَلى القَذَى ... وَخلّ الجوَى يَمرِي من الدّمعِ ما يَمري
قَسَمتُ زَفيرَ الوَجدِ بَيْني وَبَيْنَهُ ، ... دَوَالَيْكَ أقرِيهِ اللّوَاعِجَ أوْ يَقرِي[3]
عَشيّةَ تَغْشَاني مِنَ الدّمْعِ كِنّةٌ ، ... كَأنّيَ مَرْهُومُ الإزَارَينِ بالقَطْرِ[4]
فَزِعْتُ إلى فَضْلِ الرّداءِ مُبَادِراً ، ... تَلَقّيَ دَمْعي أنْ يَنُمّ عَلى سِرّي
كَأنّي وَغَيْداقاً طَرِيدا مَخَافَةٍ ، ... أصَابَا دَماً في مَالِكٍ وَبَني النَّضْرِ
نُحَلَّأُ عَنْ ماءِ الحُلولِ ، وَنَنْثَني ... عَلى رَصْفِ أكْبادٍ أحَرّ منَ الجَمْرِ
فَأينَ بَنُو أُمّ المَكارِمِ وَالنّدَى ، ... وآلُ الجِيَادِ الغُرّ وَالجاملِ الدَّثْرِ
وَأينَ الطّوَالُ الغُلْبُ كانَتْ سيُوفُهم ... فُرَادى عَنِ الأجفانِ للضّرْبِ وَالعقرِ
كأنّكَ تَلقى هَجمةَ الخَطبِ منهُمُ ... بزَيدِ القَنَا ، أوْ بالقَلَمَّسِ أوْ عمرِو[5]

١ الماتح ، من متح الماء : نزعه .

٢ المنتزح : المستخرج الماء . الجمات ، الواحدة جمة : معظم الشيء أو الكثير منه ، وأراد جمات الدمع . البكيء والنزر : القليل .

٣ دواليك : أي مداولة بعد مداولة ، كرات بعضها بعد أخرى .

٤ الكنة : السكون . المرهوم : الممطور .

٥ القلمس : الرجل الداهية البعيد الغور ، ورجل من كنانة من نسأة الشهور . عمرو : هو ابن معدي كرب . ولعله أراد بزيد القنا زيد الخيل أحد فرسان العرب .

إذا عَدِمُوا أثْرَوْا طِعَاناً ، وَغَيرُهمْ   لَئيمُ الغِنَى يَوْمَ الغِنى عاجِزُ الفَقرِ
لَهُمْ كُلُّ شَهْقَى بالنّجيعِ كما رَغا   قَرَاسِيَةٌ رَدَّ العَجيجَ عَلى الهَدْرِ[1]
لَهَا رَقَصَاتٌ بالدّمَاءِ ، كَأنّمَا   تَشَقّقُ عَن أعرَافِ أحصِنَةٍ شُقْرِ
تَلَمّظُ تَلْمَاظَ المَرُوعِ ، وَتَنكَفي   جَوَاشنُها من مُظلِمِ الجالِ ذي قَعرِ[2]
رَمَوْا بجِبَاهِ الخَيْلِ مَأسَدَةَ الرّدى ،   وَسَدّوا بمَرْبوعِ القَنَا طِلَعَ الثّغْرِ
وَلَمْ تَدْرِ أيمَانُ القَوَابِلِ منهُمُ   أسَلّتْ رِجَالاً أمْ ظُبَى قُضُبٍ بُترِ؟
همُ استَفرَغوا ما كان في البِيضِ وَالقنا ،   فلَمْ يَبقَ إلاّ ذُو اعوِجاجٍ وَذو كسرِ
قِبَابٌ مِنَ العَلْيَاءِ أعْلَى عِمَادَهَا   فُحولُ الوَغَى بَينَ الزّماجِرِ وَالخَطْرِ
بَنَوْها بِأيّامِ الطّعَانِ ، وَمَا بَنَتْ   لتَغْلِبَ أيّامُ الطّعَانِ عَلى بَكْرِ
يَعودونَ قَدْ رَدّوا العَظيمةَ عَن يَدٍ   وَقَدْ أغلَقوا بابَ الطَّلاطِلَةِ البِكْرِ[3]
وَغَيّرَ ألْوَانَ القَنا طُولُ طَعْنِهِمْ ،   فبالحُمرِ تُدعَى اليَوْمَ لا بالقنا السُّمرِ
غَدَوْا سَهِكي الأيمانِ من صَدإِ الظُّبَى ،   وَرَاحوا كِراماً طَيّبي عُقَدِ الأُزْرِ[4]
همُ الحاجبونَ العِرْضَ عن كلّ سُبّةٍ   إذا طَرَقُوا وَالآذِنونَ عَلى القَدْرِ
وَهمْ يُنفِدونَ المالَ في أوّلِ الغِنى ،   وَيَستَأنِفُونَ الصّبرَ في أوّلِ الصّبرِ
مَلِيئونَ أنْ يُبدوا بِذِي التّاجِ ذِلّةً   إذا كرُموا في طاعةِ الجودِ ذي الطِّمْرِ[5]

١ شهقى بالنجيع : أي طعنة تشهق بالدم . القراسية : الضخم الشديد من الإبل .
٢ تنكفي : ترجع . جواشنها : صدورها . الجال : جانب الجبل ، أو جدار القبر .
٣ الطلاطلة : الداهية .
٤ السهكي من السهك : صدأ الحديد .
٥ الطمر : الفرس الجواد الطويل القوائم ، والثوب البالي .

إذا سُئِلُوا لمْ يُتْبِعُوا المَالَ وَجْمَةً ، وَلَمْ يَدفَعوا في صَفحةِ الحقّ بالعُذْرِ[1]

مِنَ البِيضِ يَستامُونَ ، وَالعامُ كالحٌ جُدُوباً وَمَطّارُونَ في الحِجَجِ الغُبرِ

كأنّ عُفَاةَ المَرْءِ ذي الطّولِ منهُمُ يَمُدّونَ أوْذامَ الدّلاءِ مِنَ البَحْرِ[2]

مَغَاوِيرُ في الجُلّى ، مَغَابِيرُ للحِمَى ، مَفارِيجُ للغُمّى ، مَدارِيكُ للوِتْرِ[3]

سِرَاعٌ إلى الوِرْدِ الذي مَاؤهُ الرّدَى ، إذا أرْعِدَ النِّكْسُ الجَبانُ بلا قُرٍّ

وَتَأخُذُهمْ في سَاعَةِ الجُودِ هِزّةٌ ، كما خايَلَ المطرَابُ عن نَزْوَةِ الخَمرِ

فتَحسَبُهُمْ فيها نَشَاوَى مِنَ الغِنى ، وَهُمْ في جَلابِيبِ الخَصَاصَةِ وَالفَقرِ

عَظِيمٌ عَلَيهمْ أنْ يَبِيتُوا بِلا يَدٍ ، وَهَيْنٌ عَلَيهِمْ أنْ يُفيئوا بلا وَفْرِ

إذا نَزَلَ الحَيَّ الغَرِيبُ تَقَارَعُوا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَدْرِ المُقلّ من المُثْرِي

يَميلُونَ في شِقّ الوَفَاءِ مَعَ الرّدَى إذا كَانَ مَحبُوبَ البَقاءِ مَعَ الغَدْرِ

حَوَاقِلَةٌ مِثْلُ الصقُورِ ، وَفِتْيَةٌ ، إذا مَا حَنَاني طارِقٌ دَعَمُوا ظَهرِي[4]

وَمَا لَطَموا عَن غايةِ المَجدِ جَبهَتي ، بَلى، خَلَعوا عنّي لإدرَاكِها عُذْرِي

تَوَارَكُ لي في حَالِ يُسرِي، فإنْ رَأوْا دُنُوّي من الإملاقِ جاء بهم عُسرِي

إذا أوْهَنَتْ عَظمي اللّيَالي وَجَدْتُهمْ بأيدي النّدى وَالطّعنِ قد جبرُوا كسرِي

هُمُ أنهَضُونِي بَعدَمَا قيلَ لا لَعاً ، وَهُم أغرَموا الأيّامَ لي ما جنى عَثْرِي

١ الوجمة : العبوسة .

٢ الأوذام : السيور بين آذان الدلو . وذو الطول : ذو الفضل والعطاء .

٣ المغابير : النخل الذي علاه الغبار ، ولعلها محرفة .

٤ الحواقلة : السريعو المشي .

كَفَوْني ،وَمااستَكفَيتُهم منْ ضَراعةٍ ، تَرافُدَ أيدي الأبعَدينَ علَى نَصْرِي

تَرَى كُلَّ ذَيّالِ العِطَافِ ، كأنّما تَفَرّجَ منهُ اللّيلُ عَن قَمَرٍ بَدْرِ[1]

لَهُ رائِدٌ يَلقاكَ مِنْ قَبلِ شَخصِه جَلالاً كما دَلَّ الضّيَاءُ علَى الفَجرِ

يُصَدَّعُ عَنْهُ النّاظِرُونَ كأنّمَا يَرَوْنَ بِهِ ذا لِبْدَتَينِ أبَا أجْرِ[2]

لَهُ عَبَقٌ يُغنيهِ عَن طِيبِ عِرْضِهِ ، سُطُوعاً مِنَ البَانِ المَدينيِّ وَالعِطْرِ

لقَدْ أولعَ المَوْتُ الزّؤامُ بجَمعِهِمْ ، كأنّ الرّدَى فيهِمْ تحَلّلَ مِنْ نَذْرِ

وَرَوْا كَبِدِي في آخِرِ الدّهرِ لَوْعَةً بِمَا بَرّدُوا قَلبي علَى أوّلِ الدّهْرِ

مَضَوْا . فكأنّ الحَيَّ فَرْعُ أرَاكَةٍ علَى إثْرِهِمْ عُرّيَ مِنَ الوَرَقِ النّضرِ

وَأصبَحَ وِرْدُ الدّمْعِ للعَينِ بَعْدَهُمْ علَى الغِبِّ إذْ وِرْدُ الفِرَاءِ على العَشْرِ[3]

وَمَا تَرَكُوا عِنْدَ الرّمَاحِ بَقِيّةً لهَزٍّ إلى يَوْمِ العَمَاسِ وَلا جَرِّ[4]

نَبَذْتُهُمُ نَبذَ الإداوَةِ لَمْ تَدَعْ مِنَ المَاءِ ما يُعدي على غُلّةِ الصّدْرِ[5]

بَقيتُ مُعَنًّى بِالبَقَاءِ خِلافَهُمْ ، وَمَا بَيْنَنَا إلاّ قُدَيدِيمَةُ السَّفْرِ[6]

وَأغْدَوْا عَلَى آثَارِهِمْ وَوَدادَتي لَوَ انّهُمُ الغادونَ بعدي عَلى إثْرِي

وَفي الحَيِّ بَيْتي خَالِفاً ، وَكَأنّني مِنَ الوَجْدِ يُورِي بَينَ أقبُرِهم قبري

١ العطاف : الرداء ، الإزار .

٢ ذو اللبدتين : الأسد . الأجري : الواحد جرو .

٣ الفراء ، الواحد فرا : حمار الوحش . العشر : نهيق الحمار عشر مرا

٤ العماس : الحرب الشديدة .

٥ الاداوة : إناء من جلد . يعدي : يعين .

٦ قديديمة تصغير قيدام : مقدم الشيء .

كأنّيَ مَغلُوبٌ علَى نَصْلِ سَيْفِهِ ، أقَامَ بِلا نَابٍ يرُوعُ ولا ظُفُرِ
فَمَا أتَلافَى الغُمْضَ إلاّ علَى قذًى ، ولا أتَنَاسَى الوَجْدَ إلاّ علَى ذِكْرِ
وَقالوا اصْطَبرْ للخَطبِ ، هيهاتَ إذْ مضَى مُقَوِّمُ دَرْئي ، وَالمُعِينُ علَى دَهرِي

ذكرتك

يرثي امرأ يخصه :

وَذي نَضَدٍ لا يَقْطَعُ الطّرْفُ عَرْضَه ، إذا قِيلَ نَجْدِيٌّ المُبَاحِ تَغَوّرَا[1]
تَخَالُ بِهِ رُكْنَيْ أبَانَ وَشَابَةٍ أطَلاّ وَرَجراجاً من الرّملِ أعْفَرَا[2]
إذا مَدّ بالأعْنَاقِ قَعْقَعَ رَعْدُهُ كعَوْدِ المَلا إن عضّهُ العِبْءُ جَرْجرَا[3]
كما اضْطرَعتْ رَاياتُ قَيسٍ وَخِنْدِفٍ عَجالى يَجُرّونَ العَدِيدَ المُجَمهَرَا
إذا أجّ بالإيماضِ قُلتَ : ابنُ كُفّةٍ يُضَرِّمُ بِالغَابِ الأبَاءَ المُسَعَّرَا[4]
تَشَوّلَ تَشْوَالَ البُرُوقِ بِبُرْقَةٍ ، وَرَجّعَ قَرْقَارَ الفَنيقِ بِقَرْقَرَا[5]

١ النضد من الجبال : جنادل بعضها فوق بعض . المباح : مفعول من أباح الشيء : أظهره . ولعله أراد به نجماً . تغور : غاب ، أو أتى الغور .
٢ ابان وشابة : جبلان .
٣ العود : الجمل المسن . الملا : الصحراء .
٤ الكفة من الغيم : طرته . الأباء : القصب .
٥ تشول : ارتفع . البرقة : الأرض الغليظة . القرقار : هدير البعير . الفنيق : الفحل المكرم . القرقر : القاع الأملس .

كَأنّ بِهِ النّوتيَّ مِنْ سيفِ جُدّةٍ ... عَلى عَجَلٍ يُزْجي السّفِينَ المُوَقَّرَا

لَهُ نَعَرَاتٌ بَينَ قَوٍّ وَرَامَةٍ ، ... وَلا نَعَرَاتُ الشّيْخِ أوْسِ بنِ مَعْيرَا[1]

أبَسّتْ بِهِ رِيحُ النُّعَامَى مَنِيحَةً ، ... كمَا جَعجَعَ الوُهْمُ الثِّفَالُ ليَعقِرَا[2]

وَهَوْجَاءَ في أشْوَاطِهَا عَجرَفِيّةٌ ... تَسوقُ من الغَوْرِ الغَمامَ الكَنَهوَرَا[3]

تَبعَّقُ بِالأطْبَاءِ مِنْ كُلّ فِيقَةٍ ، ... كَمَخضِ الغَرِيرِيِّ المَزَادَ المُوَكَّرَا[4]

وَأقْلَعَ إقْلاعَ الظّلامِ ، وَقَدْ وَزَى ... قِلالَ الرّوَابي وَالرّكِيَّ المُغَوَّرَا[5]

قَضَى بِكَ لا ضَنّاً عَلَيْكَ بمَدمعي ... وَلكِنْ رَسِيلُ الدّمعِ جَادَ وَأمطَرَا

لَقَدْ سَاءَني أنّ البَلابِلَ رَوّحَتْ ، ... وَأنّ مَطَالَ الدّاءِ بَعْدَكَ أقْصَرَا

تَضَرّعَتُ في أعقَابِ وَجْدٍ عَلَيكمُ ، ... وَمَنْ فَاتَهُ الإعْذارُ بالأمْرِ عَذّرَا

وَأهجُرُكُمْ هَجْرَ الحَلِيّ ، وَأنتُمُ ... أعَزُّ عَلى عَيْنَيّ مِنْ طارِقِ الكَرَى

وَكَمْ أزْجُرِ العَينَ الدُّمُوعَ لتَنتَهي ، ... وَكمْ أعْذُلِ القَلْبَ اللّجُوجَ ليَصْبِرَا[6]

وَقَالُوا : أرِحْ قَرْحَ الفُؤادِ ، وَإنّمَا ... أحَبُّ فُؤادِيّ انطَوَى دُونَه البَرَى[7]

١ نعرات : هيجان . قو ورامة : موضعان .

٢ أبست : ساقت سوقاً سهلا . النعامى : ريح الجنوب . المنيحة : الناقة . الوهم : البعير الذلول في ضخم وقوة . الثفال : البطيء من الإبل .

٣ الهوجاء : الريح تقلع البيوت . العجرفية : قلة المبالاة . الكنهور : قطع من السحاب كالجبال .

٤ تبعق السحاب : انبعج بالمطر . الأطباء : حلمات الضرع . الفيقة : اللبن يجتمع بالضرع بين الحلبتين . الغريري : نسبة إلى الغرير ، وهو فحل من الإبل . الموكر : المملوء .

٥ وزى : تجمع . القلال ، الواحدة قلة : القمة . الركي ، الواحدة ركية : البئر . المغور : الذاهب في الأرض .

٦ قوله : الدموع ، نصب بنزع الخافض ، والمراد عن الدموع .

٧ البرى : التراب .

كَفَى جانِبَ القَبرِ الذي أنتَ ضِمنَهُ زَفيرِي وَدَمعي أنْ يُرَاحَ وَيُمْطَرَا
وَمَا ضَرّ قَلْبي إذْ غَدا مِنكَ آهِلاً، تَـأمُّلُ عيَـْني مَنْزِلاً مِنكَ مُقْفِرَا
ذَكَرْتُكَ وَالأرْضُ العَرِيضَةُ بَيْنَنَا، وَشَرٌّ علَى ذي الوَجْدِ أنْ يَتَذَكّرَا
فإنْ لمْ يَزَلْ قَلبي إلَيكَ فَقَدْ هَفَا، وَإنْ لم يَزِدْ دَمعي عَلَيكَ فقَدْ جرَى

ركب تأنى وسار

قال وقد اجتاز بالحيرة يرثي
آل المنذر بن ماء السماء :

أينَ بَانُوكِ أيّهَا الحيرَةُ البَيـ ـضَاءُ، وَالمُوطئونَ مِنكِ الدّيَارَا
وَالأولى شَقّقُوا ثَرَاكِ من العُشْـ ـبِ، وَأجرَوْا خِلالَكِ الأنْهارَا
المُهِيبُونَ بِالضّيُوفِ ، إذا هبّـ ـتْ شَمالاً وَالمُوقدونَ النّارَا[1]
كُلّمَا بَاخَ ضَوْءُهَا أقْضَمُوهَا بالقُبَيْبَاتِ مَنْدَلِيّاً وَغَارَا[2]
رَبَطوا حَوْلَكِ الجِيادَ وَخَطّوا لكِ مِنْ مَرْكَزِ العَوَالي عِذارَا
وَحَمَوْا أرْضَكِ الحَوَافِرَ حتّى لَقَبُوا أرْضَها خُدُودَ العَذارَى
لمْ يَدَعْ منكِ حادِثُ الدّهرِ إلاّ عِبَراً للعُيُونِ وَاستِعْبَارَا

١ المهيبون : الداعون .
٢ أقضموها : أطعموها . القبيبات : مواضع . المندل : عود طيب الرائحة ، وكذلك الغار .

وَبَقَايَا مِنْ دَارِسَاتِ طُلُولٍ ، خَبَّرَتْنَا عَنْ أَهْلِهَا الأَخْبَارَا
عَبِقَاتِ الثَّرَى كَأَنَّ عَلَيْهَا لَطَمِيِّينَ يَنْفُضُونَ العِطَارَا[1]
وَقِبَابٍ كَأَنَّمَا رَفَعُوا مِنْـ هَا لِمُسْتَرْشِدِ الظَّلامِ مَنَارَا
عَقَدُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ نُجُومِ الْـ أُفْقِ مِنْ سَالِفِ اللَّيَالِي جِوَارَا
أَيْنَ عِقْبَانُكِ الحَوَاطِفُ حَلَّقْـ نَ ، وَأَبْقَيْنَ عِنْدَكِ الأَوْكَارَا
وَرِجَالٌ مِثْلُ الأُسُودِ مَشَوْا فِيـ كِ ، تَدَاعَوْا قَوَائِماً وَشِفَارَا
حَبَّذَا أَهْلُكِ المُحِلُّونَ أَهْلاً ، يَوْمَ بَانُوا ، وَحَبَّذَا الدَّارُ دَارَا
لَمْ يَكُونُوا إِلاَّ كَرَكْبٍ تَأَنَّى بُرْهَةً فِي مُنَاخِهِ ثُمَّ سَارَا

ليس هذا مطلع القمر

قال رحمه الله في النسيب :

طَلَعَتْ ، وَاللَّيْلُ مُشْتَمِلٌ ، سَابِغُ الأَذْيَالِ وَالأُزُرِ
مِنْ خَصَاصَاتِ الغَبِيطِ ، وَقَدْ غَرَّدَ الحَادِي عَلَى أُقُرِ[2]
وَرِقَابُ القَوْمِ مَايِلَةٌ مِنْ بَقَايَا نَشْوَةِ السَّهَرِ

١ اللطميون : بائعو المسك ، نسبة إلى اللطيمة : المسك ، ونافجته . العطار : لعله جمع عطر
٢ الخصاصات : الفروج . الغبيط : الرحل . أقر : واد .

فَاستَقَامُوا فِي رِحَالِهِمُ يُتْبِعُونَ الضَّوْءَ بِالنَّظَرِ
فَامتَرَيْنَا ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : لَيْسَ هَذا مَطْلِعُ القَمَرِ

ميعاد دمع العين

ألايا لَيالي الحَيفِ! هلْ يَرْجِعُ الهوَى إلَيكنَّ لي؟ لا جازكنَّ ندَى القَطْرِ
فَيَا دِينَ قَلْبي مِنْ ثَلاثٍ عَلَى مِنًى مَضَيْنَ وَلَمْ يُبقِينَ غيرَ جوَى الذِّكْرِ
وَرَامِينَ وَهْناً بِالجِمَارِ ، وَإنَّمَا رَمَوْا بَيْنَ أحْشَاءِ المُحِبِّينَ بالجَمْرِ
رَمَوْا لا يُبَالُونَ الحَشَى ، وَتَرَوَّحُوا خَلِيِّينَ، وَالرَّامي يُصِيبُ، وَلا يدري
وَقالُوا: غَداً ميعادُنا النَّفْرُ عن مِنًى، وَمَا سَرَّني أنَّ اللِّقَاءَ مَعَ النَّفْرِ
وَيَا بُؤسَ لِلقُرْبِ الذي لا نَذُوقُهُ سوَى سَاعَةٍ ثُمَّ البِعَادُ مَدى الدَّهرِ
فَيَا صَاحِبي ! إنْ تُعطِ صَبراً، فإنّني نزَعتُ يدَيَّ اليَوْمَ من طاعَةِ الصّبرِ
وَإنْ كُنتَ لمْ تَدْرِ البُكَا قَبلَ هَذه، فميعَادُ دَمعِ العَينِ مُنقَلَبُ السَّفْرِ

زينة الصفصاف

أرْتَاحُ إنْ أخَذَ الصَّفصَافُ زِينَتَهُ من الرَّبيعِ وقَالَ : الرَّكبُ قد مُطِرَا
مُسَائِلاً ، كُلَّمَا هبَّتْ يَمَانِيَةٌ ، وَفدَ القَرِينَةِ : هلْ أحسَسْتمُ خبَرَا[1]
إنْ لمْ أرِقْ فيكَ ماءَ النَّاظرَينِ أسًى على الزَّمَانِ الذي وَلّى، فَلا نَظَرَا !

شعار الوفاء

قال وكتبها إلى صديق له :

نَأتِ القُلُوبُ وَسَوْفَ تَنْأى الدَّارُ، وتَغَيّرَتْ بِمَذاعِهَا الأسْرَارُ
وَلَقَد شَقَقْتُ حشَى الزَّمانِ فلَم يكنْ فيهِ سِوَى سِرِّ النَّوَى إضْمَارُ
مَا للخُطُوبِ تَبُزُّني ثَوْبَ الهَوَى ، وَعَليَّ مِنْ أحْداثِهَا أطْمَارُ
ألِفَتْ ضَمِيرِي النَّائِبَاتُ كَأنّهَا لِعِتَاقِ أفْرَاسِ الجَوَى مِضْمَارُ
مَا لي أُرَقْرِقُ فيكَ دَمْعاً تَرتَوِي مِنْهُ الخُطُوبُ ، وَمَا لَهُ مُشْتَارُ[2]

---

١ القرينة : موضع أو روضة بالصمان .

٢ المشتار : الانقطاع .

إيهاً مُؤَمَّلَ طَيِّءٍ لا تَنْقُضَنْ ... وِدّاً لَهُ مِنْ ذِمَّةٍ إِمْرَارُ
فَلَقَدْ حَلَلْتَ مِنَ الفُؤَادِ مَحَلَّةً ... في حَيْثُ لَيسَ مِنَ الوَرَى لكَ جَارُ
فَلَئِنْ وَفَيْتَ فَمَا الوَفَاءُ بِبِدْعَةٍ ؛ ... إنَّ الوَفَاءَ لذي الصَّفَاءِ شِعَارُ
وَلَئِنْ غَدَرْتَ ، وَلا عَجِيبٌ أنَّهُ ... بَعْضُ الزَّمَانِ بِبَعْضِهِ غَدَّارُ
نَفْسِي فِدَاءُ الغَادِرِينَ تَبَاعَدُوا ، ... أَوْ قَارَبُوا ، أَوْ أَنْصَفُوا أَوْ جَارُوا

خمار الهوى

قال وقد سئل وصف مجلس

وَرُبَّ لَيْلٍ طَرِبْتُ فيهِ ، ... وَمَا اسْتَرَقَتْنِيَ العُقَارُ
صَحَوْتُ مِنْ سُكْرِهِ وَلَكِنْ ... بِي مِنْ بَقَايَا الهَوَى خُمَارُ
نَجْهَلُ فِيهِ مَعَ الأغَاني ، ... وَالجَهْلُ في مِثْلِهِ وَقَارُ
لمَّا اسْتَضَاءَ الظَّلامُ مِنَّا ، ... تَعَانَقَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
زَارَ حَبِيبُ الفُؤَادِ فِيهِ ، ... مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُبْعِدَ المَزَارُ
إذا تَنَاءَتْ بِنَا قُلُوبٌ ، ... فَلا تَدانَتْ بِنَا دِيَارُ

المشيب هو الفقر

خُذا اليَوْمَ كَفّي للبياعِ عَلى النُّهى، فلَمْ يَبقَ للإطرَابِ عَينٌ ، ولا أثْرُ
فقَدْ كُنتُ لا أُعطي العَوَاذِلَ طاعَةً ، وَأعذِرُ نَفْسِي في التّصَابي وَلا عُذْرُ
تَقَضّتْ لُبَانَاتُ الصِّبا ،وتَصَرّمتْ ، فَلا نَهْيَ للاّحي عَليّ ، وَلا أمرُ
وَلا تَحْسَبَا أنّي نَضَوْتُ بَطَالَتي نُزُوعاً ، وَلكنْ صَغّرَ اللّذّةَ الكِبْرُ
وَلا أمتَرِي أنّ الشّبَابَ هُوَ الغِنَى ، وَإنْ قَلّ مَالٌ فالمَشِيبُ هُوَ الفَقْرُ

ذنب غير مغتفر

قال على لسان رجل شيخ سأله مدح جارية سوداء :

لامُوا وَلَوْ وَجَدوا وَجدي لقَدْ عذرُوا، وَذَنْبُ مَنْ لامَ ظُلماً غَيرُ مُغتَفَرِ
لمّا تَمَالَوْا عَلى عَذْلي أجَبْتُهُمُ بِعِزّ مُعْتَرِفٍ لا ذُلّ مُعتَذِرِ[1]
أهْوَى السّوَادَ برَأسِي ثمّ أمْقُتُهُ ، فكَيْفَ يَختَلِفُ اللّوْنَانِ في نظَرِي
تَأبَى طَلائِعُ بِيضٍ ذَرّ شَارِقُهَا في عارِضِي أن تكونَ البِيضُ منْ وَطَرِي

[1] تمالوا مسهل تمالأوا : اجتمعوا وتعاونوا .

إنّي عَلِقْتُ سَوَادَ اللوْنِ بَعدكُمُ عَلاقَةً تُشْمِتُ الظَّلْمَاءَ بالقَمَرِ
لوْ لم يكنْ فوْقَ لوْنِ البِيضِ ما رُقِمَتْ صِبْغُ اللّيَالي عَلى الأجْيَادِ وَالعُذُرِ
جَعَلْتُهُ لِسَوَادِ الرّأسِ تَذكِرَةً ، إنْ تَفقَدِ العَيْنُ يَرْضَ القَلبُ بالأثرِ
وَاللّيلُ أسترُ للخَالي بِلَذّتِهِ ، وَالصّبْحُ أفْضَحُ للسّارِي عَلى غَرَرِ
وَللفَتى في ظَلامِ اللّيْلِ مَعْذِرَةٌ ، وَمَا لهُ في الضّحى إن ضَلّ من عُذُرِ
لا أجمَعُ الحُبّ للبيضِ الحِسانِ إلى ما بَيّضَ الدّهرُ وَالأيّامُ مِن شَعَرِي
وَكَيفَ يَذهَبُ عن قَلبي وَعن بصرِي مَنْ كانَ مثلَ سَوَادِ القَلبِ وَالبَصرِ

شر ضياء لشر نار

لَيْسَ عَلى الشّيْبِ للغَوَاني ، وَإنْ تَجَمّلْنَ ، مِنْ قَرَارِ
كَأنّمَا البِيضُ مِنْ لِداتي ضَرَائِرُ البِيضِ مِنْ عِذارِي
إنْ خَيّمَتْ هَذِهِ بِأرْضِي ، تَحَمّلَتْ تِلْكَ عَنْ دِيَارِي
أرَيْنَ في رَأسِيَ اللّيَالي ، شَرَّ ضِيَاءٍ لِشَرّ نَارِ
يُبْدِي الخَفيّاتِ مِنْ عُيُوبي ، وَيُظْهِرُ السّرّ مِنْ عَوَارِي
أعْدُو بِهِ اليَوْمَ للغَوَاني ، أعدَى مِنَ الذّئبِ للضّوَارِي
وَكُنّ طَرْبَى إلى طُرُوقي ، إذْ لَيْلُ رَأسِي بِلا دَرَارِي
فَمُذْ أضَاءَ المَشيبُ فَوْدِي ، تَوَرّعَ الزّورُ عَنْ مَزَارِي
مِثْلُ الخَيَالاتِ زُرْنَ لَيْلاً ، وَزُلْنَ مَعْ طَالِعِ النّهَارِ

أنا الفداء

أنَا الفِداءُ لظَبيٍ ما اعتَرَضْتُ لَهُ ، إلاّ وَهتّكَ شَوْقاً لي أستَّرُهُ
لاحَظْتُهُ ، وَالنّوَى تَدْمَى مَلاحظُه بعارِضٍ مِنْ رَشاشِ الدّمعِ يُمطِرُهُ
ما انفكّ مِنْ نَفَسٍ للوَجدِ يكتُمُهُ تحتَ الضّلُوعِ وَمِنْ دَمْعٍ يُوَفّرُهُ
أهْوَى إليّ يَداً عَقْدُ العِنَاقِ بِهَا ، وَالبَيْنُ يَعْذُلُهُ ، وَالحُبّ يَعذِرُهُ
وَقالَ: تَذكُرُ هذا بَعْدَ فُرْقَتِنَا ؟ فَقُلْتُ: مَا كُنتُ أنْساهُ فَأذكُرُهُ

عيد الغرام

أقُولُ ،وَقَدْ عَادَ عِيدُ الغَرَامِ لمّا هَبَطنَ بنَا الأجْفَرَا :[1]
أيَا صَاحِبي ! أتَرَى نارَهُمْ ؟ فَقَالَ : تُرِينيَ مَا لا أرَى
دَعَاني الغَرَامُ ، وَلَمْ يَدْعُهُ ، فأبصَرْتُ ما لم يكُنْ مُبصِرَا
فَمَا زِلْتُ أطْرِبُهُ بِالحَنِينِ ، وَأذْكرُهُ المَنْزِلَ المُقْفِرَا
إلى أنْ تَنَفّسَ عَنْ زَفْرَةٍ ، وَأنّ مِنَ الوَجْدِ مُسْتَعبِرَا

١ الأجفر : موضع بين الخزيمية وفيد .

يا قلب

قال متغزلا

يا قَلبِ! ما أنتَ من نَجدٍ وَسَاكِنِهِ ، خَلّفْتَ نَجداً وَرَاءَ المُدلجِ السّارِي
رَاحتْ نَوَازِعُ مِنْ قَلْبي تُتَبّعُهُ عَلى بَقَايَا لُبَانَاتٍ وَأوْطَارِ
أهْفُو إلى الرّكْبِ تَعلُو لي رِكابُهُمُ مِنَ الحِمَى في أُسَيحاقٍ وَأطْمَارِ[1]
تَضُوعُ أرْوَاحُ نَجْدٍ مِنْ ثِيَابِهِمُ ، عندَ النّزُولِ لقُرْبِ العَهْدِ بالدّارِ
يا رَاكِبَانِ ! قِفَا لي وَاقضِيا وَطَرِي ، وَخَبّرَانيَ عَنْ نَجْدٍ بِأخْبَارِ
هل رُوّضَتْ قاعةُ الوَعساءِ أمْ مُطِرَتْ خَميلَةُ الطّلْحِ ذاتِ البَانِ وَالغَارِ
أمْ هَلْ أبِيتُ وَدارٌ عندَ كاظِمَةٍ دارِي وَسُمّارُ ذاكَ الحَيّ سُمّارِي
أيّامَ أودِعُ سرّي في الهَوَى فَرَسِي ، وَأكتُمُ الحَيّ إدْلاجي وَأخطَارِي
فَلَمْ يَزَالا إلى أنْ نَمّ بي نَفَسِي ، وَحَدّثَ الرّكْبَ عنّي دَمعيَ الجارِي

[1] أسيحاق ، مصغر اسحاق : الثياب البالية .

عثرة العشاء بالسحر

قال في قصر الليل

أشْكُو لَيالِيَّ ، غَيْرَ مَعتبَةٍ ، إمّا مِنَ الطّولِ ، أوْ مِنَ القِصَرِ
تَطُولُ في هَجرِكم وَتَقصُرُ في الوَصْلِ ، فَمَا نَلْتَقي عَلى قَدَرِ
يَا لَيْلَةً كَادَ مِنْ تَقَارُبِهَا ، يَعْثُرُ فِيهَا العِشَاءُ بالسَّحَرِ

رح غانماً بالعفو

قال وكتب بها إلى صديق له
وقد أغضبه ، يصفح عنه :

أتَحسبُ سوءَ الظنّ يَجرَحُ في فكري ، إذاً فاحتَوِي بي العَجزَ من كنَفِ الصّبرِ
وَعَاقَتْ يَدي عِندَ النّزَالِ عَوَائِقٌ عنِ السّيفِ لا تُدني يدَيّ من النّصْرِ
فَلا تَقْرِنَا ظَنّي بِظَنٍّ مُسَفَّهٍ ، يَظُنُّ بِوَقْعِ الأثرِ في غُرّةِ البَدْرِ
فقَلْبيَ يَأبَى أنْ يُدَنَّسَ سِرُّهُ بريَبٍ وَوُدّي أن يُعنَّفَ من غَدري
وَقَد جُدْتُ بالنّعمَى عَلَيكَ لأنّني حلَلْتُ عُرَى ضِغني وكفكَفتُ من وِتري
وَلَوْ أنّني جازَيتُ قَوْماً بِفِعْلِهِمْ ، لألبَستُهُمْ حَلْياً من البِيضِ وَالسُّمْرِ

وَأخلاقُنَا ماءٌ زُلالٌ على الرّضَى ، وإنْ أُسخطتْ عادتْ على السخطِ من صَخرِ
إذا ما غَضِبْنا كادَتِ الأرْضُ تَنطوي حِفاظاً ويَرْمي الأفقُ بالأنجُمِ الزُّهْرِ
وَمَا نَحنُ إلاّ عارِضٌ إنْ قَصَدْتَهُ لِجُودٍ حَبَاكَ النّائلَ الغَمرَ بالقَطْرِ
وَإنْ هُزَّ للأضْغَانِ عَادَتْ بُرُوقُهُ حَرِيقاً على الأعداءِ مُضْطَرِمَ السَّعرِ
غَفَرْتُ ذُنوباً مِنكَ أذْكَتْ عزَايمي ، وكادَ شهابُ السّخطِ يطلعُ من صَدري
صَفَحتُ وَقد كانَ التّغَضّصُ ذادَني عنِ الصّفحِ لكن أنتَ من كرَمِ البَحرِ[1]
وَمَنْ قَيّدَ الألْفَاظَ عِنْدَ نزاعِها بقَيْدِ النُّهَى أغنَتْهُ عَن طلبِ العُذْرِ
فَرُحْ غانِماً بالعَفوِ ممّن لَوِ انطَوَى على حَنَقٍ ماتَ الحمَامُ من الذُّعْرِ
بكَفّيَ أنّى شِئْتُ ناصِيَةَ العُلَى ، أهُزُّ ، وَأعناقُ المَكارِمِ في أسْرِي

هجران القوافي

ألا إنّهَا غُمْرُ السّخائِمِ وَالغِمْرِ ، جِنايَةُ مَن يَجني بها ثَمَرَ الدّهرِ[2]
تَحِنّ الرُّبَى للقَطْرِ لا لغَمَامِهِ ، وَما تَنفَعُ السُّحبُ السّوَارِي بلا قَطرِ
سأهجُرُ أبْكَارَ القَوَافي ، فإنّني أرَاها عَلى الأيّامِ تَقتَصّ بالغَدرِ

١ ذادني : ردني ، دفعني .

٢ غمر السخائم : كثيرة الأحقاد ، الواحدة سخيمة . الغمر : الحقد .

ألا ربّ دويّة

قال يصف السماء والنجوم :

أَلاَ رُبَّ دَوِّيَّةٍ خُضْتُهَا ، وَقَدْ قَيَّدَ العَيْنَ دَيْجُورُهَا[1]
وَحَاجَةُ رُمْحِي ذَيَّالُهَا ، وَهَمٌّ جَوَادِيَ يَعْفُورُهَا[2]
رَبَأْتُ بِهَا فِي ذُرَى قُلَّةٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّجمِ دَيْجُورُهَا[3]
كَأَنَّ السَّمَاءَ بِهَا لاَمَةٌ ، وَزُهْرُ النُّجُومِ مَسَامِيرُهَا

جنود الجهل

لمّا رَأَيْتَ جُنُودَ الجَهْلِ غَالِبَةً ، وَالنَّاسَ في مثل شدقِ الضّيغمِ الضّارِي
نَهَضْتَ تَكْتُمُ في بُرْدَيْكَ سَابِغَةً لِفَيْلَقٍ كَنُجُومِ اللّيْلِ جَرّارِ
وَالحُرُّ تُنْهِضُهُ إمّا شَجَاعَتُهُ إلى المُلِمّ ، وَإمّا خَشْيَةُ العَارِ

١ الدوية : الفلاة . الديجور : الظلام .
٢ الذيال : الثور الوحشي . اليعفور : الغزال .
٣ ديجورها : ترابها .

الفايز من صبر

قال وقد سئل ذلك :

صَبْراً فَما الفَايزُ إلاّ مَنْ صَبَرْ ؛ إنّ اللّيَالي وَاعِداتٌ بالظّفَرْ
لا بُدّ أنْ يَمضِي بِمَا فيهِ القَدَرْ، يَلقَى الفتَى مِنْ دَهرِهِ خَيراً وَشَرّ
لا بد ان ينهض جد من عثر، قد ينضب الحلف الغزير ويدر
وَرُبّ عَظْمٍ هِيضَ حِيناً، وَانجَبَرْ؛ أخُوكَ مَنْ كانَ مَآلاً وَوَزَرْ[1]
إذا نَحَا الدّهْرُ بِنَابٍ وَعَقَرْ ، لَيسَ الذي إنْ جانَبَ الخوْفَ انحسَرْ
أقْبَلَ في الأمنِ وَوَلّى في الحَذَرْ ؛ أبْلِغْ مَقَالي ذَاكَ العَضْبَ الذّكَرْ
ذا العُنُقِ الأغلَبِ وَالوَجهِ الأغَرّ ، لَوْلاهُ مَا لاقَوا بعُودِي من خَوَرْ
وَلَوْ تَعَاطَاني العَدُوُّ مَا قَدَرْ ، وَكَانَ للخُصُومِ عَنّي مُزْدَجَرْ
حُرِمْتُ حظّي منهُ مِن دونِ البَشَرْ، خُصِصْتُ بالغُلّةِ مِنْ ذاكَ المَطَرْ
وَقَدْ سقَى البَدْوَ وَطَبّقَ الحَضَرْ ؛ عَسَى الذي سَاءَ قَرِيباً أنْ يَسُرّ
فَلَيْسَ ظَنّي فِيهِ كَاذِبَ الخَبَرْ ، وَلا رَجَائي بِبَعِيدِ المُنْتَظَرْ
قَدْ زَادَهُ اللهُ عَلى عُظْمِ الخَطَرْ ، مَكَارِماً ذاتَ حُجُولٍ وَغُرَرْ
فَاتَ بِهَا كُلّ جَوَادٍ وَطِمِرّ ، سَبْقاً إلى غَايَةِ كُلّ مُفْتَخِرْ
فَاللهُ يُعْشِي عَنْهُ نَاظِرَ الغِيَرْ ، مَا طَلَعَ النّجْمُ ، وَأوْرَقَ الشّجَرْ

---

[1] المآل : المرجع . الوزر : الملجأ .

الفرج المختصر

قال وقد كثرت على قلبه الهموم :

أرَى رَكْدَةً رِيحُهَا يُرْتَجَى ، وَمُظْلِمَةً صُبْحُهَا يُنْتَظَرْ
لَعَلَّ هُمُومَكَ هَذِي الطِّوَالَ سَيَكْشِفُهَا فَرَجٌ مُخْتَصَرْ
فتأمَن من حَيثُ يُخشَى الأذَى ، كما خِبتَ من حيثُ يُقضَى الوَطَرْ
إذا عَادَ جَدٌّ كَأنْ لَمْ يَزَلْ ، وَإنْ سَرَّ دَهْرٌ كَأنْ لمْ يَضُرّ
وَقَالُوا : انتَظِرْها عَلى بُطْئِها ، وَمَنْ ضَامِنُ العُمْرِ للمُنْتَظِرْ
وَهَلْ نَافعي يَوْمَ أقضِي صَدًى . إذا صَابَ وَادِيَ قَوْمي المَطَرْ ؟
فَإنْ لمْ يَكُنْ فَرَجٌ في الحَيَاةِ ، فَكَمْ فَرَجٍ في انقِضَاءِ العُمُرْ

همّ الطارق

إذا ضَافَني هَمٌّ أمَلٌّ طُرُوقَهُ بِبَعْضِ اللّيَالي ، أوْ أضِيقُ به صَدرَا
وَلَمْ أرَ لي مَا يَطْرُدُ الهَمَّ مِثْلَهُ ، سَمَاعاً يُجَلّي عَن ضَميرٍ وَلا خَمرَا
أقُولُ لنَدْمَانَيَّ كُرّا إلى المُنَى وَذِكرِ التّصَابي وَاندُبا ذلكَ العَصْرَا
فَقَدْ طَالَ ما أحدَثْتُ عَهداً بطَيبَةٍ ، فَرُدّا عَليّ القَوْلَ أُحدِثْ به ذِكْرَا
فَمَا كَانَ إلاّ خِلْسَةً ثُمّ إنّني رَأيْتُ يَدِي مِمّا عَلِقتُ بهِ صِفْرَا

ناديته

نادَيْتُهُ بالرّملِ وَالأمْرُ ذَكَرْ ، وَقد مضَى الوِرْدُ وَأعجزَ الصَّدَرْ[1]

يا عَمرُو، ذا الجُمّةِ وَالوَجهِ الأغرّ، قُمِ اضْطِرَاراً جَاوَزَ الأمْرُ الخَبَرْ

فَقَامَ مَشزُورَ القُوَى عَلى مِرَرْ ، كَأنّمَا نَاطَ عَلى الجِيدِ القَمَرْ[2]

مُضْطَرِبَ الإزْرَةِ وَقّادَ النّظَرْ ، كَأنّمَا يَنْظُرُ مِنْ وَقْبَي حَجَرْ[3]

قَدْحُ لِحَاظٍ كَمُطَارَاتِ الشّرَرْ ، يُلْهِبُ في إزَارِهِ ، إذا نَظَرْ

كَالصِّلّ إنْ جَرّ ذُنَابَاهُ زَفَرْ ، أوِ الغَرِيرِيِّ إذا عَجّ هَدَرْ[4]

جَرْجَرَ لمّا سِيمَ ضَيْماً وَزَأرْ ، جَرْجَرَةَ العَوْدِ بَلا طُولَ السّفَرْ[5]

فَرَدّهَا بَعْدَ العِرَاكِ وَالبَهَرْ ، وَاليَوْمُ ذُو مَزَادَةٍ تَنْضَحُ شَرّ

حتّى رَمَاني بِهوَادِيهَا وَمَرّ ، مُبْتَسِماً كَأنّمَا قَضَى وَطَرْ

١ ذكر : جليل .

٢ المرر ، الواحدة مرة : قوة الخلق وشدته . ناط : علق

٣ الوقب : النقرة في الصخر يجتمع فيها الماء .

٤ الغريري : نسبة إلى غرير وهو فحل من الإبل .

٥ بلا : جرب ، اختبر .

شهادة الصادقين

خُذْ مِن صَديقكَ مرآى دونَ مُستَمَعٍ ، يا بُعْدَ بَينَ عِيَانِ المَرْءِ وَالخَبَرِ
قَد يُورِقُ العُودُ يَوْماً وَهوَ ذويَبَسٍ ، وَتُقبَسُ النّارُ من ذي نعمةٍ حَصِرِ
كَذّبْ عليهِ ، إذا أرْضَاكَ ظَاهِرُهُ ، شَهَادةَ الصّادِقَينِ السّمْعِ وَالبَصَرِ
وَإنْ سَمِعتَ فقُلْ ما كانَ عن أُذُنٍ ، وَإنْ نَظَرْتَ فقُلْ ما كانَ عن نَظَرِ
إنْ كُنْتَ لا تَصْطَفي إلاّ أخا ثِقَةٍ ، فَاخْلُقْ لنَفْسِكَ إخوَاناً عَلَى قَدَرِ

يا ذا المعارج

قال يشكر الله تعالى على ما يسر له من
الحج وكفاه في ذهابه ورجوعه :

يا ذا المَعارِجِ كَمْ سألتُكَ نِعمَةً ، فَمَنَحتَنيهَا بِالذّنُوبِ الأوْفَرِ
أيَّ العَوَارِفِ مِنكَ أشكُرُ فَضْلَهُ ، عَجزَ المُقِلُّ وَزَادَ طَولُ المُكْثِرِ
أكَفَيْتَني ما قَدْ حَذِرْتُ وُقُوعَهُ ، أمْ مَا كُفِيتُ من الذي لمْ أحْذَرِ ؟

المودات المطلقة

فِي كُلّ يَوْمٍ مَوَدّاتٌ مُطَلَّقَةٌ قَدْ كانَ أنْكَحَنِيها الدّهْرُ مَغرُورَا

يُطَيِّبُ النّفسَ عَنْ قَطعي عَلائِقَها أنّي أُفارِقُ مَن فارَقتُ مَعْذُورَا

كُنْ فِي الأنَامِ بِلا عَيْنٍ وَلا أُذُنٍ ، أوْ لا فَعِشْ أبَدَ الأيّامِ مَصْدُورَا

غَيْبُ الرّجالِ ظُنُونٌ قَبلَ مَبحَثِهِ ، فَما طِلابُكَ أنْ تَلقاهُ مَوْفُورَا

فَمَا نُلائِمُ إلاّ عادَ مُنْصَدِعاً ؛ وَلا نُثَقِّفُ إلاّ عادَ مَأطُورَا

مَحلُ البِلادِ ، وَلا جارٌ تَغَصّ بهِ ، يَضْوِي الفَتَى وَيكونُ العامُ مَمطورَا

وَالنّاسُ أُسْدٌ تُحَامي عَنْ فَرائِسِها ، إمّا عَقَرْتَ ، وَإمّا كنتَ مَعقُورَا

كَمْ وَحدَةٍ هِيَ خَيرٌ مِنْ مُصاحَبَةٍ ، يُنسَى الجَميعُ وَيَغدُو الفَذُّ مَذكورَا

مَنْ كَشّفَ النّاسَ لَمْ يَسلَمْ له أحدٌ ؛ النّاسُ داءٌ فَخَلِّ الدّاءَ مَستُورَا

المشيب ذنب لا يغتفر

مَنْ شافِعي ، وَذُنوبي عندَها الكِبَرُ ؛ إنّ المَشيبَ لَذَنْبٌ لَيسَ يُغتَفَرُ

رَاحتْ تُرِيحُ عَلَيكَ الهَمّ صَاحِيَةٌ ، وَعِندَ قَلبِكَ مِن غَيّ الهوَى سَكَرُ

رَأتْ بَيَاضَكَ مُسْوَدّاً مَطَالِعُهُ ، مَا فِيهِ لِلحُبّ لا عَيْنٌ وَلا أثَرُ

وَأيُّ ذَنْبٍ لِلَوْنٍ رَاقَ مَنظَرُهُ ، إذا أرَاكَ خِلافَ الصِّبْغَةِ الأثَرُ
وَمَا عَلَيْكَ وَنَفْسِي فيكَ وَاحِدَةٌ إذا تَلَوَّنَ في ألْوَانِهِ الشَّعَرُ
أنْسَاكَ طُولُ نَهارِ الشَّيبِ آخِرَهُ ، وَكُلُّ لَيْلِ شَبَابٍ عَيْبُهُ القِصَرُ
إنّ السَّوَادَ عَلى لَذّاتِهِ لَعَمًى ، كَمَا البَيَاضُ عَلى عِلاّتِهِ بَصَرُ
البِيضُ أوْفَى وأبْقَى لي مُصَاحَبَةً ، وَالسّودُ مُستَوْفِزَاتٌ للنّوَى غُدُرُ
كُنتَ البَهيمَ وَأعْلاقُ الهوَى جُدُدٌ ، وَأخلَقَتْكَ حُجُولُ الشّيبِ وَالغُرَرُ
وَلَيسَ كُلُّ ظَلامٍ دامَ غَيْهَبُهُ ، يَسُرّ خابِطَهُ أنْ يَطْلَعَ القَمَرُ
أمَا تَرَيْنِي كَصِلٍّ تحتَ هَضْبَتِهِ بالرّملِ أطْرَقَ لا نَابٌ ، وَلا ظُفُرُ
مُسَالِماً يَأمَنُ الأقْرَانُ عَدْوَتَهُ ، مُلْقَى الحَنِيّةِ عَرّى مَتنَهَا الوَتَرُ
كالفَرْعِ سَاقطَ ما يَعلُوهُ مِن وَرَقٍ ، وَالجَفْنِ أُفرِدَ عَنهُ الصّارِمُ الذّكَرُ
إنْ أشْهَدِ القَوْمَ لاأعلَمْ نَجِيَّهُمُ ، ماذا قَضَوا، وَيُجَمجِم دُونيَ الخَبَرُ
كانَ الشّبَابُ الذي أنضَيتُ مِندَلَهُ ، عِقْبَ الحَميلَةِ لَمَّا صَوّحَ الزّهَرُ
مِن بَعدِ ماكنتُ أستَسبي المَهَا شغَفاً، أمسَتْ تَرُوعُ بِيَ الغِزْلانُ وَالبَقَرُ
لمْ أدْرِ أنّ الصِّبَا تَبْلَى خَميصَتُهُ ، وَأنّ مُنصَاتَ ذاكَ العُودِ يَنْأطِرُ[1]
إنْ أُمسِ لا يَتّقي زَجْرِي وَلا غضَبي وَلائِذُ الحَيِّ ، مَملُولاً ليَ العُمُرُ
فَقَدْ أرُدّ العَفَرْنَى عَنْ أكيلَتِهِ ، وَأزْجُرُ الضّيغَمَ الغادي فَيَنْزَجِرُ
ما للزّمَانِ رَمَى قَوْمي فَدَعْدَعَهمْ ، تَطَايُرَ القَعْبِ لَمّا صَكّهُ الحَجَرُ
يَنفَضّ جُمّاعُهمْ عَن كلّ نائِبَةٍ ، كمَا تَهَالَكَ تَحْتَ المِيسَمِ الوَبَرُ

---

[1] الخميصة : ثوب أسود مربع . المنصات : المستوي . ينأطر : ينحني .

مَا كانَ ضَرَّ اللّيَالي لَوْ نَفَسنَ بهم، عَلى النّوَائِبِ، وَاستَثْناهُمُ القَدَرُ
أصْبَحتُ بَعدَهُمُ في شَرّ خَالِفَةٍ ، مثلَ السَّلَى حَوْلَهُ الذّوْبانُ وَالنّمِرُ
في كُلّ يَوْمٍ لرَحْلي عَنْ نَوَاقِرِهم إلى المَعَاطِبِ مَهْوَاةٌ وَمُحْتَفَرُ[1]
أرُدّ نَبْلَ الأداني مَا رُميتُ بِهَا ، فَهَلْ إلى الرّحِمِ البَلْهَاءِ لي عُذُرُ
وَقَدْ أرُوعُ سَوَامَ الحَيّ رَاتِعَةً . بِمُقْرَبٍ لا يُوَارِي عُنْقَهُ الخَمَرُ[2]
إذا تَوَجّسَ كانَ القَلْبُ نَاظِرَهُ ، وَالقَلْبُ يَنظُرُ ما لا يَنظُرُ البَصَرُ
أجفُو لَهُ الوُلْدَ ،مَذْخُوراً لَه شَفَقي عَلَيهِ ، دُونَهُمُ الرّوْعاتُ وَالحَذَرُ
يُمْسُونَ شُعْثاً ، وَيُمسِي في بَلَهنيةٍ كَأنّما جَدُّهُ عَدْنَانُ أوْ مُضَرُ
فَفي القُلُوبِ عَلى حَوْبائِهِ حَنَقٌ ، وَبِالعُيُونِ إلى مِضْمَارِهِ شَرَرُ
مِنْ عَاطِيَاتٍ تَعَالَى في أعِنّتِهَا ، صَكّ القِداحِ رَمَاها القامِرُ اليَسَرُ
وَاليَوْمُ عُرْيانُ مَشْهُورٌ بفُرْجَتِهِ ، يَعْتَمّ بالنّقْعِ أطْوَاراً ، وَيَأتَزِرُ
كَأنّهُنّ ذِئَابُ القَاعِ مُجْفِلَةً ، لَوْلا السّبيبُ على الأعناقِ وَالعُذُرُ
يَطْلُعْنَ نَزْوَ الدَّبَى العَاميّ آوِنَةً ، أوْ مِطرَقَ القَيْنِ يَنزُو تحتَهُ الشّرَرُ
تَخَالُهُنّ مَزَادَ المَاءِ أغْفَلَهَا بالدّوّ رَبْطُ العزَالي فهْيَ تَبْتَدِرُ[3]
سَوَاهِماً كَصَوَالي النّارِ ألْجَأهَا إلى مَوَاقِدِهَا الشّفّانُ وَالقِرَرُ[4]

١ نواقرهم : دواهيهم ، مخاصماتهم .

٢ المقرب : الفرس الكريم .

٣ العزالي ، الواحدة عزلاء : مصب الماء من الراوية .

٤ السواهم : الضوامر ، المتغيرات اللون . الشفان : الريح . القرر ، الواحدة قرة : البرد .

تَكَادُ تَسْبُقُ أَيْدِيهَا نَوَاظِرَهَا   إلى الطَّرِيدَةِ لَوْلا النَّجْمُ وَالعُذُرُ
إنّي حَلَفْتُ بأيدي الرّاقصاتِ ضُحًى ،   وَبالحَجيجِ وَمَا لَبّوا وَمَا جَمَرُوا
وَالرّائِحَاتِ إلى جَمْعٍ مُحَزَّمَةً ،   مَرَّ اليَمَامِ دَعَا أَوْرَادَها الصَّدَرُ
تَنُوسُ رُكبانُها نَوْسَ القِرَاطِ ، إذا   مَالَتْ مِنَ السّهَرِ الأَجْيَادُ وَالعُذُرُ[1]
وَمَا أُرِيقَ بأعلى الخَيْفِ مِنْ عَلَقٍ ،   تُوجَى لَهُ البُدُنُ المُلقاةُ وَالجُزُرُ
وَالبَيْتِ فَالِصَةً عَنْهُ ذَلاذِلُهُ ،   سَوْمَ المَخيضِ جَلا عن ركنه الحجرُ[2]
لأُمْطِرَنّ بَني الدّيّانِ دامِيَةً ،   هَطْلَى ، تُذَمّ بهَا الأَنْوَاءُ وَالمَطَرُ
قَلّوا عَنَاءً ، وَإنْ أثرَى عَدِيدُهُمُ ،   وَرُبّما قَلّ أَقوَامٌ ، وَإنْ كَثُرُوا
لا يَجبُرُونَ عَلى الأيّامِ مَنْ وَهَنُوا   بالقارِعاتِ وَلا يأسُونَ مَنْ عَقَرُوا
تَمَسّكُوا بِوَصَايَا اللّؤمِ تَحسبُهمْ   تُتْلَى عَلَيْهِمْ بهَا الآيَاتُ وَالزُّبُرُ
يا أعثَرَ اللهُ أيْدِي أينُقٍ حَمَلَتْ   رَحْلِي إلى حَيْثُ لا ماءٌ وَلا شَجَرُ
مَنَازِلٌ لا يُرَجّى عِندَها أمَلٌ   عَلى اللّيَالي ، وَلا يُقضَى بهَا وَطَرُ
مَنَابِتٌ سَارَ فيها قادِحٌ عَمِلٌ   يَرْمِي العُرُوقَ ، وَعيدانٌ بهَا خَوَرُ
مِنْ كلّ وَجْهٍ نِقَابُ العَارِ نُقْبَتُهُ   كالعِرّ مَرّ عَلَيْهِ القَارُ وَالقَطَرُ[3]
يَصْدَى مِنَ اللّؤمِ حتّى لَوْ تُعاوِدُهُ   أيدي العُيُونِ زَمَاناً لانْجَلَى الأثَرُ

١ تنوس : تتحرك ، تتذبذب . القراط ، الواحد قرط : ما يعلق في الآذان .
٢ ذلاذله : أسافل ثيابه . المخيض : المستخرج زبده . جلا : أذهب ، كشف . وعجز البيت غامض المعنى ، ولعل فيه تحريفاً .
٣ القطر : أراد به القطران .

أبقَوْا مَخازِيَ لا تُعفي مَوَاطِنَهَا ... عَلى البِلادِ فُضُولُ الرَّيطِ وَالأُزُرُ

يا طَلْحَ رَامَةَ لا سُقّيتَ مِنْ شَجَرٍ ... مُذَمَّمِ الأرْضِ لا ظِلٌّ وَلا ثَمَرُ

كَأنني يَوْمَ أستَدْرِيكَ مِنْ حذَرٍ ... جَاني دَمٍ طَاحَ لا مَنجىً وَلا وَزَرُ

سِيّانِ عِندي وَأيدِي الحَيّ جَامِدَةٌ ... إنْ أخطأ القَطرُ وَاديهِم وَإن مُطِرُوا

مَا كُلُّ مُثْمِرَةٍ تَحلُو لِذايِقِها ؛ ... إنّ السِّيَاطَ لهَا مِنْ مِثلِها ثَمَرُ[1]

ألُومُ مَنْ لا يَعُدّ اللّوْمَ مَنقَصَةً ، ... وَضَاعَ عتبُ مُسيءٍ ليسَ يَعتَذِرُ

يا نَفسِ لا تَهلَكي يأساً، وَلا تَدَعي ... لَوْكَ الشّكائِمِ حتّى يَنجلي العُمُرُ

قالوا: انتَظرْها وَإنْ عزّتْ مَطالِبُها، ... هَلْ يُنْظِرُ القَدَرُ الجَاني ، فأنتَظِرُ

ألقَى المَطَامِعَ مَبْثُوثاً حَبَائِلُهَا ... للرِّزْقِ وَالرِّزْقُ لا الدّاني وَلا القَفِرُ[2]

طَأمِنْ رَجاءَكَ لا الأطوَادُ مُورِقَةٌ ... يَوْماً وَلا جَنْدَلُ البَقْعاءِ مُعتَصَرُ

لَيْلٌ مِنَ الهَمّ لا يُدْعَى السّميرُ له ... أعْمَى المَطالِعِ لا نَجْمٌ وَلا سَحَرُ

أنقَلُ النّفْسَ مِنْ صَبرٍ إلى جزَعٍ ، ... وَالصّبرُ أعْوَدُ إلاّ أنّهُ صَبِرُ[3]

١ الثمر : عقدة في طرف السوط ، تشبيهاً بالثمر في الهيئة والتدلي .

٢ القفر : القليل المال .

٣ الأعود : الأنفع . الصبر : عصارة شجر مر .

ماء وجه المرء

أرَى ماءَ وَجهِ المَرْءِ مِنْ ماءِ عِرْضِهِ، فحِذْرَكَ لا يَقطُرْ عَلى العَارِ قاطِرُهْ
فإنْ أنْتَ لمْ تَستَبْقِ بالصَّوْنِ بَعضَهُ، تَتَابَعَ مَطْلُولاً عَلى الذّلّ سائِرُهْ
تَنكّرَ هَذا النّاسُ بَعْدَكَ للنّدَى، وَأقْلَعَ مِنْ نَوْءِ المَكَارِمِ مَاطِرُهْ
فَأوْلاهُمُ بالحَمْدِ مَنْ لانَ رَدُّهُ، وَمَنْ حَسُنَتْ عِلاّتُهُ وَمَعَاذِرُهْ

تجاف عن الأعداء

تَجَافَ عَنِ الأعْداءِ بُقْيَا، فَرُبّما كُفِيتَ وَلَمْ تَعْقُرْ بِنَابٍ وَلا ظُفْرِ
وَلاتَبْرِ مِنْهُمْ كُلَّ عُودٍ تَخَافُهُ، فإنّ الأعَادِي يَنْبُتُونَ مَعَ الدّهْرِ
دُخولٌ على زُحلُوفةِ الخَطبِ بعدَما تَرَامَتْ بهِمْ أرْجاءُ مُظلِمَةِ القَعْرِ[1]
إذا شِئتَ أنْ تَبقى خَلِيّاً من العِدى فعِشْ عيشَ خالٍ من علاءٍ وَمن وَفرِ
إذا أنتَ أفنَيتَ العَرَانِينَ وَالذُّرَى، رَمَتكَ اللّيالي عَن يدِ الخاملِ الغِمرِ
وَهَبْكَ اتّقيتَ السّهمَ مَنْ حيثُ يُتّقى، فمَن ليدٍ تَرْميكَ من حيثُ لا تَدري
تُحَامي عَلى دارِ المَقَامِ سَفَاهَةً، ضَلالاً لذا رَأياً، وَنحنُ مَعَ السَّفْرِ

١ الزحلوفة : الزحلوقة .

الشر أقرب من غد

وَلَوْلا هَنَاةٌ ، وَالهَنَاةُ مَعَاذِرٌ ، لَطَارَتْ بِرَحْلِي عَنكَ بَزْلاءُ ضَامِرُ[1]

وَشَيَّعْتُ أظْعَاناً ، كَأنّ زُهَاءَهَا ، بِجانبِ ذي القَلاّمِ ، نَخلٌ مَوَاقِرُ[2]

مُفَارِقَ دارٍ طَأطأ الذّلٌّ أهلَهَا ، وَمَا عِزُّ دارٍ لَيْسَ فِيهَا مَعَاشِرُ

أقَمْتُ عَلى مَا سَاءَ أذْناً وَمُقْلَةً ، يُبَلّغُني المَكْرُوهَ سَمْعٌ وَنَاظِرُ

أبِيتُ رَمِيضاً صَالِياً حَرَّ زَفْرَةٍ ، لِلَيْلِيَ مِنْ زَوْرِ المُلِمّاتِ سَامِرُ

أرِقْتُ وَلمْ يَأرَقْ مَعي مَنْ رَجَوْتُهُ لِيَوْمِي ، إذا دارَتْ عَلَيّ الدّوَائِرُ

أقَامَ عَلى دارِ القَطِيعَةِ وَالقِلَى ، يُشَاوِرُ فِيمَا سَاءَني وَيُوَامِرُ

رَمَانِيَ عَنْ قَوْسِ العَدُوّ، وَقَال لي: أمَامَكَ! إنّي مِنْ وَرَائِكَ ثَائِرُ

وَعِنْدِي لتَبْدِيلِ الدّيَارِ مُنَاخَةٌ تُوَقِّعُ مَا تُمْلي عَلَيّ المَقَادِرُ

أقولُ: غداً، وَالشرّ أقرَبُ مِن غَدٍ ، أبَى الضّيمُ أنْ يَبقَى بعُشّكَ طائِرُ

فَمَا أنْتَ نَظّارٌ ، وَغَيرُكَ رَائِحٌ، وَنِضْوُكَ مَزْمُومٌ، وَرَحْلُكَ قَاتِرُ[3]

إذا لمْ يَكُنْ لي نَاصِرٌ من عَشيرَتي ، فَلي مِنْ يَدِ المَوْلى وَإنْ ذَلّ نَاصِرُ

وَإنّي وَإنْ قَلّوا لمُستَمْسِكٌ بهم ، وَقد تُمسكُ السّاقَ المَهيضَ الجَبَائِرُ

1 الهناة : الداهية . البزلاء : الناقة .

2 زهاؤها : مقدارها . ذو القلام : موضع . المواقر : المثقلة بثمرها

3 القاتر من الرحال : اللطيف .

وَبَعضُ مَوَالي المَرْءِ يَغمِزُ عُودَهُ ، كمَا غَمَزَ القِدحَ الخَليعُ المُقامِرُ
وَقَدْ كَانَ مَوْلى الزِّبْرِقانِ هَرَاسَةً لهَا وَاخِذٌ في الأخمَصَينِ وَنَاقِرُ[1]
وَقَدْ أكلَ الجِيرَانُ قَيسَ بنَ عاصِمٍ ، وَجَارُ الأيَادِيِّ الحُذاقيِّ وَاقِرُ
وَقَدْ كانَ فيها للسّمَوْألِ عُذْرَةٌ ، وَمَنْ رَامَ عُذْراً أمكَنَتهُ المَعَاذِرُ
وَلَكِنّهُ أصْغَى لِمَا قَالَ لائِمٌ ، فَأوْفَى ، وَلَمْ يَحفِلْ بما قالَ عاذِرُ
فَلا يَغرُرَنْكَ اليَوْمَ ثَغرُ ابنِ حُرّةٍ تَبَسّمَ لِلأعْدَاءِ وَالصّدْرُ وَاغِرُ
شَكَا النّاسَ يَبكي قَلبُهُ وَلِسانُهُ ، وَإنْ كَتَمَتْ عَنكَ الدّموعَ النّوَاظرُ
تَوَاكَلَهُ الخُلاّنُ ، حتّى حُسَامُهُ وَأعوَانُهُ ، حتّى الجَنَانُ المُوَازِرُ
وَمَا كُنتَ إلاّ كَالمُوَارِبِ نَفْسَهُ بَغَى وَلَداً ، وَالعِرْسُ جَدّاءُ عاقِرُ[2]
وَهَلْ يَنفَعَنّ الطّارِقِينَ عَلى الطَّوَى إذا غابَ جُودُ المَرْءِ وَالزّادُ حاضِرُ
يَفُوزُ الفَتَى بالحَمدِ ،وَالمالُ ناقصٌ ، وَتَتْبَعُ مَوْفُورَ الرّجَالِ المَعَاثِرُ
وَلَوْ كُنْتُ في فِهرٍ لَقَامَ بِنُصْرَتي غَضُوبٌ ، إذا لمْ يَغضَبِ الحيُّ،غائِرُ
وَسَدّدَ مِنْ دُوني سِنَاناً كَأنّهُ إلى الطّعْنِ نَابٌ يُقلِسُ السّمَّ قاطِرُ[3]
إذا ضَافَتِ الحَيَّ الحَرِيدَ مُغِيرَةٌ أدَرَّ عَلَيْهَا لَقْحَةَ الطّعْنِ عَامِرُ[4]
كَلَيْثِ الشّرَى مَا فاتَ حَدَّ نُيُوبِهِ مِنَ الطُّعْمِ يَوْماً ، أدرَكَتهُ الأظافِرُ

١ هذا البيت مضطرب التركيب ، غامض . الزبرقان : هو ابن بدر أحد سادات العرب . وكل ما يأتي في البيتين التاليين أسماء لرجال من العرب مشهورين .

٢ الموارب : المخاتل . الجداء : الصغيرة الثدي الذاهبة اللبن .

٣ يقلس : يمج .

٤ الحريد : المنفرد .

وَيأبَى الفَتَى ، وَالسّيفُ يَحطِمُ أنفَه ، وَفي النّاسِ مَصْبُورٌ على السّيفِ صَابرُ[1]

وَلَوْ بِأبِي العَوّامِ كَانَ مُنَاخُهَا لَغَامَرَ عَنْهَا اللّوْذَعِيُّ المُغَامِرُ

وَرَاحَتْ طِرَاباً لمْ تُشَمَّسْ رِحَالُهَا ، وَلا نَغَرَتْ منها القُدورُ النّوَاغِرُ[2]

سَوَارِحَ لمْ يَدفَعْ عَنِ الرّعْيِ دافِعٌ لَئيمٌ ، وَلَمْ يَنْهَرْ عَنِ المَاءِ زَاجِرُ

فَتَلْتُمْ عَلى ضَلْعَاءَ مَنقوضَةِ القوَى إذا مَا اسْتَمَرّتْ بالرّجَالِ المَرَائِرُ

سِهامُكُمُ في كُلّ عَارٍ سَدِيدَةٌ ، وَسَهمُكُمُ في مَرْشَقِ المَجدِ عائِرُ

وَمَا كُنتُمُ لُجمَ الجَوَامحِ قَبلَهَا ، فَتَثْنُونَني إنْ أعْجَلَتْني البَوَادِرُ

إذا ما دُعوا لليوْمِ ذي الخَطبِ أصْفحوا صُدورَ الحَرَابي أرْمَضَتْها الهَوَاجِرُ

كَأنّ بُكُوراً مِنْ نَطاةٍ وَخَيْبَرٍ لهَا نَاحِطٌ مِنهُمْ رَميضٌ وَنَاعِرُ[3]

وَمَا أنَا إلاّ أكْلَةٌ في رِحَالِهِمْ ، لهَا الفَمُ ، إلاّ أنْ يَقِي اللهُ ، فاغِرُ

وَلَوْلا أبو العوّامِ لمْ يَملِكُوا العُلَى عَلى النّاسِ إلاّ أنْ تَشِبّ النّوَائِرُ[4]

وَلَمْ يَرْفَعُوا بَينَ الغُوَيْرِ وَحَاجِرٍ قِبَابَهُمُ مَا دامَ للبُدْنِ نَاحِرُ

أرُدّ عَلى قَوْمي فُضُولَ تَغَمّدِي ، وَإنّي عَلى مَا سَاءَ قَوْمي لَقَادِرُ

وَإنّي لأسْتَأني حُلُومَ عَشِيرَتي ، لِيَعْدِلَ مُنْآدٌ ، وَيَرْجِعَ نَافِرُ

١ نغرت : غلت ، وفارت .

٢ اصفحوا : قلبوا .

٣ البكور : لعله جمع بكر . الناحط : من يسعل شديداً . الرميض : الذي آذاه الحر . الناعر : الذي فوجىء ببرد وهو في حر .

٤ النوائر ، من نأرت نائرة في الناس : هاجت هائجة .

وأطلسَ مَثَاني الكِذابَ، وقالَ لي: ليَهنِكَ ، إحدَى الليلتَينِ لِباكِرِ[1]

يُنافِطُ فيها هِجرِسٌ، وهوَ نائِمٌ، وَجُرِّرَ فيها هِجرِسٌ ، وهوَ فاتِرُ[2]

تَشبّهَ بالمُجرِينَ في حَلْبَةِ النّدَى؛ أقِمْ وادِعاً، يا عمرو، إنّكَ عاثِرُ

وأهمَلَها مَرْعِيّةً في ضَمانِهِ ، زَمانَ ادّعَى نِسيانَها، وهوَ ذاكِرُ

رَآها على عِلاّتِها ظَهرَ صَعبَةٍ ، تَحادَرُ مِنْ إرْقاصِها وتُحاذِرُ[3]

فأحْجَمَ عَنها هائِباً نَزَواتِها ، وطارَ عليها الشّحشَحانُ المُخاطِرُ[4]

رأى سَيفَهُ فيها فعَضّ بَنانَهُ ، فألاّ ، أبا الغلاّقِ ، كنتَ تُبادِرُ ؟

يَكِيشُ كَشيشَ البَكرِ في الحيّ أُجليتْ عَلَيهِ برُمّانَ القُرُومُ الخَواطِرُ[5]

تَطاوحَ ، والأوْرادُ تَرْدَبُ

وإني مَليءٌ إنْ بَقِيتُ ، لعُرْضِكُمْ بِشُوهِ المَجالي ، تَحتَهنّ النّواقِرُ[6]

عُلالَةُ رُكبانِ الظّلامِ ، إذا وَنَوْا مِنَ السّيرِ مَرْفُوعٌ بهِنّ العَقائِرُ

قَوارِعُ مَن تَخبِطْ يعُدْ وهوَ مُوضَحٌ أميمٌ ،ومَن تُخطِىءِ يبِتْ وهوَساهِرُ[7]

بَواقٍ بأعراضِ الرّجالِ خُدُوشُها ، كمَا رَقّشَتْ رَقّ الأبيلِ المَزائِرُ[8]

١ الأطلس : اللص ، الرجل إذا رمي بقبيح .

٢ نافط : صوّت ، عطس . الهجرس : القرد ، الثعلب ، اللئيم . جرر : جر جراً شديداً .

٣ تحادر : تنحدر . ارقاصها : ارتفاعها وانخفاضها في السير .

٤ الشحشحان : الشجاع الغيور .

٥ يكش : يهدد . البكر : الفتيّ من الإبل . أجليت : كشفت . رمان : موضع . القروم : الفحول الخواطر : التي تخطر في مشيتها .

٦ الشوه ، الواحد أشوه : المشوه . المجالي ، الواحد مجلى : مقدم الرأس . النواقر : الدواهي .

٧ الموضح ، من أوضحت الشجة في الرأس : كشفت العظم . الأميم : الذي أصيبت أم رأسه وشج

٨ الرق : جلد يكتب عليه . الأبيل : الراهب . المزائر ، لعلها جمع مزار : مكان الزيارة .

حَقيبَةُ شَرٍّ بئسَ ما اختَارَ رَبُّهَا ، إذا نُفِضَتْ عِندَ الإيابِ المَـآزِرُ

نَلُمُّكُمُ ،وَاللهُ يَصْدَعُ شَعبَكُم ، وَلا يَجْبُرُ الأقوَامُ مَا اللهُ كَاسِرُ

أحِنّ إلى قَوْمي ، كمَا حَنّ نَازِعٌ إلى المَاءِ قَد دانَى لَهُ القَيدَ قاصِرُ[1]

تَذَكّرَ جَوْناً بِالبِطَاحِ تَلُفّـهُ بِمُنْتَضِدِ الدّوْحِ الغَمَامُ المَوَاطِرُ[2]

وَجَنّتْ عَلَيْهِ لَيْلَةٌ عَقْرَبِيّةٌ ، لهَا سَائِلٌ في كُلّ وَادٍ وَقَاطِرُ[3]

بِأبْطَحَ مِعْشَابٍ كَأنّ نِطَافَهُ دُمُوعُ العَذَارَى أسْلَمَتْهَا المَحاجِرُ

يَبِيتُ عَلى المَاءِ الذي في ظِلالِهِ كِنَانَةُ وَالحَيّانِ كعبٌ وَعَامِرُ

لهمْ في كِفافِ الأرْضِ شَرْقاً وَمَغرِباً عَمَاعِمُ يَبْنُونَ العُلَى وَكَرَاكِرُ[4]

أدارُوا رَحًى بالأعوَجيّاتِ قَمحُها صُدُورُ المَوَاضِي وَالرّؤوسُ النّوَادِرُ

همُ نَشَطُوني مَنشَطَ السّجْلِ بعدَما تَطاوَحَهُ الجَوْلانُ ، وَالقَعرُ غَايِرُ[5]

وَمَدّوا يدي من بَعدِ ما كانَ مَطرَحي من الأرْضِ مَجرُوراً عَلَيهِ الجَرَائِرُ

وُقُوا شَرَّها وَاليَوْمُ مُستوْجِفُ الحَشَا ، لَهُ أبجَلٌ مِنْ عائِذِ الطّعنِ فائِرُ[6]

وَمَا غَيرُ دارِ المَرْءِ إلاّ مَذَلّةٌ ؛ وَلا غَيرُ قَوْمِ المَرْءِ إلاّ فَوَاقِرُ

وَأخْلَيْتُ مِنْ قَلْبي مَكَاناً لذِكرِهِم ، وَقد يُذكَرُ البادي وَتُنسَى الحوَاضِرُ

١ القاصر : الذي يضيق قيد البعير .

٢ الجون : النبات تضرب خضرته إلى السواد . المنتضد : المجتمع .

٣ عقربية : لعله من قولهم : عيش ذو عقارب : أي فيه شر وشدة ، أو أنها محرف عبقرية : أي ليس فوقها شيء في قوتها .

٤ العماعم : الجيش الكثير . الكراكر : الجماعة من الناس .

٥ نشطوني : نزعوني . السجل : الدلو . الجولان : التراب .

٦ مستوجف : ذاهب . الأبجل : عرق غليظ في الرجل أو في اليد .

الظنّ غرّار

قال مما كان يحدث نفسه ويتمناه من الخلافة :

فَيَا عَجَبا مِمّا يَظُنّ مُحَمّدٌ ، وَلَلظّنُّ في بَعضِ المَوَاطِنِ غَرّارُ
يُقَدِّرُ أنّ المُلْكَ طَوْعُ يَمِينِهِ ، وَمِنْ دونِ ما يَرْجُو المُقدِّرُ أقدارُ
لَهُ كُلَّ يَوْمٍ مُنْيَةٌ وَطَمَاعَةٌ ، وَنَبْذُ قَرِيضٍ بِالأمَانيّ سَيّارُ
لَئِنْ هُوَ أعْفَى للخِلافَةِ لِمّةً ، لهَا طُرَرٌ فَوْقَ الجَبِينِ وَأطْرَارُ[1]
وَأبْدَى لهَا وَجْهاً نَقِيّاً كَأنّهُ ، وَقَدْ نُقِشَتْ فيهِ العَوَارِضُ، دينَارُ
وَرَامَ العُلَى بالشّعْرِ ، وَالشّعر دائباً، فَفي النّاسِ شُعْرٌ خامِلونَ وَشُعّارُ[2]
وَإنّي أرَى زَنْداً تَوَاتَرَ قَدْحُهُ ، وَيُوشِكُ يَوْماً أنْ تَشبّ لَنَا النّارُ

مرامي البغي

رَمَوْا بِمَرَامي بَغْيِهِمْ ، فاتّقَيْتُها وَقُلْتُ لهُمْ : بَيني وَبَينكُمُ الدّهرُ
كَأنّي بِكُمْ لا تَستَطيعُونَ حيلَةً ، وَلَيسَ لَكُمْ نَهْيٌ يُطاعُ وَلا أمرُ

١ الطرر والأطرار ، الواحدة طرة : الناصية ، علم الثوب ، طرف كل شيء وحرفه .
٢ هذا البيت غامض ، ولعل فيه تحريفاً .

حباب على عقار

بَغَى الذُّلاّنُ غَايَتَنَا ، وَأَنّى يُقَامُ المَجْدُ بالعَمَدِ القِصَارِ
وَأَهْتَكُهُمْ لكُلّ خِبَاءِ نَقْعٍ ، إذا مَا مُدّ أطْنَابُ الغُبَارِ
كَأنّ الدّمْعَ فَوْقَ الخَدّ منها حَبَابٌ يَسْتَدِيرُ عَلى عُقَارِ

لا ناهٍ ولا آمر

لِأمْثَالِهَا يَسْخَرُ السّاخِرُ ، لَقَدْ ذَلّ جَارُكَ يا عَامِرُ
تَرَاهُ لَقًى بَيْنَ أيْدِي الخُطُو بِ ، لا أنتَ نَاهٍ وَلا آمِرُ

حيان

أمَا تَرَاهَا كَالجُرَازِ البَتّارْ ، تَحتَلِقُ القَوْمَ احتِلاقَ الأشعارْ
حيٌّ عَلى السّيرِ ، وَحيٌّ قَدْ سَارْ

تمطت بي العشرون

وَعَيْنٌ عَوَانٌ بالدُّمُوعِ وَغَيرُهَا مِنَ الدَّمْعِ يَعرَوْرِي جَوَانِبَها بِكرُ[1]
تَمَطّتْ بيَ العشرُونَ حتّى رَمَينَ بي إلى غَايَةٍ مِنْ دُونِها يُقطَعُ العُمرُ

صلح

يَقولون: نَمْ في هِدْنَةِ الدّهْرِ آمناً، فقلتُ: وَمَنْ لي أنْ يُهادنَني الدّهرُ
هَلِ الحَرْبُ إلاّ مَا تَرَوْنَ نَقيصَةٌ منَ العُمرِ، أوْ عُدمٌ منَ المال أوْ عُسرُ
فَلا صُلْحَ حتّى لا يَكُونَ لِوَاجِدٍ ثَرَاءٌ ، وَلا يَبْقَى عَلى وَافِرٍ وَفْرُ

١ العوان : الحرب التي قوتل فيها مرة بعد أخرى ، ولعله أراد أن الدموع تعاود هذه العين مرة بعد أخرى .

تطاير كالأجادل

تَطَايَرُ في مَرّ العَجَاجِ كَأنّهَا أجَادِلُ حَطّتها سِغَاباً وُكُورُها[1]
لهَا بَيْنَ جَنْبَيْ ضَرْغَدٍ فَضَرِيّةٍ ، غُرَيرِيّةٌ يهدِي الضّيُوفَ زَفِيرُها[2]

ربة الخدر

أيَا رَبّةَ الخِدْرِ المُمَنَّعِ بالقَنَا ، أتَنأينَ لمْ تَنْظُرْ بكِ العَيْنُ مَنظَرَا
وَمِنْ عَجَبٍ أصْفَيتُكِ الودّ بعدَما تَعاطَى القَنَا قَوْمي وقَوْمُكِ أعصُرَا

١ الأجادل : الصقور . السغاب : الجياع .
٢ ضرغد : جبل أو حرة لغطفان . ضرية : قرية بين البصرة ومكة . الغريرية : نسبة إلى غرير أحد الفحول .

رب أبيض مغمود

أناشِدُ أنْتَ أطْلالاً بذِي القُورِ ، أضَلّهَا جَوَلانُ القَطْرِ وَالمُورِ[1]
فَمَا أُحِيلُ عَلَيهِمْ عندَ نازِلَةٍ ، لَكِنْ أُحِيلُ عَلى ذَنْبِ المَقادِيرِ
إنْ تَقْتَطِعْهُ الأعَادِيعَن مَذاهِبِهِ ، فَرُبّ أبْيَضَ مَغْمُودٍ لِمَنْشُورِ

ذهب أحمر

وَمِنْ عَامِرٍ غِلْمَةٌ كالسّيُو فِ جِرْيَالُ أوْجُهِهِمْ يَقْطُرُ[2]
إذا صَدِئَ القَوْمُ لا يَصْدَأونَ ، كَأنّهُمُ الذّهَبُ الأحْمَرُ

١ ذو القور : موضع . والقور ، الواحدة قارة : الجبل الصغير . المور : التراب تثيره الرياح .
٢ الجريال : صبغ أحمر ، وسلافة العصفر .

الشباب يغطي العيوب

رَأيْتُ شَبَابَ المَرْءِ لَيْلاً يُجِنّهُ ، يُغَطّي عَلى بَادِي العُيُوبِ وَيَستُرُ
وَشَيْبُ الفَتَى صُبْحٌ يَبِينُ عَوَارُهُ ، وَيُرْمَقُ فِيهِ بالعُيُونِ فَيُنْظَرُ
فَإنّ ضَلالي في النّهَارِ لَهُجْنَةٌ ؛ وَإنّ ضَلالي في دُجَى اللّيْلِ أعْذَرُ

الغنى مرّ

صَبَرْتُ عَلى عَرْكِ النّوَائِبِ فيكُمُ ، وَقَدْ بَلَغَ المَجلودُ أوْ غَلَبَ الصّبرُ
وَقَيّدَني مَرُّ الحِفَاظِ بِدارِكُمْ ، وَأطْلَقَ غَيرِي مِن حبالِكُمُ العُذرُ[1]
فَمَا كانَ لَوْلاكُمْ يَمُرُّ ليَ الغِنى ، وَيَحلُو إلى قَلْبي الخَصَاصَةُ وَالفَقْرُ

[1] المر : الحبل .

آفلت آبو عامر

وَأفْلَتَهُنَّ أبُو عَـامِرٍ يُقَبِّلُ نَاصِيَةَ الأشْقَرِ
يَقُولُ ، إذا أرْهَقَتَهُ الرِّماحُ: إنْ لَمْ تَزِدْ عَنَقاً تُعْـذَرِ
سَلِيماً يُخَفِّفُ حَتّى رَمَى ، مِنَ الرُّعبِ، بالدِّرْعِ وَالمِغفَرِ

هان على الأملس

هَذهِ كَانَ الزّمَانُ يُنْتَظَرْ ، لمْ يَبْقَ مِنْ بَعدِكَ للمَجدِ وَطَرْ
تأمُرُني بالصّبرِ ، هَيهَاتَ لَقَدْ هانَ على الأملَسِ ما لاقَى الدَّبِرْ[1]
لَوْلا ظُبَى سَيْفِكَ في صُدُورِها لمَا نَهَى فيهَا الرّدَى ، وَلا أمَرْ

لا يغررنك

لا يَغرُرَنّكَ سِلْمٌ جَاءَ يَطْلُبُهُ ، لمْ يَخطُبِ السّلْمَ إلاّ بَعدَمَا عُقِرَا
أعْطَى يَداً بَعدَمَا شَلّتْ أنَامِلُهَا ، وَأسْلَمَ النّفْسَ لمّا لمْ يَجِدْ وَزَرَا

١ الأملس: السليم الظهر من الإبل. الدبر : المعقور. مثل يضرب في استخفاف السليم بشدة المصاب.

هوافي اللغام

قال في صفة بعير :

رُبَّ نَائي المِلاطِ يُحْسَبُ جيداً ، حَائِلاً بَيْنَ غَرْضِهِ وَصِدارِه[1]
إنْ ثَنَاهُ الزِّمَامُ جَرْجَرَ كَالرَّا عِدِ بالليْلِ لَجَّ في قَرْقَارِه[2]
وكَأنَّ اللُّغَامَ يَسْقُطُ مِنْ فِيهِ هَوَافي مَا طَمَّ مِنْ أوْبَارِه[3]

أغلب

أغْلَبُ لا يَخشَى وَعيدَ السَّفْر ، كَأنَّمَا يَدْعُونَهُ بالزَّجْر

لا بد للمسرع من عثار

كَمْ قابِسٍ عَادَ بغَيرِ نَارِ ، لا بُدَّ للمُسرِعِ مِنْ عِثَارِ

١ الملاط : جانبا السنام . الغرض : هو للرحل كالحزام للسرج . الصدار : علامة صدر البعير
٢ قرقاره : هديره .
٣ الهوافي : ما طار من الصوف في الهواء . طم : قص .

حرف الزاي

من عز بز

قال يرثي صديقاً له ولم يوجد
له على هذه القافيـة غيرها :

إطْمَحْ بطَرْفِكَ هَلْ تَرَى   إلاّ مُصَاباً أوْ مُعَزّى ؟
نَـأبَى التّعَزّي ، ثمّ يُلْـ   حِقُنا الزّمَانُ بِمَنْ تَعَزّى
أغْدُو وَرَاءَ الذّاهِبِيـ   نَ تَهزُّني الزّفَرَاتُ هَزّا
لا نَاظِراً أثَراً ، وَلا   مُتَوَجّساً للقَوْمِ رِزّا[1]
أبكي ظُبَّى فُجِعَتْ يَدِي   مِنْهَا بِأصْدَقِهَا مَهَزّا
قَدْ كُنْتُ صُلْبَ العُودِ لا   يَجِدُ الزّمَانُ عَليّ غَمزَا
حَتّى مَضَى بِكُمُ يَؤزُّ   كُمُ القَضَاءُ الجَدُّ أزّا[2]
لَمْ أسْتَطِـعْ مَنْعاً ، فيَا   لله عَزْماً عَادَ عَجزَا
هَلْ غَادَرُوا إلاّ حَشاً   قَلِقاً وَقَلْباً مُستَفَزّا

١ الرز : الصوت البعيد .
٢ الاز : الإزعاج الشديد .

أمْسِي كَـأنّ مِنَ القَنَا بِأضَالِعي قَرْعاً وَوَخزَا

يا ثَانِياً للنّفْسِ ، بَلْ يَا ثَالِثَ العَيْنَيْنِ عِزَّا

عُضْوٌ عَشَتْ فِيهِ المَنِيّةُ، مَا أجَلّ وَمَا أعزّا

عَزّ الحِمَامُ عَلَيْكَ ، إنّ القِرْنَ إنْ ما عَزّ بَزّا[1]

[1] من عز بز : أي من غلب سلب .

حرف السين

ذخيرة الزمان

يمدح القادر بالله حين استقر في دار الخلافة في شهر رمضان سنة ٣٨١ :

شَرَفُ الخِلافَةِ ، يا بني العبّاسِ ، اليَوْمَ جَدّدَهُ أبُو العَبّاسِ
وَافَى لِحِفْظِ فُرُوعِها ، وكَنيةُ كانَ المُشِيرَ مَوَاضِعَ الأغرَاسِ[1]
هذا الّذي رَفَعَتْ يَداهُ بِنَاءَها الـ عَالي وَذاكَ مُوَطِّدُ الآسَاسِ
ذا الطّوْدُ بَقّاهُ الزّمَانُ ذَخيرَةً مِنْ ذَلِكَ الجَبَلِ العَظيمِ الرّاسِي
مُلْكٌ تَطاوَحَ مالِكُوهُ وَأصْبَحُوا مِنْهُ وَرَاءَ مَعَالِمٍ أدْرَاسِ
غَابٌ أبَنَّ بِهِ ضَرَاغِمُ هاشِمٍ ، مِنْ كلّ أغلَبَ للعِدى فَرّاسِ[2]
حتّى نَبَا بِهِمُ الزّمانُ فأزْعِجوا عَنْ تِلكُمُ الأغيَالِ وَالأخْيَاسِ[3]
فاليَوْمَ لُمّ العِزُّ بَعْدَ تَشَعّثٍ ، وَأُعِيدَ ذِكْرُ الدّينِ بَعدَ تَنَاسِ
قَدْ كانَ زَعزَعَكَ الزّمانُ فَرَاعَهُ عُودٌ عَلى عَجْمِ النّوَائِبِ عاسِ

١ المشير : المعرف . مواضع : منصوب بنزع الخافض .
٢ أبن به : أقام به . الأغلب : الأسد .
٣ الأغيال والأخياس : عرائن الأسود .

ما كانَ غَيرَ مُجَرَّبٍ لكَ في العُلى لتكُونَ رَاعي الأمْرِ دونَ النّاسِ
فَبَلاكَ عَيبَ البأسِ يومَ كَريهَةٍ ، ورَآكَ طَوْدَ الحِلْمِ يومَ مِراسِ[1]
فلأنْتَ قائِمُ سَيفِها الذّرِبُ الشَّبَا مَجداً وَوَابلُ نَوْئِها الرّجّاسِ[2]
مِنْ مَعشَرٍ وَسَمُوا الزّمانَ مَناقباً تَبقَى بقَاءَ الوَحْيِ في الأطرَاسِ
مُتَرَادِفِينَ على المَكارِمِ وَالعُلى، مُتَسَابِقِينَ إلى النّدَى وَالبَاسِ
خَطَمُوا أُنُوفَ الخالِعِينَ وَذَلّلوا أمَماً مِنَ الأعداءِ بَعْدَ شِمَاسِ
طَلَعُوا عَلى مَرْوَانَ يوْمَ لِقَائِهِ مِنْ كُلّ أرْوَعَ بالقَنَا دَعّاسِ
سَدّوا النّجاءَ عليهِ دونَ جُمامِهِ بِقِرَاعٍ لا عُزْلٍ وَلا نُكّاسِ
بالزّابِ وَالآمَالُ وَاقِفَةُ الخُطَى بَينَ الرّجَاءِ لِنَيْلِها ، وَاليَاسِ
حتّى رَأى الجَعدِيُّ ذُلَّ قِيَادِهِ لِيَدِ المَنُونِ تُمَدّ بِالأمْرَاسِ
وَهَوَتْ بِهِ أيْدٍ أنامِلُهَا القَنَا ، مَهوَى كُلَيبٍ عن يدَيْ جَسّاسِ
ضَرَبُوهُ في بَطْنِ الصّعيدِ بنَوْمَةٍ أبَدَ الزّمَانِ ولاتَ حينَ نُعَاسِ
وَتَسَلّمُوها غَضّةً ، فَمَضَى بهَا الأبْرَارُ نَاشِزَةً عَنِ الأرْجَاسِ
فَالآنَ قَرّ العِزُّ في سَكِنَاتِهِ ، ثَلْجُ الضّمَائِرِ بَارِدُ الأنْفَاسِ
وَقَفَتْ أخامِصُ طالبيه، وَرُفّهتْ أيْدٍ نَفَضْنَ مَعاقِدَ الأجْلاسِ[3]

١ قوله : عيب البأس ، هكذا في الأصل .

٢ الذرب : الحديد . الشبا : من كل شيء حده . الرجاس : الرعاد .

٣ الأجلاس ، الواحد جلس : الصخرة الشديدة العظيمة ، كل مرتفع من الأرض ، والجمل الجلس : الوثيق ، ولعل المعنى الأخير هو المقصود .

وَاحتَلَّ غَارِبَهُ وَلِيُّ خِلافَةٍ ، مَا كانَ يَلبَسُها عَلى ألبَاسِ[1]
سَبَقَ الرّجالَ إلى ذُرَاها نَاجِياً مِنْ نَابِ كُلّ مُجاذِبٍ نَهّاسِ
يَقظانَ يَخرُجُ في الخُطوبِ وَيَنثَني وَلُهَاهُ للكَلْمِ الرّغيبِ أوَاسِ[2]
وَيَرِقُّ أحيَاناً ، وَبَينَ ضُلُوعِهِ قَلْبٌ عَلى المَالِ المُشَمَّرِ قَاسِ
تَغدُو ظُبَى البِيضِ الرّقاقِ بقلبه أحلَى وَأعذَبَ من ظِبَاءِ كِنَاسِ
وَكأنّ حَملَ السّيفِ يَقطُرُ غَرْبُهُ أنسَى يَمينَ يَدَيهِ حَملَ الكاسِ
أحَسودَ ذي الغُرَرِ الشّوَادخِ أنّها حَرَمٌ عَلى الأغيارِ للأفرَاسِ[3]
لا تَحسُدَنْ قَوْماً إذا فاضَلتَهمْ فَضَلُوكَ في الأخلاقِ وَالأجناسِ
وَإذا رَمَيْتَ الطَّرْفَ رَاعَكَ منهمُ أطلالُ أجبَالٍ عَلَيكَ رَوَاسِ
كانوا نجُوماً ثمّ شَعشَعَ نُورُهُمْ ، وَالنّارُ أوّلُهَا مِنَ الأقبَاسِ
مَجْدٌ ، أميرَ المُؤمنينَ ، أعَدْتَهُ غَضّاً كَنُورِ المُورِقِ المَيّاسِ
وَبَعَثتَ في قَلبِ الخِلافَةِ فَرْحَةً دَخَلَتْ على الخُلفاءِ في الأرْماسِ
وَمَكِيدَةٍ أشلَى عَلَيكَ نُيُوبَهَا غضْبانُ ، للقُرْبَى القَرِيبَةِ نَاسِ
فَغَرَتْ إلَيكَ فَفتَّها وَتَرَاجَعَتْ ، فَقَرَتْهُ بالأنيَابِ وَالأضرَاسِ
حَمرَاءَ من جَمرِ الخُطوبِ وَطِئتَها فلَبِستَ فيها الصّبرَ أيّ لِبَاسِ
فَرْداً سَلَكْتَ بهَا المَضِيقَ وَإنّما طُرُقُ العَلاءِ قَليلَةُ الإينَاسِ

١ الألباس : الشبهات ، الواحد لبس .
٢ لهاه : عطاياه . الكلم : الجرح . الرغيب : الواسع .
٣ الشوادخ من الشدخ : انتشار الغرة .

أَوْرِقْ أَمِينَ اللهِ عُودِي ، إِنَّمَا أَغْرَاسُ أَصْلِكَ فِي العُلَى أَغْرَاسِي

وَامْلِكْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكَ شَأْوَهُ فِي فَرْطِ تَقْرِيبِي ، وَفِي إِينَاسِي

إِنِّي لَأَجْتَنِبُ السُّؤَالَ مُتَارِكاً خِلْفاً يَدِرُّ عَلَيَّ بِالإِبْسَاسِ

وَلَقَدْ أَطَعْتُكَ طَاعَةً ما رَامَهَا مِنِّي امْرُؤٌ إِلاَّ عَصَاهُ شِمَاسِي

فَرَّتْ إِلَيْكَ ، بِغَيْرِ دَاعٍ ، هِمَّتِي ، وَصَغَا إِلَيْكَ ، بِلا قِيَادٍ ، رَاسِي

للعلى النفوس النفائس

يمدح الملك بهاء الدولة وأنفذها إليه وهو بفارس في شهر صفر سنة ٣٩٤ :

تَمَنَّى رِجَالٌ نَيْلَهَا ، وَهِيَ شَامِسٌ ، وَأَيْنَ مِنَ النَّجْمِ الأَكُفُّ اللَّوَامِسُ

وَإِنَّ المَعَالِي عَنْ رِجَالٍ طَلائِقٌ ، وَهُنَّ عَلَى بَعْضِ الرِّجَالِ حَبَائِسُ

وَلَمْ أَرَ كَالعَلْيَاءِ تُرْضَى عَلَى الأَذَى ، وَتُهْوَى عَلَى عِلاَّتِهَا ، وَهِيَ عَانِسُ

فَقُلْ لِلْحَسُودِ اليَوْمَ أَغْضِ عَلَى القَذَى ، فَمَا كُلُّ نَارٍ أَوْقَدَتْ أَنْتَ قَابِسُ

وَمَا لَكَ وَالإِقْدَامَ بِالخَيْلِ وَالقَنَا ، وَحَظُّكَ عَنْ نَيْلِ العُلَى مُتَقَاعِسُ

وَهَلْ نَافِعٌ يَوْماً وَجَدُّكَ رَاجِلٌ ، إِذَا قِيلَ ، يَوْمَ الرَّوْعِ : إِنَّكَ فَارِسُ

فَطِبْ عَنْ بُلُوغِ العِزِّ نَفْساً لَئِيمَةً ، فَمَا لِلْعُلَى إِلاَّ النُّفُوسُ النَّفَائِسُ

وَإِنَّ قِوَامَ الدِّينِ مِنْ دُونِ ثَغْرِهَا ، لَهُ نَاظِرٌ يَقْظَانُ وَالنَّجْمُ نَاعِسُ

رَعَاهَا بِهَمٍّ لا يَمَلُّ وَهِمَّةٍ إذا نَامَ عَنها حارِسٌ قامَ حارِسُ

أخُو الحَرْبِ ذاقَ الرّائعاتِ وَذُقْنَهُ ، وَنَالَ ، وَنَالَتْهُ القَنَا وَالفَوَارِسُ

يُغاديكَ يَوْمَ السِّلْمِ طلقاً ، وَفِكرُهُ يُمارِسُ حَدَّ الرَّوْعِ فِيما يُمَارِسُ

كأنَّ مُلُوكَ الأرْضِ حَوْلَ سريرِهِ بُغَاثٌ وُقُوفٌ وَالقَطاميُّ جَالِسُ[1]

إذا رَمَقُوهُ ، وَالجُفُونُ كَوَاسِرٌ عَلى غَيرِ داءٍ ، وَالرّقابُ نَوَاكِسُ

يُحَيُّونَ وَضّاحاً ، كأنّ جَبينَهُ سَنَا قَمَرٍ مَا غَيّرَتْهُ الحَنَادِسُ

تُصَرِّفُ أعنَاقُ المُلُوكِ لأمْرِهِ ، وَتُستَخدَمُ الأعضَاءُ وَالرّأسُ رَائسُ

مِنَ القَوْمِ حَلّوا بالرُّبَى وَأمَدَّهُمْ قَديمُ المَسَاعي ، وَالعَلاءُ القدامِسُ[2]

تُحِلُّهُمُ دارَ العَدُوّ شِفَارُهُمْ ، وَتُرْعيهِمُ الأرْضَ القَنيُّ المَداعِسُ[3]

بَهَاليلُ أزْوَالٌ بِكُلّ قَبيلَةٍ مَلاذِعُ مِنْ نيرَانِهِمْ وَمَقَابِسُ[4]

وَمَا جالَسُوا إلاّ السّيُوفَ مُعَدّةً ليَوْمِ الوَغَى ، وَالمَرْءُ ممّن يُجالِسُ

إذا أخطأُوا مَرْمًى مِنَ المَجدِ أجهَشُوا ، زَئِيرَ الضّوَارِي أفلَتَتها الفَرَائِسُ

فمِن خائضٍ غَمرَ الرّدَى غيرَ ناكصٍ ، وَمِنْ صَافقٍ يومَ النّدى لا يُماكِسُ

إذا ما اجتَداهُ المُجتَدونَ على الطّوَى يَبيتُ رَطيبَ الكَفّ وَالبَطنُ يَابِسُ

---

١ القطامي : الصقر .

٢ القدامس ، الواحد قدموس : قديم .

٣ القني ، الواحدة قناة : الرمح أو عوده . المداعس ، الواحد مدعس ومدعاس: الرمح يطعن به ، والطعّان .

٤ الأزوال ، الواحد زول : الشجاع والجواد .

لَهُ في الأعادي كلُّ شَوْهاءَ يَهتَدي ... بتَهدارِها طُلْسُ الذّئابِ اللّعَاوِسُ[1]

وَنَشّاجَةٌ تَحتَ الضّلُوعِ مُرِشّةٌ ؛ ... كمَا هاعَ مَملُوءٌ مِنَ الخَمرِ قالِسُ[2]

مُطَرَّقَةُ الجَالَينِ هَطْلَى كأنّما ... إزَارُ الفَتَى فيها من الدّمِ وَارِسُ[3]

ألاَ رُبّ حَيٍّ مِنْ رِجَالٍ أعِزّةٍ ... أسالَتْ بهِمْ منكَ الغَمامُ الرّوَاجِسُ

أرَادُوكَ بِالأمْرِ الجَليلِ فَرَدّهُمْ ... عَلى عِوَجِ الأعقابِ جِدٌّ مُمَارِسُ

تُطَاعِنُهُمْ عَنْكَ السّعُودُ بجَدّها ، ... وَلا يَتّقي طَعْنَ المَقادِيرِ تَارِسُ

إذا أفْلَتُوا طَعنَ الرّمَاحِ رَمَتْهُمُ ... بطَعنٍ عَوَاليها النّجُومُ الأنَاحِسُ

سَلَبتَهُمُ عِزّ الثّرَاءِ ، فَلَمْ تَدَعْ ... لهُمْ مَا يرَى مِنْهُ العدُوّ المُنافِسُ

فَمَا لَهُمُ ، غَيرَ الشّعُورِ ، عَمائمٌ ، ... وَلا لَهُمُ ، غَيرَ الجُلُودِ ، مَلابِسُ

وَعَمّتْهُمُ مِنْ حَدّ بأسِكَ سَطوَةٌ ... بها اجتُدِعَتْ أعناقُهُمْ لا المَعاطِسُ

فَما جَازَها في ذُرْوَةِ النِّيقِ صَاعِدٌ ؛ ... وَلا فاتَها في لُجّةِ المَاءِ قامِسُ[4]

وَلا نَاطِقٌ للخَوْفِ إلاّ مُخَافِتٌ ؛ ... وَلا نَاظِرٌ للذّلّ إلاّ مُخَالِسُ

تَرَى الأبَ يَنْبُو عَنْ بَنيهِ وَيَتّقي ... أخَاهُ الفَتَى وَهوَ القَرِيبُ المُؤانِسُ

وَلَيْسَ يُحَيّا مِنْهُمُ اليَوْمَ طالعٌ ... هَوَاناً ، وَلا يُجدي إذا اعتامَ بائِسُ[5]

١ لعله أراد بشوهاء : طعنة شوهاء ، أي مشؤومة . تهدارها : صوت فوران الدم منها . اللعاوس، الواحد لعوس : الذئب الشره .

٢ النشاجة : التي تغلي بالدم . المرشة، من أرشت الطعنة: اتسعت فتفرق الدم . هاع: قاء. القالس، من قلست الطعنة بالدم : فاضت .

٣ مطرقة : مرققة . الجالين : الجانبين . الوارس : الأحمر .

٤ القامس : الغائص .

٥ اعتام : اختار العيمة ، أي خيار المال .

تَمَلَّسُ أعْوَادُ القَنَا مِنْ أكُفِّهِم، وَيَنفُضُهم من عن قَطاها العَوَانِسُ[1]
يَكُونُ مَزَرُّ المَرْءِ غُلّاً لِعُنْقِهِ، من الخَوْفِ، حتّى يَنزِعَ الثوْبَ لابِسُ
إذا ضَرَبُوا في الأرْضِ فهْيَ مَهالكٌ، وَإنْ أوْطَنُوا الأبياتَ فَهْيَ مَحابِسُ
وَعاطِسُهُمْ في الحَفْلِ غَيرُ مُشمَّتٍ، فكَالنّابحِ العاوِي من القوْمِ عاطِسُ
وَأطْرَقَ شَيْطَانُ الغَوَايَةِ مِنْهُمُ، فلَمْ يَبقَ مِنْ نَعّابَةِ الغَيّ نابِسُ
وَعِندَ طَبيبِ المُعضِلاتِ شِفَاؤهُمْ، إذا عَادَ مِنْ داءِ العَداوَةِ نَاكِسُ
فَيَوْماهُ يَوْمٌ بِالمَوَاهِبِ غَائِمٌ عَلَينا، وَيَوْمٌ بالقَوَاضِبِ شَامِسُ
سَجِيّةُ بَسّامٍ يَقُولُ عَدُوُّهُ: أهذا الّذي يَلْقَى الوَغَى وَهوَ عابسُ
نُزَادُ، وَيَرْوَى الأبعَدُونَ بمائِكمْ، وَنحنُ عَلى الوِرْدِ الظِّمَاءُ الخَوَامِسُ
وَتَندَى لقَوْمٍ آخَرِينَ سَحَابُكُمْ، وَنَحنُ مَنَاشِي أرْضِكُمْ وَالغَرَائِسُ[2]
رَجَوْتُكَ وَالعِشْرُونَ مَا تَمّ عِقدُها، فَلِمْ أنَا مِنْ بَعْدِ الثّلاثِينَ آيِسُ
وَلي خِدْمَةٌ قَدّمْتُها لِتُعِزّني، وَلَوْلا الجَنَى ما رَجّبَ الفرْعَ غارِسُ
وَمَا هِمّتي إلاّ المَعَالي، وَإنّني عَلى المَرْءِ بالعَلْيَاءِ لا المَالِ نَافِسُ
وَقَد غَارَ حَظٌّ أنتَ ثاني جِماحِهِ، وَتُقْدَعُ من بَعدِ الجِماحِ الشَّوَامسُ[3]
عَسَى مَلِكُ الأملاكِ يَنتاشُ أعظُماً بَرَتْهُنّ ذُؤبانُ اللّيَالي النّوَاهِسُ
وَقد كُنتُ شِمتُ العِزّ مِنكَ وَجادَني بغَيظِ الأعادي ماطِرٌ مِنهُ رَاجِسُ

١ قطاها : ظهرها . العوانس : النياق ، الواحدة عنس .
٢ المناشي ، من نشأ : شب .
٣ تقدع : تكبح .

فَبَاعَدَني مِنْ صَوْبِ مزْنِكَ حاسدٌ يُضَاحِكُ ثَغري وَالجَنَانُ مُعَابِسُ
يُرِيني حَنَاناً ، وَهوَ يُضْمِرُ بَغضَةً ، كِلا نَاظِرَيْنَا من قِلًى مُتَشاوِسُ
فَجَدِّدْ يَداً عِندي يُرَفُّ لِبَاسُهَا ، فقَد أخلَقَتْ تلكَ الأيادي اللّبائسُ
وَبابُكَ أوْلى بي مِنَ الأرْضِ كُلّها ، فحتّامَ لي عَنْ قَرْعِ بابِكَ حابِسُ
وَأُقْسِمُ لَوْلا أنّ دارَكَ فَارِسٌ ، لمَا انتَصَفَتْ من أرْضِ بغدادَ فارِسُ

اقول لركب

قال يمدحه وكتب بها إليه وهو
بفارس ، ووجدت هذه القطعة في
مسودة خارجة عن الديوان :

أقُولُ لرَكْبٍ خَابطينَ إلى النّدَى ، رَمَوْا غَرَضاً وَاللّيلُ داجي الحَنادِسِ
أقِيمُوا رِقَابَ اليَعْمَلاتِ ، فَإنّني سَأستَمْطِرُ النَّعْمَاءَ نَوءاً بفَارِسِ
بَنَاناً إذا سِيمَ الحَيا غَير بَاخِلٍ ، وَوَجْهاً إذا سِيلَ النّدى غَير عابِسِ
أُحِبّ ثَرَى أرْضٍ أقَمتَ بِجَوّها ، وَإنْ كانَ في أرْضٍ سِوَاها مَغارِسي
وَكَمْ رُفِعَتْ لي نَارُ حيٍّ فَجزْتُها ، وَمَا نَارُ مَمْنُونِ القِرَى من مَقابسي
نَزَعْتُ فَخَارِي يَوْمَ ألبَسُ نِعمَةً لغَيرِكَ ، مَا زُرّتْ عَليّ مَلابِسِي
إذا كُنتَ لي غَيْثاً، فأنْتَ غَرَستَني ، وَمُورِقُ عُودي بالنّدى مثلُ غارِسِي
تَرَكْتُ رِجالاً لَمْ يَهَشّوا لمِنّةٍ ، وَلَمْ يَنقَعُوا غِلّ الظِّماءِ الخوَامِسِ

عَلى القُرْبِ إنّي فيهِمُ غَيرُ طَامِعٍ ، وَمِنكَ عَلى بُعدِ المَدَى غَيرُ آيِسِ

غِياثُ النّدَى ضُمّتْ أكفٌّ وَأُغلقتْ على اللّؤمِ أبوَابُ النّفوسِ الخَسائِسِ

وَلَوْلاكَ أمسَى النّاسُ في كلّ مَذهبٍ على أثَرٍ مِنْ مَعلَمِ الجُودِ طَامِسِ

عَضَلَتُ ثَنَائي عَنْهُمُ وَذَخَرْتُهُ لأبْلَجَ مَمْنُونِ النّقيبَةِ رَائِسِ[1]

وَمَا كُنْتُ إلاّ الطِّرْفَ يَمنَعُ ظَهرَهُ جَبَاناً ، وَيُعطي ظَهرَهُ كلَّ فارِسِ

لا ترقدن على الأذى

يمدح أباه ويذكر غرضاً في نفسه

لا تَرْقُدَنّ عَلى الأذَى ، وَاعزُمْ كما عزَمَ ابنُ موسَى

لمّا ألَظّ بِهِ العِدَى عَنَتاً ، وَأضرَاراً وَبُوسَا[2]

وَرَمَوْا إلَيْهِ نَوَاظِراً كَأسِنّةِ اليَزَنيّ شُوسَا[3]

أغْضَى لَهُمْ ، وَأثَارَ لَيْـ ـثَ الغابِ يقتنصُ النّفوسَا

غَضْبَانَ يَغْلي بِالزّمَا جِرِ كُلّما نَظَرَ الفَرِيسَا

يَتَنَكّبُ اللّحْمَ الذّلِيـ ـلَ وَيَطلُبُ العُضْوَ الرّئيسَا

١ عضلت : منعت .
٢ ألظ : أقام . عنتاً : فساداً .
٣ اليزني : الرمح المنسوب إلى ذي يزن أحد ملوك

أظَنَنْتُمُوهُ عَلَى الأذَى   في دارِكُمْ أبَداً حَبِيسَا
إنّ الذَّلُولَ عَلَى القَوَا   رِعِ عادَ بَعدَكُمُ شَمُوسَا
وَأرَمَّ مِثْلَ الصِّلّ يَنْـ   ـتَظِرُ التي تَشفي النَّسيسَا[1]
حتّى أحَدَّ لَكُمْ حُسَا   ماً قاطِعاً نَغَضَ الرّؤوسَا
إمّا عَقَرْنَ ظِبَاهُ أعْـ   ـجَلنَ العَقايرَ أنْ تكُوسَا[2]
إنْ تُفْجَأوا بِدُخَانِهَا ،   فبِعَقْبِ ما شَجرَ الوَطِيسَا[3]
كَيْداً سَرَى لَكُمُ ، وَلمْ   تَسْمَعْ لَهُ أذُنٌ حَسِيسَا
قَدْ يَنْزِعُ اللّينَ الكَرِيمُ   وَيلبسُ الخُلُقَ الشّرِيسَا
وَتَكُونُ طَلْقاً ثُمّ يُوْ   نِسُ ذِلّةً فيُرَى عَبوسَا
وَيَعُودُ مُرَّ الطّعْمِ لا   عَذبُ المَذاقِ وَلا مَسوسَا[4]
ألْقَحتُمُ النُّعْمَى ، وَلَـ   ـكِنْ طَرّقتْ لكمُ ببُوسَى
وَغَمَطْتُمُ تِلْكَ السّعُو   دَ ، فأُبدِلتْ بكمُ نحُوسَا
وَأهَنْتُمُ ثَوْبَ العُلَى ،   فَغَدا الهَوَانُ لكُمْ لَبُوسَا
مِنْ بَعْدِ مَا حَلّتكُمُ الـ   ـعَلْيَاءُ جَوْهَرَهَا النّفِيسَا
حَتّى ظَنَنّا اللهَ لَيْـ   ـسَ بِرَازِقٍ إلاّ خَسِيسَا
يا حُسنَكُمْ في الدّهْرِ أذْ   نَاباً ، وَأقبَحَكُمْ رُؤوسَا

[1] ارم : سكت . النسيس : الجوع ، بقية الروح في الجسد .
[2] تكوس : تمشي على ثلاث قوائم .
[3] شجر : منع . الوطيس : الحرب .
[4] المسوس : الماء بين العذب والملح .

خَلّوا الطّريقَ لِمَنْ تَعَدّ وَدَ أنْ تُجَرّبَهُ خَمِيسَا
وَدَعُوا السّيَاسَةَ في العُلى، لأغَرَّ يُحسِنُ أنْ يَسُوسَا
هَذا خُمَارُ فَتًى أدَا رَ مِنَ البَلاءِ لكُمْ كُؤوسَا

البحر الزاخر

قال في صديق له

يا ذاكِرَ النَّعماءِ إنْ نُسِيَتْ ، وَمُجَدِّدَ المَعْرُوفِ إنْ دَرَسَا
وَمُنَبِّهَ الآمَالِ إنْ رَقَدَتْ بالطَّوْلِ لا أغْفَى وَلا نَعَسَا
نَصْلٌ إذا وَقَفَ النُّصُولُ مضَى ؛ جَبَلٌ إذا اضْطَرَبَ الجِبالُ رَسَا
لله بَحْرٌ مَا هَتَفْتُ بِهِ حَتّى استَهَلّ عَليّ وَانبَجَسَا
أجمَمتُ جُمّتَهُ ، فَفَاضَ بهَا يَطَأُ الرُّبَى وَيُبَلّلُ اليَبَسَا
زَخَرَتْ غوَارِبُهُ إليّ ، وَلَمْ يَقُلِ الرّجاءُ: لَعَلّما وَعَسَى
وَأغَرَّ مُخْتَلِسٍ مَكَارِمَهُ ؛ إنّ الكَرِيمَ يرَى النّدى خُلَسَا
غَرَسَ الصّنَائِعَ ثمّ عَادَ بِهِ عَودُ النّدى ،فَسَقى الذي غَرَسَا
كالعَضْبِ فِيهِ صَاقِلٌ عَمِلٌ يَنفي القَذى ، وَيُباعِدُ الدّنَسَا
مِنْ مَعشَرٍ رَكِبوا المكَارِمَ في أوْلى الزّمَانِ مَصَاعِباً شُمُسَا

شَغَلُوا مَلابِسَهَا فَلَمْ يَدعُوا   لِلنّاسِ إلاّ الدّنِسَ اللُّبُسَا[1]
العَاطِفُونَ ، إذا الصّدِيقُ نَبَا ؛   وَالمُحسِنُونَ إذا الزّمَانُ أسَا
وَإذا خِنَاقُ الكَرْبِ ضَاقَ بِنَا ،   رَدّوا النّفوسَ وَرَدّدوا النّفَسَا
مَا ضَرّ مَنْ مُطِرُوا بِبَلْدَتِهِ   إنْ كانَ مَاءُ المُزْنِ مُحتَبسَا
لا أزْلَقَ اليَوْمُ العَبُوسُ لكُمْ   قَدَماً ، وَلا أطفَى لكُم قَبَسَا
لا تَفْتُرُنّ عَلى الزّمَانِ ، وَإنْ   عَثَرَ الزّمَانُ بِعِزّكُمْ تَعسَا

القلب في مأتم والعين في عرس

قال في الافتخار وشكوى
الزمان وذم بعض أعدائه :

خُذي حديثَكِ من نَفسي عنِ النّفَسِ ،   وَجْدُ المَشُوقِ المُعَنّى غيرُ مُلتَبِسِ
المَاءُ في ناظرِي ، وَالنّارُ في كَبِدِي ،   إنْ شِئتِ فاغترِفي ، أوْ شئتِ فاقتبسِي
كم نظرَةٍ منكِ تَشفي النفسَ عن عرَضٍ ،   وَتُرْجِعُ القَلبَ منّي جِدَّ مُنتَكِسِ
تَلَذُّ عَيْني ، وَقَلبي منكِ في ألَمٍ ،   فالقَلبُ في مأتَمٍ وَالعَينُ في عُرُسِ
كِمُّ الفؤادِ ،حَبيساً، غَيرُ مُنطَلِقٍ ،   وَدَمعُ عَيني ،طَليقاً،غَيرُ مُنحَبِسِ[2]

١ اللبس من الالتباس : الشبهة .
٢ قوله : كم الفؤاد ، هكذا في الأصل ، والكم : غلاف الزهر .

هَلْ الزّمانَ علَى الخلصاءِ يَسمَحُ لي يَوْماً بذاكَ اللَّمَى المَمنوعِ وَاللَّعَسِ
يقولُ : منّي ، كأنّ الحبَّ أوّلُهُ ، فكَيفَ أذكرَني هذا الضّنَا وَنَسي[1]
قُلْ للّيالي: فِري نحضي على بَدَني، أوْ فَاعرُقيني بالأنيابِ ، وَانتَهِسي[2]
خُذي سِلاحَكِ لي إنْ كُنْتِ آخِذَةً، قد أمكَنَ النّاشِطُ الذّيّالُ وَافترِسي[3]
فكَمْ أُريغُ العُلى، وَالحَظُّ في صَبَبٍ، وكَمْ أقولُ: لعاً، وَالجَدُّ في تَعَسِ
مُذَبذَبُ الرّزْقِ لا فَقْرٌ وَلا جِدَةٌ؛ حَظٌّ لعَمرُكَ لم يَحمَقْ ولَم يَكِسِ[4]
في كُلّ يَوْمٍ بسِرْبِي منكِ غَادِيَةٌ؛ إحَالَةُ الذّئْبِ بادٍ غَيرِ مُختَلِسِ[5]
فَوْهَاءُ تَفْغَرُ نَحْوِي، وَهيَ سَاغبَةٌ، شَجوَ الوليدِ إذا ما عَبّ في النّفَسِ
يا بُؤسَ للدّهرِ ألْقَاني بِمَسْبَعَةٍ ، وَقال لي عندَ غِيلِ الضّيغمِ: احترِسِ
مضَى الرّجالُ الأُولى كانَتْ نَقَائِبُهم لا بالرِّجاعِ ، وَلا المَبذولَةِ اللُّبُسِ
وَصِرْتُ أهوَنَ عندَ الحَيّ بعدَهُمُ ، ممّا عَلى الإبِلِ الجَرْبا من العَبَسِ[6]
أستَنزِلُ الرّزْقَ مِنْ قَوْمٍ خَلائِقُهم شُمْسُ الأعِنّةِ عندَ الزّجرِ وَالمَرَسِ[7]
يَستَبْدِلُونَ بِيَ الأبْدالَ مُعجِزَةً، مَن يرْضَ بالعَيرِ يهجُرْ كاهلَ الفرَسِ

١ قوله : كأن الحب أوله ، هكذا في الأصل .
٢ فري : اقطعي . نحضي : لحمي . اعرقيني، من عرق العظم: أكل ما عليه من اللحم . انتهسي من النهس : أخذ اللحم بمقدم الأسنان .
٣ الناشط الذيال : الثور الوحشي .
٤ يكس : ينقص .
٥ عجز البيت غامض ولعل فيه تحريفاً .
٦ العبس : ما تعلق بأذناب الإبل من أبوالها وأبعارها .
٧ المرس : الممارسة ، الشدة .

العِرْضُ يُتْرَكُ للرَّامي بِمَضْيَعَةٍ ، وَالمَالُ يُحفَظُ بالأعوَانِ وَالحَرَسِ
يُحَصِّنُونَ عَلَى الرَّاجي مَطالِعَهُ ، خَوْفاً مِنَ السَّلَّةِ الحَذّاءِ وَالخَلَسِ[1]
أصْبَحتُ حينَ أُرِيغُ النّفعَ عندَهُمُ ، كناشِدِ الغُفْلِ بينَ العُمْيِ وَالخُرُسِ
لَقَدْ زَلَلْتُ، وكانَتْ هَفوَةٌ أمَماً، أيّامَ أرْجو النّدى الجارِي من اليَبَسِ
وَإنّ أعْجزَ مَنْ لاقَيتُ ذُو أمَلٍ يَرْجو الصَّلا عندَ زَنْدٍ ضَنّ بالقبسِ
أبا الذّوائِبِ مِنْ قَوْمي أُوازِنُهُمْ ، لقدْ وَزَنْتُ الصّفا العاديّ بالدَّهَسِ[2]
يا صَاحِبيّ اشدُدا النِّضْوَيْنِ ،وَانطَلِقَا إنْ سَلّمَ اللهُ أفجَرنَا مِنَ الغَلَسِ
لا تَنظُرَا غَيرَ وَعدِ السّيفِ آونَةً ، مَن لم يرِسْ بذُبابِ السّيفِ لم يرِسِ[3]
سِيرَا عَنِ الوَطَنِ المَذْمومِ وَاتّبِعَا إلى الإبَاءِ قِيَادَ الأنْفُسِ الشُّمُسِ
وَلا تُقِيمَا عَلَى صَعْبٍ مَغَالِقُهُ ، بعِرْضِهِ مَا بِثَوْبَيْهِ مِنَ الدّنَسِ

١ السلة : أخذ الشيء في رفق وخفة . الحذاء : السريعة . الخلس : الاختلاس .
٢ الصفا : الحجر الصلب . العادي : القديم . الدهس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب .
٣ قوله : لم يرس ، هكذا في الأصل ولم نجدها .

قربت بالبعد

قَرُبْتُ بِالبُعْدِ مِنَ النّاسِ ، وَفُضّتِ الأطْماعُ بِاليَاسِ
إلاّ بقَايَا مِنْ جَميعِ الهَوَى ، تَهفُو بِلُبّ الجَبَلِ الرّاسِي
دَمعي كَجودي عندَ بَذلِ النّدى ، وَحَرٌّ بَأسي مِثْلُ أنْفَاسِي
وَجهي رَقيقٌ يُستَشَفُّ الحَيَا مِنهُ ، وَقَلْبي دُونَهُ قَاسِ
لا حَظّ في المَجْدِ لِمَنْ لمْ يَزَلْ في حَيّزِ الإبْرِيقِ وَالكَاسِ
كُلُّ غُلامٍ رَامَ خَدْعَ العُلَى يلطفُ في بِرّي وَإينَاسِي

الحي كالمرموس

يرثي بعض أصدقائه :

بَقَاءُ الفَتى مُستَأنَفٌ مِنْ فَنَائِهِ ، وَمَا الحَيُّ إلاّ كالمُغيَّبِ في الرّمْسِ
أرَى النّاسَ وَرّادِينَ حَوْضاً منَ الرّدى ، فمِن فارِطٍ أوْ بالغٍ الوِرْدِ عن خِمسِ
وَيَجرِي عَلى مَنْ ماتَ دَمعي وَمَا لَهُ بكَيتُ وَلَكِنّي بكَيتُ على نَفْسِي
وَكلُّ فتًى باقٍ سيَتبَعُ مَنْ مَضَى ؛ وَكُلُّ غَدٍ جاءٍ سيَلحَقُ بالأمْسِ
فَلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ مِنْ مُتَفَرّدٍ ، رَأى المَوْتَ أُنْساً فاستَرَاحَ إلى الأنسِ

أقُولُ وَقَدْ قَالُوا مَضَى لِسَبِيلِهِ ، مضَى غَيرَ رِعديدِ الجَنَانِ وَلا نِكْسِ
كَـأنَّ حِدادَ اللّيْلِ زَادَ سَوَادَهُ عليكَ وَرَدّ الضّوْءَ منمطلعِ الشّمسِ
أرَى كلَّ رُزْءٍ دونَ رُزْئِكَ قَدْرُهُ ، فليسَ يُلاقيني ليَوْمِكَ مَا يُنْسِي

بقلبي للنوائب جانحات

قال وقد حلق جمته بمنى ورأى
فيها طاقات من البياض في غير أوانه
وذلك في شعبان سنة ٣٩٢ :

بِقَلْبي للنّوَائِبِ جَانِحَاتٌ عِمَاقُ القَعْرِ مُؤنِسَةُ الأوَاسِي
أقَارِعُ شَغْبَهَا لَوْ كَانَ يُغني قِرَاعي للنّوَائِبِ أوْ مِرَاسِي
وَتَعْذِمُني فتُخطي صَفحتَيها عذامي يَوْمَ أعذِمُ أوْ ضِرَاسِي
كَـأنّي بَيْنَ قَادِمَتَيْ نَزُورٍ تُرَاوِحُ بَيْنَ وَلْغي وَانْتِهَاسِي
وَلَمْ يَلْبَثْنَ غِرْبَانُ اللّيَالي نَعيقاً أنْ أطَرْنَ غُرَابَ رَاسِي
وَمَا زَالَ الزّمَانُ يَحيفُ حتّى نَزَعتُ لَهُ على مَضَضٍ لِبَاسِي
نَضَا عنّي السّوَادَ بِلا مُرَادي وَأعطَاني البَيَاضَ بِلا التِمَاسِي
أرُوعُ بِهِ الظِّبَاءَ وَقَدْ أرَاني زَمِيلاً للغَزَالِ إلى الكِنَاسِ
لَمسقِطِ حَامِلِ الشّعَرَاتِ عنّي بحَدّ السّيفِ في اليَوْمِ العَمَاسِ

أَحَبُّ إِليَّ مِنْ نَزْعي رِداءً | كَسَانِيهِ الشَّبَابُ وَأَيَّ كَاسِ
وَأَخْلَقَ وَهوَ يُذْكِرُني التَّصَابي | وَعُودُ النَّبعِ يَغمِزُ وَهوَ عاسِ
وَددتُ بِأَنَّ ما تَخبى المَوَاضي | بدالٌ لي بِمَا جَنَتِ المَوَاسِي
وَبَغَّضَني المَشيبُ إلى لِداتي ، | وَهَوَّنَني البَقَاءُ عَلَى أُناسِي
خُذُوا بِأَزِمَّتي فَلَقَدْ أَرَاني | قَليلاً مَا يَلِينُ لَكُمْ شِماسِي
أَلَيْسَ إلى الثَّلاثِينَ انتِسَابي | ولَمْ أَبْلُغْ إلى القُلَلِ الرَّوَاسِي
فمَنْ دَلَّ المَشيبَ عَلى عِذاري | وَمَا جَرَّ الذَّبُولَ على غِرَاسِي
سَأَبْكي للشَّبَابِ بِشَارِداتٍ | كَصَارِدَةِ السِّهامِ عَنِ القِياسِ[1]
يُعَلِّلُ شَدْوُهَا الطَّلْحَ المُعَنّى | إذا سَقَطَ العَصِيُّ مِنَ النُّعَاسِ
فمَنْ يَكُ نَاسياً عَهْداً فإنّي | لِعَهْدِكَ يا شَبَابي غَيرُ نَاسِ
وَكُنتُ عَلَيكَ مَعْ طَمَعي جَزُوعاً ، | فكَيفَ يكُونُ وَجدي بعدَ ياسِي
لَضَاعَ بُكَاءُ مَنْ يَبكيكَ شجواً | ضَيَاعَ الدَّمعِ بالطَّلَلِ الطَّماسِ
وَلَوْ أَجدَى البُكاءُ عَلَى نَوَارٍ | لأَعْيَا الدَّمْعُ عَيْنَ أَبي فِرَاسِ
فإنَّ العَيشَ بَعدَكَ غَيرُ عَيشٍ ، | وَإنَّ النّاسَ بَعْدَكَ غَيرُ نَاسِ

[1] صاردة السهام : المخطئة منها .

لا تنكري هذا النحول

قال في الغزل

أمُضِرّةٌ بِالبَـدْرِ طَالِعَةٌ ، عِندَ العُيُونِ ،وَضَرّةُ الشّمسِ
أنا مِنْكِ في كَمَدٍ عَلى كَمَدٍ يَوْمي عَليّ أمَرُّ مِنْ أمْسي
جِنّيّـةٌ وَقَبِيلُهَا بَشَرٌ عَظُمَ البَلاءُ بِها عَلى الإنْسِ
وَتَقُولُ لَمّا جِئْتُ أسألُها : كَيفَ الشّفاءُ لداءِ ذي النّكسِ
عَجَباً لَهُ إذْ جاءَ يَسْألُ مِنْ مَسّ الفُؤادِ رُقًى مِنَ المَسّ
لا تُنكِرِي هَذا النّحُولَ أمَا نَفسِي تَذوبُ عَلَيكِ مِن نَفسِي

الدمع الطليق

هُمُ خلّفُوا دَمْعي طَلِيقاً ، وَغادرُوا فُؤادِي عَلى داءِ الغَرَامِ حَبِيسَا
طلاعُ الحَشَى لمْ يَترُكُوا فيهِ فَضْلَةً تَضُمّ جَوًى مِنْ بَعْدِهِم وَرَسِيسَا [١]
يَخافُكُمْ قَلْبي ، وَأنْتُمْ أحِبّةٌ ، كَأنّ الأعَادِي يَنْظُرُونيَ شُوسَا
لَقَدْ خِفْتُ عَيْني أنْ تكونَ طَليعَةً لكُم وَفُؤادِي أنْ يكُونَ دَسِيسَا

١ طلاع الشيء : قدره . وطلاع الإناء : ملؤه .

خمار من اللمى

قال في صفة سواد اللون وسئل ذلك

باحَ بالمُضْمَرِ الدّفينِ لسَا ن مِنَ النّفَسْ
عَنْ مُبِلٍّ مِنَ الجَوَى رَاجَعَ الدّاءَ فانتَكَسْ
مَا لِقَلْبِي عَنِ السّلُوّ رَأى النّارَ فاقتَبَسْ
جَدّدَتْ نَظْرَةُ المَهَا ةِ مِنَ الوَجدِ ما دَرَسْ
طَلَبَتْ غِرّةَ الفُؤا دِ المُعَنّى، وَمَا احترَسْ
رَكّبَتْ صِبْغَةَ الهِلا لِ عَلى صِبْغَةِ الغَلَسْ
في خِمَارٍ مِنَ اللّمَى ، وَقَمِيصٍ مِنَ اللّعَسْ

الناس اسواء

قال وقد سئل ذلك

كُنّا نُعَظّمُ بِالآمَالِ بَعْضَكُمُ ، ثُمّ انقَضَتْ فتَسَاوَى عندَنا النّاسُ
لمْ تَفْضُلُونَا بِشَيْءٍ غَيرَ وَاحِدَةٍ ، هيَ الرّجَاءُ ، فَسَوّى بَينَنَا اليَاسُ

كم عرّضوا لي بالدنيا

قال في معنى آخر :

كَمْ عَرّضُوا ليَ بالدّنيَا وَزُخرُفِهَا مَعَ الهَلُوكِ ، فَلَمْ أرْفَعْ بهَا رَاسَا[1]
وَكَيفَ يقبَلُ رِفدَ النّاسِ مُحتَمِلاً ذُلَّ المَطَالِبِ مَنْ لا يَمدَحُ النّاسَا

غيم على شمس

قال في الزيادة :

وَمُعْتَادَةٍ للطّيبِ لَيْسَتْ تُغِبُّهُ ، مُنَعّمَةِ الأطرَافِ تَدمَى من اللّمسِ
إذا مَا دُخانُ النّدّ مِنْ ثَوْبِهَا عَلا على وَجهِها أبصرْتَ غَيماً على شمسِ

١ الهلوك : المرأة الفاجرة .

حرف الشين

يا نفس اذهبي أسفاً

قال يرثي قوماً من أصدقائه من العرب :

لِتَبْكِ اليَوْمَ نُسْوَةُ آلِ كَعْبٍ   بِأجْيَادٍ مُدَمَّاةِ الخُدُوشِ
عَلَى الفُرْسَانِ مِنْ سَلَفَيْ تَمِيمٍ   يَثُلُّهُمُ الرَّدَى ثَلَّ العُرُوشِ
مَضَوْا وَبَقِيتُ بَعْدَهُمُ مَهِيضاً ،   كَمَا نَهَضَ الجَنَاحُ بِغَيْرِ رِيشِ
وَمَنْ نَهَشَتْ أسِنَّةُ آلِ كَعْبٍ ،   فَلا دِرْيَاقَ لِلرَّجُلِ النَّهِيشِ
فَيَا نَفْسِ اذْهَبِي أسَفاً عَلَيْهِمْ ،   فَبُعْدُهُمُ كَمَوْتِكِ انْ تَعِيشِي

حرف الصاد

لا مناص من حكم القدر

قال يرثي صديقاً له من العرب
وقيل إنه كان قد عاهده أن يدعو إليه
في أمر الخلافة وله فيه عدة مراث :

مَا هاجَ مِن ذي طَرَبٍ مِخماصِ لَيْلُ أبي العَوّامِ وَالقِلاصِ[1]

أرْسَلَهَا خَمْصَاءَ في خِمَاصِ ، زَوْرَاءَ من رَعيِ الجَميمِ الوَاصِي[2]

بَعْدَ مِطالِ القَرَبِ البَصّاصِ ، رَامٍ إلى غَايَتِهَا الأقَاصِي[3]

قَذَى المَآقي لَبِدُ العَنَاصِي في مُطْلَقٍ أنْجُمُهُ شَوَاصِي[4]

لَمعُ المَدارِي جُلْنَ في العِقَاصِ ، كَأنَّ خَفقَ الكَوْكَبِ الوَبّاصِ[5]

زَرْقَاءُ مِنْ زُرْقِ بَنِي مِلاصِ ، حتّى اتّقَينَ الشّمسَ بالنّوَاصِي[6]

١ المخماص : الجائع ، الضامر البطن . القلاص : النياق .

٢ الواصي : المتواصل .

٣ القرب : البئر القريبة الماء . البصاص : المتلألىء .

٤ اللبد : المتلبد . العناصي : النبت المتفرق . شواصي : شواخص .

٥ المداري : الأمشاط . العقاص : غدائر الشعر ، الواحدة عقيصة . الوباص : البراق .

٦ بنو ملاص : بطن من هذيل .

مُفْتَقَةٌ مِنْ جَانِبِ النَّشَاصِ ، تَطَلُّعَ الرُّودِ مِنَ الخَصَاصِ [1]
مَا لِي وَمَا لِلْقَدَرِ المُعَاصِي ، كَالعَيْرِ مَضْرُوباً عَلَى القِمَاصِ [2]
أَيْنَ أَبُو العَوَّامِ لِلعَوَاصِي ، يَرُوضُهَا ، وَالخَيْلِ وَالدِّلاصِ
وَرَعْيِهَا بَيْنَ القَنَا العَرَّاصِ ، مِنْ آمِنِ القُلاَّمِ وَالقُرَّاصِ [3]
وَلِلقِرَى وَالطُّرُقِ الخِرَاصِ ، وَلِلقَنَا يَلْدَغْنَ بِالأَخْرَاصِ [4]
هَيهَاتَ لا حَامِي إِلى العِرَاصِ ، شِيمَ الظُّبَى وَضُمَّتِ القَوَاصِي [5]
سَمَّ المَطَايَا لَيلَةَ الإِرْقَاصِ ، يَرْجِعْنَ أَرْمَاقاً بِلا أَشْخَاصِ
زَادَ الفَتَى وَالقَوْمُ فِي انْتِقَاصِ ، وَبَعُدُوا عَنْ جَامِحٍ فَحَّاصِ
بُعْدَ الغَّادِيدِ مِنَ القِصَاصِ ، قَامَ المُجَارِي وَكَبَا المُنَاصِي [6]
مِنْ مَعْشَرٍ مُطَيَّبِ الأَعْيَاصِ ، بَيْنَ لُبَابِ المَجْدِ وَالمُصَاصِ [7]
لَهُمْ بِآدَابِ النَّدَى تَوَاصِي ، مِنْ كُلِّ سَبَّاقِ المَدَى نَوَّاصِ [8]
قَوْمٌ لِأَعنَاقِ العِدَى قَوَاصِ ، قِرْنٌ لِقَاءٍ عَجِلُ الإِقْعَاصِ [9]

١ النشاص : السحاب . الرود : الفتاة الحسناء .
٢ القماص ، من قمص العير : وثب ونفر .
٣ العراص : اللدن . القلام : القاقلى . القراص : البابونج .
٤ الخراص : لعلها من خرص الشيء : أصلحه . الأخراص: الأسنة .
٥ القواصي : النواحي .
٦ الغاديد ، الواحد لغدود : لحمة في الحلق . قصاص الشعر : حيث ينتهي نبته . المناصي ، من ناصاه قبض كل واحد على ناصية الآخر .
٧ المصاص : خالص الشيء .
٨ النواص : النهاض ، المتحرك .
٩ قواص : قواطع . الاقعاص : القتل .

يا قَبْرُ بَيْنَ القُورِ وَالدَّعاصِ ، ضُمَّ عَلى لُؤلؤةِ الغَوّاصِ
ضَمَّ الوِعَا وَبَزّ بِالعِقاصِ ، سُقِيتَ مِنْ داني الحَيَا وَالقَاصِي
قَادَ ابنَ لَيْلى قَائِدُ المُعتَاصِ ، كَانَ سِبَاغي فَغَدا اغتِصَاصِي
مَا أثْقَلَ اليأسَ عَلى الحِرَاصِ ، هَل لجُرُوحِ الدّهرِ مِن قِصاصِ
جَدّ الرّدَى وَالنّاسُ في حِيَاصِ ، حِيدَ الأقاطيعُ عَنِ القَنّاصِ[1]
قَدْ يَنْزِلُ العَالي مِنَ الصَّيَاصِي ، وَقَدْ يُطيعُ الرّأسُ وَهوَ عَاصِي[2]
أمْرَ لِجَامِ القَدَرِ القَرّاصِ ، مَا شَاءَ مِنْ حُكمٍ ، فلا مناصِ[3]

ذهب الغزال بلبه

قال في النسيب :

يا بُؤسَ مُقتَنِصِ الغَزَالِ طَمَاعَةً ، ذَهَبَ الغَزَالُ بلُبّ ذاكَ القانِصِ
كَالدّرّةِ البَيْضَاءِ حَانَ ضَيَاعُها مِنْ بَعْدِ مَا مِلأَتْ يَمينَ الغَائِصِ
مَا كَانَ قُرْبُكَ غَيرَ بَرْقٍ لامِعٍ ، وَلّى الغَمَامُ بِهِ ، وَظِلٍّ قَالِصِ
أغْدُو عَلى أمَلٍ كَحُبّكَ زَائِدٍ ، وَأرُوحُ عَن حَظٍّ كوَصْلِكَ نَاقِصِ

١ الأقاطيع جميع قطيع على غير قياس .
٢ الصياصي : الحصون .
٣ فلا مناص : هكذا في الأصل .

لمن الديار ؟

قال يعرض ببعض من انتمى إلى معد ابن عدنان وليس منهم ويذكر غرضاً له :

لِمَنِ الدّيَارُ طُلُولُهَا وُقْصُ ، مَا لِلقَطِينِ بِعُقْرِهَا شَخْصُ[1]
أبْقَى الخَلِيطُ بِهَا مَعَاهِدَهُ ، أثَرٌ لَعَمْرُكَ مَا لَهُ قَصّ
وَلَقَدْ تَحِلّ بِهَا مُرَبَّبَةٌ ، ظَمْأى الوِشَاحِ وَلِلبُرَى غَصّ[2]
غَنِيَتْ بِحَلْيِ الحُسْنِ عَاطِلَةٌ ، مَا لِلنُّضَارِ بِجِيدِهَا وَبْصُ
فَرْعَاءُ إنْ نَهَضَتْ لِحَاجَتِهَا ، عَجِلَ القَضِيبُ وَأبطأ الدِّعصُ
وَمُرَجَّلٍ جَعْدٍ يَنُوءُ بِهِ جِيدُ الغَزَالِ ، وَنَاعِمٌ رَخْصُ
سَرَقَتْ بِطَرْفِ الرِّيمِ مُهْجَتَهُ ، وَمِنَ النّوَاظِرِ قَاطِعٌ لِصّ
قَسَماً بِشُعْثٍ جَعْجَعَتْ لَهُمُ بِالمَأزِمَينِ طَوَالِعٌ خُمْصُ[3]
طَعَنُوا الظَّلامَ بِكُلّ نَاجِيَةٍ ، في مُوقِ كُلّ دُجًى لَهَا بَخْصُ[4]
تَرْمِي الإكَامَ بِمَنْسِمٍ عَمَمٍ ، دَامِي الأظَلّ كَأنّهُ قُرْصُ[5]

١ وقص : مدقوقة . العقر : المنزل .
٢ ظمأى الوشاح : ضامرة الخصر . البرى : أراد بها الخلاخيل . غص : أي ممتلئة .
٣ المأزمان : بين مكة ومنى . طوالع : تغمز في مشيها . خمص : جياع ، عطشى .
٤ البخص : قلع العين .
٥ المنسم : خف البعير . العمم : التام . الأظل : باطن الخف .

وَالرّاجِمِينَ جِمَارَهَا بِمِنًى ، غَدَوْا وَمَا حَلَقُوا وَمَا قَصّوا
مُتَجَرّدِينَ مِنَ الرّياضِ ضُحًى ، حُلَّ النّطاقُ وَأُطْلِقَ العَقْصُ[1]
لأسقِيَنّكَ كَأسَ لاذِعَةٍ ، لا العَبُّ يُنفِدُهَا وَلا المَصّ
بِقَوَارِعٍ يُمْشِي الرّميُّ بِهَا ، مِنْ غَيرِ ما طَرَبٍ، لَهُ رَقْصُ
تُنْسِي جَرَائِحُها قَوَارِصَهَا ، وَالطّلْقُ يُنسَى عِندَهُ المَغْصُ
أإلى مَعَدٍّ جِئْتَ مُرْتَقِياً ، يا عَيرُ ! أينَ رَمى بكَ القَمْصُ
أمِنَ الوِهَادِ إلى الرُّبَى عَجِلاً ، سُرْعانَ ذا الذّمَلانُ وَالنَّصّ[2]
ألحَقَتَ رِيشَكَ في قَوَادِمِهِمْ ، عَجْلانَ تُلْصِقُهُ وَيَنحَصّ
إنْ زِدْتَهُمْ، فَلَقَدْ نَقَصْتَهُمُ؛ إنّ الزّيَادَةَ بالشَّغَا نَقْصُ[3]
غادَرْتَهَا شَنْعَاءَ ضَاحِيَةً ، لا النِّقْسُ يَصْبُغُها وَلا الحُصّ[4]
وَمِنَ المَخَازِي عِنْدَ لابِسِهَا مَا لا تُوَارِي الأُزْرُ وَالقُمْصُ
يا مُوعِدِي بِذِنَابِ مِخْلَبِهِ ، إنّ البَعُوضَ أذاتُهُ القَرْصُ
لا تَحْسُدَنّ المَرْءَ ثَرْوَتَهُ ، إنّ البِطَانَ إلى غَدٍ خُمْصُ
وَخَفِ السِّقَاطَ عَلى الذينَ عَلَوْا، وَمِنَ العُلُوّ يُحَاذِرُ الوَقْصُ[5]

١ الرياض : موضع . العقص : فتل الشعر .
٢ الذملان : السير المتوسط . النص : استخراج أقصى السير .
٣ الشغا : اختلاف نبتة الأسنان بالطول والقصر والدخول والخروج
٤ النقس : الحبر . الحص : الزعفران .
٥ الوقص : دق العنق .

وَاعقِدْ يَدَيكَ بِمُجتَني كَرَمٍ لا قدحَ في حَسَبٍ، ولا غَمَصُ[1]

أسَدٍ ، إذا بَصُرَ الرّجالُ بِهِ خَفَضَ الكلامُ وَطَومَنَ الشّخصُ

مِنْ مَعْشَرٍ رَكِبَتْ أوائِلُهُمْ أولى العُلى ، وَجِيادُها شُمُصُ

إنْ أحسَنُوا عَمّوا بِنائِلِهِمْ ؛ وَإذا رَمَوْا بجَرِيرَةٍ خَصّوا

عَدَدُ المَكارِمِ في بُيُوتِهِمُ ، وَالحامِلُ القَبْقابُ وَالقَبَصُ[2]

رَفَعُوا المَساعي مِنْ قَواعِدِها، يَعْلُو بِهِنَّ الرَّضْمُ وَالرَّصُّ[3]

حتّى انتَمَوْا في رأسِ أشرَفِها ، وَعلَى الكُعُوبِ يُوَقَّعُ الخُرْصُ

أفنَى العَدُوَّ ، وَلَيْسَ يَنقُصُهُمْ مِنْ رَملِ مُنقَطَعِ اللّوَى القَبَصُ

رداء من العلى

رُبَّ مُستَغمِزٍ إبَائي وَفي النّا سِ ذَلُولٌ على الأذَى وَقَمُوصُ[4]

نَاصِبٌ لي حَبَائِلَ الطّمَعِ المُزْ رِي ، وَغَيرِي للمُطمِعاتِ قَنِيصُ

بذلَ المَالَ لي يُسَاوِمُ عِرْضِي ؛ إنّ عِرْضِي إذاً عَليّ رَخِيصُ

١ الغمص : العيب .

٢ الحامل : الحي العظيم . القبقاب : الواسع الكثير الماء . القبص : العدد الكثير من الناس

٣ الرضم : الصخور العظيمة يرضم بعضها فوق بعض . الرص : الضم .

٤ الذلول : السهل الانقياد . القموص : الدابة التي تثب بصاحبها .

لا يُعَابُ المُقِلُّ ، وَهوَ قَنُوعٌ ، وَيُعَابُ الغَنِيُّ ، وَهوَ حَرِيصُ
لِبْسَتي عَلّها تَجَلّى ، وَلَمْ يَدْ نَسْ رِداءٌ مِنَ العُلى وَقَمِيصُ
وَانْظُرَنْها تَجُرْ زَعَازِعُها النُّكْ بُ ، وَبَطني من النّوَالِ خميصُ
وَارْقُبي عَطْفَةَ الزّمَانِ بِجدٍّ ، رُبّما حلّقَ الجناحُ الحَصِيصُ
يُقْدِمُ البَاسِلُ الأبيّ عَلى الحَتْ فِ، وَفيهِ عنِ الهَوَانِ نُكُوصُ
كُلّما عَضّهُ الأذَى غَضّ بالصّبْ رِ يُزَجّي الأيّامَ وَهيَ غَصِيصُ
قَسَماً بالأشاعِثِ الخُمْصِ أدّتْ هُمْ إلى المَأزِمَينِ قُودٌ وَخُوصُ
تَرْتَعي جِرّةَ البُطُونِ مِنَ الجَهْ دِ ، إذا عَزّ أجْرِدٌ وَقَصِيصُ[1]
أكَلَتْ نيّهَا المَوَامي فلَمْ يَبْ قَ عَلَيْهَا إلاّ الذَّمَا وَالشُّخوصُ[2]
لا جَعَلْتُ الهَوَانَ دارَ مُقَامٍ ، وَعنِ الضّيمِ مَعدَلٌ وَمَحيصُ
خَفّ عَنْ عَاتِقي الرّجَاءُ وكَمْ با تَ بمنْ الرّجالِ وَهوَ وَقِيصُ
إنْ يكُنْ في نَدَى المُلوكِ سبوغٌ للمُرَجّي ، فَفي رَجَايَ قُلُوصُ

1 الجرة : ما يفيض به البعير فيأكله ثانية . الأجرد والقصيص : نباتان .
2 الذما : بقية النفس .

حرف الضاد

لا أطلب غير الرضا

قال يمدح الملك بهاء الدولة ويعتذر إليه مما اتفق في أمره، وذلك أن الملك تقدم بكتب الكتب من البصرة إلى بغداد بتولية النقابة وإمارة الحج في أول يوم من جمادى الأولى سنة ٣٩٧ فكان من الاتفاق العجيب أن الصاحب عميد الجيوش ألزمه ببغداد النظر في هذه الأعمال في ذلك اليوم بعينه، ثم دخلت الكتب بعد أيام وبلغ الملك ذلك فثقل عليه لأنه آثر أن يكون هو المبتدىء بالمنة والسابق إلى الصنيعة، وبلغ ذلك الرضي فكتب إليه بهذه القصيدة يعتذر مما جرى :

كَيفَ أضاءَ البرْقُ ، إذْ أوْمَضَا، مَنابِتَ الرِّمْثِ بِوَادي الغَضَا[1]

عَهدُ الحِمى، لا أينَ عَهدُ الحِمى، قَضَى عَلى الصَّبّ جَوًى وَانقَضَى

وَنَازِلٍ بِالقَلْبِ أوْطَانُهُ بَينَ حِمَى الرّملِ وَبَينَ الأضَا[2]

لا نَالَهُ الدّاءُ الّذي نَالَني مِنْهُ ، وَإنْ شَفّ ، وَإنْ أمرَضَا

وَلا يُكَابِدْ لَيْلَ ذي غُلّةٍ ، لَوْ طَلَعَ البَدْرُ بِهِ مَا أضَا

هَانَ عَلى الوَاجِدِ طَعمُ الكَرَى؛ إنّ الفَتَى السّاهِرَ مَا غَمّضَا

١ الرمث : مرعى للإبل من الحمض .

٢ الاضا ، الواحدة أضاة : مستنقع الماء .

مَا آنَ للمَمْطُولِ أنْ يَقْتَضِي ، وَلا لِذا المَاطِلِ أنْ يُقْتَضَى
إنّ غَرِيمِي بِدُيُونِ الهَوَى أدانَ قَلْبِي وَأسَاءَ القَضَا
يَا رَاكِباً تَحْمِلُهُ جَسْرَةٌ ، كالهِقْلِ ناشَ البَلَدَ الأعرَضَا[1]
أنْحلَهُ الخَوْفُ ، وَخَوْفُ الفَتى سَيْفٌ عَلى مَفْرِقِهِ مُنْتَضَى
قُلْ لِبَهَاءِ المُلْكِ ، إنْ جِئْتَهُ ، سَوّدَ دَهْرِي بِكَ مَا بَيّضَا
سُخطٌ لَوَ انّ الطّوْدَ يُرْمَى بِهِ ، سَاخَ عَنِ الأطْوَادِ ، أوْ خَفّضَا
وَمُرُّ قَوْلٍ ذَلّ عِزّي لَهُ ، لَوْ مُزِجَ المَاءُ بِهِ عَرْمَضَا[2]
أعُوذُ بِالعَفْوِ ، وَهَلْ آمِنٌ نَذِيرَةَ الصِّلّ إذا نَضْنَضَا
أيَا غِيَاثَ الخَلْقِ إنْ أجْدَبوا ، وَيَا قِوَامَ الدّينِ إنْ قُوّضَا
وَيَا ضِيَاءً ، إنْ نَأى نُورُهُ ، لَمْ نَرَ يَوْماً بَعْدَهُ أبْيَضَا
مَا ليَ مَطْوِيّاً عَلى غُلّةٍ ، أرْمَضَني وَجْدُكَ مَا أرْمَضَا
قَدْ قَلِقَ الجَنْبُ وَطالَ الكَرَى ، وَأظْلَمَ الجَوُّ وَضَاقَ الفَضَا
لا تُعْطِشِ الزّهْرَ الّذي نَبْتُهُ بِصَوْبِ إنْعَامِكَ قَدْ رَوّضَا
إنْ كانَ لي ذَنْبٌ ، وَلا ذَنْبَ لي ، فاستَأنِفِ العَفوَ وَهَبْ ما مضَى
لا تَبْرِ عُوداً أنْتَ رَيّشْتَهُ ، حَاشَا لِبَاني المَجْدِ أنْ يَنْقُضَا
وَارْعَ لِغَرْسٍ أنْتَ أنْهَضْتَهُ ، لَوْلاكَ مَا قارَبَ أنْ يَنْهَضَا
لَوْ عُوّضَ الدّنْيَا عَلى عِزّهَا مِنْكَ ، لمَا سُرّ بِمَا عُوّضَا

[1] الجسرة : الناقة القوية . الهقل : الفتي من النعام . ناش : طلب .
[2] عرمض : طحلب .

وَلا يكُنْ عَهدُكَ، بَعدَ الهَوَى،   غَيْماً تَجَلّى وَخِضاباً نَضَا
يا رَامِياً لا دِرْعَ مِنْ سَهْمِهِ ،   أقْصَدَني مِنْ قَبْلِ أنْ يُنْتَضَى
قضَى عَلى قَلْبي بِإقْلاقِهِ ،   مَا أنَا بِالجَلْدِ عَلى مَا قَضَى
وَكَيْفَ لا أبْكي لإعْرَاضِ مَنْ   يُعْرِضُ عَنّي الدّهرُ إنْ أعرَضَا
قَدْ كُنتُ أرْجُوه لنَيْلِ المُنَى،   فاليَوْمَ لا أطْلُبُ غَيرَ الرّضَا

آين من يجير على الدهر

يفتخر ويذم الزمان

عِنْدَ قَلْبي عَلاقَةٌ مَا تَقَضّى ،   وَجَوًى كُلّما ذَوَى عادَ غَضّا
وَبُكَاءٌ عَلى المَنَازِلِ أبْلَتْ   هُنّ أيدي الأيّامِ بَسْطاً وَقَبضَا
وَالتِفاتٌ إلى التّصَابي ، وَقَدْ أسْ   رَعَ بي جامحُ الثّلاثِينَ رَكْضَا
مَنْ مُعِيدٌ أيّامَ ذِي الأثْلِ ،أوْ مَا   قَلّ مِنها دَيْناً عَليّ وَقَرْضَا
سَامِحاً بالقَليلِ مِنْ عَهْدِ نجدٍ ،   رُبّمَا أقْنَعَ القَليلُ وَأرْضَى
إنّ عِيداً مِنَ الغَوَاني ، إذا رُمْ   تُ التّسَلّي أشْجَى لقَلبي وَأنضَى[1]
وَإذا مَا عَزَمْتُ صَبراً أرَتْني   مُقَلاً تَفْسَخُ العَزَائِمَ مَرْضَى

[1] العيد : الموسم ، وما اعتادك من مرض أو حزن أو هم .

مُحْسِنَاتٌ إلى الغَرِيمِ مِطَالاً   مَنَعَ الدَّلُّ دَيْنَهَا أنْ يُقْضَى
وَإذا مَا أمتَنَّ بالبُعْدِ بَعْضاً   مِنْ فُؤادي أحيَيْنَ بالقُرْبِ بعضَا
فَسَقَى الرَّمْلَ مَنْزِلاً وَمَغَاناً   هَزِجَاتٌ يَنبِضْنَ بالبَرْقِ نَبضَا
وَمَشَتْ فِيهِ بِالنَّسِيمِ عَلِيلاً   قِطَعُ المُزْنِ في الرِّياضِ المَرْضَى
مَا لِذا الزَّوْرِ مَا يَغِبُّ مِنَ الرَّمْـ   ـلِ طُرُوقاً في مَضْجَعٍ قَدْ أقِضَّا
مُهْدِياً لي مِنْ طيبِ أرْوَاحِ نَجدٍ   ما يُداوِي نُكسَ العليلِ المُنْضَى[1]
لَمْ يَكُنْ غَيرَ خَطْرَةِ البَرْقِ مَا   زَوَّدَ عَيْنَ المَشُوقِ إلاّ وَمْضَا
قادَهُ الغَمضُ مِنْ زَرُودَ فَلَمّا   زَارَ أنْبَى عَنْ مُقلَتَيَّ الغُمْضَا[2]
قد لَبِستُ الخطوبَ سوداً وَبِيضاً ،   وَقَطَعتُ الزّمانَ طُولاً وَعَرْضَا
وَوَرَدْتُ الأمُورَ صَفْواً ورَنْقاً ،   وَرَعَيتُ الآمالَ رَطْباً وَحَمضَا
وَتَلَفّعْتُ رَيْطَةً مِنْ بَيَاضٍ ،   أنَا رَاضٍ مِنها بما لَيسَ يُرْضَى
أبْرِمَتْ لي مِنْ صَنعَةِ الدّهرِ لا   يُسرِعُ فِيها إلاّ المَنَايَا نَقْضَا
مَخبَرٌ فَاحِمٌ وَلَوْنٌ مُضِيءٌ ؛   مَنْ رَأى اليَوْمَ فَاحِماً مُبْيَضّا
كَمْ مُقَامي تُلْقي عَليّ اللّيَالي   نُوَباً ، لا أُطِيقُ مِنْهُنّ نَهْضَا
وَخُطُوباً ، إذا نَحَتْنَ مِنَ العَظْـ   ـمِ فَلا بِدْعَ إنْ عَرَقْنَ النَّحضَا
قَاعِداً مَطرَحَ السِّقَاءِ انتَحَتْهُ   بصُرُوفِ الأقدارِ جَرّاً وَمَخْضَا

[1] المنضى : المهزول .

[2] الغمض بالفتح : المطمئن من الأرض . زرود : موضع في بلاد العرب . الغمض بالضم : انطباق الجفن ، النوم .

رَكِبَتْني وَهْماً جُلالاً ، فَما زَا	لَ جِذابي حتّى رَمَى بيَ نِقْضَا[1]
كُلَّ يَوْمٍ عَلى مَزَلَّةِ خَطْبٍ ،	أتَوَقّى مَرْمًى إلى الذّلّ دَحضَا[2]
وَمُسَقًّى عَلى القَذَى يَرِدُ الوِرْ	دَ جُماماً فيَشرَبُ المَاءَ بَرْضَا[3]
كُلّما سَارَ طالِباً خَفَضَ عَيشٍ	نَالَ ذُلاً مِنَ الزّمانِ وَخَفْضَا
أينَ لا أينَ مَنْ يُجيرُ عَلى الدّهْ	رِ، إذا الدّهرُ هَرّ يَوْماً وَعَضّا
قَدْ وَهَبْنَا رَجَاءَنَا لِزَمَانٍ	لمْ يَدَعْنَا حَتّى وَهَبْنَا العِرْضَا
وَتَرَكْنَا نَفْلَ الزّمَانِ قُنُوعاً ،	ثُمّ زِدْنَا حَتّى تَرَكْنَا الفَرْضَا
فَذِمَاماً عَلى النّدَى أنْ يُرَجّى ،	وَعِيابُ البَخيلِ مِنْ أنْ يُفَضّى[4]
وَأمَاناً مِنّي عَلَيْهِ ، فَمَا أذْ	عَرُ سِرْباً ، وَلا أنَازِلُ أرْضَا
لا حَمَلْتُ الحُسَامَ إنْ لمْ أحَمّلْ	هُ رُؤوسَ العِدى قِرَاعاً وَعَضّا
فِعْلُ مُسْتَثْقِلِ الحَيَاةِ يَعُدّ الـ	ذّلّ بَعثاً عَلى المَنُونِ وَحَضّا
مُسْتَمِيتاً يَرَى التّحِيّةَ بالضّيْـ	مِ لِطَاماً ، وَالعَارَ جُرْحاً مُمِضّا
طارِحاً نَفسَهُ عَلى كُلّ هَوْلٍ ،	قَد تَعامَى عَنهُ الجَبانُ وَأغضَى
حَيثُ يَلْقَى ضَرْبَ السّيوفِ أخادِيـ	ـدَ تَمُجّ الدّماءَ وَالطعنَ وَخضَا[5]
وَفُتُورٌ مِثْلُ الأُسُودِ أعَدّوا	لقَنِيصِ العَلْيَاءِ وَثْباً وَرَبْضَا

1 الجلال : العظيم . الجذاب : المنازعة . النقض : البناء المنقوض ، المهدم

2 الدحض : الزلق .

3 البرض : القليل .

4 يفضى : يفتقر .

5 الوخض : الطعن يخالط الجوف ولم ينفذ .

فَوْقَ أكْوَارِ ضُمَّرٍ أقلَقَ النِّسْـ ـعَ قَدِيمُ اضْطِمَارِهَا وَالغَرضَا

كُلَّمَا اجلَوّذَ الظّلامُ استَلَذّوا لَعِبَ اللّيْلِ بالطِّلاحِ الأنْضَا[1]

كُلُّ مُسْتَعْسِفِ اليَدَيْنِ بِقَوْسِ الـ ـمَجدِ يَرْمي عن المكارِمِ عرْضَا

حامِلٍ بَزّهُ عَلى رَبِذِ التّقْـ ـرِيبِ إنْ أسْخَطَ الضّوَامرَ أرْضَى[2]

مُنقَعاً في مَاءِ النّجَابَةِ مَنْسُو باً لُبَاباً إلى المَنَاجيبِ مَحْضَا

سَوْطُهُ نِسْعَةُ العِنانِ ، إذا حَـ ـرّكَ جلّى إلى المُرَادِ وَأفْضَى

مِثْلُ بَازِ العَلْيَاءِ عَنّ لَهُ الطّعْـ ـمُ ، فَخَلّى يَفَاعَهُ وَانقَضّا

فَلَعَلّي ألْقَى المُنَى أوْ خِلاجاً مِنْ حِمَامٍ قضَى عَلَيّ وَأمضَى

رَاكِباً صَهْوَةَ الخِطَارِ عَقِيداً لِبَنَاتِ الفَلا ، يَجُبْنَ الأرْضَا[3]

كَابِناً للأُنُوفِ جَدْعاً وَرَغْماً ، وَلِهَامِ الأعداءِ وَقْماً وَغَضّا[4]

بَرْدُ عِزٍّ ، أوْ حَرُّ نَصْلٍ ، فإنّي أجِدُ اليَوْمَ في ضُلُوعِيَ رَمْضَا

[1] اجلوذ : أسرع ومضى . الطلاح : الإبل المعيية . الأنضاء ، الواحد نضو : المهزول من الحيوان

[2] الربذ : السريع . التقريب : ضرب من المشي .

[3] الخطار : المراهنة ، ولعله اسم فرس . العقيد : المعاهد . بنات الفلا : أراد بهن وحوش الفلا

[4] كابناً : هكذا في الأصل ولعلها محرفة عن كابتاً أي مذلا ، مخزياً . الوقم : القهر .

بخل وذل

مَوَاقِدُ نِيرَانِهِمْ قِرّةٌ ، وَسِرْبَالُ طَاهِيهِمُ أبْيَضُ
إذا حُرّكُوا للمَسَاعي أبَوْا ، وَإنْ أُنزِلُوا دارَ ضَيْمٍ رضُوا

اليوم الأبيض

حَذارِ ، فإنّ اللّيثَ قَدْ فَرّ نَابُهُ ، وَقَدْ أوْتَرَ الرّامي المُصِيبُ وَأنبَضَا[1]
أُسَرّ بِمَنْ أرْجَا إلى اليَوْمِ يَوْمَهُ ، فأدْرَكَ مَا يَهوَى، وَآسَى لمَنْ مضَى
وَقَدْ كُنتُ أدْعُو أنْ تُؤخَّرَ مُدّتي لَعَلّي أرَى يَوْماً مِنَ العَدْلِ أبيَضَا

١ فر : كشف . انبض : رمى عن قوسه .

أهلاً به

أهْلاً بِهِ مِنْ رَائِحٍ مُتَصَعِّدٍ ، بخَوَالِجٍ مِنْ بَرْقِهِ وَنَوَابِضِ
هَزِجِ البُرُوقِ ، كأنّهُ مُتَمَطِّقٌ بأرَاقِمٍ قِلْنَ الرّمالَ نَضَانِضِ[1]
حَتّى يَقُولَ السّاهِرُونَ لوَمْضِهِ : نَضَرَ العِرَاقُ بقَطْرِ هذا العارِضِ

باقٍ مضيء

ضَوْءاً ، حِينَ أوْمَضَا ، مَنْبِتَ الرّمْلِ وَالغَضَا
بَارِقاً مُزْنُهُ أطَالَ اسْتِنَاناً وَأعْرَضَا[2]

طول الأرض وعرضها

لِغَيْرِ تَقْدِيرٍ ذَرَعْنَ الأرْضَا ، حتّى عَلِمْنَ طُولَهَا وَالعَرْضَا

١ المتمطق : المصوت . ولعلها متمطق بأراقم : أي متزنر بالحيات . قلن : نمن القيلولة . النضانض، الحيات التي تحرك ألسنها ، أو التي لا تستقر بمكان .
٢ استنان : اضطراب . أعرض : ظهر .

لجام المشيب

قال في المشيب

لِجَامٌ للمَشيبِ ثَنَى جِماحي، وَذَلَّلَني لأيّامٍ وَرَاضَا
أُقَرُّ بِلُبْسِهِ، ولَقَدْ أرَاني أُجاحِدُهُ إبَاءً وَامتِعَاضَا
تَعَوّضْتُ الوَقَارَ مِنَ التّصَابي، لَشُدّ عَلى المُعَوَّضِ ما استَعاضَا
لَوَى عَنّي الخُدودَ مِنَ الغَوَاني، وَقَطّعَ دُونيَ الحَدَقَ المِرَاضَا
فَصَارَ بَياضُهُ عِندي سَوَاداً؛ وَكانَ سَوَادُهُ عِندي بَيَاضَا

قل للعدى عضوا الأخامص

قال في غرض له وقيل إنه
عاتب بها أباه وأخاه في أمر جرى :

رَضِيتُ منَ الأحبابِ دونَ الذي يُرْضِي، وَدايَنْتُ من تُقضَى الديونُ وَلا يَقضِي
وَقَدْ أنْهَرَتْ فيّ اللّيَالي جِرَاحَها مِرَاراً، وَأنضَاني مِنَ الهَمّ ما يُنضِي[1]

[1] انهرت : وسعت . أنضاني : أهزلني .

طوَى الدّهرُ أسبابَ الهوَى عن جوَانحي، ... وَحلّ الصِّبا عقدَ الرّحايلِ عن نقضي[1]
ولَمْ يبقَ لي في الأعينِ النُّجلِ طَرْبَةٌ، ... ولا أرَبٌ عندَ الشّبابِ الذي يَمضِي
أضَحَى اليَوْمُ عن ظِلِّ الشّبيبةِ مَفرَقي، ... وأبدَلَ مُسْوَدّ العِذارِ بِمُبْيَضّ
تَنائي، وَممْطُولٌ مِنَ النّأيِ بَينَنا، ... قَوَارِصُ تَنبُو بالجُفونِ عن الغُمضِ
وَمولًى ورَى قَلْبي بِلَذْعَةِ مِيسَمٍ ... من الكَلِمِ العَوْرَاءِ مَضّاً على مَضّ
فَعُذْراً لأعدائي، إذا كَانَ أقرَبي ... يُشذّبُ من عُودي ويَعرُقُ من نَحضِي
إذا مَا رَمَى عِرْضِي القَرِيبُ بسَهمِه ... عذَرْتُ بَعيدَ القَوْمِ إمّا رَمى عِرْضِي
ألَمْ يَأتِهِ أنّي تَفرّدْتُ بَعْدَهُ، ... رَوَابيَ للعَلْيَاءِ جاشَ لهَا نَهْضِي
وَأنّي جَعَلتُ الأنفَ من كُلّ حَاسِدٍ ... قِبالي وَخَدّيْ كلّ مُضْطغِنٍ أرْضِي[2]
وكَمْ مِنْ مَقامٍ دونَ مَجدكَ قُمتُه ... عَلى زَلَقٍ بَينَ النّوَائِبِ أوْ دَحْضِ[3]
وَقارَعْتُ مَنْ أعيَاكَ قَبْلَ قِراعِهِ، ... فَدَامَجَني بَعدَ التّشاوُرِ وَالبُغضِ[4]
لَقَدْ أمستِ الأرْحامُ مِنّا عَلى شفاً، ... فَأخلِقْ بمُشْفٍ لا يُعلَّلُ أنْ يقضِي
رَأيتُ مَخيلاتِ العُقُوقِ مَليحَةً، ... فلا تجعلَنْ برْقَ الأذى صَادقَ الوَمضِ
وَلا تُشْمِتَنْ مَنْ وَدّ لَوْ أنّنَا مَعاً ... شَحيحانِ تُلطينا الجَنادلُ بالأرْضِ[5]

١ النقض : المهزول من السير ناقة كان أم جملا .
٢ القبال : زمام النعل بين الإصبع الوسطى والتي تليها
٣ الدحض : المكان الزلق .
٤ دامجني : وافقني .
٥ تلطينا : تلزقنا .

إذا كُنتُ أُغضي ،والقَوَاذِعُ جَمّةٌ ، فمِثلُكَ أَولى أنْ يرُمّ وَأنْ يُغضي[1]

عَلى غُصَصٍ لوْ كنّ في البَدرِ لمْ ينُرْ ، وَفي العُودِ لم يُورِق وَفي السّهمِ لم يَمضِ

رُزِئتُكَ حَيّاً بالقَطيعَةِ وَالقِلَى ، وَبعضُ الرّزَايا قبلَ يومِ الفَتى المقضي

أُناديكَ فَارْجعْ مِنْ قَرِيبٍ ، فإنّني إذا ضَاقَ بي ذَرْعي مضَيتُ كما تَمضِي

لقَدْ كانَ في حُكمِ الوَشائجِ لوْ رَأى عَنِ المَجدِ بُطئي أن يُبالغَ في حَضّي

فكَيفَ وَلمْ تَخرُجْ مَناديحُ هِمّتي ، وَلا ذَمّتِ العَلْيَاءُ بَسطي وَلا قَبضي[2]

إذا هُوَ أغضَى ناظِرَيّ عَلى القَذَى ، وَكانَ لمِثْلي مُسخِطاً فلِمَنْ يُرْضِي

خَليليّ مَا عُودي لأوّلِ غَامِزٍ ، وَلا زُبدُ وَطْبي للمُقيمِ على مَخضِ

فقُلْ للعِدى عَضّوا الأخامصَ إنّكمْ تَعَرّقتُمُ الأيْدِي عَليّ مِنَ العَضّ[3]

هُمُ نَقَضُوا مَا قَدْ بَنَى أوّلُوهُمُ ، وَشِدْنا وَهَيهاتَ البِناءُ من النّقْضِ

وَفي كُلّ يَوْمٍ يَصْبُغُ العَارُ مِنهُمُ رِداءَ امرِىءٍ وَالعارُ باقٍ على الرّحضِ[4]

يُرِيدُونَ أنْ يُخفُوا النّوَاقِرَ بَينَنا ، وَقدصَاحتِ الأضْغانُ في الحَدَقِ المُرْضِ[5]

ذَكَرْتُ حِفاظي وَالحَفيظَةُ في الحَشا لهَا نَغَضَانُ العِرْقِ يُحفَزُ بالنّبضِ[6]

دَعَوْتُكُمُ قَبْلَ الّتي لا شَوًى لهَا ، وَقلتُ لهم: فيئوا إلى الخُلُقِ المُرْضِي[7]

١ القواذع ، من قذعه : رماه بالفحش . يرم : يصلح .
٢ المناديح ، الواحدة مندوحة : السعة .
٣ الأخامص ، الواحد أخمص : باطن القدم .
٤ الرحض : الغسل .
٥ النواقر : الكلام المسيء .
٦ الحفيظة : الغضب . النغضان : التحرك . يحفز : يدفع .
٧ الشوى : الأمر الهين . فيئوا : عودوا .

رِدُوني نَميراً قبلَ أنْ أحملَ القَذى، ولا تَرِدُوا إلاّ عَلى الثَّمَدِ البَرْضِ
وَلُسّوا جَميمي قبلَ أنْ يَمنعَ الحِمى إبَائي أوْ يُوبَى على رَعيكُمْ حَمْضِي
وَمن قَبلِ أن يَسدي المُعادونَ بَيْنَنَا بُرُودَ الخَنا ما شئتُ في الطولِ والعرْضِ
وَلا تَرْكَبُوا سِيسَاءَ داميَةَ القَرَا ، بلا حقبٍ تَطوِي البلادَ وَلا غَرضِ[1]
تَقُوا عَارَ حَرْبٍ لا يَعُودُ مُثيرُهَا وَإنْ غَلَبَ الأقرَانَ إلاّ عَلى رَمْضِ
وَلا تُولِجُوا زَورَ العُقوقِ بِبُيُوتِكُمْ ، أُناشِدُكُمْ باللهِ في الحَسَبِ المَحضِ
أرَاهَا بِعَيْنِ الظّنّ حَمْرَاءَ جَهْمَةً ، ستَجرِي إلى عارِ العَوَاقبِ أوْ تُفضِي
تَهَضّمَني مَنْ لا يكُونُ لِغَيْرِهِ مِنَ النّاسِ إطرَاقي على الهُونِ أوْ غَضّي
أُفَوِّقُ نَبلَ القَوْلِ بَيْني وَبَيْنَهُ ، فيُوْلِمُني مِنْ قَبلِ نَزْعي بها عِرْضِي
وَأرْجِعُ لمْ أُولِغْ لسَانيَ في دَمي ، وَلَمْ أُدْمِ أعضَائي بنَهشِي وَلا عَضّي
إذا اضْطَرَمَتْ ما بَينَ جَنبيّ غَضْبَةٌ شَفَعتُ على نفسِي بنفسِي فكَفكَفتُ
وكادَ فَمي يُمضِي من القوْلِ ما يُمضي من الغيظِ وَاستعطفتُ بعضِي على بعضِي

[1] السيساء : منتظم فقار الظهر . الحقب : الحزام الذي يلي حقو البعير . الغرض : التصدير للرحل ، وهو كالحزام .

لو لا الندى

أرَى مَوْضِعَ المَعرُوفِ لَوْ أستَطيعُهُ، وَأغضِي وَلوْ شاءَ الغنى ليَ لم أُغضِ

ألاحِظُ خَلاّتِ الكِرَامِ بِغُصّةٍ، وَيَقصُرُ مالي عن بُلُوغِ الذي يُرْضِي

وَأقبِضُ كَفّي عَن عَطايَ وَقد يُرَى ذَهابي بها عندَ الفُضُولِ عن القَبضِ

تُقَتّلُنَا هَذي اللّيَالي وَلا تَدِي، وَتَستَقرِضُ الأيّامُ مِنّا وَلا تَقضِي

وَلَوْلا النّدى ما طأطأ العُدْمُ هَامَتي، وَلا كانَ يُنضِيني من الهَمّ ما يُنضِي

وَكَيفَ وُفُورُ العِرْضِ وَالمَالُ وَافرٌ، وَمن يَخزُنِ الأموَالَ يُنفقْ منَ العِرْضِ

وَمِنْ عَدَمٍ أقرِي النّوَازِلَ عِذْرَةً، وَلَوْ حلّ لي لَحمي قرَيتُهُمُ بَعضِي

ما سرني ليسوءني

قالُوا: تَزَاوَرَ عِطفُهُ، وَأرَابَنَا إيمَاضُهُ

وَأبَى إبَاءَ الصّعْبِ لا يَسْطِيعُهُ رُوّاضُهُ

غَضْبَانُ سُلّ خِطَامُهُ عَنْهُ وَحُلّ إبَاضُهُ[1]

١ الاباض : الحبل الذي تشد به يد البعير .

عَطَلَتْ رُباهُ مِنَ الصّفا ءِ ، وَعُرِّيَتْ أنْقَاضُهُ
إنْ يَستَعِضْ منّي ، فلا مَغْبُوطَةٌ أعْوَاضُهُ
قَدْ عزّ مَنْ يَعتَاضُ منه وَذَلّ مَنْ يَعتَاضُهُ
هَيْهَاتَ لا أحْبَابُهُ منّي ، وَلا أبْغَاضُهُ
مَا سَرّني إقْبَالُهُ ، فَيَسُوءني إعْرَاضُهُ

حرف الطاء

أبا علي

قال رحمه الله يرثي أبا علي الحسن بن أحمد الفارسي النحوي وتوفي ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ٣٧٧ ودفن بالشونيزية عند قبر أبي بكر الرازي الفقيه وكان قد تجاوز التسعين سنة :

أبَا عَليٍّ لِلألَدِّ إنْ سَطَا ، وَلِلخُصُومِ إنْ أطَالُوا اللّغَطَا

تُصِيبُ عَمداً إنْ أصَابُوا غَلَطَا ، وَلُمَعٌ تَكْشِفُ عَنهُنّ الغِطَا

كَشفَكَ عَن بِيضِ العَذارَيَ الغِطا ؛ وَمُصْعَبٍ للقَوْلِ صَعبِ المُمتَطَى

عَسَفتَ حتّى عادَ مَجزُولَ المَطَا دامي المِلاطِ رحلُهُ قَد أغبَطَا[1]

وَسَائِرَاتٍ بالخُطَى لا بالخِطَا ، شَوَارِدٍ عَنكَ قَطَعنَ الرُّبُطَا

كمَا رَأيتَ الخَيلَ تَعدُو المَرَطَى ، ألبَستَ فيها كلَّ أذْنٍ قُرُطَا[2]

١ مجزول : مقطوع . المطا : الظهر . الملاط : جانبا السنام . أغبط : لعله أراد أنه صار كالغبيط ، وهو الرحل يشد عليه الهودج .

٢ المرطى : ضرب من العدو .

قَدْ وَرَدَتْ أفهامنَا وِرْدَ القَطَا ؛ وَمُشْكِلاتٍ ما نَشطنَ مَنْشَطَا
عِطَالُها بِمِقْوَلٍ ، إذا عَطَا مَيّزَ مِنْ دَيْجُورِها ما اختَلَطَا[1]
غَلَّلَ مَا بَيْنَ العِقَاصِ المُشُطَا ، ضَلّ المُجَارُونَ وَمَا تَوَرّطَا
مَلّوا مُجارَاةَ فَنِيقٍ قَدْ مَطَا ، قَرْمٌ يَهُدّ الأرْضَ إنْ تَخَمّطا[2]
مَلّ المَطيُّ القَرَبَ العَنَطْنَطَا ، تَطَرّفُوا الفَجّ الذي تَوَسّطَا[3]
لا جَزِعاً أوْدَى وَلا مُغْتَبِطَا ، كانُوا العَقَابِيلَ ، وكنتَ الفَرَطَا[4]
عندَ السّرَاعِ يَعرِفُ القَوْمُ البِطا ، أرْضَى زَمَانٌ بِكَ ثُمّ أسْخَطَا
مَا أطْلَبَ الأيّامَ مِنّا شَطَطَا

اين السريع الى المنايا

يرثي صديقاً له من العرب :

كَأنّكَ لَمْ تَقُدْ بِعُوَيرِضَاتٍ ، أبَا العوّامِ ، فِتيَاناً قِطَاطَا[5]
وَلَمْ تَحْمِلْ عَلَى الأعداءِ مِنهُمْ قَنًا لَدْناً وَأيْمَاناً سِبَاطَا

١ عطالها : لعله من عطلت المرأة : لم يكن عليها حلي ، عطا الشيء : تناوله .
٢ تخمط : هدر .
٣ القرب : سير الليل . المنطنط : الطويل .
٤ العقابيل : بقايا العلة . الفرط : السابق .
٥ عويرضات : موضع . القطاط : القصار الشعر .

إذا المَنْجُودُ نَبّهَهُمْ طُرُوقاً رَأى زَعَلَ الشّبيبَةِ وَالنّشَاطَا[1]
قِيامَ السّمْهَرِيّ تبادَرُوهَا ، وَقَدْ لَبِسُوا المَخيلَةَ وَالشِّطاطَا[2]
وَكَمْ تَسُقِ الجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ ، تُجَشِّمُهَا المَغاوِرَ وَالوِرَاطَا
وَتُرْسِلُهَا العَرَضْنَةَ صَادِيَاتٍ مُبَادرَةً إلى المَاءِ الغُطَاطَا[3]
تُصِيبُ بهَا فَوَاغِرَ كُلّ ثَغْرٍ ، كأنّكَ تُرْسِلُ النَّبلَ المِرَاطَا
فَلَيْنَ مَفَارِقَ المَعزَاءِ وَخْداً ، كَفَلْيِ الأنْمُلِ اللِّمَمَ الشِّمَاطَا
وَمَنْ جَعَلَ الدّليلَ لهُ ابنَ ليلى ، فَلَنْ يَخشَى الضّلالَ وَلا الغِلاطَا
وَنَاجِيَةٍ تُسَاقِطُها حَسِيراً ، سِقاطَ حُسامِكَ البُدنَ العِبَاطَا
وَتُطْلِقُ رَحْلَها وَالفَجْرُ طِفْلٌ وَقَدْ أكَلَ البَوَانيَ وَالمِلاطَا[4]
وَشَاذِبَةٍ طَوَيْتَ بِهَا اعتِسَافاً ، بِسَاطَ الدّوّ ، إنّ لَهُ بِسَاطَا[5]
ذَوَارِعَ للبِلادِ بِغَيرِ حَادٍ ، تَخَالُ فضُولَ أنسُعِها سِيَاطَا
وَعُدْتَ بِها تُسَاوِكُ مِنْ وَجاها دَبِيبَ النّملِ يَنتَعِلُ البَلاطَا[6]
وَمُنْخَرِقٍ كَأنّ عَلى رُبَاهُ مِنَ الظُّلَمِ الأكِنّةَ وَاللِّيَاطَا[7]

١ المنجود : المغموم . زعل الشبيبة : نشاطها .
٢ المخيلة : الكبر . الشطاط : حسن القامة واعتدالها .
٣ العرضنة : الناقة تمشي معارضة . الغطاط بالضم : الصبح ، وبالفتح : القطا .
٤ البواني : أضلاع زور الدابة وقوائمها .
٥ الشاذبة : الضامرة . الدو : الفلاة .
٦ تساوك : تسير سيراً ضعيفاً .
٧ الأكنة ، الواحد كن : الستر ، والبيت . اللياط ، الواحدة ليطة : القوس والقناة .

تَعَلَّقَتِ النّجُومُ بِجَانِبَيْهِ ، كَأنَّ اللّيْلَ ألْبَسَهَا القِرَاطَا
طَعَنْتَ ظَلامَهُ بالرَّكْبِ حتّى رَأيْتَ لَهُ انجِيَاباً وَانعِطَاطَا[1]
وكُلٌّ فتًى تَبَطّنَ بَيْتَ نَبْعٍ ، وَصَيّرَ غِمْدَ قَاطِعِهِ إبَاطَا[2]
أغَيْلِمَةٍ زَحَمْتَ بِهَا الأعَادي تَعَاطَى بالذّوَابِلِ مَا تَعَاطَى
تَخَالُ عَلى عَوَامِلِهَا ، إذا مَا وَرَدْنَ الطّعنَ ، ألسُنَها السِّلاطَا
وَيَوْمٍ للوَقِيعَةِ ذي أُوَارٍ ، كَكِيرِ القَيْنِ أُوقِدَ فاستَشَاطَا
فَرَقْتَ جُمُوعَهُ فَرْقَ العَنَاصِي وَقد مَرَجَ الطِّعَانُ به اختِلاطَا[3]
تُعاطَى كَأسَهُ فتَعُبّ فِيها ، وَيُحتَقَرُ الجَبَانُ فَلا يُعَاطَى
جَعَلْتَ طُلَى العِدى فيه اقتِرَاحاً عَلى بِيضِ القَوَاضِبِ وَاشتِرَاطَا
تُغَلْغِلُ في جَماجِمِها العَوَالي ، كمَا غَلْغَلْتَ في اللِّمَمِ المِشَاطَا
تَتَرّى بَعدَ يوْمِكَ كُلُّ خَطبٍ، كَأنّكَ كُنتَ للجُلّى رِبَاطَا[4]
ألا أينَ السّرِيعُ إلى المَنَايَا ، إذا المِعزَالُ عَرّدَ ، أوْ تَبَاطَا
إذا وَلَجَ الرِّوَاقَ رَأيْتَ مِنْهُ طَوِيلَ البَاعِ قَد غَمَزَ السِّمَاطَا
وكُنتُ إذا أخَذْتُ بِمَنكِبَيْهِ ، غَدَاةَ الضّيقِ ، فَرّجَ لي الضِّغَاطَا
وكَمْ بَزْلاءَ صِيحَ بِها إلَيْهِ ، تَطَاطَا لها تَجزُكَ ، فَما تَطاطَا

١ انجياب : انخراق . انعطاط : انشقاق .
٢ الاباط : ما يوضع تحت الإبط .
٣ العناصي : قطعة من إبل أو غنم . مرج : خلط .
٤ تترى : تواتر .

فَقُولا للمُنَقِّضِ مِذْرَوَيْهِ : خُضِ الأمْرَ انغِماساً وَانغِطَاطَا
مِرَاسُ الحَرْبِ أسحَبَهُ العَوَالي، وَطُولُ الأمْنِ أسحَبَكَ الرِّيَاطَا
هُمُ حَمَلُوا لكَ الإحسانَ عَفواً، فَدُونَكَهُنّ وَلْغاً وَاستِرَاطَا
حَمَوْكُم، وَالأسِنّةُ في الهَوَادي، وُقُوعَ الطّيرِ تَبْتَدِرُ اللِّقَاطَا
غداةَ خلا بِدارِكُمُ الأعَادي ، فَلَمْ يَدَعُوا لحَوْضِكُمُ لِيَاطَا
تُشَقِّقُ في جُلُودِكُمُ العَوَالي ، كَأنّ الطّعْنَ يُلْبِسُها الرِّهاطَا
بِكُلّ قَرَارَةٍ مِنكُمْ لَحِيمٍ ، يُقَضّي اللّيلَ زَفْراً وَانتِحَاطَا
أجَمَّكُمُ ، وَلاقَى عَنْ عُلاكُم عِضَاضَ الطّعنِ وَالضّرْبَ الخِلاطَا
وَمَدّ بِبُوعِكُمْ حَتّى غَدَوْتُم وَعَالي النّجْمِ أقرَبُكُمْ مَنَاطَا
وَحَلّقَ مَضرَحيٌّ كانَ فيكُمْ ، وَإنّ لِكُلّ طَائِرَةٍ سِقَاطَا[1]
فَلا تَبعَدْ رِجَالٌ مِنْ قُرَيشٍ ، وُسِمتُ بِهِمْ فلَمْ أعدُ العِلاطَا
رَعَوْا تَلَعَاتِ هذا المَجدِ لَسّاً بِأنْيَابِ العَوَامِلِ ، وَانتِشَاطَا
تَخَيّرَهُمْ حِمَامُ المَوْتِ مِنّا ، خِيَارَ الرّائِدِ اعتَرَضَ النِّمَاطَا
تَدَاعَوْا، كالسُّلُوكِ وَهَتْ قُوَاها، مُرُوقاً بالنّوَائِبِ وَانْخِرَاطَا
مَضَوْا مِنْ كُلّ أغلَبَ مُستَميتٍ إذا مَا العَارُ جَلّلَهُ أمَاطَا
نَأوْا عَنّي، فضَعضَعَني نَوَاهُمْ، وَمَا كانُوا ، فقَدْ قَطَعوا النِّيَاطَا

١ المضرحي : الصقر الطويل الجناح .

راض وساخط

قال في النسيب :

سَنَحَتْ لَنَا بِلِوَى العَقِيقِ ، وَرُبَّما عَرَضَ الزُّلالُ وَزِيدَ عنهُ الفارِطُ

قَلْبِي وَطَرْفِي ، يَوْمَ حُمَّ لِقَاؤُهَا، ضِدّانِ ذا رَاضٍ وَهذا سَاخِطُ

نَظَرَتْ بلا قصْدٍ فأقصَدتِ الحَشَا ، وَيُذيقُ طَعمَ المَوْتِ سَهْمٌ غَالِطُ

قُلْ للغزَالِ إذا مَرَرْتَ بذي النّقَا ، فَلَعَلّ جَأشَكَ للبَلابِلِ رَابِطُ

لِمْ أنْتَ في هِبَةِ القَلِيلِ مُنَاقِشٌ أبَداً ، وَفي عِدَةِ الوِصَالِ مُغَالِطُ

ظالم متحكم

قال في غرض له :

مَا لِذا الدّاني إلى القَلْبِ شَحَطْ ، وَغَرِيمِ الحُبّ بالدَّيْنِ ألَطّ

ظَالِمٌ قَلَّدَ أحْكَامَ الهوَى ، طَالَمَا جَارَ عَلَيْنَا وَقَسَطْ

نَسْخَطُ الشّيْءَ وَنَرْضَاهُ ، إذا لَمْ تَرَ العُتْبَى عَلى طُولِ السَّخَطْ

كُلَّ يَوْمٍ لي خَصِيمٌ ضَالِعٌ ، وَالمَقَادِيرُ لهَا حُكْمٌ شَطَطْ

عَجِبَتْ أنْ عادَ شَغْباً مَنطِقي ، كلُّ ذي حِلْمٍ ، إذا ضِيمَ ، لَغَطْ

وَرَأَتْ وَخْطَ بَيَاضٍ طَارِقٍ ، وَخَطَ التَّهْمَامُ قَلْبِي ، فوُخِطْ[1]
مَا لَهَا تُنْكِرُ مَعْ هَذَا الشَّجَى وَقَعَاتِ الشَّيْبِ بِالجَعْدِ القَطَطْ
وَأَرَى عُودِي ، عَلَى صَمَّائِهِ ، أَنَّ مِنْ غَمْزِ اللَّيَالِي وَنَحَطْ
مُوقَراً يَحْبِسُنِي عَنْ غَايَتِي ، لا المَدَى يُطْوَى وَلا العِبْءُ يُحَطّ
إنَّ قَوْمِي صَدَّعَتْهُمْ نَوْبَةٌ ، شِقَقَ البُرْدِ اليَمَانِيِّ يُعَطّ[2]
خِلْتُهُمْ ، وَالخَطْبُ يَعْتَامُهُمُ ، شَجَرَ الوَادِي رَمَاهُ المُخْتَبِطْ
وَكَمَا خَايَلَ يَوْماً عَاقِرٌ ، كُلَّمَا ثَارَتْ لَهُ البُدْنُ عَبَطْ
تَبِعُوا أَمْرَ المَقَادِيرِ فَهُمْ قَاطِنٌ يَظْعَنُ ، أَوْ دانٍ يَشُطّ
فُلَّ أَحداثٍ رَمَى الدَّهْرُ بِهِمْ ، فَهُمُ في رُقَعِ الدَّهْرِ نُقَطْ
ذاقَهُمْ مُسْتَحْلِياً أَرْوَاحَهُمْ ، وَرَأَى المَضْغَ طَوِيلاً ، فاسْتَرَطْ
يَصْطَفِي كُلَّ كَرِيمٍ مِنْهُمُ ، وَإذا اسْتَكْرَمَ ذو العَقْبِ رَبَطْ
وَبَوَاقٍ غَيْرُ بَاقِينَ ، وَكَمْ يَلْبَثُ القَارِبُ مِن بَعدِ الفَرَطْ
كَمْ طَوَى المَوْتُ لهمْ مِنْ بَهمةٍ خائِضِ الغَمرَةِ فَرّاجِ الضَّغَطْ
وَجَوَادٍ مُتْعَبٍ مِضْمَارُهُ ، كُلَّمَا لَزَّتْ بِهِ الخَيْلُ مَعَطْ
سَلْهُمُ ، أَوْ فَسَلِ الرَّوْعَ بِهِمْ ، يَوْمَ خِدرُ الشَّمسِ بالنَّقعِ يُلَطّ
يُبْصِرُ النَّاسُ عَلَى أَيْدِيهِمُ قَصَبَ الأعنَاقِ بالبِيضِ يُقَطّ
أَقبَلُوا الأعداءَ مُلْتَفَّ القَنَا ، بَيْنَ مَعرُوضٍ وَمَجرُورٍ يُحَطّ

[1] وخط : طعن . التهمام : لعله مصدر همّ على تفعال بمعنى القلق والحزن .
[2] يعط : يشق .

تُحْسَبُ الأَرْمَاحُ مِنْ قَعقَاعِها شَجَراً للطَّيرِ ، فيهنّ لَغَطْ

وَمَوَاضٍ تُنْشَرُ الهَامُ لَهُمْ ، هَبّةَ العَاصِفِ تَرْمي بِالخَبَطْ

فَارَقُونَا ، فَبَقِينَا بَعْدَهُمْ كَالرّذايا ، وُضِعَتْ عَنها الغُبُطْ

في ذُنَابَى مَعْشَرٍ جِيرَانُهُمْ مُضَغٌ للخَطْبِ يَغدُو ، أوْ لُقَطْ

لَيْسَ بالرّاضي ، إذا نَبّهَهُمْ طَارِقُ اللّيلِ ، وَلا بِالمُغتَبِطْ

صُوَرٌ رَائِعَــةٌ لا يُرْتَجَى نَفْعُهَا ، مِثْلُ تَهَاوِيلِ النَّمَطْ

شَمَخُوا أنْ حَلّقَ الجَدُّ بِهِمْ ، غَلِطَ الدّهرُ ، وَكَمْ يَبقَى الغَلَطْ

كَسَلُ الأيّامِ عَنهُمْ غَرّهُمْ ، رُبّمَا جَاءَ زَمَانٌ قَدْ نَشَطْ

كُلُّ مَخْنُوقٍ عَلى جِرّتِه ، خَلَطَ العَجزَ بِشَوْكٍ ، فاختَلَطْ

إنْ رَأى المَغْرَمَ طَاطَا ، وَلَهُ حَاجِبٌ مِنْ حَافِرِ اللّوْمِ يُمَطّ

أهْمَلَ العِرْضَ عَلى عِلْمٍ بِهِ ، وَرَعَى، لمّا رَعَى، المَالَ فَقَطْ

طَمَعٌ وَرّطَني في حَبْلِهِمْ ، وَيُصَادُ الطّيرُ مِن حيثُ لُقِطْ

كُنْتُ أرْجُوهُمْ ثِمَاراً تُجتَنَى ، فَهُمُ اليَوْمَ قَتَادُ يُختَرَطْ

مَنْ عَذيرِي من رَصِيدٍ كَيدُهُ رَاشَ ما رَاشَ طَوِيلاً وَمَرَطْ

جَامِعٌ لي بَينَ فَخْرٍ وَأذًى ، رُبّمَا بَرّحَ بالأُذْنِ القُرُطْ

حَمَلَ الثّقْلَ عَلى ذي غَارِبٍ ، كُلّمَا عَجّ مِنَ الحَملِ ضَغَطْ

أتّقي الرّمْيَ ، وَلَوْ شِئْتُ مضَى كُلُّ مَطْرُورٍ إذا صَمّمَ عَطّ

وَإذا كَشّفْتُ مَا يُرْمِضُني من مَضِيضِ الداء قال الحِلم: غَطّ

كُلٌّ يَوْمٍ رَحِيمٌ مَنْبُوذَةٌ ، كَرَؤُومِ البَوِّ عَضْبَاءَ تَئِطّ[1]

مَطْرَحَ الشَّنَّةِ قَدْ أَيْبَسَهَا قِدَمُ العَهْدِ بِحَامِيِّ الأَقَطّ[2]

يَسْأَلُ البُقْيَا ، وَقَدْ أَحْمَيْتُهُ مِيسَماً لَوْ مَرَّ بالطَّوْدِ غَلَطْ

صَدَّقَ الوَاشِينَ ، فِيمَا زَعَمُوا ، فَنَأَى بالوُدِّ عَنِّي ، وَشَحَطْ

لا أَرَى الجِنَّ وَآفَاكاً بِهِ ، فِي دُجَى اللَّيلِ ، وَلا الوَحيُ هَبَطْ

نَفْثَةٌ مِنْ وَاغِرٍ جَمْجَمَهَا فِيكَ ، لَوْلا اللهُ وَالحِلْمُ قَسَطْ

١ العضباء : المشقوقة الأذن . تئط : تئن .

٢ الشنة : القربة البالية . الأقط : الغالي السعر .

حرف الظاء

انظر الى هذا الزمان

قال رحمه الله في الزهد :

قُلْ للهوَامِلِ في الدُّنا: ما بالُكُم كَالنَّائِمِينَ ، وَأَنْتُمُ أيقَاظُ
أينَ المَقاوِلُ وَالجَبابِرُ قبلَكُمْ ، فاضُوا على عِلَلِ الزّمانِ وَفاظُوا
مُتَنَافِسينَ عَلى المُقَامِ ، وَإنّما خَلْفَ الرّكائِبِ سائِقٌ مِلظَاظُ
اللَّبْثُ لَمْحٌ، وَالمُنَاخُ مُحَفَّزٌ ، وَالرَّعْيُ خَطْفٌ،وَالوُرُودُ لَمَاظُ[1]
انظُرْ إلى هَذا الزّمَانِ بعَيْنِهِ ، تَرْجِعْ إلَيْكَ بِمَقْتِهِ الألحَاظُ

١ اللماظ : الذوق بطرف اللسان .

خلة حر

قال رضي الله عنه

يا عمرو! لا أعرِفُ ثِقْلاً بهَظَكْ   خُلّةُ حُرٍّ ، فأعِرْها مَلْحَظَكْ

مِنْ قَائِمٍ عَلى العُلا ما أحفَظَكْ   ما نامَ عَن حاجَتِهِ مَنْ أيقَظَكْ

عض اليدين

أسيغُ الغَيْظَ مِنْ نُوَبِ اللّيَالي ،   وَمَا يَشعُرْنَ بالحَنَقِ المَغيظِ

أرَجّي الرّزْقَ منْ خُرْتٍ دَقيقٍ ،   يُسَدّ بسِلْكِ حِرْمَانٍ غَليظِ[1]

وَأرْجِعُ لَيْسَ في كَفّيّ مِنْهُ   سِوَى عَضّ اليدينِ على الحُظوظِ

[1] الخرت : الثقب .

حرف العين

أيامك الغرّ

قال يمدح الملك بهاء الدولة وأنفذها إليه وهو في البصرة وقد افتتحها في آخر سنة ٣٩٤ :

أَلْهَاكِ عَنّا ، رَبّةَ البُرْقُعِ ، مَرُّ الثّلاثِينَ إلى الأرْبَعِ
أنتِ أعَنتِ الشّيبَ في مَفرِقي ، مَعَ اللّيَالي، فصِلي، أوْ دَعي
يا حاجَةَ القَلْبِ ألَمْ تَرْحَمي جِنَايَةَ الدّمْعِ عَلى مَدمَعي
لَوْلا ضَلالاتُ الهَوَى لم يكُنْ عِنانُ قَلْبي لكِ بالأطْوَعِ
كيفَ طَوَى دارَكِ ذو صَبوَةٍ ، عَهْدِي بِهِ يَطرَبُ للمَرْبَعِ
كَانَ يَرَى نَاظِرَهُ سُبّةً إنْ مَرّ بالدّارِ وَلَمْ يَدْمَعِ
يا حَبّذا مِنكِ خَيالٌ سَرَى فَدَلّهُ الشّوْقُ عَلى مَضْجَعي
أنّى تَسَرّى من عَقيقِ الحِمَى مَنَازِلَ الحَيّ عَلى لَعْلَعِ
بَاتَ يُعَاطِيني جَنَى ظَلْمِهِ ، وَبِتُّ ظَمْـآنَ ، وَلَمْ أُنْقَعِ
مُعَانِقاً كَانَ عِنَـاقي لَهُ وَرَاءَ أحْشَائيَ وَالأضْلُعِ
عاقَرَني يَشْرَبُ مِنْ مُهْجَتي رَيّا ، وَيَسقيني مِنْ أدمُعي

هَل تُبلِغَنّي الدّارَ من بَعدِهم ... عَلى الطّوَى جائِلَةُ الأنْسُعِ

كَأنّ مَجرَى النِّسْعِ في ذَفّها ... مُضْطَرَبُ الأيْمِ على الأجرَعِ[1]

تَحمِلُني وَالشّوْقُ في كُورِها، ... أنّى دَعَاني طَرَبٌ أسمَعِ

إنّ بَهاءَ المُلْكِ إنْ أدْعُهُ، ... وَالخَطْبُ قَدْ نازَلَني، يَمنَعِ

رُبّ زِمَام ليَ في ضِمْنِهِ، ... لَمْ أتَقَوّلْهُ، وَلَمْ أدّعِ

مُصْطَنِعي وَالسّنُّ في رَوْقِها، ... أصَابَ مِنّي غَرَضَ المَصْنَعِ

لمْ أرْضَ إلاّهُ، وَمِنْ قَبلِهِ ... أقنَعَني الدّهْرُ، وَلَمْ أقنَعِ

أغَرُّ، إنْ رُوّعَ جيرَانُهُ ... لمْ يَذُقِ الغَمْضَ، وَلم يَهجعِ

كَأنّمَا الضّيمُ إلَيْهِ سَرَى، ... وَهْوَ عَلى المُطّلَعِ الأمْنَعِ

في حَسَبٍ أصْبَحَ وَضّاحُهُ ... قد غَلَبَ الشّمسَ على المَطلَعِ

لَئِنْ نَأى عَنّا، فإحسانُهُ ... أدْنَى مِنَ النّاظِرِ وَالمَسْمَعِ

سَوْمُ الحَيَا أقلَعَ عَنْ أرْضِنَا ... وَنَحنُ في آثارِهِ نَرْتَعِي

كَمْ نَفْحَةٍ مِنْهُ عَلى فاقَةٍ ... تُنبِتُ عُشْبَ البَلَدِ البَلْقَعِ

وَنَظْرَةٍ تَجبُرُ وَهْنَ الفَتَى، ... وَعَظمُهُ مُنصَدِعٌ مَا وَعِي[2]

إذا قَضَى مَرّ عَلى نَهْجِهِ، ... وَاستَوْقَفَ الحَقَّ على المَقطَعِ

كَم طارَ في مُلكِكَ ذو نَخوَةٍ ... قَالَتْ لَهُ رِيحُ المَنَايَا: قَعِ

---

١ النسع : سيور تشد بها الرحال . الذف : الإسراع . الأيم : الحية . الأجرع : رملة مستوية لا تنبت شيئاً .

٢ وعي : انجبر .

إنْ شَمَخَ اليَوْمَ بِعِرْنِينِهِ ، فَهوَ غَداً يَعطُسُ عَن أجدَعِ

لمْ يَلقَكَ المَغْرُورُ إلاّ غَدَا يُقَوَّمُ الجَنْبَ عَلى المَصْرَعِ

يَنْتَظِرُ الحَيُّ بِهِمْ هَتْفَةً من النّوَاعي وكأنْ قد نُعِي

من جاهِدٍ خابَ، وَمن طالِبٍ أوْفَى عَلى الفَجّ وَلَمْ يَطْلُعِ

وَمُسْرِعٍ أقْلَعَ مِنْ عَثْرَةٍ رَوْعاءَ ، وَالعَثْرَةُ للمُسرِعِ

وَنَادِمٍ أطرَقَ عَنْ حِزْبِهِ ، قَدْ نَادَمَ النّاجِذَ بالإصْبَعِ

مَعَاشِرٌ مَا اختَلَطُوا بالعُلَى ، وَلا رَبَوْا وَالعِزّ في مَوْضِعِ

شابَهَتِ السّوْأةُ ما بَيْنَهُمْ ، مَا أشْبَهَ الحَالِقَ بالأنْزَعِ

ارْتَضَعُوا وَالعَارَ مِنْ فِيقَةٍ ، وَنَزَعُوا وَاللّؤمَ مِنْ مَنْزِعِ

مِنْ عاقدٍ أغدَرَ مِنْ مُومِسٍ ، وَوَاعِدٍ أكذَبَ مِنْ يَلمَعِ[1]

رَامُوكَ بالأيدي وكانَ السُّهَى أعلى مِنَ انْ يُدرِكَ بالأذْرُعِ

قَدْ عَلِمُوا عندَ قِرَاعِ الصّفَا أنّ الصّفا العاديّ لمْ يُقْرَعِ

قُلْ لِبُهامٍ نُشِرَتْ في الرُّبَى: هذا قِوَامُ الدِّينِ ، فاستَجمعي

قد أصْحَرَ الضّيغَمُ مِنْ غيلِهِ ، أظفُورُهُ مِنكِ عَلى مَطْمَعِ

غَضْبَانَ قَدْ غَرّكِ هَمْهامُهُ عَلى مَجازِي اللّقَمِ المَهْيَعِ[2]

كَمْ فيكِ مِن خَرْقٍ لأظفارِهِ ، كَمَلغَمِ الأشدَقِ ، لمْ يُرْقَعِ[3]

١ اليلمع : البرق الخلب ، السراب .
٢ اللقم : معظم الطريق . المهيع : الواضح ، البين .
٣ الملغم : الفم .

لَيسَ كَغَزْوِ الذّئبِ بُهمَ الحِمى، إنْ مَرّ بالسَّخْلَةِ لمْ يَرْجِعِ

إنْ لمْ تُشاوِرْ حِلمَهُ تُصْبِحِي وَلِيمَةَ الذّوْبَانِ وَالأضْبُعِ[1]

يَستَمِعُ الرّأيَ، وَعَنهُ غِنًى، قد يُصْقَلُ السّيفُ وَلم يُطبَعِ

لا بُدّ أنْ تُرْمِضَ رَوْعَاتُهُ، وَإنْ عَفَا اليَوْمَ وَلمْ يُوقِعِ[2]

وَالسّيفُ إنْ مَرّ عَلى هَامَةٍ رَوّعَها إنْ هُوَ لَمْ يَقْطَعِ

قُلْ لِحَسُودِ النّجمِ في فَوْتِهِ: عِشتَ بداءِ الكَمَدِ المُوجِعِ

لا بُدّ للبِطْنَةِ مِنْ خَمْصَةٍ، فَتَجُعْ على غَيظِكَ أوْ فاشبَعِ

أمَا نَهَى الأعداءَ مَا جَرّبُوا منكَ بزَعزَاعِ القَنَا الشُّرَّعِ

مَوَاقِفُ تَفسَخُ فيها الظُّبَى عُقدَةَ رَأيِ البَطَلِ الأرْوَعِ

أيّامُكَ الغُرّ تَسَرْبَلْتَهَا مثلَ مُتُونِ القُضُبِ اللُّمّعِ

أفاقَتِ البَصرَةُ مِنْ دائِها، وَقَدْ وَقَى النّاسَ وَلمْ يَنجَعِ

عاداتُ أسيافِكَ في غَيرِهَا، وَالسّيفُ مَدلولٌ على المَقطَعِ

قُدني إلى ما قُدْتَني قَبلَها، أيُّ جَنيبٍ لكَ لمْ يُوضِعِ

فَلَستُ بالحَامِلِ مِنْ غارِبي على سَنَامِ النَّقِبِ الأظْلَعِ[3]

قد خابَ مَن أصبحَ من غيرِكمْ عَليّ، وَالإقبالُ مِنكُمْ مَعي

يا أيّهَا البَحرُ بِنَا غُلّةٌ، فهَلْ لَنا عندَكَ من مَكرَعِ

١ قوله : إن لم تشاور ، هكذا في الأصل .

٢ ترمض : تشتد .

٣ النقب : البعير الذي رقت أخفافه .

شمس تغيب وأخرى تطلع

قال وكتب بها إلى حضرة الملك الأجل أبي شجاع فناخسرو بن قوام الدين وقد عقد له بأرجان بعد أبيه أمر الملك يهنئه بمتجدد هذه الحال وذلك في جمادى الآخرة سنة ٤٠٣ :

تَمضِي العُلى وَإلى ذَرَاكم ترْجِـعُ ؛ شَمسٌ تَغيبُ لكمْ وَأُخرَى تَطلُعُ

إنّ الصّفا العادِيّ يُقرَعُ بالأذَى من غيرِكُم، وَصَفاكُمُ لا يُقرَعُ

مُتَداوِلينَ لِباسَ أثوَابِ العُلَى ، هَذا يُجَابُ لَهُ ، وَهذا يُنزَعُ

في كُلّ يَوْمٍ للنّوَاظِرِ مِنكُمُ أعْلامُ عَلْيَاءٍ تُحَطّ وَتُرْفَعُ

لا مثلَ مَن مَلَكَ العُلى مُستَقبَلٌ فينا ، وَمَن طَوَتِ المَنونُ مُوَدَّعُ

عَيْنَانِ ، عَيْنٌ للمَزِيدِ قَرِيرَةٌ مِنّا ، وَعَيْنٌ للنّقِيصَةِ تَدْمَعُ

وَإذا اطْمَأنّ من العَطِيّةِ مَضْجعٌ يَوْماً أقَضّ من الرّزِيّةِ مَضْجَعُ

فَلَئِنْ فَرِحْنَا إنّ ذَلِكَ مُفرِحٌ، وَلَئِنْ جَزِعْنا إنّ ذلكَ مُجزِعُ

للمَجدِ مِنْ عَلياكُمُ وَمَصَابِكُم أنفٌ بهِ شَمَمٌ ، وَآخَرُ أجْدَعُ

بُؤسَى وَنُعْمَى أعقبَتْ، فكأنّما رُدّتْ عَلى أعْقَابِهِنّ الأدْمُعُ

لَوْلا الأعَزّ أبُو شُجاعٍ لم يَكُنْ وَهْيُ النّوَائبِ عَن قَليلٍ يُرْقَعُ

لَوْلاهُ مَا انْجبَرَ الكَسيرُ وَلا سَمَا طَرْفُ الحَسيرِ،وَلا سَلا المُتفَجِّعُ

مَا كانَتِ العَلْيَاءُ بَعدَ مصَابِهَا لَوْلاهُ بالبَدَلِ المُجَدَّدِ تَقْنَعُ

نَسَلُوا كنائنَ مَجدهم، فتَخَيَّرُوا مِنهُنَّ أقوَمَ نَصْلةٍ لا تُنْزَعُ
سَهماً رَمَى غَرَضَ العُلى من بعد ما لمْ يَبْقَ في قَوْسِ المَعالي مَنزَعُ
لا يَطمَعُ الأعداءُ مَطلَعَ نَجدهِ، قَد ضَاقَ إلاّ عَنهُ ذاكَ المَطلَعُ
طَلَبتْكَ قَد قَلِقَتْ إليكَ نُصُولها حتّى استَقَرّ بِهَا النِّصابُ الأمنَعُ
ظَمأى إليكَ وأينَ عنكَ مَحيدُها وَالرّعيُ عِندَكَ وَالرُّوَا وَالمَرْتَعُ
ما كانَ غارِبُها بغيرِك يُمتَطَى يَوْماً، وَطينَتُها بغَيرِكَ تُطبَعُ
سَبَقَتْ ببيعَتكَ القُلُوبُ أكفَّها، أيدِ أطَعنَكَ، وَالضّمائرُ أطوَعُ
مِنْ مُضْمِرٍ يَخشَى الهوَى لا يَنثَني، أوْ صَافقٍ بيدِ الرِّضَى لا يَرْجِعُ
أعطَتْ تَخايُلَها الصّدُورُ، ورُبّما تُعطي يَدٌ، وَلهَا ضَميرٌ يَمنَعُ
اللهُ أيّدَ مُلْكَكُمْ وَسَمَا بِهِ مَجْدُ القَوَاعِدِ وَالبِنَاءُ الأرْفَعُ
بَيْتٌ يُسَقَّفُ بالسّمَاءِ رِوَاقُهُ، وَتَهابُ ذُرْوَتَهُ الحَمامُ الوُقَّعُ
أطْنَابُ قُبّتِهِ أنَابيبُ القَنَا، وَسُجوفُ ظِلّتِهِ المَوَاضي اللُّمَّعُ
إن ساختِ الأرْكانُ أشرَفَ رُكنُهُ، أوْ ضُعضِعَ البُنيانُ لا يَتَضَعضَعُ
كَمْ مُصْعَبٍ مَنَعَ الخِطامَ تركتَهُ تَحتَ الرِّحالَةِ يَستَقيمُ وَيَظلَعُ
أوْ خالعٍ قَصُرَتْ يداهُ عَنِ العُلى، بُوعٌ لكم تَقِصُ الرِّقابَ وَأذرُعُ
فَسَبَقتُمُ وَكَبَا بِهِ مِنْ جَدّهِ دُونَ المُنى قَصْفُ الفَقارِ مُوَقَّعُ
تَخفَى مَكائدُهُ وَيَظهَرُ سَطوُكم، الذَّرُّ يَقرُصُ، وَالأراقمُ تَلسَعُ
لا ثُلّ عَرْشُ بَني بُوَيْهِ أنّهمْ غُدُرُ المَكارِمِ وَالجَنابُ الأمرَعُ
فَعَلى رُوَائِهِمُ يَحُومُ المُعتَفي، وَإلى رُوَائِهِمُ تُشيرُ الإصْبَعُ

إنْ قارَبُوا فَهُمُ الشِّهادُ المُجتَنى ، وَإذا أبَوْا فَهُمُ السِّمامُ المُنقَعُ

أيديهِمُ طُرُقُ النّدى، وَجِباهُهُمْ أبْهَى مِنَ التِّيجَانِ لا بَلْ ألمَعُ

فَهُمُ لأيّامِ الحَفائِظِ مَفْزَعٌ ؛ وَهُمُ لأيّامِ المَكارِمِ مَطْمَعُ

هتَفَ العَلاءُ بِهِمْ إلى غَاياتِهِ ، فتَضَرّعَ القَوْمُ اللّئامُ وَأسرَعُوا

أنا غَرْسُكم وَالغُصْنُ لَدنٌ وَالصِّبا غَضٌ وَللعِيسِ القِيادُ الأطوَعُ

رِشتُم سِهامي للعِدَى، وَتَرَكتُمُ قَدَمي إلى أمَدِ المَعالي تَتْبَعُ

وَحَشَتُمُ حَظّي لِيَلْحَقَ شأوَكم، حتّى استَمَرَّ وَحَظٌّ غَيرِي يُقدَعُ[1]

وَصَنَعتُم فَعَرَفتُ قَدرَ صَنيعِكُم ، وَلَرُبّما غَلِطَ الطّرِيقَ المُصْنِعُ[2]

وَحفظتُ ما استُودعتُ من نعمائكم ؛ إنّ الوَفَاءَ أمانَةٌ تُستَوْدَعُ

يا بَانيَ الشّرَفِ المُوَطّدِ حَيثُ لا تَصِلُ العُيونُ وَلا تَنالُ الأذرُعُ

وَسَليلَ مُحصَنَةِ العُلى في حِجرِها مُستَوْدَعٌ وَبِدَرّها مُستَرْضَعُ

تَحنُو المُلُوكُ عَلَيه مِنْ جَنَباته ، كالقَلْبِ حَانيَةٌ عَلَيْهِ الأضْلُعُ

أرْتِقْ لها فَتْقَ النّوائِبِ بالنّدى أوْ بالقَنَا وَلِكُلِّ خَرْقٍ مَرْقَعُ

وَاسلُكْ سَبيلَ أبيكَ ، إنّ سَبيلَه لَقَمٌ يُجيزُ إلى المَنَاقِبِ مَهْيَعُ

وَاطْلُبْ عَلَى أيّامِهِ ، وَجِيادُهُ حسرَى يَرِدنَ على الطّعانِ وَظُلَّعُ

تَدِقُ الغِوارَ عَلَى الغِوَارِ كأنّها وَطفَاءُ تَحفِزُها بَليلٌ زَعزَعُ

١ يقدع : يكبح ، يكف .

٢ المصنع ، من أصنع : أحكم العمل .

وَالصّبحُ مُنقَدٌّ القَميصِ كما جَلا   عَنْ حُرّ مَفرِقِه البُجالُ الأنْزَعُ[1]
وَاستَقْبِلِ الأيّامَ غَيرَ جَوَامِحٍ   يَثني إلَيكَ بهَا عِنَانٌ طَيِّعُ
تَعنُو لأخمَصِكَ الخُطوبُ ذَليلَةً   بَعدَ العِرَاكِ وَخَدُّهنّ الأضرَعُ
إن سَرّ أمسُكَ كانَ يوْمُكَ فوْقَه،   وَيَقِلُّ عِنْدَ غَدٍ لِمَا يُتَوَقّعُ

نحن احق بالدنيا

قال أقال الله عثراته يمدح أباه ويهنئه برد أملاكه عليه بأسرهـا سنة ٣٨٦ :

طِلابُ العِزّ مِنْ شِيَمِ الشُّجاعِ ،   وَسَعْيُ المَرْءِ تُحرِزُهُ المَسَاعي
وَدُونَ المَجدِ قَلبٌ مُستَطيلٌ ،   وَبَاعٌ غَيرُ مَجبُوبِ الذّرَاعِ
أُخَوَّفُ بالزِّماعِ ، وَلَستُ أدرِي   بأينَ أجُزُّ نَاصِيَةَ الزِّمَاعِ[2]
وَلَستُ أضَلُّ في طُرُقِ المَعَالي ،   وَنَارُ العِزّ عَالِيَةُ الشّعَاعِ
وَيُعجِبُني البعَادُ كَأنّ قَلبي   يُحَدِّثُ عَنْ عَدِيّ بنِ الرِّقاعِ
لَقِيتُ مِنَ المُقامِ على الأمَانِي ،   كمَا لَقيَ الطَّموحُ من الصِّقاعِ[3]

١ البجال : الشيخ الكبير ، السيد العظيم .
٢ الزماع : المضي في الأمر .
٣ الطموح : الجموح . الصقاع : شيء يشد به أنف الناقة .

وَلَوْ أنّي مَلَكْتُ عِنانَ طَرْفي ، أخَذْتُ عَلى الوَسيقَةِ بالكُرَاعِ [1]
وكنتُ إذا تَلَوّنَ لي خَليلٌ ، تَلَوّنَ بي لَهُ خِلْوُ النِّزاعِ [2]
بَخيلٌ بالسّلامِ ، إذا التَقَيْنَا ، وَلَكِنّي جَوَادٌ بالوَداعِ
أيَصْرَعُني الزّمَانُ وَلَستُ آوِي إلى جَنْبٍ ذَليلٍ للصِّرَاعِ
وَأرْضَعُ بالخِداعِ عَنِ المَعَالي ، وَكَانَ الطّفْلُ أوْلى بالرّضَاعِ
ألا لِلّهِ طِينَتُنَا بِأرْضٍ مُشَوَّهَةِ المَعَالِمِ وَالبِقَاعِ
إذا مَرَقَ الدُّجَى مِنّا أخَذْنَا عَلَيْهَا بالمَذانِبِ وَالتّلاعِ
وَأوْلى بالضّيَافَةِ ، لَوْ عَلِمْنَا ، خَصِيبُ الرّحلِ مَطرُوقُ الرِّباعِ
إلى أمَلِ الحُسَينِ بَسَطتُ ظَنّي ، وَرَشّحْتُ المَطَالِبَ لانْتِجاعي
إذا بَخِلَ الغَمَامُ عَلى مَحَلٍّ ، تَدارَكَ غُلّةَ الإبْلِ الزِّمَاعِ [3]
مُجِيرِي إنْ تَنَاكَرَتِ اللّيَالي ، وَعَوْني إنْ تَكَاثَرَتِ الدّوَاعي
وَقد جَعَلَ الزّمانَ يُضيءُ وَجهي وَيَرْفَعُ نَاظِرِي وَيَمُدّ بَاعي
رَفَعْتُ إلَيكَ دِعوَةَ مُستَجيرٍ ، وَأنتَ مَدَى عَقيرَةِ كلّ داعِ
لِيَهْنِكَ مَا تُجَدّدُهُ اللّيَالي ، وَحَسبُكَ مِنْ فِرَاقٍ وَاجتماعِ
وَمَا رَدّ الزّمانُ عَلَيكَ حِفظاً مِنَ الأمْلاكِ وَالمَالِ المُضَاعِ
تمَارَى النّاسُ قبلَكَ وَهيَ غَصْبٌ، أديوَانُ الضِّيَاعِ أمِ الضِّيَاعِ

١ الوسيقة من الإبل كالرفقة من الناس .
٢ النزاع : الخصومة ، وقوله : خلو النزاع : هكذا في الأصل .
٣ الزماع : البطيئة المشي .

وَعادَتْ في يَدَيكَ مُرَوَّضَاتٍ ، وَكَانَتْ فَقْعَ قَرْقَرَةٍ بِقَاعِ[1]
ظَفِرْتَ بِما اشتَهَيتَ وَأنتَ وَانٍ ، وَنَالَ البَعضُ غَيرَكَ وَهوَ سَاعِ
يُبَشَّرُ ، وَالقُلُوبُ مُفَجَّعَاتٌ ، كَأنّ بَشيرَهُ في الخلْقِ نَاعِ
وَمَا كُلّ المَوَاهِبِ بِالأمَاني ، وَلا كُلّ الأحَاظي بالقِرَاعِ
لِكُلٍّ في بُلُوغِ العِزّ طَبْعٌ ، وَبَعضُ النّاسِ مُختَلِفُ الطّباعِ
بِرَيْنِ المِلّةِ اشتَفَتِ الأمَاني مِنَ المَطْلِ المُمَانِعِ وَالدّفَاعِ
وَأصْبَحَتِ الشّفَاهُ مُقَلقَلاتٍ ، تُنَازِعُ نُطْفَةَ الخَبَرِ المُذَاعِ
فَأعلَنَ بِشْرَهُ في كُلّ وَجْهٍ ، وَبَيّنَ طَوْلَهُ في كُلّ بَاعِ
رَآكَ لِكُلّ مَا يَأتيهِ أهْلاً ، وَأنْتَ أحَقُّ ذَوْداً بالمِرَاعِ
صَنيعاً لا يَجُرّ عَلَيْكَ مَنّاً ، وَحِمْلُ المَنّ غَيرُ المُسْتَطَاعِ
أجَارَ أبُو الفَوَارِسِ منكَ سَيفاً ، تَحَامَتْهُ يَمينُ أبي شُجَاعِ
فِدًى لكَ مَن يُنَازِعُكَ الرّزَايَا ، وَيَقرِضُكَ الأذَى صَاعاً بِصَاعِ
يَعَضّ أنَامِلَ الأُسْدِ الضّوَارِي عَلَيكَ بغَيظِ أنيَابِ الأفَاعي
رَعَاكَ بلَحْظِ طَرْفٍ غَيرِ رَانٍ ، وَعَاجَ عَلَيْكَ سَمعاً غَيرَ وَاعِ
فكُنتَ السّيفَ أغمَدَهُ جَبَانٌ ، فَسُلّ وَقَد تَصَدّى للمِصَاعِ[2]
ألانَ رِدِ العَلاءَ بلا رَقيبٍ ، وَشَمِّرْ في الأمُورِ وَلا تُرَاعِ

---

١ مروضات : أي صائرة كالرياض . الفقع : الكمأة البيضاء الرخوة . القرقرة : الأرض المطمئنة وفي المثل : هو أذل من فقع بقرقرة .

٢ المصاع : المقاتلة .

وَلا يَغرُرْكَ قَعقَعَةُ الأعَادي ، فَذاكَ الصَّخْرُ خرَّ مِنَ اليَفَاعِ
رَجَوْنَا مِنْكَ يَوْماً مُسْتَطِيلاً عَلى الأعداءِ ، وَضَاحَ القِنَاعِ
تَغيظُ الحَاسِدينَ بِهِ وَتُرْضِي قُلُوباً لا تُعَلَّلُ بِالخِداعِ
أتَقْنَعُ أنْ تُضَامَ ، وَأنْتَ حامٍ ، وَتُهْمِلُنَا البِقاعُ ، وَأنتَ رَاعِ
وَما في الأرْضِ أحسَنُ مِن يَسارٍ ، إذا اسْتَوْلَى عَلى أمْرٍ مُطَاعِ
ألانَ تَرَاجَعَتْ تِلكَ الرَّعَايَا ، وَجُهِّزَتِ الرَّعِيَّةُ للمَرَاعي
وَعَادَ السِّرْبُ أمنَعَ مِنْ قُلُوبٍ تَقَلَّبُ بَيْنَ أضْلاعِ السِّبَاعِ
وَصَارَ الدّهْرُ أمرَحَ مِنْ طَرُوبٍ، تُصَافِحُ سَمعَهُ نَغَمُ السَّمَاعِ
تُسَمِّحُ عِطْفَهُ بَعْدَ اجتِنَابٍ، وَتَخْطِمُ أنْفَهُ بَعْدَ امتِنَاعِ
تُفَاخِرُنَا رِجَالٌ لَيسَ تَدْرِي بِمَا عَلِمَ الجَبَانُ مِنَ الشّجاعِ
وَلَوْ خَلَيْتَ عَنّا في رِهَانٍ تَبَيَّنَتِ البِطَاءُ مِنَ السِّرَاعِ
وَنَحنُ أحَقُّ بالدّنْيَا ، وَلَكِنْ تَخَيّرْتَ القَطُوفَ على الوِسَاعِ
أرُومُ بِحُسْنِ رَأيِكَ كُلَّ أمْرٍ يُؤلّفُ فِرْقَةَ الأمَلِ الشَّعَاعِ
وَأطْلُبُ مِنْكَ مَا لا عَيْبَ فيهِ ، وَأينَ المَجْدُ إلاّ في اصْطِنَاعي

أرض يضل الليل فيها

قال أيضاً هذه القصيدة وأعدها لتهنئة أخيه بمولود ذكر فلم يتفق ذلك، وهي من أول قولة قالها سنة ٣٧٤ :

لأغنتكَ عَن وَصْلِي الهُمومُ القَوَاطِـعُ، وَعَن مَشرَعِ الذّلّ الرّماحُ الشّوَارِعُ

وَأيُّ طِلابٍ فَاتَـني ، وَطَلائِعي مُنًى قَبْلَ أعْنَاقِ المَطِيّ طَوَالِعُ

دَعيني أقِمْ أرْضاً، وَأطْلُبُ غَيرَها، فبَينَهُما، إنْ وَاصَلَ الهَمُّ، قاطِعُ[1]

فَما كُلّ مَمْنُوحٍ مِنَ العِزّ شَاكِرٌ، وَلا كُلّ مَحظُوظٍ مِنَ المَالِ قانِعُ

وَمَا عاقَني رَبْعٌ، فَبِتُّ وَلَمْ تَبِتْ، يُوَقّعُني مِنْ غَيرِ ذاكَ المَطَامِعُ

قَطُوعٌ لأقْرَانِ الرّجَالِ كَأنّني إلى كُلّ فَجٍّ ثَائِرُ الرّحْلِ نَازِعُ

اي كل يوم يعدم الدهر جانبي ، وتفرعي من ناظريه الصوارع

وَقَدْ قَطَعَ المَعرُوفَ باللّوْمِ قاطِعٌ، وَبَاعَ الثّنَاءَ الحُرَّ بالذّمّ بَائِعُ

فلَمْ ألْقَ إلاّ مَاذِقَ الودّ كَاذِباً ، يَسُفُّ بِهِ مِنْ طَائِرِ الغَدرِ وَاقِعُ

وَرَايِعَةٍ للبَيْنِ مِنْ عَامِرِيّةٍ ، تَزَعزَعُ مِنْهَا بِالسّلامِ الأصَابِعُ

فَلَوْ لَمْ تُزَوّدْنَا السّلامَ عَشِيّةً ، لَسِرْنَا ، وَأعنَاقُ المَطِيّ خَوَاضِعُ

تَصُدّ حداءً حِينَ تَبعَثُ وَعْدَهَا كَذُوباً، وَإنّي بِالرّجَاءِ لَقَانِعُ[2]

---

١ قوله : أقم أرضاً ، أراد أقم بأرض ، فنصب بنزع الخافض .

٢ قوله : تصد حداء ، هكذا في الأصل ، ولعلها محرفة .

وَتَخدَعُني وُرْقُ الحَمَامِ بشَدْوِها، | وَرَجْعُ زَفيري للحَمائِمِ خادِعُ
حَنينُ المَطايا علّمَ الشّوْقَ مُهجَتي، | فكَيْفَ تُسَلّيها الحَمامُ السّوَاجِعُ
بذَلتُكَ قَلْباً كنتُ أذخَرُ صَوْنَهُ، | إذا لاحَ لي بَرْقٌ منَ العزْمِ لامِعُ
سَبَقتَ إلى يَأسِي رَجَايَ، فحزْتَه، | ولَمْ تَنْتَظِرْ رَأيي، فَها أنا طامِعُ
وَمَا عندَ أملاكِ الطّوَائِفِ حاجَتي | إذا ما أبَتْ أنْ تَقتَضِيها القَوَاطِعُ
وَمَا ليَ شُغْلٌ في القَريضِ، وَإنّما | أبَيّنُ فيه مَا تَقُولُ المَطامِعُ
وَلَوْ هزّ أسْمَاعَ المُلُوكِ نَشيدُهُ، | دَرَوْا أنّ كُلّ المَجْدِ ما أنا صانِعُ
تَقُولُ ليَ الأيّامُ، وَهيَ بَخيلَةٌ: | ألا اسألْ، فإمّا ذو عَطاءٍ وَمانِعُ
رَأيتُ كَريماً مَا خَلا قَطُّ مِنْ حِمىً | يُزَارُ، وَلَوْ أنّ الدّيَارَ بَلاقِعُ
وَلا مَرِضَتْ نَارُ القِرَى في خيامِهِ | بلَيْلٍ، وَلَوْ أنّ الرّيَاحَ زَعازِعُ
إذا صَارَعَتْهُ الرّيحُ خِلْنَا شُعَاعَها | يُشيرُ إلى الوُرّادِ وَالرّكْبُ هاجِعُ
فَضَنّاً، بَني فِهْرٍ، بما في أكفّكم | منَ المَجدِ، فالأيّامُ عَوْدٌ وَرَاجِعُ
وَرُدّوا أكفّ الحرْبِ حِلماً عن العدى | إذا أمكَنَتْ حَدّ السيوفِ المَقاطِعُ
فكَمْ غارَةٍ تَستَرْجفُ اللّيلَ أيقظَتْ | صُدورَ القَنا، وَالغادرُونَ هَوَاجِعُ
عيُونُ العَوَالي وَالنّجومُ رَوَامِقٌ، | وَنَقْعُ المَذاكي، بَينَهُنّ، بَرَاقِعُ
وَلا بُدّ مِنْ شَعوَاءَ تَظمَا نُفُوسُها | وَلَيسَ لهَا إلاّ السّيُوفُ مَشارِعُ
هُوَ اليَوْمُ أخفَتْ خَيلُهُ لَمعَ آلِهِ، | فأشباحُهُ فَوْقَ العَجاجِ لَوَامِعُ
تَرَى النّقعَ مُسوَدّ الذّيُولِ، وَفَوْقَه | رِداءُ الرّدَى تَحمَرّ منهُ الوَشائعُ[1]

[1] الوشائع ، الواحدة وشيعة : طريقة الغبار .

وَرَكْبٍ كأنّ الشُّرْبَ يَنهَضُ نَحوَهُ يُعَانِقُهُ في سَيْرِهِ وَيُصَارِعُ
فَلَوْ أنّ ثَغْرَ اللّيلِ لاحَ ابتِسَامُهُ عَنِ الصّبْحِ مِنهُ لمْ تَسِمْهُ البَلاقعُ
إذا ما سَرَوْا تحتَ الدُّجَى فوُجوهُهمْ لضَوْءِ الضّحَى قبلَ الصّباحِ طَلائِعُ
وَإنْ أدْلجُوا لمْ يَسألِ الليلُ عَنهمُ، كَأنّهُمُ فيهِ النّجُومُ الطّوَالِعُ
وَيَبْدأُ فيهَا للسّرَابِ زَخارِفٌ، تُلاعِبُ لَحظَ المُجتَلي وَتُخادِعُ
فَلاتَعجَبُوا مِن سَيرِهم في هَجيرِها، فَجَرٌّ وَغَاهُمْ للهَجيرِ طَبَائِعُ
وَأرْضٍ يَضَلّ اللّيلُ بَينَ فُرُوجِها، وَيُجزِعُهُ أجْزَاعُهَا وَالأجَارِعُ[1]
تَخَطّيتُها وَالصّبحُ يَخرُقُ في الدُّجَى نَوَافِذَ لا يَلقَى بهَا الجَوَّ رَاقِعُ
تَطَاوَلَ أسْرُ اللّيْلِ فيها، كَأنّمَا دُجَاهُ لأعْنَاقِ النّجُومِ جَوَامِعُ
وَقَدْ مَدّ مِنْ بَاعِ المَجَرّةِ فانثَنى كَأنّ الثّرَيّا فيهِ كَفٌّ تُقَارِعُ
وَهَبّتْ لِضَوْءِ الفَرْقَدَينِ نَوَاظِري إلى أن بَدا فَتْقٌ مِنَ الفَجرِ ساطِعُ
كَأنّهُمَا إلْفَانِ قَالَ كِلاهُما لشَخصِ أخيهِ: قُلْ، فإنّيَ سَامِعُ
إذا أنَا لمْ أقبِضْ عَنِ الحِلِّ هَفوَةً، فَلا بَسَطَتْ كَفّي إليهِ الصّنائِعُ
وَإنْ أنَا لمْ يَستَنْزِلِ المَجدُ حَبوَتي، فَلا أهلَتْ مِنّي الرُّبَى وَالمَرَابِعُ
أبَا قاسِمٍ! حَلاّكَ بالشِّعْرِ مَاجِدٌ، عَلَيكَ لَهُ حَتّى المَماتِ رَصَائِعُ
أخٌ لا يرَى الأيّامَ أهْلاً لمَدْحِهِ، وَلَوْ ضَمِنَتْ أنْ لا تَرَاهُ الفَجائِعُ
شُجَاعٌ لأعْنَاقِ النّوَائِبِ رَاكِبٌ؛ هُمَامٌ لأطْوَادِ الحَوَادِثِ فَارِعُ

[1] يجزعه: يخيفه. أجزاعها، الواحد جزع: محلة القوم. وجزع الوادي: حيث تقطعه. الأجارع، الواحد أجرع: رملة مستوية لا تنبت شيئاً.

سَتَشرَعُ ماءَ الفَخرِ في كأسِ مِدحتي ، وَما أنا في ماءِ النّدى منك شارِعُ
لِيَهْنِكَ مَوْلُودٌ يُوَلِّدُ فَخرَهُ أبٌ ، بِشْرُهُ للسّائلِينَ ذَرائِعُ
وَليدٌ لَوَ انّ اللّيلَ رُدّي بِوَجْهِهِ ، لمَا جاوَرَتْهُ بالجُنُوبِ المَضَاجِعُ
وَمُبْتَسِمٌ ، يَرْتَجّ في مَاءِ حُسنِهِ ، لَهُ مِنْ عُيُونِ النّاظِرِينَ فَوَاقِعُ
رَمَى الدّهْرُ منهُ كلّ قلبٍ من العِدى بسَهمٍ نَضَا أحقادَهم وَهوَ وادِعُ
يُرَامُونَهُ باللّحْظِ كَيْ يَعصِفُوا بهِ وَأبصَارُهُمْ صُورٌ لَدَيْهِ خَوَاشِعُ
وَمَا صَرَعُوهُ باللّحَاظِ ، وَإنّمَا لأرْوَاحِهِمْ في مُقلَتَيْهِ مَصَارِعُ
يَوَدّونَ أنْ لَوْ كانَ بَينَ قُلُوبِهِمْ مَعَ الحِقْدِ ، حتّى لا تَرَاهُ المَجامعُ
متى ابتَسَمُوا ، فاعلَمْ بأنّ ثُغُورَهم دُمُوعٌ ، لهَا تِلكَ الشّفَاهُ مَدامِعُ

اطول القوم باعاً

يمدح أبا الخطاب حمزة بن
إبراهيم ويهنئه بنيروز سنة ٣٩٨ :

تَخَيّرْتُهُ أطْوَلَ القَوْمِ بَاعَا ، وَأرْحَبَهُمْ في المَعالي ذِرَاعَا
وَآخذَهُمْ بعِنَانِ الخُطُوبِ ، يُجِيرُ عَلى الدّهْرِ أمراً مُطَاعَا
بِعَزْمٍ كَبَارِقَةِ المَشْرَفيّ ؛ يَأبَى عَلى الهَزّ إلاّ قِرَاعَا
يُهَابُ وَيُرْجَى لِرَيْبِ الزّمَانِ ، كالنّصْلِ رَاقَ عُيوناً وَرَاعَا

وَصَدْرٍ وَسِيعٍ عَلَى النَّائِبَاتِ ، يُجِيلُ ، إذا غَبَّ ، رَأياً وُسَاعَا

تَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَعَ الحَادِثَاتِ عِرَاكاً لَهُ دُونَنَا ، أوْ قِرَاعَا

لَهُ قَلَمٌ إنْ جَرَى غَرْبُهُ ، أمِنَّا القَنَا ، وَخَشِينَا اليَرَاعَا

وَمِدْرَهُ قَوْلٍ يَبُذّ الخُصُومَ ، إذا بَلَغُوا بالخِصَامِ القِذَاعَا[1]

كَعَالِيَةِ الرّمْحِ إنْ طَاوَلُوه طَالَ إلى المَجْدِ نَفساً وَبَاعَا

إذا نَزَعُوا عَنْ هَوَى المكرُماتِ مِنَ اللّوْمِ زَادَ إلَيْهَا نِزَاعَا

بِحَمْزَةَ أمسَيتُ ألقَى الخُطوبَ وَأرْمي العَدُوّ وَأرْقَى اليَفَاعَا

يُدافِعُ رُكْنِيَ حَتّى أنالَ ، وَيَدْفَعُ عَنّي الأعادي دِفَاعَا

أطالَ يَدِي فَفَرَعتُ الهِضابَ ، وَأطلَعَني بالنّدَى ما استَطَاعَا

حُقُوقٌ عَلَيّ رَأى أنّهَا حُقُوقٌ عَليه ، فَوَالَى وَرَاعَى

فَلا الوَعْدُ كَانَ مِطالاً ضِماراً يَغُرّ وَلا القَوْلُ زُوراً خِداعَا[2]

صَنَعتَ فتَمّمتَ حُسنَ الصّنيعِ ، وكَمْ صَانعٍ لا يَرُبّ اصْطِناعَا[3]

تَعاطَوْا صَنيعَكَ ، فاستَثْقَلُوه ؛ إنّ التّطَبّعَ يُعيِي الطّبَاعَا

وَغَيرُكَ يَمطُلُ فِعلَ الجَميلِ ، فإنْ فَعَلَ الفِعلَ يَوْماً أضَاعَا

تَلَقّاكَ نَيرُوزُكَ المُستَجِدّ يَسُرُّ عِيَاناً وَيُرْضِي سَمَاعَا

وَلا زَالَ دَهرُكَ طَوْعَ الجَنيبِ إذا مَا أمَرْتَ بِأمْرٍ أطَاعَا

١ مدره القوم : رأسهم . القذاع : المشاتمة .

٢ الضمار : الوعد المسوف .

٣ يرب : يزيد .

تُلاقي الخُطُوبَ ثِقَالاً بِطاءً ، وَغُرُّ الأمَاني عِجَالاً سِرَاعَا
هُمَامٌ رَمَيْتُ قِيَادي إلَيْهِ ، مَـآلاً إلى شِعْبِهِ وَانْقِطَاعَا
مَدَدْتُ يَميني ، فَأعْلَقْتُها يداً باصْطِنَاعِ الأيَادي صَنَاعَا
إذا قَرِحَتْ عِنْدَنَا نِعْمَةٌ أعَادَ أيَادِيهِ فِينَا جِذَاعَا
فَلَوْ رَامَ قِسْمَةَ عُمْرِي لَهُ لَمَ ارْضَ لَهُ العُمرَ إلاّ مَشاعا
وَإنْ هُوَ سَاوَمَني مُهْجَتي ، صَفَقْتُ عَلى رَاحَتَيهِ بِيَاعَا

هم الملاجي والمناجي

وقال يذكر غرضاً في نفسه ويفتخر
وذلك في ذي القعدة سنة ٣٩١ :

غَالَى بِهَا الزّائِدُ حتّى ابْتَاعَهَا بَادِنَةً قَدْ مَلأتْ أنْسَاعَهَا
سَوّغَهَا الرّاعي رَبِيعَ ضَارِجٍ ، وَالأرْضُ قَد عَمّ النّدى بِقاعَهَا
يُورِدُهَا بَيْنَ نِطَاعٍ ، فَالنّقَا ، زُرْقَ جِمَامٍ لَبِسَتْ يَرَاعَهَا
طاعَ لهَا حمضُ اللّوَى وَنَشّرَتْ لهَا رُبَى قَبَاقِبٍ أقْطَاعَهَا
رَعَتْ حُلِيّ رَامَةٍ وَشَاطَرَتْ جَوَازِيَ الرّمْلِ بِها لَعَاعَهَا[1]

[1] الجوازي : بقر الوحش . اللعاع : نبت ناعم .

تَلُسّ آثَارَ دَرُورٍ جَوْنَةٍ ، ألقَتْ عَلَى ذي بَقَرٍ بَعَاعَهَا[1]

مُسيلَةً بَيْنَ العَقيقِ وَالحِمَى أضْوَاجَ بطنِ الأرْضِ أوْ أجزَاعَهَا[2]

تُطلِقُ عَقلَ النّبتِ إمّا رَجَعَتْ جَلجَالَهَا بالرّعْدِ ، أوْ قَعقاعَهَا

يَستَنفِضُ العُشبُ لهَا رُؤوسَهُ ، إذا البُرُوقُ اعتَصرَتْ دُفّاعَهَا

حتّى بَنَى النّيُّ عَلى سَنَامِهَا مَبَانِياً مَا بَطّنَتْ سِيَاعَهَا[3]

شَاغَبَهُ الهَمُّ ، فَأرْضَاهُ بِهَا ، تَشرَعُ عَنْ دارِ الأذى نِزَاعَهَا

إنْ قَطَعَ الرّاعي عليْهَا لمْ تُبَلْ أشبَعَها الخِذرَافُ أمْ أجَاعَهَا[4]

مَخيلَةٌ مَبرَكُها مِنْ شَخصِهَا ، إذا المَطَايَا عَمَرَتْ رِبَاعَهَا

تَضْبَعُ عَنْ غِبّ الوَنَى ، كأنّها عائِمَةٌ قَدْ رَفَعَتْ شِرَاعَهَا

تَحسَبُهَا الوَرْهَاءَ رِيعَتْ فنَجتْ مِنَ الأذَى طارِحَةً قِنَاعَهَا[5]

وَقَّرَهَا السّيرُ ، وَكانَتْ حِقبَةً ، لَوْ سَمِعَتْ حسّ القُرَادِ رَاعَهَا[6]

كَأنّهَا طَاوِي المَصيرِ هَاجَهُ عَضٌّ ضِرَاعٍ قَد بَلا مِصَاعَهَا[7]

إذا رَأى افْتِرَاقَهَا زَاوَلَهَا ، ثُمّ يَثني ، إذا رَأى اجتِمَاعَهَا

---

١ الدرور : الناقة الكثيرة الدر . البعاع : ثقل السحاب من المطر .

٢ الأضواج ، الواحد ضوج : منعطف الوادي .

٣ السياع : الشحم .

٤ الخذراف : نبت .

٥ الورهاء : الحمقاء .

٦ القراد : دويبة تتعلق بالبعير ونحوه كالقمل للإنسان .

٧ الطاوي المصير : الثور الوحشي . الضراع : الشياه . المصاع : المجالدة ، المضاربة .

أوْ أحقَبٌ أعجَلَهُ قِناصُهَا ، مُشاوِرَاتِ النّفسِ ، أوْ ازْماعَهَا[1]

في عَانَةٍ تُطيعُهُ مُحامِياً ، فإنْ رَآهَا شُرَّداً أطَاعَهَا

تَنْتَصِبُ انتِصَابَهُ لِنَبْأةٍ ، ذُعْراً ، وَيَنصَاعُ لهَا انصِياعَهَا

يَحفَظُهَا مشايحاً عَنْ سِرْبِهَا ، فَإنْ رَأى جِدّ الرّدَى أضَاعَهَا

أقضَى علَيْهَا أرَباً مِنْ هِمّةٍ ، لَوْ عَدَلَ الدّهْرُ ثَنَى زِمَاعَهَا

مَطْبُوعَةٌ عَلى العُلَى لَوْ رَضِيتْ بالذّلّ يَوْماً أنكَرَتْ طِبَاعَهَا

يا حفظَهَا إنْ بَلَغَتْ مَرَامَهَا ، وَإنْ أبَى الدّهْرُ فَيا ضَيَاعَهَا

أستَعجِلُ الأمْرَ وَحَظّي رَايثٌ ، نَفْسٌ أرَجّي أبَداً خِداعَهَا

وَلَوْ قَنِعَتْ بالحُظُوظِ لمْ أُبَلْ إبْطَاءَهَا بالرّزْقِ أمْ إسرَاعَهَا

أصَارِعُ الأقدارَ عَنْ وُقُوعِهَا ، بِمَنْكِبٍ مُعَوَّدٍ صِرَاعَهَا

تُصادِفُ الخَرْقَاءُ مِنْ زَمَانِهَا سِجَالَ رِزْقٍ أخطأتْ صَناعَهَا

قَوْمي الأولى إمّا جرَوْا لِغَايَةٍ بَذّوا بِطَاءَ الغاي أوْ سِرَاعَهَا

همُ المَلاجي وَالمَنَاجي وَالحِمَى ، إذا المَنَايَا وَقَعَتْ وقَاعَهَا

هُمُ المَعَاذُ وَالمَلاذُ وَالذُّرَى ، إذا السّيُولُ رَكِبَتْ تِلاعَهَا

هُمُ المُقِيلُونَ المُنيلُونَ ، إذا ما اللّزْبَةُ اللّزْباءُ ألقَتْ بَاعَهَا

أزْوَالُ أيّامِ الطّعَانِ إنْ طَغَتْ يَدُ الزّمَانِ أحسَنُوا دِفَاعَهَا

في حَيثُ لا تَنظُرُ تحتَ نَقعِهَا إلاّ عَصِيّ المَوْتِ أوْ قِرَاعَهَا

---

[1] الأحقب : الحمار الوحشي .

لمْ يَغْنَمُوا الأمْوَالَ إلاّ أخَذُوا صَفِيّهَا ، وَقَبَضُوا مِرْبَاعَهَا
تلقَى بِهِمْ مَرْسَى الوَقَارِ وَالحِجى ، وَضِئضِيءَ العَلْيَاءِ أوْ جُمّاعَهَا[1]
إنْ نَزَلُوا الجَوّ أماتُوا شَمْسَهُ ، وَالأرْضُ كانُوا أبَداً طِلاعَهَا
بُيُوتُهُمْ مَرْهُوبَةٌ تَخَالُهَا أوْلاجَ غِيلٍ رَشّحَتْ سِبَاعَهَا
المَانِعُونَ الضّيْمَ باللُّدْنِ تَرَى هِبَابَهَا للطّعْنِ أوْ زَعْزَاعَهَا
كَأنّ في الأيْمَانِ حَيّاتِ النّقَا أرْقَمَهَا النّضْنَاضَ ، أوْ شُجاعَهَا
مِنْ كُلّ سَوّارٍ ، إذا رَامَ العُلى حَازَ عُقَابَ الجَوّ أوْ مَلاعَهَا[2]
مُحَلّقاً يَبْلُغُ مِنْهَا غَايَةً ، لَوْ رَامَهَا العَيّوقُ ما استَطاعَهَا
حاصُوا خَصَاصَاتِ قُرَيْشٍ بالقَنَا شَوَارِعاً ، وَجَمّعُوا شَعَاعَهَا[3]
رَدّوا على سَاداتِهَا إحْضَارَهَا ، وَضَمّنُوا بيضَ الطُّلَى ارْتِجاعَهَا
وَتَوّجُوا بِمَجْدِهِمْ مَفْرَقَهَا عَنْ عَطَلٍ وَسَوّرُوا ذِرَاعَهَا
كَانُوا صَيَاصِيهَا ، وكانُوا دونَهَا فُرّاطَهَا في المَجدِ أوْ نُزّاعَهَا
وَالزّاحِمِينَ بالقَنَا أعْداءَهَا ، عَلى الثّنَايَا ، مَنَعُوا طِلاّعَهَا
أيّامَ حَطّوا بالظُّبَى أغْمَادَهَا عَنِ العُلى ، وَغَمَزُوا نِبَاعَهَا
بالخَيْلِ لا تُعْلَفُ إلاّ شَدّهَا ، أوْ مَلْقَهَا بالبِيدِ ، وَاندِرَاعَهَا[4]

١ الضئضيء : الأصل . الجماع : من كل شيء مجتمع أصله .

٢ الملاع : العقاب السريعة .

٣ حاصوا : خاطوا . الخصاصة : كل خلل أو خرق .

٤ الملق : السير الشديد . الاندراع : الاندفاع .

مثلِ الرّماحِ هُزْهِزَتْ كُعُوبُها ، أوْ كالذّبَابِ اتبَعَتْ أطْمَاعَهَا
كَأنّ عِقبَانَ الشُّرَيفِ فَوْقَهَا تَعْلُو قِنانَ الأرْضِ أوْ جِزَاعَهَا[1]
تَلْمَحُ مَا عَارَضَها بِأعيُنٍ ، مثلِ الجُذى طارِحَةً شُعَاعَهَا[2]
هُمْ رَفَعُوا بِمَجدِهِمْ قِبَابَهَا ، وَضَوّأوا مِنْ نَارِهِمْ يَفَاعَهَا
حَمَوا بِأطْرَافِ القَنَا سَوَامَهَا مِنَ العِدَى وَآمَنُوا رِتَاعَهَا
وَألصَقُوا بالرّغْمِ دُونَ نَيْلِها ، مَوَارِناً قَدْ أوْعَبُوا اجتِداعَهَا
إنْ كانَ رَوْعٌ عاقَدُوا شُجاعَهَا عَلى الرّدَى ، وَأمّنُوا مِجزَاعَهَا
كَبّوا عَلى أذْقَانِهَا أصْنَامَهَا ، لا وَدّهَا أبْقَوْا ، وَلا سُوَاعَهَا[3]
تَدارَكَ اللهُ بِجَدّي عِزّهَا ، وَقَدْ شَرَاهَا ذُلُّهَا وَبَاعَهَا
جازَتْ بِهِ حَدّ العُلى، وَقَدْ رَأتْ تَقَارُعَ الجُدُودِ وَاصْطِرَاعَهَا
بِمَجْدِهِ ، وَالعِزُّ مِنْ أيّامِهِ ، مَدّتْ إلى نَيْلِ العُلَى أضْبَاعَهَا
وَا عَجَبا لِعُصْبَةٍ مَغْرُورَةٍ تُرِيدُ أنْ تُلْصِقَ بي قِذاعَهَا
أذْهَلَني استِوَاؤهَا في غَيّهَا ، مُطيعَهَا أعْذُلُ ، أوْ مُطَاعَهَا
تَقُودُني إلى الهَوَانِ ضِلّةً ، وَقَدْ أبَى العِزُّ ليَ اتّبَاعَهَا
تَسُومُني وِرْدَ القَذَى وَقد رَأتْ عِزّةَ هَذي النّفسِ وَامتِنَاعَهَا
تُرِيدُ أنْ ألقَى الخنَا لِقَاءَهَا ، وَأنْ أُنِيخَ للأذَى جَعجَاعَهَا

[1] الشريف : أعلى جبل ببلاد العرب .
[2] الجذى ، الواحدة جذوة : الجمرة الملتهبة .
[3] ود وسواع : من الأصنام التي عبدها العرب في الجاهلية .

وَألبَسَ العَارَ الطّوِيلَ لِبْسَهَا ، وَأرْضَعَ الذُّلَّ لهَا رَضاعَهَا
قَبيلَةٌ أغْلَطَهَا نَهْجَ العُلَى لُؤْمُ عُرُوقٍ جَرّتِ اتّضَاعَهَا
قَوْمٌ هَوَتْ أنفُسُهُمْ مِنْ ذِلّةٍ ، وَأشْرَفَتْ حُظُوظُهُمْ أيفَاعَهَا
يا لَيتَهُمْ حَطّوا انحطاطَ قَدرِهم ، أوْ رَفَعَتْني هِمّتي ارْتِفَاعَهَا
أمّا المَعَالي ، فَأخَذْنَا أوّلاً طُولَ سِنيهَا ، وَأخَذْتُم ساعَهَا
أسمَحَتِ الدّنيا لَكُمْ وَأعرَضَتْ صَنَائِعٌ لمْ تُحسِنُوا اصْطِنَاعَهَا
رُدّتْ عَلَيْكُمْ نِعَمٌ مَظلُومَةٌ لمْ تَشكُرُوها فانظُرُوا انقِطاعَهَا
يا بِئْسَ مَا جَرّتْ عَلَيْكَ عامداً مِنْ رَائِعاتٍ تُكْثِرُ ارْتِيَاعَهَا
نَفْحَةُ عَارٍ لَذّعَتْ أعْرَاضَهَا لَذْعَ اللّظَى ، وَوَقَرَتْ أسماعَهَا
وَغادَرَتْ صِفَاحَهَا دامِيَةً ، عَقْرَ المَطَايَا ألّمَتْ إيضَاعَهَا
وَأمِنَتْ مِنْهَا نِزَارٌ أنّهَا سَوْءَةُ قَوْلٍ كُفِيَتْ سَمَاعَهَا

المال عفة وقنوع

قال أقال الله عثراته :

خَصِيمٌ مِنَ الأيّامِ لي وَشَفِيعُ ، كَذا الدّهرُ يَعصِي مَرّةً ، وَيُطِيعُ
وَبي ظَمَأٌ لَوْلا العُلَى ما بَلَلْتُهُ ، وَفي كُلّ قَلْبٍ غُلّةٌ وَنُزُوعُ
وَمَا أنَا مِمّنْ يَطلُبُ المَاءَ للصّدَى، وَيَجمَعُني وَالوَارِدِينَ شُرُوعُ

رَضَاعِي مِنَ الدُّنْيَا المَمَاتُ فِطَامُهُ ، وَمَا نَزَحَ الثَّدْيَ الغَزِيرَ رَضِيعُ
أبَيْنَا ، وَلا ضَيْمٌ أصَابَ أُنُوفَنَا ، وَفِي الأَرْضِ مُضْطَافٌ لَنَا وَرَبِيعُ
إذا غَدَرَتْ نَفْسُ الجَبَانِ بِصَبْرِهِ حَمَتْنَا دُرُوعٌ طَلْقَةٌ وَدُرُوعُ
وَأقْنَعَنَا بالبِيدِ أنْ لَيْسَ مَنْزِلٌ ، وَمَا بَيْنَ أيْدِي اليَعمَلاتِ وَسِيعُ
أبُثُّكَ أنَّ المَالَ عَارٌ عَلى الفَتَى ، وَمَا المَالُ إلاَّ عِفّةٌ وَقُنُوعُ
أيَطلُعُ لي عَزْمٌ إلى مَا أُرِيدُهُ ، وَصَاحِبُ سِرّي في الرِّجالِ مُذِيعُ
وَتَشْتَاقُ نَفْسِي حالَةً بَعْدَ حالَةٍ ، وَأزْجُرُهَا ؟ إنّي إذاً لَقَنُوعُ
وَإنّي لأغْرَى بِالنّسِيمِ إذا سَرَى ، وَيُعْجِبُنِي بالأبْرَقَينِ رُبُوعُ
وَيَحني عَلَيَّ الشّوْقَ نَجديٌّ مُزْنَةٍ ، وَبَرْقٌ بِأطْرَافِ الحِجَازِ لَمُوعُ
وَلا أعْرِفُ الأشجَانَ حَتّى يَشوقَني حَمَامٌ بِبَطْنِ الوَادِيَيْنِ سَجُوعُ
وَلَوْلا الهَوَى مَا كُنْتُ إلاَّ مُشَمِّراً أُطَاعُ عَلى رُغْمِ الهَوَى وَأُطِيعُ
إذا رَاقَ صُبْحٌ فالحِصَانُ مُصَاحِبٌ ، وَإنْ عَاقَ لَيْلٌ فالحُسَامُ ضَجِيعُ
تَرَكْتُ اللّيالي خَلفَ ظَهرِي رَذِيّةً وَصَاحبَنِي طاغي الذّبَابِ قَطُوعُ
وَخاطَرْتُ مَشغُوفاً بِما أنَا طالِبٌ ، أجُوبُ الدُّجَى وَالطّالبُونَ هُجوعُ
ألا إنّ رُمْحاً لا يَصُولُ لَنبعَةٌ ، وَإنّ حُسَاماً لا يَقُدّ قَطِيعُ[1]
وَفَارَقْتُ مِنْ أبْنَاءِ قَيسٍ وَخِندفٍ رِجَالاً ، وَلَمْ تَنْفُرْ عَلَيّ ضُلُوعُ
تَرَكتُهُمُ يَدْعُونَ ، وَالدّمعُ ناشِزٌ ، وَمَا مَلَكَتْ طَرْفِي عَلَيّ دُمُوعُ
وَحَذّرَهُمْ مِنّي فُؤادٌ مُشَيَّعٌ ، وَعَزْمٌ لأقْرَانِ الرِّجَالِ قَطُوعُ

[1] النبعة : شجرة للقسي والسهام . القطيع : السوط .

وَنَفْسٌ عَلى كَرّ النّوَائِبِ حُرّةٌ ، وَقَلْبٌ عَلى حَرْبِ الزّمَانِ مُطيعُ
وَقُلْتُ: قَبُولُ الضّيمِ أعظَمُ خطّةٍ، وَمَا الحُرّ في رَحبِ البِلادِ مَضِيعُ
فَلَمّا رَأيْتُ الذّلّ في القَوْمِ سُبّةً ، ذَهَبْتُ ، فَلَمْ يُقْدَرْ عَليّ رُجوعُ
ألا إنّ لَيْلي بالعِرَاقِ كَأنّهُ طَلِيحٌ تَجافَاهُ الرّجالُ ظَلِيعُ
مُقِيمٌ يُعاطِيني الهُمُومَ ، وَنَاظِرِي مُعَنًّى بِأعْجَازِ النّجُومِ وَلُوعُ
وَخَيْلٍ أبَحنْنَاهَا السّمَاوَةَ وَالوَجَى تُنَفِّرُ أيْدِيهَا الحَصَى ، وَتَرُوعُ[1]
إلى أنْ تَسَامَى الصّبحُ ، وَاللّيلُ لافظٌ حُشَاشَتَهُ ، وَالطّالِعَاتُ تَرِيعُ
وَلله يَوْمٌ بالعِرَاقِ نَجَوْتُهُ ، وَأيْدي المَنَايَا بِالنّجَاءِ وُقُوعُ
تَمَلّسْتُ مِنْهُ أمْلَسَ الجَيبِ وَانثَنى لَهُ في جُيُوبِ النّاكِثِينَ رُدُوعُ
تَنَازَعُهُ الأفْوَاهُ في كُلّ مَشْهَدٍ ، وَكُلُّ حَدِيثٍ كُنْتُ فيهِ بَديعُ
طَعِمْنَا وَأطعَمنَا القَنا مِنْ دِمائِهِ ، وَسَارَتْ بِآمَالِ الرّجَالِ صُدُوعُ
وَتَحْفَظُ أيْدِينَا كُعُوبَ رِمَاحِنَا، وَأطْرَافُهَا بَينَ القُلُوبِ تَضِيعُ
طَمَاعِيَتي أنْ أمْلِكَ المَجدَ كلّه ، وَكُلُّ غُلامٍ في العَلاءِ طَمُوعُ
وَمَوْلًى يُعاطِيني الكُؤوسَ تجَمُّلاً ، وَقَدْ وَدّ لَوْ أنّ العُقَارَ نَجيعُ
خبَأتُ لَهُ مَا بَينَ جَنبَيّ فَتْكَةً ، دَهَتْهُ ، وَيَوْمُ الغَادِرِينَ شَنيعُ
فَلا كَانَ يَوْمٌ لا يَدُومُ وَفَاؤهُ ، فَإنّ وَفَاءً في الزّمَانِ بَديعُ
وَبَعضُ مَقالِ القَائِلِينَ مُكَذَّبٌ ، وَبَعضُ وِرَادِ الأقرَبِينَ خَدُوعُ
أرَى رَاشِداً يُصْغي ،وَلَيسَ مُكَلَّمٌ ، وَمُسْتَرْشِدٌ يَدعُو ، وَلَيسَ سَميعُ

١ السماوة : ظهر الفرس . الوجى : الحفا .

وَمَا النّاسُ إلاّ مَاجِدٌ مُتَلَثِّمٌ ، وَآخَرُ مَجْرُورُ العِطَافِ خَلِيعُ

وَمَا الدّهْرُ إلاّ نِعْمَةٌ وَمُصِيبَةٌ ، وَمَا الخَلْقُ إلاّ آمِنٌ وَجَزُوعُ

وَيَوْمُ رَقِيقِ الطُّرّتَينِ مُصَفَّقٌ ، وَخَطْبُ جُرَازِ المَضْرَبَيْنِ قَطِيعُ

عَجِبْتُ لَهُ يَسْرِي بِنا وَهوَ وَاقِفٌ، وَيَأْكُلُ مِنْ أعْمَارِنَا وَيَجُوعُ

وَأيُّ فَتًى مِنْ فَرْعِ سَعْدٍ صَحِبتُهُ وَمَا هَجّنَتْ تلكَ الأُصُولَ فُرُوعُ

خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ النّجيبِ تَهُزّهُ عَرُوضٌ عَلَى أعْطَافِهِ وَقُطُوعُ

إذا غَابَ يَوْمٌ أطْلَعَ العِزُّ وَجْهَهُ ، وَللبَدْرِ فِينَا مَغْرِبٌ وَطُلُوعُ

سَأنْقُضُ مِنْ لَيلِ الثّوِيّةِ وَفرَتي ، إلى مَنْزِلٍ للدّهْرِ فِيهِ خُضُوعُ

أرَى العيسَ قَدْ خاطَ اللُّغامُ شِفاهَها، وَمِنْ دُونِها صَعبُ الضّرَابِ مَنيعُ

إذا أخَذَتْ مِنْهَا الأزِمّةُ حَثّهَا نَجَاءٌ ، وَأعضَادُ المَطيّ تَبُوعُ[1]

وَنَحْنُ ، إذا طَارَ السّياطُ بِشَأوِهَا، سُجُودٌ عَلَى أكْوَارِها وَرُكُوعُ

وَإنّيَ لا أرْضَى مِنَ الدّهْرِ بالرّضَا ، وَعَزْمي أخُوذٌ ، وَالزّمَانُ مَنُوعُ

وَفي العَيشِ مَشمولُ النّطافِ مُرَقرَقٌ، وَفي الأرْضِ مُخضَرُّ الجَنابِ مَرِيعُ

١ تبوع : تبعد خطاها .

اين قوام الدين

قال يرثي الملك قوام الدين وقد تذكر شدة ميله إليه واشتماله عند خطوب مرت به وهموم اعتلجت بقلبه وذلك في ذي القعدة سنة ٤٠٤ :

أظُنُّ اللّيالي، بَعدَكُمْ، ستَريعُ، فَمَنْ يُبقي لي مِنْ رائعٍ فتَرُوعُ
خُذي عُدّةَ الصّبرِ الجَميلِ ، فإنّهُ لِكُلّ نِزَاعٍ ، يا أُمَيْمَ ، نُزُوعُ
وَقَدْ كُنتُ أبْكي للأحِبّةِ قَدْ أنى لقَلْبي سُلُوٌّ ، وَاطْمَأنّ وُلُوعُ
وَلَكِنّمَا أبْكي المَكَارِمَ أُخْلِيَتْ مَنَازِلُ مِنْهَا للنّدَى وَرُبُوعُ
وَهَلْ أنَا جازٍ ذلكَ العَهْدَ بالبُكَا، وَلَوْ أنّ كُحْلَ المَاقِيَينِ نَجيعُ
أبِيتُ وَطُرّاقُ الهُمُومِ كَأنّهَا مَحَافِلُ حَيٍّ تَنتَجي وَجُمُوعُ
أُقَارِعُ أُولى اللّيْلِ عَنْ أُخرَيَاتِهِ ، كَأنّي أقُودُ النّجْمَ ، وَهْوَ ظَلِيعُ
وَعَيْنِي لِرَقْرَاقِ الدّمُوعِ وَقِيعَةٌ ، لهَا اليَوْمَ مِنْ عَاصِي الشّؤونِ مُطيعُ
بمَن تُدفَعُ الجُلّى، بمَن تُرْفَعُ العُلى؛ بمَنْ تُحفَظُ الآمَالُ ، وَهْيَ تَضِيعُ
بمَنْ يُنقَعُ الظّمآنُ ، وَهوَ مُحَلأٌ ؛ بمَنْ يُؤمَنُ المَطرُودُ ، وَهوَ مَرُوعُ
هُوَ الرُّزْءُ لا يَعدُو المَكَارِمَ وَالعُلى، صَلُومٌ لأشْرَافِ العَلاءِ جَدُوعُ[1]
فَأينَ قِوَامُ الدّينِ للخَطْبِ يَعترِي، وَللدّهْرِ يَغْدُو بالأذَى وَيَرُوعُ

---

١ المصلوم ، من صلمه : قطعه .

وَأينَ قِوَامُ الدّينِ للبِيضِ وَالقَنَا ، إذا لمْ يَكُنْ إلاّ اليَقِينَ دُرُوعُ
وَأينَ قِوَامُ الدّينِ للنّيْلِ وَالقِرَى ، إذِ الجَدْبُ مُعطٍ وَالسّحَابُ مَنُوعُ
ألا مَنْ لأضْيَافِ الشّتَاءِ يَلُفُّهُمْ سَقِيطُ ظَلامٍ قِطْقِطٍ وَصَقِيعُ[1]
تجاذَبُهُمُ أيْدِي الشّمَالِ رِياطَهمْ فيَسقُطُ سِبٌّ أوْ يَضِلّ قَطِيعُ[2]
إذا كَانَ بَينَ البَيتِ وَالزّفزَفِ الصَّبَا أحَادِيثُ تَخفَى مَرّةً ، وَتَذِيعُ
وَمَنْ للعُفَاةِ المُرْمِلِينَ يَشُلّهُمْ مِنَ الدّهْرِ قِرْنٌ لا يُرَامُ مَنِيعُ
فيَا رَاعيَ الذّوْدِ الظِّمَاءَ تَرَكتَها ، وَأحفَظُ رَاعٍ مُذْ نَأيتَ مُضِيعُ
وَلَيْسَ لهَا في الدّارِ دِينُ شَرِيعَةٍ ، وَلا في ثَنَايَا الطّالِعِينَ طُلُوعُ
وَلا للغَوَادي مُذْ فُقِدْتَ مَزَايِدٌ ؛ وَلا للمَعَالي مُذْ عُدِمْتَ قَرِيعُ
أقُولُ لِنَاعِيهِ عُقِرْتَ ، وَجَرّبَتْ بِشِلْوِكَ فَدْعَاءُ اليَدَينِ خَمُوعُ[3]
وَغَلْغَلَ مَا بَينَ الحِجَابَينِ وَالحَشَا سِنَانٌ كَمِصْبَاحِ السّلِيطِ وَقِيعُ
نَعَيْتُ النّدَى غَضّاً يَرِفُّ نَبَاتُهُ ، وَشَملَ العُلى، وَالمَجدَ، وَهوَ جَمِيعُ
بِبَدْرٍ مُعَمٍّ في الكَوَاكِبِ مُخوَلٍ نَمَتْهُ عُرُوقٌ للعُلَى وَفُرُوعُ
مِنَ القَوْمِ طالُوا كلَّ طَوْلٍ إلى العلى إذا أذْرُعٌ يَوْماً قَصُرْنَ وَبُوعُ
بَنَوْا في يَفاعِ المَجدِ ، وَهوَ مُمَنَّعٌ بُنًى طَيرُهَا بَينَ النّجُومِ وُقُوعُ

١ القطقط : البرد .

٢ الرياط ، الواحدة ريطة : الملاءة . السب : الخمار .

٣ قوله : جربت ، هكذا في الأصل ولعلها محرفة عن جررت ، أي جرته جراً شديداً . فدعاء اليدين : أراد الضبع . خموع : تعرج .

فَلا حَمَلَتْ أُمٌّ المَكارِمِ بَعْدَهُ ، ... وَلا شَبَّ للمَجْدِ التّليدِ رَضِيعُ
وَلا أدّتِ الرّكبَ الخِماصَ ، على الوَجى ، ... سَفائنُ بَرٍّ ، وَالسّياطُ قُلُوعُ
إلى أنْ يُزَادَ المُسْتَنيلينَ بَعْدَهُ ... مِنَ الحَيّ قَرٌّ في الظّلامِ وَجُوعُ
أضُمّ عَلَيْهِ الرّاحَتَيْنِ تَعَلّقاً ، ... وَقَدْ نَزَعَتْهُ مِنْ يَدَيّ نَزُوعُ
غُصِبتُكَ عِلْقاً لم أبِعْهُ ، وَلَمْ أكُنْ ... كَباغي رِباحٍ يَشْتَري وَيَبِيعُ
طَوَيْتُكَ طَيَّ البُرْدِ لم يُنضَ مِن بِلًى ، ... وَقَدْ يُغْمَدُ المَطْرُورُ ، وَهوَ صَنِيعُ
أُناديكَ من تَحتِ الخُطوبِ غَداً لها ... بِظَهْرِيَ رَحلٌ ضاغِطٌ وَقُطُوعُ
وَمَا كانَتِ الأيّامُ يَفرَعنَ هَضْبَتي ... لَوَ انّكَ وَاعٍ للدّعاءِ سَمِيعُ
رَمَتْني سِهامُ البأسِ بَعدكَ جَهرَةً ، ... وَأنْبَضَ نَحْوِي عاجِزٌ وَجَزُوعُ[1]
وَزَالَ مِجَنٌّ مانِعٌ كُنْتُ أتّقي ... بهِ الخَطْبَ ، وَالخَطبُ الجليلُ قَطُوعُ
وَمَا كُنتُ أدري أنّ فَوْقَكَ آمِراً ... مِنَ الدّهْرِ يَدْعُو بَغْتَةً فتُطيعُ
فَغالَبَ أطْماعي عَلَيْكَ مُغالِبٌ ، ... وَقارَعَ آمالي عَلَيْكَ قَرُوعُ
عُصِبْتُ ، فَلَمْ أسمَحْ لغَيرِ أكفّكم ... بدَرّي ، وَبَعْضُ الحالِبِينَ طَمُوعُ
إبَاءً ، وَلَوْ طارَتْ بكَفّي مُليحَةٌ ... إلى النّيقِ رَبْداءُ الجَناحِ لَمُوعُ
لَقَدْ لَسَبَتْني مِنْ عَقارِبِ كَيدِهم ... دَبُوبٌ ، إذا جَنّ الظّلامُ لَسُوعُ
يُسَوِّمُني حُسنَ الثّناءِ ، وَضَامِنٌ ... لسُوءِ مَقالٍ أنْ يَسُوءَ صَنيعُ
وَحَسبُكَ مِنْ ذَمّ الفَتى تَرْكُ مدحهِ ... لأمرٍ يَضِيقُ القَوْلُ وَهوَ وَسيعُ

[1] انبض : جذب وتر القوس ليرن .

سَقَاكَ عَلى نَأْيِ الدّيَارِ وَشَحْطِها رَبيعٌ ، وَهَلْ يَسقي الرّبيعَ رَبيعُ
وَحيّاكَ عنّا كُلُّ نَجْمٍ وَشَارِقٍ ، إذا جَنّ لَيْلٌ أوْ أضَاءَ صَديعُ[1]
ذكَرْتُكَ ذِكْرَ العاطِشَاتِ وُرُودَها تُحَرِّقُ أكْبَادٌ لهَا وَضُلُوعُ
تَقَاذَفْنَ يَطْلُبْنَ الرّوَاءَ عَشيّةً ، نَزَائِعَ أدْنَى وِرْدِهِنّ نَزِيعُ[2]
ضَرَبْنَ طَرِيقاً بالمَنَاسِمِ أرْبَعاً إلى المَاءِ لا تُدْنَى إلَيْهِ شُرُوعُ
فَهَجْراً لِدارِ الحَيّ بَعْدَ رَحيلِكُمْ ، وَمَا كُلّ أظْعَانٍ لَهُنّ رُجُوعُ
وَلا مَرْحَباً بالأرْضِ لَستُمْ حُلُولَها ، وَإنْ كَانَ مَرْعًى للقَطِينِ مَرِيعُ
لَقَدْ جَلّ قَدْرُ الرُّزْءِ أنْ يَبلُغَ البكا مَداهُ ، وَلَوْ أنّ القُلُوبَ دُمُوعُ
وَلَوْ أنّ قَلْبي بَعدَ يَوْمِكَ صَخرَةٌ لَبَانَ بهَا وَجْداً عَلَيْكَ صُدُوعُ

استودع الأرض خلاني

يرثي بعض أصدقائه من أمراء بني عقيل ثم من ولد نصر بن شبث العقيلي وقد ورد نعيه في شهر جمادى الأولى سنة ٣٨٥ :

مَنَابِتُ العُشْبِ لا حَامٍ وَلا رَاعٍ ، مَضَى الرّدَى بطَوِيلِ الرّمْحِ وَالبَاعِ
القَائِدِ الخَيْلِ يُرْعِيهَا شَكَائِمَهَا ، وَالمُطْعِمِ البُزْلِ للدّيمُومَةِ القَاعِ[3]

١ الصديع : الفجر .
٢ النزائع : النجائب التي تجلب إلى غير بلادها . النزيع : البئر القريبة القعر .
٣ الديمومة : الأرض التي يدوم بعدها . القاع : أرض سهلة انفرجت عنها الجبال .

مَنْ يَستَفِزّ سُيُوفاً مِنْ مَغامِدِها ؛ وَمَنْ يُجَلّلُ نُوقاً بَينَ أنْسَاعِ
يَسْقي أسِنّتَهُ حتّى تَقيءَ دَماً ، وَيَهدِمُ العِيسَ مِنْ شَدٍّ وَإيضَاعِ
مَا باتَ إلاّ عَلى هَمٍّ وَلا اغتَمَضَتْ عَيْنَاهُ إلاّ عَلى عَزْمٍ وَإزْمَاعِ
خَطيبُ مَجمَعَةٍ تَغلي شَقَاشِقُهُ ، إذا رَمَوْهُ بِأبْصَارٍ وَأسْمَاعِ
لَمّا أتاني نَعِيٌّ مِنْ بِلادِكُمُ ، عَضَضْتُ كَفّيَ من غَيظٍ على النّاعي
أُبْدي التّصَامُمَ عَنْهُ حِينَ أسمَعُهُ عَمْداً وَقَدْ أبْلَغَ النّاعُونَ أسماعي
عَمّتْ عُقَيلاً وَإنْ خصّتْ بني شبَثٍ بزْلاءُ تَملأُ أُذْنَ السّامِعِ الوَاعي
لَيسَ الشّجاعُ الذي من دونِ رُؤيتِهِ بَابٌ يُلاحِكُ مِصْرَاعاً بمِصْرَاعِ [1]
وَلا الذي إنْ مَضَى أبقَى لوَارِثِهِ سَوَائِماً بَينَ أضْوَاجٍ وَأجْزَاعِ [2]
لَكِنّهُ مَنْ إذا أوْدَى فلَيسَ لَهُ إلاّ عَقَائِلُ أرْمَاحٍ وَأدْرَاعِ
يَعتَسّهُ الذّئْبُ في الظّلْماءِ مُرْتَفِقاً عَلى رَحَايِلَ مُلْقَاةٍ وَأقْطَاعِ
يُذَوّقُ العَينَ طَعْمَ النّوْمِ مَضْمَضَةً إذا الجَبَانُ مَلا عَيْناً بتَهْجَاعِ
أشَيعِثُ الرّأسِ لا يَجرِي الدّهان بهِ ، وَإنْ فُلي فَبِماضِي الغَرْبِ قَطّاعِ
لا يُخْلِفُ المَالَ إلاّ رَيْثَ يُتْلِفُهُ ، وَلا يُذَمّ عَلى مَا رَوّحَ الرّاعي
كَمْ فَجّعَتْنِي اللّيَالي قَبلَهُ بِفَتًى مُشَمِّرٍ بِغُرُوبِ المَجْدِ نَزّاعِ
يَمُرّ صَوْتي ، فَلا يَلْوِي بِجَانِبِهِ ، وَكَانَ يَكْفِيهِ إيمَائي وَإلمَاعي
مَن كانَ أُنسيَ أضْحى وَحشَتي وَغَدَا مَنْ كَانَ بُرْئيَ أسْبَاباً لأوْجَاعِ

١ يلاحك: يلائم .
٢ الأضواج ، الواحد ضوج : منعطف الوادي .

أنزَلْتُهُ حَيْثُ لا يَظْمَا إلى نَهَلٍ ، وَلا يُبَالي بإخْصَابٍ وَإمْرَاعِ

وَأرْتَعتُ حتّى إذا لم يَبقَ لي طَمَعٌ أمَلْتُ نَهجَ دُمُوعي غَيرَ مُرْتَاعِ

في كُلّ يَوْمٍ أكُرّ الطَّرْفَ مُلْتَفِتاً، وَرَاءَ نَجْمٍ مِنَ الأقْرَانِ مُنْصَاعِ

أُمَانِعُ الدّمْعَ عَيْناً جِدّ دامِعَةٍ ، وَألْزِمُ اليَدَ قَلْباً جِدّ مُلْتَاعِ

هَلْ دَمْعَةٌ حَذَفَتها العَينُ شَافِيَةٌ داءً حَنَوْتُ عَلَيْهِ بَينَ أضْلاعي

أمْ هَلْ يَرُدّ زَمَانٌ في ثَنِيّتِهِ لَنَا أوَائِلَ سُلاّفٍ وَطُلاّعِ

يَحْدُو عَلى العُنْفِ أُخرَانَا لِيَلحَقَنا عَجْلانَ أبْرَكَ أُولانَا بِجَعْجَاعِ

جَرّ الزّمَانُ عَلى قَوْمي سَنَابِكَهُ ، وَأوْقَعَ المَوْتُ فِيهِمْ أيَّ إيقَاعِ

وَاستَطعَمَتْني المَنَايا مَنْ أضَنُّ بِهِ ، فَكَانَ بالرّغْمِ إطْعَامي وَإشْبَاعي

قَلِّدْ جَنَاجِنَهَا الأنْسَاعَ وَارْمِ بِها مَنَاكِبَ اللّيلِ نَدْباً غَيرَ مِجزَاعِ

فَلا نَجَاءٌ مِنَ الأقْدارِ طَالِبَةً ، فاطْلُبْ عُلالَةَ آمَالٍ وَأطْمَاعِ

بَيْنَا يَسِيرُ الفَتَى حَتّى دَعَوْنَ بِهِ ، فَرَدّ عَارِضَهُ لَبّاً إلى الدّاعي

يَسْعَى مُجِدّاً فإنْ ألوَى بِهِ قَدَرٌ ضَلّ الدّليلُ وَزَلّتْ أخمَصُ السّاعي

يا مُصْعَباً بَخَسَتْ أيْدي المَنُونِ بِهِ فَقِيدَ قَوْدَ ذَلُولِ الظّهْرِ مِطوَاعِ

كَمْ فُرْجَةٍ للأعادي بتَّ تَكْلَؤها ، لَوْلاكَ فاهَتْ بذِي وَدقَينِ مِنبَاعِ[1]

ألحَمتَهَا بصُدُورِ الخَيْلِ مُعلِمَةً إلى الوَغَى وَطِوَالٍ ذاتِ زَعزَاعِ

أرَشّ فَوْقَكَ نَجدِيٌّ يَمُدّ لَهُ نِيلُ السّمَاءِ بِآذِيٍّ وَدُفّاعِ[2]

١ ذات الودقين : الداهية .

٢ النيل : السحاب . الآذي : الموج . الدفاع : قوة الموج أو السيل

يَبْدُو معَ اللّيْلِ رَجّافاً تُكَرْكِرُهُ ريحُ النُّعَامَى بِوَاني الخَطْوِ مِظْلاعِ
وكُلُّ هَافِتَةِ الأعْنَاقِ يَنْحرُها لَمْعُ البُرُوقِ عَلى مِيثٍ وَأجْرَاعِ
بَرْقٌ كَخَفْقِ جَنَاحِ المَضرَحيّ إذا جلّى الطّرَائِدَ مِنْ وَمْضٍ وَتِلماعِ
تَجتَرّ وَدْقاً وَتَرْغُو مِنْ جَوَانِبِها رَعداً إذا قيلَ قَدْ هَمّتْ بإقْلاعِ
أستَوْدِعُ الأرْضَ خُلاّني لتَحفَظَهمْ، لَقَدْ وَثِقْتُ إلى هَوْجَاءَ مِضْيَاعِ

نفس العميد وأنة المتوجع

قال يرثي الأستاذ أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف الحكار وقد ورد الخبر إلى مدينة السلام بوفاته بواسط وذلك في يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من شهر شوال سنة ٣٨٨ وكانت بينهما صداقة وكيدة ومودة وأنس واختلاط ومفاوضات ومكاتبات :

لَوْ كانَ يَرْتَدعُ القَضَاءُ بمَرْدَعِ أوْ يَنْثَني بِمُدَجَّجٍ وَمُقَنَّعِ
لَغدَتْ مُشَمِّرَةً تَقيكَ منَ الرّدى عُصَبٌ تَجُرّ قَنا الطّعانِ وَتَدّعي
وَمُسَدَّدُونَ أسِنّةً يَزَنِيّةً ، فَتَلُوا بأكعُبِها حِبالَ الأذْرُعِ
قَوْمٌ ذُيُولُهُمُ الرِّمَاحُ ، إذا خَطوا رَفَعُوا بمَسحَبِها غُبَارَ الأجرَعِ
خَيلٌ تَوَقَّحُ بالنّجيعِ من الوَجَى، وَقَناً تَشَقَّفُ بالطُّلى وَالأضْلُعِ[1]

١ توقح : تصلب حوافرها .

مُتَعَلِّقِينَ عِنانَ كُلِّ مُسَوَّمٍ ، يَشْأى عُجاجَتَهُ بِوَقْعِ الأرْبَعِ[1]

ذي غُرَّةٍ سُبِغَتْ عَلَيْهِ كأنّهُ فيها يَمُدُّ لَحاظَهُ مِنْ بُرْقُعِ

قَعِيدٌ عَنِ الغُنْمِ القَرِيبِ المُجتَبَى ، سَرِعٌ إلى الطّلَبِ البَعِيدِ المَنزَعِ

يا نَاشِداً هَمَلَ المَساعي نافِضاً في إثْرِهَا لَقَمَ الطّرِيقِ المَهْيَعِ

هَيهاتَ لا مَسعاةَ تَنشُدُ بَعدَها بظُبَى القَواضِبِ وَالقَنا المُتزَعزِعِ

إنّ ابنَ يُوسُفَ عُرّيَتْ أنقاضُهُ وَثَوَى بمَنزِلَةِ المُكَلّ المُظلَعِ

مُتَطامناً مِنْ بَعْدِ ما وَضَعَتْ لَه أيّامُهُ خَدَّ الذّليلِ الأضرَعِ

ألقَى بِطاعَتِهِ ،ولَمّا يَمتَنِعِ ، وَمَضَى لِطِيّتِهِ ، ولَمّا يَرْجِعِ

قَدْ يَتّلِه مُقَلُ السّماحِ وَقد شكا ، وَهَوَتْ له قُلَلُ العَلاءِ وَقد نُعي

أبْنَتُهُ تَحتَ الصّفائحِ لَوْ يرَى ، وَدَعوتُه خلفَ الجَنادِلِ لوْ يَعي

ما لُبثُ مَن يُمسي مَجازاً للرّدَى وَمُعَرَّجَ القَدَرِ المُغَذّ المُسْرِعِ

يَغدُو لأقْدامِ الخُطُوبِ بِمَعثَرٍ ، وَيُرَى بمَرْأًى للمَنونِ وَمَسْمَعِ

ما للزّمَانِ يَلَذّ طَعمَ مَصَائِبِي ، فكَأنّهُ يَظمَا لِيَشرَبَ أدْمُعي

مُغْرًى بنَزْعِ فُؤادِي مُستَعذِباً لِتَألّمي مِنْ صَرْفِهِ وَتَوَجّعي

أرْعَى الذينَ جَنَوْا لَهُ وَرَقَ الغِنَى دوني وَأعلَكَني شكيمَةَ مَطمَعي

وَمَضَى بإخوَانِ الصّفاءِ فلم يدَعْ منهُم أخا ثِقَةٍ ، وَلا عَضُداً مَعي

أبكيكَ ، يا عَبدَ العزيزِ ، بِخِطّةٍ تُعمي مَطالِعُها وَخَطبٍ مُضْلِعِ

[1] يشآها : يسابقها .

وَمَقَاوِمٍ ما زِلتَ تُعجِزُ لَيْلَهَا ... بِلِسَانِ قَوّالٍ وَقَلْبِ سَمَيْذَعِ[1]

إنّي أرَى في المَجدِ بَعدَكَ ثُلْمَةً ... تَبقَى وَخرقاً ما لَهُ مِنْ مَرْقَعِ

مَنْ يُشرِقُ الخَصْمَ الألَدَّ بِرِيقِهِ ... عَيّاً وَيَقدَعُ منهُ ما لمْ يُقدَعِ[2]

أمْ مَنْ يُبَلِّغُ بالبَلاغَةِ غَايَةً ، ... تَلوِي بحَسرَى طالِبِينَ وَظُلَّعِ

أمْ مَنْ يَرُدّ مِنَ المُغيرَةِ غَرْبَها ، ... وَالخَيلُ تَنهَضُ كالقَطا بالدُّرَّعِ

بِنَوَافِذٍ للقَوْلِ يَبْلُغُ وَقعُها ... مَا لَيسَ يُبلَغُ بالرِّماحِ الشُّرَّعِ

شُهُبٌ تَشعشعَ في التَّوَاتِبِ ضَوءُها ، ... كالشّمسِ تُنغِضُ رَأسَها للمطلَعِ

حتّى يَقولَ الغابطونَ ، وَقد رَأوْا ... فَعَلاتِهِ : زَاحِمِ بِجِدٍّ أوْ دَعِ

وَيَوَدّ مَن حمَلَ الثّنا لوْ أصْبحتْ ... تلكَ الأداةُ على الكَميّ الأرْوَعِ

إن لا تكُنْ في الجمعِ أمضَى طعنةٍ ، ... فَلأنتَ أمضَى خُطبَةٍ في المَجمَعِ

إنّ الفَصَاحةَ ذَلّلَتْ لكَ عُنقَها ، ... فأخَذتَ مِنها بالعِنَانِ الأطْوَعِ

أمستْ ظُهورُ المَجدِ عندكَ ترْتقي ... منها إلى قَمَعِ السَّنامِ الأمْنَعِ[3]

كَيْدٌ كَمارِقَةِ النّصَالِ وَدُونَهُ ... بِشرٌ كَبَارِقَةِ النُّصُولِ اللُّمَّعِ

نَهّازُ أذْنِبَةِ الكَلامِ ، إذا هَفَا ... قَلبُ الجَرِيّ وَعَيَّ قَوْلُ المِصْقَعِ

قَدْ قُلْتُ للمُتَعَرّضِينَ لسَطوِهِ : ... خَلّوا وِجَارَ الأرْقَمِ المُتَطَلّعِ

إيّاكُمُ أنْ يَستَضِيفَكُمُ الدُّجَى ... وَمَقيلُهُ وَمَقيلُكُمْ في مَوْضِعِ

١ المقاوم : لعلها جمع مقامة : الجماعة من الناس

٢ يقدع : يكف .

٣ القمع ، الواحدة قمعة : رأس السنام .

لا تَتْبَعُوا شُبَهَ الأمُورِ ، فإنّهُ شُبَهٌ يُتيحُ الحَقَّ عندَ المَقطَعِ[1]
مَن كانَ ماءَ العَينِ أصْبَحَ رُزْؤهُ مِثلَ القَذاةِ مُلِظّةً بِالمَدْمَعِ
وإذا تَغَيطَلَتِ المَطَالِعُ حَيرَةً ، صَدَعَ العَمايَةَ بالقَضاءِ المُقنِعِ[2]
بأبي مَنِ استَوْدَعتُهُ بَطنَ الثّرَى ، وَعَلمتُ كيفَ خِيانَةُ المُستَوْدَعِ
يا لَيتَ شِعرِي مَنْ أعَدّ لدَهْرِهِ ماذا أعَدّ لضِيقِ هذا المَضْجَعِ
لم يَخلُ مَن تَرْمي الخطوبُ سوَادَه مِنْ وَاقِعٍ أبداً وَمِنْ مُتَوَقَّعِ
نَجِدُ الضّرَاعَةَ وَالنّقيصَةَ نَزْرَةً ؛ إنّ القَلامَةَ شِكّةٌ للإصْبَعِ
إن أقضِ مَفرُوضَ البُكاءِ عليكمُ مُتَحَرّجاً يُجرِي الدّموعَ تَبَرُّعي
فَإلامَ تَتْبَعُكُمْ لَوَاعِجُ زَفرَتي وَنَوَازِعٌ مِنْ دَمعيَ المُتَسَرّعِ
هَلْ تَعلَمُونَ على بعادِ دِيارِكم أنّ الغَليلَ عَلَيكُمُ لمْ يُنْقَعِ
لا تَعدَمُوا منّي وَإنْ بَعُدَ المَدى نَفَسَ العَميدِ وَأنّةَ المُتَفَجّعِ
ما شِئتُ مِنْ دَمعٍ لكُمْ متحدّرٍ وَزَفيرِ وَجْدٍ بَعدَكُمْ مُتَرَفّعِ
أمسَى أخٌ لكَ لم يُجارِكَ في الصِّبَا طَلَقاً وَلا سَاقَاكَ دَرَّ المُرْضِعِ
في صَدرِهِ أرَةٌ عَلَيكَ من الجَوَى تُذكَى بأنفاسِ المُعنّى المُوجَعِ[3]
رُزْءٌ تَخَضْخَضَ سَهمُهُ في مَقتَلي ، يَمضِي الزّمانُ وَنَصْلُهُ لم يُنزَعِ
نضحَ الثّرَى ذو أنتَ فيه مُجلجِلٌ ، يَستَخلِفُ الأكلاءَ بَعدَ المَقْلَعِ[4]

١ مقطع الحق : ما يقطع به الباطل .
٢ تغيطلت : أظلمت . العماية : الغواية .
٣ الأرة : النار .
٤ ذو أنت : الذي أنت. المجلجل: السحاب الرعاد . الأكلاء: الأعشاب . بعد المقلع: بعد إقلاعه .

هَزِجُ الرَّعُودِ لَهُ بكُلِّ ثَنِيَّةٍ زَجَلٌ كشَقْشَقَةِ الفَنِيقِ المُوضِعِ
لَثِقُ المُناخِ ثَقيلَةٌ أوْرَاكُهُ ، حَضِرُ المَجَرِّ مُرَوَّضٌ بالبَلْقَعِ
حتّى تَرَى نَزْعَ الرُّبَى مِنْ نَوْرِهِ غَمَماً يَرِفُّ على خَصِيبٍ مُمرِعِ [1]
وَمَتى يكُنْ فيهِ سَقاكَ نَقيصَةً أبدَ الزّمَانِ تَمَمْتَها بالأدْمُعِ [2]
نُثْني عَلَيكَ ثَناءَ راعي هَجمَةٍ بعدَ الجُدوبِ على الغَمامِ المُقلِعِ
وَنَقولُ فيكَ ، وَلَوْ سَكَتْنَا قا لتِ الأيّامُ أكثرَ ما نقولُ وَنَدّعي
وَلَقَد تجَافَى المَجدُ عَن ثَفِناتِهِ ، قَلِقاً عليكَ، فَما يَقَرُّ بمَرْبَعِ
نقَصَتْ أداةُ الفَضْلِ بعدَكَ كلُّها، فوَعَى بمُصْطَلَمٍ وَشَمَّ بأجدَعِ
فاذهَبْ رَعاكَ اللهُ غَيرَ مُضَيَّعٍ ، وَسَقَى ثَرَاكَ المُزْنُ غيرَ مُرَوَّعِ
فالقَلبُ للشّانِينَ إن لم يَكتَئِبْ ، وَالجَفْنُ للأعْداءِ إنْ لمْ يَدْمعِ

١ الغمم : سيلان الشعر حتى تضيق الجبهة ، ولم ندرك ما المراد منها هنا .
٢ هذا البيت غامض المعنى ، ولعل فيه تحريفاً .

بعداً لطيب العيش بعدكم

قال يرثي أبا حسان أمير عقيل وقتله غلمان داره بالانبار غيلة ليلا وذلك في شهر صفر سنة ٣٩١ ، وتقدم له مرثية في حرف الدال من هذا الديوان :

ألا ناشداً ذاكَ الجَنَابَ المُمَنَّعَا ، وَجُرْداً يُناقِلْنَ الوَشِيجَ المُزَعْزَعَا

وَمَنْ يَمْلأُ الأيّامَ بَأساً وَنَائِلاً ، وَتُثْنَى لَهُ الأعنَاقُ خَوْفاً وَمَطمَعَا

أَجُلُّي إلَيْهِ ذلكَ الخَطبُ مُقْدِماً ، وَقَد كَانَ لا يَلقَاهُ إلاّ مُرَوَّعَا

وَجَازَ أضَامِيمَ البِلادِ مُغِيرَةً ، وَحَيَّ نِزَارٍ حاسرِينَ وَدُرَّعَا[1]

وَسُمْرُ عُقَيلٍ تَحمِلُ المَوْتَ أحمراً ، وَبِيضُ عُقَيلٍ تَقطُرُ السّمَّ مُنْقَعَا

وَلَمْ تَخشَ من حَدّ الصَّوَارِمِ مَضرَباً ، وَلَمْ تَلقَ مِن أيدي القَبائِلِ مَدْفَعَا

رَأى وَرَقَ البِيضِ الخِفافِ هَشائِماً ، وَشَوْكَ العَوَالي ناصِلاً أوْ مُنَزَّعَا

هوَ القَدَرُ الأقوَى الذي يقصِفُ القَنا ، وَيَلوِي مِنَ الجَبّارِ جِيداً وَأخدَعَا

وَيَستَهزِمُ الجُرْدَ الجِيادَ تَخالُها بِجَافِلَةِ الأبْطَالِ سِرْباً مُذَعذَعَا

تَرَى الظُّفُرَ المَاضِي الشَّبَاةِ قُلامَةً ، إذا غَالَبَ الأقدارَ ، وَالبَاعَ إصْبَعَا

أتَاني ، وَغَوْلُ الأرْضِ بَيْني وَبَيْنَهُ ، فَيَا لكَ رُزْءاً ما أمَضّ وَأوْجَعَا

جَوَانِبُ أنْبَاءٍ وَدَدْتُ بِأنّني صَمَمتُ لها ما أوْرَقَ العُودُ مَسمَعَا

---

[1] أضاميم : جماعات الخيل .

تَصَامَمتُ حتّى أبلِغَ النّفسَ عُذرَةً ، وَمَا أنطَقَ النّاعُونَ إلاّ لأسْمَعَا
بأنّ أبَا حَسّانَ كُبّتْ جِفَانُهُ ، وَأُخمِدَ نيرَانُ القِرَى يَوْمَ وَدّعَا
أعَزُّ عَلى عَيْني مِنَ العَيْنِ مَوْضِعاً ، وَألطَفُ في قَلبي مِنَ القَلبِ مَوْقِعَا
أكُنّ غَليلي بالضّلُوعِ ، وَلَمْ أجِدْ لقَلْبي وَرَاءَ الهَمّ مُذْ غابَ مَطلَعَا
وَفَارَقَني مثلَ النّعيمِ مُفَارِقاً ، وَوَدّعَني مِثلَ الشّبابِ مُوَدِّعَا
عَلا الوَجدُ بي حتّى كأن لمْ أرَ الرّدَى يَخُطّ بجَنبٍ قَبلَ جَنبِكَ مَصرَعَا
لَقَدْ صَغّرَ الأرْزَاءَ رُزْؤكَ قَبلَهَا ، وَهَوّنَ عِندي النّازِلَ المُتَوَقَّعَا
فإنْ لمْ تَزُلْ نَفسِي عَلَيكَ، فإنّها سَتُنْفِدُ أنْفَاساً حِراراً وَأدْمُعَا
فَيَا لائِمَيّ اليَوْمَ لا صَبْرَ بَعْدَهُ ، فَطِيرَا بِأعبَاءِ المَلامَةِ أوْ قَعَا
برُغمِكَ أجمَمتَ الصّوَارِمَ وَالقَنَا ، وَأخلَيتَ يَوْمَ الرّوْعِ بِيضاً وَأدْرُعَا
وَمُستَجِعٍ أرْضَ العَدُوّ تَخَالُهُ جِبالَ شَرَوْرَى طُلْنَ مَيثاً وَأجرَعَا[1]
إذا وَرَدَتْ أنْقَاعَ مَاءٍ وَقيعَةٍ أنَشّتْ على أُخرَاهُ بِالمَاءِ أجْمَعَا
إذا انْقَادَ عُلْوِيّاً حَسِبْتَ جِيَادَهُ إكَاماً عَلَيْهِنّ الأجادِلُ وُقَّعَا
مَطَوْتَ بِهِ حتّى استرَاثَ جِمَاحُهُ ، وَجَعجَعَ بالبَيْداءِ حَسْرَى وَظُلَّعَا[2]
من القَوْمِ طارُوا في الفَلا كلَّ طَيْرَةٍ ، وَمَدّوا إلى الأحسابِ بُوعاً وَأذْرُعَا
إذا لَبِسُوا الرَّيْطَ اليَمانيَ ، وَأقبَلُوا يَجُرّونَ مِنها الشَّرْعَبيّ المُضَلَّعَا[3]

١ شروري : جبال لبني تميم . لعل ميثا وأجرعا هنا : مكانان .
٢ مطوت به : أسرعت به . استراثه : استبطأه ، ولعله أراد به هنا : أبطأ ، وقصر
٣ الشرعبي : ضرب من البرود .

حَسِبتَ أسُودَ الغَابِ رُحنَ عَشيّةً ، تَخَالُ بِهِنّ البَابِلِيّ المُشَعْشَعَا
صِفَاحُ خُدُودٍ كَالذّوَابِلِ طَلْقَةٍ ، يُبَادُونَ بالظّلْمَاءِ لحماً مُبَضَّعَا
وأبيَضَ مِنْ عَلْيَا مَعَدٍّ سَمَا بِهِ إلى السُّورَةِ العَليا أبٌ غَيرُ أضرَعَا[1]
كأنّكَ تَلقَى وَجهَهُ البَدرَ طَالِعاً ، إذا ابتَدَرَ القَوْمُ الرِّوَاقَ المُرَفَّعَا
فإنْ أُلْهِبَتْ فيهِ الحَفيظَةُ خِلتَهُ وَرَاءَ اللّثَامِ الأرْقَمَ المُتَطَلّعَا
يَقومُ اهتِزَازَ الرّمحِ خبّتْ كُعُوبُهُ ، وَيَقعُدُ إقعَاءَ ابنِ عَيلٍ تَسَمُّعَا[2]
ضَمُومٌ عَلى الهَمّ الذي بَاتَ ضَيفَهُ ، جَمُوحٌ عَلى الأمرِ الذي كانَ أزْمَعَا
صَليبٌ عَلى قَرْعِ الخُطوبِ ، كأنّما يُرَادِينَ طَوْداً من عَمَايَةَ أفرَعَا[3]
وكَمْ مِثلَهُ يَستَفرِغُ الدّمعَ رُزْؤهُ ، وَيُوهي صَفَاةَ القَلْبِ حتّى تَصَدّعَا
إذا أحجَمَ الأقْوَامُ دُونَ ثَنِيّةٍ ، تُجيزُ إلى بُحبُوحَةِ المَجدِ ، أطلعَا
تَرَاهُ الثِّفَالَ العَوْدَ في حُجرَاتِهِ ، وَفي كَبّةِ الرّوْعِ الغُلامَ السّرَعرَعَا[4]
فَيَا بَانياً للعِزّ ثُلّمَ مَا بَنَى ، وَيَا رَاعِياً للمَجدِ أُهمِلَ ما رَعَى
فَقَدْتُكَ فَقْدَ النّاظِرَينِ تُخُرِّمَا جَميعاً عَنِ العَينَينِ ، وَاختُلِجا مَعَا
تَهافَتَ ثَوْبُ المَجدِ بَعدَكَ عَن بِلًى ، كأنّكَ لمْ تَرْقَعْ مِنَ الأرْضِ مَرْقَعَا
لَئِنْ بُزّ هَذا الحَيُّ مِنكَ عِمَادَهُ ، فَغَيرُ عَجيبٍ أنْ يَعِزّ ، وَيَمنَعَا

١ السورة : المنزلة . الأضرع : الذليل .
٢ خبت كعوبه : اضطربت . ابن عيل : لعله أراد الأسد .
٣ يرادين : يراودن . عماية : جبل . الأفرع : العالي .
٤ الثفال : البطيء . العود : المسن من الإبل . الكبة : الحملة . السرعرع : التام الناعم اللدن .

فقَدْ تَسمَعُ الأُذنانِ أوعبَ صَلْمُها، وَيُدرِكُ أنْفٌ فَغمةَ الطّيبِ أجدَعَا
وَإنْ يَمضِ نَصْلٌ من عُقَيلٍ نجد له مَناصِلَ في أيدي الصّياقلِ قُطَّعَا
فَمَا غيضَ ذاكَ المَاءُ حتّى علا الرُّبَى، وَلا اجتُثّ ذاكَ الأصلُ حتّى تَفرّعَا
وَإنْ يختَلِسنا ذلكَ العَضْبَ حادِثٌ، فمِنْ بَعدِ ما أبقى الغِمادَ المُرَصَّعَا
مُجَاوِرُ قَوْمٍ أُنْزِلُوا دارَ غُرْبَةٍ، إذا ظَعَنُوا لا يُظْعِنُونَ المُشَيَّعَا
وَلا يَستَجِدّونَ اللّبَاسَ من البِلَى، وَلا يَعْمُرُونَ المَنْزِلَ المُتَضَعْضِعا
بَطِيئُونَ عَن داعي اللّقَاءِ تَخالُهمْ، إذا مَا دُعُوا يَوْماً مُرِمّينَ، هُجَّعَا[1]
حَفَائِرُ ألقَى الجُودُ أفلاذَ كَبدِهِ بِهِنّ، وَخَطّ المَجدُ فيهنّ مَضْجَعَا
وَحُطّ بهِنّ الرّحْلُ تَدْمَى صِفَاحُهُ كمَا أفرَدَ الحَيُّ الأجَبَّ المُوَقَّعَا[2]
أجِدّكَ لا تَلقَى لذا المَجْدِ جَامِعاً، وَلا للمَعَالي الغُرّ بَعدَكَ مَجمَعَا
وَكانَ طَرِيقُ الجُودِ عندَكَ مأمَناً، فَأذْأبَ بالقَوْمِ اللّئَامِ وَأسْبَعَا
أسِيتُ عَلى آلِ المُسَيَّبِ أنّهُمْ بُدُورُ المَعَالي غَارِبَاتٍ وَطُلَّعَا
تَفَرّوْا تَفَرّيَ السَّجْلِ دُقّ أديمُهُ، وَلَمّا يَدَعْ فِيهِ الخَوارِزُ مَرْقَعَا
مَضَوْا بَعدَما أبقَوْا إلى المَجدِ مَنهجاً، رُكُوباً بأعلى غارِبِ الأرْضِ مَهْيَعَا
إذا وَضَعُوا فيهِ أجَازُوا إلى العُلَى؛ وَإنْ سارَ فيهِ النّاسُ أرْذَى وَأظلَعَا[3]
وَلَمْ يَترُكُوا في نَصْلِ شَنعاءَ مَضرِباً، وَلَمْ يَدَعُوا في قَوْسِ عَلْيَاءَ مَنزَعَا

---

١ المرمين : المائلين إلى اللهو ، أو الساكتين .

٢ الأجب : المقطوع السنام . الموقع : الذي تكثر آثار القروح عليه .

٣ أرذى : جعل المطايا رذايا ، أي هزيلة . أظلع : جعلها تظلع ، تعرج .

تَغالَتْهُمُ أيدي المَنُونِ عَلائِقاً ... مِنَ العِزّ قَدْ زَايَلْنَ عَاداً وَتُبَّعَا

أخِلاّيَ مَا أبْقَوْا لِعَيْنَيَّ قُرّةً ، ... وَلا زَوّدُوا إلاّ الحَنِينَ المُرَجَّعَا

وَكَانُوا عَلَى الأيّامِ مَلْهًى وَمَطرَباً، ... فقَدْ أصْبَحوا للقلبِ مبكًى وَمَجزَعَا

كَأنّ عُقَاراً بَعدَهُمْ بَابلِيّةً ... تخَالُ بهَا في الرّأسِ نَكْبَاءَ زَعزَعَا

لهَا رَقَصَاتٌ في الذّوَائبِ وَالشَّوَى ... تَرُدّ جَبَانَ القَوْمِ نَدباً مُشَيَّعَا

شرِبْتُ بهَا شُرْبَ الظّمِيّةِ صَادَفَتْ ... قَرَارَ عُبَابيٍّ مِنَ المَاءِ مُتْرَعَا

سَقَاكُمْ وَمَا سَقْيُ السّحائبِ غَمرَةً ... مِنَ الجُودِ أمرَى من نَدَاكم وَأمرَعَا

نِشَاصُ الثّرَيّا كُلّما هَبّ بَرْقُهُ ... تَذَبْذَبَ يُزْجي عَارِضاً مُتَرَفِّعَا[1]

حَدَتهُ مِنَ الغَوْرَينِ هَوْجاءُ كُلّمَا ... وَنَى عَجرَفَتْ فيه فَخَبّ وَأوْضَعَا[2]

تَلُفّ بِهِ لَفّ الحُداةِ جَمَائِلاً ، ... يُزَادُ عَنِ البَيْداءِ طَرْداً مُدَفَّعَا

كَأنّ بقَعقَاعِ الرّعُودِ ، عَشِيّةً ، ... عِشاراً يُرَاغِينَ الجُلالَ الجلَنْفَعَا[3]

كَأنّ اليَمَاني حَاكَ في أُخْرَيَاتِهِ ، ... فَأعرَضَ أبرَادَ الرَّبَابِ وَأوْسَعَا

إلى أنْ تَفَرّى مِنْ جَلابِيبِهِ الصَّبَا ... كَأنّ عَلَى الجَرْبَاءِ رَيْطاً مُقَطَّعَا[4]

فَشَقّ عَلَى ذاكَ التّرَابِ مَزَادَهُ ، ... وَخَوّى على تلكَ القُبورِ وَجَعجَعَا

فبُعْداً لطِيبِ العَيشِ بَعدَ فِرَاقِكُم، ... فَلا أسْمَعَ الدّاعي إليْهِ وَلا دَعَا

١ نشاص : ارتفاع .

٢ عجرفت : اشتدت سرعتها .

٣ الجلال : أراد به البعير الضخم . الجلنفع : الجمل الضخم .

٤ قوله : جلابيبه الصبا ، هكذا في الأصل ، ولعل في الكلام تحريفاً .

وَلا أسَفاً للدّهْرِ إنْ صَدّ مُؤْيِساً ، وَلا مَرْحَباً بالدّهرِ إنْ عادَ مُطمِعَا

وَإنْ عثَرَ الأحياءُ مِن بَعدِ مَوْتِكم ْ فَلا دَعدَعاً للعاثِرِينَ وَلا لَعَا

لحا الله هذا الدهر

قال يرثي قاضي القضاة أبا محمد عبيد الله بن أحمد ابن معروف وقد توفي ليلة السبت لست ليال خلون من صفر سنة ٣٨١ لمودة بينهما ويعزي عنه أمير المؤمنين الطايع لله لاصطناعه له وتنويهه باسمه :

عَظِيمُ الأسَى في هذهِ غَيرُ مُقنِعِ ، وَلَوْمُ الرّدى فيما جنى غيرُ مُنجِعِ

وَلا عَينَ إلاّ الدّمْعَ تَجرِي غُرُوبُهُ ، فلاقِ بهِ المَقدُورَ إنْ شئتَ أوْ دَعِ

فلَيسَ القَنَا فيمَا أصَابَ بِشُرَّعٍ ، وَلَيْسَ الظُّبَى فيمَا ألَمّ بِقُطَّعِ

وَلا مَانِعٌ مِمّا رَمَى اللهُ سَهْمَهُ ، دِفَاعَ المُحامي وَادّرَاعَ المُدَرَّعِ

وَإنّ المَنَايَا إنْ طَرَقْنَ بِفَادِحٍ ، فَسِيّانِ لُقْيَا حاسِرٍ أوْ مُقَنَّعِ

إذا انْتَصَرَ المَحزُونُ كَانَ انْتِصَارُه بدَمعٍ يزِيدُ الوَجدَ أوْ عَضّ إصْبَعِ

وَإنّ غَبِينَ القَوْمِ مِنْ طاعنِ الرّدى إذا جاءَ في جَيشِ الرّزَايَا بأدْمُعِ

أتَرْضَى عن الدّنيا وَما زَالَ بَرْكُهَا علَى مَقْصَدٍ مِنّا ، وَشِلوٍ مُبَضَّعِ

إذا سَمَحَتْ يوْماً بسَجواءَ سَجسجٍ ، تَلَتْهَا علَى عَمْدٍ بنَكْبَاءَ زَعزَعِ [1]

[1] السجواء : الريح الساكنة . سجسج : لا حر فيها ولا قر .

أَيَوْمَ عُبَيدِ اللهِ كَمْ رُعتَ من حشًى جليدٍ، على طولِ المَدى لم يُرَوَّعِ
وكَمْ جَفَّ دَمعٌ فيكَ قد كان غَرْبُه بَطيئاً، إذا ما رِيمَ لمْ يَتَسَرَّعِ
تَوَقُّعُ أمْرٍ زَادَ هَمّاً وُقُوعُهُ، وَإنّ وُقُوعَ الأمْرِ دُونَ التَوَقُّعِ
أبا جدَثاً وَارَى مِنَ العزِّ هَضْبَةً، تَمُدّ إلى العَلْيَا بِبُوعٍ وَأذْرُعِ
سَقاكَ، ولَوْلا ما تَجُنّ مِنَ التُقَى، لَقُلْتُ شَآبيبَ العُقَارِ المُشَعشَعِ
وَقُلّ لِقَبرٍ أنْتَ سِرٌّ ضَميرِهِ بُكَاءُ الغَوَادي كلّ يومٍ بأربَعِ
وَقَفْتُ عَلَيْهِ عاطِفاً فَضْلَ عَبرَةٍ، تَفيضُ على فَضْلِ الحَنينِ المُرَجَّعِ
أقُولُ لَهُ، وَالعَينُ فيها زُجَاجَةٌ من الدّمعِ قد وَارَى بها الجُولُ مدمعي
وَمَا هيَ إلاّ سَاعَةٌ، وَهْوَ لاحِقٌ بِعادٍ إلى يَوْمِ المَعَادِ وَتُبَّعِ:
هَلَ انْتَ مُجيبي إن دَعَوْتُ بِأنّةٍ، وَهَلْ أنتَ غادٍ بَعدَ طول مدًى معي
وَهَيهَاتَ حَالَتْ بيْنَنا، مُستَطيلَةً، ضَمُومٌ على الأجرَامِ مِن كلّ مَطلَعِ
لَنَا كُلّ يَوْمٍ فَرْحَةٌ مِنْ مُبَشَّرٍ بِمُقْتَبَلٍ، أوْ رَنّةٌ مِنْ مُفَجَّعِ
وَطَارِي رَجَاءٍ في مُلِمٍّ مُسَلَّمٍ، وَعارِضِ يأسٍ مِنْ خَليطٍ مُوَدَّعِ
وَمَا بُعْدَ ما بَيني وَبَينَكَ سامِعاً، وَأنتَ بِمَرْأًى مِنْ مُقامي وَمَسمَعِ
لحَا اللهُ هَذا الدّهْرَ ماذا جرَتْ بهِ نَوَائبُه مِن مُؤلِمِ الوَقعِ مُظْلِعِ
لَقَدْ جَبّ مِنّا ذُرْوَةً أيّ ذُرْوَةٍ، فَأُبْنَا بِأضْلاعِ الأجَبِّ المُوَقَّعِ
ألَيسَ عُبيدُ اللهِ خلّى مَكَانَهُ؟ فَلا عَطَسَ الإسلامُ إلاّ بِأجْدَعِ
تَعزّ، أميرَ المُؤمِنينَ، صَرِيمَةً من العَزْمِ عَن ماضِي الصّرَائمِ أرْوَعِ
أمينُكَ لم يَدخَرْكَ نُصْحاً، إذا حَنَا رِجالٌ علَى الغِشّ القَديمِ بأضْلُعِ

هُوَ السّابقُ الهادي إلى عَقْدِ بَيعَةٍ ، رَأى النّاسَ فيها بَينَ حَسرَى وَظُلَّعِ
غَرَستَ بهِ غَرْساً يرَى الدّهرُ عُودَهُ ، وكانَ متى تَغرِس على الرّغمِ يَترَعِ
بَقيتَ أمينَ اللهِ عُوداً لمَفزَعٍ ، ومَرْعًى لإخفَاقٍ وَوِرْداً لمَطْمَعِ
إذا صَفَحَتْ عنكَ اللّيالي وَأغرِبَتْ بحِفظِكَ فينَا هَانَ كُلٌّ مُضَيَّعِ
فَلا فُجِعَتْ بالعِزّ دارُكَ سَاعَةً ، وَلا غُضّ مِنْ بابِ الرّوَاقِ المُرَفَّعِ
وَلا بَرِحَتْ تِلكَ الرّباعُ مَجُودَةً على كلّ حالٍ مِنْ مَصِيفٍ وَمَرْبَعِ
لَقَدْ هاجَ هذا الرّزْءُ رَيعَانَ زَفرَةٍ ، تَلَقّيتَها بالقَوْلِ عَن قَلبٍ مُوجَعِ
وَلا سَبَبٌ إلاّ المَوَدّةُ إنّهُ تَقَطّعَ مِنّي ، وَالقُوَى لمْ تُقَطَّعِ
وَلَيْسَ مَقَالٌ حَرّكَتْهُ حَفيظَةٌ ، وَعَهْدٌ كَقَوْلِ القائِلِ المُتَصَنِّعِ

لكل ضيق سعة

قال يرثي أبا طاهر إبراهيم بن ناصر الدولة وقد بلغه أن قوماً من بني عقيل .. ، من مرثيته الرائية المتقدمة :

آبَ الرُّدَيْنيُّ وَالحُسَامُ مَعاً ، وَلمْ يَؤبْ حامِلُ الحُسامِ مَعَهْ
إنّ الخَفيفَ الحاذَينِ جَدّلَهُ مُعَيَّرٌ بالقُعُودِ وَالرَّتَعَه[1]

[1] الخفيف الحاذين : القليل المال . الرتعة : التوسع في الخصب

غَدَا عليه مَنْ كانَ خيفتَهُ   بَرْقاً على الهُونِ لازماً ظَلَعَهْ
لَوْ أنْصَفَ الحَيُّ مِنْ رَبيعتِهِ   ما صافَ مُحْتَلَّهُ وَلا رَبَعَهْ
وَانتزَعَ الثّارَ مِنْ مَظِنّتِهِ ،   مُعاجِلاً بالدّمِ الذي انتزَعَهْ
بالسُّمرِ تَهتَزّ في أسنّتِها ،   وَالخيلِ تَعلو العنيقَ وَالرَّبَعَهْ[1]
في جَحفَلٍ قَعقَعَتْ حوَافِرُهُ   قَعاقِعَ الرّعْدِ حادِياً قَزَعَهْ[2]
تَملؤهُ عَينُ مَنْ رَآهُ وَتَرْ   تَجّ من الرّعبِ أُذنُ من سَمِعَهْ
كانَ سِناناً يَزينُ صَعدتَهُمْ   شُلّ بذاكَ السّنانِ مَن نَزَعَهْ
وَمارِناً لمْ يَزَلْ لَهُ ظُبَةٌ   يجدَعُ أعناقَ حيّ مَن جدَعَهْ
يُطلِعُهُ فَوْقَ كُلّ مَرْقَبَةٍ   قَلْبٌ جَرِيٌّ وَعَزْمَةٌ طُلَعَهْ
إذا جرَى وَالحَسودَ في صُعُدٍ   مِنَ العُلَى يَبغِيانِ مُمتَنَعَهْ
خلّى غُبارَ المَدى لَهُ وَمضَى   يَطلبُ فوتَ العيونِ منقَطَعَهْ
أبكي نداهُ العَريضَ أمْ بِشرَهُ اللا   معَ للمُعتفينَ أم وَرَعَهْ ؟
إيهاً عُقَيلُ وَأيُّ مَنقَصَةٍ   كوَضْعِ مَوْلى الأقوامِ مَن رَفعَهْ
صارَ طِرادُ المُلوكِ عادتَكُمْ   بعد طِرادِ البعوضِ وَالقَمَعَهْ[3]
ألامُ أنّي رَثَيْتُ زَافِرَةً ،   كانوا نجومَ الفَخارِ أوْ لُمَعَهْ[4]

١ العنيق والربعة : ضربان من السير السريع .
٢ القزع : قطع السحاب .
٣ القمعة : ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر .
٤ الزافرة واللمعة : الجماعة من الناس .

إنْ لا تكُن ذي الأصُولُ تجمعنا يَوْماً فإنّ القُلُوبَ مُجنة
كَمْ رَحِمٍ بالعُقُوقِ نَقطعُها، ورَحِمُ الوُدِّ غيرُ مُنقطِعَهْ
لاتيْأسُوا من ثُقُوبِ زَندِهِمُ، كَأنّني بالزّمَانِ قَدْ قَرَعَهْ
لا بُدّ مِنْ أنْ يَثوبَ حَالهُمُ، لِكُلّ ضِيقٍ مِنَ الأمورِ سعه

ضمير موجع

قال يرثي أبا محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله ابن أبي سعيد السيرافي اللغوي النحوي وذلك في يوم الأربعاء لثلاث ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٨٥ وكان من أعيان الأعلام في العربية وما يتعلق بها وبلغ من السن خمساً وخمسين سنة وشهوراً وتوفي بعد وفاة الصاحب بن عباد بأيام قلائل :

يا يوسُفُ، ابنَ أبي سَعيدٍ دَعوَةً أوْحَى إلَيكَ بِهَا ضَميرٌ مُوجَعُ
إنّ الفَجائِعَ بالرّجَالِ كَثيرَةٌ ، ولَقَلّ مَن يَرْعَى وَمَن يَتَفَجّعُ
لمّا رَأيتُ النّاسَ بَعدَكَ نَكّبُوا سُنَنَ الحِفاظِ فَغادِرٌ وَمُضَيِّعُ
قَرْطَستُ في غَرَضِ الوَفاءِ بقَوْلَةٍ لأكونَ بَعدَكَ حافِظاً ما ضَيّعُوا[1]

[1] قرطست : أصبت القرطاس ، الغرض .

مَن كانَ أسرَعَ عندَ أمرِكَ نَهضَةً قَدْ بَاتَ، وَهوَ إلى سُلُوّكَ أسرَعُ
كم من أخٍ لكَ لم يَدُمْ لكَ عَهدُهُ، قد كانَ مِنكَ بحَيثُ تُثنى الإصْبعُ
لمْ يُنسِنَا كافي الكُفَاةِ مُصَابَهُ، حتّى رَمَانَا فيكَ خَطبٌ مُطْلِعُ
قِرْفٌ عَلى قَرْحٍ تَقارَبَ عَهْدُهُ، إنّ القُرُوفَ على القرُوحِ لأوْجَعُ[1]
وَتَلاحُقُ الفُضَلاءِ أعظَمُ شاهِدٍ، إنّ الحِمَامَ بغَيرِ عِلقٍ مُولَعُ
وَاهاً لَهُ لَوْ كانَ أسْرٌ يُفتَدَى برَغِيبَةٍ أوْ كَانَ خَرْقٌ يُرْقَعُ
في كُلّ يَوْمٍ للنّعُوشِ مُشَيِّعٌ مِنّا يَرُفّ وَرَاجِعٌ يَستَرْجِعُ
كَيْفَ الغُرُورُ وَللفَنَاءِ ثَنِيّةٌ، وَيَدُ المَنُونِ تُشِيرُ ثَمّ المَطْلَعُ
وَلَرُبّ أصْغَرَ عَاقِدٍ عِرْنِينَهُ أمسَى لَهُ في الأرْضِ خَدٌّ أضرَعُ
ما كنتُ أبْخَلُ أنْ أُطِيلَ لوَ انّهُ يُجدي المُطيلُ إذا أطالَ وَيَنفَعُ
لَكِنّهُ سِيّانِ مَنْ تَجْرِي لَهُ عِندَ الفَجَائِعِ دَمعَةٌ أوْ أدمُعُ

حوامي جبال العز

قال قدس الله تعالى روحه يرثي بعض الناس في المحرم سنة ٣٨٧ :

قِفْ مَوْقِفَ الشّكّ لا يأسٌ وَلا طمعُ، وَغالِطِ العَيشَ لا صَبرٌ وَلا جَزَعُ
وَخادِعِ القَلبَ لا يُودِ الغَليلُ بِهِ، إنْ كَانَ قَلْبٌ عَلى المَاضِينَ يَنخدِعُ

[1] القرف : القشر .

وكاذبِ النّفسَ يَمتدّ الرّجاءُ لهَا ؛ إنّ الرّجاءَ بصِدْقِ النّفسِ يَنقطعُ
سَائلْ بصَحبيَ أنّى وُجهَةٍ سَلَكوا عنّا ، وأيّ الثّنايَا بَعدَنَا طَلَعُوا
حَدَا بأظْعانِهِمْ حتّى استَمرّ بِهَا حادي المَقاديرِ لا يَلوي بهم ظَلَعُ
غَابُوا فَغَابَ عَنِ الدّنيا وَسَاكِنِها مَرْأى أنيقٌ عَنِ الدّنْيَا وَمُستَمَعُ
بَني أبي قَد نكَى فيكُمْ بشِكّتِهِ ، وَنَالَ مَا شَاءَ هذا الأزْلَمُ الجَذَعُ[1]
كُنتُمْ نُجُوماً لذي الدّهماءِ زَاهِرَةً تُضِيءُ مِنها اللّيَالي السّودُ وَالدُّرَعُ[2]
إن تَخبُ أنوَارُكم من بعدِ ما صَدعتْ ثَوْبَ الدُّجى فلضَوْءِ الشمس مُنقطَعُ
في غُرّةِ المَجدِ مُذْ غُيّبتُمُ كَلَفٌ عَلى الزّمانِ ، وَفي خَدّ العُلى ضَرَعُ
وَبالمَوَاضِي حِرَانٌ في الوَغى ، وَبأعناقِ الضّوَامِرِ مُذْ أُرْحِلتُمُ خَضَعُ
مَصَاعِبٌ ذَعذعَتْ أيدي المَنونِ بها ، فَطاعَ مُعتَصِمٌ وَانقَادَ مُمْتَنِعُ
لم يَعدَمُوا يَوْمَ حَرْبٍ تحتَ قَسطَلِها طَيرُ الرُّخَامِ عَلى لَبّاتِهِمْ تَقَعُ[3]
لم يَنزِعوا البيضَ مُذ لاثوا عَمائِمَهمْ إلاّ وَقد غاضَ منها الشّيبُ وَالنَّزَعُ[4]
نُسَابِقُ المَوْتَ تَطوِيحاً بأنفُسِنَا ، حتّى كَأنّا عَلى الآجَالِ نَقتَرِعُ
أبْكِيهِمُ ، وَيَدُ الأيّامِ دائِبَةٌ ، تَدوفُ لي فَضْلَةَ الكأسِ التي جرَعُوا
لا أمْتَرِي أنّني مُجرٍ إلى أمَدٍ جرَوْا إلَيهِ قُبَيلَ اليَوْمِ أوْ نَزَعُوا

١ الأزلم الجذع : الدهر الشديد الكثير البلايا .
٢ الدرع : ثلاث ليال من الشهر تلي البيض لاسوداد أوائلها وابيضاض أواخرها
٣ الرخام : لعله جمع رخمة : طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع .
٤ النزع : انحسار الشعر .

وَأَتَني وَارِدُ العِدّ الذي وَرَدُوا بالكُرْهِ أَوْ قارِعُ الباب الذي قَرَعُوا

سُدّتْ فَوَاغِرُ أَفواهِ القُبُورِ بِهِمْ ، وَلَيسَ للأرْضِ لا رَيٌّ وَلا شَبَعُ

أَعتادُهُمْ لا أَرَجّي أَنْ يَعُودَ لهمْ إليّ ماضٍ ، وَلا لي فيهِمُ طَمَعُ

فَمَا تَوَهَّجُ أَحشَايَ عَلى نَفَرٍ كَانُوا عَوَادِيَ لِلأيّامِ ،فارْتُجِعُوا

نُلِيحُ أَنْ تَرْتَعي الأقدارُ أَنْفُسَنا، وَكُلُّنَا للمَنَايَا السّودِ مُزْدَرَعُ

نَلْهُو،وَمَا نَحْنُ إلاّ للرّدَى أُكَلٌ ، وَالدّهْرُ يَمضَغُنا ، وَالأرْضُ تَبتَلَعُ

ذَوَائِبٌ مِنْ لُبَابِ المَجدِ ما فَجعُوا بمِثْلِ أَنفُسِهِمْ يَوْماً ، وَلا فُجِعُوا

كانوا حَوَامي جِبالِ العزّ فانقَرَضُوا، وَصَدّعُوا قُلَلَ العَلْيا مُذِ انصَدَعُوا

فَوَارِسٌ قَوّضُوا عَنْ سَابِقاتِهِمُ، فاستُنزِلُوا بطِعَانِ الدّهْرِ وَاقتُلِعُوا

قَوْمٌ فَكاهَتُهُمْ ضَرْبُ الطُّلى ، وَلهم تحتَ العَجاجِ بأطْرَافِ القَنَا وَلَعُ

إمّا تَؤودُ مِنَ الأيّامِ نَائِبَةٌ قاموا بها وَأَطاقوا الحملَ وَاضْطلَعُوا

لا تَستَلينُهُمُ الضّرّاءُ نَازِلَةً ، وَلا تَقُودُهُمُ الأطْمَاعُ وَالتّجَعُ

كَمْ خَمصَةٍ كَانَ فيها العِزّ آونَةً، وَشَبعَةٍ كَانَ فيها العَارُ وَالضّرَعُ

مِنْ كُلّ أَغلَبَ نَظّارٍ عَلى شَوَسٍ لَهُ لِوَاءٌ عَلى العَلْيَاءِ مُتّبَعُ

يَخفَى بِهِ التّاجُ مِنْ لألاءِ غُرّتِهِ ، عَلى جَبِينٍ بِضَوْءِ المَجدِ يَلتَمِعُ

ذُو عزْمَةٍ تُلْهِمُ الدّنْيَا وَساكِنَها، وَهِمّةٍ تَسَعُ الدّنْيَا ، وَمَا تَسَعُ

يَلقَى الظُّبَى حاسِراً تَبدُو مَقاتِلُه، وَيَرْهَبُ الذّمَّ يَوْماً ، وَهوَ مدّرِعُ

إنّ المَصَائِبَ تُنسِي المَرْءَ مُقبِلَةً ، قَصْدَ الطّرِيقِ لما يُسلي وَمَا يَزَعُ

حتّى إذا انكَشَفَتْ عَنْهُ غَيَاطِلُها تَبَيّنَ المَرْءُ مَا يَأتي وَمَا يَدَعُ

أرْسَى النّسيمُ بِوَاديكُم ،ولا برِحَتْ حوَاملُ المُزْنِ في أجداثِكُمْ تَضَعُ

ولا يزَالُ جنَينُ النبْتِ ترْضِعهُ على قبُورِكُمُ العرّاصَةُ الهَمِعُ[1]

هَلْ تَعلَمُونَ على نَأْيِ الدّيَارِ بكم أنّ الضّميرَ إليكُمْ شَيّقٌ وَلِعُ ؟

لَكُمْ على الدّهرِ من أكبادِنا شُعَلٌ مِنَ الغَليلِ ، ومَن آماقِنا دُفَعُ

لَوَاعِجٌ أفصَحَتْ عنها الدّموعُ وَقد كادَتْ تُجَمجِمُها الأحشاءُ وَالضّلَعُ

أنزَفْتُ دَمْعيَ حتّى مَا ترَكْتُ لَهُ غَرْباً يَفيضُ على رُزْءٍ ، إذا يَقَعُ

ثمّ اضْطُرِرْتُ إلى صَبرِي فعُذْتُ بِهِ ، وَأعرَبَ الصّبرُ لمّا أعجَمَ الجزَعُ

الصبر أولى من الجزع

قال يرثي صديقاً من أصدقائه وقد توفي في شعبان من سنة ٣٨١ :

صبَرْتُ عَنكَ فلمْ ألفِظْكَ مِن شَبَعٍ ، لكِن أرَى الصّبرَ أوْلى بي منَ الجزَعِ

وَإنّ لي عَادَةً في كُلّ نَازِلَةٍ أنْ لا تَذِلّ لهَا عُنقي مِنَ الضَّرَعِ

لذاكَ شَجّعتُ قَلبي وَهوَ ذُو كَمَدٍ ، وَمِلْتُ بالدّمعِ عَنّي وَهوَ ذُو دُفَعِ

ماضٍ على وَقَعاتِ الدّهرِ إنْ طَرَقَتْ غَدا بِحَمْلِ أذاهَا جِدَّ مُضْطَلِعِ

[1] العراصة : السحاب ذو البرق والرعد ، والتاء للمبالغة لا للتأنيث . الهمع : الماطر .

وَحَاسِرٍ يَتَلَقّى كُلَّ نَائِبَةٍ ... تُدْمي ، فيَصْبِرُ فيها صَبرَ مُدّرِعِ

ما غاضَ دَمعيَ إلاّ بَعدَمَا انحَدَرَتْ ... غُرُوبُهُ بَينَ مُنهَلٍّ ، وَمُنهَمِعِ

لَوْلا اندِفاعُ دُمُوعِ العَينِ غالبَةً ، ... لمْ يُعقِبِ الصّبرُ دَمعاً غَيرَ مُندَفِعِ

في اليَأسِ منكَ سُلُوٌّ عنكَ يُضْمِرُهُ ، ... وَقَبلَ يَوْمكَ يَقوَى الحَزْنُ بالطّمعِ

ما كانَ ذَيلُكَ مَسدولاً عَلى دَنَسٍ ، ... وَلا نِطَاقُكَ مَعقُوداً عَلى طَمَعِ

مَا شِئتَ مِنْ لِينِ أخلاقٍ وَمَكرُمَةٍ ... وَمن عَفافٍ وَمن فَضْلٍ وَمن وَرَعِ

للهِ نَفرَةُ وَجْدٍ لَستُ أملِكُهَا ، ... إذا تَذَكّرْتُ إخوَانَ الصّفاءِ مَعي

يُوَاصِلُ الحُزْنُ قَلْبي كُلّما فُجِعَتْ ... يَدي بحَبلٍ مِنَ الأقرَانِ مُنْقَطِعِ

ألقَى الغَمامُ حَوَايَاهُ عَلى جَدَثٍ ، ... نَزَلْتَ مِنهُ بمَلقًى غَيرِ مُتّسِعِ

في حَيثُ لا طَمَعٌ يَوْماً لذِي طَمَعٍ ... في أنْ يَعُودَ وَلا رُجْعَى لمُرْتَجِعِ

لا عَينَ تَنظُرُ إنْ أرْسَى بعَقوَتِهَا ... زَوْرٌ وَلا أُذُنٌ عِندَ النّداءِ تَعِي

وَهَوّنَ الوَجْدَ أنّ المَوْتَ مُشْتَرَكٌ ... فينا ، وَأنّا لِذا المَاضِي مِنَ التَّبَعِ

هيَ الثّنَايَا إلى الآجَالِ نَطْلُعُهَا ، ... فمِنْ حَثِيثٍ وَمن رَاقٍ على ظَلَعِ

كالشّاءِ يُعْذَلُ مِنّا غَيرُ مُكتَرِثٍ ... عَيّاً ، وَيُوعَظُ مِنّا غَيرُ مُستَمِعِ

الآنَ يَعلَمُ أنّ العَيشَ مُختَلَسٌ ، ... وَأنّنَا نَقْطَعُ الأيّامَ بالخِدَعِ

هَيهاتَ لا قارِحٌ يَبقى ، وَلا جَذَعٌ ... عَلى نَوَائِبِ كَرّ الأزْلَمِ الجَذَعِ [1]

إنّ المَنَايَا لَشَتّى بَينَ طَارِقَةٍ ... هَوْناً ، وَنَافِرَةٍ عَنْ هَوْلِ مُطّلَعِ

إمّا فَنَاءً عَنِ الدّنْيَا عَلى مَهَلٍ ، ... أوِ اعتِبَاطاً يُغَادي غُدْوَةَ السّبُعِ

---

١ القارح : المسن . الجذع : الشاب . الأزلم الجذع : مر شرحها .

مَا للّيَالي يُرَنِّقْنَ المُجاجَةَ مِنْ شُرْبِي وَيُوبِينَ مُصْطَافي وَمُرْتَبَعي

عَدَتْ عَوَادي الرّدى بَيْني وَبَيْنَكُمُ ، وَأنزَلَتْكَ النّوَى عَنّي بمُنْقَطِعِ

وَشَتّتَتْ شَمْلَكَ الأيّامُ ظَالِمَةً ، فَشَمْلُ دَمعي وَلُبّي غَيرُ مُجتَمع

أخيّ لا رَغِبَتْ عَيْني وَلا أُذُني مِنْ بَعدِ يوْمكَ في مَرْأًى وَمُستَمَعِ

وَلا أرَاكَ بقَلْبٍ غَيرِ مُضْطَبِرٍ ، إذا أهَابَ بِهِ السُّلْوَانُ لمْ يُطِعِ

سلام على القبور

قال أيضاً يرثيه :

ذَكَرْتُكَ لمّا طَبّقَ الأُفقَ عارِضٌ ، وَأعرَضَ بَرْقٌ كالضِّرَامِ لَمُوعُ

وَأنتَ مُقيمٌ حيثُ لا البَرْقُ يُجتَلى بعَيْنٍ ، وَلا رُوحُ النّسيمِ يَضُوعُ

غَريبٌ عَنِ الأوْطانِ لا لكَ هَبّةٌ إلَيها ، وَلا بَعْدَ المُضِيّ رُجُوعُ

خَلا مِنكَ رَبعٌ قَد تَبَدّلتَ بَعدَهُ رُبُوعَ بِلًى مَا مِثلَهُنّ رُبُوعُ

وَعَاوَدَ قَلبي الذّكرُ إذْ نحنُ جيرَةٌ زَمَاناً وَإذْ شَمْلُ الجَميعِ جَميعُ

وَإذْ عَيشُنَا الرّقرَاقُ يُسبِغُ خَفْضَهُ عَلَينا ، وَإذْ طَيرُ النّعيمِ وُقُوعُ

إلى أنْ مَشَى بَيْني وَبَينَكُمُ الرّدى ، وَقَطّعَ أقْرَانَ الصّفَاءِ قَطُوعُ

وَفي كُلّ يَوْمٍ صَاحِبٌ أستَجِدُّهُ ، وَيَنتَزِعُهُ مِنْ رَاحَتَيّ نَزُوعُ

إذا قُلْتُ يَخْطُوهُ الحِمَامُ هوَتْ به نُيُوبُ رَدًى فيها السّمامُ نَقيعُ

سَلامٌ عَلى تِلْكَ القُبُورِ ، وجَادَها   بأرْوَى وَأسنَى مَا يَجُودُ رَبيعُ
فَلا تَغْبِطُونَا إذْ أقَمْنَا ، وَأنْتُمُ   عَلى ظَعَنٍ ، إنّ اللّقَاءَ سَريعُ

فارغ الدموع

يرثي بعض أهله

أأتْرُكُ الغُرّ مِنْ لِداتي ،   خَوَاليَ البِيضِ وَالدّرُوعِ
تَحدُو اللّيَالي بِهِمْ رِفَاقاً ،   مَاضِيهِمُ مُعْوَزُ الرّجُوعِ
تَفَرّقُوا لا عَنِ اخْتِيَارٍ ،   وَانْتَقَلُوا لا إلى رُبُوعِ
رَجَعْتُ في إثْرِهِمْ برُغْمي ،   بَعْدَ نِزَاعٍ إلى نُزُوعِ
أبْقَى الجَوَى جَرْحَةً بِقَلْبي   مَا عِشْتُ ، مكتُومَةَ التّجيعِ
كَمْ غَبّنَ المَوْتُ عن كَرِيمٍ ،   وَقَارَعَ الخَطبُ عَنْ قَرِيعِ
بَانُوا ، فلَمْ أنْتَزِحْ عَلَيهِمْ   دَمعي ، ولَمْ أستَذِبْ ضُلُوعي
وَأسْفَحُ الدّمْعَ لِلأعَادي ،   إنّي ، إذاً ، فارِغُ الدّمُوعِ

أبكي ويبسم

قال أيضاً في الغزل قدس الله روحه :

يا صَاحِبَ القَلْبِ الصَّحيحِ أمَا اشتفَى ... ألَمُ الجَوَى مِنْ قَلْبِيَ المَصْدُوعِ ؟
أأسَأتَ بالمُشْتَاقِ حِينَ مَلَكْتَهُ ، ... وَجزَيْتَ فَرْطَ نِزَاعِهِ بِنُزُوعِ
هَيهَاتَ لا تَتَكَلّفَنَّ لِيَ الهَوَى ، ... فَضَحَ التّطَبّعُ شيمَةَ المَطْبُوعِ
كَم قَد نَصَبتُ لكَ الحَبائلَ طامِعاً، ... فنَجَوْتَ بَعْدَ تَعَرّضٍ لوُقُوعِ
وَتَرَكْتَني ظَمْآنَ أشرَبُ غُلّتي ... أسَفاً عَلى ذاكَ اللَّمَى المَمْنُوعِ
قَلبي وَطَرْفي منكَ: هذا في حمَى ... قَيظٍ ، وَهَذا في رِياضِ رَبيعِ
كَمْ لَيْلَةٍ جرّعْتَهُ في طُولِها ... غُصَصَ المَلامِ وَمُؤلِمَ التّقْرِيعِ
أبكي ويَبسِمُ ، وَالدُّجَى مَا بَيْنَنَا، ... حتّى أضاءَ بِثَغْرِهِ وَدُمُوعي
تَفْلي أنامِلُهُ التّرَابَ تَعَلّلاً ، ... وَأنَامِلي في سِنّيَ المَقْرُوعِ
قَمَرٌ إذا استَخْجلْتَهُ بعِتابِهِ ، ... لَبِسَ الغُرُوبَ ، وَلَمْ يَعُدْ لطُلُوعِ
لَوْ حيثُ يُستَمَعُ السّرَارُ وَقَفْتُمَا ... لَعَجِبْتُمَا مِنْ عِزّهِ وَخُضُوعي
أبْغي هَوَاهُ بِشَافِعٍ مِنْ غَيرِهِ ؛ ... شَرُّ الهَوَى مَا نِلْتَهُ بِشَفِيعِ
مَا كَانَ إلاّ قُبْلَةُ التّسْليمِ أرْ ... دَفَهَا الفِرَاقُ بِضَمّةِ التّوْدِيعِ
كَمَدِي قَدِيمٌ في هَوَاكَ ، وَإنّمَا ... تارِيخُ وَصْلِكَ كانَ مُذْ أُسبُوعِ
أهوِنْ عليكَ إذا امتلأتَ من الكَرَى ... أنّي أبيتُ بِلَيْلَةِ المَلْسُوعِ
قَد كُنتُ أُجزِيكَ الصّدودَ بِمِثْلِهِ ... لَوْ أنّ قَلبَكَ كانَ بَينَ ضُلُوعي

سلام على الأطلال

قال قدس الله روحه في التذكر
والاشتياق في شهر ربيع الآخر
سنة ٣٩٢ :

أقولُ وَما حنّتْ بذي الأثلِ نَاقَتي : قِري لا ينَلْ منكِ الحَنينُ المُرَجَّعُ[١]
تَحِنّينَ إلاّ أنّ بي لا بِكِ الهَوَى ، وَلي لا لكِ اليَوْمَ الخَليطُ المُوَدِّعُ
وَباتَتْ تَشَكّى تحتَ رَحلي ضَمانَةً ، كِلانَا ، إذاً، يا ناقَ نِضْوٌ مُفَجَّعُ[٢]
أحَسّتْ بنَارٍ في ضُلُوعي فأصْبَحَتْ يَخُبُّ بِهَا حَرُّ الغَرَامِ وَيُوضِعُ
أرُوحُ بِفِتْيَانٍ خِماصٍ مِنَ الجَوَى، لَهُمْ أنّةٌ في كُلّ دارٍ وَأدْمُعُ
إذا غَرّدَ الرّكْبُ الخَفيّ تَأوّهُوا ، لِمَا وَجَدُوا بَعدَ النّوَى وَتَوَجّعُوا
علَى أبْرَقِ الحَنّانِ كَانَ حَنِينُنَا ، وَبالجِزْعِ مَبكًى إنْ مرَرْنا وَمَجزَعُ[٣]
تَزَافَرَ صَحبي يَوْمَ ذي الأثْلِ زَفرَةً تَذُوبُ قُلُوبٌ مِنْ لَظَاها وَأدمُعُ
مَنازِلُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيهِنّ مُقلَةٌ ، وَلا جَفّ بَعدَ البَينِ فيهِنّ مَدمَعُ
فَدَمْعٌ عَلى بَالي الدّيَارِ مُفَرَّقٌ ، وَقَلْبٌ عَلى أهْلِ الدّيَارِ مُوَزَّعُ
أرَى اليأسَ حتّى تَعزِمَ النّفسُ سلوَةً ، وَيَرْجِعَ بي داعي الغَرَامِ ، فأطمَعُ

١ قري ، أمر من وقر : أي كوني رزينة ، ذات وقار ، اثبتي .
٢ الضمانة : الداء .
٣ الأبرق : أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين . وأبرق الحنان : موضع .

ذكَرْتُ الحِمَى ذِكرَ الطّرِيدِ محَلّهُ، يُذادُ مَذادَ العَاطِشَاتِ وَيُرْجَعُ
وَأينَ الحِمَى لاالدّارُ بالدّارِ بعدَهم، وَلا مَرْبَعٌ بَعْدَ الحَنينِ مُرَبّعُ
سَلامٌ عَلى الأطْلالِ لا عَنْ جِنَايَةٍ وَإنْ كُنّ يأساً حينَ لمْ يَبقَ مَطمَعُ
نَشَدْتُكُمُ هَل زَالَ مِنْ بَعدِ أهله زَرُودُ ، وَرَامَتْهُ طُلُولٌ وَأرْبُعُ
وَهَلْ أنْبَتَ الوَادي العَقيقيُّ بَعدَهم، وَبُدّلَ بالجيرَانِ شِعْبٌ وَلَعْلَعُ[1]
فَيَا قَلْبِ إنْ يَفْنَ العَزَاءُ ، فَطالمَا عَهِدْتُكَ بَعدَ الظّاعِنِينَ تَصَدّعُ
وَقَدْ كانَ مِنْ قَلبي إلى الصّبرِ جانِبٌ، فقَلبيَ ، بَعدَ اليَوْمِ ، للصّبرِ أجمَعُ
نَعَمْ عَادَني عِيدُ الغَرَامِ ، وَنَبّهتْ عَليّ الجَوَى دارٌ بِمَيْثَاءَ بَلْقَعُ
وَطَارَتْ بقَلبي نَفْحَةٌ غَضَوِيّةٌ ، يُنَفّسُها حالٌ مِنَ الرّوْضِ مُمرِعُ[2]
أصُدّ حَيَاءً للرّفَاقِ ، وَإنّمَا زِمَامِيَ مُنقَادٌ مَعَ الشّوْقِ طَيّعُ
نَظَرْتُ الكَثيبَ الأيمَنَ اليوْمَ نَظرَةً تَرُدّ إليّ الطّرْفَ يَدمَى وَيَدْمَعُ
وَرُبّ غَزَالٍ داجِنٍ في كِنَاسِهِ ، عَلى رُقْبَةِ الوَاشِينَ يُعطي وَيَمنَعُ
وَأحسِنُ في الوُدّ التّقَاضِي إذا لَوَى ، وَيَبْذُلُ مَنزُورَ النّوَالِ ، فأقْنَعُ
وَأيقَظْتُ للبَرْقِ اليَمانيّ صَاحِباً بذاتِ النّقَا يَخفَى مِرَاراً وَيَلمَعُ
تَعَرّضَ نَجدِيّاً ، وَأذكَى وَميضُهُ عَقيقَ الحِمَى منهُ مَعَانٌ وَأجْرَعُ[3]

---

١ الشعب : الطريق في الجبل ، مسيل الماء في الوادي . اللعلع : السراب .

٢ الغضوية : نسبة إلى الغضا وهو شجر صلب يبقى جمره زمناً طويلا لا ينطفيء . وأراد نفحة حامية كجمر الغضا .

١ المعان : المنزل . الأجرع : الأرض المستوية لا تنبت شيئاً .

أأنْتَ مُعِينِي للغَلِيلِ بنَظرَةٍ ، / فنَبْكي عَلى تِلْكَ اللّيَالي ونَجزَعُ

مَعاذَ الهَوَى لَوْ كُنتَ مثلي في الهَوَى / إذاً لَدَعَاكَ الشّوْقُ من حَيثُ تَسمَعُ

هَنَاكَ الكَرَى ، إنّي منَ الوَجدِ ساهرٌ ، / وَبُرْءُ الحَشَى ، إنّي من البَيْنِ مُوجَعُ

فَلا لُبّ لي إلاّ تَمَاسُكُ سَاعَةٍ ، / وَلا نَوْمَ لي إلاّ النّعَاسُ المُرَوَّعُ

تَصَامَمَ عَنّي لاثِثاً فَضْلَ بُرْدِهِ ، / وَلا يَحفِلُ الشّوْقَ النّؤومُ المُقَنَّعُ

طَوَتْكَ اللّيَالي مِنْ رَفيقٍ كَأنّهُ / من العَجزِ يَرْبُوعُ المَلا المُتَقَصِّعُ[1]

يَنَامُ عَلى هَدّ الصّفَاةِ بَلادَةً ، / إذا قَامَ مِنْ نَبْذِ الحَصَاةِ المُشَيَّعُ

ألا لَيتَ شِعرِي كُلُّ دارٍ مُشَتَّتٌ ، / ألا مَوْطِنٌ يَدنُو بشَمْلٍ وَيَجمَعُ

ألا سَلْوَةٌ تَنهَى الدّمُوعَ فتَنتَهي ، / ألا مَوْرِدٌ يَرْوِي الغَليلَ فيُنقَعُ

فَصَبراً عَلى قَرْعِ الزّمَانِ وَغَمزِهِ ، / وَهل يُنكِرُ الحِملَ الذّلُولُ المُوَقَّعُ

وَهَبتُ لَهُ ظَهرِي على عقرِ غارِبي ، / فَكُلُّ زِمَامٍ قَادَني مِنهُ أتبَعُ

وكم ظَهرِ صَعبٍ عادَ بالذّلّ يُمتطى ، / وَعِرْنِينِ آبٍ بَاتَ بالضّيمِ يُقرَعُ

وَقُلْ للّيَالي حامِلي ، أوْ تَحامَلي ، / فلَمْ يَبقَ في قَوْسِ المَقادِيرِ مَنزَعُ

١ اليربوع : نوع من الفأر قصير اليدين طويل الرجلين . المتقصع : الداخل في قاصعائه ، أي جحره .

غزال الرمل

قال رضي الله تعالى عنه :

أَلا يا غَزَالَ الرّملِ مِنْ بَطنِ وَجرَةٍ ، إلِلْوَاجِدِ الظّمْـآنِ مِنكِ شُرُوعُ
خَلا لكَ في الأحْشاءِ مَرْعًى تَرُودُهُ ، وَصَابَكَ مِنْ ماءِ الدّموعِ رَبيعُ
ألا هَلْ إلى ظِلّ الأثيلِ تَخَلّصٌ ؛ وَهَلْ لِثَنِيّاتِ الغُوَيْرِ طُلُوعُ
وَهَل بَلَيتَ خيَمٌ علىأيمَنِ الحِمى ، وَزَالَتْ لَنَا بالأبْرَقَينِ رُبُوعُ
وَهَلْ لِلَيَالِينَا الطّوَالِ تَصَرّمٌ ؛ وَهَلْ لِلَيَالِينَا القِصَارِ رُجُوعُ
ولَمْ أنسَ يَوْمَ الجِزْعِ حُسناً خَلَسْتُهُ بِعَيْنيَ ، عَلى أنّ الزِّيَالَ سَرِيعُ
وَلمّا تَوَاقَفْنَا ذَهِلْتُ ، وَلَمْ يَحِنْ لِطَيْرِ قُلُوبِ العَاشِقِينَ وُقُوعُ
على حينَ أعدَتْ حَيرَتي قَلبَ صَاحِبي فَرُحْنَا وَسَوْطَ العَامِرِيّ مَضِيعُ
حديثٌ يَضَلّ القَلبُ عندَ استِمَاعِهِ ، فلَيسَ عَجيباً أنْ يَضَلّ قَطِيعُ
عَشِيّةَ لي مِنْ رِقْبَةِ الحَيّ زَاجِرٌ عَنِ الدّمْعِ ، إلاّ أنْ تَشُذّ دُمُوعُ
وَقَدْ أمَرَتْ عَيناكَ عَينيّ بالبُكَا ، فَقُلْ لي : أيّ الآمِرَينِ أُطِيعُ

تسلى الغواني عنه

قال أيضاً قدس الله روحه :

تَشاهَقْنَ لمّا أنْ رَأيْنَ بِمَفْرِقي بَياضاً كأنّ الشّيبَ عندي من البِدَعْ
وَقُلْنَ : عَهِدنا فَوْقَ عاتِقِ ذا الفتى رِداءً مِنَ الحَوْكِ الرّقيقِ فَما صَنَعْ
ولَمْ أرَ عَضْباً عِيبَ مِنهُ صِقَالُهُ ، وكَانَ حَبيباً للقُلُوبِ عَلى الطّبَعْ
وَقالوا: غُلامٌ زَيّنَ الشّيْبُ رَأسَهُ ، فَبُعْداً لرَأسٍ زَانَهُ الشّيبُ وَالنَّزَعْ
تَسلّى الغَواني عَنهُ مِن بَعدِ صَبوَةٍ ، وَما أبعَدَ النّبتَ الهَشيمَ مِنَ النُّجَعْ
وكُنّ يُخَرّقْنَ السّجُوفَ إذا بَدَا ، فصِرْنَ يُرَقّعْنَ الخُرُوقَ إذا طَلَعْ

أين أيام سلع

قال قدس الله سره عند دخول الحجيج إلى مدينة السلام وذلك في شهر صفر سنة ٣٩٥ ، وهي من لواحق الحجازيات :

عَارِضَا بي رَكْبَ الحِجَازِ أُسَائِلْـ ـهُ: مَتى عَهدُهُ بسُكّانِ سَلْعِ
وَاستَمِلاّ حَديثَ مَن سَكَنَ الخَيْـ ـفَ وَلا تَكتُبَاهُ إلاّ بِدَمْعي

فَاتَني أنْ أرَى الدّيَارَ بطَرْفي ، فَلَعَلّي أرَى الدّيَارَ بسَمعي
يا غزَالاً بَينَ النّقَا وَالمُصَلّى ! لَيسَ تَبقَى عَلى نِبَالِكَ دِرْعي
كُلّما سُلّ مِنْ فُؤادِيَ سَهْمٌ ، عادَ سَهمٌ لكُم مَضِيضَ الوَقْعِ
وَتَحَرّجتَ يَوْمَ رُحتَ حَرَاماً مِنْ عَطائي ، فَمَنْ أباحَكَ مَنعي
مَنْ مُعيدٌ أيّامَ سَلْعٍ عَلى مَا كانَ مِنْهَا ، وَأينَ أيّامُ سَلْعِ
طَالِبٌ بالعِرَاقِ يَنْشُدُ ، هَيْهَا تَ ، زَمَاناً أضَلّهُ بالجِزْعِ

عفة لا تعفف

قال أيضاً في الغزل :

وَقَفْتُ بِرَبْعِ العَامِرِيّةِ وَقْفَةً ، فَعَزّ اشتِياقي ، وَالطُّلُولُ خَوَاضِعُ
وَكَمْ لَيْلَةٍ بِتْنَا عَلى غَيرِ رِيبَةٍ ، عَلَيْنَا عُيُونٌ للنُّهَى وَمَسَامِعُ
نَفُضّ حَدِيثاً عَنْ خِتَامِ مَوَدّةٍ ، مَعَاقِلُهَا أحْشَاؤنَا وَالأضَالِعُ
يَكَادُ غُرَابُ اللّيْلِ عِندَ حَديثِنَا يَطِيرُ ارْتِيَاحاً وَهوَ في الوَكْرِ وَاقِعُ
خَلَوْنَا فَكَانَتْ عِفّةٌ لا تَعَفّفٌ ، وَقَدْ رُفِعَتْ في الحَيّ عَنّا المَوَانِعُ
سَلُوا مَضْجَعي عَنّي وَعَنْهَا ، فإنّنا رَضِينَا بِمَا يُخبِرْنَ عَنّا المَضَاجِعُ

الليالي معطيات موانع

قال قدس الله روحه :

لِقَلْبي بِغَوْرِيّ البِلادِ لُبَانَةٌ ، وَإنْ كُنْتُ مَسْدُوداً عَليّ المَطالِعُ
لَعَلّيَ أعْطَى ، وَالأمَانيُّ ضِلّةٌ ، وَإنّ اللّيَالي مُعطيَاتٌ مَوَانِعُ
مَبيتيَ في أثْوَابِ ظَمْيَاءَ ، لَيلَةً ، بِوَادي الغَضَا وَالعَاذِلُونَ هَوَاجِعُ
وَمَا نُطْفَةٌ مَشْمُولَةٌ بِمَجَمّةٍ وَعَاها صَفاً مِنْ آمِنِ الطّوْدِ فارِعُ
من البِيضِ لَوْلا بَرْدُها قُلتُ: دَمعَةٌ مُرَنَّقَةٌ مَا أسلَمَتْهَا المَدامِعُ
بِأعْذَبَ مِمّا نَوّلَتْنيهِ مَوْهِناً ، وَقَدْ شِيمَ بالغَوْرِ النّجومُ الطّوَالِعُ
أرَى بَعدَ وِرْدِ المَاءِ في القَلْبِ غُلّةً إلَيكَ، عَلى أنّي مِنَ المَاءِ نَاقِعُ
وَإنّي لأقْوَى ما أكُونُ طَمَاعَةً ، إذا كَذّبَتْ فيكَ المُنى وَالمَطامِعُ

القوافي المضيئة

قال وكتب بها إلى بعض أصدقائه
وقد سأله إنفاذ شيء من شعره
ليقرأه وهو بكر بن محمد بن علي
ابن شاهويه :

تُجَمْجِمُ بالأشْعَارِ كُلُّ قَبِيلَةٍ ، وَفي القَوْلِ مَحفُوظٌ عَلَيها وَضَائِعُ
وكُلُّ فتًى بالشِّعْرِ تَجلُو هُمُومُهُ ، وَيَكْتُبُ مَا تُملي عَلَيهِ المَطامِعُ
وَشِعرِيَ تَختَصّ القُلُوبُ بحِفْظِهِ ، وتَحظَى بهِ دونَ العُيُونِ المَسامِعُ
وَأوْلَى بِهِ مَنْ كانَ مِثلَكَ حازِماً ، يُذَبِّبُ عَنْ أطْرَافِهِ وَيُقَارِعُ
ستَظْفَرُ مِنْ نَظْمي بكُلّ قَصِيدَةٍ ، كمَا حلّتِ اللّيلَ النّجومُ الطّوَالِعُ
تُضِيءُ قَوَافِيهَا وَرَاءَ بُيُوتِهَا ، طِرَاقاً، كمَا يَتلُو النّصُولَ القَبَائِعُ[1]
إذا هزّهَا السُّمّارُ طَارَ لهَا الكَرَى ، وَهَزّتْ جُنُوبَ النّائِمينَ المَضَاجِعُ
وَغَيرُكَ يَعمَى عَن مَعانٍ مُضِيئَةٍ ، كما تَقبِضُ اللّحظَ البُرُوقُ اللّوَامِعُ
وَمَا كُلُّ مَمْدُوحٍ يَلَذُّ بِمَدْحِهِ ، ألا بَعْضُ أطْوَاقِ الرّقابِ جوَامِعُ[2]

[1] القبائع ، الواحدة قبيعة : ما على طرف مقبض السيف من فضة أو غيرها .
[2] الجوامع : الأغلال .

له الويل !

الذئب

وَعارِي الشَّوَى وَالمَنكِبَيْنِ من الطَّوَى، أُتيحَ لَهُ بالليلِ عارِي الأشاجِعِ[1]
أُغَيْبِرُ مَقْطُوعٌ مِنَ اللَّيلِ ثَوْبُهُ، أنِيسٌ بِأطْرَافِ البِلادِ البَلاقِعِ
قَلِيلُ نُعَاسِ العَيْنِ إلاّ غِيَابَةً تَمُرُّ بِعَيْنَيْ جائمِ القَلْبِ جائِعِ
إذا جَنَّ لَيْلٌ طَارَدَ النَّوْمَ طَرْفُهُ، وَنَصٌّ هُدَى أَلحَاظِهِ بالمَطامِعِ[2]
يُرَاوِحُ بَيْنَ النَّاظِرَيْنِ إذا التَقَتْ على النَّوْمِ أطْبَاقُ العُيُونِ الهَوَاجِعِ
لَهُ خَطْفَةٌ حَذَّاءُ مِنْ كُلِّ ثَلّةٍ، كَنَشطَةِ أَقْنى يَنفُضُ الطَّلَّ وَاقِعِ[3]
أَلَمَّ ، وَقَدْ كادَ الظَّلامُ تَقَضِّياً ، يُشَرِّدُ فُرَّاطَ النُّجُومِ الطَّوالِعِ[4]
طَوَى نَفسَه وانسابَ في شَمْلةِ الدُّجى، وَكلُّ امرِىءٍ يَنقادُ طَوْعَ المَطامِعِ
إذا فَاتَ شَيءٌ سَمْعَهُ دَلَّ أَنْفُهُ ، وَإنْ فَاتَ عَيْنَيْهِ رَأى بالمَسامِعِ
تَظَالَعَ حَتّى حَكَّ بالأرْضِ زَوْرَهُ، وَرَاغَ ، وَقَدْ رَوَّعتُهُ، غيرَ ظَالِعِ
إذا غالَبَتْ إحدَى الفَرَائِسِ خَطمَهُ، تَدارَكَها

١ الشوى ، الواحدة شواة : جلدة الرأس ، أو اليدان ، أو الرجلان أو الأطراف . الأشاجع ، الواحد أشجع : هي أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف . وعاري الأشاجع : كناية عن القوي .
٢ نص : استخرج .
٣ الأقنى : البازي .
٤ الفراط : السوابق .

جَرِيٌّ يَسُومُ النَّفسَ كلَّ عَظيمَةٍ ، وَيَمضِي إذا لم يَمضِ مَن لم يُدافِعِ
إذا حَافَظَ الرّاعي عَلى الضّأنِ غَرّهُ خَفيٌّ السُّرَى لا يَتّقي بالطّلائِعِ
يُخادِعُهُ مُستَهزِئاً بِلِحاظِهِ ، خِداعَ ابنِ ظَلماءٍ كثيرِ الوَقائِعِ
وَلمّا عوَى وَالرّمْلُ بيْني وَبَيْنَهُ تَيَقّنَ صَحبي أنّهُ غَيرُ رَاجِعِ
تَأوّبَ ، وَالظّلْماءُ تَضرِبُ وَجهَهُ إلَيْنَا ، بِأذْيَالِ الرّيَاحِ الزّعَازِعِ
لَهُ الوَيلُ مِنْ مُستَطعِمٍ عادَ طُعمةً لقَوْمٍ عِجَالٍ بالقِسِيّ النّوَازِعِ

القلم الجوّال

وله من قصيدة قالها في صفة القلم :

لكَ القَلَمُ الجَوّالُ إذْ لا مُثَقَّفٌ يَجُولُ وَلا عَضْبٌ تُهابُ مَوَاقِعُهْ
سَوَاءٌ إذا غَشّيْتَهُ النّفسَ رَهبَةً ، وَذُو لَهذَمٍ غُشّيَ من الدّمِ رَادِعُهْ
يُلَجلِجُ مِن فَوْقِ الطّرُوسِ لسانُه ، وَلَيسَ يُؤدّي ما تَقولُ مَسامِعُهْ
وَيَنطِقُ بالأسرَارِ حَتّى تَظُنّهُ حَوَاها ، وَصِفرٌ من ضَميرٍ أضَالِعُهْ
إذا اسوَدّ خَطْبٌ دونَه وَهوَ أبيَضٌ ، يُسَوِّدُ ، وَابيَضّتْ عَلَيهِ مَطالِعُهْ

ولا قرن ...

ومنها في صفة الطعن

وَلاقِرْنَ إلاّ أدمعَ الطّعن نُحرَهُ ، وَمَا غَسَلَتهُ بالدّمُوعِ مَدامِعُهْ
وَيَوْمٍ كأنّ السّمهَرِيّ عيُونُهُ إلى المَوْتِ، وَالنَّقعُ المُثَارُ بَرَاقعهْ
يُخَرَّقُ منه كلُّ جِلبابِ مُهجَةٍ ، على أنّهُ في مَنظَرِ العَينِ رَاقِعهْ

النجوم فواقع

ومنهــا في صفة الليل

وَلَيلٍ كجِلبابِ الشّبَابِ رَقَعتُهُ بصُبحٍ كجِلبابِ المَشيبِ طَلائِعهْ
كَأنّ سَمَاءَ اليَوْمِ مَاءٌ أثارَهُ من اللّيلِ سَيلٌ ، فالنّجومُ فوَاقعهُ

سماع كالإسماع

وسئل في ذم مغن بارد قبيح الوجه فقال :

وَمُرَوِّعٍ لي بالسّلامِ ، كَأنّمَا تَسليمُهُ فيمَا يَمُضّ وَدَاعُ

تَغْنَى بمَنظَرِهِ العُيونُ إذا بَدا، وَتَقيءُ عِندَ غِنَائِهِ الأسمَاعُ

أبناكَ نَستَشفي ، وَمِنْ نَغَماتِه تَتَوَلّدُ الآلامُ وَالأوْجَاعُ

أمْ كَيفَ يُطرِبُنَا غِنَاءُ مُشَوَّهٍ أبَداً نُهَالُ بِوَجْهِهِ وَنُرَاعُ

نَزْوِي الوُجُوهَ تَفادِياً من صَوْتِهِ، حتّى كأنّ سَمَاعَهُ إسْمَاعُ[1]

وكأنّ ضَرْبَ بَنانِه ضرْبُ الطُّلى، وكَأنّمَا إيقَاعُهُ إيقَاعُ

أشهَى إلَينا من غِنائِكَ مَسمَعاً زَجَلُ الضّرَاغِمِ بَينَهُنّ قِرَاعُ

أروم انتصافي

قال أيضاً قدس الله روحه :

أرُومُ انتِصَافي مِنْ رِجَالٍ أبَاعِدٍ ، وَنَفسيَ أعدَى لي من النّاسِ أجمَعَا

إذا لم تكُنْ نَفسُ الفَتى من صَديقِهِ فَلا يُحدِثَنْ في خِلّةِ الغَيرِ مَطمَعَا

---

١ الاسماع : الشتم .

بضائع القول

قال أيضاً قدس الله سره :

سيُسكِتُني يأسي ، وَفي الصّدرِ حاجةٌ ، كمَا أنْطَقَتْني وَالرّجالَ المَطامِعُ
بَضَائِعُ قَوْلٍ عِندَ غَيرِي رِبْحُها وَعِندِيَ خُسْرَاناتُها وَالوَضَائِعُ
غرَائبُ لوْ هُدّتْ على الطّوْدِ ذي الصّفا أصَاخَ إلَيهَا يَذْبُلٌ وَالقَعاقِعُ[1]
تُضَاعُ كما ضَاعَتْ خَلاةٌ بِقَفْرَةٍ ، زَفَتْهَا النُّعَامَى وَالرّياحُ الزّعازِعُ[2]
كَأنّ لِسَاني نِسْعَةٌ حَضرَميّةٌ ، طَوَاها ، وَلَمْ تَبلُغْ لهَا السَّوْمَ ، بَائِعُ
لقَدْ كان لي عن باحَةِ الذّلّ مَذهَبٌ ، وَمُضْطَرَبٌ عن جانبِ الضّيمِ وَاسِعُ
وَمَا مُدّ مَا بَيْني وَبَينَ مَذاهِبي حِجَازٌ ، وَلا سُدّتْ عَليّ المَطالعُ
أكُنّ ثَنائي وَابنُ فَعلاءَ مُعرِضٌ ، لَئِن أنتَ لمْ تَسمَعْ فعِرْضُك سامِعُ
وَلَوْ ماجزَيتُ القَرْضَ بالعِرْضِ لم يضِعْ ، فإنّ النّدى عند الكِرَامِ وَدائِعُ
سَيُدْرَى مَنِ المَغْبُونُ مِنّا وَمنكُمُ إذا افترَقَتْ عَمّا تَقولُ المَجامِعُ
وَهَلْ تَدّعي حِفظَ المَكارِمِ عِصْبَةٌ لِئَامٌ ، وَمِثْلي بَينَها اليَوْمَ ضَائِعُ
نَعَمْ لَستُمُ الأيدي الطّوَالَ فعاوِنُوا على قَدرِكُم ، قَد تُستَعانُ الأصَابِعُ
إذا لمْ يكُنْ وَصْلي إلَيكُمْ ذَرِيعَةً ، فَيا لَيتَ شِعرِي ما تكونُ الذّرَائِعُ

١ هدت : صوتت . يذبل : جبل . القعاقع : موضع
٢ خلاة : عشبة .

أرَى بارِقاً لمْ يُرْوِني ، وَهوَ حاضِرٌ ، فَكَيْفَ أُرَجّي رَيّهُ ، وَهوَ شاسِعُ

وَأخلَفَ شَيمي كُلّ بَرْقٍ أشيمُهُ ، فَلا النّوْءُ مَرْجُوٌّ وَلا الغَيثُ وَاقِعُ

سأذهَبُ عَنكُمْ غَيرَ باكٍ عَلَيكُمُ ، وَمَا ليَ عُذْرٌ أنْ تَفيضَ المَدامِعُ

وَأهجُرُكُمْ هَجرَ المُفيقِ من الهَوَى خَلا القَلبُ منهُ وَاطمَأنّ المَضَاجِعُ

وَأعتَدُّ فَتجاً أنتُمُ مِنْ حِلالِهِ ، ثَنِيّةَ خَوْفٍ ، مَا لهَا اليَوْمَ طالِعُ

وَمَا مَوْقفي وَالرّكبُ يرْجو على الصّدى مَوَارِدَ قَدْ نَشّتْ بهِنّ الوَقَائِعُ

أُفَارِقُكُمْ لا النّفسُ وَلهَى علَيكُمُ وَلا اللّبّ مَخلوسٌ وَلا القلبُ جازِعُ

وَلا عاطِفاً جِيدِي إلَيكُمْ بِلَفْتَةٍ من الشّوْقِ ما سارَ النّجومُ الطّوَالِعُ

وَلا ذاكِراً مَا كانَ بَيْني وَبَيْنَكُم مُرَاجَعَةً ، إنّ المُحِبّ المُرَاجِعُ

نَبَذْتُكُمُ نَبْذَ المُخَفَّفِ ثِقْلَهُ ، وَإنّي لحَبْلٍ مُنّةِ الغَدْرِ قَاطِعُ

غربان الناس

قال في معنى مثله :

مَا أخطَأتْكَ سِهَامُ الدّهرِ رَامِيَةً ، فَمَا أُبَالي مِنَ الدّنْيَا بِمَنْ تَقَعُ

النّاسُ حَوْلَكَ غِرْبانٌ على جِيَفٍ ، بُلْهٌ عن المَجدِ إن طارُوا وَإن وَقعُوا

فَمَا لَنا فيهِمُ ، إنْ أقبَلُوا ، طَمَعٌ ؛ وَلا عَلَيهِمْ ، إذا ما أدبَرُوا ، جَزَعُ

٣ المنة : القوة .

العيش نومة

قال رضي الله عنه في غرض آخر

يَقولونَ ماشِ الدّهرَ من حيثُ ما مشَى ، فكَيْفَ بمَاشٍ يَسْتَقيمُ وَأظْلَعُ
وَمَا وَاثِقٌ بالدّهرِ إلاّ كرَاقِدٍ على فضْل ثوْبِ الظّلّ وَالظلُّ يُسرِعُ
وَقالُوا : تَعَلّلْ ! إنّما العَيشُ نوْمةٌ يُقَضّى وَيَمضِي طارِقُ الهَمّ أجمَعُ
وَلَوْ كانَ نَوْماً ساكِناً لَحَمِدْتُهُ ، وَلَكِنّهُ نَوْمٌ مَرُوعٌ مُفَزَّعُ

منظر ونغم

قال على البديهة يصف مجلساً :

وَلَرُبَّ يَوْمٍ هَاجَ مِنْ طَرَبي ، وَلَقَدْ يَضِيقُ بغَيرِهِ ذَرْعي
مِنْ مَنظَرٍ حَسَنٍ ، وَمن نَغَمٍ ، نَدْعُوهُ قيدَ العَينِ وَالسّمْعِ
لَمّا أظَلَّ اللّيْلُ مَجلِسَنَا طُعِنَ الدُّجَى بِأسِنّةِ الشّمْعِ

عميدك السيف

عَميدُكَ السّيفُ الذي لمْ يزَلْ دُونَكَ مَدْلُولاً على سـ
يرُضيكَ في هَدمِ رِقابِ العِدَى وَفي بِناءِ الحَسَبِ الأرْفَعِ
طَاوٍ مِنَ الماءِ خَميصُ الحَشَى، قَد طَمَعَ النّاسَ ، وَلَمْ يَطمَعِ

ينبوع الظبى

خلَطُوا الصّوَارِمَ بالقَنَا ، وَتَعَمّموا بالبِيضِ ، وَاجتَابُوا العَجاجَ دُرُوعَا
قَوْمٌ إذا هَتَفَ الصّرِيخُ بِنَصْرِهِمْ فَجَرُوا عَلَيهِ من الظُّبَى يَنبُوعَا

شرس

شَرِسٌ تَيَقُّظُهُ تَيَقُّظُ خَائِفٍ، وَفِعَالُ نَجدَتِهِ فِعَالُ شُجَاعِ
وَمُدَرَّبِينَ عَلى اللّقَاءِ كَأنّهُمْ لمْ يُخْلَقُوا إلاّ لِيَوْمِ قِرَاعِ

لكل امرىء نفسان

لكُلّ امرِىءٍ نَفسانِ : نَفسٌ كريمةٌ ، وَأُخرَى يُعاصيهَا الفَتى أوْ يُطيعُهَا
وَنَفسُكَ مِنْ نَفسَيكَ تَشفَعُ للنّدى إذا قَلّ مِنْ أحرَارِهِنّ شَفيعُهَا

وضلعاء

وَضَلْعاءَ مِنْ مُظْلِماتِ الخُطُوبِ عَمياءَ لَيسَ لهَا مَطْلَعُ
يَكَادُ وَجيبُ قُلُوبِ الرّجَالِ مِنْ خَوْفِ مَكرُوهِها يُسمَعُ

برقع الغرّة

قال في صفة فرس :

وَمَنسُوبَةٍ مِنْ بَنَاتِ الوَجيهِ تَحْسَبُ غُرّتَهَا بُرْقُعَا
مُكَرَّمَةِ الخَدّ تَحتَ الطِّرَافِ يَلْطِمُ لاطِمُهَا أرْبَعَا

الود المتصنع

وكتب إلى بعض أصدقائه :

تَضيقُ صُدورُ العَتبِ، وَالعُذرُ أوْسعُ، ويَتجمَحُ طَرْفُ الهَجرِ وَالودُّ أطْوَعُ
لكَ اللهُ مِنْ قَلْبٍ مَلاهُ وَفَاؤهُ ، فَلَيْسَ لِعُذْرٍ في نَوَاحِيهِ مَرْتَعُ
وَلي خَاطِرٌ مَا إنْ سَلَكتُ مَضاءَهُ عَلى الهَمّ إلاّ كَادَ في الدّهرِ يُقطَعُ
إلَيكَ فَما تَظمَا إلى الغَدرِ هِمّتي ، إذا مَا سَقَاني مِنْ وَدادِكَ مَشرَعُ
وَلَكِنّني في مَعْشَرٍ حَلْيُ وُدّهِمْ إذا مَا اجتَلَتْهُ النّائِبَاتُ التّصَنّعُ
إذا رَكَضَتْ أقوَالُهُمْ في مَسَامِعي على العُذرِ جاءتْ خَاطِرِي وَهيَ ظُلَّعُ
لحَا اللهُ هَذا الدّهرُ سَيفاً عَلى المُنى ، أُوَصِّلُ آرَابي بِهَا وَيُقَطِّعُ
إذا شِمتُ مِنهُ بَارِقَ العَزْمِ رَدّني كَليلَ لِحاظِ النّاسِ وَالخَطبُ يَهمَعُ
صَحبتُ الرّجالَ الخابِطينَ إلى العُلى، فَثَبّطَني لُؤمُ الزّمَانِ وَأسرِعُ[1]
أمَا ليَ مِنْ حَظّ المَكَارِمِ أنْ أرَى سَرِيعاً إلى داعي العُلى حينَ يَسمَعُ
تَرُدّ سِهَامي الحَادِثَاتُ طَوَائِشاً ، وَفي قَوْسِ عَزْمي لَوْ تَبَوّعَ مَنزِعُ[2]
أُصَرّفُ فَهمي ، وَالمَقَاوِلُ سُرّعٌ ، وَأملِكُ حِلْمي ، وَالعَوَامِلُ شُرّعُ

١ ثبطني : أخرني .
٢ تبوع : امتد .

مهتزة العرنين

قال قدست نفسه الزكية في سكين أهديت إليه :

وَمُهْتَزَّةِ العِرْنِينِ رَقْرَاقَةِ السَّنَا ، تُنَاسِبُ مُسْتَنَّ البُرُوقِ اللَّوَامِعِ
أفَاضَ عَلَى أعطَافِها القَيْنُ حُلَّةً ، تُفَضْفَضُ في مثلِ النّجومِ الطّوَالِعِ [1]
فَجَاءَتْ بجِسْمٍ يَمْلأُ العَيْنَ بَهجةً إذا مَا اجتَلاها حاسِرٌ مثلُ دارِعِ
يُحَيّا بِهَا مَنْ لَمْ تُحَيِّ يَمِينُهُ بغَيرِ العَوَالي ، وَالسّيوفِ القَوَاطِعِ
أحَدٌّ مِنَ العَذْلِ المُطِلِّ على الهَوَى ، وَأرْهَفُ من غَرْبِ النّوَى في المَقاطعِ

الثراء بالقناعة

وكتب إلى بعض أصدقائه

مُقِيمٌ مِنَ الهَمّ لا يُقْلِعُ ، وَمَاضٍ مِن العَيْشِ لا يَرْجِعُ
وَيَوْمٌ أشَمُّ بِإقْبَالِهِ ؛ وَيَوْمٌ بِإدْبَارِهِ أجْدَعُ
لأخْفَقَ مَنْ عَلِقَتْ بالمُنَى يَدَاهُ ، وَأثْرَى الذي يَقْنَعُ

[1] تفضفض : توسع .

وَما الذّلّ إلاّ خِداعُ اللّئِيمِ ، وَالحُرُّ بالذّلّ لا يُخْدَعُ
رَأيْنَا الرّجَاءَ عَلَى نَأيِهِ ، رِشَاءً ، وَكُلٌّ يَدٍ تَنْزِعُ
بُلِيتُ ، وَغَيْرِيَ لا يُبْتَلَى ، بِأمْرَيْنِ مَا فِيهِمَا مَطْمَعُ
بِدَهْرٍ ألُومُ ، وَلا يَرْعَوِي ، وَمَوْلًى أقُولُ ، وَلا يَسمَعُ
وَإنّي ، إذا ما استَطالَ الزّمانُ أنْجَدَني صَاحِبٌ أرْوَعُ
وَنَفْسٌ عَلى صَبْرِهَا مُرّةٌ ، وَقَلْبٌ عَلى رَأيِهِ مُجْمِعُ
أخُوضُ بِهِ كُلَّ دَوّيّةٍ ، يَزِلُّ بِهَا الخفُّ أوْ يَظْلَعُ[1]
بِكُلِّ مُقَلَّدَةٍ بِالنّسُوعِ كَأنَّ اللُّغَامَ لهَا بُرْقُعُ
يَصِيحُ الحَصَى تَحتَ أخفَافِها، فُنُوناً ، وَيَصْطَخِبُ اليَرْمَعُ
وَإنّيَ لأوعِبُ في جِلْدِهَا ، وَلِلرّكْبِ هَمْلَجَةٌ زَعْزَعُ
أقِيمُ وَخَدٌّ الضّحَى أبْيَضٌ ، وَأسرِي وَوَجْهُ الدُّجَى أسفَعُ
وَأمْضِي ،إذا بَلَدَ المُستَغيرُ ، وَهَابَ الثّنِيّةَ مَنْ يَطلُعُ
وَأشْلي عَلى المُقْرَباتِ السّيَاطَ، إذا ضَمّهَا البَلَدُ البَلْقَعُ[2]
وَأُورِدُهَا الخِمسَ في لُجْمِها، تَبَرّضُ مَا ألِفَتْ تَكْرَعُ
تَعَجّبُ مِنْهَا وُحُوشُ الفَلاةِ ، تَسْرِي ، وَأسرَابُهَا رُتّعُ
أرَى النّوْمَ يَنْبُو بِهِ نَاظِرِي ، وَكُلُّ العُيُونِ لَهُ مَرْبَعُ
وَمَن ضَاقَتِ الأرْضُ عَن هَمّهِ حَرٍ أنْ يَضِيقَ بِهِ مَضْجَعُ

[1] الدوية : الفلاة .
[2] أشلي : أرفع .

لَئِنْ كَانَ أحزَنَ بِي مَنْزِلٌ ، فمِنْ قَبْلُ أمرَعَ لي مَرْتَعُ
عَلى أنّني عِنْدَ عَضّ الزّمَانِ ، صَفَاةٌ يَضَنّ بِهَا المَقْطَعُ
لَقَد عَافَ أمْوَالَهُ مَن يَجُودُ ، وَقَدْ طَلّقَ النّفسَ مَن يَشجُعُ
وَأبْيَضَ يَوْمَ الوَغَى حَاسِرٍ ، تَرَدّى بِقَائِمِهِ الدُّرّعُ
تَحُفّ مَضَارِبُهُ مَاءَهُ ، كَمَا حَفّ وَادِيَهُ الأجْرَعُ
وَأسْمَرَ يَهْتَزّ في رَاحَتِي ، كَمَا هَزّتِ القَلَمَ الإصْبَعُ
وَزُغْفٍ تَحَدّرُ عَنْ بَيْضَةٍ ، كَأنّ الأغَمّ بِهَا أنْزَعُ
يُذَلّلُ لي سَطَوَاتِ الزّمَانِ سَيفي ، وَمِثْلِيَ لا يَخْضَعُ
تَطَاوَلْتُ للبَرْقِ لَمّا سَرَى ، وَعُنْقي إلى مِثْلِهِ أتْلَعُ[1]
فَمَا لِيَ لا أسْتَعِيدُ الجَوَى ، وَقَدْ لاحَ لي بَارِقٌ يَلْمَعُ
وَأبْذُلُ قَلْباً بِأمْثَالِهِ تَضَنّ الجَوَانِحُ وَالأضْلُعُ
ألا إنّ قَلْبَ الفتَى مُضْغَةٌ ، تَضُرّ ، وَلَكِنّهَا تَنْفَعُ
وَأبْلَجَ أعْدَدْتُهُ للخُطُوبِ طَوْداً ، إلى ظِلّهِ أرْجِعُ
كَرِيمِ الوَفَاءِ أمِينِ الإخَاءِ بَاقٍ عَلى العَهْدِ لا يُقْلِعُ
سَرِيعٍ إلى دَعْوَتي في الأُمُورِ ، إنّي إلى صَوْتِهِ أسْرَعُ
جَلَوْتُ بِهِ الدّمعَ عَنْ نَاظِرِي ، وَكَانَ عَلى غَيرِهِ يَدْمَعُ
وَكَفكَفتُ عَمّنْ سِوَاهُ يَدي ، وَكنتُ أرَى المَاءَ لا يُشْبِعُ
دَعَوْتُكَ يا نَاصِرِي في الهَوَى ، وَكَانَ إلى وُدّكَ المَفْزَعُ

---

[1] أتلع : طويل .

أتاني أنكَ طوّحتَ بالـ زّيارةِ عَنْ عارِضٍ يقطعُ
لقد نالَ شكواكَ من مهجتي ، كما نالَ مِنْ عرقكَ المِبضعُ
دمٌ جاشَ شؤبوبهُ عَنْ يدٍ ، يُقلّبُها البطلُ الأروعُ
مُفيضٌ ولكنّهُ غايضٌ ، وخرقٌ ولكنّهُ يُرقعُ
ولَوْ أنّ لي فسحةً في الزّمانِ جاءكَ بي القدرُ الأسرعُ
وإنْ غبتُ عنكَ ، فإنّ الفؤادَ عندكَ ما فاتهُ موضعُ
يعوجُ عليكَ فلا ينثني ، ويشربُ منكَ فلا ينقعُ
وإنّي لتعطفني المُطمِعاتُ عليكَ ، كما عُطِفَ الأخدعُ[1]
ولولاكَ لمْ أعترفْ بالغرامِ ، ولا قيلَ إنّ الفتى موجعُ
وما فضلُ شوقي لولا البُكاءُ ، والشّوقُ عنوانُهُ الأدمُعُ

[1] الأخدع : عرق في العنق .

حرف الغين

شغلت بكن النفس

لَئِنْ قَرّبَ اللهُ النّوَى بَعْدَ هَذِهِ ، وَكَانَ لِرَوْحَاتِ المَطِيّ بَلاغُ

شَغَلْتُ بكُنّ النّفسَ عن كلّ حاجةٍ ، وَهَيهاتَ مِنْ شُغْلٍ بِكُنّ فَرَاغُ

وَلَيْسَ لِبَرْدِ المَاءِ لَمْ تَشْرَبي بِهِ إلى القَلْبِ مِنّي، يا أُمَيْمَ، مَسَاغُ

ديوان الشريف الرضي

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ر

س

ش

ص

ض

ط

ظ

ع

غ

ديوان العرب

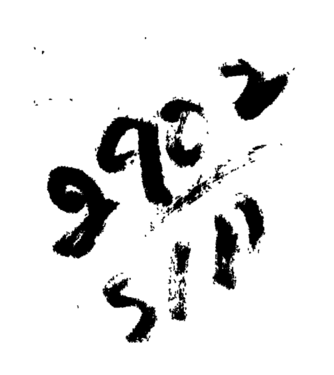
ظهر في هذه المجموعة :

١ ديوان المتنبي
٢ « ابن الفارض
٣ « عبيد بن الأبرص
٤ « امرىء القيس
٥ « عنترة
٦ « عبيد الله بن قيس الرقيات
٧ « أبي فراس
٨ « عامر بن الطفيل
٩ « الخنساء
١٠ « زهير بن أبي سلمى
١١ « النابغة الذبياني
١٢ « ابن زيدون
١٣ « ابن حمديس
١٤ « جرير
١٥ شرح المعلقات السبع للزوزني
١٦ سقط الزند لأبي العلاء المعري
١٧ اللزوميات « « « (جزآن)
١٨ ديوان الفرزدق (جزآن)
١٩ « الأعشى
٢٠ « أوس بن حجر
٢١ « جميل بثينة
٢٢ « الشريف الرضي (جزآن)
٢٣ « طرفة بن العبد
٢٤ « عمر بن أبي ربيعة

DIWAN

AS-SARIF ar-RADI

al-MUSAWI



Tome I

Editeurs

DAR SADER **DAR BEYROUTH**

BEYROUTH

الثمن ١ــ٢ : ٣٠٠٠ ق. ل.